نحو تأصيل إسلامي للدراسات التاريخية

دراسة جديدة على طريقة الحوار



سيرة خاتم المرسلين



منذ الميلاد وحتى الممات

(٥٣ قبل الهجرة - ١١ هـ = ٥٧١ - ٦٢٣ م)

أ. د جمال عبد الهادي محمد مسعود
أستاذ التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقا)

أ. د وفاء محمد رفعت
أستاذة التاريخ والمشرفة الأكاديمية
جامعة أم القرى (طالبات سابقا)

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تاريخ الأمة الواحدة

سيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ

منذ الميلاد وحتى الممات (٥٣ قبل الهجرة - ١١هـ = ٥٧١ - ٦٢٢م)

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة: القاهرة: ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف: ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس: ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع الأزهر: ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف: ٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع مدينة نصر: ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف: ٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة: فرع الإسكندرية: ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا: القاهرة: ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

نحو تأصيل إسلامي للدراسات التاريخية

دراسة جديدة على طريقة الحوار

تاريخ الأمة الواحدة

سيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ

منذ الميلاد وحتى الممات (٥٣ قبل الهجرة - ١١هـ = ٥٧١ - ٦٣٢م)

إعداد

أ. د جمال عبد الهادي محمد مسعود
أستاذ التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى (سابقًا)

أ. د وفاء محمد رفعت
أستاذة التاريخ والمشرفة الأكاديمية
جامعة أم القرى (طالبات سابقًا)

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

منهج الحوار في عرض سيرة النبي محمد ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله محمد ﷺ وبعد ،،

يقول ربنا رب العالمين ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] . يقول الإمام الحافظ ابن كثير في تفسير القرآن [١] العظيم أي : « سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس ، كما قال : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] .

قال مجاهد : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ يعني هونًا قراءته ، وقال السدى : يسرنا تلاوته على الألسن ، وقال ابن عباس : لولا أن الله يسّره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله ﷻ . وروى ابن أبي حاتم عن مطر الورّاق في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ هل من طالب علم فيعان عليه » . ولله المثل الأعلى .

وسيرة النبي محمد ﷺ تحتاج إلى تجاوز العرض التقليدى الذي حفلت به مراجع ومصادر السيرة منذ زمن طويل ، وتحتاج إلى تيسير عرضها على الناشئة (فتيان وفتيات) ، يلتمسون فيها المنهج والقدوة والأسوة منذ اللحظة التي تنطق فيها ألسنتهم بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

والحوار وسيلة من وسائل المنهج الإسلامي المتميز في عرض سير الأنبياء والعقائد وأخبار السابقين وأخبار الصحابة والتابعين وأخبار المغازي وتاريخ الأمم والشعوب ؛ لأنه (أي الحوار) يعاون معاونة فعالة في تقريب المعنى والفحوى والمضمون في ذهن السامع والقارئ ، وترسيخ القيم والعقائد الصحيحة والدروس المستفادة في نفسية الدارس . كما أنه من خلال الحوار يعوّد المشارك والقارئ على كيفية إدارة الحوار مع طرف آخر وأداء واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعريف برسالة ومنهج خاتم المرسلين محمد ﷺ . والدليل على ذلك ما ورد في الكتاب والسنة المطهرة [٢] .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق د . محمد علي الصابوني ، (ج٣) ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ص ٤١٠ .
(٢) ولقد كان لنا تجربة سابقة ناجحة في عرض حلقة من تاريخ الأمة الواحدة (المسلمة) للبراعم المسلمة في ثلاث =

(أ) القرآن الكريم :

١ - الحوار الذي دار بين موسى وقومه بشأن ذبح بقرة [سورة البقرة] .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

٢ - الاستفسارات التي تدور حول الحلال والحرام [سورة البقرة] .

● ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ .

● ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ .

● ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ .

٣ - الحوار الذي دار بين الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى بشأن تحرير بيت المقدس من جالوت وجنوده (الأشوريين) [سورة البقرة] « ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل » .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ

= كتيبات : الأصول الثلاثة ، والكون المسلم آدم وزوجه وبنوه يكونون أول مجتمع مسلم ، نوح عليه السلام أول رسول إلى أهل الأرض يدعو إلى الإسلام ، وكذلك صفحات من تاريخ الدولة العثمانية ، والتي نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لإنجاز ما تبقى منها . هذه التجربة قد حازت القبول لدى قطاع كبير من الناشئة وكذلك أولياء الأمور .

ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

٤ – الحوار الذي دار بين إبراهيم وولى الأمر حول قضية التوحيد [سورة البقرة] .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ .

٥ – حديث الرجل الذي مر على قرية مهجورة مع نفسه [سورة البقرة] .

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ .

٦ – طلب رسول الله إبراهيم عليه السلام من رب العالمين معاينة حقيقة الموت والبعث [سورة البقرة] .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ

قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ .

٧ – نَذْر امرأة عمران ما في بطنها لله رب العالمين [سورة آل عمران] .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

٨ – زكريا عليه السلام يدعو ربه رب العالمين بأن يهبه ذرية طيبة [سورة آل عمران] .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ .

٩ – حوار مريم مع الملائكة [سورة آل عمران] .

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ .

١٠ – دعوة عيسى عليه السلام الناس إلى الإسلام [سورة آل عمران] .

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا

مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ .

١١ – الحوار الذي جرى على ألسنة الذين أمرهم رب العالمين « كفوا أيديكم » [سورة النساء] .

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ .

١٢ – موسى عليه السلام يطالب قومه بتحرير الأرض المقدسة [سورة المائدة] .

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ .

١٣ – قصة ابني آدم اللَّذين قتل أحدهما الآخر [سورة المائدة] .

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ .

١٤ – قوم عيسى عليه السلام يطلبون مائدة من السماء [سورة المائدة] .

﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

١٥ – اللّه رب العالمين يوضح ويقرر أن عيسى عليه السلام دعا قومه إلى توحيد اللّه رب العالمين [سورة المائدة] .

﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴾ .

١٦ – إبليس يتعدى حدوده ويتجرأ على مخالفة أوامر اللّه [سورة الأعراف] .

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ .

١٧ – حوار أصحاب الجنة وأصحاب النار [سورة الأعراف] .

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ

ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

١٨ - الحوار الذي جرى بين سليمان ، والهدهد بشأن رحلته إلى بلاد سبأ (اليمن) [سورة النمل] .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

١٩ - الحوار الذي جرى بين النملة وبين بني قومها من النمل [سورة النمل] .

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ

ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ .

(ب) السنة المطهرة :

(١) « عن أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ﵄ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **انطلق ثلاثةُ نفر ممَّنْ كان قبلكم حتى آواهم المبيتُ إلى غارٍ فدخلوه فانحدرت صَخْرَةٌ من الجبل فَسدَّت عليهم الغار** » .

فقالوا : إن لا يُنْجِّيكُمْ من هذه الصَّخرةِ إلا أن تدعوا اللَّه تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : **اللَّهم كان لي أبوانِ شيخان كبيران وكنت لا أغْبِقُ [1] قبلهما أهلًا ولا مالًا ، فنأى بي طلب الشجر يومًا فلم أُرِحْ [2] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غَبُوقَهُمَا فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أَغْبِقَ قبلهما أهلًا أو مالًا ، فلبثتُ - والقدح على يدي - انتظر اسْتيِقَاظَهُمَا حتى بَرِقَ الفجر والصبية يَتَضَاغَوْن عند قدمي - فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُمَا ، اللَّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ؛ فانْفَرَجَتْ شيئًا لا يستطيعون الخروج منه .**

قال الآخر : اللَّهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أَحَبَّ الناس إليَّ (وفي رواية : كنت أُحِبُّهَا أشد ما يحب الرجال النساء) فأردتها على نفسها فامتنعت حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخَلِّي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قَدَرْتُ عليها (وفي رواية : فلما قعدت بين رجليها) قالت : اتَّقِ اللَّه ولا تَفُضَّ الخاتم إلا بحقه فانْصَرَفْتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللَّهم إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عَنَّا ما نحن فيه ؛ فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللَّهم إنِّي استأجرت أُجرَاء وأعطيتُهُمْ أجرهم غير رَجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب ، فَثَمَّرْتُ أجره حتى كَثُرَتْ منه الأموالُ فجاءني بعد حين .

فقال : يا عبد اللَّه أَدِّ إليَّ أَجْرِي .

فقلت : كُلُّ ما ترى من أجرك : من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ .

---

(١) أي لا أقدم في الشرب قبلهما أهلًا ولا مالًا من رقيق وخادم ، والغبوق : شرب العشي .

(٢) أي : أرجع .

فقال : يا عبد اللَّه لا تستهزئ بي .

فقلت : لا أستهزئُ بك ، فأخذه كُلَّه فاستاَقه فلم يترك منه شيئًا . اللَّهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عنا ما نحن فيه ؛ فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » [1] [متفق عليه] .

(٢) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : بينما نحن جُلُوسٌ عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شَدِيدُ بياضِ الثِّياب شديدُ سواد الشعر لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منَّا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند رُكْبَتيْه إلى رُكْبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام » .

فقال رسول اللَّه ﷺ : « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن مُحَمدًا رسول اللَّه ، وتُقيم الصلاة ، وتُؤتِي الزكاة ، وتَصُومَ رمضان وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا** » .

قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه [2] .

قال : فأخبرني عن الإيمان .

قال : « **أن تُؤمِنَ باللَّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتُؤمِنَ بالقدر خيره وشره** » .

قال : صدقتَ .

قال : فأخبرني عن الإحسان .

قال : « **أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك** » .

قال : فأخبرني عن الساعة .

قال : « **ما المسئُولُ عنها بأعلم من السائل** » .

قال : فأخبرني عن أَمَارَاتِهَا .

قال : « **أن تلد الأَمَةُ رَبَّتَها ، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رعاء [3] الشاء [4] يتطاولون في البنيان** » . ثم انطلق فلَبثْتُ مَلِيًّا ثم قال : « **يا عمر أتدرى من السائل ؟** » .

---

(١) أخرجه البخاري في الإجارة (٢٢٧٢) .

(٢) وجه العجب أن السؤال يدل على عدم علم السائل والتصديق يدل على علمه وقد زال عجب عمر ﷺ بقوله ﷺ : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

(٣) الرعاء : جمع راع .

(٤) الشاء : الغنم .

قلت : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **فإنه جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُم دينكم** » [1] [رواه مسلم] .

من أجل هذا آثرنا تبني منهج القرآن والسنة في الحوار لتبسيط سيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ . محاولة متواضعة يعتريها ما يعترى دائمًا الجهدَ البشريَّ من القصور ، واللَّه من وراء القصد .

المؤلفان

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٨) .

اللقاء الأول

• المسائل التي ينبغي على الإنسان معرفتها
• أحوال المجتمع العربي والدولي قبيل بعثة النبي محمد ﷺ

الوالد : الحمد للَّه الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونتوب إليه ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا . ونشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده (١) لا شريك له الذي علمنا : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

ونشهد أن قدوتنا وأسوتنا ومعلمنا رسول اللَّه محمد ﷺ الذي أخبرنا « **وإنَّما بُعِثْتُ مُعَلِّمًا** » (٢) .

اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد .... أمَّا بعد :

اعلموا يا أبنائي أن من المسائل التي ينبغي على الإنسان معرفتُها : أن يعرف الإنسانُ ربَّهُ رَبَّ العالمين ، وأن يعرف الإنسان نَبيَّه رسول اللَّه محمد ﷺ ، وأن يعرف الدِّين الذي لا يقبل اللَّه من الأولين أو الآخرين غيره ، وهو دين الإسلام ، على أن يقترن ذلك بالعمل وبذل العلم لمن لا يعلم .

وقد حان الوقت لنتعرف على رسول اللَّه ﷺ ، وهذا هو لقاؤنا الأول حول سيرة النبي محمد ﷺ ، ودوْرِهَا في مُوَاجَهَةِ التَّحديات .. دورها في إنهاء محنة الانسان المعاصر .. دورها في إخراج البشرية من الظلمات إلى النور ، دورها في تعبيد الناس لرب العالمين وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه الواحد القهار ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، يقول ﷻ : ﴿ الٓرۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ٢] .

هذا هو لقاؤنا الأول حول تَحَرِّى منهج رسول اللَّه ﷺ في تحرير إرادة الانسان وتحرير

---

(١) الوالد هو الجد وهو المعلم وكذلك الوالدة هي المعلمة والجدة .

(٢) رواه ابن ماجه ، المقدمة .

المقدسات وحماية النفس الإنسانية .. نسلها وعقلها وعرضها ودينها ومالها .. منهج الرسول محمد ﷺ في الوفاء بالعهود امتثالًا لأمر الله القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] .

أسامة : معذرة يا أبي ما المقصود بالعقود التي يطالبنا رب العالمين بالوفاء بها ؟ .

الوالد : **أولها يا بني عقد الفطرة** ؛ فالله ﷻ قد أخذ على بني آدم العهد والميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وأن يُخْضِعُوا حياتهم لمنهاج الله وشريعته ، يقول الله سبحانه : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢، ١٧٣] .

والعهد الثاني : أن يؤمنوا بمحمد وينصروا دين محمد ﷺ (دين الإسلام) يقول ربنا رب العالمين : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

والعهد الثالث يا أبنائي الذي أخذه الله على بني آدم عليه السلام : أن يكونوا مسلمين ، أن يعيشوا على الإسلام ، وأن يحرصوا على إقامة هذا الإسلام نظامًا حياتيًا شاملًا : توحيدٌ لله رب العالمين ، عبادات ، ومعاملات إسلامية ، وخلافة إسلامية ، وشريعة ربانية . . سلوكيات وأخلاق إسلامية .. اقتصاد وتعليم وإعلام إسلامي . . علاقات اجتماعية وعلاقات دولية إسلامية ، ويحرصوا على أن يموتوا على الإسلام ، يقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

أي الإسلام كله ، ويقول سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

هذه يا أولادي بعض العهود والمواثيق الَّتي أخذها الله على بني آدم عليه الصلاة والسلام والَّتي يطالبهم رب العالمين الوفاء بها ويحذرهم من عدم الوفاء فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

أسامة : جزاك الله خيرًا يا أبي ، إذن فربنا يطالبنا بالوفاء بالعهود فما العمل ؟ وما الطريق الذي يجب أن نسلكه وفاء للعهود مع ربنا رب العالمين ؟ .

الوالد : هذا ما سنتعلمه من سيرة النبي محمد ﷺ إن شاء الله يا أسامة فالله ﷻ يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

محمود : معذرة يا أبي ، حتى أستطيع أن أتابع معكم دراسة السيرة أريد أن أفهم : هل معنى ذلك أننا يجب أن نسلك طريق أصحاب الدعوات طريق محمد ﷺ وصحبه ، وإذا كان الأمر متعينًا في رقابنا فما هي العقبات التي يمكن أن تحول بيننا وبين القيام بهذه الفريضة ؟ .

الوالد : أنت تتعجل الأحداث يا محمود ، على كل فإن أخطر العقبات التي يمكن أن تحول بين الإنسان وبين القيام بهذه الفريضة : نفسك التي بين جنبيك ، يقول ﷻ : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

وأيضًا شياطين الإنس والجن . يقول ربنا سبحانه محذرًا للإنسان : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف : ٢٧] .

ولهذا فقد أمرنا ربنا ﷻ أن نجاهد النفس ، ونجاهد الشيطان ، ونجاهد الكافرين والمنافقين . « جاهد النفس والشيطان واعصهما » .

ويقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [التوبة : ٧٣] .

سلمان : معذرة يا جدّي ، ماذا يعني جهاد النفس ؟ .

الوالد : جهاد النفس مرتبة من مراتب الجهاد الأربع ، وجهاد النفس أربع مراتب :

المرتبة الأولى : أنْ يُجاهِدَ الإنسانُ نفسه على معرفة ربه ونبيه ﷺ ودينه ، وأن يعرف كيف يقرأ كتاب الله مُجَوَّدًا ، وأن يُحِلَّ حلاله ويُحَرِّم حرامه ، وأن يلتزم بفرائض الله ﷻ .

المرتبة الثانية : أن يجاهد الإنسان نفسه للعمل بما علم .

المرتبة الثالثة : أن يجاهد الإنسان نفسه لتعليم غيره .

المرتبة الرابعة : أن يجاهد الإنسان نفسه على الصبر على أداء هذه الواجبات . يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ - ٣] .

سلمان : جزاك الله خيرًا يا جدّي .

محمود : معذرة يا والدي من الواضح أن التكاليف التي حَمَّلَ الله بها الإنسان تكاليف عظيمة - ولكن القيام بها قد يترتب عليه ابتلاءات فما العمل ؟ .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : نعم يا محمود والإنسانُ كُلُّ الإنسان مُمْتَحَنٌ بالتكاليف ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ١، ٢] .

والإنسان ليس مُخيَّـرًا يحمل التكاليف أو لا يحملها ، يقول ربنا رب العالمين : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [النساء : ٨٤] .

محمود : معذرة يا والدتي ، ولكن كيف يواجه الإنسان هذه الامتحانات ؟ .

الوالدة : كما كان يواجهها رسول اللَّه محمد ﷺ بالآتي :

● **الإخلاص والصبر واستحضار نية الشهادة** : يقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٣، ١٥٤] .

●**الثبات والذكر** : يقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

●**الدعاء** : لأنه لا يرد البلاء إلا الدعاء كما أخبر رسول اللَّه ﷺ . يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

● **الاستمرار في حمل أمانة التكليف** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

● **التوكل على اللَّه** : يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

● **الثقة في نصرة اللَّه** : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

ويقول ﷺ : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، واعلم أنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا » (١) .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/٣٠٧) .

نهر الدانوب
بحر بنطش
القسطنطينية
مقدونيا
بحر
إيجه
أرمينية
رودس
ج.كريت
قبرص
بحر الروم
انطاكية
تدمر
دمشق
نهر
الفرات
كيرينا
الإسكندرية
القدس
ممفيس
مصر
شبه الجزيرة
العربية
بحر القلزم

محمود : ولكن هذه الدراسة تحتاج إلى همّة عالية ومثابرة فكيف السبيل إلى ذلك ؟ .

الوالدة : السبيل إلى ذلك معرفة اللّٰه تعالى ، وهذا لا يتحقق إلا بتحصيل العلم النافع يقول اللّٰه تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ومعرفة رسول اللّٰه ﷺ ومعرفة تاريخ أصحاب الدعوات ، والابتلاءات التي تعرضوا لها وكيف واجهوها ، وحفظ كتاب اللّٰه ، ومعايشته ليلًا ونهارًا ، والذكر الدائم للّٰه ﷻ ، والصحبة الطيبة التي تعين على الطاعات ، والحرص على العبادات ، خاصة صلوات الفرائض والسنن وصيام التطوع بعد صيام الفريضة وقيام الليل لقول اللّٰه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ١- ٥] .

محمود : جزاك اللّٰه خيرًا يا والدتي .

الوالد : مرة أخرى ، معذرة يا أم محمد ، هذا هو لقاؤنا الأول حول سيرة النبي محمد ﷺ ، ودورها في حل مشاكل البشرية المعاصرة ، ونمهد لدراستها بحديث عن أحوال المجتمعات العقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية والأخلاقية وغير ذلك قبيل ميلاده ﷺ (٥٧١م/٥٣ قبل الهجرة) وبعثته ﷺ (٦١١م/١٣ قبل الهجرة) .

احمد : وما الهدف من ذلك يا أبي ؟ .

الوالد : لكي ندرك النقلة الكبيرة التي حدثت في حياة البشرية ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، وحتى ندرك الدور الكبير الذي أداه الإسلام ، ويمكن أن يؤديه في إنهاء محنة البشرية المعاصرة في مواجهة التحديات المعاصرة وأخطرها : إقامة دين الإسلام نظامًا حياتيًا شاملًا والتصدي للعدوان الواقع على الإسلام وأمة الإسلام حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله للّٰه .

يا أبنائي حينما أسِنَتِ الحياة الإنسانية ، نتيجة ضعف عقيدة الإيمان باللّٰه واليوم الآخر ، وحب الدنيا وكراهية الموت ؛ تعطلت الفرائض ، وفسدت الحياة السياسية ، وتسلط الظلمةُ على دولاب الحياة ، وأمسك بزمام الأمور في العالم ، قوتان كبريان ، ادّعت كل منهما الألوهية والربوبية ، وَوَضْع المنهج الذي يسير عليه النّاس هاتان القوتان هما : قوة الفرس في شرق الجزيرة العربية وقوة الروم في غرب الجزيرة العربية .

وكانت شبه جزيرة الأناضول وسورية وفلسطين بما في ذلك بيت المقدس ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب والأطراف الغربية للجزيرة العربية وشبه جزيرة البلقان وأوروبا كلها (من أسكتلندا في الشمال) تحت الاحتلال الأوروبي (الرومي)

وكان الجانب الشرقي للجزيرة العربية وما فيه تحت الاحتلال الفارسي .

احمد : هل هذا هو السبب الذي من أجله سمي الخليج العربي بالخليج الفارسي وسمى البحر الأبيض ببحر الروم ؟ .

الوالد : نعم يا بني ؛ لأن الفرس كانوا يسيطرون على كل أطراف الجزيرة العربية الشرقية وما وراءها ، والروم كانوا يسيطرون على أكثر من نصف المجتمعات البشرية ، وكانوا يعتبرونه ملكًا مباحًا لهم وشعوبه عبيدًا لهم .

احمد : ألم يكن هناك قانون يحكم حياة الناس وعلاقات الأمم ببعضها ويُردّ الناس عن ظلم غيرهم ؟ .

الوالد : يا بني لم يكن هناك إلا القانون الرومي الذي قنن الظلم وغصب ديار الشعوب وثرواتها بعد قتل وتشريد واستعباد أهلها الذين حرموا من أبسط حقوق الإنسان هذا من الناحية السياسية .

أما من الناحية الاقتصادية : فقد كان الربا هو قاعدة التعامل بين الناس ، والاتجار بما حرم اللّٰه من خمور وغيرها ، وكانت الضرائب القاصمة للظهور مفروضة على كل شيء وعلى كل إنسان بما في ذلك الحمالين والذين يمارسون البغاء .

احمد : ضرائب على الحمالين وعلى الذين يمارسون البغاء ؟ .

الوالد : نعم يا أحمد مثلما فعل الإمبراطور « جايوس كاليجولا » الذي فرض ١٢,٥٪ ضرائب على أجور الحمالين وضريبة على مكاسب العاهرات [١] .

أما فيما يتصل بالناحية الأخلاقية والسلوكية : فقد كان الاتصال الجنسي غير المشروع بين الذكور والإناث مباحًا بحكم القانون ، والاتصال بين الذكور محرمًا بالقانون ولكن مباحًا بحكم العادة [٢] .

أما فيما يتصل بالناحية التعليمية والإعلامية : فقد كانت الفلسفة اليونانية وملحمة هوميروس - كما يقول « كيتو » في كتابه عن اليونان : « هي إنجيل أبناء أوروبا » [٣] .

أما فيما يتصل بالجزيرة العربية : فقد كان العرب قبائل شتى ومن أمرائها المناذرة

---

(١) قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، ول ديورانت ص١٠٩ وما بعدها ، أوروبا منذ أقدم العصور ، دولة الروم د . جمال ، عبد الهادي وآخرون ، دار الشروق جدة١٩٧٦ ص١٥٥ .

(٢) دولة الروم ص٢٢٨ .

(٣) أوروبا منذ أقدم العصور دولة اليونان جمال عبد الهادي وآخرون ، دار الشروق ، جدة ص١٩٧٦م .



قبائل العرب قبل بعثة محمد ﷺ

بالحيرة ، والغساسنة بالشام ، وهؤلاء لم يكن لهم قيمة تذكر في المجتمع الدولي فقد كانوا عمالًا من قبل الفرس أو من قبل الروم .

وأحيانًا كان العربي يقاتل أخاه العربي من أجل المحتل الفارسي أو الرومي ، أو كما قال الشاعر :

وأحيانا على بكر أخينا ... إن لم نجد إلا أخانا

أسامة : وهل كان الحجاز في قبضة الاحتلال الرومي ؟ ومن كان يتولى أمر العرب بمكة ؟ .

الوالد : لا يا بني ، لقد شاء الله ﷻ أن يكون الحجاز وحرم الله الآمن عتقًا من الجبابرة والمغتصبين . وكان يتولى أمر العرب في مكة سلالة « قصي بن كلاب » الذي يقال إنه ينتسب إلى « إسماعيل بن إبراهيم » عليهما السلام . وكان لقصي رئاسة دار الندوة واللواء وحجابه الكعبة يقوم على خدمتها وخدمة الحجيج وإطعامهم وسقايتهم .

محمود : وما هو الدين الذي كان يدين به العرب ؟ .

الوالد : قطاع كان يدين بالوثنية ، وقطاع كان يدين بالنصرانية واليهودية ، وأفراد يدينون بدين إسماعيل عليه السلام وهو الإسلام .

محمود : أي كان هناك مسلمون ؟ .

الوالد : نعم يا بني ، ومن هؤلاء زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل ، ولكنهم كانوا قلة .

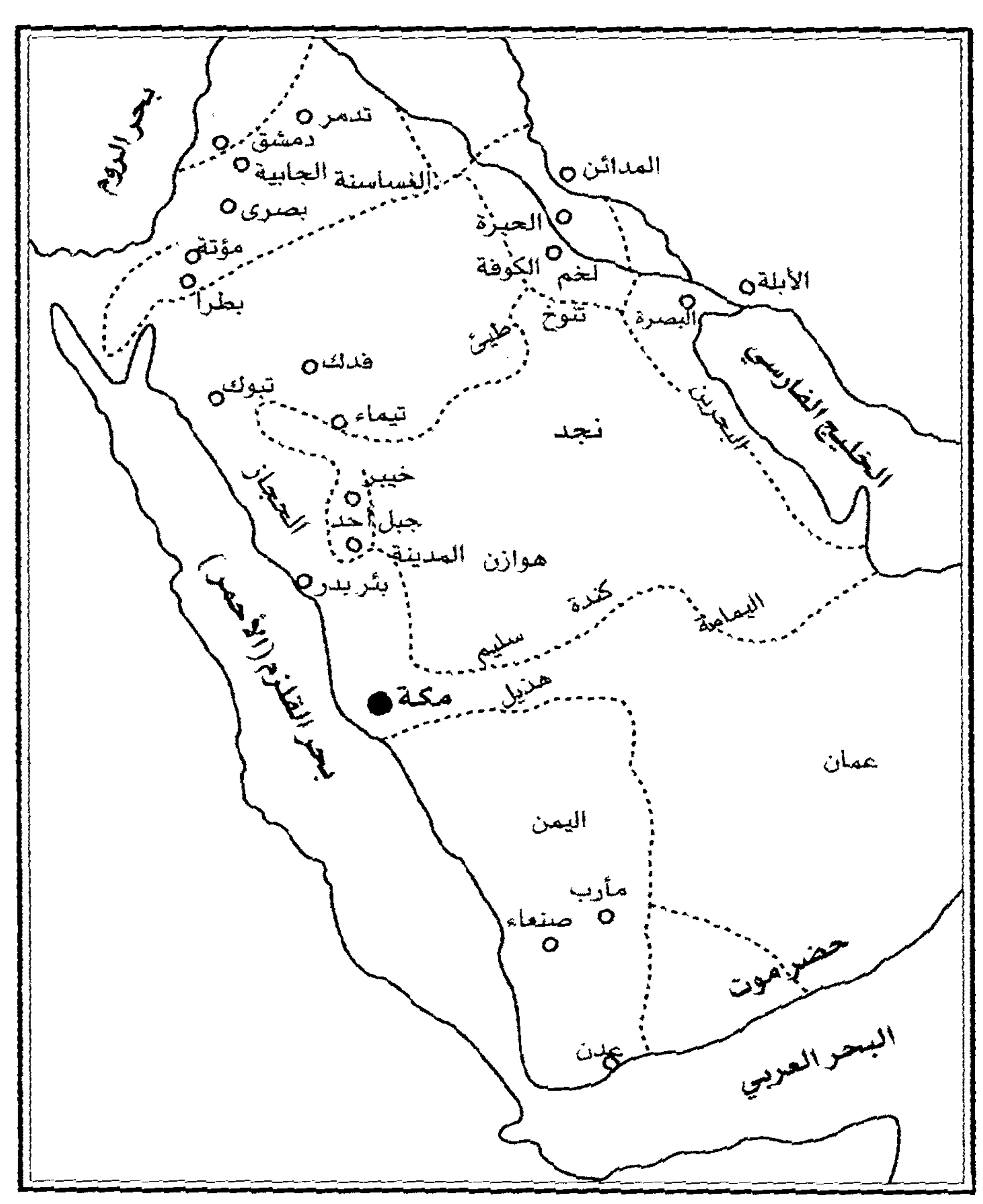
إيمان : وهل كان العرب يحجون إلى بيت الله العتيق ؟ .

الوالد : نعم يا بنيتي ... كانوا يحجون ، ولكن مناسك الحج كان قد تسلل الشرك والخلل إليها . بل إن كل قبيلة كان لها وثن يعبد في بيت الله الحرام ، يلتجئون إليه ويتذللون عنده ، ويستغيثون به في وقت الشدائد ، ويدعونه لحاجاتهم ، معتقدين أنها (أي الأوثان) تشفع لهم عند الله وتحقق لهم ما يريدون ، بل إنهم كانوا يحجون إلى بيوتات هذه الأصنام ، ويطوفون حولها ، ويهتفون بها ويسجدون لها ، وكانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين ، فكانوا يذبحون وينحرون لها وبأسمائها تصورًا منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وكان الناس يؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين وكانت لهم السيطرة [1] .

أحمد : تمامًا كما يفعل قطاعات من أبناء هذه الأمة الآن الذين يستغيثون بالمقبورين

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير ، (ج١ ، ص٥٨ - ٧٠) .



المماليك العربية عند ميلاد وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويطوفون بالأضرحة .

الوالد : تمامًا يا أحمد . فحينما تفسد الفطرة ويخفت سلطان الإيمان بالله واليوم الآخر في القلوب ؛ تنحرف السلوكيات ، ومظاهر ذلك شيوع الدعارة والمجون والسفاح والفاحشة .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، لقد قرأت في كتب السيرة أيضًا أن العرب كعادة أهل الجاهلية ، كانوا يعددون الزوجات من غير حد معروف ينتهي إليه ، وكانوا يجمعون بين الأختين ، وكانوا يتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقوهن أو ماتوا عنهن ، والدليل ما ورد في كتاب الله ﷻ في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١) .

وكان الطلاق بين الرجال ليس له حد معين ، وكانت فاحشة الزنا سائدة في أغلب الأوساط . والأنكى من ذلك أنهم كانوا يئدون البنات خشية العار والإنفاق ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨، ٩] .

كما كانوا يقتلون الأولاد خشية الفقر والإملاق يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾ [الإسراء : ٣١] .

وكان أساس النظام الاجتماعي العصبية الجنسية والقبلية .

وكانوا يسيرون على المثل السائد : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » دون رادع للظالم .

أسامة : وذلك يعني أن شأنهم كان مثل بقية المجتمعات الجاهلية القديمة ؛ بل وتتطابق في كثير من جوانبها مع الجاهلية المعاصرة التي استباحت وقننت تلك الجرائم .

الوالد : نعم صدقت يا بني ، ولكن يا بني ذلك لا يمنع أن العربي كان يتصف بصفات جيدة مثل : الكرم والوفاء بالعهود وعزة النفس والإباء والحلم والأناة والتؤدة وصفاء النفس ونقاء الفطرة .

---

(١) سورة النساء : ٢٢ ، ٢٣ صحيح مختصر تفسير ابن كثير المجلد الأول (ص٣٧١ - ٣٧٥) .

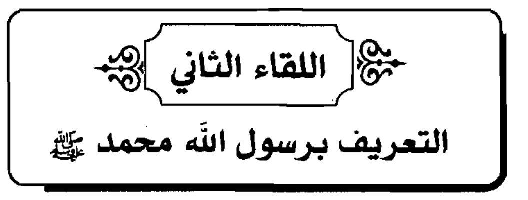
هذه هي الظروف والأحوال التي شاء اللَّه ﷻ أن يولد ويبعث فيها رسول اللَّه محمد ﷺ لإنقاذ البشرية وإنهاء محنتها وحل مشاكلها .

فمن هو هذا الرسول « محمد » ﷺ الذي اختاره رب العالمين لحل مشاكل الإنسانية وإنهاء محنتها هذا هو موضوع لقائنا القادم إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *





اللقاء الثاني

التعريف برسول الله محمد ﷺ

الوالد : الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله الذي علمنا أن رسول الله إبراهيم عليه السلام دعا ربه قبل ميلاد وبعثة محمد ﷺ بخمسة وعشرين قرنًا من الزمان فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨، ١٢٩] .

ونشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله القائل : « أنا دعوة أبي إبراهيم إني عبد الله وخاتم النبيين ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأن نورًا خرج منها أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام » (١) اللّهم صلِ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنَّك حميد مجيد .

أما بعد :

فهذا هو لقاؤنا الثاني حول التعريف برسول الله محمد ﷺ .

اعلموا يا أبنائي أن نسب النبي محمد ﷺ ، هو خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف الأفخاذ فخذه فهو « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (٢) و « عدنان » من ولد إسماعيل الذبيح عليه السلام و « إسماعيل » عليه السلام هو ابن « إبراهيم » عليه السلام وهم جميعًا مسلمون كما عرفنا .

وأمه « آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب » (٣) وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا وموضعًا .

محمود : والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم

---

(١) السيرة النبوية الذهبي (ص٤٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٧/٤ ، ١٢٨) .

(٢) رواه مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع ، زاد المعاد (ج١ ، ص١١ ، ١٥) .

(٣) المرجع السابق (ص١٩) .

إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشًا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » [1] [رواه مسلم] .

الوالد : نعم يا بني . إذن رسول الله محمد ﷺ خيار من خيار ، وتعرف أسرته بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف .

محمود : لا شك أن أباه عبد الله قد فرح بميلاده فرحًا عظيمًا ؟ .

الوالد : للأسف يا بني إن والده عبد الله توفي ورسول الله محمد ﷺ حمل .

محمود : إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون .

الوالد : وأول من أرضعته من المراضع بعد أمه « ثويبة » مولاة « أبي لهب » وأرضعت معه « أبا سلمى عبد الله بن عبد الأشد المخزومي » بلبن ابنها « مسروح » . وأرضعت معهما عمه « حمزة بن عبد المطلب » . واختلف في إسلامها ، فالله أعلم . ثم أرضعته حليمة السعدية بلبن ابنها « عبد الله » أخي « أنيسة » و « جذامة » . وهي « الشيماء » [2] .

اسامة : إذن محمد ﷺ له إخوة و أخوات من الرضاعة ؟!.

الوالد : نعم يا بني . أما حواضنه ﷺ فمنهن أمه « آمنة بنت وهب » ومنهن « ثويبة » و « حليمة » و « الشيماء » ابنتها وهي أخته من الرضاعة ، وكانت تحتضنه مع أمها ، وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن فبسط لها رداءه وأجلسها عليه رعاية لحقها عليه ، ومنهن الفاضلة الجليلة « أم أيمن » بركة الحبشية وكان ورثها من أبيه وكانت دايته . وَزوجَها من حبه [3] ، « زيد بن حارثة » فولدت له أسامة .

محمود : معذرة يا أبي هل يمكن أن تعرض لنا نشأة النبي محمد ﷺ منذ مولده وحتى مبعثه وصفاته . من الذي رباه وكفله وتولى أمره بعد وفاة والده ؟ ما هي الأعمال التي كان يباشرها ؟ ومتى تزوج ؟ ومن هن زوجاته ؟ وكم عدد أولاده ؟ وما هي أسماؤهم ؟ وما هي الظروف التي بعث فيها ﷺ ؟ مع ذكر الدروس المستفادة .

الوالد : نعم يا إيمان ولكن قبل أن نعرض لهذه المسائل نسأل سؤالًا فيما يتصل بالجزء الذي عرضنا له : وما هي الدروس والعبر التي نخرج بها من هذا الجزء ؟ .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج١ ، ص١٩١) .

(٢) « زاد المعاد في هدى خير العباد خاتم المرسلين محمد » ﷺ ابن قيِّم الجَوْزية (ج١) المطبعة المصرية القاهرة (ص١٩) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ ابن قيِّم الجَوْزية (ج١) المطبعة المصرية القاهرة (ص١٩) .

أحمد : الدرس العظيم : أن حملة الدعوة إلي الله ... الدعوة إلي الإسلام ، الذين يختارون لإنقاذ البشرية وحل مشاكلها وتعبيدها لربها ، وتعمير الأرض بمقتضى المنهج الرباني لا بد وأن يكونوا من خيار الناس المشهود لهم بالصدق والأمانة معروفي النسب كما قال ﷺ : « **إنما الناس كإبل مائة ... لا يوجد فيها راحلة** » (١) .

والاختيار الدقيق يقي مصارع السوء .

ومن هنا شاء الله ﷻ أن يختار هو سبحانه أصحاب الرسالات ، يقول سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أحمد وهذا درس عظيم . ويقابله درس خطير وهو أن عدم التدقيق في نسب الدعاة والزعماء الإصلاحيين قبل اتباعهم والسير وراءهم يمكن أن يؤدي إلي كوارث في حياة الأمة بل يقودها إلى حتفها . مثال ذلك : « عبد الله بن سبأ اليهودي » الذي تظاهر بالإسلام ليكيد للإسلام وأهله لقد كان يلبس مسوح الدعاة وفتن به الرعاع من أهل الكوفة والبصرة ومصر فاتبعوه ، وعلى يد هذا المجرم وأتباعه أثيرت الفتن في ديار الإسلام ، وعلى يديه وأيدي أتباعه قتل الخليفة الراشد المبشر بالجنة « عثمان بن عفان » ﷺ وعلى بن أبي طالب ﷺ وآلاف من الصحابة بل واستمرت الفتن التي أثارها السبئيون عبر التاريخ وما زالت إلى اليوم .

أسامة : جزاك الله خيرًا يا والدي .

الوالد : شكرًا لكم يا أبنائي على الإنصات والفهم والمشاركة في هذا الحوار الطيب وسنواصل عرضنا لأحداث السيرة بعد استراحة قصيرة لنجيب على الأسئلة التي طرحتها إيمان إن شاء الله .

قولوا جميعًا : سبحانك اللّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) رواه مسلم باب فضائل الصحابة .

اللقاء الثالث

المرحلة الأولى من حياة النبي محمد ﷺ
منذ مولده (٥٣ قبل الهجرة / أبريل ٥٧١ م)
وحتى البعثة (١٣ قبل الهجرة / ٦١١ م)

● **اللَّه ﷻ يرحم بني آدم ويأذن في ميلاد وبعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ نبي الرحمة البشير النذير السراج المنير وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد وصاحب المقام المحمود .**

● **المرحلة مقدارها أربعون عامًا تعتبر مرحلة الاختيار والتربية (الإعداد والتكوين الرباني للداعية محمد ﷺ) للقيام بمهمته الكبرى وهي حمل رسالة الإسلام الخاتمة وحل مشاكل الإنسانية وإقامة دين الإسلام نظامًا حياتيًا شاملًا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله للَّه والتصدي للعدوان الواقع على الإنسانية وثرواتها وديارها ونسلها وعقائدها وأعراضها وعقولها وإجهاضه حتى يأمن كل إنسان على دينه وعرضه وماله ودمه ونسله .**

● **اللَّه ﷻ يرسي بهذا التوجيه معالم بارزة في حياة بني آدم .**

الوالد : أبنائي ولد رسول اللَّه محمد ﷺ بشعْب بني هاشم بمكة المكرمة (حرم اللَّه الآمن) في صبيحة يوم الاثنين لإثنتي عشرة ليلة خَلَت من شهر ربيع الأول عام الفيل [(١)] . (٥٣ قبل الهجرة / أبريل ٥٧١ م) فحمله جده « عبد المطلب » ودخل به بيت اللَّه العتيق بمكة ودعا اللَّه وشكر له واختار له اسم محمد » وختنه يوم سابعه [(٢)] .

أسامة : أين كان أبوه (عبد اللَّه) حينما ولد ﷺ ؟ .

الوالد : يقال : إنه قد توفي ورسول اللَّه محمد ﷺ حَمْلٌ وهو الأرجح ، وإن كان هناك رأي يقول : إنه توفي بعد ميلاده بشهرين ، وكان يبلغ (أي والد النبي) من العمر خمسًا وعشرين سنة .

أسامة : إنا للَّه وإنا إليه راجعون . ألم يكن له أعمام أو عمات ؟ .

---

(١) روى ابن إسحاق خبرًا نسبه إلي حسان بن ثابت : إنِّي لغلام يَفعَة إذ سمعت يهوديًا وهو على أطمة (حصن) يثرب يصرخ : يا معشر يهود ! فلما اجتمعوا إليه قالوا : ويلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة . السيرة النبوية ؛ الذهبي (ص : ٢٦) ؛ السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص١٩٨ - ٢٠١) .

(٢) المرجع السابق (ص٢٢ - ٢٧) .

الوالد : نعم فلقد كان لجده عبد المطلب عشر بنين وهم : الحارث والزبير وأبو طالب وعبد اللَّه وحمزة وأبو لهب والغَيْدَاق وهو كثير الجود ، واسمه نوفل ويقاله له حَجْل ، والمُقوِّم وضرار والعباس .

وأمَّا عمات النبي ﷺ فست وهن : أم حكيم - وهي البيضاء - وبرّة وعَاتِكة وصَفِيَّة وأرْوَى وأُمَيْمة [1] .

أسامة : ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه ، ولا شك أن أعمام وعمَّات رسول اللَّه ﷺ كان فرحهم به عظيمًا ؟ ! .

ولكن لي سؤال : من هي جدة النبي محمد ﷺ لأبيه أي من هي أم عبد اللَّه ؟ .

الوالد : أم والد النبي محمد ﷺ (عبد اللَّه) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مر ، وكان عبد اللَّه أحب أبناء عبد المطلب إليه وهو الذبيح .

أسامة : ولهذا قال النبي محمد ﷺ : « **أنا ابن الذبيحين** » حين يعني إسماعيل وأباه عبد اللَّه

الوالد : تمامًا يا أسامة .

إيمان : ومن الذي أرضع محمدًا ﷺ بعد مولده يا والدي ؟ ومن الذي تولى الإنفاق عليه ورعاية شئونه ؟ .

الوالد : لقد هيأ اللَّه ﷻ لرضاعة النبي محمد ﷺ مرضعة طيبة القلب في بيئة تبحث عن الطفل الغني ؛ لتنعم برعايته وإرضاعه في بيئة ترفض اليتيم الفقير ولا تأبه له .

نلمح ذلك في كلمة للمرضعة « حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية » التي قدمت مكة في نسوة من بني (سعد بن بكر) يلتمسن بها الرضعاء في سنة مجدبة .

تقول حليمة - كما جاء في كتب السيرة : فقدمنا مكة فواللَّه ما علمتُ مِنَّا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول اللَّه ﷺ فتأباه إذا قيل إنه يتيم تركناه وقلن : ماذا عسى أن تصنع إلينا أُمّه إنمَّا نرجو المعروف من أبي الولد . فأمَّا أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ .

في هذه البيئة وهذه الظروف يلقي اللَّه ﷻ حب هذا النبي اليتيم في قلب (حليمة السعدية) التي كرهت أن ترجع بدون رضيع . وذلك تقدير وتوجيه من اللَّه رب العالمين . فعزمت على أخذ رسول اللَّه ورضاعته . وقالت لزوجها (الحارث بن عبد العزى) :

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص ١٧٤ ، ١٨٤) .

« واللَّه إنِّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع ، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . فقال : لا عليك أن تفعلي فعسى أن يجعل اللَّه لنا فيه بركة . فذهبت فأخذُته فواللَّه ما أخذته ، إلا أنِّي لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته فجئت به رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي ، وقام صاحبي إلى شارفنا [1] فإذا بها لحافلٌ فحلب ما شرب وشربت حتى روينا فبتنا بخير ليلة » .

فقال صاحبي حين أصبحنا : « يا حليمة واللَّه إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ، ألم تَريْ ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ » .

فلم يزل اللَّه ﷻ يزيدنا خيرًا « ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا فواللَّه لقطعْت آتاني [2] بالرَّكب حتى ما يتعلق بها حمار حتى إن صواحبي ليقلن : ويلك يا بنت أبي ذؤيب هذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ فأقول : نعم واللَّه إنها لهي » . فيقلن : « واللَّه إن لها لشأنًا » .

حتى قدمنا أرض « بني سعد » وما أعلم أرضًا من أرض اللَّه أَجدَبَ منها فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعًا لبنًا فنحلب ما شئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تَبِضُّ [3] له شاة بقطرة لبن ، وإنّ أغنامهم لتروح جياعًا حتى إنَّهم ليقولون لرعاتهم - أو لرعيانهم - : ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمي حيث تسرح . فتروح أغنامهم جياعًا ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامي شباعًا لبنًا نحلب ما شئنا . فلم يزل اللَّه يرينا البركة - نتعرفها » .

هذه هي كفالة اللَّه لليتيم محمد ﷺ يا أولادي لقد هيأ له يدًا أمينة ورزقًا حسنًا .

وهذه هي بركة كفالة اليتيم على مرضعته التي كانت قد جاءت إلى مكة ومعها صبي وشارف لها ما تبض لها بقطرة لبن ، وما كانت تنام ولا صبيها ؛ لأنها ما كانت تجد في ثديها ما يغني الصبي ولا في شارفها ما يغذيه ، وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول : « **هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم** » [4] .

صدقت يا رسول اللَّه يا معلم البشرية وأمَّتك على وجه الخصوص . إن رسول اللَّه ﷺ يوجهنا إلى أن كافل اليتيم سينعم برعاية ربانية تتمثل في النصرة والرزق الحسن تمامًا كما حدث مع حليمة السعدية .

---

(١) شاتنا (الناقة الهرمة) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص ٢٢٥ - ٢٧٢) .

(٢) (أتاني : تعني حماري) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص - ٢٢٧) .

(٣) تبض تعني : ترشح .

(٤) رواه البخاري .

ويواصل رب العالمين رعايته لصاحب الدعوة رسول اللَّه محمد ﷺ ، وفي ذلك درس لأصحاب الدعوات . فرسول يولد ولم تكتحل عيناه بمشاهدة أبيه الذي توفي وهو حَمْلَ ولم يكد يشب عن الطوق وهو ابن ست سنوات ، يذهب مع أمه لزيارة أخواله من بني عديّ بن النجار بالمدينة المنورة ، وتتم الزيارة وفي طريق العودة بين مكة والمدينة توفيت أمه (آمنة) « بالأبواء » [(١)] .

الأولاد : إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون ، خرج مع أمه التي ماتت في الطريق ورجع بدون أمِّه سبحان اللطيف الخبير .

مع من رجع رسول اللَّه ﷺ وهو طفل ؟ .

من الذي تولى أمره ؟ من الذي كان يسليه إذا بكى ؟ من الذي كان يقدم له الطعام طيلة الأيام في الهاجرة في الصحراء المترامية الأطراف بين مكة والمدينة بالليل والنهار ؟ .

الوالدة : مما لا شك فيه أنها عناية اللَّه رب العالمين التي ربطت على قلب الطفل اليتيم وشدت من أزره ، ومسحت على رأسه وحركت عاطفة مربيته أم أيمن تجاهه ، إنها بكل المعايير رحمة اللَّه رب العالمين التي وسعت كل شيء .

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال : زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال : « **استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور تذكركم الموت** » [(٢)] .

إنها حادثة ضخمة ظلت محفورة في وجدان رسول اللَّه ﷺ طيلة هذه السنوات الطويلة فلم ينس أمه .

وهناك ذرف الدموع الساخنة ثم وجه أمته إلى زيارة القبور ؛ لأنها تذكرهم بالموت تذكرهم الآخرة ، تذكرهم يوم القدوم على اللَّه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ .

الوالد : معذرة أم محمد ، لم تقف رعاية اللَّه لرسول اللَّه اليتيم عند هذا الحد يا أبنائي ؛ فقد ألقى اللَّه محبته في قلب جده (عبد المطلب) . قالوا : كان رسول اللَّه ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت أمه ضمه جده « عبد المطلب » ورق عليه رقة لم يَرِقّها على ولده ، وكان يقربه منه ويدنيه ويدخله عليه إذا خلا وإذا نام .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٢٣٥) .

(٢) المرجع السابق ، (ص٢٣٧) .

وكان يجلس على فراشه فيقول : « عبد المطلب » إذا رأى ذلك : دعوا ابني . وقال : « عبد المطلب » لأم « أيمن » - وكانت تحتضنه - : « يا بركة لا تغفلي عن ابني » وكان لا يأكل طعامًا إلا ويقول : علي بابني فيؤتى به إليه .

بلال : معذرة يا جدي ، من الذي قام على أمر رسول الله ﷺ بعد وفاة جدّه ؟ .

الوالد : فلما حضرت الوفاة « عبد المطلب » أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ .

و « أبو طالب » هو شقيق أبيه « عبد الله » وأمهما « فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم » .

يقول كُتَّاب السير : وكان أبو طالب لا مال له وكان يحبه حبًا شديدًا لا يحبه ولده وكان لا ينام إلا جنبه ويخرج فيخرج معه ، وكان يخصه بالطعام [١] .

وكان إذا أكل عيال « أبي طالب » جميعًا أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا .

فكان إذا أراد أن يُغذيهم قال : « كما أنتم حتى يأتي ولدي » فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم فكانوا يُفْضلون من طعامهم . وإن لم يكن معهم لم يشبعوا .

إنها رحمة الله وبركته يُرسلها على كافل اليتيم والمحروم .

وحينما تهيأ « أبو طالب » للرحيل للتجارة باتجاه بلاد الشام تعلق به رسول الله فرق له « أبو طالب » وقال : « والله لأخرجن به معي ولا أفارقه ولا يفارقني أبدًا » .

وفي هذه الخرجة يقول الإمام ابن قيم الجوزية : رآه « بِحَيرَى » الراهب وأمر عمه ألا يقدم به إلى الشام « بصري » خوفًا عليه من اليهود [٢] فبعث به عمُّه مع بعض غلمانه إلى المدينة وكان عمره حينذاك اثنتي عشرة سنة .

أسامة : معذرة يا والدي : من الذي زرع في قلب العم أبي طالب حب النبي محمد ﷺ ؟ .

الوالد : إنه الله رب العالمين ، وهنا يبدو أمر مهم ودرس مستفاد وهو أن :

بحيرى الراهب الذي كان عنده علم من كتب الأنبياء السابقين ، عرف أن محمدًا سيكون نبي هذه الأمة ، وأن له صفات معينة عرفه بها ، وهذا يؤكد قول الله تعالى على

---

(١) المرجع السابق (ص٢٤١ - ٢٤٢) .

(٢) السيرة النبوية الذهبي (ص٥٩) .

لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] .

وذلك يعني أن اليهود كانوا يترصدون خروجه ليقتلوه ولكن اللَّه حفظه .

وبعد مبعثه حاولوا وهو بين ظهراني المسلمين قتله ولم ينجحوا .

حاولوا في خيبر حينما دسوا له السم في الطعام .

ومرة أخرى حينما حاولوا قتله بحجر في بني النضير ... وهذا هو دور اليهود وأعوانهم مع كل داعية إلى الإسلام هذا هو موقفهم من كل داع يسعى إلى إقامة دين اللَّه في الأرض .

وهذا يستوجب حذر المسلمين وحذر الدعاة في مواجهة مؤامرات أعدائهم .

أبنائي من هذه اللمحات التي أحسسنا من خلالها برحمة اللَّه ﷻ باليتامى نتعلم منها درسًا تربويًّا مهمًّا في ضرورة الاهتمام برعاية اليتامى ، وإحسان تربيتهم أداء لواجب أوجبه اللَّه علينا . فعسى أن يخرج من بين هؤلاء من يوحدون اللَّه سبحانه وينصرون دينه ، وصدق اللَّه القائل ممتنًّا على نبيه محمد ﷺ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحى : ٦] .

وبعدها التكليف : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى : ٩] .

احمد : بعد إذنك يا أبي كم سنة أمضاها النبي محمد ﷺ في بني سعد ؟ ومتى توفيت أمه ؟ ومتى توفى جده عبد المطلب ؟ .

الوالد : أمضى محمد ﷺ من أربع إلى خمس سنوات في بني سعد ، وهناك وقعت حادثة شق الصدر ، فجاءت به حليمة إلي أمه خوفًا عليه حيث أمضى مع أمه حوالى عام ؛ إذ إنها قد توفيت وهو ابن ست سنوات ، فكفله جده لمدة عامين ؛ إذ إنه توفي ورسول اللَّه يبلغ من العمر ثماني سنوات ، وبعدها كفله عمه أبو طالب ! .

احمد : جزاك اللَّه خيرًا يا أبي ، ولكن ما هي حادثة شق الصدر التي أشرت إليها ؟ .

الوالد : روى الإمام مسلم بسند صحيح عن أنس : أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأَمَهُ ، ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى ظئره - يعني أمه - فقالوا : إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع [(١)] اللون .

---

(١) ممتقع أي متغير ، السيرة النبوية ، ابن كثير (ج ١ ص - ٢٣١) .

أحمد : وذلك يعني أن الحادثة وقعت في ديار بني سعد ؟ .

الوالد : تمامًا يا أحمد .

إيمان : هل كان رسول اللَّه محمد ﷺ يأكل من عمل يده ، أو كان يعتمد على جده وعمه ؟ وما هو العمل الذي كان يباشره عندما شب عن الطوق ؟ .

الوالد : لم يكن له ﷺ عمل معين في أول شبابه إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنمًا رعاها في بني سعد ، وفي مكة لأهلها على قراريط [١] ، وفي الخامسة والعشرين من عمره خرج تاجرًا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها .

« قال ابن إسحاق : كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجره ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه في شيء تجعله لهم وكانت قريش قومًا تجارًا .

فلما بلغها عن رسول اللَّه ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ؛ بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام يقال له : « ميسرة » ، فقبل النبي ﷺ وخرج في تجارتها حتى قدم الشام [٢] .

أسامة : إذن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت سليمة الفطرة ، لقد أدركت بفطرتها أهمية الأمانة والصدق وحسن الخلق ، في المجتمع الذي يعيش فيه ، ولعل ذلك هو الذي حببها إليه ، وحينما خطبها رسول اللَّه محمد ﷺ قبلته على الفور .

الوالد : تمامًا يا أسامة . وقد ذكرت كتب السير أنها هي التي بعثت إليه قائلة : « يا ابن عم ، إنيّ قد رغبت فيك لقرابتك وأمانتك وصدقك وحسن خلقك » ثم عرضت عليه نفسها .

فقال ذلك لأعمامه ﷺ ، فجاء معه حمزة عمه حتى دخل على « خويلد » وخطبها منه ، وأصدقها النبي ﷺ عشرين بكرة (ذهب) [٣] .

فلم يتزوج عليها حتى ماتت ، وتزوجها وعمره خمسة وعشرين . وأولاده كلهم من خديجة سوى إبراهيم ، وهم : القاسم والطيب والطاهر وماتوا صغارًا رضعًا قبل المبعث ، ورقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن .

---

(١) السيرة النبوية الذهبي (ص٥٤) والقيراط جزء من الدينار .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٢٦٢ - ٢٦٣) .

(٣) المرجع السابق (ص٢٦٣) .

وهذه توجيهات الإسلام الجديرة بالاعتبار : خديجة رضي الله عنها رغبت في رسول الله ﷺ لأمانته ودينه . وصدق الله سبحانه : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١] .

وصدق رسول الله القائل ﷺ : « **إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه** »[1] .

أسامة : جزاك الله خيرًا يا أبي إن هذه التوجيهات الإسلامية ذكرتني بصاحب مدين الذي قالت له ابنته ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] .

وكانت الخطوة الموفقة من الأب يقول الله سبحانه : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٣] .

الوالد : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، على هذا الفهم الجيد لتوجيهات الإسلام لإحصان نساء وشباب المسلمين ، ونأمل أن يدرك أولياء الأمور أهمية التحقيق العملي لهذه التوجيهات ؛ فنحمى الشباب والفتيات من الانحراف .

وهكذا أدركتم يا أبنائي أهمية الإحصان المبكر لصاحب الدعوة ولبيته ؛ فرسول الله ﷺ تزوج وهو في سن الخامسة والعشرين بينما خديجة في الأربعين من عمرها رضي الله عنها .

وبهذا يا أبنائي نكون قد عرضنا لأهم الملامح الرئيسية لمرحلة ميلاد وتربية الرسول محمد ﷺ ، لحمل رسالة الإسلام الخاتمة ، ولإقامة دين الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وقبل أن ننتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل حياة النبي محمد ﷺ أطلب منكم تلخيص ما تعلمناه مع ذكر أهم الدروس المستفادة .

محمد : لقد ولد رسول الله ﷺ عام الفيل على أرض حرم الله الآمن ، وبجوار بيته العتيق بمكة المكرمة أحب أرض الله إلى الله التي حرمها الله يوم خلق السموات والأرض .

● ولد وكان أبوه قد فارق الدنيا وما فيها ، فتلقفته يد العناية الإلهية ، تهتم بأمره منذ ولادته ، وتُعدُّه لحمل أضخم تكليف في حياة البشرية ، هذا التكليف هو حل مشاكل البشرية ، وإقامة دين الإسلام في الأرض كلها حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله .

● وفي حياة رسول الله ، الذي أعده الله لهذه المهمة نلمح مراحل بارزة واضحة : نلمح المرحلة الأولى من حياته ، التي تبدأ بمولده وتنتهي ببعثته ومقدارها أربعين عامًا .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي .

في هذه المرحلة تولى رب العزة ﷻ أمر النبي يرعاه ويعده لتحمل المسئولية الكبرى وهي دعوة البشرية كلها للدخول في دين الإسلام ، ومن هنا يمكن أن نعتبر تلك المرحلة مرحلة الانتقاء أو الاختيار لشخصيته ﷺ وتعهده بالتربية والإعداد لتحمل مسئولية التكليف . تعهد وتربية منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها إلى الدنيا ، بل إن الانتقاء بدأ قبل ذلك بكثير حينما حفظ اللَّه نسمة رسول اللَّه ﷺ صاحب الدعوة في ظهر آدم وذريته حتى تم البناء بين أبيه عبد اللَّه وأمه آمنة ﷺ .

وفي هذا توجيه إلى الاهتمام بتربية الإنسان ورعايته منذ ولادته ؛ لينشأ على حب الدعوة وليكون مهيَّأ نفسيًا وبدنيًا للقيام بواجب الدعوة إلي اللَّه وتكاليفها حينما يطلب منه ذلك .

والاهتمام لا ينصب على كل إنسان - واللَّه أعلم - وإنما لا بد من انتقاء الأطفال معروفي النسب ، وأن يكونوا من خيار الناس ، ليس مهمًّا أن يكون غنيًّا ، ولكنه قد يكون فقيرًا يتيمًا ؛ ولكن المهم أنه من خيار الناس بعيدًا عن البيئة المترفة ؛ اقتداء بالاختيار الرباني لرسول اللَّه محمد ﷺ وللَّه المثل الأعلى .

نور الدين : درس آخر نلمحه يا جدي أيضًا في اختيار اللَّه ﷻ للبيئة الصالحة التي يتربى فيها صاحب الدعوة رسول اللَّه محمد ﷺ ، اختيارًا ربانيًّا : فقد استرضع في البادية (في بني سعد) ودرج منذ سنواته الأولى من عمره على أرض الحرم الآمن بجوار بيت اللَّه العتيق، وكان لاختيار هذه البيئة أثر واضح في كونه نشأ ﷺ معافًى قويًّا شجاعًا يعتمد على نفسه ، فصيح اللسان إلى غير ذلك من الصفات التي اتصف بها ذلك النبي الكريم ﷺ .

لقد كان لاختيار هذه البيئة أثر واضح في كونه تربى بعيدًا عن صخب المدن وضجيجها الذي يعتري جنباتها ، بل إن توفيق اللَّه ﷻ يبدو واضحًا في الأعمال التي كان يمارسها رسول اللَّه ، من رعايته للغنم والخروج للتجارة مع غيره .

وفي هذا توجيه وتنبيه على ضرورة اختيار البيئة الصالحة ، التي يتربى فيها الأطفال والحرص على تربيتهم على الاعتماد على النفس منذ بداية حياتهم ، وعدم الاختلاط بالأطفال أو الشباب الفاسد وعدم الاختلاط بالمجتمع الفاسد ، أو مشاركته في أي من أنماط حياته الفاسدة، ولنا في رسول اللَّه محمد ﷺ أسوة حسنة .

أسامة : سامحوني . ولكن أين لنا بالبادية ؟ وإذا وجدناها ، فكيف نعزل أنفسنا فيها ومصالحنا وارتباطنا بالمجتمع في المدرسة والعمل ... إلى غير ذلك بالمدينة ؟ .

محمد : سؤال وجيه يا أسامة . نقول وباللَّه التوفيق : إذا وجدت البادية نموذج بني سعد ونموذج مكة المكرمة في تاريخها المبكر فنعم وبركة . وإن لم يوجد فلا بد من الحرص على صيانة الأبناء المختارين للدعوة من الاختلاط بالمفسدين في هذه المجتمعات الفاسدة ، لابد من حمايتهم من أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية التي تعمل على تدمير الدين والأخلاق والقيم ، لابد من حمايتهم من مناهج التعليم الفاسدة ، لابد من مفاصلة شعورية ؛ بمعنى أن أصحاب الدعوة الذين يعيشون في مجتمعات فاسدة لابد وان يُربوا على كره ومقت ومقاطعة الفساد الذي يجرى في هذه المجتمعات حتى يشب المرُبَّي ، وقد وقر في نفسه كره الفساد وإنكار المنكر وأهله ، وذلك لتكوين النفس المصفاة المجتباة التي ستتحمل عبء الدعوة إلى اللَّه ، وإنقاذ البشرية من أنماط حياة الحيوانات الضالة .

احمد : معذرة يا أبي لابد من تعليم الأولاد اللسان العربي الفصيح وتربيتهم على حياة البادية من رمى ؛ ووثوب على الخيل والصيد بكافة أنواعه ، وكذلك السباحة ، وفي هذا توجيه أيضًا إلى ضرورة اختيار الصحبة الصالحة ؛ لأن الجليس له أثر في جليسه كبائع المسك ونافخ الكير كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ ، والمرء على دين خليله .

ولنا في رسول اللَّه ﷺ ، أسوة حسنة ، الذي أحسن اختيار زوجه « خديجة » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واختيار حبه « زيد بن حارثة » رضي الله عنه واختيار رفيقه « علي بن أبي طالب » رضي الله عنه وصديقه « أبي بكر الصديق » رضي اللَّه عنهم أجمعين .

ياسر : معذرة يا أحمد نلمح في مرحلة ما قبل التكليف توجيهًا إلى شغل وقت فراغ المرشح للقيام بتكليف الدعوة إلى اللَّه ، بعمل مفيد يعينه على مواجهة الحياة ونفقاتها تمامًا كما فعل رسول اللَّه ﷺ الذي كان يعمل بالتجارة ، ورعي الغنم ، والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية « والعسكر العاطل يعلم الشغب » .

نلمح في مرحلة ما قبل التكليف توجيهًا إلى ضرورة الإحصان المبكر للفتى والفتاة وما يستلزمه ذلك من ضرورة اختيار الزوجة الصالحة التقية ، ولنا في اختيار رسول اللَّه ﷺ لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أسوة حسنة .

وصفات « خديجة » رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وصفات رسول اللَّه ﷺ لابد من استحضارها والتأسي بها ، وهي تلقى الضوء أيضًا على الصفات التي يحرص أصحاب الدعوات أن تكون متوفرة في العناصر المختارة والمرشحة للقيام بحمل أمانة الدعوة إلى اللَّه .

من ذلك : الكرم والشهامة والمروءة والحرص على صلة الأرحام وإغاثة الملهوف والحياء وإنكار المنكر ونصرة الحق والصدق والأمانة والتضحية بالنفس والمال في سبيل نصرة الحق وأهله والرحمة باليتامى والفقراء وأصحاب الحاجات . وإن لم يكن بعضها موجودًا في الشخص الجاري إعداده للقيام بالدعوة ؛ فيجب أن تنمَّى فيه في مرحلة الإعداد والتربية .

فرسول اللَّه ﷺ - مثلًا - كان يُنَبِّل على أعمامه في حرب الفِجَار كما شارك في حلف الفضول الذى قام على رد الفضول على أهلها وألا يُنْصر ظالم على مظلوم ، وفيه يقول ﷺ : « **ولقد شهدت في دار عبد اللَّه بن جُدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز (يغلب) ظالمٌ مظلومًا** »[1] .

أسامة : هناك توجيه آخر وهو عدم اعتساف الطريق ، فمرحلة ما قبل التكليف عمرها أربعون عامًا ، وللَّه المثل الأعلى ، ولكن أثناءها تم إعداد داعية حمل أمانة رسالة الإسلام الخاتمة ، فَرْدٌ رجح بأمة غيرت مجرى التاريخ وهدى اللَّه به البشرية التائهة .

ولا يعني ذلك ضرورة توفر أربعين عامًا لانتقاء وتربية وإعداد الأفراد الذين سيقومون بمهمة الدعوة إلى اللَّه ؛ ولكن ذلك يعنى أن الزمن جزء من العلاج ، وأنه لا بد من الانتقاء والتربية البطيئة المكينة التي يكتمل من خلالها تكوين الشخصية التي ستحمل مسئولية التكليف .

إن اللَّه قادر على أن يقول لرسوله محمد ﷺ كن رسولًا فيكون ، ولكنه اختاره ورباه على عينه منذ بداية حياته ؛ ليعلمنا نحن ويعلم أصحاب الدعوات أهمية الصبر والتؤدة وعدم الاندفاع وعدم العجلة في التربية والإعداد .

وحينما وُجِدَ الشخص القادر على تحمل تبعات الدعوة بعد أربعين عامًا من الانتقاء والتربية وَفَّقهُ اللَّه لإقامة الدين الإسلامي والدولة الإسلامية القوية التي تخضع حياتها لمنهاج اللَّه وشريعته ، والتي انطلقت في تحرير البشرية خارج الجزيرة العربية من العبودية لغير اللَّه بعد عشرين عامًا فقط ، وهذا يؤكد لنا أهمية الانتقاء والتربية للعناصر التي ستتحمل تكليف الدعوة إلى اللَّه .

الأولاد : جزاكم اللَّه خيرًا .

الوالد : **ومن التوجيهات أيضًا** : أن الفقر واليتم ليس سببًا من أسباب الضياع

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٢٥٨) .

والانحراف ؛ فالرب الرحمن الرحيم قد تعهد محمدًا ﷺ اليتيم الفقير وهيأ له من يتولى أمره . ولذلك نلمح في هذه المرحلة توجيهًا لمن يمارسون الدعوة ، نحو الاهتمام بأمر اليتامى ورعايتهم اجتماعيًا وماديًا ونفسيًا ، وعدم قهرهم وإذلالهم وإهانتهم ، مع إعانة المحتاجين والإحسان إليهم والتلطف بهم والأخذ بيد الضالين لإخراجهم من الظلمات إلى النور ؛ فلئن يهدي اللّه بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم .

وهذا السلوك يوجهنا إليه رب العالمين - وللّه المثل الأعلى - من خلال رعايته لرسول اللّه محمد ﷺ منذ ولادته وحتى مماته ؛ فاللّه ﷻ هو الذي رعى رسول اللّه طفلًا يتيمًا ، وهداه إلى طريقه ، وأغناه من فقره - وللّه المثل الأعلى - يقول اللّه تعالى : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾ [الضحى] .

لقد جاءت توجيهات رسول اللّه ﷺ تجاوبًا طيبًا مع فضل اللّه عليه الذي رعاه يتيمًا ، واستسلامًا لأمر اللّه الذي وصاه باليتيم ، فانطلق لسانه بالحكمة يوصي باليتيم ويحبب في رعايته فيقول ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا** » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما [١] .

كما أنَّه حذر ﷺ من تضييع حقوق اليتامى وحذر من ذلك فقال ﷺ : « **اللّهم إنّي أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة** » [٢] .

إيمان : سامحوني ولكن البشرية الآن وبخاصة الذين ينتسبون إلي الإسلام قد تخلوا عن الطريق السوي ونسوا توجيهات ربهم ووصية نبيهم . لقد أهدروا حقوق اليتامى - وما أكثرهم - آلاف من اليتامى المسلمين في « أفغانستان » وفي « فلسطين » وفي الفلبين والصومال وأرتريا وسورية ولبنان وفي البوسنة والهرسك وكوسوفا وطاجكستان وأذربيجان والعراق والشيشان وفي غيرها من ديار الإسلام .

أهدروا حقوق اليتامى والمساكين وحق الدعوة إلي اللّه وتركوهم للمنصِّرين والشيوعية الحمراء يربونهم على الكفر والإلحاد ، تركوهم لتجار الرقيق كي يعبثوا بأعراض المسلمين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه .

يحدث ذلك كله في وجود الذين ينتسبون إلي الإسلام . ويملكون أموالًا ضخمة وظفوها في البنوك الربوية ، التي يملكها الكفار ومع ذلك يرفعون شعارات الإسلام ، ماذا سيقولون لله ﷻ حينما يذكرهم بتقصيرهم حيال إخوانهم وأبنائهم واليتامى والأرامل والمساكين ؟ .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا بالله .

احمد : **أيضًا من الدروس المستفادة** : حسن خلق الرسول الله ﷺ صاحب الدعوة وحرصه على ستر عورته . لقد شب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته ، حتى بلغ . وحين بلغ كان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقًا ، وأكرمهم نسبًا ، وأحسنهم جوارًا ، وأعظمهم حلمًا ، وأصدقهم حديثًا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، تنزهًا وتكرمًا .

ومن الأدلة على حفظ الله لرسوله في صغره من أمر الجاهلية : ما ورد في الصحيحين والذي يتبين منه فزع رسول الله من أن يكون قد انكشفت عورته ، وحرصه على أن يكون مستورًا ، ورحمة الله التي تمثلت في جنديين يشدان عليه إزاره ويسترانه .

هذا نموذج نسوقه للذين ينتسبون إلى الإسلام ولا يعرفون حد عورة الرجل فَضْلًا عن حد عورة المرأة .. نسوقه إلى هؤلاء الذين تجردوا من ثيابهم ، فخرجوا عرايا أو شبه عرايا في الشوارع ، وعلى شواطئ البحار ألا يستحون ؟ ألا يتوبون ؟ ! .

محمود : أيضًا .. الغيرة على حرمات الله ومقدسات الإسلام ، وكره الظلم والدفاع عن المظلومين ، سمت للرسول ﷺ ، وهو في سن الرابعة أو الخامسة عشرة من عمره وهو لم يُنبأ بعد ، وهذا تنبيه لأصحاب الدعوات بأن المرشحين للعمل الإسلامي للحاق بركب الدعوة ، لابد وأن يكون فيهم هذا الحد الأدنى من الصفات . وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قد شارك في حرب الفجَار دفاعًا عن حرم الله الآمن وبيته العتيق ، وحرصًا على حرمة الأشهر الحرم . فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز (يغلب) ظالمٌ مظلومًا** » .

مساهمة إيجابية فعالة من رسول الله في كل ما من شأنه أن يعيد حقًّا أو يقيم عدلًا ، وهكذا يجب أن يكون صاحب الدعوة .

أسامة : أستميحك يا والدي عذرًا ..

لقد أعطيت عنوانًا لهذه اللقاءات : « هدي (منهج) النبي محمد ﷺ ودوره في حل مشاكل البشرية » ولم تذكر شيئًا منها حتى الآن ، فهل لنا أن نتعرف في نهاية هذا اللقاء على بعض مشاكل البشرية التي كان على رسول الله ﷺ مواجهتها وتقديم الحلول لها ؛ حتى نستطيع أن نتعرف من خلالها على كيفية الحل لمشاكلنا المعاصرة والمستقبلية .

الوالد : حسنًا يا بني ، إن الإنسان قد يواجه مشاكل نفسية وعقلية وقلبية وبدنية .

فالإنسان مفطور على الهداية كما يقول رب العالمين : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] .

ويقول محمد ﷺ : « **ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة : فأبواه يُهَوِّدَانِه ، أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ** » [١] .

ولهذا يظل الإنسان قلقًا ، نفسيته وجدانه غير مستقرة ، حتى يجد من يرشده إلى إلهه ومعبوده ، فيعود إليه ويتألهه ويركن إليه ويعبده فينتهي القلق ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٢] .

مثال آخر : الإنسان مخلوق فيه غريزة الجنس ، ومفطور على ميل الذكر للأنثى والأنثى للذكر ، ويحتاج إلي تفريغ هذه الطاقة تفريغًا طبيعيًا ومشروعًا في ظل الزواج ؛ لبناء الأسرة المسلمة ، التي تنتج الفرد المسلم العنصر الضروري لترقية الحياة الإنسانية وتعمير الأرض بمقتضى المنهج الرباني ، وبالتالي فإن الإنسان يحتاج إلي من يهيئ له السبيل إلي هذا الزواج المشروع لإحصان نفسه وغيره .

يحتاج إلى من يهيئ له سبيل العمل الشريف ، الذي يقتات من ورائه ويعول أسرته .

بل ويريد أن يطمئن في حالة خروجه مجاهدًا في سبيل الله ، أو في حالة وفاته أوعجزه أن هناك من يرعى أولاده وزوجه .

بل يريد أيضًا أن يطمئن إلى أن ولده ستتاح له التربية والتعليم الإسلامي .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

يريد أن يطمئن على أن المجتمع الذي يعيش فيه لا يستحل الأعراض والدماء والأموال ؛ ليأمن على عقيدته وعرضه وماله وأبنائه في حالة غيابه .

محمد : شيء آخر يا والدي - لو أذنت لي - أيضًا من المشاكل التي تواجه الإنسان : نظام المعاملات فمثلًا : نحن نعيش الآن في مجتمعات تتعامل في أغلب أحوالها بالربا وتستحله وتحارب المعاملات الإسلامية - مجتمعات - إلا ما رحم ربي - تستحل أموال الخمور وأموال الميسر ؛ أي أنها لا تتحرى الحلال ، وقد ترتب على ذلك أمراض كثيرة تصيب البشرية ، مثل التضخم والكساد وغير ذلك .

احمد : أيضًا يا والدي هناك الأمراض التي لم تكن في الأمم السابقة والتي تفشت نتيجة شيوع الفاحشة والإعلان بها ، بل وتقنينها في بعض الدول مثل : الإيدز والفشل الكلوي والوباء الكبدي وحمى الوادي المتصدع ... أمراض تصيب الإنسان والحيوان بل وتصيب النباتات .

اسامة : أيضًا التضييق في الأرزاق ، وقلة المحاصيل ، وتسلط الظلمة على بني الإنسان يسلبون ثرواتهم ويحتلون بلادهم ، ويحولون بينهم وبين علوم التقنية وبين إنتاج رغيف خبزهم وإبقائهم على حالة من التخلف والجهل ، بل إنهم يعملون على إشاعة الفتن والمؤامرات في البلاد ، ويصدون عن سبيل اللَّه يبغونها عوجًا .

محمود : أيضًا من المشاكل التي يواجهها بنو الإنسان : الحرمان من الحقوق الأساسية . الحقوق السياسية والمدنية وخاصة في ظل الأنظمة الاستبدادية ؛ بحيث إن الإنسان لا يستطيع أن يقضي حاجة له إلا إذا كان مطيعًا وعبدًا لهذه الأنظمة .

احمد : وأيضًا حرمان الإنسان من إبداء رأيه والقيام بواجب الدعوة إلي اللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومد يد العون لإخوانه المبتلين في سبيل اللَّه .

حرمان الفرد من العمل لإقامة الفرائض لتحرير المقدسات - وبيت المقدس في القلب منها - بل قد يصل الأمر بمحاولة رد الإنسان عن دينه وإجباره على اعتناق العقائد الفاسدة ودفعه دفعًا لأن يكون مطية لعدوه لتحقيق أهدافه !! .

الوالد : أعتقد أن هذا يكفي لإلقاء الضوء على بعض المشاكل التي كان على الرسول محمد ﷺ مواجهتها ، والآن حان الوقت لكي نتعرف على سيرة هذا الرسول الكريم .

محمود : سامحني يا أبي أتصور أن هناك بعدًا آخر من وراء دراستنا لسيرة النبي محمد ﷺ

وهو التعرف على سنته ، واقتفاء أثره والدفاع عن السنة والرد على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام حولها .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ! نحن ذكرنا فقط بعض الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها من وراء دراستنا لسيرة النبي محمد ﷺ وللحديث بقية ، ونعرض أثناءها كيفية معالجة النبي محمد ﷺ لهذه المشاكل وغيرها على أن نضع في الاعتبار أن حل المشاكل يحتاج إلي الفرد المسلم المناط به حل المشاكل ويحتاج إلى المنهج والشريعة ، ولهذا كان تركيزنا في اللقاءات السابقة على إلقاء الضوء على حياة رسول اللَّه محمد ﷺ وكيف أن اللَّه قد اختاره وأعده للقيام بمهمته وهي حل مشاكل الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور ورده إلى الإسلام وتربيته على التوحيد والقيام بالفرائض ؛ ولذلك فإن لقاءاتنا القادمة ستلقى الضوء - إن شاء اللَّه - على المرحلة التالية من حياة النبي محمد ﷺ والصحابة الذين عاونوه على أداء مهمته ، وهي مرحلة التكليف والبعثة ، ومرحلة الدعوة والانتقاء والتربية والتكوين للفرد المسلم ؛ لبناء المجتمع المسلم تمهيدًا لحل مشاكل الإنسان .. وباللَّه التوفيق وللحديث بقية إن شاء اللَّه ..

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● ما هي المسائل التي ينبغي على العبد معرفتها ؟ .

● ما هي المهمة التي من أجلها بعث رسول اللَّه محمد ﷺ ؟ .

● ما هي العهود التي أخذها رب العالمين على رسوله محمد ﷺ ؟ وهل نحن مأخوذ علينا نفس العهود ؟ وإذا كان كذلك فهل نحن مقصّرون في القيام بها ؟ .

● متى ؟ وأين ولد وبعث رسول اللَّه محمد ﷺ ؟ .

● هل يمكن أن نتعرف على جوانب من حياة المجتمعات الإنسانية العقدية والسياسية والاجتماعية قبيل ميلاده وبعثة محمد ﷺ ؟ .

● من هما الذبيحان ؟ .

● من هو رسول اللَّه محمد ﷺ (نسبه) الذي اختاره اللَّه لإنقاذ البشرية ؟ من هن مرضعاته ؟ ومن هن أخواته من الرضاعة ؟ .

● ما هي أهمية النسب بالنسبة لأصحاب الدعوات ؟ .

● من الذي تولى أمر النبي محمد ورعايته رغم وفاة والده وأمه وجده ؟ .

● لقد حرص رسول اللَّه محمد ﷺ ألا يكون عاطلًا منذ شب عن الطوق ، ما هي الأعمال التي كان يقوم بها ؟ وهل يمكنك أن تقوم بنفس الأعمال ؟ وهل ترى في ذلك أهمية في التربية الإسلامية ؟ .

● لماذا رغبت السيدة خديجة في الزواج من رسول اللَّه محمد ﷺ ؟ وكم كان عمر النبي محمد ﷺ حينما تزوج منها ؟ وهل في هذا درس مستفاد عن أهمية الإحصان المبكر لبنات المسلمين وأبنائهم ؟ .

● ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في الزوج المسلم والزوجة المسلمة في ضوء زواج النبي محمد ﷺ من السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟ .

● تعتبر الأربعون سنة الأولى من حياة النبي محمد ﷺ مرحلة الاختيار والتربية والتكوين لإعداد الداعية المسلم كيف كان ذلك ؟ .



اللقاء الرابع

بدء الوحي والبعثة

جبريل عليه السلام ينزل برسالة الإسلام الخاتمة على رسول السلام محمد ﷺ

(العام الثالث عشر قبل الهجرة النبوية / ٦١٠ ميلادية)

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على خاتم الرسل وبعد . أيها الأبناء . شاءت إرادة اللَّه ﷻ أنْ يختار محمدًا ﷺ لحمل رسالة الإسلام الخاتمة إلى بَنـي آدم ، فكانت التعبئة النفسية . قالت عائشة رضي الله عنها : إن أول ما بديء به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء . فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالى ذوات العدد قبل أن يِنْزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك ، ثم يرجع إلى زوجه خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها (١) .

أسامة : كيف كان يتعبد والوحي لم ينزل عليه بعد ؟ .

الوالد : يا بنيَّ إنها الفطرة السليمة التي لم تُلَوثها أَوضَار الجاهلية ، ألا تذكر حديث رسول اللَّه محمد ﷺ : « **ما من مولُودِ إلا يولَد على الِفطرَة . فأبَوَاهُ يُهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانِهِ** » (٢) أليس محمد ﷺ من سلالة الرَّسولين المسلمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

أسامة : جزاكم اللَّه خيرًا يا أبي .

الوالد : وجزاكم يا أسامة .

دَبَّر اللَّه لمحمد ﷺ هذه العزلة في غار حراء . وهو يُعدُّه لحمل الأمانة الكبرى طيلة شهر رمضان وعلى مدار ثلاث سنوات قبل التكليف ، يتفكر في خَلْقِ السماوات والأرض وما وراء هذا الكون من قدرَة مُبدِعَة ..

يتدبر فيما وراء هذا الوجود من غيب مكنون .. إنها الفطرة المتمردة على عقائد المجتمع العربي الفاسد ..

بلال : سامحني يا جدي .. أريد أن أعرف شيئًا عن غار حراء ؟ شكله وموقعه .

أحمد : أنت كثير الأسئلة يا بلال . دع والدي يكمل وأَجِّلْ استفساراتك حتى نهاية اللقاء !!

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير ، (ج١ ، ص٣٨٥) .   (٢) رواه البخاري ومسلم .

بلال : سامحني يا عمي . الرسول ﷺ علمنا دواء العي السؤال ، وأنا أريد أن أتعلم!! .

الوالد : حسنًا دعه يا أحمد . غار حراء عبارة عن حجرة صغيرة منحوتة في الصخر ، أعلى جبل يعرف بجبل النور ، في مكة المكرمة ، طوله : أربعة أذرع ، وعرضه : ذراع وثلاثة أرباع ذراع من ذراع الحديد .

بلال : جزاك الله خيرًا يا جدي العزيز .

الوالد : وجزاك يا بلال .

وشاءت إرادة الله . أن ينزل الوحي (جبريل عليه السلام) على محمد ﷺ وهو في غار حراء وقال له : « اقرأ » فقال : « **ما أنا بقارئ** » قال : « **فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني** [1] **الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني : فقال : إقرأ فقلت : ما أنا بقارئ .. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني . فقال** ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١- ٥] .

قال : « **فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني فكأنما كُتب في قلبي كتابًا** » قال : « **وخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل** » قال : « **فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٌ قَدَمَيْه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسولُ الله . وأنا جبريل** » قال : « **فوقفت أنظر إليه . فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء** » . قال : « **فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك . فما زلت واقفًا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك . ثم انصرف عنِّي** » [2] .

بلال : معنى ذلك أن الرسول محمد ﷺ لم يكن يعرف القراءة !! .

الوالد : نعم ألم تسمع لقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] .

---

(١) أي ضمني إليه وعصرني .

(٢) سيرة النبي محمد ﷺ تأليف أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس مكتبة الجمهورية القاهرة (ج١ ، ص٢٤٠ - ٢٤١) .

بلال : سبحان اللّه العظيم ! رسول أُمِّي يُبْعَث في أمة أمية ؛ ليخرجها والبشرية كلها من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ؟ !! .

لقد كانت مفاجأة ضخمة للنبي محمد ﷺ أليس كذلك يا جدي ؟ .

الوالد : نعم يا بني ولهذا رجع محمد ﷺ بها يرجف فؤاده ويقول : « زمِّلوني زمِّلوني » .

فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة : « **لقد خشيت على نفسي** » ، لأنه شاهد أمرًا لم يعهده من قبل .

ولهذا قالت خديجة : « أبشر ، كلا واللّه لا يخزيك [1] اللّه أبدًا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتُعين على نوائب الحق » .

بلال : سامحني يا جدي لقد قلت بعض الكلمات التي لم أفهم معناها : تحمل الكلّ .. إلى غير ذلك مما ورد في حديثك .

اسامة : سامحني يا أبي ، ما هذا يا بلال ، كل مرة تقاطع جدك على هذا النحو المفاجئ دَوِّنْ ملاحظاتك واستفسر عنها في نهاية اللقاء .

بلال : أنا أريد أن أفهم يا عماه أم أجلس بينكم دون أن أفهم ؟ !

الوالد : دعه يا أسامة ، دون يا بلال المعاني :

يحمل الكل أي عن غيره ؛ أى يعطى العاجز صاحب العَيْلة ما يريحه من ثقل مَؤُنة عياله . وتُكْسِبُ المعدوم : أي تعطى المال لمن هو عادمه (الفقير) . وتقرى الضيف : أي تكرمه في تقديم قراه وإحسان مأواه (ضيافته) ، نوائب الحق أي المصائب .

بلال : جزاك اللّه خيرًا يا جدي ، وماذا حدث بعد ذلك ؟ .

الوالد : ثم قامت خديجة رضي الله عنها فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت مع محمد ﷺ إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي ، وهو ابن عمِّها . وكان قد تنصَّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل . فأخبرته بما أخبرها به رسول اللّه ﷺ أنه رأى وسمع . فقال ورقة بن نوفل : « قدوس قدوس ، والذى نفس ورقة بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس [2] الأكبر الذي جاء موسى . ولتُكَذَّبَنَّه ولتُؤذَيَنَّه

(١) قيل : من الخزي وقيل : من الحزن .

(٢) أي جبريل عليه السلام (الوحي) .

ولتخرجنّه ولتقاتلنّه » . فقال رسول اللّه : « **أو مخرجيَّ هم ؟** » قال : « نعم ما جاء رجل قط ، بمثل ما جئت به ، إلا عودي ، ولئن يدركني يومك ، لأنصرنك نصرًا مؤزّرًا » ثم انصرف رسول اللّه ﷺ إلى منزله .

أحمد : ائذن لي يا أبي . كم كان سن رسول اللّه محمد ﷺ عند نزول الوحي عليه ومتى حدث هذا ؟ .

الوالد : نزل الوحي على النبي محمد ﷺ يوم الاثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلًا ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ م . وكان عمره حينذاك أربعين سنة قمرية وستة أشهر و ١٢ يومًا وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و٢٢ يومًا [١] .

أي أن التنزيل بدأ في شهر رمضان . يقول اللّه ﷻ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان : ٣] .

ثم فتر الوحي ، حتى حزن رسول اللّه ﷺ ، يقول رسول اللّه ﷺ : « **فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصري قبل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء ، فجثيت منه فرقًا حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي ، فقلت : زمّلوني . زمّلوني ، فأنزل اللّه** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ » [المدثر : ١- ٥] .

ثم حمى الوحي بعد هذا وتتابع . وامتثل النبي ﷺ لأمر اللّه ، وشمّر عن ساق العزم ، ودعا إلى اللّه القريب والبعيد ، والأحرار والعبيد ، فآمن به حينئذٍ كل لبيب نجيب سعيد ، واستمر على مخالفته وعصيانه كلُّ جبار عنيد [٢] .

أحمد : إن الوحي هو الذي حمل تكليف الرسالة الإسلامية الخاتمة إلى رسول اللّه ﷺ ، وسؤالي الآن يا أبت عن كيفية إتيان الوحي إلى رسول اللّه ﷺ .

الوالد : لقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ قال : يا رسول اللّه ، كيف كان يأتيك الوحي ؟ فقال : « **أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه عليَّ ؛ فيفصم عنّي وقد وعيت ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا**

---

(١) الرحيق المختوم ط دار الحديث ص٦٣ ؛ السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج١ ، ص٣٨٥) ؛ سيرة النبي محمد ﷺ ، تحقيق محمد خليل هراس ، (ص٢٤٣) .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٤١٤) .

يكلمني فأعي ما يقول » (١) .

أحمد : كيف كان حال النبي ﷺ حينما يتنزل عليه الوحي .

الوالد : كان يأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاء ، حتى إنه كان يتَحدَّر منه مثل الجُمَان من العَرَق ، وهو في يوم شاتٍ من ثِقَل الوحي الذي ينزل عليه (كما ذكرت عائشة ﵂) ، وأحيانًا أخرى كان يُسْمع عند وجه النبي ﷺ كدويِّ النحل كما ذكر عمر بن الخطاب ﵁ ، وأحيانًا إذا نزل الوحي ، كَربَ ذلك رسول اللَّه ﷺ ، وتربَّد وجهه وأغمض عينيه (٢) ، كما ذكر عبادة بن الصامت ﵁ .

المهم يا أبنائي أن تعلموا أن نزول الوحي ما كان يتحمله إلا نفسًا أعدها اللَّه على عينيه سبحانه لهذه المهمة ، والدليل أنه لما نزل الوحي بسورة المائدة على رسول اللَّه ﷺ وكان راكبًا على راحلته لم تستطع أن تحمله فنزل عنها (٣) .

الأبناء : جزاك اللَّه عنا خيرًا يا رسول اللَّه ، كم تحملت من أجل إنقاذ البشرية من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد .. اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

الوالد : نواصل حديثنا عن خط سير الدعوة في مكة المكرمة بعد نزول التكليف على رسولنا محمد ﷺ .

لقد أدرك رسولنا محمد ﷺ ، أن حل مشاكل البشرية ، وتحقيق الأمن والطمأنينة لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أقيم دين الإسلام ، في حياة البشرية نظامًا حياتيًا شاملًا ، وأدرك أيضًا ، أن ذلك الأمر العظيم ، يحتاج إلى إنسان العقيدة الفرد المسلم لبنة المجتمع المسلم ؛ ولهذا فقد انطلق رسول اللَّه ﷺ يدعو الناس الى هذا الدين الإسلامي ، ويعرفهم بربهم وبرسولهم ويقرأ عليهم القرآن ، ويعلمهم الحكمة ويزكي أخلاقهم ، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ، امتثالًا لأمر اللَّه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

ولقد اقترنت الدعوة بحسن اختيار الأفراد اللازمين لإقامة هذا الدين ، وتربيتهم تربية إسلامية لتحمل المسؤولية .

---

(١) أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك .
(٢) السير النبوية (ج١ ، ص٤٢١) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٢٤) .

بلال : من كان أول الناس إسلامًا يا جدي ؟ .

الوالد : كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالله ورسوله ، وصدقت بما جاءه من عند الله .

وآزرته على أمره ؛ فخفَّف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئًا يكرهه من رد عليه وتكذيب له ، فَيُحزِنَه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تُثبّته ، وتُخَفِفُ عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها وأرضاها .

إيمان : ولهذا فإن الله قد بشرها بالجنة يا أبي ، فقد ذكر رسول الله ﷺ : « **أمرت أن أبَشِّر خديجة ببيت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب** » . (١)

الوالد : نعم يا إيمان - ذكرك الله الخير - من هو راوى الحديث يا محمود ؟ .

محمود : هذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث هشام : ومعنى القصب هنا : اللؤلؤ المجوف .

الوالد : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، جعلكم الله من العاملين لنصرة سنة النبي ﷺ .

وكان أول ذَكَر آمن برسول الله وصدقه : علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين . وكان في حجر النبي ﷺ قبل البعثة ، وكان علي يكتم إيمانه ، خوفًا من أبيه ، حتى لقيه أبوه : قال : « **أسلمت ؟** » قال : « **نعم** » قال : « **وازر ابن عمك وانصره ؟** » (٢) .

وأول من أسلم من الموالى : زيد بن حارثة (٣) وأول من أسلم من الرجال الأحرار عبد الله بن عامر (أبو بكر الصديق) رضي الله عنه . وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم ، إذ كان صدرًا معظمًا ورئيسًا في قريش مكرمًا وصاحب مال وداعية إلى الإسلام وكان محببًا متألفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله .

محمد : هل لنا أن نتعرف على قصة إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

الوالد : نعم لقد لقي أبو بكر الصديق رسول الله محمد ﷺ فقال : « أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا » ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : « **بلى ، إني رسول الله ونبيه ، بعثني لأبلغ رسالته (الإسلام)**

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ص٤٢٦) سيرة النبي محمد ﷺ ابن هشام تحقيق محمد خليل هراس ، (ج١ ، ص٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٤٢٨) .

(٣) المرجع السابق .

وأدعوك الى اللَّه الحق ، فواللَّه إنَّه للحق ، أدعوك يا أبا بكر إلى اللَّه وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته » .

فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق ، وقد أكد ذلك رسول اللَّه ﷺ بقوله : « **إن اللَّه بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق ، وواساني بنفسه وماله** » [١] .

بلال : أريد يا جدي أن أتعرف على **قصة إسلام علي بن أبي طالب** ﷺ[٢] لأنه أول من أسلم من الصبيان كما تفضلت وذكرت ؟ .

اسامة : أنت كثير الأسئلة يا بلال ؟ .

بلال : نعم يا عمي ألم يعلمنا رسول اللَّه ﷺ دواء العيّ السؤال ؟ .

الوالد : دعه يا أسامة ، نعم يا بلال . ذُكر أن عليًا ﷺ شاهد رسول اللَّه ﷺ وزوجه خديجة وهما يصليان فقال علي : « يا محمد ما هذا ؟ » قال : « **دين اللَّه الذي اصطفى لنفسه وبَعَثَ بِهِ رُسَلَه ، فأدعوك إلى اللَّه وحده لا شريك له ، وإلى عبادته ، وأن تكفر باللات والعزَّى** » . فقال علي : « هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرًا حتى أحدث به أبا طالب » .

فكره رسول اللَّه ﷺ أن يفشى عليه سِّره قبل أن يستعلن أمره .

فقال له : « **يا علي إذ لم تسلم فاكتم** » فمكث علي تلك الليلة ، ثم أن اللَّه أوقع في قلب علي الإسلام فأصبح غاديًا الى رسول اللَّه ﷺ حتى جاءه فقال : « ماذا عرضت عليّ يا محمد ؟ » فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **تشهد أن لا إله اللَّه وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد** » .

ففعل عليٌ وأسلم وكتم إسلامه ولم يظهره ، وأسلم أيضًا زيد بن حارثة كما قلنا يا بلال .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدّي الحبيب ورزقك الجنة بغير حساب ولا سابقة عذاب .

الوالد : جميعًا يا بني . واصل النبي محمد ﷺ دعوة الناس إلى الإسلام دعوة عامة جنبًا إلى جنب الدعوة الخاصة (الفردية) وذلك على رأس السنة الرابعة من البعثة بعد أن نزل قول اللَّه تعالى وتوجيهه سبحانه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ

---

(١) المرجع السابق (ص٤٣٣) .

(٢) السيرة النبوية (ج١ ، ص٤٢٨) .

جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢٢٠] .

فكان ذلك بمثابة أمر من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ بإبلاغ الرسالة إلى الخاص والعام ، وأمر له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال الرسول الأعظم إليهم [(١)] .

محمود : هل معنى ذلك أن الرسول محمد ﷺ ظلت دعوته غير معروفة للعامة طيلة ثلاث سنوات .

الوالد : نعم يا بني ، وقد ذكر ابن كثير رحمه الله نقلًا عن ابن إسحاق : « ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنوات من البعثة ، أن يصدع بما أُمِر ، وأن يَصْبر على أذى المشركين ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلُّوا ، ذَهَبُوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم [(٢)] .

بلال : متى فرضت الصلاة عليهم يا جدي ؟ .

الوالد : الصلوات الخمس (الفرائض) فرضت ليلة الإسراء والمعراج السنة العاشرة من البعثة تقريبًا (أى الثالثة قبل الهجرة) .

أما أصل الصلاة : فقد وجب في حياة خديجة رضي الله عنها ، ثم إن جبريل عليه السلام أتى رسول الله محمد ﷺ حين افترضت الصلاة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت له عين من ماء زمزم [(٣)] ، فتوضأ جبريل ومحمد عليهما السلام ، ثم صلى ركعتين وسجد أربع سجدات ، وبهذا أقر الله عين نبيه ﷺ ، وطابت نفسه وجاءه ما يحب من الله .

بلال : جزاك الله خيرًا يا جدي ، ذلك يعني أن النبي ﷺ هو وإخوانه مع بداية الدعوة كانوا يصلون الصلاة مثنى مثنى ، وأن الرباعية فرضت ليلة الإسراء والمعراج ؟ .

الجد : تمامًا يا بلال .

محمود : سامحني يا أبي ، لقد علمتنا أن الإنسان بمجرد أن ينطق بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كان يعمل بمقتضياتهما ، فما هي المقتضيات ؟ .

الوالد : كل إنسان كان ينطق بالشهادتين ويدخل في الإسلام كان يؤمن بأنه

---

(١) السيرة النبوية (ج١ ، ص٤٥٥) وما بعدها . (٢) السيرة النبوية (ج١ ، ص ٤٥٤) وما بعدها .
(٣) سيرة النبي محمد ﷺ ابن هشام تحقيق محمد خليل هراس (ص٢٤٨ - ٢٤٩) .

مطالب بإقامة دين الإسلام ، نظامًا حياتيًا شاملًا ، وأنَّه مطالب بنصرة محمد ودين محمد ﷺ وأن يحيا على الإسلام ، وأن يدعو إلى الإسلام ، وأن يموت على الإسلام ، ذلك بمجرد أن يسلم .

مثال ذلك : أبو بكر الصديق ﷺ بمجرد النطق بالشهادتين كان ذلك بمثابة الكفر بالطاغوت ، وبكل ما يُعبد من دون اللَّه ، والإيمان باللَّه رب العالمين ، وإفراده وحده بالعبادة الخالصة ، كان ذلك بمثابة الكفر بقيادة المجتمع الجاهلي ، والإيمان بقيادة المجتمع الإسلامي ممثلة في محمد ﷺ وصحبه ، وكان ذلك بمثابة الرضا بالإسلام ، دينًا يتلقى منه مناهج الحياة كلها ؛ لأن فيه الحل لمشاكل الإنسان الروحية والمادية .

كان النطق بالشهادتين يعنى الولاء للجماعة المسلمة بقيادة النبي محمد ﷺ أى الحب والنصرة لقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥- ٥٦] .

لقد كان أبو بكر إسلامًا يتحرك على الأرض [١] فحينما أدرك أن الدعوة إلى اللَّه واجبة انطلق يدعو ، فأسلم على يديه : الزبير بن العوام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة ابن عبيد اللَّه ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ﷺ .

فانطلقوا إلى رسول اللَّه ﷺ ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن و أخبرهم بحق الإسلام ، فآمنوا بما جاء من عند اللَّه ، وصدَّقوا رسول اللَّه ﷺ وصلوا [٢] . بل إن أبا بكر الصديق رغم قلة عدد المسلمين - وكانوا ثمانية وثلاثين - ألح على النبي في الظهور والإعلان بالدعوة بين ظهراني القوم ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **يا أبا بكر إنَّا قليل** » ، فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول اللَّه ﷺ ولهذه المناسبة قصة سنذكرها في حينها .

بلال : لماذا لا تذكرها الآن يا جدي . . أنا مشتاق لمعرفتها ؟ .

أسامة : ما هذا يا بلال دائمًا تقاطع جدك وتُصدِّع دماغنا بأسئلتك ؟ .

بلال : سامحك اللَّه يا عمي أسامة ، أنا أريد أن أتعلم ؟ .

الوالد : لا بأس يا بلال ولكنني حريص أن أذكر هذا الخبر عند الحديث عن سيرة أبي بكر الصديق ﷺ وعدم تكرار الخبر مرة أخرى فيصاب الإنسان بالملل .

(١) السيرة النبوية (ج١ ، ص٤٣٢ - ٤٣٦) . (٢) المرجع السابق (ص٤٣٧) .

بلال : شكر اللَّه لك يا جدي .

الوالد : نواصل حديثنا . ومن الصحابة الذين أسلموا : حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وعمرو بن عَبَسة السُّلَمي رضي الله عنه ، وعبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبو ذر الغفاري ، وضِمَاد (رجل من أزْد شنوءة) [1] ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سَلمة ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وعبيدة ابن الحارث ، وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، وأسماء بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة ، وقُدامة بن مظعون ، وعبد اللَّه بن مظعون ، وخبَّاب ابن الأرتَّ ، وعمير بن أبي وقاص ، ومسعود بن القاري ، وسليط بن عمرو ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلمة بن مُخرِّبة التميمية ، وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد اللَّه بن جحش ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس ، وحاطب بن الحارث ، وامرأته فاطمة بنت المجلل ، وحطَّاب بن الحارث ، وامرأته فكيهة ابنة يَسَار ، ومَعْمَر بن الحارث بن مَعْمَر الجُمَحِي ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطَّلب بن أزهر بن عبد مناف ، وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم ، والنَّحَّام واسمه نعيم بن عبد اللَّه بن أسيد ، وعامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر ، وأُمَيْنَة ابنة خلف بن أسعد الخزاعية ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وواقد بن عبد اللَّه بن عَرِين بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي ، وخالد بن البُكَير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وإياس بن البكير بن عبد يا ليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث ، وعمَّار بن ياسر ، وصهيب بن سنان ، ثم دخل الناس في الإسلام أرسالًا من الرجال والنساء حتى فشا أمر الإسلام بمكة وتُحُدِّث به [2] .

بلال : هل ستعطينا يا جدي فكرة عن قصة إسلام هؤلاء الصحابة ؟ .

الجد : الوقت لا يسمح ، ولكن حسبنا أن نختار بعض النماذج على أن ترجعوا أنتم إلى المراجع لمعرفة قصص إسلامهم [3] وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

---

(١) المرجع السابق . (٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٥٣ - ٤٥٤) .

(٣) كتب للفتيان والفتيات صور من حياة الصحابة د/ عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار النفائس ؛ بناة دولة الإسلام ؛ محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ؛ أعلام الحفاظ والمحدثين عبر أربعة عشر قرنًا ، عبد الستار الشيخ دار النفائس ؛ الإصابة ، في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، دار الكتاب العربي ؛ سير أعلام النبلاء ، للذهبي مؤسسة الرسالة .

اختبر معلوماتك

● متى بعث رسول اللَّه ﷺ محمد برسالة الإسلام الخاتمة ؟ وكم كان عمره وأين ؟ .

● ما أهمية الرؤيا الصادقة ؟ .

● لماذا كان يخلو رسول اللَّه محمد ﷺ بغار حراء ؟ ومتى بدأ ذلك وفي أى الأشهر ؟ .

● ما هي معلوماتك عن غار حراء ؟ أين يقع ؟ صِفْهُ ، هل زرته ؟ كم من الوقت يستغرق الصعود إليه ؟ .

● أين نزل جبريل عليه السلام على رسول اللَّه محمد ﷺ ، وإلى أي شيء دعاه ؟ ماذا قال رسول اللَّه ﷺ ؟ هل كان رسول اللَّه محمد ﷺ يعرف القراءة والكتابة ؟ وما الموقف الذي اتخذه من دعوة جبريل عليه السلام بالقراءة ؟ .

● ما هي السورة التي نزل بها جبريل عليه السلام على محمد ﷺ ؟ ما مدلولها والتوجيهات التي تتضمنها ؟ هل شاهد رسول اللَّه ﷺ جبريل عليه السلام ؟ .

● ما الأثر النفسى الذي تركه نزول الوحي على رسول اللَّه محمد ﷺ ، وما الموقف الذي اتخذته السيدة خديجة رضي الله عنها (زوج النبي) ، حينما رجع رسول اللَّه ﷺ من غار حراء وهو يقول : زمِّلوني زمِّلوني ؟ .

● قص رسول اللَّه ﷺ على ورقة بن نوفل الخبر ، ما التعليق الذي قاله ورقة بن نوفل على ما حدث لرسول اللَّه ﷺ ؟ .

● ما هي المهمة التي كُلِّف بها رسول اللَّه محمد ﷺ من خلال حديث ورقة لرسول اللَّه ﷺ ؟ .

● هل المهمة سهلة ؟ هل عرف رسول اللَّه محمد ﷺ خطورة القيام بأمر الدعوة إلى الإسلام وما يترتب عليه ؟ وكيف يواجهه ؟ من دعا رسول اللَّه ﷺ ؟ وإلى أي شيء كان يدعو الناس ؟ .

●فتر الوحي حتى حزن رسول اللَّه ﷺ ، وبعدها شاهد رسول اللَّه ﷺ جبريل عليه السلام ، ماذا فعل رسول اللَّه ﷺ ؟ وما الصورة التي كان الوحي يتبدى فيها لرسول اللَّه ﷺ ؟ وهل كان الأمر سهلًا ؟ .

● ما السورة التي نزلت على رسول اللَّه ﷺ ؟ وما هي التكاليف التي وجهت السورة رسول اللَّه ﷺ إلى القيام بها ؟ .

● من كان أول الناس إسلامًا ؟ اذكر قصة إسلام علي بن أبي طالب ، وكم كان عمره ؟ وموقف أبيه أبي طالب ؟ .

● لقد كانت خديجة المسلمة تحب اللّه ورسوله ويحبها اللّه ﷻ ، ما البشارة التي حملها جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه ﷺ بالنسبة لخديجة رضي الله عنها ؟ .

● اذكر قصة إسلام أبي بكر رضي الله عنه ، وما الدروس المستفادة منها ؟ وما هي مقتضيات الشهادتين ؟ وكيف قام أبو بكر رضي الله عنه بهذه المقتضيات ؟ هل اكتفى أبو بكر بإعلان إسلامه أم قام بواجبات أخرى ؟ .

● كانت السنوات الثلاث الأولى من عمر الدعوة الإسلامية ، سنوات الدعوة الفردية (الخاصة) ، والانتقاء والتربية والتكوين ، كم كانت حصيلتها من الرجال والنساء والشباب ؟ .

● ما أهمية الدعوة الفردية ؟ ومتى يباشرها الإنسان ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● نزلت آيات على رسول اللّه ﷺ توجهه إلى بدء الدعوة العامة جنبًا إلى جنب بجوار الدعوة الفردية مع الصبر والاحتمال والإعراض عن الجاهلين ، اذكر الآيات والدروس المستفادة .

● هل كان رسول اللّه محمد ﷺ يصلي في بداية الدعوة ، مع أن فرض الصلاة تم ليلة الإسراء والمعراج ؟ ماذا كان يعني ذلك ؟ .

● اذكر أسماء عشرة من الصحابة أسلموا للّه رب العالمين على يد النبي ﷺ ؟ .

● هل تتمنى أن تقوم بنفس الوظيفة التي كان يقوم بها رسول اللّه محمد ﷺ ؟ وما الحكم الشرعي في هذه الوظيفة ؟ وهل الأمة بعلمائها وقادتها تقع تحت طائلة هذا التكليف ؟ .

اللقاء الخامس

صحابة استجابوا لدعوة النبي ﷺ وأسلموا لله رب العالمين

الوالد : أبنائي : يقول رب العالمين آمرًا النبي محمد ﷺ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وبين رب العالمين ﷻ أن الفلاح كل الفلاح في اتباع النبي الأمي ﷺ ، يقول رب العالمين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

وانطلق رسول اللّٰه ﷺ يدعو الى اللّٰه ، ويشرح للناس أمر الإسلام ، فأسلم من أراد اللّٰه له الهداية ، ومن هؤلاء الذين أسلموا : عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ : [١] .

قال عبد اللّٰه بن مسعود ﷺ : « كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْط بمكة ، فأتى عَليَّ رسولُ اللّٰه ﷺ وأبو بكر ﷺ وقد فرَّا من المشركين ، فقالا : عندك يا غلام لبن تسقينا ؟ قلت . إنِّي مُؤْتَمَن ولست بساقيكما ، فقالا : « **هل عندك من جذعة لم ينْزُ عليها الفحل بعد ؟** » قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول اللّٰه ﷺ الضرع ، ودعا فَحَفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة متقعرة فحلب فيها ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقياني ، ثم قال للضرع : اقلص ، فقلص .

فلما كان بعدُ ، أتيت رسول اللّٰه محمد ﷺ فقلت : « علمني من هذا القول الطيب » – يعني القرآن – فقال : « **إنَّك غُلامٌ مُعَلَّم** » فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد » .

لقد عاين راعي الغنم (عبد اللّٰه بن مسعود) آية من آيات اللّٰه وهي نزول اللبن من ضرع جذعة لم ينز عليها الفحل .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير : (ج١ ، ص ٤٤٤) .

ثم يؤمر بأن يرجع إلى حالته الأولى ، فيرجع كما كان ، فأسلم على الفور لما عاينه من هذه الآية الخارقة .

بلال : إن هذا دليل يا جدي على أن الفطرة السليمة تتجاوب مع الحق إذا أحسن الداعية عرضه .

الجد : تمامًا يا بلال .

ونعرض الآن لقصة إسلام صحابي جليل هو عم النبي محمد ﷺ : **حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه [1] .

روي أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ ، عند الصفا ، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فضربه به ضربة ، شجَّه منها شجَّة منكرة ، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه .

وقالوا : « ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت » ، قال حمزة : « ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله ﷺ وأن الذي يقول حق ؟ والله لا أنزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين » .

وعاد حمزة إلى بيته ، وحينما أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فقال : « يا ابن أخي إنِّي قد وقعت في أمر ، ولا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو ، أرشد أم هو غي - شديد ، فحدثني حديثًا ، فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني » .

فأقبل رسول الله ﷺ ، فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك الصادق شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك ، والله ما أحب أنَّ لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول .

فكان حمزة ممن أعز الله به الدين .

بلال : حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي قتله وحشي يوم أُحد ؟ .

الجد : نعم يا بلال .

أسامة : صدق الله القائل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] لقد أراد الله بحمزة أن يسلم لله رب العالمين ، ويجاهد بنفسه وماله حتى

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٤٤٥ - ٤٤٦) .

غَنَّمه اللَّه الشهادة ، واستحق أن يسميه رسول اللَّه ﷺ سيد الشهداء ، وآمل يا أبت أن تعرض لقصة استشهاده ؛ ليتعلم الشباب كيف يطلب الشهادة في مظانها .

الوالد : نعم يا أسامة سنعرض لها في موضعها ، إن شاء اللَّه ، عند ذكر معركة أحد .

وإليكم الآن قصة إسلام أبي ذر الغفاري [١] رضي الله عنه :

روي عن ابن عباس قال : « لما بلغ أبا ذر مبعث رسول اللَّه ﷺ ، قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي ، فاعلم لي علم هذا ، الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، فاسمع من قوله ثم ائتني » .

فانطلق الأخ حتى قدم وسمع من كلامه ، ثم رجع إلى أبي ذر ، فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وكلامًا ما هو بالشعر .

فقال : ما شفيتني مما أردت .

فتزوَّد أبو ذر ، وحمل شنَّة له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول اللَّه ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعضُ الليل (اضطجع) .

فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى أصبح ، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به علي ، فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهمَا صاحبه عن شيء .

حتى إذا كان اليوم الثالث ، فعاد عليٌّ على مثل ذلك ، فأقام معه ، فقال : ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدَنَّني ، فعلت . ففعل ، فأخبره ، قال : فإنه حق وإنه رسول اللَّه ﷺ .

قال : فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك ، قمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت ، فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل ، فانطلق يقفوه ، حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله .

وأسلم (أبو ذر) مكانه ، فقال له النبي ﷺ : « **ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري** » .

فقال : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٤٧ - ٤٥١) .

فخرج حتى أتى المسجد (الحرام) فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا رسول اللّٰه ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه .

فأتى العباس فأكبَّ عليه ، فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم .

ثم عاد من الغد بمثلها ، فضربوه وثاروا عليه ، فأكب العباس عليه .

الوالدة : لو أذنت لي يا أبا محمد في كلمة : الحمد للّٰه والصلاة والسلام على رسول اللّٰه ﷺ وبعد ، أبو ذر لم يكن من سكان مكة ، وحينما سمع بخبر النبي محمد ﷺ قطع الفيافي والقفار للقاء الرسول الكريم بمكة ، إنه يبحث عن الحق ، عن الدين الصحيح ولو كلفه الكثير من المشقة والتضحية .

وحينما عرف أنه الحق أسلم للّٰه رب العالمين .

هذه واحدة ، وصدق اللّٰه القائل : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

الثانية : وَعْي أبي ذر وهو يتحرك للقاء الرسول محمد ﷺ ، لقد انتظر دون سؤال حتى قيَّض اللّٰه له من يرشده للقاء النبي ﷺ ، وكان علي رضي الله عنه كذلك ، قمة في الحرص والحذر الشديد وهو يصطحب أبا ذر للقاء النبي محمد ﷺ .

الثالثة : الشجاعة والحرص على رفع صوته بشهادة التوحيد « أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمدًا رسول اللّٰه » في أكبر معقل يحارب اللّٰه ورسوله ، مع علمه بأنه يمكن أن يتعرض للابتلاء ويحتمل أن يُسْتَشْهَد ، ولكنه آثر أن يعلن كلمة التوحيد بين ظهراني المشركين لعلها تقام بها الحجة عليهم يوم القيامة ، وقد يكون أيضًا ليختبر نفسه ، هل يثبت في مواجهة تكاليف الإسلام للّٰه رب العالمين ؟ .

سمية : وأخيرًا تكلمت جَدتي وفاء ، فجاء كلامها كالبلسم الشافي . جزاك اللّٰه خيرًا يا جدتي ولا حرمنا اللّٰه من تعليقاتك الجيدة .

الوالدة : وجزاك يا سمية .

الحقيقة أن قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه مبسوطة في كتب السنة ، وهناك روايات عديدة عن قصة إسلام أبي ذر تعتبر معينًا لا ينضب من التوجيهات لأصحاب الدعوات .

أسامة : هل في الإمكان أن أعرض لبعض منها ، إن أذنت يا أبي وأستاذي وأذنت يا أمي ومعلمتي ؟ .

الوالد : نعم .

أسامة : حينما ذهب أبو ذر لمقابلة الرسول محمد ﷺ ، مكث فترة بين أستار الكعبة ثلاثين يومًا ، ما له طعام أو شراب إلا ماء زمزم ، وفي يوم شاهد النبي ﷺ ومعه أبو بكر يطوفان بالبيت العتيق ، وبعد الطواف حيَّاه أبو ذر بتحية الإسلام ، فقال ﷺ : « عليك السلام ورحمة اللّه ، من أنت ؟ » قال : قلت : « من غفار » ، قال : « فأهوى بيده فوضعها على جبهته » ، قال : فقلت في نفسي : « كره أن انتميت إلى غفار » .

واستضافه أبو بكر ليلة وأطعمه من زبيب الطائف ، وأسلم للّه رب العالمين ، فقال له رسول اللّه ﷺ : « **إنِّي قد وجهت إلى أرض ذات نخيل ولا أحسبها إلا يثرب ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل اللّه ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟** » .

قال أبو ذر : فانطلقت حتى أتيت أنيسًا ، قال : فقال لي : « ما صنعت ؟ » قال : قلت : « صنعت أنِّي أسلمتُ وصدقت » .

قال (أنيس) : فما بي رَغْبة عن دينك فإنِّي قد أسلمت وصدقت ، ثم أتينا أُمَّنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينِكما ، فإنيّ قد أسلمتُ وصدقتُ .

فتحملنا حتى أتينا قومنا غفارًا ، قال : فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول اللّه ﷺ المدينة ، وكان يَؤُمُّهم خُفَاف بن أيْمَاء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ .

وقال بقيتهم : إذا قدم رسول اللّه ﷺ أسلمنا ، قال : فقدم رسول اللّه ﷺ فأسلم بقيتهم ، قال : وجاءت أسْلَم فقالوا : « يا رسول اللّه إخواننا ، نُسْلِم على الذي أَسْلَمُوا عليه » ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **غفار غفر اللّه لها ، وأسلم سَالَمَها اللّه** » [1] .

الشاهد هنا أن أبا ذر وأخاه وأمه كانوا غير مقتنعين بالضلال الذي كان عليه القوم ، وأن الفطرة المذخورة في النفس الإنسانية كانت تشدهم الى البحث عن الحق ، عن الإسلام ، بمجرد أن عاينوا الحق أسلموا للّه رب العالمين .

أبو ذر أدرك أن مقتضيات الإسلام : أن يدعو الى اللّه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ فدعا أخاه وأمه وقومه فأسلموا للّه رب العالمين ؛ لأن الدين يحتاج إلى رجال كي يقوم وينظم حياة الناس .

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٩) وأحمد في مسنده (١١٧/٢) .

أدرك أبو ذر أن مقتضيات الإسلام أن ينزع ولاءه من قبيلة غفار ، وإن يصبح ولاؤه لله ولرسوله وللمؤمنين بمعنى الحب والنصر ، ففعل .

أي أن مقتضيات الإسلام والإيمان : الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، وهكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ .

بلال : جزاك الله خيرًا يا عمي المؤرخ المساعد أسامة .

الوالد : يعني استوعبت كلامه يا بلال ؟ .

بلال : نعم يا جدي العزيز .

الوالد : **ومن الذين أسلموا وكان إسلامهم فتحًا أيضًا** : الأرقم بن أبي الأرقم : وهو من بني مخزوم ، وبنو مخزوم أعداء لبني هاشم ، ولهذا السبب لم يكن من المتصور أن يستجيب لدعوة محمد ﷺ .

حينما أسلم الأرقم ، خرج أبوه الأرقم وهو أعمى كافر يقول : اللَّهم اغفر لبنيَّ عبيد الأرقم ؛ فإنه كفر .

سبحان اللَّه ! كافر يقسم باللَّه وهو كاذب أنَّ ابنه الذي أسلم للَّه رب العالمين - قد كفر .

واختار رسول اللَّه ﷺ دار الأرقم الشاب الذي لم يتجاوز عمره سبعة عشر عامًا ؛ ليكون مقرًّا يلتقي فيه الرسول ﷺ بأصحابه بعيدًا عن أعين أعدائه ؛ لأنه كان بعيدًا عن تفكير قريش ، أن يكون منزل أحد أفراد قبائل بني مخزوم - أعداء بني هاشم - مقرًّا لرسول اللَّه ﷺ وصحبه .

وفي هذا البيت كان يجتمع رسول اللَّه ﷺ بأصحابه ، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وفي هذا البيت كان يقوم المسلمون الليل ، على مدار سنة كاملة حتى تفطَّرت أقدامهم ، وفي هذا البيت كان ينزل الوحي بتوجيهات رب العالمين .

محمود : عجيب أن الأرقم يتهم ولده بالكفر وهو الذي أسلم للَّه رب العالمين !

الوالد : لا غرابة في ذلك ، فهذه طبقة المجرمين في كل مكان وزمان .

والآن إليكم قصة إسلام : **خالد بن سعيد بن العاص** رضي الله عنه :

يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ [الزمر : ٣٧] .

قد كان بدء إسلام خالد أنه رأى في المنام أنه وُقف به على شفير النار ، ورأى في

المنام أنه كأن آتيًا آتاه يدفعه فيها ، ورأى رسول الله ﷺ آخذًا بحقويه (وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع) لا يقع ، ففزع من نومه فقال : « أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق » .

فلقي أبا بكر بن أبي قحافة ، فذكر ذلك له ، فقال : « أريد بك خيرًا ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه ، فإنك ستتبعه ، وتدخل معه في الإسلام ، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها وأبوك واقع فيها » .

فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد ، فقال : « يا رسول الله ، يا محمد إلام تدعو ؟ » .

قال : « **أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ، ولا يبصر ولا ينفع ، ولا يدري مَن عبده ممن لا يعبده** » .

قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله [١] .

أحمد : معذرة يا والدي ، معنى هذا أن الرؤيا الصادقة جزء على ست وأربعين جزءًا من النبوة ، وقد أراد الله بهذا العبد - خالد بن سعيد - خيرًا ، فأراه ما رأى ، فلم يكابر ، فقص الخبر على صديق صدوق هو أبو بكر ﷺ ، الذي نصحه بأن يتوجه لمقابلة النبي ﷺ ، ويقص عليه الرؤيا . ففعل وبمجرد أن دعاه إلى الإسلام أسلم لله رب العالمين ، وصدق الله القائل : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٨] .

الوالد : **وإليكم قصة إسلام : عمر بن الخطاب [٢] ﷺ الذي لم يكن يطمع أحد في إسلامه .**

سمية : متى أسلم عمر بن الخطاب يا جدي ؟ .

الوالد : في السنة السادسة من البعثة .

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : « إن إسلام عمر بن الخطاب كان فتحًا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا لا نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه » .

لقد أسلم عمر بن الخطاب ﷺ وما كان يتصور أحد إسلامه .

روي عن أم عبد الله بنت أبي حثْمَة قالت : « والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر (زوجها) في بعض حاجتنا ؛ إذ أقبل عمر فوقف وهو على شِرْكِه » فقالت :

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٤٤) . (٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج٢ ، ص٣٢ - ٤٠) .

« وكنا نلقى منه أذًى لنا وشدَّة علينا » .

قالت : فقال : « إنه للانطلاق يا أم عبد اللَّه » .

قالت : « نعم ، واللَّه لنخرجن في أرض من أرض اللَّه إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل اللَّه لنا مخرجًا » .

قالت : « فقال : « صحبكم اللَّه » . ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا » .

قالت : « وجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد اللَّه ، لو رأيت عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا » .

قال : « أطمعت في إسلامه ؟ » .

قالت : « قلت : نعم » .

قال : « لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب » .

قالت : « يأسًا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام » . أَكْملي يا أمّ محمد .

الوالدة : وملخص قصة إسلام عمر ﷺ كما أوردها أيضًا ابن كثير عن ابن إسحاق : وكان عمر فيما بلغني ، أن اخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر . وكان نُعَيْم بن عبد اللَّه النَّحام ، رجل من بني عَدِي ، قد أسلم أيضًا مستخفيًا بإسلامه من قومه . وكان خبَّاب بن الأرَتِّ يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه يريد رسول اللَّه ﷺ ، ورهطًا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع رسول اللَّه ﷺ عمه حمزة ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلي بن أبي طالب ﷺ ، في رجال من المسلمين ، ممن كان أقام مع رسول اللَّه ﷺ بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نعيم بن عبد اللَّه ، فقال : « أين تريد يا عمر ؟ » .

قال : « أريد محمدًا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله » .

فقال له نعيم : « واللَّه لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك

تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا ؟ أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ » .

قال : « وأي أهل بيتي ؟ » .

قال : « ختنك وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه فعليك بهما » .

فرجع عمر عائدًا إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأرت ، معه صحيفة فيها ﴿ طه ﴾ [طه : ١] ، يقرئها إياها . فلما سمعوا حسَّ عمر ، تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها .

فلما دخل قال : « ما هذه الهينمة التي سمعت ؟ » : قالا له : « ما سمعت شيئًا » .

قال : « بلى والله ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه » ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب ؛ لتكفه عن زوجها فضربها فشجَّها . فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختنه : « نعم لقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك » .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، وارعوى ، وقال لأخته : « أعطيني هذه الصحيفة التي كنتم تقرؤون آنفًا ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد » - وكان عمر كاتبًا - .

فلما قال ذلك ، قالت له أخته : « إنا نخشاك عليها » .

قال : « لا تخافي » . وحلف بآلهته ليردنها إذا قرأها ، إليها .

فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت : « يا أخي إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون » .

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها ﴿ طه ﴾ فلما قرأ منها صدرًا قال : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! » . فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : « والله يا عمر إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ ، فإني سمعته أمس وهو يقول : « **اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب** » . فالله الله يا عمر .

فقال عند ذلك : « **فدلني يا خباب على محمد ؛ حتى آتيه فأسلم** » .

فقال له خباب : « **هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه** » .

وهناك التقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه برسول الله محمد ﷺ ؛ حيث أعلن إسلامه لله

رب العالمين .

الأولاد : الله أكبر ؛ صدق الله القائل : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

الوالد : نعم يا أبنائي ، وهنا كثير من الدروس المستفادة ، فما هي ؟ .

أسامة : حينما يريد الله بعبد الهداية ، يهيئ له الأسباب التي تؤدي به إلى الإسلام ، كما حدث لعمر بن الخطاب .

الثانية : أن الداعية إلى الله لا ييأس من المدعوين ، إذا أعرضوا عن دعوته ، بل يواصل الجهد ويستعين بالله في مهمته ، مثل ما فعل النبي ﷺ حينما دعا : « **اللهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب** » . واستجاب الله دعوته ، وهنا يتضح معنى « **خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا** » .

محمود : أهمية البيت المسلم وأهمية التربية في هذا المحضن : فها هو رسول الله محمد ﷺ يختار خَبَّاب بن الأرتّ ليربي الأسرة المسلمة : فاطمة بنت الخطاب ، وزوجها وابن عمها سعيد ابن زيد رضي الله عنه بعيدًا عن أعين المجرمين ، يعلمهم كيف يقرؤون كتاب الله ويفهمون معانه ويتعرفون على ربهم ونبيهم ودينهم ، يعلمهم كيف يتطهرون ويصلون ويقومون بالفرائض ، يعلمهم أهمية العمل لنصرة محمد ودين محمد ﷺ .

أسامة : طريق أصحاب الدعوات ليست مفروشة بالورود ، وإنما هي مليئة بالابتلاءات فهذه فاطمة بنت الخطاب تُضرب ويسيل الدم من وجهها ، وزوجها يبطش به عمر بن الخطاب ، وذلك لحكمة ربانية : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢، ٣] .

ولتوجيه النبي ﷺ ، فيما معناه : أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل ، يبتلى المرء على قدر دينه ، فإذا كان في دينه صلابة زِيد له في بلائه حتى يمشي على الأرض ، وما عليه من خطيئة .

وصبرت فاطمة وصبر زيد وأعلناها مدوية : « نعم لقد أسلمنا وآمنَّا بالله ورسوله محمد ﷺ فاصنع ما بدا لك » .

وهذا يعلمنا معنى الرضا بالقضاء ، والصبر ، والثبات ، والدعاء ، والتوكل على الله ، والثقة في نصرة دين الله ، ويعلمنا أيضًا أهمية التربية بالقدوة والحدث ، لقد استثمرت

فاطمة الواقعة في الدعوة إلى الله .

وأهمية جعل البيوت قبلة ومسجدًا للتربية في حالة التضييق على الدعوة وأصحابها .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة ، نريد مشاركة الآخرين في استخلاص الدروس المستفادة .

إيمان : من الدروس أيضًا : أن طلب العلم فريضة في حق المرأة والرجل على حد سواء : فها هي فاطمة بنت الخطاب تتلقى تعاليم دينها مع زوجها على يد خباب بن الأرت ﷺ في بيت ، الزوجية ، بعيدًا عن المجرمين المطاردين لدعوة الله ؛ أي إن التربية لا تتوقف تحت أي ظرف من الظروف .

سمية : سؤال يا جدي لو سمحت : كيف يسمح الصحابي نُعيم بن عبد الله النحَّام ، أن يدل عمر بن الخطاب على أخ له وأخت في الإسلام يستخفيان بإسلامهما ؟ .

الوالد : سبحان الله ! انظروا سمية بأي شيء منشغلة ؟ بهذه القضية !! الإجابة يا سمية في تصوري أن عمر بن الخطاب ، كان يريد قتل النبي محمد ﷺ ، فَوَجَّهه نعيم إلى بيت أخته وابن عمه ؛ ليدفع البلاء عن النبي ﷺ ، وفي تصور نعيم أيضًا أن عمر لن يفكر بأي حال في قتل ابن عمه ؛ أو زوجته فاطمة ، وقد صح ما ذهب إليه نعيم النحام .

سمية : جزاك الله خيرًا يا جدي .

الوالد : وجزاك يا سمية ، وأنا سعيد جدًّا بسُؤالك وفهمك .

أيها الأبناء ، لنسترح قليلًا ، ونتناول بعض المشروبات ، ثم نواصل دراستنا للسيرة ، ونعرض لقصة إسلام عمرو بن عَبَسة السُّلمي ﷺ [1] .

وعمرو بن عَبَسَة السُّلَمِي ﷺ ، قال : « آمنت برسول الله ﷺ في أول ما بعث ، وهو بمكة ، وهو حينئذ مستخف ، فقلت : ما أنت ؟ قال : « **أنا نبي** » . فقلت : « وما النبي ؟ » ، قال : « **رسول الله** » ، قلت : الله أرسلك ؟ قال : « **نعم** » . قلت : « بم أرسلك ؟ » قال : « **بأن تعبد الله وحده لا شريك له ، وتكسر الأصنام ، وتصل الأرحام** » . قال : قلت : « نِعْمَ ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ » قال : « **حر وعبد** » ، قال : فكان عمرو يقول : « لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام » ، قال : « فأسلمت » ، قلت : « فأتبعك يا رسول الله ؟ » قال : « **لا ، ولكن الحق بقومك ، فإذا أخبرت بأني قد خرجت فاتبعني** » .

أيها الأبناء ، هذه الحادثة كانت أثناء فترة الدعوة الخاصة ، كما يقول النص : « وهو

---

(١) السيرة ، ابن كثير (ج١ ، ص٤٤٢ ، ٤٤٣) .

حينئذٍ مستخفٍ » .

وهنا نتساءل : من الذي دعاه لمقابلة رسول اللَّه ﷺ ؟ لا ندري . ليس لهذا إلا تفسير واحد ، وهو أن عمرو بن عَبَسة قد أُختير لمقابلة رسول اللَّه ﷺ وحينما قابل رسول اللَّه ﷺ ، وعرفه برب العالمين وبالإسلام وبرسول الإسلام وعرّفه بواجبه : « **أن تعبد اللَّه وحده لا شريك له ، وأن تكفر بالطاغوت ، وتصل رحمك** » . تجاوبت فطرة العربي تجاوبًا سريعًا ، مع دين الفطرة : « نعم ما أرسلك به اللَّه رب العالمين » .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي : هنا يبدو شيء على قدر كبير من الأهمية ..

سؤال المدعو للداعية محمد ﷺ : فمن تبعك على هذا ؟ وإجابة الداعية محمد ﷺ على سؤال المدعو : « **حر وعبد** » .

لم يقل فلان وفلان ؛ لأن ضروريات المرحلة مرحلة الدعوة الفردية الخاصة - تحتم عدم إعلان أسماء المسلمين الذين سلكوا طريق أصحاب الدعوات .

وتبدو هذه الأهمية - أهمية المرحلة ، وأهمية التكتم - في كلمة عمرو ، حينما أسلم : « لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام » فهذه هي دائرة معلوماته ، لا يعرف إلا ثلاثة قد أسلموا منهم رسول اللَّه ﷺ .

أي إنه لم يكن مسموحًا له بغير هذه المعلومة ، عن الصف المسلم . لم يسمح له كما يفعل الجهلة الذين يجهلون مقتضيات المرحلة ، في بناء الدعوة الإسلامية ، بالانفتاح الكامل على الصف ، يعرف ثلاثة أشخاص فقط منهم القائد محمد ﷺ هذه هي دائرة معلوماته عن صف كان ينتظم فيه الكثير من المسلمين قبله .

ويبدو أن هذا هو الخط العام الذي كانت تسير فيه الدعوة .

يؤكد ذلك الإمام الحافظ ابن كثير بقوله : « فإن المؤمنين كانوا إذ ذاك يستترون بإسلامهم لا يطلع على أمرهم كَثِيرُ أحد من قراباتهم ، دَعِ الأجانب ، دع أهل البادية من الأعراب [١] .

ويؤكد ذلك ما ورد في صحيح البخاري بسنده عن سعد بن أبي وقاص : « ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام » .

وقد عُلم أن الصديق وعليًا وخديجة وزيد بن حارثة ، أسلموا قبله ، كما قد حكى الإجماع ، على تقدم إسلام هؤلاء ، غيرُ واحدٍ ، منهم : ابن الأثير .

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (جـ١ ، صـ٤٤٣) .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي ؛ لقد أفدتنا كثيرًا بهذه المعلومات .

الجد : وجزاك يا بلال وفقكم اللَّه للعمل بما علمتم .

ونختم لقاءنا بقصة إسلام : زيد بن سعية :

روى أبو نعيم في الدلائل ، بسنده عن عبد اللَّه بن سلام ، أن اللَّه لما أراد هدى زيد بن سَعْية ، قال زيد : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ ، حين نظرت إليه إلا اثنتين منه : يسبق حلمه جَهْله ، ولا يزيده شدَّةُ الجهل عليه إلا حِلْمًا .

قال : فكنت أتلطف له . لأَنْ أخالطه ؛ فأعرف حلمه وجهله ، فذكر قصة إسلافه للنبي ﷺ مالًا في ثمرة . قال : فلما حل الأجل أتيته ، فأخذت بمجامع قميصه وردائه ، وهو في جنازة ، مع أصحابه ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، وقلت : « يا محمد ، ألا تقضيني حقي ؟ فواللَّه ما علمتكم ، بني عبد المطلب ، لَمُطْل » .

قال : فنظر إليَّ عمر ، وعيناه تدوران في وجهه ، كالفلك المستدير ، ثم قال : « يا عدو اللَّه أتقول لرسول اللَّه ﷺ ما أسمع وتفعل ما أرى ؟ فوالذي بعثه بالحق ، لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك » . ورسول اللَّه ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ، ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا منك يا عمر ؛ أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التِّبَاعة ، اذهب به يا عمر فاقضه حقَّه وزد عشرين صاعًا من تمر** » .

فأسلم زيدُ بن سَعْية رضي الله عنه وشهد بقية المشاهد ، مع رسول اللَّه وتوفي عام تبوك رحمه الله .

أبنائي وبناتي ، وفي ختام هذا اللقاء أسأل اللَّه عز وجل أن يجعلنا ممن يحيي سيرة النبي محمد ﷺ وأن يوفقنا لاتباعه ، وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

نستودعكم الله الذي لا تضيع أمانته ،
سبحانك اللَّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● قام رسول اللَّه محمد ﷺ بواجب الدعوة إلى اللَّه ، وأسلم على يديه جمع من الصحابة رضوان اللَّه عليهم ، ومن هؤلاء : عبد اللَّه بن مسعود ، اذكر قصة إسلامه والدروس المستفادة .

● من الباحثين عن الحق أبو ذر الغفاري ، اذكر قصة إسلامه وأخيه وأمه وقبيلته .

● متى قابل أبو ذر رسول اللَّه ﷺ ؟ وهل سأل عنه بمجرد وصوله إلى مكة ؟ وأين كان يقيم ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● الابتلاءات هي سمة تُمَيِّز طريق أصحاب الدعوات . ما الحكمة ؟ .

● كان أبو ذر الغفاري ﷺ ، يعلم أن الذين يسلمون لا بد وأن يمتحنوا ، وكان يمكن أن يستخفي بإسلامه ، حتى يُظْهر اللَّه الدين ، ولكنه أصر على الإعلان ، ماذا حدث له ؟ وما الموقف الذي اتخذه ؟ ومن الذي خلصه من يد مشركي مكة ؟ .

● ما السبب الذي أثار حفيظة حمزة بن عبد المطلب ﷺ على أبي جهل ؟ ما الخطوة التي اتخذها حمزة (ضد أبي جهل وكانت سببًا في إسلام حمزة) ؟ ما الدرس المستفاد ؟ .

● « **سيد الشهداء حمزة ....** » أكمل الحديث وقدم الدروس المستفادة من قصة استشهاد حمزة ﷺ .

● أسلم الأرقم بن أبي الأرقم ، وهو ابن السابعة عشرة ما أهمية إسلامه بالنسبة للمسلمين ؟ وما هو موقف والده ؟ .

● رأى خالد بن سعيد بن العاص ، رؤيا كانت سببًا في إسلامه ، اذكر القصة والدروس المستفادة .

● « يا أبا عبد اللَّه ، لو رأيت عمر آنفًا ، ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه قالت : قلت : نعم ، قال : لا يسلم الذي رأيت حتى يُسلِم حمار الخطاب » .

من القائل ؟ هل كانت هذه المقولات في محلها ؟ اذكر قصة إسلام عمر بن الخطاب والدروس المستفادة .

● كانت دار سعيد بن زيد مقرًا لأسرة تتلقى تعاليم الإسلام وتتربى عليها ، كم كان عدد هذه الأسرة ؟ ومن هو المُعَلِّم ؟ .

- من الذي أفشى سِرَّها ، لماذا فعل هذا ؟ .
- طريق الدعوة مليء بالابتلاءات ، وفي ضوء هذه القاعدة نفهم ما حدث لفاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد .
- ما الدروس التي ترسيها قصة إسلام عمر في حياة الأمة ؟ .
- قصة إسلام عمرو بن عبسة السلمي ، ما الدروس المستفادة منها ؟ .
- قصة إسلام زيد بن سعية ، ما الدروس المستفادة ؟ .



اللقاء السادس

مرحلة الدعوة الجهرية

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بإبلاغ رسالة الإسلام إلى الخاص والعام ، وأَمْرُهُ له بالصبر والاحتمال ، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم ، وإرسال . الرسول الأعظم إليهم ، وذكر ما لقي رسول الله من الأذى منهم هو وأصحابه ﷺ [١] .

الوالد : أيها الأبناء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأولاد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ..

حينما نزل قول الله تعالى على رسول الله محمد ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء : ٢١٤- ٢٢٠] ، **وقوله تعالى** : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] - أدرك رسول الله ﷺ أن مرحلة أخرى ، من الدعوة ، إلى الله ، قد بدأت وهي مرحلة الدعوة العامة ، فانطلق يجهر بدعوته .

فأتى الصفا ، فصعد عليها ثم نادى « **يا صباحاه** » فاجتمع الناس إليه بين راجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله .. فقال رسول الله ﷺ : « **يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني كعب ، أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلًا بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني ؟** » . قالوا : نعم . قال : « **فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » . فقال أبو لهب لعنه الله : « تبًا لك أما دعوتنا إلا لهذا » [٢] وأنزل الله ﷻ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

وفي مناسبة أخرى قال لهم رسول الله ﷺ : « **يا معشر قريش : أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار ؛ فإني والله لا أملك لكم من الله شيئًا** » [٣] .

أي أنه كان يدعو الناس إلى الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله واليوم الآخر ؛ لئلا

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٥٥ - ٤٥٦) .
(٢) المرجع السابق (ص٤٥٦) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٦٥) .

يعذبهم اللَّه بالنار .

بلال : أي أنها كانت دعوى إلى خيري الدنيا والآخرة ؛ ورغم هذا استقبلوها بسوء الأدب .

الوالد : نعم يا بني ؛ ولكن هذا لم يفت في عضد النبي ﷺ ، وواصل دعوته الفردية ، جنبًا إلى جنب الدعوة العامة .

وكان رسول اللَّه ﷺ ينتهز المناسبات ، ويجهز طعامًا للقوم ، وبعدها يدعوهم إلى اللَّه : « **يا بني عبد المطلب إنّي واللَّه ، ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة** » (١) . فلم يستجب له أحد من قومه .

ورغم هذا واصل النبي ﷺ دعوته إلى اللَّه تعالى ، « ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهرًا ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يردهٌ عن ذلك رادٌّ ، ولا يصده عن ذلك صادٌّ ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، وفي المواسم ومواقف الحج ، يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير ، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء » .

« وتسلط على النبي ﷺ ، وعلى من تبعه من آحاد الناس ، من ضعفائهم – الأشِداءُ الأقوياءُ من مشركي قريش ، بالأذية القولية والفعلية . وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وامرأته أم جميل ، أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان » .

« وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب ، الذي كان يحنو على رسول اللَّه ﷺ ويحسن إليه ، ويدافع عنه ، ويحامي ، ويخالف قومه في ذلك ؛ مع أنه على دينهم وعلى خُلَّتِهم » (٢) .

وكان كفار العرب يقودون حملة إيذاء وتشهير وتشكيك ضد النبي محمد ﷺ ، حينما كان يقف رسول اللَّه ﷺ في سوق المجاز يدعو الناس : « **يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا إلا اللَّه ، تفلحوا** » . والناس مجتمعون عليه ، ووراءه عمه أبو لهب يسفي عليه التراب ، ويقول : « أيها الناس لا يغرنَّكم هذا عن دينكم ، ودين آبائكم ؛ إنه صابئ إنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى » (٣) .

بلال : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، ماذا كان يفعل الرسول محمد ﷺ ؟ هل كان

(١) المرجع السابق (ص٤٦٩) . (٢) المرجع السابق (ص٤٦٠ - ٤٦١) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٦٢) .

يشتبك مع عمه أبي لهب ؟

الوالد : لا يا بلال ، كان يعُرض عنه ، كان يقول : « سلامًا » ؛ لأن اللَّه أمره : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

أي أنه صبر وثبت ، واستمر في إبلاغ دعوة اللَّه ، وتحاشى الاشتباك معه ؛ لأنه مأمور من رب العالمين : ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥] .

وواصل النبي محمد ﷺ دعوته إلىالإسلام ، وتزايد الإيذاء الواقع عليه ﷺ ، وعلى أصحابه . وأخذ صورًا شتى ، في محاولة لمنع استمرار الدعوة الإسلامية ، والحيلولة بين رسول اللَّه ﷺ ، وكسب أنصار جدد للدعوة :

(أ) **ومن ذلك : سب النبي محمد** ﷺ : يقول رسول اللَّه ﷺ : « **انظروا قريشًا كيف يصرف اللَّه عني شتمهم ولعنهم يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد** » ﷺ .

(ب) **محاولة منعه من الدعوة** : فذهبوا إلى أبي طالب ، وقالوا له : إن لك نسبًا وشرفًا فينا وإنَّا استنهيناك من ابن أخيك ، فلم تنهه ، وإنا واللَّه ما نصبر على شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا ، حتى تكفه أو ننازله وإياك ، في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين (١) ثم انصرفوا عنه .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوته لهم ، ولم يطب نفسًا أن يسلم رسول اللَّه لهم ولا أن يخذله .

ومرة أخرى قالوا لأبي طالب : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا . فقال : يا عقيل بن أبي طالب انطلق فَأْتني بمحمد ، فانطلقت إليه فاستخرجته من « بيت صغير » فلما أتاهم قال أبو طالب : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوا إليَّ فقالوا كذا وكذا ، فَأَبْقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تُحَمِّلني من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول اللَّه ﷺ أنه قد بدا لعمه بداء وأنه خاذله ومسلمه ، فقال : « **يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره اللَّه أو أهلك فيه ما تركته** » ثم استعبر رسول اللَّه ﷺ ، ثم قام . فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل إليه فقال : « اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فواللَّه لا أسلمك لشيء أبدًا » (٢) .

---

(١) السيرة النبوية (ج١ ، ص٤٧٤) .

(٢) السيرة النبويه ابن كثير (ج١ ، ص٤٧٤ - ٤٧٥) .

والله لن يَصِلوا إليك بجمْعه حتى أُوَسَّد في التُّراب دَفِينا
فامضي لأمرك ما عليك غَضَاضَةٌ أَبشِرْ وَقرَّ بذاك منك عيونا
ودعوتَني وعلمت أنَّك ناصحي فلقد صدقتَ وكنت قِدْم أمينا
وعرضتَ دِينًا قد عرفتُ بأنهُ من خير أديان البَرِيَّةِ دِينا
لَوْلا الملامَةُ أو حَذَارِي سُبَّةً لَوَجَدْتنِي سَمْحًا بذاك مُبِينا [١]

محمود : سؤال يا أبي ، ألم يكن من الحكمة أن تتوقف الدعوة حتى يهدأ الجو ؟

الوالد : يا بني لا يملك أحد أن يتوقف عن الدعوة ؛ لأن الأمر صدر من الله ﷻ : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر : ٩٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحجر : ٨٩] .

أحمد : لا شك يا أبي والإنسان يدعو إلى الله يحتاج إلى إعانة من الله ، وهو يواجه الابتلاءات .

وعون الله ومدده لا يتنزل على الإنسان ، إلا عبر الطاعات والعبادات . فهل كان المسلمون يصلون جماعة في مكة ؟

الوالد : صدقت يا بني ومن أجل هذا نزل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ١- ٥] .

أي أن مهمة الدعوة إلى الله تعالى ، تكليف ضخم ، تحتاج إلى إطالة الوقوف والركوع والسجود والدعاء بين يدي الله ﷻ . ومن أجل هذا كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا « ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم ، من قومهم . وفي إحدى المرات بينما سعد ابن أبي وقاص في نفر بشعب إذ ظهر عليهم نفر من المشركين ، وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم وقاتلوهم » .

بلال : أي أن المؤمنين لم يكونوا يأمنون على أنفسهم وهم في حرم الله الآمن ؟!

الوالد : نعم يا بلال . ويا ليت الإيذاء وقف عند هذا الحد ؛ بل تعداه إلى محاولة قتل النبي ﷺ .

تروي كتب السيرة أن أبا جهل قال : « هل يُعَفِّر (يسجد ويلصق وجهه بالتراب)

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ، ص٤٦٤) .

محمد وجهه بين أظهركم ؟ قيل : نعم ، فقال : « واللات والعزى لأطأن رقبته ولأعفِّرن وجهه » ، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه وَيَتَّقِي بيديه ، فقيل له : « مالك ؟ » قال أبو جهل : « إن بيني وبين محمد خندقًا من نار » ، فقال رسول الله ﷺ : « **لو دنا منِّي لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا** » [1] .

محمد : سبحان الله ! المشركون يستكثرون على النبي ﷺ ، أن يصلي في حرم الله الآمن ، ويصل الأمر بهم إلى حد التآمر عليه لقتله ، وما منعهم من ذلك إلا رب العالمين القائل : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

الوالد : نعم يا بني ، وهذا هو طبيعة طريق أصحاب الدعوات ؛ بل وصل الأمر إلى حد أن قريشًا أتوا أبا طالب ، وقالوا : « يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد ، إنه (أقوى) فتى في قريش ، وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصرته ، واتخذه ولدًا ، فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك (محمدًا ﷺ) ، هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، نقتله ، فإنما هو رجل برجل » فقال : « بئس والله ما تسومونني ، أتُعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني (محمدًا) تقتلونه ؟ ! هذا والله ما يكون أبدًا » [2] .

محمد : أي حماقة هذه ؟! أبو طالب يسلم محمدًا ﷺ لهم ليقتلوه .

الوالد : العجيب أنْ قُرَشِيًّا يُسَمّى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، علق على هذا العرض بقوله : « والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومُك وجهدوا على التخلص مما تكره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا » فقال أبو طالب : والله ما أنصفوني ، لكنك قد أجمعت خذلاني ، ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك . فزاد الأمر ، واشتد وحميت الحرب (لله ولرسوله وللمؤمنين) وتنابذ القوم .. [3] .

بلال : يبدو يا جدي أن أبا جهل كان من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله .

الوالد : نعم يا بلال ، والدليل على ذلك أن أبا جهل قال : « يا معشر قريش إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسب آلهتنا . وإني أعاهد الله ، لأجلسن له غدًا بحجر ، فإذا سجد فَضَخْتُ به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم » .

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٦٧) . (٢) المرجع السابق (ص ٤٧٥) .

(٣) المرجع السابق (ص٤٧٥) .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا وجلس ، وأتى النبي ﷺ فقام يصلي بين الركنين الأسود واليماني ، وجلست قريش في أنديتها ينتظرون . فلما سجد رسول الله ﷺ حمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه ، رجع مرعوبًا ، ممتقعًا لونه ، قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف به من يده ، فقامت إليه قريش ، فقالوا : « ما لك يا أبا الحكم ؟ » فقال : « قمت إليه لأفعل ما قلت لكم ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فَحْلٌ من الإبل ، والله ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرَته ، ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ أن يأكلني ! » وقد ذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال : « **ذاك جبريل** عليه السلام **لو دنا مني لأخذه** » (1) .

بلال : صدق الله القائل سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] . وصدق رسول الله القائل : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** » .

الوالد : وصل الغرور والكبر بعدو الله أبي جهل ، أنه مر على النبي محمد ﷺ وهو يصلي ، فقال : « ألم أنهك عن أن تصلي يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديًا مني » .

« فانتهره النبي محمد ﷺ فقال جبريل : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧، ١٨] . والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب » (2) .

إيمان : ألم يكن في الأمة رجل رشيد ، يشهد شهادة الحق ، ويرد به هؤلاء المشركين عن غيهم ؟ .

الوالد : هؤلاء الرجال ، كانوا يدركون أن محمدًا على حق ، ولكن ضغط الواقع الجاهلي ، وزعماء الشرك ، يحولون بينهم وبين الإسلام ، مثال ذلك : « عتبة بن ربيعة » الذي أتى النبي محمدًا ﷺ وقال له : « يا محمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ » ، فلم يجبه . قال :

« فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ، فإن كنت إنما حبك للرئاسة ، عقدنا لك ألويتنا ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان حبك الباءة ، زوجناك عشرة نسوة ، تختار من أي أبيات قريش شئت ، وإن كان حبك المال ، جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك » ورسول الله ﷺ ساكت (3) .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٦٤ - ٤٦٥) . (٢) المرجع السابق (٤٦٦) .

(٣) المرجع السابق (ص٥٠١) .

فلما فرغ قال رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١: ١٣] » . فأمسك عتبة على فيه ، وناشده الرحم أن يكف عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، انطلقوا بنا إليه وأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما حسبنا إلا أنك صبأت فإن كانت بك حاجة جمعنا لك ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدًا أبدًا وقال : لقد علمت أنيِّ من أكثر قريش مالًا ، ولكني أتيته ، فقص عليهم القصة ، فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١، ١٣] . « حتى إذا بلغ ﴿ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ

عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف . وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب فَخُفْتُ أن ينزل بكم العذاب » .

وفي رواية : قال عتبة لقريش : « يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به » قالوا : سحرك والله بلسانه فقال : « هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم » .

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا بالله صدق الله القائل : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] ما أصبرك يا رسول الله على هذا الجحود !

محمود : لو أذنت لي يا أبي ، مما يؤكد هذا الذي قلته ، ما ورد في كتب السيرة ، أن أبا جهل وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق ، خرجوا ليلة يتَسَمَّعُون من رسول الله ﷺ ، وهو يصلي بالليل ، في جوف بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه فلما أصبحوا تفرقوا ، فلما جمعهم الطريق تلاوموا ، وقالوا : لا نعود فلو رآنا بعض السفهاء لوقع في نفسه شيء ، ثم عادوا لمثل ليلتهم مرة ثانية وثالثة ، ثم إن الأخنس بن شَريق أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم أتى أبا جهل ، فقال : ما رأيك ؟ فقال : ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه (١) .

بلال : صدق الله القائل : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨١] .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٦] .

إيمان : ألم تكن هناك رَدّةُ فعل من قبل النبي ﷺ ، على قريش تتسم بالشدة لعلهم يرتدعون ؟ .

الوالد : حدث مرة أن اجتمع أشراف قريش في الحجر بالمسجد الحرام ، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : « ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ،

(١) المرجع السابق (ص٥٠٥ - ٥٠٦) .

وقد سفه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وفعل وفعل » و فطلع عليهم رسول اللَّه ﷺ ، فاستلم الركن وطاف بالبيت فلما غمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجهه ، فلما مر الثانية ، غمزوه . فلما مر الثالثة ، غمزوه ، فوقف فقال : « **أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسي بيده جئتكم بالذبح** » قال : فأخذت القوم كلمتهُ ، حتى ما كان فيهم رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع ، حتى إن أشدهم فيه وَصَاةً قبل ذلك ليترضاه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه يقول : « انصرفْ ، أبا القاسم ، راشدًا فواللَّه ما كنت جهولًا » .

فانصرف رسول اللَّه ﷺ . حتى إذا كان من الغد اجتمع أشراف مكة في الحجر ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه » .

فبينما هم على ذلك ، إذ طلع النبي ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون : « أنت الذي تقول كذا وكذا ؟ » لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : « **نعم** » وأخذ رجل منهم بمجامع رداء النبي ﷺ ، فقام أبو بكر دونهم يبكي ويقول : « أتقتلون رجلًا أن يقول : ربي اللَّه ؟ » ، ثم انصرفوا عنه [1] .

وهكذا يتضح أمامكم يا أبنائي إصرار النبي ﷺ على إبلاغ دعوة رب العالمين ، رغم المشقة والابتلاءات التي تعرض لها . ونلمح أيضًا نموذجًا عمليًا للولاء للَّه ولرسول الإسلام ﷺ من أخيه أبي بكر الصديق رضي الله عنه والولاء يعني الحب والنصرة .. وللحديث بقية .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٧٠ - ٤٧٢) .

اختبر معلوماتك

● ما هو حكم الدعوة إلى اللَّه ؟ .

● إلى أى شيء كان يدعو رسول اللَّه ﷺ الناس ؟ أو بمعنى آخر : ما هو موضوع الدعوة إلى اللَّه ؟ .

● ما الهدف من وراء الدعوة إلى اللَّه ؟ .

● لقد كان من هدي النبي ﷺ بعد الرسالة الاعتكاف في العشرة أيام الأخيرة من شهر رمضان . فهل هناك علاقة بينها وبين الخلوة التي كان يعتادها في غار حراء قبل الرسالة ؟ .

● من هو الوحي ؟ وهل هو من الملائكة ؟ وهل قدم ربنا ورسولنا محمد ﷺ وصفًا لهذا الملك الذي كان يقوم بدور الوحي ؟ .

● لقد كان النبي محمد ﷺ ، أميًّا لا يعرف القراءة ، ولا الكتابة ، ونزل عليه الوحي بقول اللَّه تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١- ٥] . ماذا تعني هذه الآيات بالنسبة للرسول محمد ﷺ ، وبالنسبة للإنسان ؟ وكيف حول رسول اللَّه هذه الآيات إلى واقع عملي في حياة الإنسان ؟ .

● ما هي الصفات التي اتصف بها النبي ﷺ السلوكية والأخلاقية ؟ وهل يمكن أن نعاهد اللَّه أن نقتدي به ؟ .

● منذ اللحظة الأولى التي عرف فيها ورقة بن نوفل ، أمر التكليف المنزل من اللَّه على رسول اللَّه محمد ﷺ ، أدرك أن نصرته واجب ونصرة دين الإسلام واجب . ما هي الآيات القرآنية التي تدل على هذه الحقيقة ؟ .

● طريق الدعوة إلى اللَّه مليء بالابتلاءات ، وقد نبه ورقة بن نوفل رسول اللَّه ﷺ إلى ذلك ، فكيف واجه رسول اللَّه هذه الابتلاءات ؟ وما هي الحكمة التي تبدو من وراء هذه الابتلاءات ؟ .

● متى نزل الوحي على رسول اللَّه ﷺ ؟ وكم كان عمره ؟ .

● على أي هيئة كان يأتي الوحي للرسول ﷺ ؟ .

● من كان أول الناس إسلامًا من النساء ؟ من الشباب ؟ من الشيوخ ؟ وما هي

مكانة خديجة رضي الله عنها عند الله عز وجل ؟ .

- اذكر كيف دعا رسول الله محمد ﷺ ، صديقه أبا بكر إلى الإسلام ؟ مع ذكر قصة إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ .
- إلى أي شيء كان يدعو رسول الله محمد ﷺ الناس ؟ ماذا تعني لا إله إلا الله ؟ .
- ظل رسول الله محمد ﷺ يدعو الناس دعوة فردية (خاصة) لمدة ثلاث سنوات ما الحكمة ؟ وكم كانت حصيلة هذه المرحلة من المسلمين ؟ .
- متى بدأ رسول الله ﷺ الدعوة العامة ؟ ما معنى أن تقترن الدعوة بالانتقاء والتربية والتكوين ؟ وما هو الهدف من ذلك ؟ .
- كان رسول الله ﷺ وأصحابه في حاجة إلى عون الله ومدده . وكانت الصلوات مثنى مثنى منذ بداية الدعوة . من الذي فرضها ؟ ومن الذي علَّم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة ؟ .
- ما هي مقتضيات الشهادتين ؟ بمعنى أن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ينبني عليها عمل ، ما هو ؟ .
- اذكر أسماء خمسة عشر صحابيًا وصحابية ممن أسلموا في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة ؟ .
- لقد قصَّ رب العالمين على مسامع الرسول ﷺ ، في سورة الشعراء - أخبار سيرة موسى وغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام . ما هي المعالم التي ترسيها سير هؤلاء الأنبياء جميعًا في حياة أصحاب الدعوات ؟ .
- اذكر على سبيل المثال مشهدًا للنبي ﷺ وهو يدعو إلى الله . إلى أى شيء كان يدعو ؟ وما هو الأسلوب الذي انتهجه لخلق مناسبة الدعوة ؟ وما هو موقف المدعوين ؟ .
- لقد وقفت قريش موقف العداء من الدعوة إلى الله . ومن هؤلاء : عم النبي ﷺ أبو لهب ، ولكن عمه الآخر آزره وأعانه على أداء واجب الدعوة رغم أنه رفض أن يسلم . من هو هذا العم ؟ ولماذا كان حبه للنبي ﷺ كبيرًا ؟ وحينما علم بإسلام ابنه علي رضي الله عنه .. هل وَبَّخه أم شجَّعه ، وقال له : وآزر ابن عمك وأصحابه ؟ .
- بمجرد بدء الدعوة إلى الله تعرض رسول الله ﷺ للإيذاء المعنوي والمادي . من كانوا أشد الناس عليه في ذلك ؟ مع ذكر نماذج من هذا الإيذاء .

● لم يكتف مشركو العرب بالإيذاء المعنوي ؛ بل حاولوا قتل النبي ﷺ مرارًا . هل نجحوا ؟ ما هو مدلول عدم النجاح ؟ .

● للقرآن وقع على النفس الإنسانية ، بدا أثره في مشاعر عتبة بن ربيعة . دلل على ذلك .

● جرى حوار بين الأخنس بن شَرِيق وأبي سفيان ، قبل إسلامه - يؤكد أن الذي يمنع أبا سفيان من الإسلام ، هو اختيار بني هاشم للنبوة دون بني أمية . اذكر الحوار ، والدرس المستفاد .

اللقاء السابع

نماذج من الابتلاءات التي تعرض لها رسول الله محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وهم يدعون إلى الله

الوالد المعلم : أبنائي وبناتي وإخواني وأخواتي ، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

الأبناء : وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته .

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه محمد ﷺ وبعد ، .

لا زال الحديث موصولًا بدعوة الرسول محمد ﷺ إلى الإسلام في مكة المكرمة : لقد اشتد الإيذاء بالرسول محمد ﷺ وأصحابه ؛ يعبر عن ذلك قول النبي محمد : « **لقد أُوذيت في اللَّه وما يُؤْذَي أحد ، وأُخِفت في اللَّه وما يخاف أحد ، ولقد أَتَت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال** » [١] .

« لقد وثبت كل قبيلة من قبائل قريش على من فيها من المسلمين : يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم » [٢] .

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ! وهذا يقع الآن لشباب الصحوة الإسلامية وعلمائها .

الوالد : نعم يا أبنائي ، حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ، ولكن يجب ألا يَفُتَّ ذلك في عضدنا ؛ لأن اللَّه لا بد وأن ينصر دينه ، كما فعل على مدار التاريخ .

بلال : لكن هل صبر الصحابة والرسول ﷺ على هذا الإيذاء وهذه الفتن ؟

الوالد : من الصحابة من ثبت ، وعصمه اللَّه من كفار مكة . ومن الصحابة من فتن ، من شدة البلاء الذي تعرض له .

بلال : هل يمكن أن تعرض لنا بعض هذه النماذج يا جدي ؟

الجد : نعم ، مثال بلال بن رباح ، واسم أمه حَمَامَة ، كان صادق الإسلام طاهر القلب !

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج١ ص٤٧٢) .
(٢) المرجع السابق (ص٤٩٢) .

وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول بلال وهو في ذلك : أَحَدٌ أَحَدٌ [١] .

بلال : الله أكبر ! لقد ثبت الله بلالًا ـ جمعنا الله وإياه في الجنة .

أحمد : لكن ما هو موقف الصحابة من هذا الذي كان يحدث لإخوانهم ؟ .

الوالد : دعني أولًا أعرض نماذج من الابتلاءات ، التي تعرض لها صحابة رسول الله ﷺ .

لقد ذكر كُتَّابُ السيرة في رواية : « أن أول من أظهر الإسلام سَبْعَةٌ : رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد » .

فأما رسول الله ﷺ ، فمنعه الله بعمه وأبو بكر منعه الله بقومه . وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالًا ؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى ، وهان على قومه فأخذوه ، فأعطوه الولدان ، وجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد [٢] .

أمَّا عمَّار وأبوه ياسر وأمه سمية الذين أسلموا لله رب العالمين ، فقد كانت بنو مخزوم يعذبونهم برمضاء مكة (حينما يكون الجو شديد الحرارة) فيمر بهم رسول الله محمد ﷺ فيقول : « صبرًا آل ياسر ، أبشروا آل عمار وآل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » [٣] .

فأما أم عمَّار سمية فيقتلونها فتأبى إلا الإسلام ، طعنها أبو جهل بحربة في قُبُلها .

إيمان : رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ ، أي أن سمية يا والدي كانت أول شهيدة في الإسلام [٤] .

الوالد : نعم .

بلال : سامحني يا جدي ، كيف استطاع المشركون أن يوقعوا الأذى بصحابة رسول الله ﷺ ألم يقل رب العالمين : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦] ، وفي الحديث القدسي : « من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب » ؟ .

أسامة : يا بلال ، لا تعارُضَ مطلقًا بين هذه الآيات وبين سنة الابتلاءات في حياة

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩٢) . (٢ ، ٣) المرجع السابق (ص٤٩٤) .

(٤) المرجع السابق (ص٤٩٤ – ٤٩٥) .

أصحاب الدعوات ، ولقد شرح جدك هذه المسألة عدة مرات ؛ فلا تضيع أوقاتنا ؛ لأن تاريخ الأمة يحتاج لوقت طويل حتى نستوعبه .

بلال : يا عمي أسامة أنا أريد أن أتعلم ، أنت دائمًا تتصيد لي المواقف ، هل تريد مني أن أستأذن جدي في الانسحاب من الجلسة حتى تستريح مني ؟ .

الجد : صبرًا يا أسامة وصبرًا يا بلال ولا داعي للشقاق ؛ كلاكما له وجهة نظر جديرة بالاحترام ، يمكنك يا بلال أن يكون لك لقاء مع أحد أعمامك وخاصة أسامة ؛ لأنه تخصص تاريخ كما تعلم ، ويشرح لك ما تحتاج إلى علمه ، وأنت يا أسامة لا بد وأن يكون صدرك متسعًا ، ولا داعي للهجوم على ابن أخيك ، يبدو كما لو كنتما فوق رأس بعض كما يقولون .

استعيذوا باللَّه من الشيطان الرجيم .

الجميع : نعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم .

الوالد : اعلم يا بلال أن الابتلاءات سُنَّة ربانية جارية في حياة المسلمين ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢ - ٣] .

﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] . ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

ويقول سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

ويقول ﷺ : « **أشد الناس بلاء الأنبياء** » [(١)] .

ولا يملك الإنسان الذي يبتلى إلا أن يصبر ويحتسب ، ويرضى بقضاء اللَّه ، ويتوكل على اللَّه ، ويستمر في حمل دعوة اللَّه ، ويستعين على ذلك بالطاعات والعبادات : الصلاة والصيام والدعاء ، ويثق في نصر اللَّه ؛ لقوله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ

---

(١) المرجع السابق .

ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] .

ولقول رسول اللَّه ﷺ : « **واعلم أن النَّصر مع الصبر ، واعلم أن الفرج مع الكرب** » .

بلال : إذن يا جدي طالما سلك الإنسان طريق أصحاب الدعوات ، لا بد وأن يُمتحن ويُختبر ؛ ليتضح الصادق من الكاذب ، من يستحق الجنة ومن يستحق النار .

الجد المعلم : تمامًا يا بلال .

بلال : ولكن يا جدي ألا يكون ذلك مدعاة للخوف على الأجل والرزق ؛ فيقعد الناس عن نصرة دين اللَّه ؟ .

الجد : اعلم يا بلال أن الأجل بيد اللَّه الذي يقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥] . ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧] والرزق أيضًا بيد اللَّه ﷻ : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] .

فإذا كان الأجل بيده والرزق بيده ، لماذا ينكص الناس عن القيام بالفرائض ومنها الدعوة إلى اللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ إن اللَّه هو الذي كلفنا : ﴿ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] . ورغم أنه خلقنا ورزقنا ، فإنه سبحانه اشترى منا النفس والمال .

يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١] .

محمد : لو أذنت لي يا أبي رسولنا محمد ﷺ ذكرنا أيضًا : « **واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك** » [١] .

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣) .

الوالد : اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. نعم يا محمد ، لقد صدق صحابة رسول اللّه ﷺ ، ما عاهدوا اللّه عليه ؛ لقد كان المشركون يضربون المسلم ، ويجيعونه ، ويعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضرب الذي به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزّى إلهان من دون اللّه ؟ فيقول : نعم ؛ افتداءً منهم بما يبلغون من جهدهم [1] .

يقول ابن كثير : « وفي مثل هذا أنزل اللّه تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

فهؤلاء كانوا معذورين بما حصل لهم من الإهانة والعذاب البليغ ، أجارنا اللّه من ذلك بحوله وقوته » .

الأبناء : رضي اللّه عن صحابة رسول اللّه ﷺ وجمعنا وإياهم في سوق الجنة .

إيمان : أستميحك عذرًا يا أبي ، ماذا عن عامر بن فهيرة وأمِّ عُمَيس ، وزنيرة ، والنهدية ، هم وغيرهم من المؤمنين الأوائل ؟ وما هو الدور الذي فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لتخليصهم من هذه الابتلاءات ؟

الوالد : أبو بكر واسمه عبد اللّه بن أبي قحافة عثمان بن عامر . حينما أسلم للّه رب العالمين ، أدرك أن مقتضيات الإسلام ، تحرير الولاء والبراء ، وأن تحرير الولاء معناه أن يكون الولاء للّه ولرسوله وللمؤمنين ، وأن الولاء معناه الحب والنصرة ، أدرك أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، كالجسد الواحد : إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، أدرك أبو بكر أن المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ، تعلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه من رسول اللّه ﷺ أن من نصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته - نصره اللّه في موضع يحب فيه نصرته ، تعلم من رسول اللّه ﷺ أن نصرة المظلوم واجب ، أدرك أبو بكر رضي الله عنه هذه الحقائق فانطلق يبذل المال والجهد ، من أجل تحرير إخوانه المسلمين الممتحنين .

ذكر ابن كثير : « أن أبا بكر مرَّ على بلال وهو يعذب ، فاشتراه من أمية بن خلف ، بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب ، كما أنه اشترى عامر بن فُهيرة وأم عُمَيْس وزنيرة التي أصيب بصرها ، ثم رده اللّه تعالى لها ، ثم أعتقهم ؛ ابتغاء مرضاة اللّه تعالى » [2] .

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج ١ ص٤٩٥) .

(٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج١ ، ص٤٩٢ - ٤٩٣) .

ولم ينس أبو بكر إخوانه في الله ، النهدية وابنتها ، اشتراهما من بني عبد الدار . وكذلك جارية بني مُؤمِّل (حي من بني عدي) كان يضربها عمر بن الخطاب .

أسامة : أذكر يا والدي أن أبا قحافة والد أبي بكر ، اعترض على إنفاق الأموال في هذا الشأن قائلًا : « يا بني إنِّي أراك تعتق ضعافًا ، فلو أنك ، إذ فعلت ما فعلت ، أعتقت رجالًا جلداء يمنعونك ويقومون دونك » [1] .

الوالد : نعم يا أسامة وقد رد أبو بكر على والده في أدب جم : « يا أبت إنِّي إنَّما أريد ما أريد ، أي ابتغاء مرضات الله » .

وفي هذه المناسبة نزل قول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ٥- ٢١] .

إيمان : يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٩] .

الوالد : فمن المؤكد أن الله ﷻ ، لا يعجزه هؤلاء المشركون ، ورسول الله ﷺ مستجاب الدعوة ، لماذا لم يَدْعُ عليهم ، عسى الله أن يستجيب ، ويريح المسلمين من شرهم ؟ لقد ذكرت كتب السيرة أن صحابيًا هو خَبَّابُ بنُ الأرتِّ قال : « كنت رجلًا قَيْنًا فعملت للعاص بن وائل سيفًا فجئت أتقاضاه فقال : « **لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد** » . فقلت : « **لا والله لا أكفر بمحمد ، حتى تموت ثم تبعث** » [2] قال : « فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثمَّ مال وولد ، فأعطيك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم : ٧٧- ٨٠] .

ثم ذهب خباب إلى النبي محمد ﷺ يشكو له : « أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شِدَّة ، فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد ﷺ وهو محمر وجهه فقال : « **قد كان من كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ، ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق**

---

(١) المرجع السابق (ص٤٩٣) . (٢) المرجع السابق (ص٤٩٦) .

باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمنَّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله ﷻوالذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » [(١)] .

إيمان : جزاك الله خيرًا يا أبي ؛ إن حديثك عن الرسول المعلم محمد ﷺ يعلمنا الشيء الكثير :

أولًا : أن طريق أصحاب الدعوات ليس مفروشًا بالورود ولكنه مليء بالابتلاءات ، فلا بد من الصبر والثبات وعدم العجلة كما ذكرتنا منذ قليل يا والدي وأيضًا عدم الدعاء على المشركين عسى أن يخرج الله من ظهورهم من يوحد الله رب العالمين :

ثانيًا : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١] ، ويقول سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨] ، ويقول رسول الله ﷺ : « **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وإن أمر أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها** » [(٢)] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا إيمان .

أحمد : هل هذا العداء السافر للدعوة الإسلامية وأصحابها يعني أن الحق لم يكن واضحًا ؟ .

الوالد : تذكر يا أحمد قول الله ﷻ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

الوالد : لقد بات واضحًا أن عداء زعماء قريش لدعوة محمد ﷺ ، إنما بسبب الحسد للنبي ﷺ لاختيار الله له في حمل رسالة الإسلام الخاتمة .

بلال : هل يعني ذلك أن مشركي العرب كانوا يدركون أن الإسلام هو دين الحق وأن القرآن من عند الله وأن رسول الله محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ؟ فهل هناك دليل على ذلك ؟ .

الجد : تمامًا يا بلال والدليل على ذلك الحادثتان التاليتان .

- « مجادلة المشركين رسول الله وإقامة الحجة الدامغة عليهم ، واعترافهم في أنفسهم بالحق وإن أظهروا المخالفة ؛ عنادًا وحسدًا وبغيًا وجحودًا » .

---

(١) المرجع السابق ، (ص٤٩٦ - ٤٩٧) .

(٢) رواه مسلم ، سلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني ، المجلد الأول ، حديث رقم ٢ .

● « روي أن أبا جهل وأبا سفيان والأَخْنس بن شَرِيق ، خرجوا ليلة ؛ ليسمعوا من رسول اللَّه ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته [(١)] ، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع منه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا ، وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا . ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر ، تفرقوا وجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة . ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود . فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا . فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال :

أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ! فقال : يا أبا ثعلبة ، واللَّه لقد سمعت أشياء أعرفها ، وأعرف ما يراد بها (وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها) ، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء ! فمتى ندرك هذه ؟ واللَّه لا نسمع به أبدًا ولا نصدقه . فقام عنه الأخنس بن شريق » [(٢)] .

أسامة : أي أن اصطفاء اللَّه رب العالمين لمحمد ﷺ لحمل الرسالة الخاتمة ، هو الذي منع أبا جهل من الإسلام ؛ لأنه ما كان يتصور أن يصبح جنديًّا تحت قيادة محمد ﷺ .

الوالد : بل هناك رواية أقوى في الاستدلال على ذلك ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : « إن أول يوم عرفت رسول اللَّه ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول اللَّه ﷺ فقال رسول اللَّه ﷺ لأبي جهل : « **يا أبا الحكم هَلُمَّ إلى اللَّه ورسوله ، أدعوك إلى اللَّه** » .

فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منتهٍ عن سب آلهتنا ؟ هل تريد أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ؟ فواللَّه لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك .

---

(١) المرجع السابق (ص٥٠٥) . (٢) المرجع السابق (ص٥٠٦) .

فانصرف رسول اللَّه ﷺ ، وأقبل أبو جهل عَليّ فقال : واللَّه إني لأعلم أن ما يقول حق ، ولكن (يمنعني) شيء : أن بني قصي قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا السقاية ، فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا الندوة ، فقلنا : نعم . ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكّت الركب قالوا : منا نبي ! واللَّه لا أفعل » [1] .

محمود : صدق اللَّه القائل : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] .

إذًا هو الحقد على حامل الرسالة ﷺ واتباع الهوى .

الوالد : تمامًا يا محمود .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

---

(١) السيرة النبوية (ج١ ، ص٥٠٦ ، ٥٠٧) .

اختبر معلوماتك

● « لقد أوذيت في اللَّه وما يؤذى أحد ... » من القائل ؟ أكمل بقية الحديث . ما مدلول هذا الحديث ؟ .

● طريق أصحاب الدعوات مفروش بالابتلاءات ، لحكمة ربَّانية بيَّنها القرآن الكريم . اذكر بعض الآيات الدالة على ذلك . وما هو واجب المسلم في مواجهة الابتلاءات ؟ .

● من الصحابة الذين امتحنوا بسبب إسلامهم : بلال بن رباح . من كان يقوم بتعذيبه ؟ ما الغاية من ذلك ؟ وما هو موقف بلال مما حدث له ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● أسرة مكونة من الأب والأم والابن ، امتحنت في سبيل اللَّه ، من هي هذه الأسرة ؟ هل ارتد أحد منهم عن دينه ؟ ما النتيجة ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● هل يملك الإنسان - وهو يؤمن أن الأجل بيد اللَّه والرزق بيد اللَّه - أن يتردد في حمل أمانة الدعوة إلى اللَّه بحجة الخوف من الابتلاءات ؟ ما هو حكم الدعوة إلى اللَّه ؟ اذكر حديثًا يؤكد هذه الحقائق ، ويعطي الأمل لأصحاب الدعوات في انتصار دين اللَّه .

● نساء ورجال أسلموا وهم في قيود العبودية ، من هؤلاء : بلال وعامر بن فهيرة وأم عميس وزنيرة والنهدية . ماذا فعل أبو بكر الصديق لتخليصهم من قيود العبودية ؟ وما الدليل الشرعي على سلامة تصرف أبي بكر الصديق ﷺ ؟ .

● كانت قضية الولاء للَّه ولرسوله ولأمة الإسلام واضحة تمامًا في ذهن أبي بكر الصديق ، وقد بدا ذلك واضحًا في سلوكياته وتصرفاته . دلل على ذلك من خلال سيرة الصديق . اعترض والد الصديق على بذل المال في إعتاق العبيد الذين أسلموا ، كيف كان رد فعل الصديق ؟ .

● تعرض الصحابي خباب بن الأرتِّ لابتلاءات بسبب إسلامه ، فاستغاث برسول اللَّه محمد ﷺ . كيف كان رد النبي ﷺ ؟ وما هو المَعْلَمُ البارز الذي ترسيه كلمات رسول اللَّه ﷺ في حياة أصحاب الدعوات ؟ .

● كان أبو جهل ، وأبو سفيان ،والأَخْنَس بن شريق ، وغيرهم من مشركي العرب يدركون أن الإسلام هو الدين الحق ، وأن القرآن هو من عند اللَّه ، وأن محمدًا هو - رسول اللَّه . دلل على ذلك من خلال دراستك للسيرة النبوية . وما هي الدروس المستفادة من هذه الوقائع ؟ .

اللقاء الثامن

نماذج من الابتلاءات التي تعرض لها المسلمون بعض صحابة رسول الله ﷺ يهاجرون إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتنة قبل الهجرة

الوالد : الحمد للّه والصلاة والسلام على محمد رسول اللّه ﷺ ، وبعد :

يقول ربنا رب العالمين : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

ويقول سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

أبنائي وبناتي ، هذا هو لقاؤنا الثامن .. حول سيرة النبي ﷺ ودورها في مواجهة تحديات العصر .. ويدور هذا اللقاء حول الهجرة الأولى للمسلمين من مكة إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتنة .

هذه الهجرة وقعت في شهر رجب سنة خمس من البعثة النبوية /٦١٦ م تقريبًا .

وأسباب الهجرة كما وردت في كتب السيرة : شدة الابتلاءات التي كان يتعرض لها المسلمون ولا يستطيعون لها دفعًا ، فقال لهم رسول اللّه ﷺ : « **لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم فرجًا مما أنتم فيه** » .

فخرج أول فوج من الصحابة إلى الحبشة ، وكان مكونًا من اثني عشر رجلًا وأربع نسوة رئيسهم عثمان بن عفان ، ومعه زوجه السيدة رقية رضي الله عنها بنت رسول اللّه ﷺ وشاءت إرادة اللّه أن يصل الركب المهاجر إلى الحبشة سالمًا آمنًا [١] .

محمود : مما لا شك فيه يا والدي أن الوحي كان يقود خطى الدعوة الإسلامية وأن

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج ٢ ، ص ٣ – ٥) .

الآيات القرآنية التي كانت تنزل في هذه المناسبات كانت تعطي الأمل للمسلمين في قرب الفرج وانتصار الدعوة الإسلامية رغم ما يعانونه من ابتلاءات ، وإيذاء شديد ، فما هي الآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ في هذه الفترة ؟ .

الوالد : نعم يا محمود لقد نزلت سورة الكهف إجابة على أسئلة كثيرة ، كان قد طرحها كفار مكة على الرسول ﷺ ، ونزل الوحي بالإجابة التي تحوي توجيهات عظيمة لصاحب الدعوة ﷺ وإخوانه ، منها :

جواز الهجرة من مراكز الكفر والعدوان ، مخافة الفتنة في الدين ؛ لقول الله تعالى عن أصحاب الكهف : ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] .

بلال : معذرة يا جدي من هم أصحاب الكهف ؟

الجد : يقول رب العالمين : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٣- ١٥] وقصتهم مبسوطة يا بلال في سلسلة التاريخ الإسلامي للبراعم المسلمة ، فيمكنك الرجوع إليها .

بلال : جزاك الله خيرًا يا جدي .

الجد : **التوجيه الثاني** : نستقيه من قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح (الخضر) [١] : أن الأمور لا تجري حسب الظاهر ، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل ، بالنسبة إلى الظاهر ؛ ففي القصة إشارة لطيفة ، أن الحرب القائمة ضد الإسلام والمسلمين ، ستنعكس تمامًا ، وستنكسر شوكة المحاربين للإسلام على يد المستضعفين من المسلمين .

أما التوجيه الثالث : فلنلمحه في قصة ذي القرنين [٢] ، التي تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأن الله لا يزال يبعث من عباده ، بين آونة وأخرى ، مَن يقوم بتخليص الضعفاء من يأجوج ذلك الزمان ومأجوجه ، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون .

ويمكنك يا بلال التعرف على قصة موسى والخضر وقصة ذي القرنين ، ضمن سلسلة أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، وأيضًا في تفسير سورة الكهف في تفسير القرآن

---

(١) الكهف : ٦٠ - ٨٢ . (٢) الكهف : ٨٣ - ٩٧ .

العظيم لابن كثير [١] .

محمود : جزاك الله خيرًا يا والدي . والسؤال الثاني : هل سورة الزمر نزل فيها ما يشير إلى الهجرة ؟ .

الوالد : نعم ، في قول الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

محمود : جزاك الله خيرًا . هذا عن الهجرة الأولى ، فماذا عن الهجرة الثانية ؟

الوالد : قبل الحديث عن الهجرة الثانية ، خوفًا من الفتنة في الدين – أود أن أشير إلى أن بعض أصحاب الهجرة الأولى ، قد رجعوا إلى مكة حينما بلغهم أن قريشًا قد أسلمت ، ولم يكن الخبر صحيحًا ، وذلك في أعقاب خروج النبي محمد ﷺ إلى الحرم وتلاوته لسورة النجم ، وحينما وصل إلى قول الله تعالى : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم : ٦٢] – لم يتمالك طواغيت مكة من الانصياع للحق ، وخروا لله ساجدين ثم كانت الارتكاسة .

بلال : صدق الله القائل : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

أحمد : ولكن كيف سمحت قريش بهجرة المسلمين إلى الحبشة في المرة الأولى والثانية ؟ .

الوالد : بالنسبة للهجرة الأولى كانت سهلة ؛ لأن قريشًا فوجئت بها ، أما الثانية فكان فيها بعض الصعوبات ؛ لأن قريشًا تيقظت للأمر وحاولت منعها ، بيد أن المسلمين كانوا أسرع ، ويسر الله لهم السفر ، فانحازوا إلى نجاشي الحبشة ، قبل أن يدركهم كفار مكة .

وفي هذه المرة بلغ عدد المهاجرين [٢] ، من الرجال ثلاثة وثمانين ومن النساء ثماني عشرة أو تسع عشرة .

وفي هذه المرة قررت قريش أن يكون لها موقف تجاه المهاجرين ، لقد عز على كفار العرب ، أن يجد المسلمون مكانًا يأمنون فيه على عقائدهم وأنفسهم ، فأرسلت قريش عمرو ابن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة وقيل عمارة بن الوليد ، قبل أن يسلما – بهدية إلى النجاشي ، وبطارقته ، في محاولة لإعادة المسلمين المهاجرين إلى مكة .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم – الكتب – بيروت ، ١٤٠٢هـ ، (ص٤٢٦ – ٤٣٦) .

(٢) السيرة النبوية ابن كثير ، (ج ٢ ، ص ٩) .

محمود : سبحان اللَّه ! هذه جريمة ترتكب في حق المسلمين ، الذين تركوا مكة ، حرم اللَّه الآمن ، المكان الذي من المفترض أن يأمن فيه الإنسان والحيوان والطير والنبات ، يُرَوَّع فيه المسلمون ، فيتركونه خوفًا على أنفسهم من الفتنة إلى الحبشة ، فلماذا لم يتركهم كفار مكة وشأنهم ؟ لا يرحمون الناس ولا يتركون الناس يتراحمون فيما بينهم ، إنه الإجرام بعينه .

الوالد : صدقت يا محمود ، إنه ظلم بَيِّنٌ ، ولكن هذا الظلم لم يمر دون عقاب من اللَّه ، كما سنرى إن شاء اللَّه .

بلال : هل سَلَّمَ النجاشي المسلمين ، المهاجرين ، إلى كفار العرب ؟ .

الجد : لا يا بلال ، لقد كان رجلًا كريمًا وشجاعًا كما سنرى .

لقد قام رسولا مكة (قريش) بتقديم الهدايا ، إلى البطارقة ، وأقنعوهم بضرورة تسليمهم المهاجرين المسلمين ، وطلبوا مقابلة النجاشي حاكم الحبشة ، في محاولة لإقناعه بذلك ، وقالا له ، أي عمرو بن العاص وزميله : « أيها الملك إنه قد ضَوَى إلى بلدك غلمان سفهاء (يقصدون المهاجرين) فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم ، أشرافُ قَومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ؛ لتردهم إليهم ، فهم أعلم بهم عينًا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه » [١] .

وقالت البطارقة : « صدقًا أيها الملك فأسلمهم إليهم - أي المسلمين - فليردوهم إلى قومهم وبلادهم » : ولكن رأى النجاشي - انتبه يا بلال - رأى أنه لا بد من تمحيص القضية وسماع أطرافها جميعًا قبل إصدار الحكم فيها .

فأرسل إلى المسلمين ودعاهم فحضروا ، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنًا ما كان ، فقال لهم النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ .

بلال : جزى اللَّه النجاشي خيرًا ؛ لأنه رفض أن يتخذ قرارًا ضد مهاجري المسلمين قبل أن يستمع منهم .

الجد : نعم ، وقد أذن النجاشي لجعفر بن أبي طالب ﷺ بالحديث والدفاع عن نفسه وإخوانه فقال : « أيّها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي

(١) سيرة ابن هشام ، تحقيق د . أحمد حجازي ، المجلد الأول ، (ص ٢٠٥ ، ٢٠٦) ؛ السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص ١٧ - ١٨) .

الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل منا القويُّ الضعيفَ ، فكنا كذلك حتى بعث اللَّه فينا رسولًا منَّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ؛ فدعانا إلى اللَّه لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كُنَّا نعبدُ نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد اللَّه وحده لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (فعدَّد عليه جعفر ﷺ أمور الإسلام) ، فَصدَّقناه وآمنَّا به ، واتبعناه على ما جاءنا به من دين اللَّه ، فعبدنا اللَّه وحده فلم نشرك به شيئًا وحرمنا ما حُرِّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومُنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة اللَّه تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا - خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك » [١] .

بلال : اللَّه أكبر رضي اللَّه عنك يا جعفر ، وجمعنا اللَّه وإياكم في سوق الجنة . لقد أحسن جعفر ﷺ عرض قضية الإسلام ؛ إنه يباشر الدعوة إلى الإسلام ، إنه موقف ليس للدفاع عن النفس فقط ولكنه عرض لدعوة الرسول محمد ﷺ .

الجد : نعم يا بلال ، ولقد تأثر النجاشي بكلام جعفر ﷺ ، وطلب منه أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن الذي نزل على رسول اللَّه محمد ﷺ ، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٥) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع .

عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١ - ١٧] .

فبكى النجاشي ، حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخْضَلُوا مصاحفهم ، ثم قال : إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا راشدين (لجعفر وإخوانه) : لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينًا [1] .

محمود : الحمد لله الذي نجَّى المؤمنين وأخزى المشركين .

الوالد : انتظر يا محمود ! المشركون لم يستسلموا ، وقرروا مواصلة الكيد للمسلمين ، عند النجاشي ، وقد كان ، وقال عمرو بن العاص (قبل إسلامه) : « والله لآتين النجاشي ، غدًا ، بما أستأصل به خضراءهم ، يعني (المسلمين) ، ولأخبرن النجاشي أن المسلمين يزعمون أن إلهه الذي يعبدونه عيسى ابن مريم - عبد » .

فقال له عبد الله بن ربيعة : « لا تفعل فإنّهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحمًا ولهم حقًّا ، فقال عمرو : والله لأفعلن » .

فلما كان الغد ، دخل عمرو بن العاص على النجاشي ، فقال : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا ، فأرسل إليهم فاسألهم عنه .

واستدعى النجاشي المسلمين فحضروا . وكما تعلمون لم يسجد له المسلمون كما حدث في المرة السابقة !

بلال : هل كان من المفروض أن يسجد المسلمون للنجاشي ؟

الجد : هذا ما طالب به القسيسون المسلمين ، حينما دخلوا على النجاشي ، قالوا للمسلمين : « اسجدوا للملك » . فقال جعفر ﷺ : « لا نسجد إلا لله ﷻ » . فلما انتهينا إلى النجاشي قال : « ما منعك أن تسجد » قال : « لا نسجد إلا لله » . فقال له النجاشي : وما ذاك ؟ فأعجب النجاشي قوله [2] .

فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنَّهم يخالفونك في عيسى ابن مريم ، فقال النجاشي لجعفر ﷺ : « ما يقول صاحبكم محمد في ابن مريم (يقصد المسيح عليه السلام) ؟ » قال جعفر ﷺ : « يقول محمد ﷺ في عيسى عليه السلام قول الله : هو روح الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر . يقول الله ﷻ :

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/٢١٦) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٠٢) .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾ [النساء: ١٧١- ١٧٢] » .

فتناول النجاشي عودًا من الأرض ، فرفعه ، فقال : « يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه » (١) .

وقال النجاشي لجعفر وإخوانه المسلمين : مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول اللَّه ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته ، حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرض الحبشة ما شئتم .

وأمر لنا (المسلمين) بطعام وكسوة ، وقال النجاشي للقساوسة : رُدُّوا على هذين (عمرو ومن معه) هديتهما (٢) .

محمود : جزى اللَّه النجاشي عن أمة الإسلام خير الجزاء ، وفي هذا دليل يا أبي على أنه : من أهل الكتاب من يؤمن بمحمد ﷺ ولا ينكره لقول اللَّه تعالى : ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣] . ويقول سبحانه : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢- ٨٤] .

الوالد : نعم يا محمود . بقي أن تعلموا يا أولادي أن إخوانكم المهاجرين ظلوا في الحبشة حتى أظهر اللَّه دين الإسلام ، وقامت دولته على أرض المدينة المنورة . وذلك

---

(١) السيرة النبوية ، (ج٢ ، صـ٢٢) .

(٢) أخبار ذلك في السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، المعروفة بسيرة ابن هشام ، تحقيق د . أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي للطباعة ، (ص ١٩٧ - ٢٠٨) .

في عام فتح خيبر (المحرم سنة ٧ هجرية / ٦٢٨ ميلادية) .

بلال : معنى هذا أن النجاشي قد أسلم ؟ .

الجد : نعم يا بلال ؛ فهناك رواية تقول : « إن المهاجرين حينما دخلوا على النجاشي يستأذنونه في السفر ، حمَّلهم الهدايا ، وزودهم بالطعام وقال لجعفر : « أخبر صاحبك بما صنعت إليكم ، وهذا صاحبي معكم ، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنه رسول اللَّه وقل له يستغفر لي » ، قال جعفر : فخرجنا حتَّى أتينا المدينة ، فتلقاني رسول اللَّه ﷺ واعتنقني ، ثم قال : « **ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح ، أم بقدوم جعفر ؟** » وأخبر جعفر رسول اللَّه ﷺ بما صنع النجاشي معهم ، فقام وتوضأ ثم دعا ثلاث مرات : « **اللَّهم اغفر للنجاشي** » ، فقال المسلمون : آمين » [(١)] .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي .

الوالد : بقي أن نتساءل يا أبنائي : **ما هي الدروس المستفادة من حادثة الهجرة ؟**

أسامة : إن طريق أصحاب الدعوات المسلمين ، ليس مفروشًا بالورود وإنما هو مليء بالابتلاءات . وهذه سنة ربانية جارية ؛ يقول رب العالمين : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] .

محمود : ويسبق ذلك درس مهم وهو أن الدعوة إلى اللَّه فريضة شرعية ، وضرورة حياتية وهي أشرف الوظائف ؛ لأنها وظيفة الأنبياء والرسل وعلى رأسهم جميعًا محمد ﷺ .

أسامة : أيضًا جواز الهجرة من المكان الذي يتعرض فيه الدعاة والدعوة ، للاضطهاد - إلى دار يأمنون فيها على أنفسهم ودينهم ، ولو خالف دينُ دارِ الهجرةِ ، دينَ المهاجرين .

محمود : أيضًا الحرص على قول الصدق ، ولو يرى الإنسانُ فيه هلكته ؛ والدليل أن جعفر ﷺ أصر على بيان كلام اللَّه ﷻ في كتابه الكريم الذي يؤكد أن عيسى ﷺ عبد اللَّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، وليس إلهًا كما يزعم المشركون .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا .

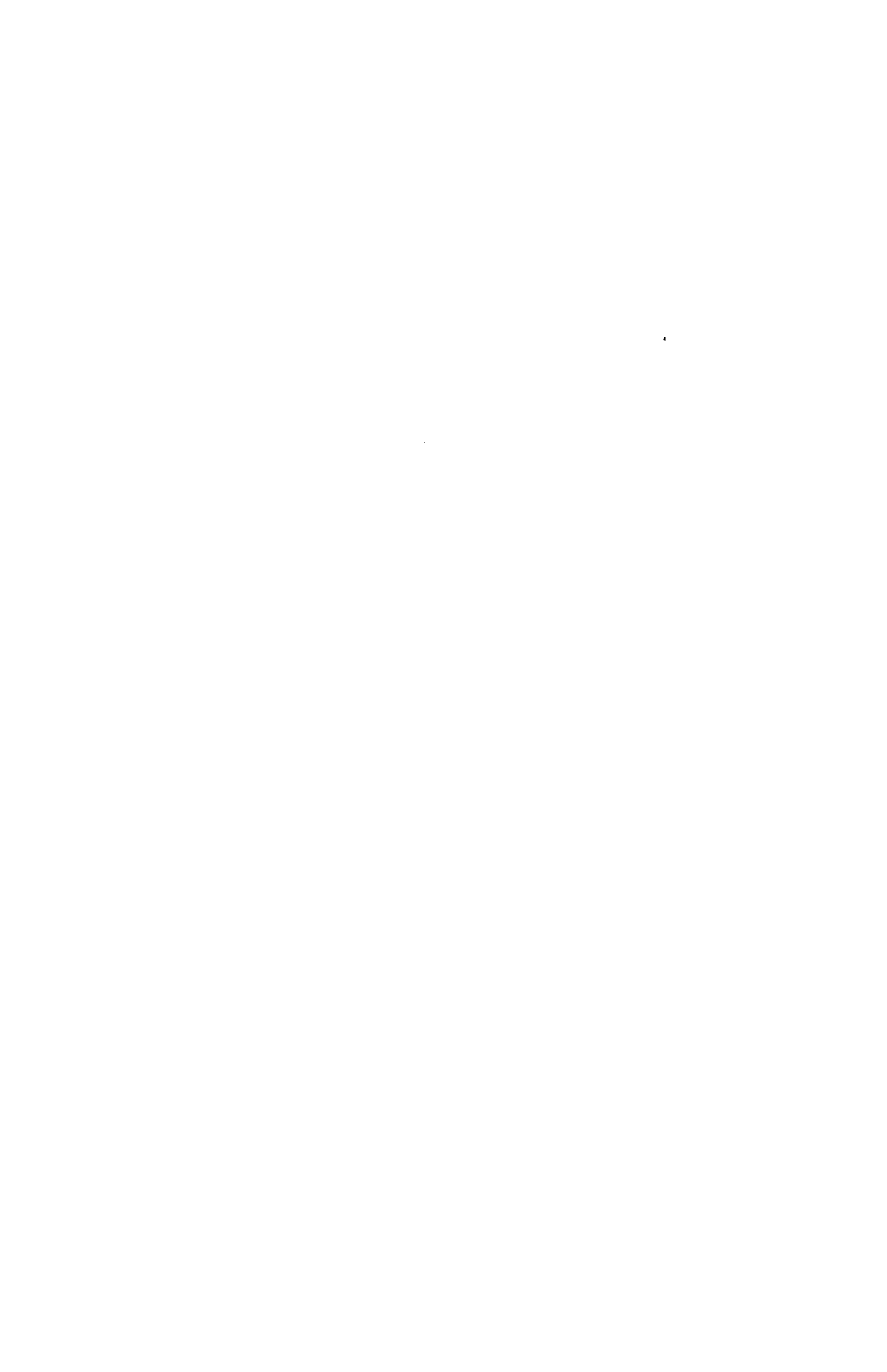
قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج ١ ، ص ٣٠) .

اختبر معلوماتك

- ما هي الأسباب التي دفعت بعض صحابة رسول اللّه ﷺ للهجرة من مكة إلى الحبشة ؟ .
- اذكر عدد الذين هاجروا إلى الحبشة مع ذكرك بعضًا من أسمائهم .
- متى وقعت الهجرة الأولى ؟ ومتى كانت الثانية ؟ وهل هذه الهجرة كانت تحت سمع وبصر قريش أم كانت خفية ؟ .
- لماذا اختاروا الحبشة بالذات ؟ ولماذا لم يهاجروا إلى مكان آخر داخل الجزيرة العربية أو خارجها ؟ .
- نزلت سورة تُجوِّز للمسلم الهجرة من دار لا يأمن فيها على دينه وعرضه - إلى دار يأمن فيها على نفسه . ما السورة ؟ وما القصة التي تعطي ذلك التوجيه ؟ .
- قصة ذي القرنين لها مدلول وتوجيه لأصحاب الدعوات . ما التوجيهات مع ذكر ملخص القصة ؟ .
- هل سورة الزمر فيها توجيه عن جواز الهجرة لأصحاب الدعوات ؟ اذكر الآية .
- كيف استقبل ملك الحبشة المسلمين ؟ .
- ماذا تعني محاولة قريش استعادة المهاجرين من الحبشة ومحاولة الوقيعة بين ملك الحبشة والمهاجرين ؟ وهل نجحت المحاولة ؟ وما هو مدلول هذه الحادثة ؟ .
- هل أدى المهاجرون ، بقيادة جعفر بن أبي طالب ، واجب الدعوة إلى اللّه ؟ وهل كتموا شيئًا من الحق الذي يعلمونه ببشرية المسيح وأمه ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟
- هل أسلم ملك الحبشة (النجاشي) ؟ وحينما توفي ، هل صلى عليه رسول اللّه ﷺ صلاة الغائب ؟ وما هو الحكم الفقهي المبني على هذه الواقعة ؟ .



اللقاء التاسع

نماذج أخرى من الابتلاءات التي تعرض لها المسلمون
مشركو العرب (قريش) يهددون باغتيال رسول الله ﷺ
ويفرضون الحصار الاقتصادي على المسلمين (المقاطعة العامة)

الوالد : أبنائي ، نعرض في هذا اللقاء لبعض الابتلاءات التي تعرض لها المسلمون وعلى رأسهم رسول اللَّه محمد ﷺ .

بعض القبائل القرشية تخاصم بني هاشم وبني عبد المطلب ، وتحاصرهم في شعب أبي طالب مدة طويلة ، وكتبوا في ذلك « صحيفة ظالمة فاجرة » .

« روي أن المشركين اشتدوا على المسلمين ، كأشد ما كانوا ، حتى بلغ المسلمون الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول اللَّه ﷺ علانية .

فلما رأى أبو طالب عمل القوم ، جمع بني عبد المطلب ، وأمرهم أن يُدْخِلوا رسول اللَّه شعبهم وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله .

فأجمع على ذلك مسلمهم ، وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا » .

يقول الحافظ ابن كثير : « فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول اللَّه ﷺ ، وأجمعوا على ذلك – اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، حتى يسلموا رسول اللَّه ﷺ للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق ، لا يقبلون من بني هاشم صلحًا أبدًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

فلبث بنو هاشم في شعبهم (ثلاث سنين) ، واشتد عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق ، فلا يتركون لهم طعامًا يقدُم مكة ، ولا بيعًا ، إلا بادروهم إليه فاشتروه[1] ، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول اللَّه ﷺ .

سمية وبلال : قاتلهم اللَّه أعداء اللَّه ! يريدون أن يبطشوا بحبيبنا وشفيعنا رسول اللَّه ﷺ الذي أكرمهم اللَّه برسالته ؛ ليستنقذهم من ظلمات الجهل والشرك ؟ أي فساد هذا

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٤) .

الذي أصاب الفطرة ؟

الجد : نعم ، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم ، أمر رسول اللَّه ﷺ فاضطجع على فراشه ؛ حتى يرى ذلك من أراد به مكرًا أو اغتيالًا له . فإذا نام الناس ، أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه ، فاضطجعوا على فراش رسول اللَّه ﷺ ، وأمر رسول اللَّه ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه [1] .

فلما « كان رأس ثلاث سنين ، تلاوم رجال من بني عبد مناف ، وبني قصي ورجال من سواهم ، من قريش ، قد ولدتهم نساء من بني هاشم ، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم ، واستخفوا بالحق ، واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه .

وبعث اللَّه على صحيفتهم الأرضة ، فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق » .

ويقال : « كانت معلقة في سقف البيت ، فلم تترك اسمًا للَّه فيها إلا لحسته ، وبقي ما كان فيها من شرك وظلم وقطيعة رحم » [2] .

أسامة : معذرة يا والدي ، تصرف أبي طالب عم النبي حرصًا على حياة النبي ﷺ - يؤكد حسه الأمني الرفيع مع الأخذ بالأسباب .

كما أن صبر المسلمين على الحصار ، وثباتهم ، وتمسكهم بالحق الذي كانوا عليه ، وشدة الحصار والتضييق - قد اقترن بالفرج الذي جاء من عند اللَّه ، والذي بدأ في اجتماع رجال من عبد مناف ، وبني قصي على فك الحصار ونقض ما تعاهدوا عليه .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

ننتقل الآن إلى بقية حادثة الحصار .

وأطلع اللَّهُ ﷻ رسولَه ، على الذي صنع بصحيفتهم ، فذكر ذلك رسولُ اللَّه ﷺ لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب ما كذبني .

فانطلق يمشي بعصابته من بني عبد المطلب ، حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش . فلما رأوهم عامدين لجماعتهم ، أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ؛ ليعطوهم رسول اللَّه ﷺ .

فتكلم أبو طالب فقال : « قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم ، فأتوا بصحيفتكم

(١ ، ٢) المرجع السابق (ص٤٤) .

التي تعاهدتم عليها فلعله يكون بيننا وبينكم صلح » .

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها .

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها ، لا يشكون أن رسول اللَّه ﷺ مدفوع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا : « قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم ، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرًا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم [١] .

محمود : جراءة منقطعة النظير على اللَّه وعلى الرسول ﷺ ؛ أبو طالب يأتي إليهم يردهم عن غيهم ، ويطلب منهم أن يرجعوا إلى الحق ، يطلبون منه أن يسلمهم ابن أخيه ؟ ! إجرام ما بعده إجرام !

الوالد : نعم ، إنهم مجرمون . وقد قال لهم أبو طالب : « إنما أتيتكم لأعطيكم أمرًا لكم فيه نصف ، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ، أن اللَّه بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ، ومحا كل اسم هو له فيها ، وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا ، وتظاهركم علينا بالظلم » .

« فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال ، فأفيقوا ، فواللَّه لا نسلمه أبدًا حتى يموت من عندنا آخرُنا ، وإن كان الذي قال باطلًا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتم » .

قالوا : قد رضينا بالذي تقول .

الأولاد : وهل رضوا فعلًا بذلك ؟

الوالد : لا تستعجلوا . لقد فتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها « فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب ، قالوا : واللَّه إن كان هذا قط إلا سحرًا من صاحبكم » .

محمود : قاتل اللَّه المشركين ، سحر ؟ ! صدق اللَّه القائل : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الروم : ٥٣] .

الوالد : نعم ، يقول الإمام الحافظ في كتابه السيرة النبوية : « فارتكسوا وعادوا بِشَرِّ ما كانوا عليه من كفرهم ، والشدة على رسول اللَّه ﷺ ، والقيام على رهطه بما تعاهدوا عليه » .

فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب : إنَّ أَوْلَى بالكذب والسحر غيرُنا ، فكيف

(١) المرجع السابق (ص٤٥ ، ٤٦) .

ترون ، فإنّا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتَنا ، أقرب إلى الجبت والسِّحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر ، لم تَفْسُد صحيفتكم وهي في أيديكم ، طَمَس ما كان فيها من اسمه (سبحانه) ، وما كان فيها من بغي تَركَه ، أفنحن السَّحرة أم أنتم ؟ » [١] .

بلال : سؤال يا جدي ، هل استمر الصف المشرك على وحدته أم أنه أصابته الفرقة ؟

الجد : قطاع منه خرج على الإجماع ، حينما ظهر له البرهان ، وإن كان لم يُسلِم . من هؤلاء : نفر من بني عبد مناف ، وبني قصي ، ورجال من قريش ، ولدتهم نساء من بني هاشم منهم : أبو البختري والمُطْعِم بن عَدِيٍّ ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة ، وزَمْعة بن الأسود وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي ، في رجال من أشرافهم ووجوههم الذين أعلنوا : نحن بَرَاء مما في هذه الصحيفة [٢] .

الأولاد : اللَّه أكبر ! نصر عبده وأعز جنده ، هذه هي عاقبة الصبر والثبات والاستمرار في حمل أمانة الدعوة إلى اللَّه .

الجد : ولكن أبا جهل - لعنه اللَّه - قال : « هذا أمر قضي بليل » .

محمود : قرأت يا والدي في سنن البيهقي ، أن قريشًا من الغيظ « عَدَوْا على من أسلم ، فأوثقوهم وآذوهم ، واشتد عليهم البلاء ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالًا شديدًا ، وأن الحصار قد اشتد على المسلمين في شعب أبي طالب ، وبلغ فيه المسلمون من فتنة الجهد الشديد ، حتى كان يُسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشِّعْب من الجوع » [٣] .

الوالد : نعم يا محمود .

واستمر الحصار يا أبنائي للمسلمين في شعب أبي طالب ، واشتد البلاء وعظمت الفتنة وزلزل المسلمون زلزالًا شديدًا ، حوالي ثلاث سنوات ، حتى جهدوا ولم يصل إليهم شيء إلا سرًّا مستخفيًا به ، من أراد صلتهم من قريش .

وقد كان أبو جهل بن هشام ، فيما يذكرون - لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول اللَّه ﷺ في الشعب ، فتعلق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ واللَّه لا تذهب أنت

---

(١) المرجع السابق (ص٤٦) .
(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٦) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٧) .

وطعامك حتى أفضحك في مكة .

فجاء أبو البَخْتري بن هشام بن الحارث بن أسد ، فقال : « ما لك وما له ؟ » .

فقال : « يحمل الطعام إلى بني هاشم » فقال له أبو البَخْتري : طعام كان لعمته عنده بعثت به إليه ، أتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خلِّ سبيل الرجل » .

قال : « فأبى أبو جهل لعنه اللَّه حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري لَحْيَ بعيرٍ فضربه به فشجَّه ووطئه وطئًا شديدًا » [1] .

سمية : الحمد للَّه ، أعتقد يا جدي أن هذه كانت بداية الفرج ، وصدق رسول اللَّه ﷺ القائل : « **واعلم أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر** » .

الجد : نعم ، الحمد للَّه .

ومع ذلك فقد واصل رسول اللَّه ﷺ الدعوة إلى اللَّه ليلًا ونهارًا ، وقيض اللَّه لنصرته عمه أبا طالب وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب ؛ ولهذا لم يجرؤ الأعداء على قتل الرسول ﷺ ، ولهذا لجئوا إلى أسلوب السخرية والاستهزاء به وبدينه ﷺ ، ونزل القرآن من السماء يسجل هذه المواقف ، ويتوعد المحاربين لدين الإسلام [2] .

لقد أُنزل قرآن يندد بأبي لهب وأمية بن خلف : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة : ١ - ٩] .

وحينما قال أبو جهل بن هشام للنبي ﷺ : « لتتركن سب آلهتنا أو لنسبَّن إلهك الذي تعبد » - نزل قول اللَّه تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

أحمد : ماذا فعل المسلمون بقيادة رسول اللَّه ﷺ لمواجهة هذه الابتلاءات ؟

الأب : الرضا بالقضاء ؛ لأنهم كانوا يؤمنون بقول اللَّه تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] ، وقول

---

(١) المرجع السابق ، (ص٥٠) .

(٢) المرجع السابق ، (ص٥١) .

النبي محمد ﷺ : « **واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك** » (١) .

● **الصبر** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٣] .

● **الثبات والذكر** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

● **قيام الليل وقراءة القرآن والدعاء** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

ولقول اللَّه تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] .

ولقول اللَّه تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

ولقول الرسول ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم** » (٢) .

● **الاستمرار في حمل أمانة الدعوة إلى اللَّه ، والقيام بالفرائض مع الثقة في نصر اللَّه لدين الإسلام وأهله** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف : ٨- ٩] .

ولقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

● **تحرير النية** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

● **مع استحضار نية الشهادة في سبيل اللَّه** ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة : ٥٢] .

---

(١) الحديث رواه الترمذي .

(٢) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

ولقد آتت هذه السياسة ، بفضل الله ، أكلها ، فانهارت المقاطعة ، التي استمرت حوالي ثلاث سنوات ، وخرج المسلمون من هذا الامتحان منتصرين .

محمود : لكن هل توقف رسول الله ﷺ وأصحابه عن الدعوة في هذه الفترة ؟

الوالد : لا يا محمود ، لقد استمر الرسول محمد ﷺ وإخوانه - كما قلنا - يدعون إلى الله ، ويختارون العناصر الجيدة ، ويقومون على تربيتهم على كتاب الله ، وعلى سنة النبي محمد ﷺ .

فالنبي والصحابة لم يكونوا يملكون التوقف ، بسبب ما يردده قليلو العلم : إنهم أصبحوا ورقة محروقة ، على العكس ، لقد ازداد إصرار المسلمين على نصرة دين الله ﷻ .

أحمد : لقد قرأت يا والدي في كتب السيرة أنه مع خروج المسلمين من مرحلة الحصار منتصرين وقعت حادثتان كانتا لهما أبلغ الأثر في مسيرة الدعوة إلى الله ﷻ .

الوالد : الحقيقة يا أحمد أن الحادثتين اللتين كانتا لهما أثرٌ في حياة النبي ﷺ وأصحابه هما : موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها [(١)] ؛ فقد مات أبو طالب بعد أن اشتد عليه المرض في الشعب . وكان ذلك في شهر رجب من السنة العاشرة من البعثة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر ، وبعدها توفيت الزوجة الحبيبة لرسول الله ﷺ وهي خديجة رضي الله عنها ، ولها من العمر خمس وستون سنة ، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره ، لقد سمي ذلك العام العاشر بعام الحزن .

أحمد : رضي الله عن خديجة ، وخفف الله عن أبي طالب جزاء نصرته لرسول الله .

أسامة : أودُّ يا والدي أن نستفيد بما كتبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ؛ فقد ذكر كلامًا طيبًا في هذا الشأن تعليقًا على وفاة أبي طالب ، فقال : « لا حاجة لبيان ما كان عليه أبو طالب من الحياطة والمنع فقد كان الحصن الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية ، من هجمات الكبراء والسفهاء ، ولكنه بقي على ملة الأشياخ من أجداده ، فلم يفلح كل الفلاح .

ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب ، قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « **هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** » [(٢)] .

وعلق الشيخ صفي الرحمن على وفاة خديجة رضي الله عنها : « إن خديجة كانت من

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ص ١٢٢ - ١٣٢) .

(٢) رواه البخاري ومسلم ، الرحيق المختوم (ص١٣٦ - ١٣٩) ، السيرة النبوية ابن كثير ، (ج٢ ، ص١٢٧ - ١٢٨) .

نعم اللَّه الجليلة على رسول اللَّه ﷺ ، بقيت معه ربع قرن تَحِنُّ عليه ساعة قلقه ، وتؤازره في أحرج أوقاته ، وتعينه على إبلاغ رسالته ، وتشاركه في مغارم الجهاد المر ، وتواسيه بنفسها ومالها » .

يقول رسول اللَّه ﷺ : « **آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني اللَّه ولدها إذ حرمني أولاد النساء** » (رواه أحمد) . وفي الصحيح عن أبي هريرة ، قال : « أتى جبريل عليه السلام فقال : يا رسول اللَّه هذه خديجة ، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك ، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قَصب ، لا صَخب فيه ولا نصب » [1] . (البخاري باب تزويج خديجة وقصتها) .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، وجزى الشيخ صفي الرحمن عن المسلمين خير الجزاء .

أحمد : لقد تراكمت الأحزان على النبي ﷺ ، إذَن يا والدي ، لولا فضل اللَّه ، ما واصل النبي ﷺ مسيرته ؛ لأن وفاة خديجة رضي الله عنها ، ووفاة أبي طالب ، جرأت عليه الكافرين ، فكاشفوا النبي ﷺ بالنكال والأذى فازداد النبي ﷺ غمًا على غم ، حتى يئس من أهل مكة ، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته ، أو يؤووه وينصروه على قومه - فلم ير من يؤوي ، ولم ير ناصرًا ، وآذوه مع ذلك أشد الأذى ، ونالوا منه ما لم ينله قومه .

بلال : لو أذنت لي يا جدي ، هل كان الإيذاء قاصرًا على النبي ﷺ فقط ؟ .

الوالد : لا يا بلال ، فقد تعرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه للإيذاء .

لقد تعرض أبو بكر الصديق لابتلاءات . ومن أجل ذلك قرر ترك مكة والهجرة إلى مكان يستطيع أن يباشر فيه شعائر دينه دون مضايقة .

وخرج فعلًا مهاجرًا نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغ بَرْك الغِماد (موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر) لقيه ابن الدَّغِنَّة وهو سيد القارة (قبيلة تشتهر بالرمي) فقال : « أين تريد يا أبا بكر ؟ » .

فقال أبو بكر : « أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي » . فقال ابن الدغنة : « فإن مثلك لا يَخْرج ولا يُخرج مثله ؛ إنك تكسب المعدوم ، وتصل

(١) الرحيق المختوم (ص١٣٧ - ١٣٨) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص١٣٢ - ١٣٥) .

الرحم وتحمل الكَلَّ ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وأنا لك جار فارجع يا أبا بكر فاعبد ربك ببلدك » .

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنة ، وقبلت قريش بنزوله في جوار ابن الدغنة بشرط : « مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره ويصلي فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ؛ فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا » .

بلال : سبحان اللَّه ! كفار قريش لا يطيقون سماع القرآن ، ولا يسمحون لأولادهم ، ولا لنسائهم ، بالاستماع إليه ؛ خشية عليهم من الهداية إلى الإسلام ! إنها الفطرة التي فسدت ، إنَّه الكبر الذي أخرج الشيطان من الجنة إلى النار .

الوالد : تمامًا يا بلال ولبث أبو بكر يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن في صلاته ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدًا بفناء دراه ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيتدافع نساء المشركين ، وأبناؤهم ، يسمعون منه ، ويعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلًا بكاءً ، لا يملك عينه إذا قرأ القرآن ؛ ففزع أشراف قريش من المشركين فكلموا ابن الدغنة : « إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره ، فأعلن الصلاة والقراءة فيه وإنَّا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا ، فانهه ، فإن أحب أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك » .

واستجاب ابن الدغنة لطلب قريش . وجاء الرد من أبي بكر : « فإني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار ربي ﷻ » [1] .

أسامة : اللَّه أكبر ، إنَّها الثقة في اللَّه واليقين بأن الأجل والنفع والضر بيد اللَّه ، وأن الابتلاء هو زكاة الدعوة إلى اللَّه ، الذي اشترى من المؤمن نفسه وماله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

بلال : هناك صحابي يا جدي لا أذكر اسمه اعتبر أن غُدُوَّه وَرَوَاحهُ في جوار رجل مشرك ، وأصحاب محمد ﷺ وأهل دينه يلقون من البلاء والأذى في اللَّه ، مما لا يصيبه لنقص كبير في نفسه من هو يا جدي ؟ وماذا فعل نتيجة هذا الفهم ؟

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ص٦٣ - ٦٦) .

الوالد : إنه يا بلال عثمان بن مظعون ﷺ الذي رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في جوار الوليد بن المغيرة ، نقصًا في دينه .. فمشى إلى الوليد بن المغيرة ، فقال له : « يا أبا عبد شمس وفَّت ذمتُك ، وقد رددت إليك جوارك » ، قال : « لِمَ يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ » قال : « لا ، ولكني أرضى بجوار ربي ﷻ ولا أريد أن أستجير بغيره » .

قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليَّ علانية كما أجرتُكَ علانية .

قال : فانطلقا ، فخرجا ، حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد بن المغيرة : « هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري » .

قال : صدق وقد وجدته وفيًا كريم الجوار ، ولكني أحببت ألَّا أستجير بغير اللّه فقد رددت عليه جواره .

وفي الطريق تحرش مشرك من كفار قريش بعثمان ﷺ وقال : « إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا » .

فرد عليه عثمان ﷺ حتى استشرى أمرُهما ، فقام الرجل إلى عثمان ، ولطم عينه فخضرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ﷺ ، فقال : « أما واللّه يا ابن أخي ، إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت في ذمة منيعة » .

فرد عليه عثمان ﷺ : « بل واللّه إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في اللّه ، وإنِّي لفي جوار من هو أعز منك وأقدر ، يا أبا عبد شمس » (١) .

بلال : جزاك اللّه خيرًا يا جدي .

أسامة : معذرة يا أبتي ، أليس في ذلك دليل على أن الصحابة ﷺ كانوا يعتبرون أن الابتلاء سنة جارية ، وأنه إذا أصاب العبد ابتلاء ، فإنه من علامات الصدق مع اللّه ﷻ .

الأب : نعم يا بني ، فاللّه ﷻ يقول : ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١، ٢] بارك اللّه عليك يا بني .

محمود : معذرة يا أبي لقد ذُكر أن أُبَيَّ بن خلف ، حين قال لعقبة بن أبي معيط : « ألم يبلغني أنك جالست محمدًا وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرام ، إلا أن تتفل في وجهه » ، ففعل ذلك عدو اللّه عقبة لعنه اللّه ، فأنزل اللّه : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ص٦٠ - ٦١) .

يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ [الفرقان : ٢٧، ٢٨] .

أحمد : وأيضًا يا والدي إن أُبَـيَّ بن خلف أمسك بعظم بال قد أرمَّ فقال : « يا محمد أنت تزعم أن اللَّه يبعث هذا ، بعد ما أرمَّ ؟ » ثم فته بيده ، ثم نفخه في الريح ، نحو رسول اللَّه ﷺ ، فقال : « **نعم أنا أقول ذلك ، يبعثه اللَّه وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك النار** » . وأنزل اللَّه تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ [يس : ٧٨] .

محمد : وقرأت أيضًا أن أبا جهل حينما سمع عن شجرة الزقوم ، قال : « أتدرون ما الزقوم ؟ هو تمر يضرب بالزبد !! » ثم قال : « هَلُمَّ فلنتزَقَّم .. » فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴾ [الدخان : ٤٣، ٤٥] .

إيمان : لو أذنت لي يا أبي ، هل هذه الأحداث أصابت النبي ﷺ أو أحدًا من أصحابه بالفتور ، فقعدوا عن القيام بما فرضه اللَّه عليهم ، أي فرض (الدعوة الإسلامية) ؟

الوالد : الحقيقة أن الأحداث التي وقعت للمسلمين ، لم تزدهم إلا قوة وثباتًا على طريق أصحاب الدعوات ، بل كانت دافعًا لهم لمواصلة الجهد بالليل والنهار ؛ للقيام بفرض اللَّه عليهم ، وذلك مرجعه إلى أسباب عديدة منها :

أولًا : أنهم قد عرفوا قدر هذا الإله العظيم العليم الحكيم الخبير اللطيف المغيث ، الذي حَمَّلهم أمانة التكليف ، وكلما عرف الإنسان ربَّه ، ازداد تعلقًا به ، وعَبَدَهُ كما ينبغي ، وأقبل على عبادته بهمة ونشاط ؛ خوفًا من ناره وطمعًا في جنته وأملًا في رؤيته ﷻ في الجنة . يقول رسولنا محمد ﷺ : « **واللَّه وإن أعرفكم باللَّه لأنا وإن أتقاكم للَّه لأنا** » .

ولذلك كان الصحابة يتمنون لقاء اللَّه ويبذلون الغالي والرخيص في سبيل اللَّه .

والدليل أن صحابيًّا هو عمير بن الحُمَام في معركة بدر (٢ هـ) قال : بيني وبين أن أدخل الجنة ، أن أقاتل فيقتلني أحد هؤلاء ؟ إنه لعمر طويل أن أنتظر حتى آكل هذه التمرات ، ويلقي التمرات وينطلق للجهاد ويُغَنِّمه اللَّه الشهادة .

ثانيًا : أنهم آمنوا باليوم الآخر ، يوم الجزاء ، آمنوا بالجنة والنار ؛ فها هو صحابي جليل هو عبد اللَّه بن رواحة يوم مؤتة (٨ هـ) ، يقول : يا إخواني علام تشاورون النبي ﷺ ؟ إنَّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل عدونا

بعدد ولا عدة ، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما نصر وإما شهادة .

ثالثًا : أنهم كانوا يؤمنون بقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌۢ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤] ، وتوجيه النبي ﷺ : للشهيد عند ربه ست خصال منها : يغفر له مع أول دفعة من دمه ، ويؤمَّن من فتنة القبر ، ويُلبس تاج الكرامة الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها وَيُشَفَّع في أربعين من أهل بيته ويزوج بالحور العين ، في جنة يقول اللَّه تعالى عنها : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٩- ٣٨] .

رابعًا : أنَّهم كانوا يعيشون على الأرض وهم يرون اللَّه ويرنون بأبصارهم إلى الجنة وإلى النعيم المقيم .

سأل رسول اللَّه ﷺ الحارث بن مالك الأنصاري : « **كيف أصبحت يا حارث ؟** » فقال الحارث : أصبحت مؤمنًا حقًّا ، قال : « **انظر ما تقول ؛ فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟** » فقال : « عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأنِّي أنظر إلى عرش ربي بارزًا ، وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنِّي أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها » فقال : « **يا حارث عرفت فالزم** » (ثلاثًا) [١] .

إذن ، الذي يعرف أن اللَّه حق ، وأن اليوم الآخر حق ، وأن النار حق ، وأن الجنة حق - لا يمكن أن يصيبه الفتور ، أو يقعد عن نصرة دين اللَّه ﷻ ؛ لأن القعود عن نصرة دين اللَّه من صفات المنافقين .

وهناك أسباب أخرى تمنع الإنسان من القعود أو الفتور وهي :

(أ) شخصية الرسول ﷺ النبي القائد ، وما اتصفت به ، وما جبلت عليه ، ورغبة المسلم أن لا يحرم من شفاعته وصحبته في الجنة .

لقد وثق المسلمون في قيادة النبي ﷺ ، وتعلموا منه الصبر والثبات على الابتلاء ، تعلموا منه كيف يتعبدون إلى اللَّه رب العالمين ، تعلموا منه الصدق والأمانة والعفة والطهارة ، تعلموا منه معنى التضحية والجهاد بالنفس والمال ، تعلموا منه كيف يقومون بفرض اللَّه .

(ب) إيمان الصحابة بأن النكوص عن البيعة التي أعطوها للَّه ولرسوله بنصرة

---

(١) أخرجه الحافظ الطبراني عن الحارث بن مالك الأنصاري .

الدين النكوص عن القيام بواجب الدعوة إلى اللّه وغيرها من الفرائض - يؤدي بالمسلم إلى النفاق بل وقد يؤدي به إلى سنّة الاستبدال ؛ لقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

(ج) القرآن الكريم ، ليس كالقرآن وسيلة في التربية والتثبيت ؛ لقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] ، يقول ﷺ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

لهذا أقبل المسلمون على القرآن ، لا يشبعون منه ، عرف المسلمون ربهم ، عرفوا الملائكة ، عرفوا الأنبياء والرسل ، عرفوا الجنة والنار ، عرفوا كل شيء في هذا القرآن ، وتعرفوا على تاريخ الدعوة الإسلامية وطبيعة الطريق ... عرفوا : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٤] .

في هذا القرآن الكريم تعلم المسلمون أن المستقبل لهذا الإسلام ؛ لقول اللّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات ١٧١- ١٧٧] .

إيمان : جزاك اللّه خيرًا يا أبي ، ولو سمحت لي بتلخيص ما استنبطت من حديثك فيما يتصل بعلاج داء الفتور ، الذي فشا في صفوف العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ؟

الوالد : تفضلي .

إيمان : دراسة رسالة في العقائد الإسلامية وملحقاتها ، يعرف من خلالها الفرد ربه وخالقه سبحانه ونبيه محمدًا ﷺ ودينه وقرآنه ، ولا بد أن يقترن ذلك بالطاعات وبالعبادات ، وصلاة الفرائض في المسجد ، في جماعة ، خاصة صلاة الفجر وصلاة العصر ؛ فمن صلى الفجر أصبح في ذمة اللّه ، ومن ترك صلاة العصر فقد حبط عمله . وذلك بالإضافة إلى صيام الفريضة ، والتطوع وخاصة الإثنين والخميس ؛ ففيهما ترفع الأعمال ، ولله يوم الخميس عتقاء من النار ، وغير ذلك من أعمال البر ، مثل : تقديم

العون للدعاة والمجاهدين الذين يسعون لنصرة دين الإسلام ، وأمة الإسلام ، وبر الوالدين وصلة الأرحام .

الوالد : أبنائي وبناتي ، الآن جاء دور الأستاذة الدكتورة أم محمد ؛ لتختبر مدى تحصيلكم لأحداث السيرة النبوية .

الوالدة : هو في الحقيقة ليس اختبارًا ، إنما هو محاولة التركيز وتوجيه الاهتمام إلى جوانب معينة من أحداث السيرة النبوية .

● عرض لنا القرآن الكريم ، نماذج لمحاولات عدة لقتل الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ ظنًّا من المجرمين أنهم بذلك يقضون على الدعوة الإسلامية ، وذلك بعد بعثة النبي محمد ﷺ . اذكر ثلاثة نماذج . وما هي الآية الدالة على أن كفار مكة مكروا بالنبي ﷺ وحاولوا قتله ؟ .

● مع بداية البعثة المحمدية قال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه محمد ﷺ : « لتكذبنَّه ولتؤذينَّه ولتقاتلنَّه ولتخرجنَّه » ألا تتفقون معي أن أطوار الدعوة التي مرت بها في مكة تؤكد صحة هذه النصيحة ؟ مثِّل لذلك من المواقف التي تعرض لها الرسول ﷺ .

● كانت المقاطعة الاقتصادية للمسلمين ، وهم محصورون في شعب أبي طالب ، قاسية . عَدِّد مظاهر هذه القسوة . كيف واجهها المسلمون ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟

● رغم أن النبي ﷺ ، صاحب الدعوة ، محفوظ بحفظ اللَّه - فإن الأخذ بالأسباب والحيطة والحذر مطلوبة لحماية صاحب الدعوة . كيف كان أبو طالب يأخذ بهذه الأسباب ؟ .

● ما الدليل على أن اللَّه ﷻ هو الذي يدير المعركة من فوق سبع سموات ، بين كفار مكة ، وحملة الدعوة الإسلامية بقيادة محمد ﷺ ؟ .

● ما معنى أن طريق أصحاب الدعوة ليس مفروشًا بالورود ؟ وما معنى الصبر والثبات لمن يسلكون هذا الطريق ؟ وهل كانت له جوانب إيجابية ؟ .

● هل فاء المشركون إلى الحق وأسلموا للَّه رب العالمين ، بعد أن اتضح صدق أبي طالب ، فيما يتصل بما حدث لصحيفة المقاطعة ؟ ما هي الأسباب في رأيك لعدم الانصياع للحق والرجوع عن الغي ؟ .

● بعد الخروج من شعب أبي طالب ، وفشل الحصار الاقتصادي ، وقعت مصيبتان للنبي ﷺ في عام سمي عام الحزن ، اذكرهما . وكيف واجه النبي ﷺ هاتين المصيبتين ؟ .

- اذكر نموذجًا من الابتلاءات التي تعرض لها الصحابي أبو بكر ﷺ . وما الدروس المستفادة ؟ .
- كان الصحابة يستعذبون الابتلاء في سبيل اللّه وكانوا يعتبرونه من علامات الصدق مع اللّه اذكر واحدًا منهم ، وقصته في هذا المجال .
- جَهْلُ المشركين باللّه واليوم الآخر ، حملهم على الاستهزاء باللّه وبالرسول ﷺ وباليوم الآخر . اذكر نموذجًا لهؤلاء .
- هل الأحداث والابتلاءات التي وقعت للصحابة ﷺ ، قعدت بهم عن نصرة دين الإسلام والقيام بفرض اللّه عليهم ؟ .
- كيف يعالج أصحاب الدعوات مرض الفتور إذا أصابهم وهم في الطريق ؟ .

اللقاء العاشر

رسول الله محمد ﷺ يدعو أهل الطائف والقبائل خارج مكة إلى الإسلام

الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

الوالد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأولاد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، كيف حالك يا جدنا ؟

الوالد : الحمد لله بخير ، وكيف حالكم أنتم ؟

الأولاد : نحن جميعًا بخير طالما أنت بخير .

الوالد : أبنائي وبناتي وإخواني وأحفادي ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ وبعد ،

فهذا لقاؤنا العاشر نعرض فيه :

أولًا : رحلة رسول الله ﷺ إلى الطائف يدعو القبائل والأفراد إلى الإسلام .

ثانيًا : الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عروجه من هناك إلى السموات العلى .

أبنائي لقد وصلت الدعوة في مكة بعد وفاة أبي طالب ، الذي كان ينصر رسول الله محمدًا ﷺ ، وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها ، التي كانت تواسي رسول الله ﷺ بنفسها ومالها إلى طريق مسدود ، وكان النبي ﷺ (يطوف) بشوارع مكة ، وفي الأسواق مناديًا : « **من ينصرني حتى أبلغ دعوة ربي ؟ من يحميني حتى أُبلِّغ دعوة ربي وله الجنة ؟** » ، فلا يجد أحدًا ... غربة شديدة ما بعدها غربة .

محمود : ماذا فعل المسلمون في ظل هذه الظروف ؟ هل توقفوا عن الدعوة إلى الله والعمل لتنفيذ أمر الله ؟ .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

الوالد : مستحيل أن تتوقف الدعوة ؛ لأن رسول الله ﷺ مطالب بأداء واجب

البلاغ ، يقول ربنا رب العالمين : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

كل ما فعله رسول اللَّه ﷺ أنه انطلق إلى الطائف [١] (على بعد ستين ميلًا من مكة) ، لأداء واجب البلاغ ؛ لعله يجد من يتجاوب مع دعوته ، وذلك في شوال سنة عشر من النبوة (أواخر مايو ٦١٩م) .

ذهب سائرًا على أقدامه ، وفي رفقته مولاه زيد بن حارثة . وفي الطريق لم يترك قبيلة إلا دعاها إلى الإسلام ، وأقام رسول اللَّه ﷺ بين ظهراني أهل الطائف عشرة أيام ، « لا يدع أحدًا من أشرافهم ، إلا جاءه وكلمه ، وبدأ بثلاثة إخوة من أشراف ثقيف ، وهم عبد يَالِيل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي ، فجلس إليهم ودعاهم إلى اللَّه وإلى نصرة الإسلام ، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها) إن كان اللَّه أرسلك ، وقال الآخر : أما وجد اللَّه أحدًا أرسله غيرك ، وقال الثالث : واللَّه لا أكلمك أبدًا لئن إن كنت رسولًا من اللَّه كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على اللَّه ما ينبغي لي أن أكلمك » فقام عنهم رسول اللَّه وقد طلب منهم أن يكتموا عنه [٢] .

بلال : صدق اللَّه القائل : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل : ٨١] .

ألم يكن فيهم عاقل واحد يدرك أن دعوة اللَّه حق ؟ ! جزاك اللَّه عن الإسلام خيرًا يا رسول اللَّه ، وعلى صبرك على المكذبين .

سمية : هل واصل النبي دعوته في الطائف ، رغم هذه البداية السيئة يا جدي ورفض الناس دعوة الإسلام ؟ .

الجد : النبي ﷺ ما عرف اليأس ، بل واصل دعوته ، رغم أن الاستجابة – بلغة الأرقام – كانت صغيرة . لقد قال أهل الطائف للرسول ﷺ : « اخرج من بلادنا » ، وأغروا به سفهاءهم ، فلما أراد النبي ﷺ الخروج ، تبعه سفهاؤُهم وعبيدهُم ، يسبُّونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وجعلوا يسبُّونه ويرمُونه بالحجارة ، حتى اختضب نعلاه بالدماء ، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى أصابه شُجَاج في رأسه ، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، على ثلاثة

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص١٤٩) . (٢) المرجع السابق ، (ص١٤٩ – ١٥٠) .

أميال من الطائف ، وأتى رسول اللّه إلى حَبَلَةٍ من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار . فلما جلس إليه واطمأن ، دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنًا مما لقي من الشدة ، وأَسَفًا على أنه لم يؤمن به أحد قال : « **اللّهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليَّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول – ولا قوة إلا باللّه** » [1] .

الأبناء : يا حبيبنا يا رسول اللّه ﷺ . لا حول ولا قوة إلا باللّه ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، حامل لواء الشفاعة يوم القيامة ، صاحب الوسيلة والفضيلة ، يهان على هذا النحو ؟ يا حسرة على العباد ! الأمة تحاول البطش بالطبيب المعالج ! ولكن ماذا فعل الرسول ﷺ وزيد بن حارثة ؟

الأب : كما قلنا يا أبنائي ، إن الابتلاء سنة جارية لقول اللّه تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

والرسول محمد ﷺ صبر واحتسب وواصل مهمته ، وهي الدعوة إلى اللّه ﷻ ؛ لأنه يؤمن باللّه واليوم الآخر ، وأنه سيأتي اليوم الذي يقتص اللّه له فيه ممن ظلمه وحارب دعوته .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، لقد قرأت أن عتبة بن ربيعة وأخاه شيبة ، عطفا على الرسول ﷺ وأرسلا له قطفًا من عنب ، رغم أنهما رفضا دعوته .

الوالد : نعم يا أسامة ، لقد تحركت للنبي ﷺ رحمهما ، فدعوا غلامًا نصرانيًّا يقال له : عداس ، وقالا له : خذ قطفًا من عنب ، واذهب به إلى هذا الرجل ، فلما وضعه بين يدي رسول اللّه ﷺ ، مد يده إليه قائلًا : « **بسم اللّه** » ثم أكل !

فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ؟ ؟

بلال : ما المقصود بالكلام يا جدي ؟

الوالد : التسمية عند بدء الطعام فسأله رسول اللّه ﷺ : « **من أي البلاد أنت يا**

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص١٥٠ – ١٥٢) .

عداس ؟ وما دينك ؟ » .

قال عداس : أنا نصراني من أهل نَينَوى (بلاد الرافدين) ، فقال رسول الله : « **من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟** » قال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ » قال رسول الله ﷺ : « **ذاك أخي كان نبيًا وأنا نبيٌّ** » فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها .. [1] .

سلمان : الله أكبر ، ولكن يا جدي أنَّى لرسول الله بأخبار يونس عليه السلام ؟

الجد : من القرآن الكريم ، قول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] . وذلك بالإضافة إلى سور أخرى بالقرآن الكريم .

سلمان : وهل ذلك يعني أن عداسًا قد أسلم ؟ ولا شك أن ذلك أثار حفيظة ابني ربيعة شيبة وأخيه .

الوالد : تمامًا يا سلمان فقد قال ابنا ربيعة أحدهما للآخر : **أمَّا غلامك فقد** أفسده عليك . فلما جاء عداس قالا له : ويحك ! ما هذا ؟

قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل - يقصد محمدًا ﷺ - لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي . قالا له : « ويحك يا عداس ! لا يصرفنك عن دينك [2] ؛ فإن دينك خير من دينه » ، ولقد علم أن دين محمد ﷺ (الإسلام) خير الأديان .

إيمان : ماذا فعل النبي ﷺ ، وزيد بن حارثة ، بعد هذه الواقعة ؟

الوالد : رجع رسول الله ، في طريق مكة مَحْزُونًا ، كَسِير القَلْب ، كَئِيبًا وضجَّت السموات والأرض والملائكة ، وفوق ذلك غضب رب العالمين القائل في الحديث القدسي : « من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب » ، فبعث الله جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال ، إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقرن المنازل ، يعلمه أن الله قد فوض ملك الجبال في تنفيذ ما يراه محمد ﷺ ، أن يطبق الأخشبين (جبلين) على أهل مكة [3] .

محمود : تصديقًا لكلامك يا والدي ، فقد قرأت في صحيح البخاري تفصيل القصة عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما : أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي ﷺ : « **هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟** » قال : « **ما لقيت من قومك كان أشدَّ منه يوم**

---

(١) المرجع السابق ، (ص١٥٠ - ١٥١) . (٢) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص١٥١) .

(٣) المرجع السابق ،(ص١٥٢ - ١٥٣) .

العقبة ؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ؛ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب (وهو المسمى بقرن المنازل) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني ، فقال : قد بعثني الله ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال قد بعثني إليك ربك ؛ لتأمرني ما شئت . ملك الجبال ، لتأمره بما شئت فيهم ثمَّ ناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ، ثم قال : يا محمد إن شئت أن نُطَبق عليهم الأخشبين » : « والأخشبان : هما جبلا مكة ، أبو قبيس ، والذي يقابله وهو قيقعان » .

فقال رسول الله ﷺ : « **أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ لا يشرك به شيئًا** » [1] .

بلال : معانٍ جميلة يا جدي ودروس كثيرة ؛ فالله ﷻ من فوق سبع سموات ، يسمع ويرى ، ويدير المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل ، ويحفظ دعاته ، ويرعاهم برعايته ؛ ففي اللحظة ، التي كان فيها رسول الله ﷺ كسير الخاطر ، تنزل الملائكة بأمر الله تطمئنه وتضع نفسها في وضع الاستعداد ، لتنفيذ ما يأمر به ، ولو كان الأمر إطباق الجبلين على أهل مكة .

وتأتي الإجابة من الرسول قمة في العفو ، وتفويض الأمر للإرادة العليا : « **أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله ﷻ لا يشرك به شيئًا** » .

سلمان : الحقيقة خلق رفيع يا جدي من رسول الله ﷺ . لو كُنَّا مكانه ، كان يمكن أن نقول : الآن يا ملك الموت دمر عليهم ، ولكن الرسول محمدًا ﷺ كان قمة في العفو .

الوالد : إنها النبوة يا سلمان ، نبوة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، صاحب الخلق الرفيع .

أسامة : قرأت في تفسير سورة الأحقاف وسورة الجن ، أن الجن استمعوا لقراءة النبي محمد للقرآن وهو في طريق العودة فأسلمت طائفة منهم ، فما حقيقة الخبر يا والدي ؟ .

الوالد : عندما تقدم رسول الله في طريق مكة حتى بلغ وادي نخلة ، أقام فيه أيامًا . وخلال إقامته بعث الله ﷻ إلى محمد ﷺ نفرًا من الجن يستمعون القرآن . وقد ذكر ذلك رب العالمين : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ

(١) المرجع السابق .

بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩- ٣١].

كما ورد الخبر أيضًا في سورة الجن: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١- ١٥].

بلال: هل شاهد النبي ﷺ الجن يا جدي؟

الجد: لم يرهم؛ فالله يقول: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ولكن الله ﷻ هو الذي أخبر النبي ﷺ بالخبر، وأعلمه أن النفر الذين حضروا من الجن، أسلموا لله رب العالمين، وهذه بشرى للنبي ﷺ، ونصرٌ أيده الله به من كنز غيبه المكنون بجنوده التي لا يعلمها إلا هو.

أسامة: جزاك الله خيرًا يا والدي، لقد قرأت أيضًا أن الآيات التي نزلت في هذه المناسبة كانت تحمل في طياتها بشارات بنجاح دعوة النبي ﷺ، وأن أية قوة لن تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ [الجن: ١٢].

سلمان: مما لا شك فيه يا جدي، أن استماع الجن وإسلامهم وبشارات القرآن بالنصر، رفعت من معنويات النبي محمد ﷺ؟

الجد: نعم يا سلمان، وقد ذكرت كتب السيرة أن الأمل قد دب في نفس النبي ﷺ

وصمم على العودة إلى مكة واستئناف نشر الدعوة ، وحينئذ قال له زيد بن حارثة : « كيف تدخل على قومك مكة وقد أخرجوك ؟ » .

فرد النبي ﷺ : « **يا زيد إن اللَّه جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا ، وإن اللَّه ناصر دينه ومظهر نبيه** » .

سمية : ولكن يا جدي هل سمحت قريش للنبي ﷺ أن يدخل مكة ؟

الوالد : نعم يا سمية بعد أن قبل الْمُطْعِم بن عَدِيٍّ أن يجير محمدًا ﷺ ، وأعلن ذلك على الملأ من قريش ، وقام بحماية رسول اللَّه ، وهو يطوف بالبيت العتيق طواف التحية ، ومعه زيد بن حارثة ، بل إن المطعم قام هو وأولاده على حماية رسول اللَّه ﷺ حتى دخل بيته .

سمية : ولكن هل قبل أبو جهل ذلك ؟

الوالد : نعم يا سمية ؛ فقد سأل أبو جهل مطعمًا : أمجير أنت أم متابع (مسلم) ؟ قال : بل مُجِيْر ، قال أبو جهل : قد أجرنا من أجرت [1] .

سمية : صدق رسول اللَّه ﷺ الذي قال لزيد : « **إن اللَّه جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا** » . وهذا يعلمني يا جدي « أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر » كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

الوالد : فعلًا يا سمية ؛ لأن بعد رحلة الطائف ورفض أهلها الإسلام جاء الفرج كما سنرى في اللقاء القادم .

أسامة : تقصد يا والدي إسلام شباب من أهل يثرب حينما التقى بهم رسول اللَّه ﷺ في موسم الحج ؟

الوالد : نعم وهذا ما سنعرض له في اللقاء القادم إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

أم محمد : معذرة ، قبل أن نختم رحلة الطائف نحتاج إلى وقفة على رءوس العظات والعبر .

ومنها : العداء الشديد الذي يُكِنُّه أصحاب العقائد الفاسدة ، لرسول اللَّه ﷺ وإخوانه ودعوته ، وأن هذا العداء تمثل في التشكيك في بعثة محمد ﷺ ، وأيضًا الإيذاء البدني ؛

---

(١) المرجع السابق (ص١٥٣ - ١٥٤) .

كان في الإمكان - وهذا ما يُحَتِّمه ، لا أقول الخلق الإسلامي الرفيع ، إنما أي خلق - أن يرفضوا الدخول في الإسلام ، ويردوه ردًّا جميلًا ، أمَّا أن يغروا به سفهاءهم ، وصبيانهم ليضربوه بالحجارة ، ويدموا رأسه وقدميه ؛ فهذا دليل على فساد الفطرة والذوق والخلق .

المسألة الثانية : هي المعنويات المرتفعة ، والثبات ، والتجرد ، والإخلاص ، الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ .

ما الذي دفعه للذهاب إلى الطائف ؟ هل هي الدنيا ؟ مطلقًا ؛ لقد ذهب قيامًا بواجب الدعوة إلى اللَّه راجلًا سائرًا على الأقدام ابتغاء مرضاة اللَّه . وفي أثناء عودته بقي بعض الوقت في الطريق في أرض مترامية الأطراف ، وقد خلا فيها إلى اللَّه ، يتعبد إليه في صلاة آمنة مطمئنة ، وقد خلا جوفه من الطعام ، يطلب عونه ونصرته ، ونزل عليه القرآن ؛ ليخبره ، إذا كان الإنس قد خذلوك ، فإن الجن قِطَاعٌ منهم قد أسلم للَّه رب العالمين .

ونزل جبريل عليه السلام من السماء ؛ ليخبره أن اللَّه غاضب على من أساء إلى نبيه محمد ﷺ وفوضه في اتخاذ القرار .

أية عظمة ! رب العالمين يفوض النبي ﷺ ، باتخاذ القرار ، وعقاب المجرمين ، وينزل ملك الجبال ليقول له : يا محمد ﷺ أنا طوع أمرك ، مرني أطبق عليهم الجبلين ؛ إهلاكًا وعقابًا للمجرمين المكذبين ، فيأتي الرد المهذب الذي يدل على الخلق الرفيع الذي ربى عليه رب العالمين سبحانه رسول الإسلام .. العفو ؛ لعل اللَّه أن يخرج من ظهورهم من يوحد اللَّه رب العالمين .

الإيذاء تجاوز الحد ، ولكن النفس المطمئنة العليمة بثوابت الإسلام ، تصبر وتحتسب وتأمل أن يهتدي الضالون .

المسألة الثالثة : وهي دخول النبي ﷺ ، في جوار الْمُطْعِم بن عَدِيٍّ إلى مكة ، وهو على شركه ، تحتاج إلى وقفة لاستخلاص الأحكام الفقهية التي تتناسب والعصر الذي عاش فيه .

أرجو أن تسامحونا لتأخير اللقاء عن موعده ، وجزاكم اللَّه خيرًا .

الوالد : وجزاك يا أم محمد .

أسامة : معذرة يا والدي صحيح أن اللقاء قد استمر لفترة طويلة ، ولكن لا مناص أمامنا من معالجة موضوع الإسراء والمعراج كما وعدتنا .

الوالد : سمعًا وطاعة يا أسامة ولكن لا بد أن نستريح قليلًا ، وبعدها نبدأ إن

شاء اللَّه .

أسامة : جزاكم اللَّه خيرًا .

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ وبعد ،

نستأنف الآن الشق الثاني ، من لقائنا العاشر ، حول واقعة الإسراء والمعراج ، نعتمد فيها على اللَّه ﷻ ، ثم على ما ورد في سورتي الإسراء ، والنجم ، وتفسيرهما في جامع البيان للإمام الطبري ، والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، ومختصر تفسير ابن كثير للصابوني ، وذلك بالإضافة إلى ما ورد في أحاديث الرسول محمد ﷺ وشروحها .

اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا ، وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلًا ، اللَّهم اجعل أمرنا كله سهلًا .

شاءت إرادة اللَّه ﷻ أن يصطحب جبريل عليه السلام رسول اللَّه محمدًا ﷺ على البراق في رحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، من الجزيرة العربية إلى أرض الشام (فلسطين) ، في ليلة من ليالي شهر رجب من السنة العاشرة لبعثة النبي محمد ﷺ (الثالثة قبل الهجرة) على رأي من الآراء .

« فلما انتهى إلى باب المسجد الأقصى ، ربط الدابة عند الباب ، ودخل فصلى في قبلته تحية المسجد ، ركعتين ، ثم أُوتي بالمعراج ، فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السموات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الأنبياء الذين في السماوات ، بحسب منازلهم ودرجاتهم ، حتى مرَّ بموسى الكليم في السماء السادسة ، وإبراهيم الخليل في السماء السابعة ، ثم جاوز منزلتيهما ﷺ وعلى سائر الأنبياء ، حتى انتهى إلى مستوى يُسمع فيه صريف الأقلام ، أي أقلام القدر ، بما هو كائن ، ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر اللَّه تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة . ورأى هناك جبريل عليه السلام على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق ، ورأى البيت المعمور ، وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسندًا ظهره إلى الكعبة السماوية ، ورأى الجنة والنار وفرض اللَّه عليه هنالك الصلوات الخمسين ، ثم خففها إلى خمس ؛ رحمة منه ولطفًا بعباده ، ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم إمامًا في المسجد الأقصى ، لما حانت الصلاة [1] .

(١) مختصر تفسير ابن كثير (ج٢ ، ص٣٦٣) السيرة النبوي ، ابن كثير (ج٢ ، ص٩٣ - ١١٢) .

ويحتمل أنها الصبح يومئذ فدل ذلك على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم . وكان الإسراء برسول اللَّه ﷺ ببدنه وروحه يقظةً لا منامًا .

ثم رجع رسول اللَّه ﷺ إلى مكة ، فأخبر أنه أسري به ، فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه ، فذهب ناس من قريش إلى أبي بكر ، فقالوا : « هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ؟ » . فقال أبو بكر : « أوَ قال هذا ؟ » . قالوا : « نعم » . قال : « فأنا أشهد ، لئن كان قال هذا لقد صدق » . قالوا : « فتصدقه في أن يأتي الشام ، في ليلة واحدة ، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ » . قال : « نعم ، أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء » .

الأولاد : نحن لدينا استفسارات عن هذا الموضوع المهم ، فهل يتاح لنا ذلك ؟

الوالد المعلم : نعم ، وسنحاول سويًا والأستاذة أم محمد وكل من لديه معلومة عن هذا الموضوع الإجابة على الاستفسارات ، وما توفيقنا إلا باللَّه .

عمار : سؤال يا جدي ، هل كان المسجد الأقصى قائمًا في ذلك الوقت ؟ وما الدليل ؟ ومن الذي كان يحكم بيت المقدس ؟ وهل كان مسموحًا في ذلك الوقت ، العبور من جزيرة العرب إلى بلاد الشام بيت المقدس ؟ وما الدروس المستفادة ؟

الوالد : كان المسجد الأقصى قائمًا ؛ والدليل ما ورد في قول اللَّه تعالى (١) : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] وقوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] .

وقول النبي محمد ﷺ : « **لمّا كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في حجر [إسماعيل بالبيت العتيق] ، فجلّى اللَّه لي بيت المقدسُ ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه** » . وعندما فتح المسلمون بلاد الشام وحرروها من قوات الاحتلال الرومي البيزنطي الذي كان يدين حكامه بالنصرانية الأرثوذكسية ، كان المسجد الأقصى قائمًا ، وصلى فيه الصحابة رضوان اللَّه عليهم أجمعين ، بعد أن تحررت بيت المقدس وبقية الشام على عهد عمر بن الخطاب ﷺ .

عمار : هل ذلك يعني أن رسول اللَّه ﷺ زار بيت المقدس (٢) وصلى بالمسجد الأقصى

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (ج٢ ص ٣٥٤ - ٣٦٤) .

(٢) وهو إيليا ، ومعنى إيليا ، بيت اللَّه .

وهي تحت الاحتلال البيزنطي ؟ .

الوالد : تمامًا يا عمار ، ولم يكن هناك حدود أو سدود بين الشام والجزيرة العربية ، وكان العرب يتحركون بملء حريتهم رغم وجود قوات الاحتلال الأجنبي .

عمار : ماذا عن مشاهدات الرسول محمد ﷺ في الطريق من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ومعراجه من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى ؟ .

الوالد : أورد الإمام ابن كثير ، رواية للبخاري عن أنس بن مالك يقول : « ليلة أسري برسول الله ﷺ ، من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم . فقال آخرهم : خذوا خيرهم . فكانت تلك الليلة ، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه ، وتنام عينه ، ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه عنهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيمانًا وحكمة فحشا بها صدر رسول الله محمد ولغاديده - يعني عروقه وحلقه - ثم أطبقه . ثم عرج به إلى السماء[1] .

نور الدين : سبحان الله يا جدي ! الاهتمام الكبير من المولى ﷻ بعبده محمد ﷺ ، يدل على عظمة الله ﷻ ، وقدرته وملكه وكبريائه ، وأيضًا على قيمة عبده محمد ﷺ عنده .

الوالد : تمامًا يا نور الدين ، إنه حبيب الله ، الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى الذي يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم .

سارة : سبحان الله ! هل ذلك يعني أن حادثة شق صدر رسول الله ﷺ صحيحة ؟

الوالد : نعم يا سارة .

عمار : الواقع يا جدي ، أن رحلة المعراج تدير العقول وتزيد المؤمنين إيمانًا بأنه لا إله إلا الله . السموات تفتح أبوابها ، بناء على تعليمات ربانية ؛ لتستقبل خير الأنام محمدًا ﷺ في صحبة جبريل ؛ ليقابل أباه آدم ، ويسلم عليه ويرحب به ، ويشاهد نهري النيل والفرات والكوثر بالجنة .

الوالد : نعم يا عمار ، لقد قابل ابنا الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام ، فرحبا به وَدَعَوا له بخير .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، (ج٢ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥) .

كما قابل يوسف عليه السلام في السماء الثالثة ، وإدريس بالسماء الرابعة وهارون بالسماء الخامسة ، وموسى بالسماء السادسة ، وإبراهيم بالسماء السابعة ، مستندًا بظهره إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه .

وجميعهم رحبوا برسول الله ﷺ ودعوا له .

سلمى : العجيب يا جدي أن السماء لها أبواب عليها حراس من الملائكة ، لا يفتحون الأبواب إلا للأشخاص المأذون لهم بالصعود من الله رب العالمين ! والدليل الحديث الذي أوردته يا جدي على سبيل المثال : « **ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : قد أرسل إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بموسى** عليه السلام **فرحب بي ودعا لي بخير** » .

نور الدين : ما هذا الاحتفال العظيم برسول الإسلام محمد ﷺ ؟ ما هذه العظمة عظمة الله العظيم ، وخلق الكون الذي يدل على عظمة الخالق ؟ .

الوالد المعلم : آمل أن نستمع وندون الملاحظات .

سلمان : معذرة يا جدي ، هل استطاع رسول الله ﷺ أن يحتمل هذه المشاهد الضخمة دون أن يحدث له شيء ؟

الجد : نعم يا سلمان ، إنه الرسول الخاتم الذي خلقه الله عز وجل الذي أحسن كل شيء خلقه ولنذكر قول الله تعالى في سورة النجم : ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١ - ١٨] .

أسامة : معذرة يا والدي ، هل يمكن أن نتعرف على الحكمة الربانية من وراء هذه الرحلة ، حتى نستطيع متابعة حادثة الإسراء والمعراج ، وما ارتبط بها من أحداث والوقوف على رءوس العظات والعبر ؟

الوالد : تمامًا يا أسامة ، هذه الرحلة تمت ، والدعوة إلى الله عز وجل قد وصلت إلى طريق شبه مسدود في مكة ، ورسول الله ﷺ ، وأصحابه ، يعانون من الاضطهاد والتعذيب والتضييق في الأرزاق ، وصل الأمر أن رسول الله ﷺ كان يطوف في القبائل

قائلًا : « **من يحميني حتى أبلغ دعوة ربي ؟ من ينصرني حتى أبلغ دعوة ربي وله الجنة ؟** » ، فلا يجد أحدًا .

سلمان : أمة تبطش وتضطهد الطبيب المعالج ! لماذا ؟ .

الوالد : ألم تقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج : ٨] .

في هذه الظروف التي أحاطت بدعوة النبي محمد ﷺ ، كان لها أثر في نفسية المسلمين ، فشاءت إرادة الله ﷻ أن يشد من عضد رسول الله ﷺ والمؤمنين معه ، وأن يرفع من معنوياتهم ويؤكد لهم بالبرهان والدليل العملي : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤] .

إنها معاينة عملية لقدرة الله الذي ما خلقنا عبثًا ، وإنها لمهمة وغاية وهي العبادة بمفهومها الشامل والتي من مقتضياتها : إقامة الدين ونصرة محمد وأمة محمد ﷺ ؛ ليربط على قلب النبي وإخوانه ويغرس في قلوبهم أن المعاناة التي تعايشونها وأنتم تقومون بواجب الدعوة إلى الله ﷻ ، بسيطة ، وفيها أجر . والله قادر على أن ينهيها ، ولكن يريد أن يختبر مدى صبر أصحاب الدعوات وتحملهم للمسئولية : ﴿ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ [محمد : ٤] .

ولعل الحكمة من هذه الرحلة أن يوقن رسول الله محمد ﷺ أن الله قادر على تحطيم الكافرين والمنافقين ؛ لأنهم خلق من خلق الله ، رزقهم وأكرمهم ، وقادر على تدميرهم . ولكنه الابتلاء .

الله ﷻ يؤكد لرسوله محمد ﷺ - الذي شاهد الأنبياء والمرسلين من بني آدم عليهم السلام وصدقوا به وأثنوا عليه - منزلته ، وأن الله سينصره كما نصرهم ويقيم دينه على يديه كما أقامه على أيديهم ، وأنه سيدمر أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين ، كما فعل مع المكذبين من الأمم السابقة . يقول تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ

قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٧- ١٤٢] .

الهدف من هذه الرحلة ما بينه رب العالمين : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] . ويقول اللّٰه تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت : ٥٣، ٥٤] .

أسامة : جزاك اللّٰه خيرًا يا والدي .

الوالد : وجزاك .

منى : معذرة يا والدي ، ما هي أهم المعالم التي ترسيها هذه الحادثة في حياة الأمة ؟ وما أهم الدروس المستفادة من هذه الحادثة ، ويمكن أن ينتفع بها حَمَلة الدعوة الإسلامية بعد وفاة رسول اللّٰه ﷺ ؟ .

الوالد : **الدرس الأول** : الارتباط الوثيق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، بين مكة المكرمة وبيت المقدس ، بين الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وأنها وقف إسلامي وتاريخها من ملحقات العقائد الإسلامية . وتحريرها من قبضة الكافرين ونصرة أهلها وإقامة حكم الإسلام على أرضها - فريضة شرعية في رقاب المسلمين ، وأن الإمامة دوامًا على أرض حرم اللّٰه الآمن وعلى الأرض المقدسة التي بارك اللّٰه فيها للعالمين - كانت للإسلام ولأمة الإسلام ، كما كانت دوامًا عبر تاريخها الطويل منذ عهد آدم عليه السلام ، وعلى عهد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام . وكأن اللّٰه عز وجل - واللّٰه أعلم - يريد أن يوجه نظر الرسول الخاتم ونظر أمته أن المسجد الأقصى الذي صليت فيه بالأنبياء إمامًا وبيت المقدس وأرض الشام ، واقعة تحت الاحتلال الرومي البيزنطي النصراني حرروها ممن غلب عليها ، وأقيموا حكم الإسلام على أرضها ، وطهروا المسجد للعاكفين والركع السجود ؛ لأنه في الأسر منذ (سبعمائة عام) .

منى : يتلقى رسولنا محمد ﷺ هذا التكليف الضخم والدعوة مستضعفة والإسلام مطارد ؟ !

الوالد : نعم ، وهذه كانت بمثابة بشارة لرسول الله ﷺ ، أن الإسلام سيعم الأرض بنوره ، وستتحرر البلاد والشعوب ، ويكون الدين كله لله ، وأن الإمامة ستكون لأمة محمد ﷺ ، وأنه سيحرر ، ليس بيت المقدس فحسب ، ولكن أرض الله كلها . وسيتم تخضيض شوكة طواغيت الأرض .

محمود : معذرة يا والدي ، يبدو هذا الاستنباط وكأنه في محله ؛ والدليل الهجرة وقيام الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ، والحركة الجهادية العارمة خلال عشر سنوات (بعد الهجرة) ، وطيلة عهد الخلفاء الراشدين على أرض عاصمة الدولة الإسلامية ، والتي تبدو في السرايا والبعوث والغزوات التي اتجهت شرقًا وغربًا وانتهت بتحرير بيت المقدس والشام ومصر ، وطرد العدو البيزنطي النصراني بعد سبعمائة عام .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود ، المهم أن النبي محمدًا ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم لم ينسوا المهمة والتكليف ، واستطاعوا بفضل الله ﷻ أن يحولوا توجيهات الإسراء والمعراج إلى فعاليات ، انتهت بتحرير المقدسات كلها : مكة وبيت المقدس والجزيرة العربية وأرض الشام وغيرها .

جزاكم الله خيرًا ، ومن الدروس المستفادة من سورة الإسراء التي اقترنت بهذه الحادثة - ما ورد عن تاريخ بني إسرائيل : لقد سبق في علم الله ﷻ خطورتهم على الأمة المسلمة والإنسانية جمعاء وأنهم سيفسدون في الأرض ويعلون علوًّا كبيرًا ؛ لتحذرهم الأمة وتعرف كيف السبيل لتخليص البشرية من شرهم ، وكسر شوكتهم كما حدث لهم في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة . يقول الله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤- ٧] .

أسامة : ذلك يعني يا والدي : نحن نعيش الآن عهد العلو والإفساد الثاني والأخير من حياة بني إسرائيل ؟ .

الوالد : أعتقد ذلك يا أسامة ، والله غالب على أمره .

كانت رحلة الإسراء والمعراج بمثابة اختبار وابتلاء للناس الذين أسلموا ، والذين لم

يسلموا ؛ والدليل ما رواه الحافظ ابن كثير في المختصر :

عن جابر بن عبد الله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **لما كذبتني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس ، قمت في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه** » .

كما أورد الإمام الحافظ رواية لسعيد بن المسيب : أن رسول الله حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى ، وأنه أوتي بقدح من لبن وقدح من خمر ، فنظر إليهما ثم أخذ قدح اللبن ، فقال جبريل : أصبت ، هديت للفطرة . لو أخذت الخمر لَغَوَتْ أمتك .

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة ، فأخبر أنه أسري به ، فافتتن ناس كثير كانوا قد وصَلّوا معه .

الوالد : وروي خبرٌ مفاده : تجهز ناس من قريش إلى أبي بكر ، فقالوا : هل لك في صاحبك يزعم أنه قد جاء إلى بيت المقدس ، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ؟ فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أشهد ، لئن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، أنا أصدقه بأبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء . قال أبو سلمة : فيها سمي أبو بكر بالصديق [1] .

اسامة : ألم يقدم لهم رسول الله ﷺ بينة ملموسة على صدقه ؟

الوالد : نعم ، وهو أنه أثناء عودته مر بِعِيرٍ بقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرًا لهم قد جمعه فلان ، فسلمت عليهم ، فقال بعضهم : هذا صوت محمد ﷺ ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر ﷺ ، فقال : يا رسول الله أين كنت الليلة ؟ فقد التمستك في منامك ، فعلمت أنك أتيت بيت المقدس الليلة ، فقال : « **نعم** » . قال أبو بكر : يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لي : قال : « **فَفُتِحَ لي صراط كأني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته** » . فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله .

وقال المشركون : انظروا إلى ابن أبي كبشة ، يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ! قال : فقال محمد ﷺ : « **إنه من آية ذلك ما أقول لكم أني مررت بِعِيرٍ لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرًا لهم فجمعه لهم فلان ، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم**

(١) عبد الرزاق في مصنفه (٥ / ٣٢٨) ومختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص ٣٦٠) .

يوم كذا وكذا ، يقدمهم جمل آدم عليه مِسْح أسود وغرارتان سوداوان » .

فلما كان ذلك اليوم ، أشرف الناس ينظرون حين كان قريبًا من نصف النهار ، حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ (١) .

أسامة : لكن رغم هذا رفض المشركون التصديق !

الوالد : نعم يا أسامة وصدق الله القائل : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] .

الحقيقة أن سورة الإسراء التي ترتبط غالب آياتها بهذا الحدث الضخم في حياة الدعوة إلى الإسلام وحياة الأمة المسلمة - ترسي معالم مهمة وهي :

● أن الأمة المجرمة (اليهود) المنحرفة عن دين إبراهيم ويعقوب عليهما السلام نُحت عن موقع القيادة بسبب نقضهم لعهودهم مع ربهم وآبائهم ومروقهم من الإسلام . يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] .

● بيان أهم صفات إنسان العقيدة العنصر الضروري لإنهاء غربة الإسلام والمسلمين وإقامة الدين وتحرير المقدسات . يقول الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى

(١) المختصر (ص٣٦١ - ٣٦٢) .

ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾
[الإسراء: ٢٢- ٣٧] .

● والطريق إلى بناء إنسان العقيدة : العلم النافع والعبادات المقننة المشروعة . يقول الله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٧٨- ٨١] .

● المصير المرعب لأعداء الدعوة الإسلامية هو مصير فرعون الذي قال الله تعالى عنه : ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٣، ١٠٤] .

الوالدة : أعتقد أن هذا يكفي ؛ لأن بقية أحداث السيرة سوف تكشف لنا عن صدق البشارات والتوجيهات التي تلقاها رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج .

الوالد : هل من أحد عنده استفسار ؟

نور الدين : معذرة يا جدي صف لنا البراق . وهل شاهد رسول الله ﷺ رب العالمين ؟

الجد : توقعت هذا السؤال يا نور الدين ، البراق هو دابة بيضاء بين البغل والحمار وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع حافره في منتهى طرفه (١) .

وقد سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك ؟ قال ﷺ : « **نور أنّى أراه** » وفي رواية : « **رأيت نورًا** » (٢) .

رحمة : معذرة يا جدي لقد فرضت خمسون صلاة على أمة الإسلام ، وطلب رسول الله ﷺ التخفيف من ربه عن أمته ؛ بناء على نصيحة موسى عليه السلام واستجاب الله عز وجل لطلب محمد ﷺ وجعلها خمس صلوات بخمسين أجرًا . من الذي علم رسول الله ﷺ كيفية أداء الصلاة وأوقاتها وفرائضها وسننها وشروط صحتها ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (٩٢/٢) .

(٢) أخرجه ابن منده في الإيمان (٧٦٨/٢) .

الوالد : ما شاء اللّه يا رحمة ! إنه جبريل ﷺ كما أخبر رسول اللّه ﷺ : « **أمني جبريل عند البيت مرتين** » والمسلمون مؤتمون برسول اللّه ﷺ .

الوالدة : هناك مسألتان يا أبا محمد تقترنان بأخبار الإسراء والمعراج في كتب السيرة :

المسألة الأولى : انشقاق القمر ؛ لقول اللّه تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] .

المسألة الثانية : غلبة الفرس على الروم : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم : ١ - ٥] .

الوالد : الواقع أننا لا نهدف إلى الاستقصاء الكامل في هذه العجالة . إنما حسبنا أن نضع الشباب على مشارف السيرة ومراجعها ومصادرها ؛ ليستزيدوا ويتفهموا ويعلموا ويعملوا ويعلّموا غيرهم .

وفي عجالة : حادثة انشقاق القمر ثابتة بالكتاب والسنة والاكتشافات العلمية الحديثة [1] . وكذلك غلبة الروم اللّهم - علمت الروم - وتحقق وعد اللّه ﷻ للروم .

قولوا جميعًا : سبحانك اللّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

---

(١) السيرة النبوية (ج٢ ، ص١١٣ - ١٢١) .

اختبر معلوماتك

● ما هي الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يترك مكة ، ويتوجه إلى الطائف ، لأداء واجب الدعوة إلى الله ؟ .

● كيف كان استقبال أهل الطائف للنبي محمد ﷺ ودعوته إلى الإسلام ؟ .

● كيف تفسر ما حدث للنبي ﷺ في الطائف في ضوء السنن الربانية ؟ .

● هل يمكن أن نعرض لسيرة يونس عليه السلام ودعوته أهل نينوى إلى الإسلام ؟ .

● وهل هناك أوجه شبه بين دعوة محمد ﷺ ودعوة يونس عليه السلام ؟ .

● يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : « من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب » ويقول سبحانه : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] .

● الله عز وجل يفوض رسول الله محمدًا ﷺ في اتخاذ القرار ، بشأن عقاب أهل الطائف على سوء استقبالهم لدعوة النبي محمد ﷺ ؟ .

● كيف كان الأدب المحمدي وهو يستقبل الخبر من جبريل عليه السلام وملك الجبال عليه السلام ؟ .

● ما هي الصفات الربانية التي يمكن أن نستشعرها نتيجة الحادثة ؟ .

● ما هي مناسبة نزول سورة الجن على النبي ﷺ ؟ وأين ؟ الرسول محمد ﷺ لم يعرف اليأس مطلقا ما الدليل على ذلك ؟ .

● كان الرسول محمد ﷺ قمة في الصبر والثبات وتحمل الأذى وهو يحمل دعوة الله عز وجل بِمَ تفسر ذلك ؟ .

● إن الدعوة إلى الله فريضة شرعية وضرورة حياتية ، ولا يمكن للإنسان أن يتخلى عن القيام بهذه الفريضة ؛ ولهذا لم يتوقف النبي محمد ﷺ عن الدعوة إلى الله ، رغم التضييق الشديد عليه في مكة وانطلق يدعو إلى الله عز وجل خارج مكة ، فذهب إلى الطائف (ثقيف) . دون بقلمك هذا النموذج .

● كيف كان صبر النبي محمد ﷺ على الأذى ؟ وما الذي أعانه على الصبر والثبات ؟

● قدم الدليل على أن الرسول محمدًا ﷺ كان رحمة للعالمين ؟ .

● الابتلاء في حياة أصحاب الدعوات سنة ربانية جارية . ما هي الحكمة من ذلك ؟

مع التدليل على الإجابة .

- ما هي معلوماتك عن يونس بن متى ﷺ ؟ اكتب ملخصًا لسيرته مع بيان الدروس المستفادة .
- لو تعرضت للأذى في سبيل اللَّه ، كيف سيكون موقفك من عرض كعرض ملك الجبال على النبي محمد ﷺ بتدمير الأعداء ؟ أليس العفو عند المقدرة عن الأعداء هو هدي النبي محمد ﷺ ؟ .
- ما هي معلوماتك عن الجن المسلم ؟ وهل قراءتك للقرآن تسعدهم أم لا ؟ .
- اقرأ الآيات (٢٩ - ٣١) من سورة الأحقاف ، وسورة الجن ، واستخرج الدروس المستفادة .
- ما هو موقفك من الجن ؟ وكيف تتقي شر الجن المشرك ؟ وما أهمية سورة البقرة للبيت المسلم ؟ .
- ولماذا أوصانا رسول اللَّه ﷺ بقراءتها ؟ .
- خشي زيد بن حارثة أن يمنعه أهل مكة والرسول محمدًا ﷺ من العودة إلى مكة . ماذا حدث من أهل مكة قبل أن يُجار النبي محمد ﷺ وصاحبه ؟ .
- قبل رسول اللَّه محمد ﷺ أن ينزل في جوار مشرك بمكة . ما هو الدرس المستفاد ؟ وما هي الضوابط الشرعية التي ترسيها هذه الحادثة ؟ .



اللقاء الحادي عشر

فتح عظيم للدعوة الإسلامية خارج مكة المكرمة

الإسلام يغزو قلوب أهل يثرب (المدينة المنورة)

الوالد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأبناء : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . كيف حالكم يا أبانا ؟ .

الوالد : بخير والحمد لله . نواصل رحلتنا مع سيرة النبي محمد ﷺ .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،

لعلكم تذكرون أن الدعوة الإسلامية ، قد وصلت في مكة إلى طريق شبه مسدود ؛ نتيجة الحرب المعلنة عليها من كفار مكة والطائف وغيرها .

ولكن الرسول محمدًا ﷺ لم يفارقه الأمل لحظة ، أن النصر للإسلام وأنه لا بد من مواصلة الدعوة ؛ فكان ينتهز مواسم الحج ليلتقي بالقبائل العربية القادمة إلى مكة ويعرض عليها الإسلام : « **هل من رجل يحملني إلى قومه ؟ فإنَّ قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي** ﷻ » .

فأتاه رجل من همدان فقال ﷺ : « **ممن أنت ؟** » .

قال الرجل : من همدان .

قال : « **فهل عند قومك من منعة ؟** » .

قال : نعم .

ثم إن الرجل خشي أن يخفر قومه ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : آتيهم فأُخبرهم ، ثم آتيك من عام قابل .

قال : « **نعم** » .

فانطلق فجاء وفد الأنصار في رجب [1] .

محمود : ذلك يعني أن المدينة - وهذا محتمل - قد وصلها خبر بعثة النبي ﷺ على لسان رجل همدان . وبالتالي أصبحت بعض النفوس مهيأة لمعرفة المزيد عن هذه الدعوة

---

(١) السيرة النبوية (ج٢ ، ص١٧١ - ١٧٢) .

الإسلامية .

الوالد : أضف إلى ذلك يا محمود أن سُوَيد [1] بن صامت الأنصاري ، وهو ابن خالة عبد المطلب جد رسول اللّه ﷺ ، جاء إلى مكة معتمرًا أو حاجًا فتصدى له رسول اللّه ﷺ ، ودعاه إلى الإسلام وتلا عليه القرآن .

فقال سُويد : إن هذا لقول حسن .

ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنَّا لنراه قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل بعاث .

وفي السنة العاشرة من البعثة قدم من المدينة إلى مكة « أبو الحيسر أنس بن رافع » ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ » يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج .

فأتاهم رسول اللّه ﷺ فجلس إليهم ، فقال : « **هل أدلكم في خير مما جئتم له ؟** » .

قال : قالوا : وما ذاك ؟

قال محمد ﷺ : « **أنا رسول اللّه إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوا اللّه ولا يشركوا به شيئًا وأنزل علي الكتاب** » ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، قال : فقال إياس بن معاذ وكان غلامًا حدثًا : يا قوم ، هذا واللّه خير مما جئتم له .

فضربه أبو الحيسر أنس ، بحفنة من تراب البطحاء في وجهه ، وقال : دعنا منك . لقد جئنا لغير هذا (أي لعمل حلف مع قريش على قومهم من الخزرج) .

فصمت إياس وقام رسول اللّه ﷺ . ورجع الوفد إلى المدينة . ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك . وروي عن بعض أهل المدينة أنهم سمعوا إياسًا وهو يهلل اللّه ويكبره ويحمده ويسبحه ، حتى مات . فما كانوا يشكون في أنه قد مات مسلمًا .

محمود : وذلك يعني أن إياس بن معاذ [2] قد وقع الإسلامُ في قلبه .

الوالد : نعم . ولقد فاتني أن أذكر أنه قد وقعت حرب بين الأوس والخزرج ، قبل هجرة المسلمين إلى يثرب ، قتل فيها أشرافهم ، وقد عرف هذا اليوم بيوم بعاث (موضع

---

(١) أمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم ، فسُويد هذا ابن خالة عبد المطلب جد رسول اللّه ﷺ (المرجع السابق ، ص١٧٢) .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص١٧٤ – ١٧٥) .

بالمدينة) .

بلال : معذرة يا جدي . إخوة العروبة وأبناء البلد الواحد يتقاتلون ؟

الجد : إنها الجاهلية والعصبية التي قال فيها رسول اللَّه ﷺ : « **دعوها فإنها منتنة ، ليس منا من قاتل على عصبية أو مات على عصبية** » .

كان يوم بعاث يومًا قدمه اللَّه لرسوله ، قَدِمَ رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة وقد افترق ملؤُهم وقُتل سَراتهم كما تقول عائشة رضي الله عنها [١] .

أحمد : إذن ، متى استجاب أهل يثرب لدعوة النبي ﷺ ؟ .

الوالد : لعلكم لاحظتم يا أبنائي أن رسول اللَّه ﷺ لم ييأس أبدًا ، واستمر في تتبع الأقوام في المواسم يدعوهم إلى الإسلام ؛ لأنه مطالب بأداء واجب البلاغ . وفي السنة الحادية عشرة من البعثة (النبوة) خرج رسول اللَّه ﷺ إلى العقبة في موسم الحج ، فلقي نفرًا من الخزرج أراد اللَّه بهم خيرًا فسألهم رسول اللَّه ﷺ : « **من أنتم ؟** » .

قالوا : نفر من الخزرج .

قال : « **أمن موالي يهود ؟** » .

قالوا : نعم .

قال : « **أفلا تجلسون أكلمكم ؟** » قالوا : بلى .

فجلس أبناء الخزرج مع رسول اللَّه ﷺ وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

فقال أبناء الخزرج بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون واللَّه إنَّه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه [٢] .

فأسلموا للَّه رب العالمين ، قائلين : نشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه .

بلال : اللَّه أكبر ! لقد شرح اللَّه صدورهم للإسلام . وهذا دليل على أن فطرتهم كانت لا تزال بخير .

محمود : سامحني يا والدي . من أين أتى اليهود إلى المدينة ؟ وماذا يعني أنه النبي الذي توعدكم به يهود ؟ .

الوالد : لم يكن لليهود وجود في المدينة قبل القرن الأول الميلادي ، ويقال :

---

(١) المرجع السابق (ص١٧٥) .

(٢) المرجع السابق (ص١٧٦) .

حينما احتل الرومان بلاد الشام ، هرب اليهود إلى الجزيرة العربية من اضطهاد الرومان ، فسكن بعضهم المدينة وما حولها (بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وفدك والتيماء) وسكن بعضهم اليمن . وقيل : إن يهود المدينة كانوا من العرب الوثنيين الذين تهوَّدوا كما تنصر غيرهم . وأهل المدينة كانوا أهل شرك وأصحاب أوثان ، فإذا نشب نزاع بينهم وبين اليهود كان اليهود يقولون لهم : إن نبيًّا مبعوثًا الآن قد أطل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم . هذا الحوار تَذَكَّرهُ أهل الخزرج عندما دعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى الإسلام ، فاقتنعوا أنه النبي الحق فأسلموا .

محمود : وماذا بعد أن أعلن الخزرج إسلامهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ؟

الوالد : قال الخزرج : يا رسول اللَّه إنا قد تركنا قومنا . ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم اللَّه بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك . ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم اللَّه عليك ، فلا رجل أعز منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا [١] .

بلال : هل يمكن أن نعرف أسماء قبيلة الخزرج الذين أسلموا على يد رسول اللَّه بمكة ؟ وهل وفوا بما ذكروه لرسول اللَّه ﷺ ؟ .

الجد : نعم . ذُكر أنهم كانوا ستة نفر ، منهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة من بني النجار ، فلما قدموا إلى المدينة إلى قومهم ، ذكروا لهم رسول اللَّه ﷺ ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ؛ فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول اللَّه ﷺ .

حتى إذا كان العام الثاني (موسم حج سنة ١٢ من النبوة / يوليو سنة ٦٢١ م) ، جاء إلى مكة اثنا عشر رجلًا وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، وأخوه معاذ ، وهما ابنا عفراء ، ورافع بن مالك ، وَذَكْوان بن عبد القيس ، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، وعقبة بن عامر ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وهؤلاء العشرة من الخزرج [٢] . وعُوَيم بن ساعدة وأبو الهيثم مالك بن التَّيهان من الأوس .

وقابلوا رسول اللَّه محمدًا ﷺ ، وأسلموا بين يديه للَّه رب العالمين . وكان هذا فتحًا عظيمًا على الإسلام .

---

(١) المرجع السابق ، (ص١٧٧) .

(٢) المرجع السابق (ص ١٧٨ - ١٧٩) .

محمود : لو أذنت لي يا أبي ، لقد قرأت في كتب السيرة أن هؤلاء الشباب قد بايعوا رسول الله ﷺ بيعة . فهل يمكن لنا أن نتعرف على أهم بنودها ؟ .

الوالد : نعم ، لقد بايعوا رسول الله ﷺ على ألا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصوه في معروف في مقابل جنة عرضها السموات والأرض [1] .

وذلك يعني أنه بمجرد أن أسلم هؤلاء الشباب قد أصبح ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، بعد أن كان للجاهلية ورجالاتها ، حبهم ونصرتهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، يحلون ما أحل الله ورسوله : ويحرمون ما حرم الله ورسوله . السرقة حرام والزنى حرام وقتل الأولاد حرام ، ويسمعون ويطيعون لأمر رسول الله بالمعروف .

وبمجرد أن تمت البيعة اختار رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي [2] ؛ ليسافر مع هؤلاء الذين أسلموا إلى يثرب (المدينة) ؛ ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، ويكون إمامًا لهم . ونزل مصعب (على أسعد بن زرارة) .

محمود : معنى ذلك يا أبت أن مرحلة جديدة من مراحل الدعوة إلى الله ، بدأت مع وصول مصعب بن عمير إلى المدينة ؟ .

الوالد : نعم يا محمود . وهذا هو موضوع لقائنا القادم إن شاء الله .

أسامة : معذرة يا والدي ، نريد أن نتعلم الدروس المستفادة من هذا الجزء من وقائع السيرة .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة وهات ما عندك .

أسامة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ، فإن أهم الدروس :

أهمية الأمل بالنسبة لصاحب الدعوة : فرسول الله ﷺ لم ييأس ، وكان على يقين أن الله سوف يقيض لهذا الدين من ينصره ، وقد كان ؛ فقد قيض الله لنصرة هذا الدين وحمل رسالته رجالًا من يثرب أعطوا العهود والمواثيق على ذلك : أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا ، وأن يخضعوا حياتهم لمنهاجه وشريعة الإسلام ، وأن يضبطوا سلوكياتهم ؛ طبقًا لتوجيهات الإسلام ؛ فالسرقة حرام ، والزنى حرام ، وقتل الأولاد

(١ ، ٢) المرجع السابق (ص١٨٠) .

حرام ، وعدم القيام بفرائض اللَّه حرام ، والسمع والطاعة لرسول اللَّه واجب .

ثانيًا : حدث هذا في وقت كانت الدعوة فيه قد وصلت في مكة إلى طريق مسدود . وصدق اللَّه القائل : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

وصدق رسول اللَّه ﷺ القائل : « **واعلم أن الفرج مع الكرب واعلم أن النصر مع الصبر** » .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا . لعلكم أدركتم الآن أهمية الوقوف على رءوس العظات والعبر ؛ لمواصلة مسيرة الدعوة التي باشرها محمد ﷺ .

مثال ذلك : عدم اليأس المقترن بالأخذ بالأسباب ؛ فرسول اللَّه محمد ﷺ كان حريصًا على تتبع الناس في المواسم ، والأسواق ، ليعرض عليهم الإسلام ؛ لأنه كان على يقين أن الإسلام لا بد وأن يقوم في حياة الناس بإذن اللَّه . ونكتفي بهذا القدر وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

قولوا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

والآن جاء دور اختبار المعلومات ، وسيقوم أسامة بطرح الأسئلة إن شاء اللَّه .

* * *

اختبر معلوماتك

أسامة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد .

● تتبع لقاءات رسول الله ﷺ مع أهل يثرب . وأين كانت ؟ وإلى أي شيء دعاهم رسول الله ﷺ ؟ وما مدى تجاوبهم ؟ .

● من الذي حمل دعوة رسول الله ﷺ إلى أهل يثرب (المدينة المنورة) ؟ ومتى ؟ .

● من هو سويد بن صامت الأنصاري ؟ واذكر الحوار الذي دار بينه وبين رسول الله ﷺ . هل أسلم ؟ وهل مات مقتولًا ؟ ولماذا ؟ .

● من هو إياس بن معاذ ؟ وأين ومتى قابل النبي محمدًا ﷺ ؟ وهل أسلم ؟ ما الدليل ؟ .

● ما هي معلوماتك عن حرب بعاث ؟ ومن هم أطرافها ؟ ما هي الدروس المستفادة من تاريخها ؟ .

● في السنة الحادية عشرة من البعثة التقى الرسول محمد ﷺ بوفد من يثرب دعاهم إلى الإسلام . سلط الضوء على هذا اللقاء . ومن هم أعضاء الوفد ؟ .

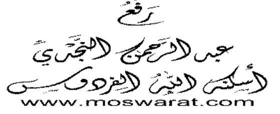
● التقى رسول الله محمد ﷺ في موسم حج في السنة الثانية عشرة ، باثني عشر رجلًا من الأوس والخزرج . من هم هؤلاء الرجال ؟ وماذا تم في هذا اللقاء ؟ وما هي نصوص العهد الذي أعطاه هؤلاء الرجال للرسول محمد ﷺ ؟ وعلى أي شيء اتفقوا ؟ .

● ما هي المهمة التي كلف الله بها مصعب بن عمير بعد بيعة العقبة الأولى ؟

● لقد كان إسلام رجال من يثرب بداية الفتح للدعوة الإسلامية . ما هي الدروس المستفادة من هذه الأحداث ؟ .

الوالد : جزاك الله خيرًا . وإلى لقاء قادم إن شاء الله .

قولوا جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ،
أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .



اللقاء الثاني عشر

مصعب بن عمير (أول سفير لرسول الله ﷺ) يدعو إلى الإسلام في يثرب (المدينة) فتح عظيم للدعوة الإسلامية : أهل المدينة يبايعون الرسول محمدًا ﷺ على نصرة الإسلام

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

حديثنا في هذا اللقاء حول الدور الدعوي الذي قام به مصعب بن عمير رضي الله عنه ، في المدينة المنورة بمعاونة مسلمي المدينة ، في الدعوة إلى الله . ومن خلاله ندرك قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] ، وقول النبي ﷺ : « **واعلم أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر واعلم أن مع العسر يسرًا** » [١] .

فالدعوة التي وصلت إلى طريق مسدود في مكة ، فتح الله أمامها الطريق إلى يثرب (المدينة) ؛ لتنطلق في آفاق الأرض كلها .

لقد أدرك شباب يثرب ، الذي أسلم لله رب العالمين ، أن الدعوة إلى الله واجبة ، فانطلقوا يمارسون الدعوة مع عشيرتهم . وكان الناطق باسمهم والمسئول عن توجيههم هو الصحابي المهاجر من مكة مصعب بن عمير رضي الله عنه . وإليكم بعض مواقف الدعوة إلى الله :

أسعد بن زرارة يصحب مصعب بن عمير إلى دار بني الأشهل ، ودار بني ظفر بيثرب ، ويجلسان ومعهم رجال ممن أسلم ، وبلغ الخبر سعد بن معاذ رضي الله عنه – ابن خالة أسعد بن زرارة – وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه .

فلما سمعا بمصعب بن عمير والدعوة الإسلامية واقتحامها قلوب أهل يثرب – قال سعد (لأسيد بن حضير) : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين (أسعد بن زرارة ، ومصعب بن عمير) اللذين قد أتيا دارينا ؛ ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا دارينا ؛ فإنه لولا أسعد بن زُرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ؛ هو ابن خالتي ولا أجد عليه مَقْدَمًا .

قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثم أقبل إليهما ؛ فلما رآه أسعد بن زرارة ، قال

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج٢ ، ص١٨١ – ١٨٢) .

لمصعب : هذا (أسيد بن حضير) سيد قومه ، وقد جاءك فاصدق اللَّه فيه (أي : اجتهد عليه في الدعوة إلى اللَّه) .

قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

قال : فوقف عليهما مُتَشتِّمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة (أي : وإلا قتلتكما) .

فقال مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؟ .

قال أسيد بن حضير : أنصفت . قال : فركز حربته ، وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن .

قال أسيد : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين (أي الإسلام) ؟

قالا له : تغتسل .. فتطهر وتُطَهِّر ثوبك ثم تَشْهَد شهادة الحق ثم تصلي .

فقام أسيد بن حضير ، فاغتسل ، وَطَهَّر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين [١] ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا (يقصد سعد بن معاذ) إن اتبعكما ، لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ، وسأرسله إليكما الآن [٢] .

بلال : اللَّه أكبر ! إنَّه الإسلام الذي يغزو القلوب النظيفة . لقد جاء أسيد بن حضير مُهَدِّدًا مُتَوَعِّدًا الداعين إلى الإسلام ، فإذا به يهتدي إلى الإسلام ، ويظهر أثرُ الإيمان في وجهه ، قبل أن ينطق بذلك لسانه ... إنه نور الإيمان ؛ جاء ليحارب أهل الإسلام ، فإذا به يُصبح سيفًا من سيوف الإسلام !

الجد : انتظر يا بلال ، لترى ما هو أعظم . لقد أخذ أُسَيْد بن حُضَيْر حربته ، وانصرف إلى سعد بن معاذ وقومه ، وهم جلوس في ناديهم . فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا ، قال : أحلف باللَّه لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادي ، قال له سعد : ما فعلت (يا أُسَيْد) قال : كلمت الرجلين فواللَّه ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت . وقد حدثت أن « بني حارثة » خرجوا إلى ابن خالتك أسعد بن زرارة ؛ ليقتلوه وذلك أنَّهم عرفوا أنه ابن

---

(١) المرجع السابق (ص١٨٢) .

(٢) ذكر عن مصعب وأسعد ﷺ : « لقد عرفنا في وجه (أسيد) الإسلام قبل أن يتكلم ؛ في إشراقه وتهلُّله » .

خالتك لِيَخْفروك .

قال أُسيد بن حضير : فقام سعدُ بنُ معاذ مُغْضَبًا مبادرًا ؛ تخوفًا للذي ذكرته من بني حارثة ، وأخذ الحربة في يده ، ثم قال : واللَّه ما أراك أغنيت شيئًا .

أحمد : يبدو أن هذه كانت حيلة من أسيد بن حُضَيْر ؛ لكي يذهب سعد بن معاذ لمقابلة مصعب بن عمير ، فيدعوه إلى الإسلام .

الوالد : تمامًا يا أحمد ، وقد ذهب فعلًا سعد بن معاذ إليهما ، فقال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير حينما رأى سعد بن معاذ : « جاءك واللَّه سيد من ورائه قومه إن يتبعك (يسلم) لا يتخلف عنك منهم اثنان » .

فلما رآهما سعد مُطْمَئِنين ، عرف أن أُسَيْدًا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف مُتَشَتِّمًا ، ثم قال لأسْعَد بن زرارة : واللَّه يا أبا أمامة ، واللَّه لولا ما بيني وبينك من القرابة ، ما رُمْتَ هذا منِّي ، أتَغْشَانا في دارنا بما نكره ؟ .

قال : فقال له مصعب : أَوَ تَقْعد فَتَسْمع ، فإن رضيت أمرًا رَغِبْت فيه قَبِلْته ، وإن كَرِهْته عَزَلنا عنك ما تكره ؟ .

قال سعد : أنصفت ، ثم ركز الحربة ، وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزخرف : ١ - ٧] .

قال أسعد : فعرفنا واللَّه في وجه سعد بن معاذ الإسلام ، قبل أن يتكلم ، في إشراقه وتسهُّله ، ثم قال سعد لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ، ودخلتم في هذا الدين ؟ .

قالا : تغتسل فَتَطْهر ، وتُطَهِّر ثَوْبَيْك ، ثم تَشْهَد شَهَادَة الحقِّ ثُمَّ تُصَلِّي ركعتين .

قال : فقام سعد بن معاذ ، فاغتسل وَطَهَّر ثَوْبَيْه ، وشهد شهادة الحق ، ثم صَلَّى ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير . فلما رآه قومه مقبلًا ، قالوا : نحلف باللَّه لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم (١) .

---

(١) المرجع السابق ، (ص١٨٤) .

بلال : اللَّه أكبر وللَّه الحمد ، سعد بن معاذ ﷺ يأتي إلى مصعب متوعدًا مهددًا له بالطرد من يثرب ، فإذا به يدخل الإسلام بمجرد سماع دعوة الحق ! إنَّه الإسلام الطيَّار الذي يَغْزُو القلوب والأفئدة . إنَّها أيضًا الْفِطْرة السَّليمة التي لا تَسْتَعلِي على الحق . والشيء الملفتُ يا جدي هو ذلك التغير الذي يظهر على الوجه بمجرد دخول الإسلام إلى القلوب !

الجد : نعم يا بلال ، إنَّهَا السكينةُ التي ينزلها اللَّه في قلوب العباد مع النطق بشهادة التوحيد .

المهم يا أبنائي ، لقَدْ رَجَعَ سعدٌ إلى قَوْمه ، فلما وقف عليهم ، قال : يا بني عَبْد الأشْهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ .

قالوا : سيدنَا وأَفْضلُنا رأيًا وأيمننا نقيبة .

قال سعد ﷺ : فإنَّ كَلَام رِجَالكم ونِسَائكم عليَّ حَرام حتى تؤمنوا باللَّه وحده [1] .

قال : فواللَّه ما أمسى في دار بَنِي عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلمًا أو مسلمة .

محمود : هل صحيح يا والدي أن سعدًا بن معاذ انضم إلى ركب الدعاة ؟

الوالد : نعم يا محمود ، وهذا شيء طبيعي ؛ لأن مقتضيات الدخول في الإسلام القيام بالفرائض التي منها الدعوة إلى اللَّه ، من أجل هذا انضم سعد بن معاذ إلى مصعب بن عمير وأسعد بن زُرارة يدعون الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار في يثرب (المدينة) إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

احمد : لقد بدأت المعلومات تَكْثُر وتتداخل . ومتى إذنْ تمت بَيْعَة الأنصار لرسول اللَّه في مكة ؟ .

الوالد : لقد بايع الأنصار رسول اللَّه ﷺ - عند العقبة - في موسم حج سنة ١٢ من النبوة / يوليو ٦٢١م . وسميت هذه ببيعة الْعَقَبة الأولَى (الصغرى) .

بلال : لو أذنت لي يا جدي ، ماذا عن بيعة العقبة الثانية ؟ أين ومتى وقعت ؟ ومن هم المبايعون وما هي نصوص البيعة ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

سلمان : أنا لا أفهم يا جَدِّي مَعْنَى أسئلة بلال . وكذلك لا أدرك كل ما تقولونه ؛ فرفقًا بي .

الجد : سنفعل إن شاء اللَّه يا سلمان .

---

(١) المرجع السابق (ص١٨٤) .

سمية : وأنا كذلك يا جدي ، أريد أن أفهم كل الذي يدور ، وأجد بعض المشقة .

الجد : سنحاول بقدر الطاقة يا سمية ، ولكن حاولي أن يكون لك لقاء خاص مع والدتك ؛ لتشرح لك المزيد من أمر السيرة .

أبنائي وأحفادي ،

هكذا صار أمر الدعوة إلى الإسلام - بقيادة مصعب بن عمير - على أرض يثرب ، في خلال عام أو أقل (السنة الثانية عشرة من البعثة) وبعدها أدرك الذين أسلموا أنه لا بد من السفر إلى مكة ؛ لمقابلة الرسول القائد ﷺ واختاروا لرحلتهم وَقْتًا هو موسم الحج للسنة الثالثة عشرة من البعثة . وخرج الركب الكريم باتجاه مكة .

بلال : معذرة يا جدي ، هل فريضة الحج كانت قد فرضت في السنة الثالثة عشرة من البعثة ؟ .

الجد : لا يا بلال ، إنَّما حج العرب في ذلك الوقت ؛ من باب تعظيم البيت العتيق واسْتِمرارًا لِمَنَاسك الحجِّ التي أرسى قواعدها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ؛ امتثالًا لأمر اللَّه تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧] .

وكانت المناسكُ الصحيحةُ للحجِّ قد اختلط بها كثيرٌ من أَعْمَال الشرك . رغم هذا كان العرب حريصين على قصد البيت العتيق إعظامًا وإجلالًا في موسم الحج .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي ، وذلك يعني أن البيعة الثانية تمت في السنة الثالثة عشرة من النبوة .

الجد : تمامًا يا بلال .

أحمد : ما هي الأسباب التي دفعت الذين أَسْلَمُوا من أهل يثرب ؛ ليسافروا إلى مكة ؛ لمقابلة رسول اللَّه ﷺ ؟ .

الوالد : لعلك أدركت يا أحمد أنَّه لم يبق دار من دور الأنصار ، إلَّا وفيها رهط من المسلمين يُظْهِرون الإسلام ثم ائتمروا جميعًا ، وقالوا : « حتى متى نترك رسول اللَّه ﷺ يطوف ويُطْرَد في جبال مكة وَيخاف ؟ » .

فرحل منهم ثلاثة وسَبْعُون رجلًا ، وامرأتان من نساء الأنصار ، حتى قدموا على رسول اللَّه في الموسم فواعدوه في شِعْبِ العَقَبَة مِن أَوْسَطِ أيَّام التَّشْرِيق ، بعد أن فرغوا من الحج .

روي عن كعب بن مالك : فنمنا تلك الليلة مع قومنا (وفيهم مشركو يثرب) ، في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا ، لميعاد رسول اللّه ﷺ نَتَسَلَّل تَسَلُّل القَطَا (طائر خفيف الحركة) مُسْتَخفين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب أم عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء ابنة عمرو بن عدي بن نابي إحْدَى نِسَاء بَنِي سَلَمة وهي أمُّ مَنِيع (١) .

فلما اجتمعنا في الشِّعْبِ ننتظر رسول اللّه ﷺ ، حتى جَاءَنا ومَعه العبَّاس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه إلَّا أنَّه أحَبَّ أن يَحْضُر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له .

فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : « يا معشر الخزرج - قال : وكانت العرب إنَّما يُسَمُّون هذا الحيَّ من الأنصار الخزرج خزرجها وأَوْسها - إنَّ مُحَمَّدًا منَّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، مِمَّن هو على مِثْل رَأْيِنَا فيه .

فهو في عِزَّة من قومه وَمَنْعة في بَلَده ، وإنَّه قَدْ أَبَى إلَّا الانْحِياز إليكم واللحُوق بكم . فإن كُنْتم تَرَوْن أنَّكم وافُون له بِمَا دعوتموه إليه ومَانعُوه مِمَّن خَالَفهُ - فأنتُمْ وما تَحَمَّلتم من ذلك . وإن كُنْتُم ترون أنَّكم مُسْلِمُوه وَخَاذِلُوه بعد الخروج إليكم - فمن الآن فَدَعُوه فإنَّه في عِزَّة وَمَنْعةٍ من قومه وَبَلده » (٢) .

قال كعب بن مالك : فقلنا له (أي العباس) : قد سمعنا مَا قُلْت ، فَتَكلَّم يا رسول اللّه فَخُذْ لِنَفْسِكَ ولِربِّك مَا أحْبَبْت .

قال : فتكلم رسول اللّه ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا إلى اللّه وَرَغَّب في الإسلام ، قال : « **أُبايِعُكُم على أن تَمْنَعُوني مما تَمْنَعون مِنْه نِسَاءَكم وأَبْنَاءكم** » .

وفي رواية : « **تبايعُوني على السَّمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العُسر واليُسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في اللّه ، لا تخافوا في اللّه لومة لائِم ، وعلى أن تنصروني ، فتمنعوني إذا قدمت عليكم ، مما تَمْنَعُون منه أَنْفسَكم وأزْوَاجَكُم وأبناءكم ولكم الجنة** » (٣) .

محمود : لعل هذه النصوص هي تفسير للعهد والميثاق الذي أخذه اللّه ﷻ على

---

(١) المرجع السابق (ص١٩٦ - ١٩٧) .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص١٩٧) ، وما بعدها .

(٣) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج ٢ ص١٩٥) .

الأنبياء، بنصرة محمد ودين محمد ﷺ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

الوالد : نعم .

أسامة : هل قبل الأنصار بنصوص هذه البيعة ، وما تحمله من تكاليف ؟ .

الوالد : ممَّا لا شك فيه يا أسامة ، أن هذه البيعة يَنْبَني عليها تكاليف . لهذا أحبَّ الصحابي الأنْصَاري أسعد بن زُرارة ، أن يوضح لإخوانه خُطُورة هذه البيعة ، فأمسك بيد النبي ﷺ وقال : رُوَيدًا يا أهل يثرب ، فإنَّا لم نَضْرِب إليه (أي النبي ﷺ) أَكْبَاد الإبِل ، إلَّا ونحْنُ نعلم أنه رسول اللَّه ، وإنَّ إخْرَاجه اليوم مناوأة للعرب كافة ، وقتل خِيَاركم (وأن) تَعضَّكمُ السيوف ؛ فإمَّا أنْتُم قوم تَصْبِرون على ذلك فَخُذُوه وأَجْرُكم على اللَّه ، وإمَّا أنتم قوم تخافون من أنفسكم خِيفةً ، فذروه فبينوا ذلك ، فهو أَعْذَرُكم عند اللَّه .

قالوا : أَمِطْ عَنَّا يا أسعد ، فواللَّه لا ندع هذه البيعةَ ولا نَسْلُبها أبدًا [1] .

قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة .

أسامة : لو أذنت لي يا أبت ، لقد قرأت أيضًا في السيرة النبوية لابن كثير ، رواية أخرى :

فأخذ البراء بن معرور بيده ، وقال : نعم ، فوالذي بعثك بالحق ، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبَايِعْنا يا رسول اللَّه ، فنحن واللَّه أبناء الحروب ، ورثناها كابرًا عن كابر .

فاعترض القول أَبو الْهَيْثم بنُ التَّيهان ، فقال : « يا رسول اللَّه إنَّ بَيْنَنَا وبين الرجال حِبَالًا وإنَّا قَاطِعُوهَا (يعني اليهود) فهل عَسَيْت إنْ فَعَلْنَا ذلك ثم أظهرك اللَّه أن تَرْجِع إلى قومك وَتَدعَنا » .

فتبسم رسول اللَّه ﷺ ، ثم قال : « **بل الدَّم الدَّم والْهَدمَ الهدم أنَا مِنْكم وأَنْتُم مِنِّي أحَارِبُ من حاربتم وأسالم من سالمتم** » [2] .

الوالد : نعم ، هذا صحيح يا أُسَامَة . وبعدها قال النبي ﷺ : « **أخْرجُوا إليَّ منكم اثْنَيْ عَشرَ نَقِيبًا يَكُونُون على قومهم بما فيهم** » .

---

(١) المرجع السابق (ص١٩٥ - ١٩٦) .
(٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج ٢ ، ص١٩٨) .

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

بلال : هل يمكن أن نعرف أسماء النقباء يا جدي ؟

الجد : نعم يا بلال ، النُّقَبَاء هم :

من الخزرج : أبو أُمَامَة أسعد بن زُرارة ، وسعدُ بنُ الرَّبيع ، وعبد اللَّه بن روَاحَة ، ورَافِعُ بن مَالِك بن العجْلان ، والبراء بن مَعْرور ، وعبد اللَّه بن عمرو بن حرام ، وعُبَادةُ ابن الصامت ، وسعد بن عبادة ، والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيْس [١] .

ومن الأوس : أُسَيْد بن حُضير بن سِمَاك ، وسعدُ بن خَيْثَمة وأبو الْهَيْثم بن التَّيهان .

محمود : لو أذنت لي يا أستاذي ، هناك رواية عن ابن إسحاق ، فيما يتصل بحادثة البيعة : أنَّه لما جُمِعَ القومُ لبيعة رسول اللَّه ﷺ ، قال العباس بن عُبَادة بن نَضْلة الأنصاريُّ ، أخو بَنِي سَالِم بن عَوْف : « يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تُبَايِعُونَ هذا الرجل ؟ » .

قالوا : نعم .

قال : « إنَّكم تُبَايِعُونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنَّكم إذَا أنهكت أموالكم مُصِيبة وأشرافكُم قَتْلًا ، أسْلَمْتموه - فمن الآن ؛ فهو واللَّه إن فَعَلْتم خِزْي الدُّنيا والآخرة . وإن كُنْتُم تَرَوْن أنَّكم وافُون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وَقَتلِ الأشْرَاف - فَخُذُوه ؛ فهو واللَّه خيرُ الدنيا والآخرة » .

قالوا : فإنَّا نأخُذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف . فما لنا بذلك يا رسول اللَّه إنْ نَحْنُ وفَّينا ؟ قال : « **الجنة** » . قالوا : ابْسُطْ يدك ، فبسط يده فبايعوه .

ويقال : إن أوَّلَ من ضَرَب على يَد رسول اللَّه ﷺ أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، ويقال : بل أبو الهَيْثم بن التيهان [٢] .

إيمان : لو أَذنْتَ لِي يا أَبِي ، هل هذه البيعة تمَّت دُونَ علم المشركين من أهل مكة ؟

الوالد : نعم يا إيمان ، ولكن ورد في كتب السيرة خبر ، أنَّه بعد انْتِهَاء البيعة صرخ شيطانُ الْعَقَبَة بأعلى صَوْتِه مُنَبِّهًا أهل مكة : « يا أهل المنازل إنَّ أهل يَثْرب قد بَايعُوا مُحَمَّدًا على حَربكم » [٣] .

بلال : وهل سمع أهل مكة تَحْذِير الشيطان ؟

---

(١) المرجع السابق (ص١٩٨ - ١٩٩) . (٢) المرجع السابق (ص٢٠١ - ٢٠٢) .

(٣) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٢٠٤) وما بعدها .

الجد : نعم يا بلال ، والدليل على ذلك ، أنَّ الأنصار اِسْتأْذنُوا من رسول اللَّه في قتال أهل مكة المشركين : يا رسول اللَّه ، والذي بعثك بالحق لَنَميلن عليهم غدًا بأَسْيَافنا فقال ﷺ : « **لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رِحَالكمْ** » .

فرجعوا إلى مَضَاجِعِهم ، فناموا حتَّى أصبحوا .

وفي الصباح غدت عليهم جُلَّةُ قريش ، حتى جاءوهم في منازلهم ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنَّه قد بَلَغنا أنَّكم قد جِئْتم إلى صَاحِبِنا هذا (يقصدون مُحَمَّدًا ﷺ) ، تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا وإنَّه واللَّه مَا مِنْ حيٍّ من العرب أبغض إلينَا من أن تَنْشب الحربُ بيننا وَبَيْنهم منكم .

قال : فانْبَعَث مِنْ هُنَاك من مُشْرِكي قَوْمنا (أهل يثرب) يَحْلفُون ، ما كان من هذا شيء ومَا عَلِمْناه [1] .

وشد أهل يثرب الرِّحال فَتَنَطَّسَ (تحسس) أهْلُ مَكَّة الخْبَرَ ، فَوَجَدُوه صحيحًا ، فخرجوا في طَلَب القوم ، فأدْرَكُوا سَعْدَ بن عُبَادَة والْمُنْذر بن عمرو .

فأما المنذر فَأَعْجز القومَ ، وأمَّا سعد بن عبادة فأخذُوه فَرَبَطُوا يَدَيْه إلى عنقه بالحبل الذي يُشَد به الرَّحل ، ثم أقبلوا به حتى أدْخَلُوه مكة يضربونه وَيَجْذبونه بِجُمَّته ، وكان ذا شعر كثير ولم يُخَلِّصه من بين أيديهم (بفضل اللَّه) إلَّا جُبَيْر بنُ مُطْعم والحارثُ بنُ حَرْب ابن أُمَيَّة ؛ لأَنَّه كان يجير تجارتهما ويمنعهم من أن يُظْلَمُوا بيثرب [2] .

فلمَّا رَجَع الأنصارُ الذين بايعوا رسول اللَّه ﷺ ليلة العقبة الثانية ، إلى المدينة ، أظهروا الإسلام بها .

اسامة : هل يمكن يا أبي أن نَعْرِفَ أسماءَ بعض الأنصار الذين حضروا بَيْعة العقبة الكبرى ؟

الوالد : أعتقد أنه يمكن الرجوع إلى كتاب السيرة النبوية [3] ، للتعرف على من حضر بيعة العقبة من الأنصار .

إيمان : معذرة يا أبي ، آمل أن أعرف من حضر بَيْعة العقبة الكُبْرى مع نسيبة بنت كَعْب الأنصارية مِنْ أهلها .

الوالد : لقد حرصت هذه الصحابية على أن تصحب معها ولَدَيْها حَبِيبًا

---

(١) المرجع السابق (ص٢٠٥) . (٢) المرجع السابق (ص٢٠٦) .

(٣) لابن كثير تحقيق أ . د مصطفى عبد الواحد . ط . دار المعرفة . (ج٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠) .

وعبد اللَّه ، وكذلك زَوْجَها زيد بن عاصِم بنِ كعب الأنصاريِّ [١] .

أسامة : ابنها حبيب الذي قتله مسيلمة الكذاب في أحداث الردة ؟ .

الوالد : نعم ، وأذكر أن مسيلمة الكذاب راوده على الكفر بمحمد ، فأبى فقال له الكذاب : أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه ؟ .

فقال : نعم . فقال الكذاب : أتشهد أني رسول اللَّه ؟ فقال حبيب : لا أسمع ، فجعل الكذاب يقطع حبيبًا عضوًا عضوًا ، حتى مات في يديه لا يزيده على ذلك ، فكانت أمه أم عمارة (نسيبة) ممن خرج إلى اليمامة مع المسلمين ، حين قتل مسيلمة ، حتى تثأر لمقتل ولدها ورجعت وبها اثنا عشر جُرْحًا من بين طَعْنةٍ وضربة [٢] .

أسامة : وأيضًا يا والدي ، زوجها زيد بن عاصم بن كعب الأنصاريُّ ، الذي شهد بيعة العقبة ، وقيل : إنه شهد بدرًا وأحدًا . وكنيته أبو الحسن . أي : أنه عقبي بدريٌّ .

الوالد : نعم ، أي أن الأسرة كلها كانت حريصة على لقاء الرسول محمد ﷺ ، ومبايعته على القيام بفرض اللَّه عليهم . وهذا من فضل اللَّه عليهم وعلى أمة الإسلام .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١ ، ٢) المرجع السابق (ص٢١٢) .

اختبر معلوماتك

● كان مصعب بن عمير ﷺ ، أول سفير للدعوة إلى اللَّه خارج أرض مكة ، من قبل رسول اللَّه محمد ﷺ ، بل كان المسئول الأول عن الدعوة وتوجيه أمور المسلمين - الأنصار ؛ نيابة عن الرسول محمد ﷺ بالمدينة المنورة . فهل تجاوب أهل المدينة مع دعوته إلى الإسلام ؟ .

● ما هي الصفات التي كان يتصف بها مصعب بن عمير ﷺ ؟ مع كتابة نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية . ومن هم الذين يقومون بدور مصعب بن عمير ﷺ في عصرنا ؟ وهل تتمنى أن تكون مثله ؟ ومتى غَنَّمه اللَّه الشهادة في سبيله ؟ .

● تتبع خبر إسلام أسيد بن حضير ﷺ وسعد بن معاذ ﷺ ؟ .

● للإيمان نور في قلب المسلم يظهر على وجهه ، ويعطي قوة في البدن ونضارة في الوجه . دلل على ذلك ؟ .

● من هو أسعد بن زرارة ؟ وما هو الدور الذي قام به في نصرة دعوة الإسلام ؟ .

● لقد أدرك سعد بن معاذ ﷺ أن الدعوة إلى اللَّه فريضة شرعية وضرورة حياتية فانطلق يؤدي هذا الواجب . ما هي النتائج التي أسفرت عنها دعوة سعد ﷺ ؟ .

● ما هي معلوماتك عن بيعة العقبة الكبرى ؟ من هم أطرافها ؟ متى وأين تمت ؟ وهل علم أهل مكة بخبرها ؟ ماذا فعلوا ؟ وما هي الدروس المستفادة من واقعة البيعة فيما يتصل بالأخذ بالأسباب ؟ .

● ما هي الحقوق والواجبات التي ترتبت للأنصار على هذه البيعة ، من خلال دراستك لنصوصها ؟

● كم كان عدد الأنصار الذين بايعوا الرسول محمدًا ﷺ ليلة العقبة ؟ وهل حضرها نساء أنصاريات ؟ هل حضرها أولاد ؟ ما هو مدلول هذا الحرص على مشاهدة الرسول محمد ﷺ ؟

● ما هي الأسباب التي أدت بالعباس عم النبي محمد ﷺ ، أن يحضر بيعة العقبة ، رغم أنه لم يكن قد أسلم بعد ؟

● أراد أسعد بن زرارة أن يبين لإخوانه الأنصار أمرًا قبل أن يبايعوا . ما الأمر الذي أراد بيانه ؟ .

● اعترض أبو الهيثم بن التيهان إخوانه ، وهم يهمون ببيعة النبي محمد ﷺ . ما السبب ؟ .

● اذكر رد النبي محمد ﷺ على كلام أبي الهيثم بن التيهان . ما هو مدلول تلك الكلمات الطيبة ؟ .

● طلب النبي محمد ﷺ من الأنصار اختيار اثني عشر نقيبًا . لماذا ؟ اذكر أسماء النقباء ، واكتب نبذة مختصرة عن تاريخ كل منهم ، وهل قدر لهم أن يستشهدوا في سبيل الله ؟ اذكر تاريخ المعارك التي قدر لهم أن يستشهدوا فيها ؟ .

● من هي نسيبة بنت كعب الأنصارية ؟ ومن هو زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري ؟ ومن هو حبيب ؟ اذكر نبذة مختصرة عن كل منهم . هل تتمنى أن تكون مثلهم ؟ .

● حينما فشا أمر البيعة ، وعرف مشركو مكة بها ، خاف الأنصار على رسول الله محمد ﷺ ، فاقترحوا منازلة أهل مكة . ماذا كان رد النبي محمد ﷺ ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء الثالث عشر

هجرة النبي محمد ﷺ والصحابة - رضوان الله عليهم - من مكة إلى المدينة المنورة (نهاية السنة الثالثة عشرة من البعثة/ ٦٣٤ م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته .

الأولاد : وعليكم السلام ورحمة اللّٰه وبركاته .

الوالد : الحمد للّٰه رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد رسول اللّٰه ﷺ وبعد ،

لقاؤنا هذا ينصب على النتائج ، التي ترتبت على بيعة الأنصار لرسول اللّٰه ﷺ ، عند العقبة بمكة المكرمة في السنة الثالثة عشرة للبعثة (٦٣٤م) يعني : تكرار وتلخيص لما سبق أن تحدثنا عنه :

أولًا : أن بيعة العقبة الكبرى كانت بمثابة إعلان عن قيام الدولة الإسلامية المجاهدة : على أرض يثرب (المدينة) ؛ حيث تطبق الشرائع وتقام الحدود ويأمن المسلمون على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم ؛ وذلك في حماية الأنصار ، وكان يمثل الرسول القائد وينوب عنه قبل هجرته ، مصعب بن عمير رضي الله عنه يعاونه الأنصار والمهاجرون .

ثانيًا : أصبح ولاء الأنصار - أي الحب والنصرة - للّٰه ولرسوله وللمؤمنين .

ثالثًا : تهيأ للمسلمين وطن آمن يهاجرون إليه ، وهي المدينة المنورة ، وقد وجه رسول اللّٰه ﷺ إخوانه للهجرة بقوله : « **قد أُريت دار هجرتكم أُريت سَبخَةً ذات نَخْل بين لابَتَيْنْ** » .

فهاجر منهم من هاجر إلى المدينة .

وفي حديث آخر : قال رسول اللّٰه محمد ﷺ : « **إن اللّٰه جعل لكم إِخْوَانًا ودارًا تأمنون بها** » [١] .

فكان أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) أبو سلمة عبد اللّٰه بن عبد الأسد [٢] .

---

(١) رواه البخاري . السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٢١٣ - ٢١٥) .

(٢) قصة هجرته وزوجه وولده مبسوطة في كتاب السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٢١٥ - ٢١٧) .

ومن بعده عامر بن ربيعة حليف بني عَدِيٍّ [١] ، وعبد اللَّه بن جحش ، وعمر بن الخطاب ، ومصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، وعمار ، وبلال ﷺ .

ثم تتابع المهاجرون ﷺ ، فنزل طلحة بن عبيد اللَّه ، وصهيب بن سنان ، على خُبيب بن إساف بالسَّنح ، ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مَرْثد كناز بن الحصين وابنه مرثد الْغَنَويَّان حليفا حمزة - قبل - ، على سَعْد بن خيثمة ، وقيل : نزل حمزة على أسعد بن زُرارة ، ونزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عزبًا [٢] .

رابعًا : لما رأت قريش أن رسول اللَّه ﷺ ، قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم - عرفوا أنَّهم قد نزلوا دارًا ، وأصابوا منهم منعة .

فَحذِرُوا خُرُوج رسول اللَّه ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه ﷺ قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلَّا فيها ، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول اللَّه - حين خافوه في اليوم الذي سمي يوم الزَّحْمة .

محمود : من هم الأشخاص الذين حضروا هذا اللقاء الخطير ؟ .

الوالد : حضر أشراف قريش : عتبة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، وجبير بن مطعم ، والحارث ابن عامر بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وأبو البخْتري بن هشام وزَمْعَة بن الأسود ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهل بن هشام ، ونَبيه ومُنبه ابنا الحجاج ، وأمية بن خَلف ، ومن كان منهم وغيرهم ، كما حضر معهم شيطان الجن في هيئة شيخ من أهل نجد [٣] .

وفي هذا اللقاء طرحت اقتراحات ثلاثة للمناقشة :

الاقتراح الأول : اعتقال رسول اللَّه ﷺ وحبسه حتى الموت . واعترض الشيخ النجدي (الشيطان) قائلًا : لا واللَّه ما هذا لكم برأي ؛ واللَّه إن حبستموه كما تقولون لَيَخْرُجنَّ أمره من وراء الباب هذا الذي أَغْلَقْتم دونه ، إلى أصحابه فلأوشكوا أنْ يَثِبُوا عليكم ، فينتزعوه من أيديكم ، ثم يُكَاثروكم به ، حتى يَغْلِبوكم على أمركم ، ما هذا برأي .

---

(١) المرجع السابق (ص ٢١٣ - ٢٢٣) . (٢) المرجع السابق (ص٢١٨ - ٢٢٥) .
(٣) المرجع السابق (ص٢٢٦ - ٢٢٨) .

الاقتراح الثاني : أن يخرج أهل مكة رسول اللَّه ﷺ من بين أظهُرهم ، وينفوه من بلادهم ، واعترض أيضًا الشيخ النجدي قائلًا : لا واللَّه ما هذا لكم برأي ؛ ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟

واللَّه لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يَحِلَّ على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه ، حتى يتابعُوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطَأُكم بِهم ؛ فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد . أدِيرُوا فيه رأيًا غَير هذا .

الاقتراح الثالث : قدمه أبو جهل بن هشام : واللَّه إن لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبَا الحكم ؟ .

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتًى شابًّا جَلِيدًا نَسيبًا وسيطًا فينا ، ثمَّ نُعْطِي كُلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ، ثم يَعْمَدُوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فَيَقْتلُوه فنَسْتَريح منه ؛ فإنَّهم إذَا فعلوا ذلك تَفَرَّق دَمُهُ في القبائل جميعًا ، فلم يقدر بنو عبد مناف (عشيرة النبي ﷺ) على حرب قومهم جميعًا فرَضُوا مِنَّا بالعقل فعقلناه لهم [1] .

ووافق القوم على الاقتراح الثالث .

إبلال : إنهم مجرمون يتآمرون على قتل رسول اللَّه ﷺ ! أمة تتآمر على قتل الطبيب الْمُعَالِج الذي أرسله اللَّه رحمة للعالمين ؟ ! إنها الفطرة التي فسدت .

الوالد : نعم ، ولَقد سجل القرآن الكريم هذه المؤامرة في : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) السيرة النبوية (ج٢ ، ص - ٢٢٩) .

اختبر معلوماتك

● يقول اللَّه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] . قدم دليلًا على ذلك من خلال قصة إسلام أهل يثرب (المدينة) .

● الرسول محمد ﷺ ، رغم التضييق الشديد على دعوته ، ورغم المعاناة - كان واثقًا أن الدعوة الإسلامية لا بد وأن تنتصر ، وأنه لا معنى لليأس في حياة صاحب الدعوة ؛ لهذا واصل دعوته مع القبائل العربية خارج مكة . قدم نموذجًا لذلك .

● ما هي الأسباب التي كانت وراء سرعة استجابة شباب يثرب للدعوة الإسلامية ؟ .

● هل كان لليهود وجود في المدينة قبل بعثة النبي محمد ﷺ ؟ وما هو أصلهم ؟ .

● متى التقى النبي محمد ﷺ بأهل يثرب ؟ وأين ؟ وما هي النتائج التي ترتبت على لقاء العقبة ؟ .

● وماذا تعني العقبة الصغرى والكبرى بالنسبة للمسلمين من أهل يثرب ؟ .

● الإسلام دين النظام . ولهذا فإن النبي محمدًا ﷺ قد بعث مصعب بن عمير (أول سفير له في يثرب) ، كما أنه طلب من الذين حضروا البيعة الكبرى أن يخرجوا إليه اثني عشر نقيبًا . لماذا ؟ .

● كيف قام مصعب بن عمير وأسعد بن زُرارة ، كلٌّ بدوره في دعوة أهل يثرب إلى الإسلام ومدى النجاح الذي تحقق بفضل اللَّه ؟ .

● هل يمكن أن تعرض لقصة إسلام سعد بن معاذ ﷺ وأسيد بن حضير ﷺ ؟ ما الأثر الذي تركه إسلام سعد في قومه ؟ .

● أَثَّرَ القرآن في الدعوة . قدم نموذجًا لذلك .

● لقد كانت بيعةُ العقبة الْكُبرى ، وَتَجَمُّع هذا العدد الكبير من المسلمين ، بعد سنة واحدة من دعوة مصعب بن عمير ﷺ في المدينة - توفيقًا ربَّانيًا . ما هي الأسباب التي دعت أهل يثرب إلى هذا التجاوب السريع ؟ هل من صفات الداعية : حسن العرض لدعوته والإخلاص ؟ عدِّد الأسباب .

● كيف تم الإعداد للقاء العقبة الكبرى ؟ وما هي الاحْتِيَاطات التي اتَّخَذها الرسول محمد ﷺ والأنصارُ ، لضمان نجاح اللِّقاء بعيدًا عن أعين الأعداء ؟ ما هي الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء الرابع عشر

نجاح الهجرة وفشل المؤامرة لقتل رسول الله محمد ﷺ
أهل المدينة (يثرب) يخرجون لاستقبال النبي محمد ﷺ
غالب اليهود يرفضون دعوة الإسلام

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

الأبناء : وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته .

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وبعدُ :

يقول رب العالمين : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

نعم يا أبنائي ، لقد نصر اللَّه دعوته حينما قَيَّضَ لها رِجالًا مِنْ أَهْل يَثْرِب ، أسلموا للَّه رب العالمين وَفَتَحُوا قُلُوبَهُم وَدِيَارهم لإِخْوَانهم الْمُهَاجرين ، وحينما بايعوا رسول اللَّه محمدًا ﷺ على نصرته ، ومعاونته في نشر دعوة الإسلام ، وَمَنْعه مِمَّا يَمْنَعُون مِنْهُ نساءهم وأطفالهم وأموالهم (تسمى بَيْعَة الْجِهاد) .

وقد أمر اللَّه سبحانه رسول اللَّه محمدًا ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة . وحينما عرف مشركو العرب بأمر البيعة ، قرروا قتل النبي محمد ﷺ ولكن شاءت إرادة اللَّه أن تفشل المؤامرة ، وتنجح الهجرة ، وتقوم الدولة الإسلامية .

بلال : معذرة يا جدي ، أريد أن أعرف متى تمت الهجرة ؟ وما هي أحداثها ، وأهم الدروس المستفادة ؟

أسامة : دَائِمًا مُتَعَجِّل يَا بِلال ، أنت تعلم أن جَدَّك سَيُعَالِج هذه المسائل . اصْبِر حتَّى يَتِمَّ ذلك ، وادَّخِرْ أَسْئِلَتَك لِوَقْتٍ آخر .

بلال : دائمًا يا عم أسامة تَقْصِد إحراجي أمام جدي ، اللَّه يسامحك ويزوجك ويرزقك ببلال .

الجد : آمين ، والآن استمعوا إليَّ :

لقد كانت هجرة النبي محمد ﷺ يوم الإثنين من شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من بعثته ﷺ .

لقد خرج تحديدًا من بيته في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة ، الموافق ١٢/ ١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م . ودخل المدينة يوم الجمعة ، ونزل بقباء يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة ، وهي السنة الأولى من الهجرة ، وكان عمره ثلاثًا وخمسين سنة ، وكان في صحبته أبو بكر الصديق ﷺ الذي كان قد ابتاع راحلتين ، وحبسهما في داره ، يعلفهما إعدادًا للهجرة [١] .

الوالدة : يا حبذا لو نعرض لحادثة الهجرة ، منذ ذهاب النبي ﷺ إلى بيت الصديق ﷺ .

الوالد : حسنًا . حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسول الله ﷺ ، في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظَهْرَانَيِّ قومه - ذهب رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر الصديق ﷺ ؛ للتخطيط للهجرة ، فَلَمَّا دخَلَ تأخر له أبو بكر ﷺ عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند رسول الله ﷺ أحد إلا عائشة وَأُخْتُها أَسْمَاء ، بنتي أبي بكر .

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ : « **أخرِجْ عَنِّي مَن عِنْدك** » قال : يا رسول الله إنَّما هُمَا ابْنتاي .

وما ذاك ؟ فداك أبي وأمي .

قال : « **إن الله قد أذِن لي في الخروج (من مكة) والهجرة إلى المدينة** » .

فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله .

قال رسول الله ﷺ : « **الصحبة** » .

فبكى أبو بكر من الفرح ، ثم قال : يَا نبيَّ الله ، إِنَّ هاتين رَاحلَتَيْن كُنْتُ أَعْدَدْتُهما لهذا [٢] .

بلال : أي أن الرسول قصد من الزيارة أن يعلم أبا بكر ﷺ فقط ، بخبر الهجرة ؛ لعمل الاستعدادات اللازمة ؟

الوالد : تمامًا يا بلال ، لكن الأمر كان في سرية تامة .

ولما أجمع رسول الله الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خَوْخَة لأبي بكر في ظهر بَيْتِه في حَرِّ الظهيرة (أي أنه لم يخرج من الباب المعتاد ؛ بل خرج من باب

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٢٣٢) وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٢٣٣ - ٢٣٦) .

خلفي) ثم عَمدَا إلى غَارٍ بِثَوْر (جبل بأسفل مكة) فدخلاه وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد اللَّه ، أن يتسمع لَهُمَا ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخْبَر .

بلال : سامحني يا جدي ، ولا تبحلق فيَّ يا عم أسامة الحبيب . ما الحكمة من خروج النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ على هذا النحو ؟ .

الجد : **الهدف منه التخفي** ؛ فاللَّه يقول : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف : ٢٠] .

فأهل مكة كانوا قد اتخذوا قرارًا فعلًا بقتل النبي محمد ﷺ ، كما قلنا ، وكانوا يتربصون بالنبي محمد ﷺ .

ثانيًا : الاختفاء في مكان خارج مكة (غار ثور) حتى تَهْدَأ الرِّجْل ويَخِفّ الطَّلَب ، وبعدها يَتَحَرَّكُون إلى أَرْض الهجرة .

ثالثًا : جمع المعلومات عن حركة كُفَّار مكة ، في البحث عن النبي محمد ﷺ ؛ للتحرك في ضَوْئِها . وهذه كانت مهمة عبد اللَّه بن أبي بكر ﷺ ، الذي كان يَسْمَع ما يأتمرون ،به وما يقولون في شأن رسول اللَّه وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى ، فيخبرهما الخبر فيأخذوا حذرهم .

وكان عَامرُ بنُ فُهيْرة يرعى في رعيان أهل مكة ؛ فإذا أمسى أراح عليهما غَنَم أبي بكر فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد اللَّه بن أبي بكر من عِنْدِهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أَثَرهُ بالغنم يعفِّي عليه ؛ لأَنَّ العرب كانوا أذكياء في تَقَصِّي الأثر ، وقد حاولوا ذلك لمعرفة خط سير رسول اللَّه محمد ﷺ ، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك .

رابعًا : كانت أسماء بنت أبي بكر ﷺ تأتيهما بالطعام إذا أمست ، بما يُصْلِحهُما [1] .

بلال : سامحني يا جدي ، ألم يحاول مشركو مكة أن يَسْتَجْوبُوا عليَّ بن أبي طالب الذي وجدوه في فراش الرسول محمد ﷺ ؟ .

الجد : نعم ، بل يقال : إنَّهم أساءوا مُعَامَلته ، لكنهم لم يَفُوزُوا مِنْه بمعلومة ، كما أَنَّهم حاولوا نفس الشيء مع بنات أبي بكر ﷺ فلم يفلحوا أيضًا .

لقد ذهب نَفَر من قريش ، منهم أَبو جهل بن هِشَام ، إلى بيت أبي بكر ، فخرجت

---

(١) المرجع السابق .

إليهم أسماء رضي الله عنها ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أَيْنَ أبي . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشًا خبيثًا ، فلطم خَدِّي لَطْمَة طرح منها قِرْطي ، ثم انصرفوا [١] .

الأبناء : إنَّهم مجرمون ؛ لم يرحموا ضعف أسماء رضي الله عنها ، وهي فتاة لم ترفع في وجههم سلاحًا ! أين المروءة في حياة هؤلاء المشركين ؟ !

الأب : لا تنزعِجُوا ؛ فكفار مكة أخف وطْأَة من مُجْرِمي العصر الحديث ، الذين يتفننون في حرب الله ورسوله ، والاعتداء على حرمات المسلمين ، مثال ذلك : ما يفعله المُجْرمون بِإخْواننا من شَعْبِ العراق ، وما يفعلونه بإخواننا وأخواتنا على أرض كُوسُوفا والبوسنة والهرسك ، وعلى أرض فلسطين المُحْتَلَّة والْهِند وكَشْمِير والفلبِّين وسيينكيانج (تركستان الشرقية) ، الواقعة تحت القهر الصيني الشيوعي الذي فَصَّلنا جانبًا منه في كتابنا : البوسنة والهرسك جُرْحٌ ينزف في جَسَد الأمة .

وحتى لا يَتَشَعَّب بنا الحديث ، نستأنف حديثنا عن الهجرة .

بلال : لو أذنت لي يا جدي ، هل تم تنفيذ المؤامرة ؟ وهل عرف رسول الله ﷺ بنبأ هذه المؤامرة ؟ .

الجد : نعم يا بلال ، لقد جرت ، مُحَاولة ولكنها فشلت ؛ لقد أتى الوحي رسول الله ﷺ فقال له : لا تَبِتْ هذه الليلة على فِرَاشِك الذي كُنْتَ تبيت عليه .

فلمَّا كان الليلُ حاصَرَ المتآمرُون بقيادة أبي جهل ، بيت النبي ﷺ يرصدونه حتَّى ينام ، فيثبون عليه : فلما رأى رسول الله مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب : « **نم على فِرَاشِي ، وتسجَّ ببُردي هذا الحضرميَّ الأخضر ، فَنَمْ فيه ؛ فإنَّه لن يَخْلُصَ إليك شيءٌ تكرهه منهم** » [٢] .

بلال : لقد كان عليٌّ شُجَاعًا ؛ حيث قَبِلَ أن يَنَام في سَرِير النبي محمد ﷺ ، ولم يخف من مواجهة المجرمين مشركي مكة !

الجد : نعم يا بلال .

بلال : لو أذنت لي يا جدي ، كيف استطاع رسول الله ﷺ أن يخرج من هذا الحصار ؟ .

الجد : اصبر يا بلال ؛ هذا ما أذكره الآن .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٣٦) . (٢) المرجع السابق (ص٢٢٨ - ٢٢٩) .

حينما اجتمع المتآمرون عند باب النبي ﷺ ، قال أبو جهل ساخرًا : إنَّ محمدًا يَزْعم أنَّكم إن تَابَعْتُمُوه علَى أمْرِه ، كُنْتُم مُلُوك العرب والعجم ثم بُعِثْتم من بَعْد مَوْتِكم ، فَجُعِلَتْ لكم جِنَان كَجِنَان الأرْدُن ، وإنْ لم تفعلوا كان فيكم ذَبْح ، ثم بُعِثْتُمْ بعد مَوْتِكم ، ثم جعلت لكم نار تُحْرَقُون فيها (١) .

فَخَرَج رسول اللَّه ﷺ ، فأخذ حِفْنَةً من تُرَاب في يده ، ثم قال : « **نعم أَنَا أَقُول ذلك أنْتَ أحدهم** » . وأخذ اللَّه عَلَى أبْصَار المتآمرين على النبي محمد ﷺ فلا يَرَوْنه ، فَجَعَلَ ينْثُر ذلك التُّراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات : ﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ١- ٩] .

فلم يبق من المشركين رجل ، إلا وقد وضع على رأسه ترابًا .

ثم انصرف إلى حَيْثُ أراد أنْ يَذْهَبَ .

فأتاهم (أي المشركين المتآمرين) آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تَنْتَظِرُون هَهُنَا ؟ قالوا : مُحَمَّدًا .

فقال : خَيَّبَكم اللَّه ! قد واللَّه خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رَجُلًا ، إلا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رأْسِه تُرَابًا ، وانْطَلَق لِحَاجَته ، أفما تَرَوْن مَا بِكُم ؟ .

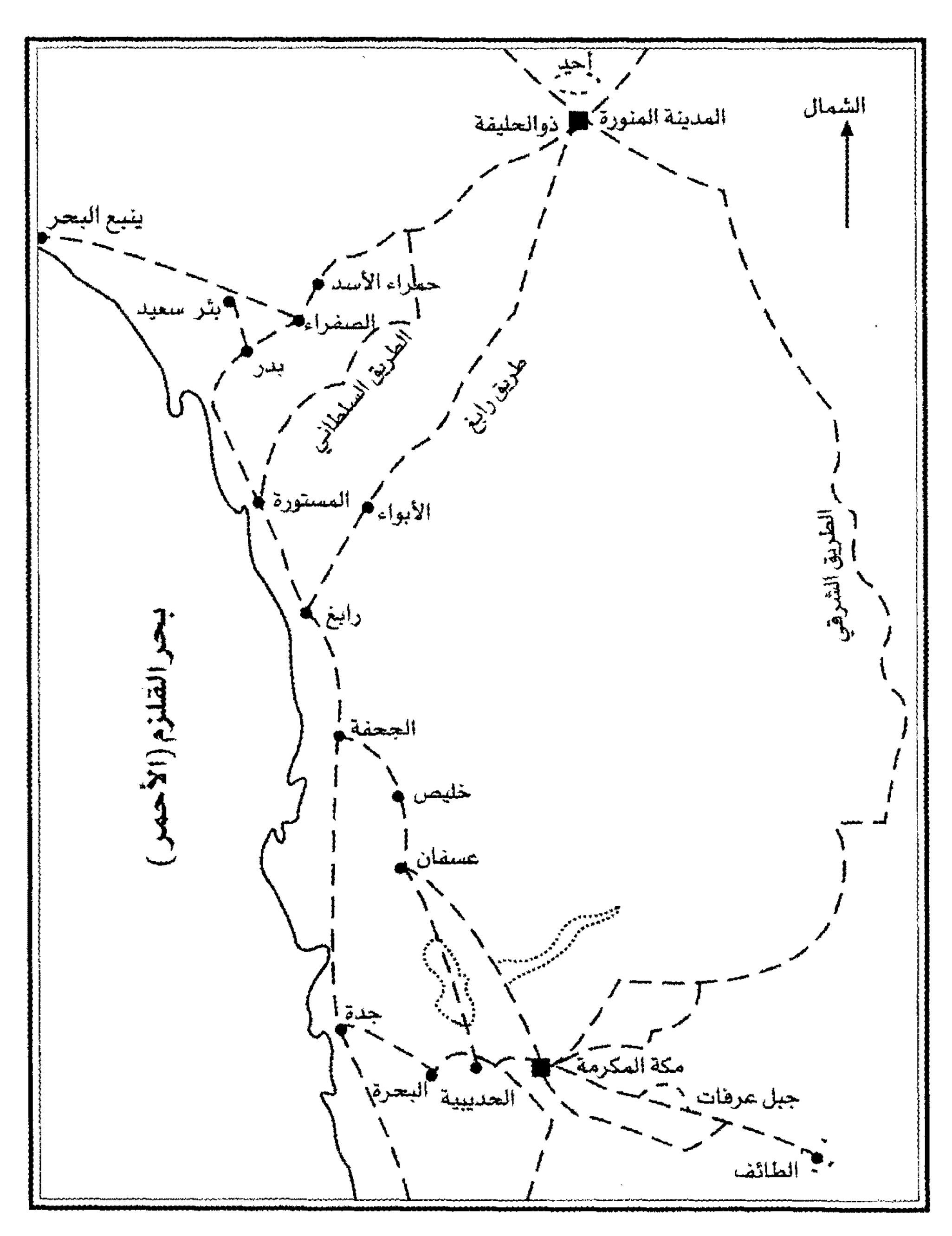
قال : فَوَضَع كلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رأْسِه ، فإذَا عليه تُراب ، ثم جعلوا يَتَطَلَّعون فيرون عليًّا على الفراش متسجِّيًا بِبُرْد رسول اللَّه فيقولُون : واللَّه ، إنَّ هَذا لَمُحَمَّدٌ نائمًا عليه بُرده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام عليٌّ عن الفِرَاش ، فقالوا : واللَّه ، لقد كان صادقًا الذي كان حدثنا . وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

بلال : الحمد للَّه الذي نَجَّى رسول اللَّه محمدًا ﷺ من أعداء الإسلام .

الجميع : الحمد للَّه القادر المقتدر ﷻ .

سمية : معذرة يا جدي ، هل هذه الأحداث والتآمر على حياة النبي القائد ، كانت دافعًا

(١) المرجع السابق ،(ص٢٣٠) .



الطريق بين مكة والمدينة

لهجرة النبي محمد ﷺ وأصحابه ؟ وكيف كانت الهجرة : خطتها ، توقيتها ، نتائجها ؟ ما هي الدروس المستفادة ؟ وهل يمكن وضع أسئلة وإجابات عن هذا الموضوع ؟ .

الجد : يبدو يا سمية ، أنك لم تنتبهي لما سبق وقاله جدك ؛ فقد غطى الإجابة على أسئلتك هذه ، آمل أن تستذكري ما قاله في اللقاء السابق والحالي ، وترجعي إلى كتاب السيرة النبوية ، وما قلناه في هذا اللقاء .

الأب : أيها الأحباب ، ورغم هذا الذي فعلته قريش ، فقد فشلت مؤامرتها بفضل الله ونجّى اللَّه رسوله محمدًا ﷺ ، وإخوانه . وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

ووصل رسول اللَّه محمد ﷺ وأبو بكر ومن معهما ، سالمين إلى قباء في يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤من النبوة (وهي السنة الأولى من الهجرة) الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ م .

وقد كان في استقبال رسول اللَّه ﷺ وصحبه ، أهل المدينة مكبرين مهللين ، ونزل رسول اللَّه ﷺ عَلَى كلثوم بن الهدْم أخي بني عمرو بن عوف ، لمدة أربعة أيام ، أسس أثناءها مسجد قباء ، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة [1] .

وفي اليوم الخامس توجه رَسُول اللَّه وأَصْحَابه إلى المدينة ، في صُحْبَة أَخْوَاله بني النَّجار ، الذين جاءوا إليه متقلدين سيوفهم ، وقد أدركتهم الجمعة في الطَّرِيق فَصَلُّوا في مَسْجد في بَطْن الوادي (رانوناء) في بني سالم بن عوف . وبعدها دخل النبي ﷺ إلى المدينة (يثرب) في احتفال عَظِيم ، والنَّاس يهلّلون ويكبِّرون ونساءُ الأنْصَار والصبيان ينشدون من الفرحة :

أَشْرَقَ الْبَدْر عَلَيْنَا	مِنْ ثَنِيَّات الوداع
وَجَبَ الشُّكر عَلَينا	مَا دَعَا للَّه دَاعْ
أيُّها الْمَبْعوثُ فِينَا	جِئْتَ بِالأَمْر المُطَاعْ

لقد دخل الرسول ﷺ المدينةَ ، وقَدْ خَرَجَ أهلها لاستقباله حتى إن العواتق لَفَوْق البُيوت يَتَراءَيْنَه ، يقُلنَ . أَيُّهم هو ؟ أيهم هو ؟ فما رُأيَ مَنْظَرًا شبيهًا به .

رُويَ عَنْ أَنَس ، أنّه قَال : فلقد رَأيتُه يَوْم دَخَلَ عَلَيْنَا ويوم قبض ، فلم أر يَوْمَين

---

[1] المرجع السابق (ص٢٧٠ - ٢٧١) .

شَبِيهًا بهما .

وروي عن أبي بكر : وخرج الناس حِينَ قَدِمْنا إلى المدينة ، في الطرقات ، وعلى البيوت والغلمان والخدم ، يقولون : اللَّه أكبر ، جاء رسول اللَّه ! اللَّه أكبر ، جاء محمد ! اللَّه أكبر ، جاء رسول اللَّه ! اللَّه أكبر ، جاء محمد ﷺ [١] !

وَتَمَنَّى كُلُّ واحد من الأنصار أن ينزل الرسول محمد ﷺ عليه . ومن هؤلاء العبَّاس ابنُ عُبَادَة بن نَضْلَة ، الذي ذهب إلى النبي محمد ﷺ ، في رجال من بني سالم ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، أقم عندنا في الْعَدَد والعدَّة والْمَنَعَة . قال : « **خلوا سبيلها** (أي الناقة) ؛ **فَإِنَّها مأمُورة** » فخلوا سبيلها ، فَانْطَلَقَتْ ، حتَّى إِذَا مرَّت بدار بني ساعدة ، اعترضه سَعْدُ بنُ عُبَادَة والْمُنْذِر بن عَمْرو فِي رِجَال منْ بَنِي ساعدة ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، هلم إلينا في العدد والْمَنَعة .

قال : « **خلُّوا سِبيلَها فإنَّها مأمورة ، خلُّوا سَبِيلَها** » .

وَحَدث نَفْسُ الشيء من سَعْد بن الرَّبيع ، وَخَارِجة بن زَيْد ، وعبد اللَّه بن رواحة ، ورِجَال منْ بَنِي الْحَارِث بن الْخَزْرج ، وكذلك سليط بن قيس ، وأبو سليط أسيرة بن أبي خَارِجة ، في رجالٍ منْ بني عدي بن النجار ، ورسول اللَّه ﷺ يقول لهم : « **خلُّوا سبيلها ؛ فإنها مأمورة** » .

فانطلَقت النَّاقة ، حتى أتت دار بَني مَالِك بن النَّجار فبَرَكَتْ على باب مسجده ﷺ ، وكان يومئذ مربدًا لغلامين يتيمين ، من بني مالك بن النجار ، وهما سهْل وسُهَيْل ابْنَا عَمرو ، وكانا في حِجْر أسْعَد بن زرارة ، وكان هذا المكان أمام دَار أبي أيُّوب ، خالد بن زيد الأنْصَاري . فنزل رسول اللَّه ﷺ في دَار أبي أيوب ، حتَّى بَنَى مَسْجِدَه ، وَمَسَاكِنه ، فعمل فيه رسولُ اللَّه والمسلمُون من المهاجرين والأنصار .

وبمُجرَّد أنْ برَكَت الناقة على باب أبي أيوب ، خرجت جَوَارٍ من بني النَّجار يَضْرِبْن بالدفوف ، وهن يَقُلْنَ :

نحن جَوَارٍ منْ بني النَّجار يا حبَّذا مُحمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَخَرَج إلَيْهِم رسول اللَّه فقال : « **أَتُحِبُّونني ؟** » فقالوا : إي واللَّه يا رسول اللَّه ! فقال : « **وأنا واللَّه أحبكم وأنا واللَّه أحبكم** » [٢] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٦٩) .

(٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج ٢ ص٢٧١ - ٢٧٤) .

بلال : معذرة يا جَدِّي ، ما معنَى : دَعُوا النَّاقة فإنَّها مأْمُورة ؟ .

الوالد : أي أنَّها مَأْمُورة من اللَّه الخالق ﷻ ، أن تَبْرُك في المكان الذي سينزل فيه رسول اللَّه ﷺ ويبني فيه المسجد .

بلال : أي أن النَّاقة تَعْرِف ربَّها وَخَالِقَها وتُذْعِنُ لأَمْره ؟ .

الوالد : نعم يا بلال ، وارجع إلى الكتاب الأول : تاريخ الإسلام للبراعم المسلمة ، الأصول الثلاثة : اللَّه ، الرسول ، الإسلام [(١)] ؛ لتعرف المزيد عن هذا الموضوع .

بلال : شَكَرَ اللَّه لكَ يا جدِّي .

الوالد : وَلِكَيْ تُدْرِكوا مَدَى الحب الذي انْطَوَتْ عليه قلوبُ الأنْصَار - تذكَّرُوا أن أبَا أيُّوب الأنْصَاريَّ عَرَض على النَّبي أن يسكن الدور العُلْوي ، وأن يكون أبو أيُّوب في السُّفْليِّ .

روي عنِ أبي أيوب : بأبي أنت وأمِّي يا رسول اللَّه ، إني أَكْرَه وَأُعْظِمُ ، أنْ أَكُون فَوْقَك ، وَتَكون تَحْتي ، فاظْهَر أنت ، فكن في العلوّ ، وننزل نحن ، فنكون في السفل . فقال : « **يا أَبا أيوب ، إنَّ أَرْفَق بِنَا وَبِمن يَغْشَانا أن أكون في سفْل البيت** » [(٢)] .

ويقول أبو أيُّوب : وكنا نَصْنَع له العشاء ، ثم نبعث إليه ، فإذا ردَّ عَلَيْنا فَضْلَه تَيَمَّمْتُ أنَا وَأمُّ أيوب مَوْضعَ يده ، فَأَكلْنا مِنْه نَبْتَغِي بذلك البركة .

الأبناء : اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد . وارض اللَّهم عن صحابة رسول اللَّه ﷺ . إنه الحب الذي لا يعرف التاريخ له مثيلًا ، صدق اللَّه العظيم القائل : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨ ، ٩] .

الوالد : نعم يا أبنائي ، وقد أقام رسول اللَّه ﷺ بدار أبي أيوب سَبْعة أشهر تقريبًا . وما كان منْ ليْلَة إلا وعلى بَابِ رسُول اللَّه ، الثلاثة والأربعة يَحْمِلون الطَّعام يَتَنَاوَبُون [(٣)] .

إيمان : سامحني يا أبي ، لا أريد أن أقاطعك ، ولكن أخشى مع فرحتنا بوصول رسول اللَّه إلى المدينة المنورة سالمًا غانمًا - أن ننسى الاطْمِئنَان على أهله الذين خَلَّفهم في مكة . مَاذا كان

---

(١) إعداد أ . د/ وفاء محمد رفعت ، د/ جمال عبد الهادي ، دار الوفاء .

(٢) المرجع السابق (ص٢٧٧) .

(٣) المرجع السابق (ص٢٧٨ - ٢٨٢) .

من أمر بَنَاتِه فاطمة وأم كلثوم وزوجه سودة بنت زمعة ؟ ماذا كان من أمر أم رومان وأسماء وعائشة وغيرهن ؟ .

الوالد : جَزَاكِ اللَّه خَيْرًا يَا بُنية . لقد بعث رسول اللَّه ﷺ زَيْدَ بنَ حارثة ، وأبا رافع ومعهما بَعِيرَان وخَمْسِمائة درْهم ؛ ليجيئا بفاطمة وأم كلثوم ، ابنتي رسول اللَّه ﷺ ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد . وكانت بنته رقية قد هاجرت مع زوجها عثمان ، وزَيْنَب عند زوجها أبي العاص بن الربيع بمكة . وجاءت معهم أم أيمن (بركة) امرأة زيد بن حارثة ، وخرج معهم عبد اللَّه بن أبي بكر ، بعيال أبي بكر ، وفيهم عائشة أم المؤمنين [١] .

محمود : ولكن لماذا اختار رسول اللَّه ﷺ بني النَّجار للنُّزولِ عِنْدَهم ؟ .

الوالد : عَدِيُّ بن النَّجَّار أخوال النبي ، فأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم [٢] .

محمود : ألم يترك ذلك أثرًا في نُفُوس بَقِيَّة الأنْصار ؟

الوالد : لقد ثبت عن رسول اللَّه ﷺ قوله : « **خير دور الأنصار بنو النجَّار ، ثم بنو عبد الأَشْهل ، ثم بنُو الحارث بن الخَزرَج ، ثم بنُو سَاعِدَة . وفي كل دور الأنصار خير** » .

فقال له سعد بن عبادة : يا رسول اللَّه ، خيَّرتَ دورَ الأنصار ، فجعلتنا آخرًا ، قال : « **أَوَ ليْس بِحَسْبكُم أن تَكُونُوا منَ الأخْيار ؟** » [٣] .

أبو محمد : لو أذنت لي يا أبي ، الإمام أبو الفداء إسماعيل بنُ كثير ، قد أورد ما يؤكد الفضل للأنصار ، وقد ثبت لجميع من أسلم من أهل المدينة - وهم الأنصار - الشرف والرفعة في الدنيا والآخرة ؛ فقال اللَّه تعالى : ﴿ وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

---

(١) المرجع السابق (ص٢٧٩) .

(٢) المرجع السابق (ص٢٧٢) .

(٣) المرجع السابق (ص٢٨١) .

أحمد : وقال رسول اللّه ﷺ : « **لولا الهجرة لَكُنْتُ امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا ، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم ، الأنصار شِعار والناس دِثَار** » ، « **الأنصار لا يحبُّهم إلا مؤمن ولا يَبْغَضُهم إلا منافق ، من أحبَّهم أحبّه اللّه ومن أبْغَضَهُم أبْغَضَه اللّه** » [1] .

الوالد : أحبكم اللّه الذي من أجله أحببتموهم .

محمود : معذرة يا أبي ، هل خرج يهود المدينة لاستقبال النبي محمد ﷺ يوم وصوله ؟

الوالد : لا يا بُنَيَّ ، لقد بدا واضحًا أنَّهم قد أصَابهُم الغمُّ ، منذ أن انتقلت الرسالة الخاتمة إلى العرب من ولد إسماعيل (وكانوا لا يتمنون أن ينزل المهاجرون بالمدينة) . لقد كان حقدهم على الإسلام ورسول الإسلام شديدًا ؛ والدليل على ذلك حادثتان دوَّنتهما كتب السيرة :

ذكر ابنُ كثير رحمه الله[2] أن عبد اللّه بن سَلَام لما سمع بقدوم النبي ﷺ وهو في أَرْض له ، فأتى النبي ﷺ ، فقال : إنِّي سَائِلُك عن ثلاث لا يعلمهن إلَّا نبيٌّ :

ما أول أشراط الساعة ؟ .

وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ .

وما بال الولد يَنْزَعُ إلى أبيه أو إلى أمه ؟ .

قال ﷺ : « **أخبرني بهن جِبْريل آنفًا** » .

قال : جبريل !

قال : « **نعم** » .

قال عبد اللّه : عدو اليهود من الملائكة . ثم قرأ رسول اللّه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧] .

بلال : ألا لعنة اللّه على اليهود ؛ يعتبرون جبريل عليه السلام عدوًّا لهم .

أسامة : هل أجاب رسول اللّه محمد ﷺ على الأسئلة ؟ .

الوالد : نعم ، لقد وفقه اللّه إلى الإجابة السديدة ، فقال : « **أمَّا أولُ أشْرَاط**

---

(١) المرجع السابق (ص٢٨١ - ٢٨٢) .

(٢) السيرة النبوية ، (ج٢ ، ص٢٩٤ - ٢٩٧) .

الساعة ، فَنَارٌ تَخْرُجُ على النَّاس من المشرق تسوقهُم إلى المَغْرب ، وأما أولُ طعام يأكُله أهلُ الجَنَّة ، فَزِيَادَة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سَبَقَ ماءُ الرَّجل ماءَ المرْأةِ ، نَزَعَ الْوَلَد . وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرَّجل نَزَعت الولد » .

فقال عبد اللَّه بن سَلام : أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأنَّك رسول اللَّه .

يا رسول اللَّه ، إن اليهود قوم بُهْت ، وإنَّهم إن يَعْلَمُوا بإسلامي قبل أن تسألهم عني – بَهَتُوني .

فجاءت اليهود فسألهم رسول اللَّه محمد ﷺ : « **أيُّ رَجُل عبد اللَّه (بنُ سَلَام) فيكم ؟** » .

قالوا : خيرنا وابن خيرنا وَسَيِّدُنا وابن سَيِّدنا .

قال : « أرأيتم إن أسلم ؟ » .

قالوا : أَعَاذَهُ اللَّه مِنْ ذَلك .

فخرج عبد اللَّه بن سلام ، فقال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه . قالوا (أي اليهود) : شرُّنا وابن شرنا وانتقصوه [١] .

محمود : صدق اللَّه القائل : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

الوالد : والحادثة الثانية التي تدل على حَسد اليهود للنبيِّ مُحَمَّد ﷺ وأمة الإسلام – ما روي عن أم المؤمنينَ صفية بنت حُيَيٍّ زوج النبي محمد ﷺ ، فيما يتصل بمقابلة أبيها وعمها لرسول اللَّه محمد ﷺ .

بلال : هل يعني ذلك أن السيدة صفية أبوها يهودي وعمها كذلك ؟ .

جمال : نعم ، يا بلال ، ولكنها أسلمت للَّه ، لرب العالمين ، بينما أبوها وعمها لم يسلما .

والقصة كما ترويها السيدة صفية [٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « لم يَكُنْ أَحَدٌ من ولد أبي وعمِّي أحبَّ إلَيْهما منِّي ، لم ألقهما في ولد لهما قط ، أهشّ إليهمَا ، إلَّا أَخَذَاني دُونَه ، فلما قدم رسول اللَّه ﷺ قُبَاء ، قَرْيَة بَنِي عَمْرو بن عوْف ، غَدا إلَيْه أبي (حُيَيٌّ)

---

(١) السيرة النبوية (ج٢ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧) . (٢) المرجع السابق (ص ٢٩٨) .

وَعَمِّي أبو ياسر بنُ أخطب (وهُمَا من يهود بني النضير) مُغْلِسَين ، فواللَّه ما جاءانا إلَّا مع مغيب الشمس ، فَاتِرَيْن كَسْلانَين سَاقِطَيْن يَمْشِيَان الْهُوينى ، فَهَشَشْتُ إِلَيْهِمَا ، كَمَا كُنْتُ أَصْنَع ، فواللَّه ما نظر إليَّ واحد منهما .

فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي (وهو يومئذ سيد اليهود) : أهو ؟

قال : نعم واللَّه !

قال : تعرفه بنعته وصفته .

قال : نعم واللَّه .

قال : فماذا في نَفْسك مِنْه ؟ .

قال : عَدَاوَتُه واللَّه ما بقيتُ » .

الأولاد : لا حول ولا قوّة إلا باللَّه ! تَأَكَّد لَهَذيْن اليهوديَّين أن مُحَمَّدًا ﷺ هو رسول الإسلام وحامل رسالة ربِّ العالمين ، الذي بشرت به التوراة والإنجيل . ورغم ذلك رفض اليهوديان الدخول في الإسلام ، ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ ؛ بل يُعْلِنان أنَّهُمَا يُكنَّان له العداوة طيلة حياتهم ؛ إنَّهُم قَوْم بُهْت .

الوالد : إِنَّه الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين ، الذي ستتكشَّف أبعادُه في دراستنا التاريخية الحالية . وصدق اللَّه القائل : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

والآن جاء دور الأسئلة .

محمود : معذرة يا جدي ، لقد تعلمنا من رسول اللَّه ﷺ أهمية الدعاء ، وأنه يردُّ البلاء ، وهذا ما لم ينسه رسول اللَّه ﷺ ، وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجرًا .

هل تسمح لي بذكره لعلنا نستفيد ؟ .

الوالد : تفضل يا شيخ محمود .

محمود : الحمد للَّه الذي خلقني ولم أكُ شيئًا .

« اللَّهم أعنِّي على هول الدنيا وبَوائِق الدهر ، ومصائب الليالي والأيام ، اللَّهم اصحبني في سفري ، واخلفني في أهلي ، وبارك لي فيما رزقتني ، ولك فذلِّلْني ، وعلى صالح خُلُقِي فَقَوِّمني ، وإليك ربي فحبِّبْني ، وإلى الناس فلا تكِلْني ، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربّي ، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض ،

وصلح عليه أمر الأولين والآخرين - أن يحِلَّ عليَّ غضبك ، أو تنزل بي سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك ، وفَجْأة نقمتك ، وتحَوُّل عافيتك ، وجميع سخطك ، لك العتبى عندي خير ما استطعت ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

الوالد : قولوا جميعًا : آمين آمين يا رب العالمين .

الأولاد : آمين آمين يا رب العالمين .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ، ذكرتنا بالخير .

* * *

اختبر معلوماتك

إيمان : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ .

بلال : نريد أسئلة سهلة يا عمَّتي إيمان .

العمة : إن شاء اللَّه .

● ما هي الأسباب التي أدت إلى هجرة النبي محمد ﷺ ، وأصحابه من مكة إلى يثرب (المدينة المنورة) ؟ .

● كيف جرت أحداثها ؟ ومتى وقعت ؟ .

● رغم علم الرسول محمد ﷺ وأصحابه أَنَّهم مُؤَيَّدُون بحفظ اللَّه ، إلَّا أَنَّهُم لم يُغْفِلُوا الأسباب التي لا بد من الأَخْذ بها لضمان نجاح الهجرة . كيف تم ذلك ؟

● لقد تعلم أبو بكر أن مُقْتَضَيات الإسلام ، أن يُوَظِّف نَفْسَه وماله وأهله لنصرة اللَّه ورسوله ودين الإسلام . تَتَبَّع جهود أبي بكر وأهله في هذا المجال . كَيْفَ كانوا صورة حيَّة للإسلام ؟ هل تتمنى أن تكون مثله ؟ وكيف السبيل إلى ذلك ؟ .

● المرأة المسلمة امرأة مؤتمنة شجاعة . كيف كانت أسماء بنت أبي بكر صورة حية لذلك ؟ تتبع دورها في نجاح الهجرة ، وقدِّم ما يدل على إحسان أبي بكر في تربية أبنائه وبناته .

● حينما علمت قريش بنبأ البيعة الكبرى عَقَدَت اجتماعًا عاجلًا في دار الندوة ؛ لاتخاذ القرار المناسب لمواجهة آثار هذه البيعة . ما هو القرار ؟ وهل نجحت قريش في تنفيذ قرارها ؟ لماذا ؟ .

● هل الهجرة كانت فرارًا من المشركين أم أنها كانت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة واستكمالًا لمسيرتها ؟ .

● كانت بيعة العقبة بمثابة إعلان عن قيام الدولة ، التي تطبق شرائع اللَّه ، وتقيم الحدود ، وتقوم بفرائض اللَّه عليها ، على أرض يثرب (المدينة المنورة) . اشرح ذلك .

● بَشَّر رسول اللَّه محمد ﷺ أصحَابه بِدَار الهجرة قبل وُقوعها ، وهو ما ينطق عن الهوى . اذكر الحديث النبوي الذي بَشَّر بذلك .

● من كان أول المهاجرين من مكة إلى المدينة ؟ .

● ما هي الأسباب التي أدت إلى اجتماع قريش في دار الندوة ، واتخاذ قرار بقتل

النبي محمد ﷺ ؟ وهل نجحت أم فشلت ؟

الوالد : جزاك الله خيرًا يا إيمان . والآن جاء دور أسامة ، ليستكمل الأسئلة .

أسامة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

- ما المنزل الذي حَطَّ فيه رَكْبُ النبي محمد ﷺ قبل وصوله إلى يثرب (المدينة) ؟ .
- صف فرحة أهل المدينة بوصول النبي محمد ﷺ . وَكَيْف كانَ الاستقبال ؟
- كيف حَسَم النبي محمد ﷺ تدَافُعَ الأنصار حَوْلَه لاستضافته في دورهم ؟ .
- من هم أخوال النبي محمد ﷺ بالمدينة المنورة ؟ هل تذكر متى تعلم الرسول ﷺ السباحة في بئر من آبارهم ؟
- من هو أبو أيوب الأنصاري ؟ ومن زوجته ؟ وكم يومًا أقامها النبي محمد ﷺ في داره ؟
- ماذا فعل أهل الرسول محمد ﷺ بمكة بعد سفره ؟ ومتى هاجروا ؟
- يقول رسول الله ﷺ : « **لولا الهجرةُ لكنت امرأً من الأنصار** » اشرح هذه العبارة .
- كيف كان حال اليهود حينما علموا بوصول رسول الله ﷺ - إلى المدينة ؟
- اذكر قصة إِسْلام عبد الله بن سَلام اليهودي . وكيف كان ينظر إليه اليهود قبل إسلامه وبعد إسلامه .
- اذكر خبرًا يثبت أن اليهود رغم علمهم بصدق رسول الله ﷺ - رفضوا الإسلام وأصروا على الكفر .
- تتبَّع مفاتيح النفسية اليهودية ، من خلال كتاب معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، من باب تبيين رب العالمين سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٥] .

الوالد : قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

اللقاء الخامس عشر

قيام الدولة الإسلامية على أرض يثرب (المدينة المنورة)
التحديات التي واجهت النبي محمدًا ﷺ وكيف تعامل معها ؟

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

الأبناء : وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته .

الوالد : أبنائي وبناتي ، لقاؤنا اليوم تحت عنوان : « قيام الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة » في صفر سنة ١ هجرية سبتمبر ٦٢٢ م بعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة إلى اللَّه ؛ تحقيقًا لمقتضى العبودية للَّه رب العالمين ، والهدف من هذا أن نتعلم من معلمنا وقائدنا وزعيمنا محمد ﷺ ، الوسيلة والمنهج الذي يجب أن نُوَاجِهَ به تحديات عصرنا .

وقبل أن أسترسل في الحديث ، أود أن أطرح بعض الأسئلة ؛ خاصة أنكم قد قمتم بدراسة سيرة النبي محمد ﷺ مع جدِّكم وأبيكم .

ما هي أخطر التحدِّيات التي كانت تواجه النبي محمدًا ﷺ على أرض الدولة الإسلامية الوليدة (المدينة) بعد الهجرة ؟ .

بلال : سامحنا يا جَدِّي ، أود أن أرحِّب بجدتي العزيزة في درسها اليوم .

سمية : وأنا أيضًا يا جَدِّي .

الجدة : شكرًا لكم ، والآن أجب يا أحمد .

أحمد : الواقع أن التحدِّيات التي واجهت النبي محمدًا ﷺ ليست فقط بعد الهجرة ، ولكنَّها أيضًا اتضحت بشكل مؤكد ، منذ نزول الوحي ، حاملًا رسالة الإسلام الخاتمة ، عَلَيه في حرم اللَّه الآمن ، مكة المكرمة : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١- ٥] .

لقد تعلم النبي محمد ﷺ من الوحي ، أن أخطر ما يواجهه من تحديات ، هو : إقامة دين الإسلام نظامًا حياتيًا شاملًا في حياة الإنسان ، كل الإنسان ، على أرض اللَّه كلها ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله للَّه ؛ بمعنى أن تقوم الدولة الإسلامية ، بمؤسساتها العقدية والفكرية والسياسية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية

والسلوكية ؛ بمعنى أن تنبثق مناهجُ الحياةِ كلها ، التي تنظم حياة المجتمعات ، من عقيدة الإسلام وشرائعه ومنهاجه ؛ ليأمن الناس – بما في ذلك أهل الكتاب – على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم ودمائهم .

بلال : لو أذنت لي ياجدِّي ، أطلب من عمِّي أحمد ، أن يقدم الدليل الشرعي على ما يقول .

أسامة : أنت يا بلال تسأل عن بديهيات ، قيلت قبل ذلك . أنت تُعَطِّلنا بهذا الشكل .

الوالدة : دعه يا أسامة يسأل ؛ فهذا حقه .

بلال : شكر اللَّه لك يا جدتي الحبيبة .

الوالد : حسنًا ، الدليل يا بلال قول اللَّه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] . وقول اللَّه تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

وقول اللَّه تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

بلال : شَكَرَ اللَّهُ لَكَ يا جَدِّي الحبيب .

محمد : لو أذنت لي يا والدتي ، أود أن أبيِّن أيضًا أن **من أخطر التحديات** التي واجهت النبي محمدًا ﷺ ، هي **تحرير بيت المقدس** ، وغيرها من ديار العالم العربي الواقعة تحت الاحتلال الرومي (الأوربي منذ عهد بومبي ٦٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام / ٧٠٠ قبل هجرة النبي محمد ﷺ تقريبًا) والدليل على ذلك التكليف :

أولًا : حادثة الإسراء برسول اللَّه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، في السنة العاشرة من البعثة النبوية (الخمسين من ميلاد النبي محمد ﷺ) .

ثانيًا : قول اللَّه تعالى ، في سورة المائدة على لسان موسى النبي المسلم عليه السلام ، لقومه المسلمين : ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٢١] .

لقد أدرك الرسول محمد ﷺ أن تحرير بيت المقدس ، خطوة أولى ضرورية ، نحو تحرير الأرض العربية كلها ، ومنها : سورية وفلسطين ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الواقعة تحت الاحتلال الأوربي (الرومي) ، منذ ستمائة وخمسين

سنة ، وكذلك تحرير أرض الرافدين وإيران والحدود الشرقية للجزيرة العربية ، من قبضة الاحتلال الفارسي ؛ وذلك تمهيدًا لإقامة حكم الإسلام على أرضها ؛ لقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

إيمان : لو أذنت لي يا والدتي ، **ومن التحديات أيضًا** : جهاد الكافرين والمنافقين الذين يعيثون في الأرض فسادًا ، يقْتلون النَّاس وَيُحَرِّقونهُم ويغتصبون النساء والأطفال ، ويحتلون ديارهم ، ويسلبون ثرواتهم ، ويمنعونهم من مباشرة شعائر دينهم ؛ لقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] .

ومن التحديات أيضًا : تصفية المعاقل اليهودية التي كانت تمسك بزمام الحياة الاقتصادية والتجارية والزراعية ، وصناعة السلاح ، وتعمل على بث الأحقاد وإشعال الفتن داخل المجتمع المسلم ، وتحريض القبائل العربية المجرمة على النبي محمد ﷺ وأصحابه وعلى بعضهم البعض .

الوالد : جزاكم الله خيرًا ، والآن جاء دوري ؛ لكي أعرض أمامكم الوسائل ، وكيف استطاع رسول الله محمد ﷺ مواجهة هذه التحديات وغيرها بالمنهج الربَّاني الإسلامي .

لقد أدرك الرسول محمد ﷺ أن مواجهة هذه التحديات ، تحتاج إلى إنسان العقيدة المسلم الملتزم .

والطريق إليه الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، المقترنة بالانتقاء والتربية والتكوين ، فقام بمباشرة هذه المهمة على مدار ثلاث عشرة سنة ، بمكة المكرمة والمدينة ، حتى اكتمل بناء قاعدة صلبة من إنسان العقيدة .. أمثال أبي بكر وعمر وحمزة وعثمان وعلي وبلال وصهيب وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وياسر وعمار وخديجة وفاطمة وسمية ، وغيرهم من الصحابة ﷺ أجمعين .

وكانت الهجرة ، كما قلنا في ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة ١٢/١٣ سبتمبر ٦٢٢م ، ووصل الركب النبوي الكريم إلى يثرب (المدينة المنورة) ، في ١٢ ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة سبتمبر ٦٢٢م ، وخرج الأنصار والمهاجرون رجالًا ونساء وأطفالًا ؛ لاستقباله وهم ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شَرَّفت المدينة مرحبًا يا خير داع

وتدافع الأنصار في سلاحهم حول النبي محمد ﷺ ، يطلبون أن ينزل عليهم ، يقولون : هيا إلى المنعة .

فقال لهم النبي محمد ﷺ : « **دَعُوا النَّاقَة ؛ فإنَّها مَأْمُورة** » . واستقر الرسول الكريم بِبَيْت أبي أيوب الأنصاري ، والأنصار هم من أخواله بني النجار .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا .

بلال : الملاحظ يا جدي أن الرسول محمدًا ﷺ ، قد وصل المدينة في شهر ربيع الأول ، وهو نفس الشهر الذي ولد فيه وبعث فيه ، ويقال أيضًا : مات فيه .

الجد : بارك اللَّه فيك يا بلال ، ملاحظة جيدة . وحينما وصل النبي محمد ﷺ قال دعاء المنزل : « **اللَّهم ربَّ السموات السبع وما أظللن ، ورب الأراضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، نسألك خير هذا البلد وخير ما فيه ، ونعوذ بك من شَرِّه وَشرِّ ما فيه ، اللَّهم ارزقنا جَنَاه ، وَأَعِذْنا مِنْ وَبَاه ، وحَبِّبْنَا إلى أهله ، وحبِّب صالحي أهله إلينا** » .

وكانت **الخطوة الأولى** التي قام بها الرسول محمد ﷺ : إقامة المسجد الجامع ومنزل لإقامته ، على أرض لغلامين يتيمين من الأنصار ، دفع ثمنها رسول اللَّه محمد ﷺ . ومنذ ذلك الحين أصبح الْمَسْجِد المقر الرسمي للرسول محمد ﷺ ، وصحابته . فيه يصلي المسلمون الصلوات الخمس ، خلف قائدهم وزعيمهم ﷺ . وفيه كان يَتَنَزَّل الوحي أحيانا كثيرة على النبي ﷺ . وفيه يستقبل الرسول القائد السفراء ، ويعقد الألوية للسرايا والبعوث ، وفيه يعقد الرسول مجالس الشورى ، المكونة من المهاجرين والأنصار ، وفيه تنعقد مجالس العلم الشرعي والكوني ، وفيه تُتَّخذ القراراتُ المَصِيريَّة ، وتُعْقد حَلقَات تحفيظ القرآن ، والتفسير ، والفقه ، والمغازي . للرجال والنساء والأطفال .

في المسجد تُجرى الاستعراضات الجهادية (اللاعبين بالحراب) . في المسجد يخصص مكان لعلاج جرحى ميدان القتال . في المسجد خصص مكان لإقامة أهل الصُّفَّة (المهاجرين) ، الذين طردوا من ديارهم وَجُرِّدوا من أموالهم بسبب إسلامهم

واتباعهم لمحمد ﷺ .

في المسجد تُعْقَدُ مَجالس القضاء ، يقوم الناس الليل ، ويصلون التراويح ويعتكفون .

في المسجد كان يَتَفَقَّد رسول اللَّه ﷺ أصحابه والأرامل والأيتام ، وفي المسجد كان يتم تربية الأمة على مفهوم الإسلام الشامل ، تربية إيمانية جهادية ، وتربية مهنية وعقلية ونفسية واجتماعية .

محمود : أين هذا الدور الذي كان يقوم به المسجد في حياتنا ؟ لقد حُوصِرَت المساجدُ وَمُنِعَ الدعاة من أداء دورهم ، رغم أن اللَّه حذر : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ١١٤] .

الوالد : لا تحزن يا محمود ؛ فرسول اللَّه محمد ﷺ بَشَّرَنَا : « **سيعود الإسلام غريبًا كما بدأ** » والمستقبل إنْ شَاءَ اللَّه للإسلام ؛ يقول رب العالمين : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

الوالدة : ما هي النصيحة التي نقدمها للشباب ، في مثل هذه الظروف التي يحاصر فيها المَسْجد ، وَيحَالُ بَيْنَهم وَبَيْنَ مَجَالِس العلم والعلماء الصادقين ، وكافة الأنشطة الإسلامية من دعوة وغيرهَا ؟ .

الوالد : يقول رب العالمين : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٨٧] .

وهذا التوجيه الرباني بسبب التَّضْييق الشَّدِيدِ ، الذي فرضه فرعون على الدعوة الإسلامية وأنصارِها ، وهذا الذي بسببه أمر النبي محمد ﷺ أصحابه ، أن يلتقوا في دار الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم ، ودار سعيد بن زيد ؛ حيث كان خباب بن الأرت يعلمه وزوجته فاطمةَ بنت الخطاب أحكام الإسلام ، وكيف يقرؤون القرآن مجودًا مرتَّلًا .

المهم أن الدعوة لا تتوقف ، وهذا ما فعله إخْوَانُنا المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز والقرم وتركستان الشرقية والغربية ، حينما وقعوا في قبضة الروس الصليبيين الأرثوذكس والشيوعيين الملحدين .

لقد استخفوا بدينهم ، وكانوا يباشرونه في أقبية تحت الأرض .

وبمجرد انْفِراط عِقْد الاتحاد السوفيتي ، استقلَّت بعض الدول الإسلامية ، وانطلقت تجاهد ؛ لتحرير أُمَّتهَا وتطبيق شرائع الإسلام .

المهم ألَّا تُصَاب الأُمَّة باليأس ، وتثق في كلمات النبي محمد ﷺ : « **واعلم أنَّ النَّصر مَع الصَّبْر ، وأنَّ الفَرَج مع الكرب** » [(١)] . المهم أن يواصل أصحاب الدعوة العمل من خِلَال الدعوة الفردية ومؤسساتها الدعوية الخيرية .

محمود : جزاك اللَّه خيرًا يا أبي .

الوالد : ولكم مثل ذلك وزيادة .

نواصل حديثنا عن منهج النبي محمد ﷺ وتحديات العصر ، وكانت **الخطوة الثانية** : توحيد الأمة على قلب رجل واحد ، فالأمة المسلمة أمة واحدة ووحدتها فريضة ، ولا يجوز لها أن تتفرق ، يقول رب العالمين : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ، ويقول ﷻ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ويقول محمد ﷺ : « **فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع رُبْقَةَ الإسلام من عنقه إلا أن يراجع** » [(٢)] ، « **من أراد بحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة** » .

وكانت خطوات الرسول محمد ﷺ في هذا الشأن ، خطوات موفقة ؛ لقد آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وَكَوَّن منهم نواة الأمَّة المسلمة الواحدة ، وعقد بينهم عقدًا ينظم العلاقة بينهم ، كما عهد عهدًا لأهل الكتاب ، واعتبرهم مع المسلمين أمة واحدة ، للمسلمين دينهم ولليهود دينهم ، ونظم العلاقة بينهم وبين المسلمين ، وقيادة الدولة الإسلامية ، كما كفل لهم حقوقًا ورتب عليهم واجبات .

والآن إلى قراءة في هذه العهود والمواثيق .

اقرئي علينا يا أم محمد .

الوالدة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه .

كتب رسول اللَّه كتابًا بين المهاجرين والأنصار ، وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم : « **بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم ، أنهم :**

(١) أمة واحدة من دون الناس .

---

(١) الرحيق المختوم (ص : ٢١٨) .

(٢) رواه أحمد بسنده عن الحارث الأشعري .

(٢) **المهاجرون من قريش على ربعتهم** (حالهم التي أتى الإسلام وهم بها) ، يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط .

(٣) **بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى .**

وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين » . ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار ، وأهل كل دار إلى أن قال :

(٤) « **وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا** (المثقل بالديون والكثير العيال) **بينهم ، أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .**

(٥) **ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .**

(٦) **وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دَسيعة** (العظيمة) **ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم .**

(٧) **ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر .**

(٨) **ولا يُنْصَر كافر على مؤمن .**

(٩) **وأن ذمة اللّه واحدة يجير عليها أدناهم .**

(١٠) **وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس** » .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا ، وآمل أن تستريحي قليلًا ، ويكمل محمود من خلال السيرة النبوية لابن كثير .

محمود : واصل الإمام الحافظ حديثه :

(١١) « **وأن المؤمنين يُبِيء** (يمنع) **بعضهم بعضًا بما نال دماءهم في سبيل اللّه ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْي وأقومه .**

(١٢) **وأنه لا يجير مشرك مالًا لقريش ولا نفسًا ، ولا يحول دونه على مؤمن .**

(١٣) **وأنه من اعتبط مؤمنًا قتلًا عن بينة** (قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله) **فإنه قود به إلى أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه** [١] .

(١٤) **وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن باللّه واليوم الآخر – أن ينصر محدثًا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة اللّه وغضبه يوم القيامة ولا**

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص ٣٢٠ – ٣٢٣) .

يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد ﷺ » .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود ، حدثنا يا أسامة عن موقف قائد الدولة الإسلامية من يهود بني عوف .

أسامة : كما ذكرتنا والدتي وادعهم وعاهدهم وأقرهم على الآتي :

(١) أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

(٢) وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ (يهلك) إلا نفسه وأهل بيته . كذلك لغير بني عوف من اليهود (يهود بني النجار وبني الحارث وبني ساعدة . . . إلخ) مثل ما ليهود بني عوف .

(٣) وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

(٤) وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

(٥) وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

(٦) وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه .

(٧) وأن النصر للمظلوم .

(٨) أن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

(٩) وأن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم .

(١٠) وأنه لا تُجَار حُرمةٌ إلا بإذن أهلها .

(١١) وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخَاف فساده - فإن مردَّه إلى الله ، وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه .

(١٢) وأنه لا تُجار قريش ولا مَنْ نصرها .

(١٣) وأن بينهم النصر على من دَهِم يثربَ .

(١٤) وإذا دُعُوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ؛ فإنهم يصالحونه ، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ؛ فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدِّين ، على كل أناس حِصَّتهم من جانبهم الذي قِبَلَهم [1] .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٣٢٢ - ٣٢٣) .

(١٥) وأنه لا يَحُول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمِنٌ ، وأنه قعد آمِنٌ بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم ، وأن اللَّه جارٌ لمن برَّ واتقى .

الوالدة : جزاكم اللَّه خيرًا ، ولا يفوتني هنا أن أذكر أن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قد علق على عقد المؤاخاة في كتابه فقه السيرة ، بقوله :

« تذوب فيه عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحد ولا يتأخر أحد إلا بمروءته وتقواه » .

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوَّة عقدًا نافذًا ، لا لفظًا فارغًا وعملًا يرتبط بالدماء والأموال ؛ لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر . وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة ، تمتزج في هذه الأخوَّة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال .

فقد روى البخاري أن المهاجرين لمَّا قَدِمُوا المدينة ، آخى رسول اللَّه ﷺ بين عبد الرحمن (بن عوف) وسعد بن الربيع الذي قال لعبد الرحمن : « إنِّي أكثر الأنصارِ مالًا فأقْسِم مالي نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبهما إليْك ، فسمها لي أُطَلِّقهَا ، فإِذَا انقضت عِدَّتها فَتَزَوَّجها » .

قال عبد الرحمن : « بارك اللَّه لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ » فَدَلُّوه عَلَى سُوق بنِي قَيْنقاع ، فما انْقَلب إلا ومعه فَضْلٌ مِنْ أقط وسَمْنٍ ، ثم تابع الغدو ثم جاء يومًا وبه أثر صفرة ؛ فدل ذلك على أنه تزوج .

لعلكم أدركتم يا أبنائي أن الرسول محمدًا ﷺ كان له خطة بعيدة المدى (إستراتيجية) منذ اللحظة الأولى ، التي نزل فيها الوحي بالرسالة الخاتمة ، هذه الخطة أو الإستراتيجية ، حددت المرجعية الفكرية والعقدية للأمة : القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ ، كما كان هناك أيضًا الاجتهاد والقياس ، وكلها تتم في ضوء الهدي الإسلامي ، كما أنها تمت على أساس منظومة القيم الإسلامية العليا ، ومنظومة القيم التكميلية والتحسينية .

أحمد : معذرة يا والدتي ، ومعذرة يا والدي ، هل من الضروري أن تكون للأمة إستراتيجية ؟ وما هي منظومة القيم ؟ هل هي ضرورية ؛ لكي يكون هناك إستراتيجية [1] ؟ .

---

(١) نهضة أمة ، كيف نفكر إستراتيجيًا ، لواء أركان حرب د/ فوزي محمد طايل ، تقديم د/ جمال عبد الهادي ط٢ دار الوفاء ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م ، (ص٣٨) وما بعدها .

الوالد : نعم ، أية أمة تحترم نفسها لا بد وأن يكون لها (إستراتيجية) ولا يمكن أن يكون لها إستراتيجية (بمعنى أن يكون لها خطة بعيدة المدى وقصيرة المدى) ، إلا إذا كان لها منظومة قيم تنطلق منها .

مثال : منظومة قيم الإسلام :

أ - قيمة العلم .

ب - قيمة الإيمان .

ج - قيمة العمل .

د - قيمة تكريم اللَّه للإنسان .

هـ - قيمة وحدة الأمة .

و - قيمة العدل .

ز - قيمة الشورى .

والقيم التكميلية مثل : الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأيضًا الجهاد في سبيل اللَّه .

أما القيم التحسينية ، فمنها الصدق والوفاء والأمانة .. إلى غير ذلك [١] .

والأمة المسلمة مقصرة في هذا الجانب ؛ بمعنى أن يكون لها إستراتيجية ؛ لمواجهة تحديات العصر .

بلال : لو أذنت لي يا جَدِّي ، إنَّ الأمور بدأت تختلط عَليَّ ، فآمل أن تُراعي قدراتي العقلية !

الجد : سمعًا وطاعة يا بلال .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جَدِّي .

الوالدة : إذن ، الدولة التي أسسها رسول اللَّه محمد ﷺ ، دولة عقدية ، دينها الإسلام ، عليه تقوم حياة المجتمع ، وإليه تدعو وعنه تنافح ، وعليه تَرَبَّى أبناء الأمة ، وعن هذا الإسلام تنبثق مناهج الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية ، والمناهج السلوكية والأخلاقية والعبادات والمعاملات وغير ذلك .

الوالد : نعم ، على سبيل المثال : النظام السياسي جمع فيه رسول اللَّه ﷺ بين النبوة والرسالة والإمامة ؛ فعلى رأس الدولة حاكم مسلم هو : رسول اللَّه محمد ﷺ ، يعاونه وزراء صدق ، على رأسهم أبو بكر الصديق ، ثم عمر ... وكذلك أهل الشورى

---

(١) المرجع السابق (ص٤٥ - ١٩٨) .

خيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

● نظام سياسي يجمع فيه ولي الأمر محمد ﷺ بين الإمامة العظمى والرسالة ، نظام يقوم على قواعد وضوابط شرعية ، تُحَدِّد صفَة وليِّ الأمر ، الذي يجب أن تُسْند إليه الإمامة العظمى ، وتحدد الواجبات والحقوق ، وتحدد سمت الدولة الإسلامية ، ووظيفتها ، والوسائل التي تأخذ بها لتحقيق الأهداف .

● قواعد وضوابط شرعية تُحَدِّد المبادئ التي يجب الأخذ بها ؛ لاختيار القيادات التي تسند إليها المهمات التنفيذية ، وتحدد علاقة الحاكم بالمحكوم ، وحق الأمة في المحاسبة ، والمراقبة والنقد ، وحقها في المشاركة في قرارات الأمة المصيرية .

● والأهم من هذا أن التشريع مصدره القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ .

بلال : يا جدي العزيز ، أنا الآن لا أكاد أفهم شيئًا مما تقولون ، فيا حبذا لو تقدم لنا نماذج عملية من التاريخ ، تؤكد هذه الحقائق حتى تَصِل إلى فهمي البسيط .

الوالد : إن شاء اللَّه يا بلال .

نواصل حديثنا عن السيرة ؛ لنؤكد أن محمدًا ﷺ والصحابة قد أرسوا قواعد مؤسسات المجتمع المدني ، تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : لقد أرسى رسول اللَّه محمد ﷺ قواعد التعاملات الاقتصادية ، فلا تعامل بالربا ، ولا غِشَّ ، ولا خداع ، ولا احتكار في البيع والشراء ، الذي يخضع لقواعد العقود الشرعية في البيع والشراء ، ولا يجوز التعامل في السلع المحظورة شرعًا ، فتصنيع الخمر وبيعها وشراؤها وحملها وشربها ، حرام ، واللعب بالميسر حرام ، ووحدة التعامل الذهب والفضة ، وللمسلمين سوق يبيعون فيها ويشترون بدلًا من سوق بني قينقاع اليهودية ، والسلع الإستراتيجية ، كالطعام والسلاح ، إنتاجها وبيعها وشراؤها في يد المسلمين . نظام اقتصادي يقوم على : أن الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار .

ومن أَحْيَا أَرْضًا مواتًا ، فهي له ، دَعُوا النَّاس أَحْرَارًا يرزق بعضهم بعضًا .

نظام لا مجال فيه للبطالة ، وقد أثنى رسول اللَّه محمد ﷺ على داود عليه السلام : « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن نبي اللَّه داود كان يأكل من كسب يده** » .

نظام لا مجال فيه للضرائب التصاعدية ؛ إنَّما هي زكاة المال ، وزكاة الزروع والثمار ، وزكاة الذهب والفضة ، وزكاة الحيوانات ، وحدة مقدرة لا ترتفع بارتفاع رأس المال ، ولا تجب إلا إذا بلغ رأس المال نصابًا معينًا .

أسامة : هذه هي عظمة النظام الاقتصادي الإسلامي ، الذي أرسى قواعده رسول الإسلام محمد ﷺ ، فما أحوجنا وأحوج البشر إلى هذا النظام ؛ للخروج من مأزق التضخم والمعاملات الربوية !

محمود : لو أذنت لي يا والدي ، آمل أن نعْطِي إخواني مَعْلُومَة عن زكاة الركاز ، وما أهميتها ؟ .

الوالد : زكاة الركاز تشكل الخمس مما تخرجه الأرض من المعادن ، كالبترول وهذه من المفروض أنَّها ترد على فقراء المسلمين .

بلال : سبحان اللَّه ! وهل دول العالم الإسلامي تخرج زكاة الركاز لفقراء المسلمين ؟ .

الوالد : الواقع يقول غير ذلك ؛ والدليل على ذلك : حجم المديونية التي يعاني منها المسلمون ، وحالة الفقر والمرض التي يعيشها غالب المسلمين في العالم . إن اللَّه قد فرض في أموال الأغنياء ما يسع الفقراء ، فإذا جاع الفقراء أثم الأغنياء .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه !

الوالد : وأرسى رسول اللَّه محمد ﷺ قواعد التعليم الإسلامي ، الذي يعني أيضًا التربية ، والذي ينطلق من عقيدة الإسلام ، التي تقوم على إفراد اللَّه وحده بالعبادة ، ومنها تنبثق مقررات العلوم الشرعية والكونية ؛ لتحقيق تحصيل العلم النافع الذي يؤسس الإيمان في القلوب والذي يدفع إلى العمل المشروع .

إيمان : أي العلم الذي يؤدي إلى إعداد الطبيب المسلم ، والعامل الصالح ، والمهندس الأمين ، والمرأة الصالحة ، ما أجمل وأعظم نظام التعليم في الإسلام !

الوالد : إن التعليم في الإسلام كان يقوم على التوجيهات الربانية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٣] .

وتوجيهات النبي محمد ﷺ الذي يقول : « **وإنما بعثت معلمًا** » والذي كان يستعيذ باللَّه من علم لا ينفع ، ويسأل اللَّه : « **اللَّهم إنِّي أسألك علمًا نافعًا** » .

وهذا هو الطريق الذي تبناه الرسول محمد ﷺ ؛ لنقل المجتمع من حالة الشرك إلى الإيمان باللَّه ؛ ومن حالة التَّخَلُّف إلى حالة التقدم والتطور والارتقاء .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد ، يتضح هذا من الدرس الأول الذي تَعَلَّمه

رسول الله محمد ﷺ على يد جبريل عليه السلام : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١- ٥] .

فوسيلة التغيير في المجتمع هي التعليم بمفهومه الشامل ، هو إنْسَانُ العقيدة الذي يتلقى عن اللّه أنْظمَة الحياة العملية بشموليتها ، ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالتعليم والتربية ، والرفع من شأن العلماء ، فهم ورثة الأنبياء ؛ يقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

ويقول محمد ﷺ : « **طالب العلم في سبيل اللّه حتى يعود** » ، ويقول أيضًا ﷺ : « **إن مداد العلماء يوزن بدماء الشهداء** » .

وإن العَالِم يستغفر له كل شيء ، حتى الحيتان في البحر ، والنملة في جحرها ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا بما يَصْنَعُ طالب العلم .

أسامة : وهذا هو السبب الذي من أجله أرسى الرسول محمد ﷺ قواعد التعليم المؤسسي ، وانطلق ينفذ ذلك في المسجد والبيت والشارع وميدان القتال ؛ لإعداد الفرد المسلم ، اللبنة الضرورية لبناء خير أمة أخرجت للناس .

الوالدة : لو أذنتم لي ، هناك شيء جدير بالذكر ، أدى إلى نجاح التعليم في بناء الفرد المسلم ، العنصر الضروري للنهضة بالمجتمع المسلم ، وتحقيق الأمن والأمان لبني الإنسان :

أولًا : المقرر الدراسي المتكامل ، والمعلم الملتزم ، وإمكانات وقدرات المجتمع والمنهج السليم ، وطالب العلم الواعي لهذه الأهداف ، والكتاب الجيد ، والبيئة النظيفة ، فلا اختلاط ، ولا خلوة بين البنين والبنات ، في دور العلم ، ولا سفور ولا عري يؤذي مشاعر الطلاب ، فالإناث لهن دور علم خاصة بهن ، يخرجن لتحصيل العلم وهن مختمرات ومنقبات ، غاضَّات للبصر .

ثانيًا : التعليم والتربية التي تدرك أن التربية لا بد وأن تهتم بجميع جوانب النفس الإنسانية ، فهناك التربية الإيمانية ، والتربية السلوكية ، والأخلاقية ، والتربية العقلية ، والتربية البدنية ، والتربية المهنية ، والتربية التي تهتم بغريزة الجنس ، والتي تهتم بالجانب النفسي والاجتماعي ، وكتب السيرة مليئة بتوجيهات اللّه وتوجيهات رسول اللّه ﷺ ، في هذا الشأن ، والتي تؤكد شمولية التربية والتعليم في الإسلام .

ثالثًا : تميز المقرر الدراسي والمنهج الإسلامي ، في تربية البنات والبنين ، أي مراعاة الفوارق الطبيعية بين الأنثى والذَّكر ، والتي تتناسب مع وظيفة كل منهم ، وأعتقد أن الأمر يحتاج إلى تفصيل إن شاء اللَّه في مجال آخر .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أم محمد . وسنفعل إن شاء اللَّه .

أيها الأبناء ، يمكن القول بأنه بمجرد وصول النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، قامت الدولة الإسلامية بمؤسساتها الضرورية ، وطبقت شرائع الإسلام وحدوده ، وأمن الناس على عقائدهم وأموالهم ، وأعراضهم ، وواصل الرسول وأصحابه الدعوة إلى اللَّه ﷻ ؛ لتحقيق الهدف الأكبر ، وهو أن يكون الدين الإسلامي كله للَّه في أرض اللَّه كلها ؛ حتى لا تكون فتنة .

وعلى الجانب المقابل قامت قيامة الدنيا ، واستنفر الفرس والروم وأهل الكتاب ، وخاصة اليهود ، وكفار العرب ، والمنافقون - قواهم يستهدفون الدولة الإسلامية الوليدة ، بقيادة النبي محمد ﷺ ، وهو ما حذر اللَّه منه رسوله : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ٢] ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

ولكن الرسول محمدًا ﷺ لم يفاجأ بهذا ؛ لأنه كان يعلم طبيعة الشرك وأهله ، وأن الصدام مع الجاهلية حتمي ، فأعد لكل شيء عدته . . وللحديث بقية إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

- متى قامت الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ؟ اذكر دعاء المنزل الذي علمنا إياه رسول اللّٰه ﷺ .
- ما هي أخطر التحديات التي كانت تواجه رسول اللّٰه محمدًا ﷺ ؟ كيف واجهها ؟ اذكر الوسائل والآليات .
- هل أدرك رسول اللّٰه محمد ﷺ ، أن تحرير بيت المقدس خطوة أولى ضرورية نحو تحرير الوطن الإسلامي كله ؟ من أين له العلم بأهمية بيت المقدس ؟ .
- ما هي أولى المؤسسات التي أقامها رسول اللّٰه ﷺ في المدينة ؟ .
- ما أهمية المسجد في الإسلام ؟ هل المسجد الآن يؤدي نفس الدور الذي كان يؤديه على عهد رسول اللّٰه ﷺ ؟ ما البديل ؟ .
- وحدة الأمة بكل طوائفها فريضة شرعية وضرورة حياتية . كيف حقق رسول اللّٰه ﷺ هذه الوحدة ؟ .
- اذكر أهم نصوص عهد الإخاء الإنساني بين الأنصار والمهاجرين .
- هل وادَعَ رسول اللّٰه ﷺ أهل الكتاب ؟ وهل وادع اليهود ؟ اذكر أهم هذه النصوص ؟ .
- هل أهل الكتاب يطبقون الآن نفس النصوص على المسلمين المقيمين في بلادهم ؟ لماذا ؟ .
- علق الشيخ محمد الغزالي على عقد الأخوَّة بين المهاجرين والأنصار ، اذكر التعليق مع تقديم نموذج يؤكد هذه الأخوة ، من حياة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع .
- هل اتخذ رسول اللّٰه ﷺ إستراتيجية (خطط طويلة المدى ، وقصيرة المدى) ؛ لتحقيق أهداف الأمة الإسلامية ؟ ما هي المرجعية الفكرية والعقدية لهذه الإستراتيجية ؟ .
- هل لا بد من أن يكون للأمة منظومة قيم تنطلق منها إستراتيجيتها ؟ .
- اذكر منظومة القيم الإسلامية العليا .
- اذكر الشكل السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية ، على عهد رسول اللّٰه محمد ﷺ . وما هي المرجعية لهذا النظام ؟ .

- اذكر ملامح النظام الاقتصادي الإسلامي ، والنظام التعليمي الإسلامي ، الغاية والوسيلة .
- كان ولا يزال الإنسان هو العنصر الضروري ؛ لإحداث التغيير الهادف ، ومواجهة التحديات ، داخل المجتمع الإنساني . قدم نماذج .

اللقاء السادس عشر

مشركو العرب كفار قريش يَسْتَفزون رسول الله محمدًا ﷺ ويَعُدُّون الغدَّة لِغَزْو المدينة المنورة واستئصال شأفة الدولة الإسلامية الوليدة

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وبعدُ :

حديثنا يا أبنائي هذه الأمسية ، تحت عنوان :

الرسول محمد ﷺ يواجه التحدِّي :

كُفَّار قُرَيْش يسْتَفِزُّون المُسْلِمين بَعْد الْهِجْرة ويَسْتَدرجُونَهُم إلى القتال .

أبنائي ، بمجرد نجاح هجرة النَّبيِّ محمد ﷺ ، وصحبه ، إلى المدينة المنورة ، وقيام الحكم الإسلامي ، على أرضها - قرر كفار العرب مواصلة جهدهم لإسقاط هذه الدولة الإسلامية ، ورجالاتها ، ومنع انتشار الإسلام ، واتخذوا في هذا الصدد سلسلة من الخطوات العملية :

(١) توجيه رسالة إلى كفار المدينة ، وعلى رأسهم عبد اللَّه بن أُبَيٍّ بن سَلُول : « إنكم آويتم صاحبنا (محمدًا ﷺ) وإنا نُقْسِم باللَّه لتُقاتِلنَّه أو لتُخْرِجُنَّه أو لَنَسِيرنَّ إليكم بأجمعنا ؛ حَتَّى نَقْتلَ مُقَاتِلتكُم ونَسْتَبِيح نِسَاءكُم » .

أسامة : سبحان اللَّه ! بلغ الحقد بالنفوس البشرية إلى هذا الحد ؟! المسلمون أُخْرِجُوا من ديارهم من حرم اللَّه الآمن (مكة) ، وقد خلَّفوا أرحامهم وأموالهم ، مع ما قدموه من شهداء وأسرى ، وصبروا واحتسبوا ، وقَيَّض اللَّه لهم من يستقبلهم ، ويذود عنهم وعن أعراضهم ودينهم ، ورغم كل ذلك لا يريدون أن يتركوهم وشأنهم ، يُؤَلِّبون الدنيا عليهم ، ويطاردونهم على الأرض التي استقبلتهم ! إنه لظلم بَيِّن عظيم !

الوالد : نعم ، يا أسامة إنَّه الحِقْدُ الكافرُ الذي لا يقبل أن ترتفع للإسلام راية ، رغم أنه (أي الكفر) له رايات ترفرف على كثير من بقاع الأرض ، وهذا الأمر نلمسه في عالمنا المعاصر (القرن العشرين / الرابع عشر الهجرى) .

بمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي ، وانهيار الشيوعية والاشتراكية - سارع المسلمون ، وأعلنوا عن قيام دولتهم الإسلامية ، على أرض الشيشان ، وعلى أرض البوسنة والهرسك ، وعلى أرض طاجكستان .. وهنا كشفت الصهيونية والعلمانية والصليبية عن وجْهِهَا القبيح ، وأعلنتها حربًا ضارية ضد المسلمين ، وارتكبت من الفظائع ما لا يمكن

نسيانه إبادةً وتشريدًا ، وانتهاك أعراض ، كل هذا تحت سمع وبصر منظمات الأمم الفاجرة المجرمة ، وتحت سمع وبصر منظمات حقوق الإنسان . والعجيب أن كل هذا كان يجري ضد المسلمين ، تحت شعار سيادة القانون والديموقراطية والحرية . وارجعوا إلى ما دَّونَّاه في كتابنا « البوسنة والهرسك جرح ينزف في جسد الأمة » .

ما هي جريمة المسلمين ؟ لا شيء ، إلا أنَّهم يقولون : لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه !

إذن ملة الكفر واحدة وحقدها على الإسلام هُو هُو على مدار التاريخ ، والهدف كما بيَّن رب العالمين : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ٢] .

الأبناء : حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ! اللَّهم من أراد الإسلام وأهله ودياره بسوء ، فاشغله في نفسه ، واجعل تدميره في تدبيره ، اللَّهم مُنْزِلَ الكِتَاب هَازِم الأحزاب مُجْرِي السَّحاب ، اللَّهم اهزمهم وزَلْزِلْهُم ، اللَّهم قاتل الكفرة ، إله الحق ، واجعل عليهم رجزك وعقابك آمين آمين !

بلال : ماذا فعل كفار المدينة حينما وصلتهم رسالة كفار مكة ؟ وماذا فعل رسول اللَّه محمد ﷺ ؟ .

الوالد : لما بلغ ذلك عبد اللَّه بن أُبَيٍّ ومن كان معه من المشركين - اجتمعوا لقتال رسول اللّه محمد ﷺ ومن معه ، ولكن حكمة النبي محمد ﷺ أفسدت عليهم تدبيرهم .

لقد قام بمقابلتهم ، وقال لهم : « **لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تَكِيدُكم بِأَكْثر ممَّا تُرِيدون أنْ تَكِيدُوا به أَنْفُسَكُم ، تريدون أنْ تقاتلوا أَبْنَاءَكم وإِخْوَانَكم ؟** » .

فلمَّا سَمِعوا ذلك من النبي ﷺ تفرَّقوا .

وهكذا وفق اللَّه رسوله على وأْدِ الفِتْنة في مَهْدِهَا ، وحال بين أبناء الوطن الواحد ، وبين الاقْتِتَال .

وَلكن رُءُوس الْكُفْر لم تَرْتَدِع ، وَظلَّت تُوَاصل مؤامراتها ضد الصفوة المسلمة ، وتحاول تقويض الاستقرار الداخلي للمجتمع المسلم ، من خلال إثارة الفتن بين المهاجرين والأنصار وبين الأوس والخزرج ، بل والتكاتف والتحالف مع أهل الكتاب (اليهود) لِوأْد النَّبْتة الإِسْلَامية الوليدة .

محمود : لو أذنت لي يا أبي ، معنى هذا الحقد على الإسلام وأهله ، أنَّه لم يكن باستطاعة المسلمين أن يتوجهوا إلى مكة لأداء العمرة أو الحج ؛ لأنَّ الكُفَّار يتربصون بهم ؟ .

الوالد : تمامًا يا محمود ، ولقد ورد في كتب السيرة ، ما يؤكد هذه الحقيقة ، وأن النبي محمدًا ﷺ ، قد تلقي هو وأصحابهُ ، تَهْديدًا مُبَاشِرًا مِنْ كُفَّار قُرَيْش « لا يَغُرَّنَّكم أنَّكم أفلتمونا إلى يَثْرب سَنَأْتِيكُم فَنَسْتَأْصِلَكُم ، وَنَبِيد خَضْرَاءكُم في عُقْر دَاركُم » .

بل إنَّ صَحابيًّا جَليلًا من أهل المدينة هو سَعْد بن مُعَاذ الأنْصَاري ﷺ ، سافر إلى مكة مُعْتَمِرًا ، فنزل على أُمَيَّة بنِ خَلَف ، بمكة .

فقال لأمية : انظر لِي ساعَة خَلْوَة لَعَلِّي أَنْ أطوف بالبيت .

فخرج به قريبًا من نصف النَّهار فَلَقيهما أبو جَهْل ، فقال : يا أبَا صَفْوَان ، من هذا معك ؟ ، فقال : هذا سعد ، فقال له أبو جهل : ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد آوَيْتُم الصبَاة وَزَعَمْتُم أَنَّكم تَنْصُرونهُم وتُعِينُونَهُم ، أما واللَّه ، لولا أنك مع أَبِي صَفْوَان ، مَا رَجَعْتَ إلى أهلك سالمًا [1] .

فقالَ له سعد ورفع صوته عليه : « أما واللَّه ، لئِنْ مَنَعْتَني هذا لأَمْنَعنَّك مَا هُو أشد عَلَيْكَ مِنْه ، طَرِيقَكَ عَلَى المدينة » .

محمود : لو أذنت لي يا أبي ، أليس من حق المسلم أن يتوجه إلى مكة زائرًا أو معتمرًا أو حاجًا ، فلا يمنعه أحد ؟ ألم يقل رب العالمين : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص : ٥٧] ؟

وحرم اللَّه الآمن يأمن فيه الإنْسَانُ والطيرُ والحيوانُ على نفسه ، لَا يُفَزَّع طَيْره ولَا يُقَطَّع الرطب مِنْ نَباتِه ، ولا تُلْتَقطُ لُقَطَتُهَا إلا للتعريف ...

فكيف تَجَرَّأ المجرمون على منع المسلمين من الوصول إلى حرم اللَّه الآمن ؟ ! إنَّه الكِبْر والجَبَرُوت ، حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ! .

الوالدة : لي ملاحظة ، وهي أن الموضوع بهذا الشكل يتفرع ، فحبذا لو يتم التركيز على أخطر تَحَدٍّ ، وكيف تَمَّت مُوَاجَهَتُه ، وندع المسائل الجانبية التي تتعلق بالموضوع ، إلى لقاء آخر .

من الواضح أنَّه كَانَ هُنَاك إعْدَاد مِنْ قِبل كُفَّار العرب (قريش) بالاتِّفاق مع كُفَّار المدينة ، واليهود ؛ لغزو المدينة عسكريًّا ؛ للإجهاز على من فيها من المسلمين ، وتحجيم

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٣٨٤) .

الدعوة الإسلامية .

لقد نسي أعداء اللَّه قول اللَّه تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن يا أبنائي : كيف واجه رسول اللَّه محمد ﷺ وإخوانه هذا التحدي ؟ .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا ، ونضع توجيهات الوالدة في الاعتبار ؛ لأن هذا أدعى إلى تركيز المعلومات في الذهن .

الخطوة الأولى : أعلن رسول اللَّه محمد ﷺ حالة الاستنفار العام للمجتمع المدني .

روي عن أُبَيٍّ بن كَعْب ، قال : « لمَّا قَدِم رَسُول اللَّه محمد ﷺ ، وأصحابُهُ المدينة وأَوَتْهُم الأَنْصَار ، رَمَتْهم العرب عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلَّا بالسِّلاح ، ولا يُصْبِحُون إلَّا فيه » .

كَمَا أنَّ الصحابة قد انْتَدَبُوا مِنْ بَيْنَ صُفُوفِهِم ، من يقوم على حِرَاسة الرسول محمد ﷺ الذي كان كثيرًا لا يبيت إلَّا سَاهِرًا أو في حَرَسٍ من الصحابة ؛ بل إنَّ الصَحَابِي كان ينطلق أحيانًا من تلقاء نفسه ، استشعارًا لمسئوليته تجاه الرسول القائد لحراسته .

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سَهِرَ رَسُول اللَّه محمد ﷺ مَقْدِمة المدينَة لَيْلَة ، فقال : « **لَيْتَ رَجُلًا صالحًا من أَصْحَابي يَحْرُسني اللَّيلة** » قالت : فبينما نحن كذلك سمعنا خَشْخَشة سلاح ، فقال : « **من هذا ؟** » قال : « سعدُ بن أبي وقاص » . فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **ما جاء بك ؟** » ، فقال : « وقع في نَفْسِي خَوْف عَلَى رسُولِ اللَّه ﷺ ، فَجِئْتُ أَحْرُسُه » فَدَعا لَهُ رَسُولُ اللَّه ثم نام .

وفي هذه الظروف ، نزل التوجيه من اللَّه ﷻ على قائد الدولة الإسلامية رسول اللَّه محمد ﷺ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] .

أي أن المسلمين قد أذن اللَّه لهم بالدفاع عن أنفسهم ، وكسر شوكة الباطل ؛ حتى يتمكن المسلمون من إقامة شعائر اللَّه ؛ يقول رب العالمين : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

الوالدة : لو أذنت لي يا أبا محمد ، استرح قليلًا ودعني أكمل .

الوالد : جزاكِ اللَّه خيرًا ، تفضلي .

الوالدة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وبعدُ :

ولما كان رسول اللَّه محمد ﷺ ، قد أعد لكل شيء عدته ، وأتم بناء القاعدة الصلبة من إنسان العقيدة العنصر الضروري لمواجهة التحديات ، قام بعقد الرايات للسرايا والبعوث والغزوات والدوريات الاسْتِطلاعيَّة (الاستكشافية) .

وحرص منذ اللحظة الأولى أن تكون له عيون (أجهزة استخبارات) ، تعمل في قلب العدو ؛ للتعرف على قواته وعدته وخططه ضد الدولة الإسلامية الوليدة ، والتعرف على الطرق التي تسلكها تجارة العدو . ومنها الطرق التي تؤدي إلى مكة والمدينة وتخرج منهما .

كما كان حريصًا على عقد معاهدات التحالف ، وعدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذه الطرق ؛ حتى لا يكونوا عونًا للأعداء عليه .

وكان الهدف من هذه الحركة الجهادية العارمة أيضًا ، إشعار مُشْرِكي يَثْرب وَيَهُودها وَأَعْراب البادية الضاربين حولها ؛ بأن المسلمين أقوياء ، وإنذار قريش عاقبة اندفاعها في حرب الإسلام وأهله ؛ لعلها ترتدع وتكفُّ عن الصد عن سبيل اللَّه ، وتعذيب المسلمين المستضعفين في مكة ، وإطلاق سراحهم ؛ حتى يتمكن المسلمون من إبلاغ رسالة الإسلام للناس كافة .

رسول اللَّه ﷺ يوجه أربع سرايا ، ويقود أربع غزوات ، على طريق جهاد الكافرين والمنافقين .

أبنائي وبناتي .. لقد بدأ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه يواجهون أعداءهم ، مواجهة فعلية ؛ لكسر شوكتهم ، وإنهاء عدوانهم على المسلمين ؛ لأنه كان مأمورًا من ربه سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] .

وإليكم يا أبنائي ، السرايا والبعوث حسب تواريخ وقوعها :

(١) **سرية سيف البحر** : في رمضان سنة ١هـ / مارس ٦٢٣ م ، وكانت تتكون من ثلاثين رجلًا من المهاجرين ، بقيادة حمزة بن عبد المطلب [1] . وكان الهدف أن

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٣٣٨ - ٣٥٩) .

تَعْتَرِض تِجَارة لقريش كانت عائدة من الشام إلى مكة ، ولم يقع قتال .

(٢) **سرية رابغ** : في شوال سنة ١ من الهجرة إبريل سنة ٦٢٣ م ، وتتكون من مائتي راكب من المهاجرين بقيادة عُبَيْدة بنِ الحَارث بن عبد المُطَّلب [1] ، لاعتراض عير لأهْل مكَّة ، كانت بقيادة أبي سفيان ، ولم يقع صدام . وقد كان في عير أهل مكة شخصان قد أسلما ، واستخفيا بإسلامهما ، ففارقا العير ، وانضمَّا إلى المسلمين ، هما : « المقداد بن عمرو البَهْراني ، وعُتبة بن غَزْوان المازني » .

(٣) **سرية الخَرَّار** : في ذي القعدة سنة ١ هـ / مايو سنة ٦٢٣م ، وكانت تتكون من عشرين راكبًا ، بقيادة سعد بن أبي وقاص [2] ، خرجت تعترض عيرًا لقريش ، كانت قد مرَّت قبل وصول السرية .

(٤) **غزوة الأبواء** : أو ودَّان (موضع بين مكة والمدينة) في صفر سنة ٢ هـ / أغسطس ٦٢٣ م . خرج رسول اللَّه ﷺ بنفسه على رأس سبعين رجلًا من المهاجرين ؛ بهدف اعتراض تجارة لقريش [3] ، ولكنَّه لم يَلْق كَيدًا . وقبل أن يخرج ، كان قد استخلف على المدينة سعد بن عُبَادة الأنصاري ؛ لتصريف شئون الدولة أثناء غيابه .

بلال : لماذا سُمِّيتْ هذه غَزْوَة ، بينما سُمِّيت ما قَبْلَها سرايا ؟ .

الجد : لأن رسول اللَّه ﷺ كان يقودها بنفسه .

(٥) **غزوة بُوَاط** : في شهر ربيع الأول ، سنة ٢ هـ /سبتمبر ٦٢٣ م . خرج رسول اللَّه ﷺ بنفسه على رأس مائتين من الصحابة ، يعترض تِجارة لقريش ، كانت تتكون من ألفين وخمسمائة بعير ، في حراسة مائة رجل من قريش ، بقيادة أُمَيَّة بنِ خَلَف الجُمَحِي [4] . وكان رسول اللَّه قد استخلف على المدينة قبل خروجه ، سعدَ بن مُعَاذ الأنْصَارِي .

(٦) **غزوة سَفْوَان** (وتُسَمى أيضًا غزوة بدر الأولى) : في ربيع الأول سنة ٢هـ / سبتمبر سنة ٦٢٣ م .

خرج رسول اللَّه على رأس سبعين من الصحابة ؛ لِمُطَارَدة عِصَابة مِنْ مُشْرِكي العَرَب ، بقيادة كرز بن جَابِر الفهري ، كانت قد أغارت على مراعي المدينة ، ونَهَبَتْ

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٣٥٦ - ٣٥٧) .

(٢) المرجع السابق (ص٣٣٩) .

(٣) المرجع السابق (ص٣٥٦) .

(٤) المرجع السابق (ص٣٦١) .

بعضَ المواشي ولكن المُسْلِمين لَمْ يُدْركوها .

وكان رسول اللَّه ﷺ ، قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

ويلاحظ أن رسول اللَّه ﷺ ، كان حريصًا على أن يعقد لكل غزوة ، وكل سرية ، رايةً بيضاء يَحْمِلها صَحَابيٌ ؛ ففي هذه الغزوة كان عليُّ بنُ أبِي طالب ﷺ يحمل الراية البيضاء .

(٧) **غزوة ذي العُشَيْرة** : في جمادى الأولى وجمادى الآخرة ، سنة ٢ من الهجرة/ نوفمبر ، ديسمبر ٦٢٣م . خرج مائتان وخمسون صحابيًّا ، بقيادة رسول اللَّه ﷺ يعتقبون ثلاثين بعيرًا ؛ لاعتراض تِجَارة لقريش كانت في طريقها لبلاد الشام ، فلما بلغوا ذا الْعُشَيْرة (مَوْضِع بِنَاحية يَنْبُع) وَجدُوا أنَّ العير قَدْ أفْلَتَتْ وهي في طريقها إلى الشام .

وقد حمل اللواء الأبيض لهذه الغزوة حمزة بن عبد المطلب ﷺ .

وكان النبي ﷺ قد استخلف على المدينة أبا سلمة بنَ عَبْد الأسد المخزومي ، وقد عقد النبي محمد ﷺ مُعَاهدة عدمِ اعْتِداء مع بَنِي مُدْلَج وحُلَفَائِهم مِنْ بَنِي ضُمرة .

(٨) **سرية نخلة** : في رجب سنة ٢ هـ / يناير سنة ٦٢٤م . قائدها عبد اللَّه بن جَحْش الأَسدي [١] في اثني عشر رَجُلًا مِنَ المهاجرين ، وكل اثنين يعتقبان بعيرًا .

وكان الهدف أن تنزل السَّرية نَخْلة (بين مكة والطائف) ، وتقوم برصد قافلة تجارية لقريش ستمر بذلك المكان .

أسامة : بعد إذنك يا أبي ، هل حدث قتال بين المسلمين والمشركين في تلك السرية ؟ وهل هذا جائز في شهر رجب ، وهو من الأشهر الحرم التي حرم اللَّه فيها القتال ؟ وما هي الدروس المستفادة من وراء أحداث هذه السرية ؟ .

الوالد : لو أذنتم لي أن أشير إلى بعض الوقائع الضرورية لهذه السرية ، قبل الحديث عن الدروس المستفادة ، ومنها :

أن رسول اللَّه ﷺ حمَّل قَائِد السَّريَّة رسالة مُغْلقة وَأَمَرَه ألَّا يَفْتَحها ، قَبْل مُضِي يَوْمين من انطلاقهم باتجاه الهدف .

وبعد مُضِي اليومين ، فتح القائد الرسالة فإذا فيها : « **إذا نَظَرْت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة** (بين مكة والطائف) **فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم** » .

(١) المرجع السابق (ص٣٦٦ - ٣٧٢) .

فقال قائد السرية : سمعًا وطاعة لأمر رسول اللّه ﷺ ، وأخبر أصحابه بذلك ، وأنه لا يستكرهُهُم ، فمن أحب الشهادة فلينهض ، ومن كره الموت ، فليرجع ، وأما أنا فناهض ، فنهضوا كلهم ، وسار عبد اللّه بن جحش ، مع إخوانه ، حتى نزلوا بنخلة ، فمرت بهم تجارة لقريش مُحَمَّلة على الإبل ، وبها زبيب وجلود ، وأشياء أخرى ، وكان يقوم على حماية هذه القافلة عَمْرو بنُ الْحَضْرَمِيّ ، وعثمان بن عبد اللّه بن الْمُغِيرة ، وأَخُوه نَوْفَل والحَكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

بلال : ماذا فعل المسلمون ، وقد وجدوا أنفسهم أمام هذه الفرصة العظيمة ؟ .

الوالد : شاور قائد السرية عبد اللّه بن جَحْش إِخْوَانَه : « هذه تجارة قريش التي أخرجتنا من مكة ، وأخذت أموالنا وديارنا وآذت إِخْوَانَنا وأخواتنا ، فما رأيكم لو قاتلناهم وغنمناهم ؟ » .

فقال المسلمون : نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، فإن قاتلناهم انتهكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ، والحرم لا يحل لنا أن نقاتلهم فيه أيضًا .

وبعد المشاورة ، قرر الصحابة قتال العدو ، وأسفر القتال عن مصرع عَمْرو بنِ الْحَضْرميّ وأَسْر عثمان والحكم ، وغَنِمُوا التجارة بعد أن عزلوا من ذلك الخُمس .

بلال : لكن رسول اللّه محمدًا ﷺ ، لم يأمرهم بقتال ، أليس في هذا مخالفة ؟ .

الجد : تمامًا يا بلال ؛ ولهذا فإن رسول اللّه ﷺ أنكر ما فعله عبد اللّه بن جحش ، وقال : « **ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام** » وأوقف التصرف في العير والأسيرين .

وقد أعطى هذا التصرف من جانب الصحابي عبد اللّه بن جحش ، الفرصة لمشركي قريش لاتهام المسلمين بأنهم أحَلُّوا مَا حرَّم اللّه .

بلال : سبحان اللّه ! مشركو العرب يتهمون المسلمين بأنهم استحلوا ما حرم اللّه ؟ !

أَلَمْ يَستَحلُّوا هم الدم الإسلامي في الشهر الحرام في بلد اللّه الحرام ؟ ألم يقتلوا سمية وظلوا يضربون ياسرًا حتى مات تحت التعذيب ؟ ألم يتآمروا على حياة النبي ﷺ وأجبروه على الخروج من حرم اللّه الآمن ، الذي من المفروض أن يأمن فيه الإنسان والطير والحيوان؟ ألم يحاصروا المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ، ومنعوا عنهم الطعام والكساء؟ ألم يُعَذِّبوا بلالًا والنهدية في حرم اللّه الآمن ؟ .

وبعد ذلك يتكلمون عن الحلال والحرام ، ويل للمجرمين من عذاب النار ! أليس ما فعله عبد اللّه بن جحش ، هو معاملة بالمثل بعد صبر ، استمر أربع عشرة سنة ؛ لعل

الأعداء يَكُفُّون أَيْدِيَهُم عن المسلمين فلم يفعلوا ؟ !

الوالدة : تمامًا يا بلال ، وقد نزل الوحي من السماء ، على رسول الله محمد ﷺ ؛ ليفصل في الأمر ويضع الأمور في نصابها الصحيح : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وبعد ذلك أطلق رسول الله محمد ﷺ الأسيرين وأدَّى دِيَة المَقْتُول إلى أوليائه .

لقد صرح الوحي بأن الضَّجَّة التي افْتَعَلَها المُشْرِكُون لإثارة الرِّيبَة في سيرة المجاهدين المسلمين - لا مساغ لها ؛ فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله .

ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام ، حين قرر المشركون سلب أموالهم وقتل نبيهم ؟ ! فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة ؟ .

لا جَرَمَ أنَّ الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون ، دعاية تنبئ عن وَقَاحَة ودعَارَة [1] .

بلال : هل يعني ذلك أن القتال قد فرض على المسلمين بعد وقعة سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه ؟ .

الجدة : تمامًا يا بلال في شهر شعبان سنة ٢ هـ ، نزل أمر الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠- ١٩٣] .

وأنزلت كذلك آيات من عند الله تحدد فقه الجهاد ، وبعض أحكامه التي يجب أن يلتزم بها المسلمون في القتال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

(١) الرحيق المختوم ، (ص٢٣٥) .

أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٤- ٧] .

أسامة : وذلك يعني أن إيجاب القتال والحض عليه ، والأمر بالاستعداد له ، هو عين ما كانت تقتضيه الأحوال .

الأب : تمامًا يا أسامة ؛ دفعًا للظلم الواقع على أمة الإسلام ، وإزالةً للعقبات التي تحول بين الناس ، وبين اعتناق هذا الدين الحق ؛ حتى يأمن الإنسان - كل الإنسان - على عقائدهم وأعراضهم وأموالهم وأوطانهم .

محمود : آمل أن تسمح لي يا أبي ، أن أشير لمدلول هذه الآيات التي ذكرتها ؛ إنها تشير إلى قرب القتال بين المسلمين وبين أعداء الإسلام ، وتشير أيضًا إلى النصر والغلبة في النهاية ، لأصحاب الحق المسلمين ، للأمة التي جعل اللَّه لها القوامة على بني الإنسان ؛ لتحقيق الأمن والأمان .

إنه يُعلِّم المسلمين المعاملة بالمثل ، وأن يخرجوا المشركين من حيث أخرجوهم ، ويعلمهم أيضًا حكم الأسرى وبعض أحكام الجهاد .

الوالد : جميل يا شيخ محمود ، ربنا يفتح عليك وعلى إخوانك .

بلال : وأنا أيضًا يا جدي العزيز .

الوالدة : وبلال أيضًا والحاضرين والغائبين من أمة محمد ﷺ .

بقي علينا الآن أن نُشِيرَ إلى بعض الدروس المستفادة ، من خلال استعراضنا السريع لسرية عبد اللَّه بن جحش ﷺ إلى نخلة :

أولًا : أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ؛ لدفع العدو الصائل ، وطلب العدو المحارب ، وأن التدافع بين الحق والباطل سنة ربانية جارية ، لحكمة ربانية ؛ ليحق الحقَّ بكلماته ويقطع دَابِرَ الكَافِرِين .

ثانيًا : أن الدولة الإسلامية بقيادة النبي محمد ﷺ ، كانت في قِمَّة اليقظة والحَذَر حينما أَعَدَّتْ لِكُلِّ شيءٍ عُدَّته ؛ عُيُونُها على العدو تَرْصُدُ حَرَكَتَه ، بل ويضربون ضربات موجعة داخل خطوط العدو ويقتلون ويأسرون ويَغْنَمون .

ثالثًا : سمات إنسان العقيدة ، ومنها السمع والطاعة لأوامر رسول اللَّه ﷺ ، والحرص على تنفيذ التعليمات بِدِقةٍ مُتَنَاهِية ؛ فقد أُمِرَ عَبْدُ اللَّه بن جَحْش ، ألا يفتح رسالة التكليف إلا بعد مسيرة يَوْمَين ، ففعل .

رابعًا : أهمية الشورى ، وهي قيمة من قيم منظومة قيم الإسلام العُلى ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

ولهذا شاور القائِدُ عبدُ اللَّه بنُ جَحْش إخوانه قبل اتخاذ القرار بالقتال .

خامسًا : حُرْمَة الشهر الحرام ، وحرم اللَّه الآمن في التصور الإسلامي .

بقيت كلمة أخيرة بعد هذه الغزوة :

لقد تحقق خَوْفُ المشركين ، وتجسد أمَامَهم الخطر الحقيقي ، وإنَّ تِجَارَتهم إلى الشام أمام خطر دائم ، وكان عَلَيْهِم أن يراجعوا موقفهم العدائي من الإسلام ، والدولة الإسلامية الوليدة ، ويطلبون المصالحة وحسن الجوار ، ولكنَّهُم لَمْ يفعلوا ، وقرروا مهاجمة المدينة ، واستئصال شأفة الإسلام والمسلمين في عقر دارهم ، وقد أتيحت لهم فرصة ؛ ليجربوا ما انْتَوَوهُ في بدر الكبرى .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● ما هي الأسباب التي دفعت مشركي العرب ، للعمل لإسقاط الدولة الإسلامية الوليدة على أرض المدينة المنورة ؟ وما هي الخطوات التي اتخذها المشركون باتجاه هذا الهدف ؟ .

● هل هناك نماذج معاصرة لذلك الحقد على الإسلام وأهله ؟ .

● ما هي رَدَّة فعل كُفَّار المدينة ، ومنافِقِيها ، حين وصلتها رسالة كُفَّار مكة ؟ ولا تنسى ذكر نص الرسالة .

● كيف أفسدت حكمة النبي محمد ، على كفار مكة ، محاولة شق صف أهل المدينة المنورة ، وإيقاد نار العداوة بين أبنائها ؟ .

● تلقى النبي محمد وأصحابه تهديدًا مباشرًا من كفار العرب . ما هو نص الرسالة ؟ .

● حينما ذهب سعدُ بن معاذ ﷺ ، إلى مكة ، مُعْتَمِرًا ، ونزل على أُمَيَّة بن خَلَف – جَرَت مشادة بينه وبين أبي جهل ، وهو يطوف بالبيت العتيق ، كيف كان رد سعد ﷺ على أبي جهل ؟ وماذا تعني هذه الحادثة ، خاصة أن حرم اللَّه الآمن ، لا يجوز أن يمنع عنه مسلم يريد العمرة والحج ؟ .

● ماذا يعني الحرم في التصور الإسلامي ؟

● ما الخطوات التي اتَّخذها الرسول محمد والصحابة لمواجهة التهديد ؟ وما موقعها من الدين ؟ .

● عقد رسول اللَّه محمد ﷺ أربع رايات لأربع سرايا في السنة الأولى ، من الهجرة . اذكر أسماء السرايا . وهل وقع فيها صدام ؟ وما النتائج التي تمخضت عن خروج السرايا ؟ .

● غزا رسول اللَّه محمد ﷺ وأصحابه أربع غزوات ، في السنة الأولى والثانية للهجرة (قبل بدر الكبرى) . ما الأسباب والنتائج التي أسفرت عنها ؟ .

● يقول رب العالمين : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . ما المناسبة التي نزلت فيها هذه الآية ؟ مع ذكر

السورة ورقم الآية ، والدروس المستفادة منها .

● اكتب مذكرات مختصرة عن سرية نخلة : مَن قائدها ؟ عدد أفرادها ، المهمة التي قامت بها ، والحكم الشرعي في التصرفات التي قام بها أفراد السرية .



اللقاء السابع عشر

« حركة جهادية عارمة انطلاقًا من عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة »

غزوة بدر العظمى [1] : (رمضان ٢هـ - / ٦٢٣م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

الأبناء : وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاته ، كيف حالك يا معلم الناس الخير ؟ .

الوالد : الحمد للَّه رب العالمين وبارك اللَّه عليكم يا أبنائي .

سمية : عن أي شيء ستحدثنا في هذا اللقاء يا جدي إن شاء اللَّه ؟ .

الوالد : عن غزوة بدر الكبرى التي سماها رب العالمين : ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِۗ ﴾ [الأنفال : ٤١] وهي واحدة من المعارك الفاصلة في التاريخ ، التي وقعت ، وتقع اليوم وغدًا بين أهل الحق ، وأهل الباطل ، وبين أهل الإسلام بقيادة النبي محمد ﷺ ، وأهل الكفر والتي لا يزال امتدادها مستمرًّا حتى اليوم .

وسنعرض في لقائنا هذا لأسباب الغزوة ، وأحداثها والنتائج والدروس المستفادة ؛ لتتعلم الأمة من الرسول محمد ﷺ كيف تواجه تحديات العصر ؟

الأسباب والأحداث :

توافرت المعلومات للنبي محمد ﷺ عبر أجهزة استخباراته ، وجمع المعلومات ، أن تِجَارةً لقريش خرجت من مكة إلى الشام ، فخرج مع أصحابه يترصدها في الطريق (غزوة ذي الْعُشَيْرة) [2] . ولكنها أفلتت .

فرجع الرسول ﷺ وأصحابه ، وتوجه طلحة بن عبيد اللَّه ، وسعيد بن زيد ، إلى الشمال لرصد التجارة القرشية ، عند عودتها من الشام باتجاه مكة .

وقام الرسولان بالمهمة ، وجمعا المعلومات عن القافلة التجارية لأهل مكة ، وأخبرا النبي محمدًا ﷺ أنها تتكون من حوالي ألف بعير ، موقرة بالأموال ، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي ، ويقوم على حراستها نحو أربعين رجلٍ بقيادة أبي سفيان بن حرب .

---

(١) السنة ١٥ من بعثة النبي محمد ﷺ ، وتعادل السنة ٥٥ من ميلاد النبي محمد ﷺ .

(٢) جمادى الآخرة سنة ٢هـ .

وبناء على هذه المعلومات ، خرج رسول اللَّه ﷺ هو وأصحابه ، لاعتراض العير قائلًا : « **هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجُوا إليْهَا ؛ لَعَلَّ اللَّه يُنْفلكُمُوهَا** » (١) .

وفي الطريق بعث رسول اللَّه محمد ﷺ عيونه : بَسْبَس بنَ عَمْرو الجُهَني ، وعدي ابن أبي الزَّغْباء ، حليف بني النَجّار إلى ماء بدر (المكان الذي من المفترض أن تتزود منه قافلة قريش بالماء) يَتَحسَّسان له أخبار العير وأبي سفيان .

ونجح الرسولان ، في معرفة موعد وصول تجارة العدو إلى بدر ، ولكنهما فشلا في الاستخفاء ؛ لأنَّهما خلَّفَا وَرَاءَهُمَا بَعِيرَ الإبِل ، الذي نبّه العدو بأن رسول اللَّه محمدًا ﷺ يتتبع أخبار القافلة ، وأنه عرف مكان وموعد وصول التجارة فَغَيَّر أبو سفيان خط سير القافلة ، وبهذا نجح العَدو فِي الهُرُوب بِتِجَارته (٢) .

وفي هذه الأثناء نجح أبو سُفْيان في إرسال رسول إلى أهل مكة ، يستنفرهم للخروج إلى المدينة ؛ لحماية تجارتهم من هُجُوم مُتوقَّع عليها من رسول اللَّه محمد ﷺ (٣) .

وخرج مشركو العرب باتجاه المدينة المنورة بقصد قِتَالْ الرسول ﷺ وأصحابه ، وذلك يعني أن الصدام أصبح متوقعًا بنسبة كبيرة بين المسلمين والمشركين ، من أهل مكة . ولمَّا تعين القتال كان من الضَّرُوريِ ضِمْن الأَخْذ بِالأَسْبَاب ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . جَمْع المَعْلُومَات عن قوَّة العدو - مشركي العرب - والطرق التي يتحرك عليها . وَجَاءَت المعلومات أنَّ قريشًا قَدْ خَرَجَتْ لِقتال النبي محمد ﷺ في عقْر داره .

وبناء عليه ، قام قائد الدولة الإسلامية محمد ﷺ بعقد مجلس استشاري أَعْلَى لُمَنَاقَشَةِ المْوَقِف واتِّخاذ القرارات المْنَاسِبة وإعداد العدَّة اللازمة ؛ لتنفيذها .

وخرج رسول اللَّه ﷺ بنفسه مع أبي بكر الصديق ﷺ لجمع المعلومات (٤) عن قُوَّات العدوِّ (مشركي مكة) : عَدَد قُوَّاته ... تَسْلِيحه ... قَائِد قُوَّات العدُوِّ ... من معه مِن مُشركي العرب المقاتلين ... الطريق الذي سَيَسْلُكه ، والمكان الذي يَتَوَاجد فيه .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٣٨١ - ٣٩٨) .

(٢ ، ٣) المرجع السابق (ص٣٨١) .

(٤) ارجع إلى كتاب السيرة النبوية ، (ج٢ ، ص ٢٩٦) ؛ لتقرأ ما كتبه ابن كثير ، كيف استطاع النبي ﷺ وأبو بكر، جمع هذه المعلومات ؟ مع رجاء تلخيصها .

ولم يكتف بذلك (ففي مساء نفس اليوم انْتَدَبَ رسول اللَّه ﷺ ثَلاثَةً مِن أَصْحَابِهِ هم : عَليُّ بنُ أَبِي طَالِب والزُّبيْر بنُ العوَّام ، وَسَعْد بنُ أبي وقاص ؛ لجمع المعلومات عن العدوِّ [١] .

واستطاع هؤلاء القبض على غُلامَيْن يستقيان لجيش مكة ، وجاءوا بهما إلى رسول اللّه ﷺ .

ولقد استطاع رسول اللَّه ﷺ بطريقته الجيدة ، أن يعرف من الغلامين بطريقة غير مباشرة :

مَنْزِل العدو (مكان جيش العدو) ، وراء (خَلْف) هَذَا الكَثِيب الذي ترى بالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى مِنَ الوَادي بين بدر والْعَقَنْقَل ، وَعَدَد القَوْم فيما بين التسعمائة والألف ، وتسليحَ الجيش .

وفيهم من أشرافِ قريش : عُتْبة وَشَيْبَة ابنا ربيعة ، وأُمَيَّة بن خَلَف ، والنَّضْر بنُ الحَارث ، وأبو جَهْل بنُ هِشَام .

وفي ضوء هذه المعلومات وضع رسول اللَّه ﷺ إستراتيجية (خطة) المعركة التي انتهت بانتصار المسلمين .

يلاحظ هنا أن الرسول محمدًا ﷺ هو قائد المؤسسة السياسية ، بالإضافة إلى أنه صاحب الرسالة الخاتمة ، وهو قائد الجيش الذي يخطط للمعركة ، وهو القائد الميداني الذي يقاتل العدو .

بلال : سؤال يا جدي : من الذي نَبه كُفَّار قريش إِلَى أَن تِجارتها في خطر ؟ .

الوالد : أَبُو سُفْيَان بنُ حَرْب ، الذي علم من جهاز استخباراته أن محمدًا ﷺ قد اسْتَنْفَر أَصْحَابه لِيُوقعَ بالعير بتجارة أهل مكة المحاربين ، وحينئذ اسْتَأجَرَ أبو سُفْيان ضَمْضَم بن عَمْرو الْغفَاري ؛ ليبلغ الخبر إلى قريش ، ولهذا قِصَّةٌ :

أورد الحافظ ابن كثير في كتابه السيرة النبوية [٢] : « لما سَمِعَ رسولُ اللَّه ﷺ بِأَبِي سُفْيَان مُقْبِلًا من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : « **هَذِه عير قريش فيهَا أموالُهم ، فاخْرُجُوا إليْها ؛ لَعَلَّ اللَّه يُنْفِلكُمُوها** » .

فانتدب الناس ، فَخَفَّ بَعْضُهم ، وَثَقُل بَعْضٌ ، وذلك لأَنَّهم لم يظنُّوا أَن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) المرجع السابق (ص٣٩٧) .
(٢) (ج٢ ، ص٣٨١) .

يَلْقَى حَرْبًا ، وكَانَ أبو سفيان حين دنا من الحجاز يَتَجَسَّس من لَقِيَ من الرُّكْبَان تَخَوُّفًا على أمر الناس ، حتَّى إذَا أصاب خَبَرًا من بعضِ الركبان : « أنَّ مُحَمَّدًا قد استنفر أَصْحَابه لَكَ ولِعِيرِكَ » - فَحذر عند ذلك فاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمْ بن عمرو الغِفاري فَبَعَثهُ إِلى مَكَّة ، وأمره أَنْ يأْتِي قُرَيشًا ؛ فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة [1] .

مُحمّد : وهذا دليل على يقظة أَبِي سُفْيَان وَحِرْصِه عَلَى الْقِيام بمهمته على أتم وجه ، وصدق الرسول محمد ﷺ حينما قال : « **خيَارُكم في الجاهلية خياركم في الإسلام** » .

الوالد : تمامًا يا محمد ، يتضح ذلك من مواقف أبي سفيان بعد إسلامه ، وخاصة في معركة اليرموك ، كما سنرى إن شاء اللَّه .

أحمد : لقد قرأت يا أبي في كتب السيرة ، أن السيدة عاَتِكَةَ بِنْت عبد المطَّلب ، قَدْ رَأَتْ ضَمْضَم بن عَمْرو الغفاري في المنام قبل وصوله .

نعم يا بُنيَّ فقد روى الإمام ابنُ كَثير في كتابه : « وقد رأت عَاتِكَةُ بنتُ عبد المطلب قبل قدوم ضمضم إِلَى مكة ، بثلاث ليالٍ رؤيا أفْزَعَتْهَا » .

فبعثت إلى أخيها العبَّاس بن عبد المطلب ، فقالت له : « يا أخي ، واللَّه لقد رأيت الليلة رُؤْيا أَفْظَعَتْنِي وَتَخوَّفْت أَنْ يَدْخلَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْهَا شَر ومُصيبَة ، فَاكْتُم عليَّ مَا أُحَدِّثُكَ » .

قال لها : « ومَا رَأَيْتِ ؟ » .

قالت : رأيت رَاكبًا أقبل عَلَى بَعير له ، حتى وَقَفَ بالأَبْطَح ، ثم صرخ بِأَعلى صوته : ألا انْفِروا يَا آلَ غُدَر لَمَصارِعكُم في ثلاث . فأرى النَّاس اجْتَمَعُوا إليْه ثُمَّ دَخل الْمَسْجِدَ والنَّاس يَتْبَعُونَه ، فَبَيْنَمَا هُمْ حوله ، مَثل به بَعِيره على ظَهْر الكَعْبَة ، ثم صَرَخَ بِمثلها : ألا انفروا يا آل غُدَر لِمَصارِعِكُم في ثَلاَث . ثم مَثل به بعيره على رأس أَبِي قُبَيْس فَصرَخ بِمثْلها ، ثم أَخَذ صَخْرَةً ، فأرسلها فَأَقْبلت تَهْوِي ، حتى إذا كانَت بأسفل الجبل ارْفَضّتْ فَمَا بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيوت مَكَّةَ وَلا دَار إِلَّا دَخلَتْهَا مِنْها فَلْقَة » .

قالَ العبَّاس : « واللَّه إن هذه لرؤيا ، وأنت فاكتميها لا تذكريها لأحد » .

ثم خرج العبَّاس فلقي الوَلِيد بن عُتْبة ، وكان له صَديقًا ، فذكرها له واسْتَكْتَمه إيَّاها

(١) السيرة النبوية ، وابن كثير (ج٢ ، ص٣٨١) .

فَذَكَرَها الوَلِيدُ لأبيه عُتْبة ، ففشا الحَدِيثُ ، حتى تحدَّثت به قريش .

قال العباس : فغَدوتُ لأطُوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعُود ، يَتَحدَّثُون برُؤْيَا عَاتكة ، فَلمَّا رَآني أَبُو جَهْل ، قال : يا أبا الفَضْل ، إذا فَرَغْتَ مِنْ طَوَافِكَ فأقبل عَلَيْنَا . فلما فَرَغْتُ أَقْبَلْتُ ، حَتى جَلَسْتُ مَعَهُم . فقال أبو جهل : يا بني عبد المطلب متى حَدَثَت فِيكُمْ هَذِه النبِيَّة ؟ .

قال : قلت : وما ذاك ؟ .

قال : تلك الرؤْيا الَّتي رَأَتْ عَاتِكة .

قال : قلت : وما رأت ؟ .

قال : يَابنِي عبد المطلب ، أما رَضِيتُم أَن يَتَنَبَّأ رِجَالُكُم ، حتى تَتَنَبَّأ نساؤُكم ؟ قد زَعَمَتْ عَاتِكَة في رُؤْيَاهَا ، أنه قال : انْفِرُوا فِي ثَلاث .

فَسَنَتَرَبَّصُ بكم هذه الثلاث ، فإنْ يَكُ حَقًّا مَا تَقُول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتابا أَنَّكم أَكْذبُ أَهْل بَيْتٍ في العرب .

قال العباس : فواللَّه ، ما كانَ مِنِّي إليه كبيرُ شَيْءٍ إلا أني جَحَدْتُ ذلك وأَنْكَرتُ أن تَكُونَ رأتْ شيئًا .

قال : ثم تفرقنا فلمَّا أَمْسَيْتُ ، لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْد المطَّلب إلا أَتَتْنِي ، فَقَالَتْ : أَقَرَرْتُم لهذا الفاسق الخبيث أَنْ يَقَع في رِجَالِكُم ، ثم قَدْ تَنَاوَل النِّساء وأَنْتَ تَسْمَع ، ثمَّ لَم يكن عندك غيرة لِشَيءٍ مِمَّا سمعت ؟ .

قال : قلت : قد واللَّه فعلتُ ، ما كان منِّي إليه مِنْ كَبير ، وَايْمُ اللَّه لأَتعرَّضن له ، فإذا عاد لأَكْفِيكنَّه .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حَدِيدٌ مُغْضَب ، أرى أنِّي قَدْ فاتَنِي منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد ، فرأيْتهُ ، فواللَّه إنِّي لأَمْشِي نَحْوَه أَتَعَرَّضه ، لِيعود لبعض ما قال ، فأقع به ، وكان رجلًا خَفِيفا حَدِيد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظَر ، قال : إذ خرج نَحْو بَاب المسجِد يَشْتد ، قال : قلت في نفسي : ما له - لعنه اللَّه - ؟ أكلُّ هذا فَرَقٌ منِّي أَنْ أُشَاتِمه ؟! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضَمْضَم بن عمْرو الغِفَاري ، وهو يَصْرُخ ببطن الوادي وَاقِفًا عَلَى بَعِيرِه قَدْ جَدعَ بَعِيره وحوَّل رَحْلَه وشقَّ قميصه ، وهو

يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تُدْرِكُوهَا ، الغوثَ الغوث ! .

قال : فشغلني عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناسُ سراعًا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كَعِيرِ ابن الحضرمي ؟! » [1] . (كلا) واللَّه ليعلمُنَّ غَيْرَ ذلك .

قال : فلما جاء ضَمْضَم بنُ عَمْرو على تلك الصفة ، خَافُوا مِنْ رُؤْيَا عَاتِكة ، فَخَرجوا علَى الصَّعب والذَّلُول .

فكانوا بين رجلين : إمَّا خَارِج وإمَّا بَاعِث مَكَانه رَجُلًا ، وَأَوْعَبَتْ قُرَيش ، فَلَمْ يَتَخلَّف من أشرافها أحد إلا أنَّ أبا لهب بن عبد المطلب ، بعث مكانه العاصي بن هشام ابن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم ، كانت له عليه قد أفلس بها .

أحمد : وصدقت رُؤْيَا عَاتِكَة بنت عبد المطلب .

الوالد : نعم ، وقيل إن أمَيَّة بن خَلَف ، كان قد أجمع القُعُود ، وكان شيخًا جليلًا جسيمًا ثقيلًا ، فأتاه عُقْبَة بن أَبي مُعَيْط وهو جالس في المسجد ، بين ظهراني قومه بِمَجمرة يحملها فيها نار وَمَجْمر ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي اسْتَجمِر ، فإنَّما أنت من النساء !

قال : قبحك اللَّه وقبَّح ما جئتَ به ! قال : ثم تجهز وخرج [2] مع الناس .

إيمان : لماذا يا والدي خرج أمية بن خلف ، مع كفار مكة ؛ لقتال النبي محمد ﷺ ، رغم أنه تلقى تحذيرًا من صديقه سَعْدِ بن مَعَاذ ، حينما كان في زيارة لمكة ؟ .

الوالد : مرة أخرى اذكِّر بهذه المسألة .

كان سعد بن مُعَاذ صديقًا لأُميَّة بن خَلَف ، وكان أميَّة إذا مرَّ بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذ ، وكان سعد إذا مرَّ بمكة نزل على أمية .

فلما قَدِمَ رسُولُ اللَّه ﷺ المدينة ، انطلقَ سَعْدُ بنُ مُعَاذ مُعْتَمِرًا ، فَنَزَل عَلَى أُميَّة بمكة ، قال سعد لأمية : انظر لِي سَاعَةَ خلْوَة لَعَلِّي أطُوف بالبيت ، فخرج به قريبًا من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل ، فقال : يا صفوان ، من هذا معك ؟ قال : سعد .

قال له أبو جهل : أَلَا أراك تطوف بمكة آمنًا ، وقد أويتم الصُّبَاة وَزَعَمْتُمْ أنَّكم

---

(١) المرجع السابق (ص٣٨٢ - ٣٨٣) . (٢) المرجع السابق (ص٣٨٣ - ٣٨٤) .

تَنْصُرونهم وَتُعِينُونَهم ، أَمَا واللَّه ، لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَان ، ما رجَعْت إِلَى أَهلِكَ سَالمًا .

بلال : أبو جهل كان في قِمَة الإجْرَام يا جدي ؛ يمْنع سَعْدًا مِنَ الطوافِ بِبَيْتِ اللَّه الْعَتِيق فِي حَرَم اللَّه الآمِن ! ماذا فعل سعد يا جَدِّي ؟ .

الجد : انتظر يا بلال ؛ لتعرف ردَّ سَعْد ، فقال له سعد ، ورفع صوته عليه : أمَا واللَّهِ ، لئن مَنَعْتَني هَذَا لأمنعنَّك ما هو أشد عليك منه ؛ طريقك على المَدينَة .

فقال له أمية : لَا تَرْفَع صَوْتك يا سَعْد على أبي الحَكم ؛ فإنه سيد أهل الوادي . قال سعد : دَعْنا عَنْكَ يا أمية ؛ فواللَّه لقد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقُولُ : « **إِنَّهُم قاتِلوُك** » قال : بِمكَّة ؟ قال : لا أدْرِي .

ففزع لذلك أُمَيَّة فَزَعًا شديدًا .

فلما رَجعَ إِلَى أَهْلِه ، قال : يا أمَّ صَفْوَان ، أَلَمْ تَرِي ما قَال لَي سَعْد ؟ قَالَتْ : وما قال لك ؟ قال : زعم أن مُحَمَّدًا أخبرهم أنَّهمْ قَاتلِيَّ ، فقلت له .. بمكة ؟ قال : لا أدري .

فقال أمية : واللَّه لا أخرج من مكة .

فلما كان يَومُ بدر اسْتَنْفَرَ أبُو جَهْل النَّاس ، قال : أَدْرِكُوا عِيرَكُم . فَكَرِه أُمَيَّة أَنْ يَخْرُج ، فأتاه أبو جهل ، فقال : يا أبا صفوان ، إِنَّك مَتَى يَرَاك النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وأنت سيدُ أهل الوادي ، تخلَّفُوا معك .

فلم يزل به أبو جهل ، حتى قال : أما إِذ غَلَبْتَنِي ، فواللَّه لأشْتَرِين أَجْوَد بعير بمكة .

ثم قال أمية : يا أُمَّ صَفْوَان ، جهِّزيني . فقالت له : يا أَبَا صَفْوَان ، وقَدْ نَسيت ما قال لك أخُوكَ اليَثْربي ؟ قال : لا ، وما أريد أنْ أَجُوزَ مَعَهُم إلَّا قَرِيبًا .

فلما خرج أميَّة أَخذ لا يَنْزِل مَنْزِلًا إلا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك ، حتى قَتَلَه اللَّه بِبَدر [1] .

إيمان : صدق اللَّه القائل : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا

---

(١) المرجع السابق (ص٣٨٤) .

فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وصدق من قال : إذا جاء القَدَر عَمِيَ الْبَصَر .

الوالد : نعم يا أم سمية ، لكل أجلٍ كتاب .

بلال : جزاكَ اللَّه خيْرًا يا جَدِّي ، ولكني أريد إيضاحًا لبعض الأمور .

أسامة : وبعدين يا بلال ، أَنْتَ تريد أن تأخذ اللقاء لحسابك ؟ مَعْذرةً يا أَبي ، انتظر حَتَّى يفْرغ جَدُّك مِنْ عَرْض أحداث الغزوة بتسلسل ، ثم استوضح ما شئت .

بلال : بعد إذنك يا جدي أنا متنازل عن طلبي يا عمي أسامة .

الجد : جزاكَ اللَّه خيْرًا ، ولكن أود أن أُعَقِّب على هذا الخبر بكلمات قلائل :

لَمْ يَكُنْ أهلُ مَكَّة جميعًا رَاغبين في الصِّدام مع محمد ﷺ وأصحابه ، ولكن هناك بعض الأفراد المجرمين (١) هم الذين كانوا يتولون كِبْر هذه الأمور ، وهم الذين وَرَّطُوا بقيَّة إخْوانِهم في هذا الصِّدام لا لشيء ، إلَّا بِدَافع الحقد الشخصي على محمد ﷺ وأصحابه . وصدق اللَّه القائل : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

إيمان : معذرة يا والدي ، قبل أن نسترسل في سرد أحداث الغزوة ، أتساءل ، قرأت في كتاب اللَّه : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٥- ٨] .

فهل ذلك يعني أن النَّبيَّ ﷺ قد خَرجَ وندَب إخْوَانه للخروج بإذن من اللَّه ﷻ ؟ .

---

(١) من هؤلاء : أبو جهل ، والدليل ما أورده ابن كثير ، في كتاب السيرة النبوية (ج٢ ، ص٣٩٩) : « لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم ؛ لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها اللَّه ، فارجعوا ، فقال أبو جهل بن هشام : واللَّه لا نرجع حتى نرد بدرًا – وكان بدر موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوق كل عام – فنقيم عليه ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ؛ فلا يزالون يهابوننا أبدًا فامضوا . وقال الأَخْنَس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكان حليفًا لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجَّى اللَّه لكم أموالكم ، وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم ؛ لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جبنها ، وارجعوا ؛ فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا فلم يشهدها زهريٌّ واحد أطاعوه وكان فيهم مطاعًا » .

الوالد : تمامًا يا إيمان ، والرسول محمد ﷺ لم يكن يعلم أن هناك قِتَالًا سيقع في بدر ، ولهذا لم يستنفر كل المسلمين في المدينة ، واكتفى بندب الجاهز للخروج ، كما أن فريقًا من المؤمنين كان كارهًا للخروج ، وفريقًا من المؤمنين كان يتمنى العير (الغنائم) ، ولا يتمنَّى القتال ، ولكن تقدير اللَّه فوق تقدير البشر ، لقد أراد اللَّه أمرًا ، كما ورد في نفس سورة الأنفال ، من وراء هذا الخروج : ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٧، ٨] .

أي أن هناك حكمة ربانية من وراء هذا الحدث وهو من تدبير اللَّه ﷻ .

بلال : وهي التمكين للحق بقيادة محمد ﷺ ، وقطع دابر الكافرين رغم أنف المجرمين .

محمد : إذن ، قريش خرجت تجاه المدينة ، حينما وصلها خبر اعتراض رسول اللَّه محمد ﷺ لتجارتها التي كانت ببلاد الشام .

الوالد : نعم ، كما قلنا ، لقد خرجت قريش على الصعب والذلول ، في تسعمائة وخمسين مقاتلًا ، ومعهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القيان يضربن الدفوف ويغنين بهجاء المسلمين .

أحمد : ما هي الخطوات التي اتخذها النبي ﷺ لمواجهة الموقف يا والدي ؟

الوالد : خرج رسول اللَّه ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في ثلاثمائة وبضعة عشر مجاهدًا ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس ، وردَّ أبا لُبَابَة من الروحاء واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول اللَّه ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب ، يقال لها : العقاب والأخرى مع بعض الأنصار .

وجعل رسول اللَّه ﷺ على الساقة قيس بن أبي صَعْصَعة ، أخا بني مازن بن النجار ، وكان مع المسلمين فرسان ، على إحداهما مصعب بن عمير ، وقيل المقداد بن الأسود (على الميسرة) وعلى الأخرى الزبير بن العوام (علي الميمنة) ، ومن الميمنة سعد بن خيثمة ، ومن الميسرة المقداد بن الأسود [1] .

بلال : كيف قطع المسلمون المسافة بين المدينة إلى بدر يا جدي ؟ هل كان عندهم سلاح مركبات مثل هذا العصر يا جدي ؟

(١) السيرة النبوية (ج٢ ، ص٣٨٧ - ٣٨٨) .

الجد : كان معهم سبعون بعيرًا يعتقبُونها ، فكان رسول اللَّه ﷺ وعلي ومرثد بن أبي مرثد يعتقبون بعيرًا ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كَبْشة وأنسة (مَوْلَيا رسول اللَّه ﷺ) يعتقبون بعيرًا .

سمية : معنى هذا أن النبي محمدًا ﷺ كان يمشي على قدميه ، لفترات طويلة ، رغم أنه القائد ، وكان المفروض أن يهيَّأ له وسائل الراحة ؛ حتى يتمكن من التخطيط للمعركة ، وقيادة عملياتها ، والقيام بمسئولياته الجسام ، كقائد للدولة الإسلامية .

الجد : لقد كان رسول اللَّه محمد ﷺ متواضعًا ؛ لا يحب أن يتميز عن أصحابه ، كان يبذل من نفسه ووقته وماله ، ما لا يبذله غيره ، ولذلك لمَّا عرض عليه أبو لبابة وعليّ (وكانت عُقْبَة النبي محمد ﷺ) : اركب ونحن نمشي عنك ، قال ﷺ : « **ما أنتما بأقوى على المشي مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما** » [(١)] .

الأولاد : اللَّهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم .

الوالد : وهنا مسألة جديرة بالذكر ؛ لقد أمر رسول اللَّه ﷺ بالأجراس ، أن تقْطع من أعناق الإبل ، يوم بدر ؛ حتى لا يحس العدو بحركة الجيش الإسلامي ، وهذا من باب الأخذ بالأسباب .

محمود : أي الطريق سلك الرسول ﷺ يا والدي ؟ .

الوالد : سلك الرسول ﷺ طريقه من المدينة إلى مكة ، على نَقْب المدينة ، ثمَّ على العقيق ، يريد بدرًا ، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء (قرية بين جبلين) بعث بَسْبَس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة وعدي بن أبي الزَّغْباء ، حليف بني النجار ، إلى بدر ، يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان ، صخر بن حرب وعيره ، كما قلنا من قبل ، وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ؛ ليمنعوا عيرهم ، رغم أن العير قد نجت (أي تجارة قريش قد أفلتت) .

محمد : يعني لو كان القرشيون عقلاء ، لرجعوا ؛ لأن العير قد أفلتت .

الوالد : نعم ، يا بني ولكنه الكبر الذي عصف بهؤلاء المجرمين ، وجعلهم يتصورون أنه بالإمكان اقتلاع الدولة الإسلامية من على أرض المدينة .

بلال : أي خرجوا بطرًا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل اللَّه .

الجد : تمامًا يا بلال ، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم ، ولهذا فقد أدرك النبي ﷺ أن

---

(١) المرجع السابق (ص٣٨٩) .

الصدام واقع لا محالة ؛ فكان لا بد وأن يشاور أصحابه ، الذين خرجوا ، وما كانوا يتوقعون قتالًا ؛ فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المِقدادُ بن عمرو ، فقال : يا رسول اللَّه ، امضِ لما أراك اللَّه فنحن معك ، واللَّه ، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنَّا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثَك بالحق ، لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد [1] ، لجالَدْنا معك من دونه حتى نبلغه .

فقال له رسول اللَّه ﷺ خيرًا ودعا له .

ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **أشيروا عليَّ أيها الناس** » ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول اللَّه ، إنا برآء من ذمامك ، حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول اللَّه ﷺ يتخوَّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نَصْره إلا ممن دَهمه بالمدينة ، من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم .

فلما قال ذلك رسول اللَّه ﷺ ، قال له سعد بن معاذ : « واللَّه لكأنك تريدنا يا رسول اللَّه » قال : « **أجل** » ، قال : فقد آمنَّا بك وصدَّقناك وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السَّمع والطاعة لك ، فامضِ يا رسول اللَّه لِماَ أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فَخضْته ، لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لَصُبُر في الحرب ، صُدقٌ عند اللقاء ؛ لعل اللَّه يريك منا ما تقرُّ به عينُك فَسِر على بركة اللَّه .

قال : فَسُرَّ رسول اللَّه ﷺ بقول سعد ونشَّطه [2] ثم قال : « **سِيروا وأبشروا ؛ فإن اللَّه قد وعدني إحدى الطائفتين ، واللَّه لكأنِّي الآن أنظر إلى مصارع القوم** » .

أسامة : اللَّه أكبر ، رضي اللَّه عن المهاجرين والأنصار . لقد عَلَّمونا معنى الصدق مع اللَّه ، ومعنى الصدق مع النفس ؛ لقد علمونا معنى الاستسلام لأمر اللَّه ، ولو كلف النفس والنفيس ، لقد علمونا معنى الوفاء بالعهود بالبيعة . لقد علمونا معنى تحرير الولاء للَّه ، ولرسوله وللمؤمنين ، ومعنى الحب والنصرة .

(١) برك الغماد : قال الحازمي : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكري : هي أقاصي هجر . وقال الهمداني : هو في أقصى اليمن ، من شرح المواهب (٤١٢/١) . المرجع السابق (ص٣٩٠ - ٣٩٤) .

(٢) المرجع السابق (ص٣٩٢ - ٣٩٣) .

الوالد : نعم يا أسامة . وهذه المعاني يجب أن تبرز ، عند استعراض أحداث السيرة ؛ لتكون نورًا لنا وزادًا في معاركنا اليوم وغدًا ، مع أعداء اللَّه وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين .

بلال : معذرةً يا جدي ، إن كلمة سعد بن معاذ ﷺ ، تعكس لنا مدى الرغبة في التضحية ؛ نتيجة الإيمان بأن الجهاد بالنفس والمال فريضة شرعية ؛ امتثالًا لقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا ، على هذه اللفتة الطيبة ، التي تَدلُّ على أنك بدأت تقرأ .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد ، أخشى أن يكون عرض الغزوة على هذا النحو ، مع كثرة المقاطعة ، مدعاة لتشتيت الذهن وعدم التركيز ، والاستفادة . لذلك أقترح عند عرض بقية الغزوات والبعوث ، أن نعرض للأحداث دفعة واحدة ، ثم تأتي الأسئلة والاستفسارات ، واستخلاص العظات والعبر بعد ذلك .

الوالد : إن شاء اللَّه ، نفعل في عرض بقية أحداث السيرة . بقي أن نعرض الآن لأحداث القتال ، والنتائج التي أسفر عنها .

نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي وسبق النبي محمد ﷺ إلى ماء بدر ، ومنع قريشًا من السبق إلى ماء بدر ، ونزل مطر عظيم لم يصب المسلمين منه إلا ما لبَّد لهم الأرض ، ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدر على أن يرتحلوا معه .

فنزل النبي ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة .

فقال الحُبَاب بن المنذر بن عمرو بن الجمُوح : يا رسول اللَّه ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلٌ أنزلكه اللَّه ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ .

فقال : « **بل هو الرأي والحرب والمكيدة** » .

قال : يا رسول اللَّه ، فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بنا ، حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله وَنُغوِّر ما وراءه من الْقُلب ثم نبني عليه حوضًا ، فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فاستحسن النبي ﷺ ذلك من رأيه ، وَفعَل ما أشار به الحباب بن المنذر ، وأمر

بالقُلُب فَغُورت . وبنى حوضًا وملأه ماء ، وبُنِيَ لرسول اللَّه ﷺ عريش يكون فيه ، وقام على حراسته [١] أبو بكر الصديق ، ومشى النبي ﷺ في أرض المعركة ، وجعل يشير بيده هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، قيل : فما عدا واحد منهم مصرعه .

أسامة : معذرة يا أمي ، ومعذرة يا أبي ، هنا لا بد من وقفة مع الأحداث ؛ لنستخلص منها الدروس ؛ خشية أن ننسى أو نضطر لاستعادة الأحداث مرة أخرى ، خاصَّة وأن وقائع غزوة بدر هي وثيقة الصلة بما سبقها من أحداث ، وما تلاها ، ونحن في مسيس الحاجة إلى معطياتها في عالمنا المعاصر .

الوالد : لا بأس إذا كان الأمر كذلك .

أسامة : الفهم الصحيح الذي كان عليه أصحاب الرسول محمد ﷺ : فهذا الصحابي الذي تعلم أن الشورى فيما ليس فيه نصٌّ - أصل من أصول الإسلام . أدرك أن الدين النصيحة وأن التواصي بالحق والتواصي بالصبر - أصل من أصول الإسلام ، وأن المسلم لا بد وأن يكون إيجابيًّا في مواجهة التحديات ؛ لهذا انطلق على الفور يشير على الرسول محمد ﷺ بتغيير المنزل والاستحواذ على المياه ؛ لحرمان العدو من الشرب منها ، وكان التجاوب من الرسول القائد محمد ﷺ ، التجاوب مع النصيحة ، مع النزول عن رأيه ؛ لوجاهة رأي أخيه في الإسلام ، رغم أنه القائد الميداني لمعركة بدر .

والمَعْلَمُ الثاني : هو بناء عريش يكون فيه رسول اللَّه ﷺ ؛ ليشرف على أرض المعركة ، ويقوم على حراسته أشجع الرجال بعد رسول اللَّه ﷺ ، ألا وهو أبو بكر الصديق .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة . نواصل حديثنا .

في هذه الأثناء بعثت قريش عُمَير بن وهب الجُمحي [٢] ليتعرَّف على عدد المسلمين ، فأدى مهمته ، ولكنه لم يكتف بذلك ؛ بل حذَّر قريشًا من مَغَبَّة قتال المسلمين ، فقال : يا معشر قريش ، لقد رأيت البلايا تحمل المنايا ، نواضحُ يثرب تحمل الموت الناقع . قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، واللَّه ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم ، حتى يَقْتل رجلًا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك . فَروا رأيكم .

بلال : هل انتفع القوم بهذه النصيحة ؟ .

الوالد : لم ينتفع أحد بهذه التحذيرات ، رغم أن حكيم بن حزام ، وعتبة بن

(١) المرجع السابق (ص٤٠٢ - ٤٠٣) .
(٢) المرجع السابق (ص٤٠٦ - ٤٠٧) .

ربيعة حاولا إثناء أبي جهل عن الحرب ، فلم يفلحا فانسحبا [١] .

واندلع القتال ، وحينما حاول الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، أن يشرب من الماء الموجود في قطاع الجيش الإسلامي ، ضربه حمزة ﷺ فقضى عليه [٢] .

وبارز حمزة شيبة ، فقتله ، وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة ، فقضى عليه ، وبارز عبيدةُ بن الحارث عتبةَ بن ربيعة ، فجرح كل منهما الآخر .

ثم تزاحف الجمعان ، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه ، أن لا يحملوا على العدو ، حتى يأمرهم وقال : « **إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل** » وتوجه الرسول القائد ﷺ إلى العريش (مقر القيادة) يناشد ربه رب العالمين : « **اللَّهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعدها في الأرض ، اللَّهم أنجز لي ما وعدتني** » [٣] .

واستجاب اللَّه ﷻ ، وأمر الملائكة بمساندة المسلمين على أرض المعركة ، واستبشر رسول اللَّه ﷺ ، حينما شاهد جبريل ﷺ أخذ بعنان فرسه باتجاه أرض المعركة ، وخرج رسول اللَّه ﷺ من عريشه ، يحرض المؤمنين على القتال ، فقاتل عمير بن الحُمام [٤] ، حتى قتل ، ثم قاتل عَوْف بن عفراء - وهي أمه - ، حتى قتل .

فقال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه : « **شُدُّوا عليهم** » فكانت الهزيمة ، وقتل اللَّه من قتل من صناديد الكفر ، فقُتل سبعُون وأسر مثلهم .

وقد سَجَّل رب العالمين هذا النصر في قوله :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

محمود : لو أذنت لي ، يا أبي ، نود أن نعرض لتقرير القرآن الكريم ، وأحاديث النبي محمد ﷺ عن هذه الغزوة ؛ للوقوف على رؤوس العظات والعبر .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٠٧ - ٤٠٩) .

(٢) المرجع السابق (ص٤١٢ - ٤١٣) .

(٣) المرجع السابق (ص٤١١ - ٤١٥) . وقد علق ابن كثير على هذا الحدث ، بقوله : « هذا وقد تواجه الفئتان ، وتقاتل الفريقان ، وحضر الخصمان بين يدي الرحمن واستغاث بربه سيد الأنبياء ، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى ربِّ الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء » .

(٤) وقد نسب إلى عمير أبيات من الشعر وهو يقاتل :

ركضًا إلى اللَّه بغير زاد ... إلا التُّقى وعمل المعاد
والصبر في اللَّه على الجهاد ... وكلُّ زادٍ عُرضَةُ النفاد
غير التُّقَى والبر والرشاد

الوالد : اقتراح جيد يا بني ، وليكن اعتمادنا على اللَّه ، ثمَّ على سورة الأنفال وتفسيرها ، بالإضافة إلى كتب السنة ، وتاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام (المغازي) ، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي [1] ، والسيرة النبوية لابن كثير ، وسيرة ابن هشام ، وزاد المعاد ، والرسول القائد ، والرحيق المختوم ، وغيرها من المراجع .

محمود : هل تأذن لي وأسامة ، للقيام بهذه المهمة ؟ .

الوالد : تفضلا ، ولكن لا بد من استراحة وإعطاء الفرصة للقراءة والاطلاع والتحضير .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) تحقيق د / عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ .

اختبر معلوماتك

- ماذا فعل أبو سفيان حين أحس أن تجارة قريش في خطر ؟ .
- لِمَ سمى رب العالمين يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان ؟ .
- ما الهدف الذي من أجله أمر ربُّ العالمين رسول اللَّه ﷺ بالخروج إلى بدر ؟ .
- ما حجم العير التي كان يقوم عليها أبو سفيان - صخر بن حرب - مرجعه من الشام ؟ (عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون رجلًا أو أربعون منهم مَخرْمَة بن نوفل وعمرو بن العاص) .
- وهل كانت تجارة قريش مقصودة لذاتها أم لأنها كانت توظف من قبل المشركين لحرب اللَّه ورسوله ؟ .
- علم الرسول محمد ﷺ وأصحابه أن الصدام بينهم وبين الباطل ، حتمي ، واستلزم ذلك أن تكون عيون الرسول محمد ﷺ داخل صفوف العدو ، تراقب حركته ومؤامراته ، وترفع تقاريرها أولًا بأول ، للرسول محمد ﷺ ؛ حتى لا يباغت المسلمون بالأحداث . دلّل على ذلك .
- كان الرسول محمد ﷺ حريصًا على جمع المعلومات عن تحركات العدو باتجاه المدينة المنورة . هل كان يقوم بذلك بنفسه أم أنه كان يكلف بعض أصحابه بهذه المهمة ؟ دلل على ذلك .
- كيف أدرك الرسول محمد ﷺ عدد قوات العدوِّ وقادته ؟ .
- ما هي ، إذن ، أسباب وقوع الصدام في بدر ، رغم أن تجارة قريش قد أفلتت ورجعت ؟ .
- ما الأسباب التي دفعت رسول اللَّه محمدًا ﷺ أن يشاور أصحابه ، بعد إدراكه أن الصدام حتمي مع مشركي قريش ؟ ماذا قال المهاجرون والأنصار ؟ وما أثر ذلك على النبي القائد محمد ﷺ ؟ .
- الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة قدم دليلًا .
- ما هي تفاصيل الرؤيا التي شاهدتها عاتكة بنت عبد المطلب عَمّة النبي محمد ﷺ ؟ .
- ماذا فعل أبو جهل حينما سمع تفاصيلها من العباس ؟ .
- زار سعد بن معاذ مكة وأثناء طوافه بالبيت العتيق ، رآه أبو جهل ، فهاجمه وعنفه . اذكر الحوار ، وما هو مدلوله ؟ .

اللقاء الثامن عشر

غزوة بدر العظمى دروس وعبر

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . .

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه محمد ﷺ وبعد :

هذا هو لقاؤنا الثامن عشر ، حول سيرة خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين محمد ﷺ ، تحت عنوان : « غزوة بدر العظمى دروس وعبر » . لعلكم قرأتم شيئًا من المراجع التي أشرنا إليها في لقائنا السابق ؟

الأبناء : نعم ، الحمد للَّه .

أسامة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه محمد ﷺ .

من الدروس المستفادة : أن النصر بيد اللَّه ﷻ الذي يدير المعارك ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، رغم قلة عدد أهل الحق وقلة عدتهم في مواجهة أهل الباطل . يقول اللَّه ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] . ونجد مصداقًا لذلك الآن في شباب الانتفاضة الفلسطينية ، الذين يسعون لتحرير المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وطرد العدو اليهودي المغتصب لأرض فلسطين ، رغم قلة عددهم وعدتهم ، فقد خلقوا بجهادهم ما سُمي بتوازن الرُّعب ، ولعل ذلك مصداق لبشارة النبي محمد ﷺ : « **لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم خذلان من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة** » [1] .

بلال ورحمة وسارة : اللَّهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، واللَّه أكبر ، وللَّه الحمد ، والنصر للإسلام .

محمود : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه . أول آية في سورة الأنفال ، توجه نظر المسلمين إلى أهمية إصلاح ذات البين ، حينما اختلف بعض الصحابة في النفل (الغنائم) وساءت فيه الأخلاق ، فانتزعه اللَّه من أيديهم وجعله إلى رسول اللَّه

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد (١٠/٦٠) ، كتاب البيان ، الانتفاضة والتتار الجدد ، د / سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الرياض (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .

ﷺ يقسمه بين المسلمين . وإصلاح ذات البين مهمٌ لتتوحد القلوب وتجتمع على قلب رجل واحد . يقول رب العالمين : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] .

وإفساد ذات الدين ، هي الحالقة التي تحلق الدين . لذلك نبه القرآن الكريم إلى أهمية إصلاح ذات البين ، وطاعة اللّٰه ورسوله . والملفت للنظر أن الآية الأولى من سورة الأنفال ، ذكرت مناسبة التنزيل ، وهي خلاف الصحابة على الغنائم ، ولم تبين الحكم الشرعي فيها ، إلا في الآية الحادية والأربعين من هذه السورة : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٤١] .

في الوقت الذي أكد فيه القرآن على أهمية إصلاح ذات البين ، وطاعة اللّٰه وطاعة الرسول ﷺ ، وجعلها من علامات الإيمان : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ؛ لأن كل متاع الدنيا المادي إلى زوال ، إلا الإيمان وإصلاح ذات البين .

بلال : معذرة يا أبي وجدي ، ما معنى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ؟ .

الجد : أي تجنبوا غضب اللّٰه ، وأصلحوا فيما بينكم ، ولا تظالموا ، ولا تخاصموا ، ولا تشاجروا ولا تستبوا .

سُمية : هل سمعت يا بلال ؟ لا تشاجروا أي لا تتخانقوا .

بلال : قولي لنفسك .

الجد : هذا لا يجوز يا بلال ، ولا يجوز يا سُميَّة ، لا بد من الاستئذان ، وطلب الكلمة . هناك قصة لطيفة أوردها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، بمناسبة إصلاح ذات البين . « أورد الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول اللّٰه ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك ، حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : ما أضحكك يا رسول اللّٰه ، بأبي أنت وأمي ؟ فقال : « **رجلان من أمتي ، جثيا بين يدي رب العزة ، تبارك وتعالى ، فقال أحدهما : يا ربِّ ، خذ لي مظلمتي من أخي . قال اللّٰه تعالى : أعط أخاك مظلمته ، قال : يا ربِّ لم يبق من حسناتي من شيء ، قال : رب فليحمل عني من أوزاري** » .

قال : ففاضت عينا رسول اللّٰه ﷺ بالبكاء ، ثم قال : « **إن ذلك ليوم عظيم ، يوم**

يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال اللّٰه تعالى للطالب : ارفع بصرك وانظر في الجنان . فرفع رأسه فقال : يا رب ، أرى مدائن من فضة ، وقصورًا من ذهب ، مكللة باللؤلؤ ؛ لأي نبيٍّ هذا ، لأي صديقٍ هذا ، لأي شهيدٍ هذا ؟ ! » .

قال : « هذا لمن أعطى ثمنه » ، قال : « رب ومن يملك ثمنه ؟ » قال : « أنت تملكه » . قال : « ماذا يا رب ؟ » قال : « تعفو عن أخيك » . قال : « يا رب إني قد عفوت عنه » . قال اللّٰه تعالى : « خذ بيد أخيك فادخلا الجنة » . ثم قال رسول اللّٰه ﷺ : « **فاتقوا اللّٰه ، وأصلحوا ذات بينكم ، فإن اللّٰه تعالى يُصلح بين المؤمنين يوم القيامة** » [(١)] .

الأولاد : اللّٰه أكبر اللّٰه أكبر ، الحمد للّٰه على كرم اللّٰه .

سُمَيَّة : وأنا أُشهد اللّٰه أني قد سامحتك يا بلال .

بلال : وأنا كمان يا جدي ، قد سامحت سُمَيَّة .

رحمة : كفاية شغل عيال يا سُمَيَّة! معذرة يا جدي !!

الجد : قولوا : أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم .

الأولاد : نعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم .

احمد : معذرة يا أبي ، أرى من المناسب **أن نعرض لصور من حياة الصحابة** ، الذين شاركوا في معركة بدر الكبرى ؛ ليدرك القارئ النموذج الحقيقي ، لصفات إنسان العقيدة .

الوالد : من يَعْرِض لبعض هذه الصور ؟ .

محمد : أنا بإذن اللّٰه .

الحمد للّٰه والصلاة والسلام على خير خلق اللّٰه محمد ﷺ . أورد ابن كثير رحمه الله أن **عَوْف بن الحارث الأنصاري** ، وهو ابن عَفْراء ، قال : « يا رسول اللّٰه ، ما يُضحِك (أي : ما يُرْضِي) اللّٰه من عبده ؟ » قال : « غَمْسُه يَدَهُ في العدو حَاسِرًا » . فنزع درعًا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتِل [(٢)] .

النموذج الثاني : حينما أمر رسول اللّٰه ﷺ إخوانه بالهجوم المضاد ضد العدو ، قال : « **والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقْتَل صابرًا محتسبًا مُقبلًا غير مُدْبِرٍ ، إلا أدخله اللّٰه الجنة** » وقال ، وهو يحضهم على القتال : « **قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض** » .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ، ط٧ ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٧م ، المجلد الثالث ، ص٨٤ .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص ٤١٠) .

حينئذٍ قال عُمير بن الحمام : « بخٍ بخٍ » .

فقال رسول الله ﷺ : « **ما يحملك على قولك : بخٍ بخٍ ؟** » .

قال : « لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها » .

قال : « **فإنك من أهلها** » ، فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : « لئن حييتُ حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة » . فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل [١] .

الأبناء : الله أكبر . اللَّهم ارزقنا الشهادة في سبيلك ، وارزقنا صحبة محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم .

محمد : النموذج الفذ أيضًا هو **حمزة بن عبد المطلب** : حينما خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي (مشرك) ، وكان شرسًا سيئ الخلق ، كما يقول الذهبي في كتابه المغازي ، فقال الأسود : أعاهد الله لأشربن من حوضهم (أي المسلمين) أو لأهْدِمنَّه ، أو لأمُوتنَّ دونه ، وأتاه فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ، فالتقيا فضربه حمزة ضربة فأطار قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخُب رِجْلُه دمًا ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، ليَبرَّ بيمينه ، واتبعه حمزة فقتله في الحوض [٢] .

هذه بعض النماذج التي تعلم المسلم معنى الإيجابية والقبول بالتحدي .

إيمان : لو أذنت لي يا أبي .

الوالد : تفضلي يا أم سُمَيَّة .

إيمان : شَكَرَ الله لك . أورد الإمام الذهبي في المغازي ، أن عُتْبَةَ بن رَبيعَةَ ، خرج لمبارزة المسلمين بين أخيه شَيبَةَ وابنه الوليد بن عُتْبَةَ ، ودعوا للمبارزة ، فخرج إليه عَوْف ومُعَوَّذ ابنا عفراء ، وآخر من الأنصار . فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من حاجة ؛ ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا .

بلال : وقاحة من المشركين !

إيمان : لا تقاطعني يا بلال .

بلال : سمعًا وطاعة يا عمتي .

---

(١) تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، المغازي ، تحقيق د / عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ ، (ص٩٠) .

(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤١٣ - ٤١٤) ؛ المغازي الذهبي (ص٥٧) .

إيمان : فقال رسول الله ﷺ : « **قم يا عُبَيدَة بن الحارث ، ويا حمزة ، ويا علي** » . فلما دنوا منهم ، قالوا : « من أنتم ؟ » فتسمَّوا لهم . فقالوا : « أكْفَاء كرام » [١] .

فبارز عُبَيدَة – وكان أسن القوم – عُتْبَة ، وبارز حمزةُ شَيبَةَ ، وبارز علي الوليد . فأما حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد ، حتى قتله . واختلف عتبة وعبيدة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، (أي أصابه بحيث لا يتحرك) ، وكر علي وحمزة على عتبة ، فذفّفَا عليه (أي أجهزا عليه) واحتملا عبيدة إلى أصحابهما .

وهذه نماذج نتعلم منها معنى الشجاعة ، والإقدام ، والمسارعة في الخيرات ، وطلب الشهادة في مظانها ؛ لأن الشهيد له عند ربه ستُّ خصال ، منها أنه يُغفر له مع أول دفقة من دمه ، ويؤمن من فتنة القبر ، ويشفَّع في أربعين من أهل بيته ، ويلبس تاج الكرامة ، الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج بالحور العين ، ويؤمن يوم الفزع الأكبر .

بلال : هل يمكن أن نعرف أول شهيد في هذه المعركة ؟ .

الوالد : روي أن أول قتيل في سبيل الله ، هو مِهْجَع مولى عمر ، الذي رُمِي بسهم [٢] ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُرَاقَةَ النَّجَّارِيّ بِسَهْمٍ ، وهو يشرب من الحَوض فقُتِل .

سارة : كم كان عدد قتلى المشركين يا جدي ؟ .

الوالد : قَتَل الله من صناديد الكفر سبعين وأُسر مثلهم .

رحمة : قرأت يا جدي أن أُمَيَّةَ بن خَلف ، الذي كان يُعَذِّب بلالًا ﷺ بمكة ، قد قُتِلَ في غزوة بدر . فهل لي أن أتعرف على خبر مقتله ؟ .

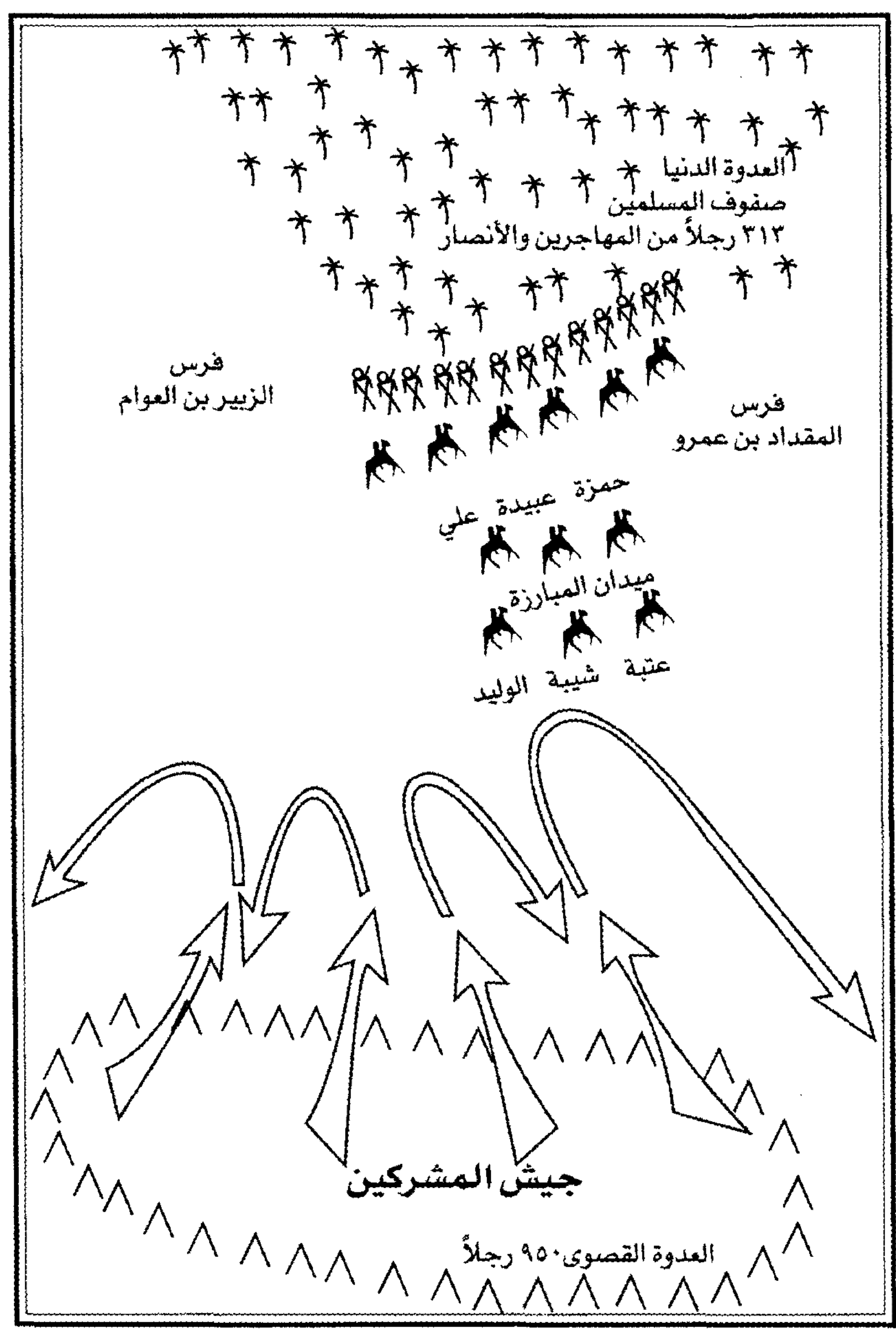
الوالد المُعَلِّمُ : ذكر الإمام الذهبي [٣] رواية لعبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أُمَيّة بن خلف صديقًا لي بمكة . قال : فمررت به ومعي أدراع قد استلبتُهَا ، قال لي : هل لك فيَّ ؟ فأنا خير لك من الأدراع ، قلت : نعم ، ها الله إذن ، وطرحت الأدراع . فأخذت بيده وبيد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط ؛ أما لكم حاجة في اللبن ؟ يعني : من أسرني افتَدَيتُ منه بإبل كثيرة اللبن .

---

(١) السيرة النبوية ، (ج٢ ، ص٤١٣ – ٤١٤) ، المغازي ، الذهبي ، (ص٥٧) .

(٢) تاريخ الإسلام ، ووفيات المشاهير والأعلام ، المغازي ، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د / عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (ص ٥٨) ، السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٤١٥) .

(٣) المغازي الذهبي (ص ٥٩ – ٦٠) السيرة النبوية ابن كثير ، (ج٢ ، ص٤٣٨ – ٤٤٠) .


العدوة الدنيا
صفوف المسلمين
٣١٣ رجلاً من المهاجرين والأنصار
فرس
الزبير بن العوام
فرس
المقداد بن عمرو
حمزة عبيدة علي
ميدان المبارزة
عتبة شيبة الوليد
جيش المشركين
العدوة القصوى ٩٥٠ رجلاً

غزوة بدر

بلال : سبحان اللَّه ! أحد جبابرة العرب ، يقدم نفسه للأسر طائعًا .

الوالد : كوني معنا يا أم محمد ، وساعدينا في الإجابة على التساؤلات ، وتفسير ما استعصى على الأفهام .

الوالدة : إن شاء اللَّه . نعم يا بلال ، اضطر أُمَيَّة بن خَلَف ، إلى ذلك ؛ لأنه شاهد أن القتل قد استحر في مشركي مكة ، وأن من الأفضل أن يؤسر هو وابنه ، بدلًا من القتل .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

الوالد : يقول عبد الرحمن : ثم جئت أمشي بهما ، فقال لي أميَّة : من الرجل المُعَلَّم بريشة نعامة في صدره ؟ قلت : حمزة . قال : ذلك الذي فعل بنا الأفاعيل . فواللَّه إني لأقودهما ، إذ رآه بلال ، وكان يُعَذب بلالًا بمكة ، فلما رآه ، قال : « رأس الكفر أمية بن خلف ؟ لا نَجَوتُ إن نجا » . قال : « أتسمع يا بن السوداء ، ما يقول ؟ » .

ثم صرخ بلالٌ بأعلى صوته : يا أنصار اللَّه ، رأس الكفر أُمَيَّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا ، وأنا أذُبُّ عنه ، فأخلف رَجُل السيف ، فضرب رِجْل ابنه فوقع فصَاح أمية صيحةً عظيمة ، فقلت : انج بنفسك ، ولا نجاء ، فواللَّه ما أُغْني عنك شيئًا فهبروهما بأسيافهم » [1] .

فكان عبد الرحمن ﷺ يقول : رحم اللَّه بلالًا ؛ ذهبت أدراعي وفجعني بأسيرَيَّ .

بلال : سامحني يا جدي ، لكن ما الذي أثار بلالًا ، حتى إنه أَصَرَّ على قتل أميَّة في ميدان القتال ، ألم يكن الأولى به الأسر ؟ .

الوالد : لأن أمية كان يُعذب بلالًا بمكة ؛ لأنه أسلم للَّه رب العالمين ، وتبع رسول الله محمدًا ﷺ ، ويضغط عليه لترك دين محمد ﷺ ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة ، فإذا حَمِيَت ، فيُضْجِعَهُ على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا يا بلال أو تفارق دين محمد . فيقول بلال : « أحدٌ أحدٌ » .

بلال : اللَّه أكبر ، الثبات الثبات على الإسلام ، هذه نعمة من اللَّه ﷻ .

الوالدة : نعم يا بلال ، ولهذا أراد بلال أن يشفي صدره منه ، وهذا مشروع ، خاصة أن بلالًا تحمل منه ظلمًا كثيرًا ، وشاءت إرادة اللَّه أن يشفي صدر بلال ، ممن

---

(١) المغازي ، الإمام الذهبي ، (ص٥٩ ، ٩٠) .

ظلمه فمكنه منه في غزوة بدر الكبرى [1] .

وصدق اللَّه القائل : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٤، ١٥] .

بلال : بارك اللَّه في عمرك ، يا جدتي الحبيبة .

الجدة : ولك مثل ذلك يا بلال . بالإضافة إلى ذلك : ما جرى لأمية بن خلف ، من ذلك المصير المروع - فيه عبرة للمعتبرين ، ودرس بليغ للطغاة المتجبرين ، الذين يغترون بقوتهم ، وينخدعون بجاههم ، ومكانتهم ، فيعتدون على الضعفاء ، ويسلبونهم حقوقهم ، وأن ما يُحسوُّن به في أثناء ممارسة عدوانهم ، من فرح ونشوة ، ستكون عاقبته وخيمة في الآخرة ، وقد يصابون بالمصير المخزي في الدنيا ، قبل الآخرة ، كما جرى لأمية بن خلف ، وأمثاله ، من طغاة الكُفَّار .

أسامة : هناك أيضًا موقف على جانب كبير من الأهمية ، وهو وقوع النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، رأسين من رؤوس الشرك ، في يد رسول اللَّه محمد ﷺ وصحابته .

بلال : من هو النَّضْر بن الحارث ؟ ومن هو عُقْبَة بن أبي مُعَيْط ؟ .

أسامة : النضر بن الحارث أحد مشركي العرب (قريش) ، كان يجلس في مكة إلى أي فرد ، يُحس أنه مال إلى اعتناق الإسلام ، ويقدم له الخمر ، ويقص عليه الأساطير والحكايات ، في الوقت الذي تغني فيه إحدى العاملات عند النَّضْر ، والهدف أن يصرفه عن الإسلام .

بلال : يعني كان يقوم بدور الإعلام الفاسد ؛ لصرف الناس عن الطاعات .

أسامة : نعم وأيضًا كان يؤلب الناس ضد رسول اللَّه ﷺ وأصحابه . وقد أوقع اللَّه به في بدر ، فأمر الرسول محمد ﷺ بضرب عنقه .

أما فيما يتصل بعقبة بن أبي مُعَيْط ، فقد كان كثير الإيذاء لرسول اللَّه ﷺ ، فقد أوقع اللَّه به في بدر بين يدي رسول اللَّه محمد ﷺ ، أسيرًا ، فأمر بضرب عنقه ، فصرخ ، وقال : مَنْ للصِّبية يا محمد ؟ قال : « **النار** » ، ثم استدار إلى أصحابه : « **أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجد خلق المقام ، فوضع رِجلَه على عنقي وغمزها**

---

(١) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ؛ عبد العزيز بن عبد اللَّه الحميدي ، الجزء الرابع دار الدعوة الإسكندرية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (ص١٤٨ - ١٤٩) .

فما رفعها حتىَّ ظننت أن عيني ستندران ، وجاء مرة أخرى بسَلا شاه فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » (١) . هذا هو المجرم الثاني ومصيره ومصير كل ظالم .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا ، يا أستاذ أسامة . وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٢، ١٨٣] ، وصدق رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩] .

الوالدة : جُزيت خيرًا يا أسامة ربنا يفتح عليك .

أسامة : وجزاك اللَّه يا والدتي العزيزة .

إيمان : لو أذنت لي يا أمي ، **من الدروس المستفادة أيضًا** أن اللَّه ﷻ هو الذي يدير المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل ، لحكمة ربَّانية ، كما بَيَّن رب العالمين : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٥- ٨] (٢) .

أي أن اللَّه ﷻ هو الذي حض المسلمين على الخروج ، ووعدهم إما أن يصيبوا تجارة قريش ، أو النصر عليهم في المعركة ، رغم أن المسلمين كانوا يتمنون الغنائم ، ولا يرغبون في القتال . لكن من الواضح ، أن اللَّه أخرجهم ، وأغرى أهل الباطل بهم ؛ ليكون هلاك الباطل وكسر شوكة أصحابه ، على يد المسلمين ، رغم قلة العدد وقلة العدة .

أسامة : ولهذا فإن اللَّه قد وضح هذه الحقيقة في سورة آل عمران : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] . واللَّه قادر على أن يحسم المعركة بين الحق والباطل ، بحوله وقوته ، دون تدخل من أحد . يقول رب العالمين : ﴿ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ ﴾ [محمد : ٤] .

الوالد : أحسنت يا سيد أسامة .

محمود : الشيء الذي يلفت النظر ، يا أبي ، أن اللَّه ﷻ يُثبِّت المؤمنين ويُكلِّف جنده

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٣٣) المغازي ، الذهبي (ص٦٤ - ٦٥) .

(٢) ورغب كثير من المسلمين في العير ؛ لأنه كسب بلا قتال .

بالدخول في المعركة ؛ لنصرة المسلمين . وقد صدر التكليف الرَّبَّاني بعد استغاثة المسلمين بربهم : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩، ١٠] .

بلال : يعني الملائكة دخلت المعركة إلى جانب المسلمين ؟ .

الوالد : نعم يا بلال .

بلال : اللَّه أكبر وللَّه الحمد .

الوالد : ومن وسائل التثبيت الرَّبَّاني ، الإنعام بالنعاس على المؤمنين أمانًا ، أمَّنهم به من الخوف الذي حصل لهم ، من كثرة عدد أعدائهم وقلة عددهم . وأيضًا بإنزال الغيث على المؤمنين العطشى ، حتى سال الوادي ، فشرب المؤمنون وملئوا الأسقية ، وسقوا الركائب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل اللَّه في ذلك طهورًا ، وثبت به الأقدام .

ومن وسائل الدعم الرَّبَّاني ، للمؤمنين في المعركة : أن اللَّه أوحى إلى الملائكة ، الذين أنزلهم لنصرة نبيه ﷺ ودينه – أن يثبتوا الذين آمنوا ، وأنه سبحانه سيلقي الرعب والذِّلة والصَّغار ، على من خالف أمر اللَّه ، وكَذَّب رسوله ﷺ ، وأن يضربوا المشركين فوق الهام فيفلقوها : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

الأبناء : اللَّه أكبر ، والعزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين .

بلال : يعني الملائكة نزلت فعلًا لتقاتل مع المسلمين في بدر ! !

أسامة : نعم يا بلال ، وقد أخبر بذلك رسول اللَّه ﷺ الذي أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه فقال : « **أبشر يا أبا بكر ؛ أتاك نصر اللَّه ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه ، يقوده ،على ثناياه النقع (أي الغبار)** » . ثم خرج رسول اللَّه ﷺ من باب العريش وهو يثب في الدرع مرددًا قول اللَّه تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر : ٤٥] [١] ، ثم أخذ حفنة من الحصباء ، فاستقبل بها قريشًا وقال : « **شاهت الوجوه** » ورمى بها في وجوههم ، فما من المشركين أحدٌ ، إلا أصابت عينيه ، ومنخريه ، وفمه من تلك القبضة ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] [٢] .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ص٤٢٠) . (٢) المرجع السابق (ص٤٣٣) .

وذكر بعض الصحابة : كان رأس الرجل من المشركين يندر ، لا يدري من ضربه ، وتندر يد الرجل ، لا يدري من ضربها . وروي عن ابن عباس : بينما رجل يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خرَّ مُسْتَلقِيًا ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه بضربة السوط ، فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : « **صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة** » (١) .

الأبناء : الله أكبر ، ولله الحمد ، إنه تصديق لقول الله : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال : ١٢] .

أسامة : وهناك رواية : « وأنِّي لأتبع رجلًا من المشركين ؛ لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصلَ إليه سيفي ، فعرفت أن غيري قتله » (٢) .

سلمان : لو أذنت لي يا أسامة ، أنا أيضًا قرأت أن رجلًا جاء بالعباس بن عبد المطلب ، أسيرًا ، فقال العباس للنبي ﷺ : إن هذا ما أسرني ، لقد أسرني ، رجلٌ أَجْلح ، من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبلق ، وما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرتهُ يا رسول الله ، فقال ﷺ : « **اسكت فقد أيدك الله بملك كريم** » (٣) .

الوالدة : وهكذا تدركون يا أبنائي ، أن المعركة بين الحق والباطل ، المستعرة اليوم وغدًا - الله ﷻ هو الذي يديرها من فوق سبع سماوات ، وهو الذي يؤيد المؤمنين بجنده ؛ ولكن لا بد لكي يستحقوا نصر الله ، وتأييده - من الأخذ بالأسباب ، وهي الإعداد لقول الله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ [الأنفال : ٦٠] ، إعدادًا ماديًّا وإعدادًا روحيًّا ، وإحسان الصلة بالله ، والتوكل على الله ، وإحسان الظن بالله ، والذكر والدعاء والاستعانة بالله مع الصبر والثقة في نصرة دين الله . وهذا كله يستلزم الإخلاص : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة : ٥] .

الأبناء : اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وارزقنا الشهادة في سبيلك ، وبارك لنا في جدنا وجدتنا ، وإخواننا وأخواتنا ، وأبنائنا والحاضرين والغائبين ، من أمة محمد ﷺ أجمعين .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٢٦) .

(٢) السيرة النبوية ابن كثير (ج٢ ، ص٤٢٨) .

(٣) المرجع السابق (ص٤٢٣ - ٤٢٤) .

عمَّار : يا جدتي ، لقد قرأت أن إبليس ، عليه لعائن اللَّه ، دخل المعركة ، في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجي ، فما هو مصيره ؟ أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم .

الوالد : تفضل يا محمود .

محمود : جزاك اللَّه خيرًا يا والدتي . حينما شاهد إبليس الملائكة وتنكيلها بالمشركين[١] ، فرَّ ونَكَصَ على عقبيه ، قائلًا : إني أرى ما لا ترون إني أخاف اللَّه واللَّه شديد العقاب .

من الدروس المستفادة ، أهمية الدعاء ، فالرسول القائد ﷺ بعد أن عدَّل صفوف المجاهدين ، لقد رجع إلى مركز القيادة في العريش يلحُّ في الدعاء[٢] : « **اللَّهم أنجز لي ما وعدتني ، اللَّهم إني أنشدك عهدك ووعدك** » . حتى إذا حمي الوطيس ، واستدارت رحى الحرب بشدة ، واحتدم القتال ، وبلغت المعركة قمتها ، قال : « **اللَّهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد ؛ اللَّهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدًا** » . وبالغ في الابتهال ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فرده عليه الصدِّيق ، وقال : حسبك يا رسول اللَّه ، ألححت على ربك .

ومع مواصلة الدعاء والاستغاثة ، سخَّر اللَّه جنده وملائكته لنصرة المسلمين : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٩- ١٣] .

الوالدة : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود . وهنا العديد من الدروس المستفادة ، هل لك أن تذكرها يا أسامة ؟ .

أسامة : نعم . أهمية الدعاء ، ولا يرد البلاء إلا الدعاء ، وثلاثة لا تُردُّ دعوتهم ؛ منهم الإمام العادل ، والمظلوم ، والمسلمون مظلومون ، وقائدهم إمام عادل ، وهم خير القرون ، فتوجهوا بالدعاء إلى الجهة التي تملك النصر . وكانت الإجابة ملائكة تقاتل إلى

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير (ج٢ ، ص٤٣٣) . (٢) المرجع السابق (ص٤١٩) .

جانب المسلمين ، وتنكل بالمشركين ، وتثبت المؤمنين ، واللّه سبحانه يدير المعركة ، ويُلقي الرعب في قلوب المشركين .

النعاس يغشاهم ؛ أمنة من اللّه ، ورحمة ، ويؤدي إلى تجديد نشاط المجاهدين .

الغيث يتنزل على المسلمين ، ليغتسلوا ويشربوا ، ويثبت اللّه به الأرض من تحت أقدامهم .

الوالدة : كما أن اللّه سبحانه ، طالب المؤمنين المجاهدين بالثبات وعدم الفرار عند الزحف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : ١٥] . واللّه قادر على أن يحسم المعركة لمصلحة الإسلام والمسلمين وحده : ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] . ويقول سبحانه : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال : ١٨] . وفي موضع آخر يطلب اللّه من المؤمنين الثبات والذكر ، عند لقاء العدو : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

أسامة : جزاكِ اللّه خيرًا يا والدتي . من الواضح أن اللّه ﷻ هو الذي يدير المعركة بين الحق والباطل ، وأنه يهيئ كل الأسباب لهزيمة الكافرين ونصرة المسلمين ، وأنه هو الذي جمع بينهما ، على غير إرادة منهما ، لحكمة ربانية : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

الوالدة : **بقيت مسألة مهمة** : هل كان في الإمكان أن لا يقع قتال بين المسلمين وأعدائهم ؟ نعم ، ولكن الواضح أن الصدام بين الحق والباطل ، حتمي لحكمة : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] . بالإضافة إلى كِبْر وغطرسة أهل مكة الذين رفضوا العودة إلى مكة بعد نجاة العير ، وأصروا على حرب المسلمين .

فهل لك أن تذكر لنا يا أسامة محاولات « حكيم بن حزام » منع جيش مكة من منازلة جيش المسلمين ؟

أسامة : نعم ؛ لقد مشى حكيم بن حزام ، في الناس حتى أتى « عتبة بن ربيعةّ وحاول إقناعه بعدم جدوى الحرب : « ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي » ،

قال عتبة : « قد فعلت ، أنت ضامن عليَّ بذلك ، إنما هو حليفي فعليَّ عقله (ديته) وما أصيب من ماله . فأت ابن الحنظلية – أبا جهل – فإني لا أخشى أن يَشْجُر (أي يفسد) أمرَ الناس غيره » .

بلال : عمرو بن الحضرمي الذي قُتِل في سرية نخلة ، بقيادة عبد اللَّه بن جحش ؟ .

أسامة : تمامًا يا بلال .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا عماه .

أسامة : وجزاك . أي كان على عتبة بن ربيعة ، أن يُقْنِع أبًا جهلُ بعدم جدوى الحرب . وقف خطيبًا ، يحاول إقناع الناس بالعودة بدل الحرب قائلًا : « خلوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعرضُوا منه ما تريدون » [1] .

وبعدها توجه إلى أبي جهل ، وأخبره برغبة حكيم بن حزام ، ورغبة رجالات قريش في عدم الصدام بمحمد ﷺ ، فرفض أبو جهل الاقتراح ، وأرسل إلى عامر بن الحَضْرَميّ يطلب منه أن يصرخ مطالبًا بثأر أخيه . فقام عامر بن الحضرمي ، فاكتشف (أي كشف عن إسته) ثم صرخ : وا عمراه وا عمراه [2] ، فحميت الحرب وأخذ رسول اللَّه ﷺ ، حفنة من الحصباء فاستقبل قريشًا بها ، ثم قال : « شاهت الوجوه » ثم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « **شدوا** » فكانت الهزيمة ، فقتل اللَّه تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأُسر من أسر من أشرافهم .

بلال : ما هو مصير أبي جهل يا عمي ؟ .

أسامة : لقد أراد اللَّه ﷻ أن يكون مصرع هذا المجرم الجهول ، في أرض بدر .

بلال : من الذي قتله يا عمي أسامة ؟ .

أسامة : غلامان من أبناء الأنصار فقد روي في الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه كان يقف في الصف ، حينما شاهد ، فتيَان عن يمينه ويساره ، فما لبث أن غمزه أحدهما بيده ، وقال : يا عم أتدري أين أبو جهل ؟ .

فقال له عبد الرحمن : ما بُغيتك أنت بأبي جهل ؟ قال : لقد سمعت أنه يسبُّ النبي محمدًا ﷺ ، واللَّه لو شاهدته لا يفارق خَيَالي خياله ، حتىَّ يموتَ الأعجل منَّا . ثم

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٠٧) . (٢) المرجع السابق (ص٤٠٨) .

سأل الفتى الثاني عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه نفس السؤال . فلمَّا شاهد عبد الرحمن أبا جهل ، قال : هذا بغيتكما ، فحملا عليه كالصقرين ، فضرباه ضربة أطاحت بقدمه وجزءًا من ساقه ، فوقع على ظهره [1] .

سلمان : اللَّه أكبر ، لقد أذلَّ اللَّه عدو الإسلام والمسلمين . من هما الفتيان يا دكتور أسامة بحسب ما سيكون إن شاء اللَّه .

أسامة : هما مُعَوَّذ بن عَفْرَاء ، ومُعَاذ بن عَمرو بن الجموح ؛ اللذان لم يقبلا أن يمر سب رسول اللَّه ﷺ دون عقاب .

رحمة : ألم يكن أبو جهل هو الذي يُعَذِّب عبد اللَّه بن مسعود في مكة ؟ .

أسامة : تمامًا يا رحمة ، ولهذا حينما عَلِمَ عبد اللَّه بن مسعود ، بما حدث لأبي جهل ، بحث عنه في أرض المعركة ، فلما وجده ركب على صدره ، فقال له أبو جهل : لقد ارتقيت مُرْتقًى صعبًا يا رُوَيْعي الغنم ، فرد عليه عبد اللَّه ردًّا يُفهم منه : نعم يا أبا جهل ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم : ٤٣] ثم اجْتزَّ رأسه وألقاها بين يدي رسول اللَّه ﷺ الذي قال : « **آللَّه الذي لا إله غيره** [2] ؟ **هذا كان فرعون هذه الأمة ، الحمد للَّه الذي قد أخزاك اللَّه يا عدو اللَّه** » .

الوالد : الموقف هنا يا أبنائي ، يحتاج إلى تَدَبُّر وتَفَكُّر ، نستلهم العظة والعبرة من الحادثة . أبو جهل كان من الذين يقفون موقف العداء من دعوة الإسلام ، وقائدها محمد ﷺ والصحابة المسلمين ، بل إنه كان أحد الذين شاركوا في اتخاذ قرار قتل النبي ﷺ ليلة الهجرة ، في دار الندوة ، بل إنه كان يقود شبابًا من قريش حاصروا النبيَّ ، ليلة الهجرة ينتظرون خروجه لقتله .

جنة : أبو جهل يقود شبابًا من قريش لقتل النبي ﷺ ؟ .

الوالدة : نعم يا جنة ، وحينما سأل أحد الشبان أبا جهل عن سبب الحصار قائلًا : أنحن قاتلون محمدًا حقًّا ؟ قال أبو جهل : نعم ، وحينما اقترح أحد الشبان تسلق الجدار ، وقتل محمدٍ ﷺ في فراشه ، جاء ردُّ أبي جهل غاية في الغرابة : « **وتتحدث العرب أن أبا جهل روع بنات محمد ، وتسلق عليهم جدار بيتهم ؟** » .

(١) المرجع السابق (ص٤٤٠ - ٤٤٣) . (٢) المرجع السابق (ص٤٤١ ، ٤٤٥) .

الأولاد : سبحان اللَّه ! يا ليت مجرمي العصر الحديث الذين يُقَتِّلون ويسرقون وينتهكون الأعراض ، ويسلبون الأوطان ، ويروعون النساء ، والأطفال ، ويقتلون الحيوان ، وينشرون الدَّمار في كل شيء ويدركون أنهم تردَّوا إلى مرتبة من الفجور ، لم يعرفها الإنسان في جاهليته الأولى .

الوالدة : تمامًا يا أولادي ، وخاصة نحن في عصر يُرفع فيه شعار حقوق الإنسان والديمقراطية ، وسيادة القانون ، ومنظمات دولية ، تزعم أنها تسعى لتحقيق السلام ، وكلها شعارات كاذبة .

الأبناء : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

الوالد : بَقِيت بعض المسائل التي لم يرد لها ذكر ، أثناء دراستنا لغزوة بدر الكبرى .

المسألة الأولى : أن رسول اللَّه ﷺ قد نهى عن قتل أي أحد من بني هاشم ، نهى عن قتل العباس بن عبد المطلب ، وكذلك أبا البَخْتَرِي بن هشام ؛ لأنه كان لا يؤذي النبي محمدًا ﷺ في مكة ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في نقض صحيفة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، كما أنهم خرجوا مستكرهين من قريش ، أي أنهم كانوا غير راغبين في الخروج ، لقتال النبي ﷺ [1] والمسلمين .

أحمد : لكن يا والدي ، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، اعترض على ذلك ، وقال : « أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ؟ واللَّه لئن لقيته لألجمنَّه بالسيف » ، وقد غضب النبي ﷺ لموقف أبي حذيفة ، لدرجة أن عمر بن الخطاب طلب منه الإذن بقتل أبي حذيفة ؛ لأنه قد نافق .

الوالد : هذا صحيح يا أحمد ، ولكن أبو حذيفة أدرك أنه قد أخطأ ؛ لأن توجيهات النبي ﷺ واجبٌ عليه طاعتها ، خاصةً أنه قد برر ذلك بأن المذكورين خرجوا مكرهين . ولهذا فقد أدرك أبو حذيفة خطأه ، وتاب واستغفر ، ولكن كان دائم الخوف من هذا الخطأ الذي وقع فيه ، إلى أن رزقه اللَّه الشهادة في اليمامة .

أحمد : جزاك اللَّه خيرًا يا والدي .

الوالد : وجزاك يا أحمد .

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٦١) .

المسألة الثانية : التقاء الآباء والأبناء والإخوة في أرض المعركة ، خالفت بينها المبادئ ، ففصلت بينها السيوف . مثال ذلك : عمر بن الخطاب الذي قَتَلَ خاله المشرك العاص بن هشام في أرض المعركة [١] .

وكاد أبو بكر أن يَقْتُل ولده عبد الرحمن ؛ لأنه كان حينذاك على شركه ، وكان قد خرج لقتال المسلمين ، لولا أن اللَّه سَلَّم ؛ لأنه سبق في علمه أن عبد الرحمن سَيُسْلِم .

أحمد : ماذا عن الأسرى ؟

الوالد : أسر المسلمون سبعين من صناديد قريش ، وقد مر مُصعَب بن عُمَير بأخيه أبي عزيز بن عمير (وقد أُسر) ، فقال مصعب للأنصاري الذي أَسَر أبا عزيز : « شُدَّ يديك به ؛ فإن أمه ذات متاع ؛ لعلها تَفْديه منك » ، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : « أهذه وصاتك بي » فقال مصعب : « إن الأنصاري أخي دونك » [٢] .

سمية : لكن هل كان جميع الصحابة في مثل إيمان أبي بكر وعمر ؟ ألم يوجد بينهم من كره قتل الآباء والأبناء والأقرباء ؟

إيمان : نعم ، ملاحظة هامة يا سمية . وقد لاحظ الرسول القائد ﷺ ذلك في بعض الوجوه ، فقد رأى ﷺ كراهية ما يحدث من قتل ، في وجه سعد بن معاذ ، فقال له : « **واللَّه لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم** » قال سعد : أجل يا رسول اللَّه . فأوضح الرسول ﷺ لسعد الحكمة : كانت أول وقعة أوقعها اللَّه بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك ، أحب من استبقاء الرجال [٣] .

محمود : اللَّه أكبر ! مسألة تحتاج إلى بيان يا أبي .

الوالد : نعم ، وهات ما عندك يا محمود .

محمود : هي قضية ولاء وبراء . يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] والولاء هو الحب والنصرة بين أبناء الأمة المسلمة ، أصحاب العقيدة الواحدة : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، لكن لا أخوة بين المسلم وغيره من أصحاب العقائد الفاسدة ، ومن هنا تأتي أهمية البراءة من الكفر وأهله .

يحكي رب العالمين عن نوح عليه السلام ، حينما ناجى ربه : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٦٢) .
(٢) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٧٥) .
(٣) الرحيق المختوم ، (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣) .

وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [هود: ٤٥] ، جاء الرد ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] .

مثال آخر : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١] .

إبراهيم عليه السلام الذي تبرأ من أبيه ، عندما عَلِمَ أنه عدو للّه ، ولن يدخل في الإسلام : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٤] ، كما أن اللّه تعالى يقول : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

سلمان : ما هي الحصيلة النهائية لخسائر المشركين والمسلمين في معركة بدر الكبرى ؟ .

الوالد : انتهت المعركة بهزيمة ساحقة بالنسبة للمشركين ، وبفتح مبين للمسلمين ، وقد استشهد من المسلمين في تلك المعركة أربعة عشر رجلًا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

أما المشركون فقد لَحِقَتهم خسائر فادحة ، قُتِلَ منهم سبعون وأسر سبعون ، وعامتهم القادة الزعماء وصناديد قريش .

ولَمَّا انفضت الحرب ، أقبل رسول اللّه ﷺ حتى وقف على القتلى فقال : « **بئس العشيرة كنتم لنبيكم ، كذَّبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني ، وآواني الناس ، وقاتلتموني ، ونصرني الناس ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًّا** » [(١)] .

سلمان : هل معنى ذلك أن الموتى يسمعون خطاب النبي ﷺ ؟ .

الوالد : نعم ، هذا ما أخبر به النبي ﷺ قائلًا : « **ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يجيبون** » .

أسامة : بقيت مسألة مهمة ، يا أبي : كيف تلقت مكة خبر الهزيمة الماحقة ، التي تعرض لها أبناؤها ؟ .

الوالد : هات ما عندك يا أسامة .

أسامة : لم يصدق مشركو قريش الخبر ، وفي مقدمة هؤلاء صفوان بن أمية . ويروي أبو رافع – مولى رسول اللّه ﷺ – الذي كان يَكْتُمُ إسلامه ، وكان غلامًا للعباس بن

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٤٥٠) .

عبد المطلب الذي كان يكتم إسلامه أيضًا وكذلك أم الفضل . بينما أبو لهب جالس إلى جوارهم ، وصل أبو سفيان قادمًا من أرض المعركة ، فسأله أبو لهب عن نتيجة المعركة .

فقال أبو سفيان (واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب) : « واللَّه ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا . وايم اللَّه مع ذلك ما لُمتُ الناس ؛ لقينا رجالًا بيضًا على خَيلٍ بُلق بين السماء والأرض ، واللَّه ما تُبْقِي شيئًا ولا يقوم لها شيء .

وما أن انتهى أبو سفيان من هذا الحديث ، حتى انطلق أبو رافع مولى النبي قائلًا : « تلك واللَّه الملائكة » فرفع أبو لهب يده (من الغيظ) فضرب بها وجه أبي رافع ضَرْبةً شديدة ، ثم احتمله فضرب به الأرض ، وبرك عليه يضربه ، وكان أبو رافع رجلًا ضعيفًا .

رحمة : ألم يتدخل أحد لدفع هذا العدوان عن رجل فقير ضعيف ، لم يفعل شيئًا إلَّا أنه قال : « تلك واللَّه الملائكة » ؟ .

الوالدة : نعم يا رحمة ، أم الفضل أخت العباس رضي الله عنهما ، قامت إلى عمود من عمد الحجرة ، فضربت به أبا لهب ضربة شديدة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سَيِّدهُ ؟ فقام أبو لهب موليًا ذليلًا .

رحمة : سيدة كالرجال والرجال قليل .

الوالدة : نعم ، وكانت ضربة من اللَّه ، لأن أبا لهب ما عاش إلا سبع ليال ، حتى رماه اللَّه بمرض العدسة فقتلته [1] . لقد خسر الدنيا والآخرة . هذا هو عمُّ النبي ﷺ لم يغني عنه أحد شيئًا .

الأولاد : اللَّهم ثبتنا على الإيمان ، واجعل خير أعمالنا خواتيمها .

بلال : سمعت يا أبي أن أبناءه أبقوه ثلاثة أيام دون دفن ؛ خوفًا من العدوى ، ثم حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه .

الوالدة : نعم ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٩] .

سلمان : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

سارة : أريد أن أسأل يا جدتي ، كيف تلقت المدينة المنورة خبر انتصار رسول اللَّه ﷺ

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧٨ - ٤٧٩) .

وأصحابه ببدر ؟ .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : أوفد رسول اللَّه ﷺ رسولين يحملان البشارة إلى أهل العالية ، وأهل السافلة بالمدينة المنورة ، هما عبد اللَّه بن رواحة وزيد بن حارثة .

محمد : اللذان استشهدا في معركة مؤتة .

الوالدة : نعم .

بلال : أريد أن أعرف شيئًا عن معركة مؤتة يا جدتي .

الوالدة : سنعرض لها قريبًا يا بلال . في نفس الوقت الذي وصلت فيه البشارة بفتح اللَّه ، على المسلمين في بدر ، كان اليهود والمنافقون يرجفون في المدينة بالدعايات الكاذبة . ومنها أنهم أشاعوا خبر مقتل النبي محمد ﷺ . وحينما أدرك أهل المدينة خبر انتصار المسلمين في بدر ، اهتزت أرجاء المدينة بالتكبير والتهليل ، وتقدم رجالاتها لاستقبال النبي ﷺ في مرجعه من بدر [١] .

سمية : معذرة يا جدتي ، لقد قرأت أن ابنة رسول اللَّه ﷺ رقية زوجة عثمان بن عفان ، قد توفيت ودُفنت في اللحظة التي وصل فيها خبر انتصار المسلمين في بدر .

الوالدة : نعم ، إنا للَّه وإنا إليه راجعون ، وربنا ينزل السيدة رقية فسيح جناته ، وأن يجزي عنا رسول اللَّه محمدًا ﷺ وأهله وإخوانه خير الجزاء .

رحمة : قرأت في كتب السيرة ، أنه وقع خلاف بين بعض الصحابة حول الغنائم ، فكيف حسم النبي ﷺ هذا الخلاف ؟ .

الوالدة : لما اشتد هذا الخلاف ، أمر رسول اللَّه ﷺ ، بأن يرد الجميع ما بأيديهم من الغنائم ، ففعلوا ، ثم نزل الوحي بحلٍّ هذه المشكلة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] . فقَسَّمها رسول اللَّه ﷺ بين المسلمين على السواء ، بعد أن جَنَّبَ منها الخمس .

محمود : الملاحظ يا والدي ، أن مطلع سورة الأنفال ، تحدث عن المشكلة ، ولكنه لم يعط الحل إلا في الآية ٤١ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

---

(١) المرجع السابق (ص٤٦٩) .

ﭐلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ ، فهل من حكمة في ذلك ؟ .

الوالدة : نعم ، لقد ركز القرآن في أول السورة على أن للَّه حكمًا في الأنفال (الغنائم) وأن المسألة تحتاج إلى إصلاح ذات البين ، وطاعة اللَّه ورسوله ، كما بين الصفات التي يجب أن يتصف بها الفرد المسلم ، والحكمة في إخراج المسلمين إلى بدر ، واستعانة المسلمين باللَّه ونزول الملائكة . وبعدها ذكر الشارع الحكم في الغنائم . وبعد بيان الحكم بَيَنَ أن ذلك من مقتضيات الإيمان باللَّه واليوم الآخر ، وأن يقول العبد : سمعنا وأطعنا ، وأن لا يكون في قلبه شيء على أخيه المسلم ؛ لأن متاع الدنيا قليل وعرض زائل .

محمود : جزاكِ اللَّه خيرًا يا والدتي .

الوالد : لقد طال الحديث ، وتشعب ، فيما يتصل بغزوة بدر العظمى ، التي جعلها اللَّه فارقًا بين الحق والباطل ، وبقي لنا أن نأتي إلى ختامها ، حتى نستكمل بقية أحداث السيرة والمغازي . وقبل أن نختم دراستنا لهذه الغزوة ، لا بد وأن نعرض لمسألة الأسرى .

لقد أسر المسلمون سبعين من رجالات قريش ، وشاور الرسول محمد ﷺ أصحابه ، فاقترح أبو بكر ﷺ : يا رسول اللَّه ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإنِّي أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم اللَّه ، فيكونوا لنا عضدًا .

رحمة : هذا اقتراح جيد من الصديق ﷺ .

بلال : كيف هذا ؟ ! يعفو عن الذين طردوهم من حرم اللَّه الآمن مكة ، وحاربوا الدعوة الإسلامية ، وحاولوا قتل رسول اللَّه ﷺ ، وعذبوا الصحابة ، وضيقوا عليهم في أرزاقهم ؟ !

رحمة : أين العفو عند المقدرة يا بلال ؟ !

الوالد : صبرًا يا أولاد ، حتى نعرض الأحداث . بعد أن استمع رسول اللَّه ﷺ من أبي بكر ﷺ ، سأل عمر ﷺ : « **ما ترى يا ابن الخطاب ؟** » قال عمر ﷺ : واللَّه ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكنِّي أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكن عليًا من عقيل بن أبي طالب ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة بن عبد المطلب من فلان أخيه ، فيضرب عنقه ، حتى يعلم اللَّه أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، وهؤلاء صناديد قريش وأئمتهم وقادتهم [1] .

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٤٥٧ - ٤٦١) .

بلال : اللَّه أكبر سمعت يا أستاذة رحمة لقد كنت على حق حينما اعترضت .

رحمة : أنت عنيف يا بلال .

الوالد : الصبر يا شباب ، لازم نستحضر النية ، ليس المهم أن أنتصر لوجهة نظري ، إنما ننتصر للحق ابتغاء مرضات اللَّه .

الأولاد : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي . ما فعل رسول اللَّه ﷺ ، قِبَلَ رأي أبي بكر أم عمر ؟ .

الوالد : هوي رسول اللَّه ﷺ ما قاله أبو بكر ، ولم يهوَ ما قاله عمر ، وأخذ الفداء من الأسرى . فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان .

جنة : لماذا يبكيان يا جدي ؟ .

الوالد : صبرًا يا جنة ، سأل عمر ﷺ : يا رسول اللَّه أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ، فقال رسول اللَّه ﷺ : للذي عرض عليَّ أصحابك ، من أخذهم الفداء ، فقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ، وأنزل اللَّه تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧، ٦٨] . والكتاب الذي سبق هو قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [محمد : ٤] ، ففيه الإذن بأخذ الفدية من الأسارى ، ولذلك لم يُعذبوا ، وإنما نزل العتاب ؛ لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض ، ثم إنهم قَبِلُوا الفداء من أولئك المجرمين ، الذين لم يكونوا أسرى حرب فقط ، بل كانوا مجرمي حرب .

● وهنا تبدو مجموعة من الدروس . هل ممكن تشاركوننا في استنباطها ؟ .

أسامة : أهمية الشورى ، وخاصة في الأشياء التي لم يكن فيها وحي من السماء ؛ لأنه لا شورى أصلًا في قضايا الحق والعدل .

الوالد : ما شاء اللَّه يا أسامة .

محمود : المشاعر الإنسانية ، والحب ، والمودة ، والرحمة بين الأصحاب . فعمر حينما شاهد النبي ﷺ يبكي وأبو بكر ، سأل عن سبب البكاء ، حتى يمكن أن يشاركهما في هذا البكاء . وصدق رسول اللَّه ﷺ القائل : « **مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

الوالد : ما شاء الله لا قوة إلا بالله !

إيمان : إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ؛ لقد أملى الله لمجرمي قريش الذين حاربوا الله ورسوله ، حتى حان الوقت الذي أوقع الله بهم بأسه ، وعقوبته . وصدق الله القائل : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [النمل : ٦٩] .

الوالد : جزاكِ الله خيرًا يا إيمان .

احمد : بقي سؤال واحد يا والدي ، كم كانت الفدية التي دفعها كل أسير ؟ .

الوالد : كان الفداء من أربعة إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم . الشيء المهم أن أهل مكة ، كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء ، دُفِعَ إليه عَشرةُ غِلمان مِن غِلمَان المدينة ، يُعَلِّمهم ، فإذا حَذَقُوا فهو فداء .

احمد : ما شاء الله ! وهذا يبين لنا حرص الصحابة على تحصيل العلم النافع ، فجزاك الله خيرًا يا والدي .

الوالد : كما أن رسول الله ﷺ مَنَّ على عدد من الأسارى ، فأطلقهم بغير فداء ، كما أنه مَنَّ على (زوج ابنته) ختنه أبي العاص ، بشرط أن يخلي سبيل زينب بنت رسول الله ﷺ ، وكانت تحته في مكة ، فخلاها فهاجرت إلى المدينة ، وقصة هجرتها طويلة مؤلمة كما يقول كُتَّابُ السيرة .

رحمة : هل لنا أن نعرفها ؟ .

الوالد : في موضع آخر ، إن شاء الله ، لكن هنا حدثان مهمان ، وهو أن أحد الأسرى وهو سهيل بن عمرو ، وكان خطيبًا مصقعًا ، وكان يُهاجم النبي ﷺ والصحابة فاقترح عمر بن الخطاب نزع ثنيَّة سُهَيْل بن عمرو ، حتى يَدْلع لسانه ، فلا يقوم خطيبًا على النبي ﷺ في موطن أبدًا . لكن رسول الله ﷺ رفض هذا الطلب ؛ احترازًا عن المثلة وعن بطش الله يوم القيامة [١] .

كما أن أحد المسلمين ، وهو سعد بن النعمان ، خرج إلى مكة معتمرًا ، فحبسه أبو سفيان ، وكان ابنه عمرو بن أبي سفيان في الأسرى ، فبادله رسول الله ﷺ بالصحابي سعد بن النعمان [٢] . أي مبادلة الأسرى المسلمين بغيرهم من المشركين .

الوالدة : لو أذِنْتَ لي يا أبا محمد ، أعتقد أن سورة الأنفال ، التي نزلت حول

---

(١) المرجع السابق (ص٤٨١ - ٤٨٢) . (٢) المرجع السابق (ص٤٨٢) .

معركة بدر ، ما زالت تحتاج إلى وقفات .

الوالد : تفضلي .

الوالدة : أولًا : هو علاج سلوكيات وأخلاقيات الصحابة ، والارتفاع بها إلى القمة السامقة : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ [الأنفال : ١] .

ثانيًا : التأكيد على أن النصر من عند اللَّه ؛ لئلا يغتر المسلمون بشجاعتهم وإقدامهم .

ثالثًا : أن القتال ما خاضه المسلمون من أجل الدنيا ، ودفعًا للعدوان فقط ؛ ولكن لتكون كلمة اللَّه هي العليا وبين ﷺ الضوابط الشرعية التي تضبط هذا القتال .

رابعًا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ ﴾ [الأنفال : ٧٢] .

هذه بعض الدروس وأتمنى أن يُطلب من الأبناء أن يعدوا دراسة عن سورة الأنفال ، ويقوموا بحفظها .

الأبناء : نحن موافقون .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● غزوة بدر العظمى واحدة من المعارك الفاصلة ، في التاريخ ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، لماذا سُمي يومها بيوم الفرقان ؟ .

● ما هي أسباب غزوة بدر الكبرى ؟ متى حدثت ؟ من هو قائد الغزوة ؟ .

● هل كان هناك تكافؤ بين عدد أفراد الجيش الإسلامي ، وعدته ، وجيش المشركين ؟ .

● إلى من دفع رسول الله ﷺ لواء القيادة العامة للجيش ؟ .

● كيف علم النبي ﷺ أن مشركي قريش قد خرجوا لقتاله ؟ .

● هل هناك علاقة بين غزوة ذي العُشَيْرة وغزوة بدر العظمى ؟ .

● كانت قرارات النبي محمد ﷺ ، تعتمد على دائرة معلومات دقيقة . كيف كان يحصل على هذه المعلومات ؟ مع ذكر نموذج من خلال ما فعله في غزوة ذي العشيرة وغزوة بدر الكبرى .

● نجح الصحابة في معرفة موعد عودة تجارة قريش من بلاد الشام ، وبناءً عليه كان بالإمكان الاستيلاء على هذه التجارة التي رصدتها قريش لحرب الإسلام والمسلمين ، ولكن التجارة أفلتت . ما هو السبب ؟ .

● أرسل أبو سفيان رسالة إلى أهل مكة ، يستنفرهم ؛ لحماية تجارتهم . هل استجاب المشركون لذلك ؟ وكم كان عدد الجيش المكي الذي تحرك لقتال المسلمين ؟ .

● هل غنم المسلمون العير ؟ لماذا ؟ اذكر الأسباب تفصيلًا .

● كيف استطاع أبو سفيان الإفلات بالعير من تربص المسلمين به ؟ ومن سَهَّلَ له ذلك ؟ وما هو الدرس المستفاد .

● هل كان هناك إجماع داخل جيش المشركين لقتال المسلمين ؟ لماذا ؟ .

● ما علاقة هذه الواقعة برؤيا السيدة عاتكة بنت عبد المطلب ؟ وما الموقف الذي اتخذه قادة قريش عند سماعهم هذه الرؤيا ؟ .

● ماذا فعل الرسول القائد محمد ﷺ حينما عَلِمَ أن جيشًا من مكة خرج باتجاه المدينة المنورة ؟ .

● ما مدى حرص الرسول القائد ﷺ على جمع المعلومات عن قوات العدو :

عددها ، قادتها ، الطرق التي يتحركون عليها ، أهدافها ؟ .

● كان أمية بن خلف غير راغب في الخروج مع قومه ، لقتال النبي محمد ﷺ ، ما الذي دفعه إلى الخروج ؟ وهل رجع سالمًا بعد المعركة ؟ ماذا حدث له ؟ .

● كان هناك بعض زعماء مكة ، غير الراغبين في مواصلة الرحلة إلى المدينة ، وقتال النبي محمد ﷺ ، طالما أن تجارتهم قد نجت . من الذي أصر على مواصلة الحملة ؟ وما الحكمة من وراء هذا الذي وقع ، وأخبر عنها القرآن الكريم ؟ .

● من الواضح أن اللَّه ﷻ هو الذي يقود المعركة من فوق سبع سماوات ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، بين صحابة رسول اللَّه ﷺ بقيادته وبين مشركي العرب ، ما الحكمة مع التدليل على ما تقول من خلال القرآن وأحداث الغزوة ؟ .

● متى خرج الصحابة بقيادة رسول اللَّه ﷺ إلى بدر ؟ وما هي تشكيلات الجيش وعدد القوات ؟ وما الطريق الذي سلكه ؟ وكيف قطع الصحابة والرسول المسافة من المدينة المنورة إلى بدر في شهر رمضان ؟ وهل واصل الصحابة صيامهم أم أفطر البعض وصام البعض الآخر ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟

● رسول اللَّه محمدًا ﷺ كان قد استنفر أصحابه للخروج ، قائلًا : « **هذه عير مكة لعل اللَّه أن ينفلكموها** » وأفلتت العير وتعينّ القتال ، هل أَكْرَهَ رسول اللَّه ﷺ أصحابه على القتال ، أم أنه شاورهم في هذا الأمر ؟ وما القرار الذي تم اتخاذه في مجلس الشورى ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ استعرض كلمات أبي بكر ، وعمر بن الخطاب ، والمقداد بن عمرو ، وسعد بن معاذ ، وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● كيف كان اختيار موقع معسكر جيش المسلمين ؟ وما هو دور الصحابي معاذ بن عمرو بن الجموح في اختيار الموقع ؟ وهل اختيار المكان المناسب للقتال في أرض المعركة ، يمكن فيه الاجتهاد ، لقول رسول اللَّه ﷺ : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » ؟ .

● حرص الصحابة على اختيار موقع للرسول القائد ﷺ ؛ ليشرف على المعركة ، من كان يقوم على حراسته ؟ وكيف كان رسول اللَّه يمضي وقته في العريش ؟ .

● كان رسول اللَّه ﷺ حريصًا على بث الأمل في القلوب بالنصر ، اذكر كلماته في تلك المناسبة .

● حذَّر عمير بن وهب الجمحي قريشًا من مَغبّة الصدام مع المسلمين ، هل انتفعت قريش بنصيحته ؟ .

● حاول المشركون الشرب من المياه الواقعة في معسكر المسلمين ، هل نجح الأسود بن عبد الأسد المخزومي ؟ من الذي تصدى له ؟ وكيف نشب القتال ؟ ومن برز لقادة العدو ؟ .

● أمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه ، أن لا يحملوا على العدو ، حتى يأمرهم ، وقال : « **انضحوهم بالنبل** » وفزع إلى الصلاة والدعاء ، ما أهمية هذه الطاعات في هذه الأوقات بالذات ؟ .

● أمسك رسول اللَّه ﷺ بحفنة حصباءِ ، فألقاها في وجه جيش المشركين ، هل كان لهذه الواقعة من أثر على قوات العدو ؟ ماذا يعني ذلك ؟ .

● ما أهمية الحشد المعنوي ورفع المعنويات في ميدان المعركة ؟ قدم نموذجًا ؟ .

● نزل في غزوة بدر آيات من سورة الأنفال ؟ ما هي الدروس المستفادة منها ؟ وما هي المصادر التي عَرضَتْ لها ، ويمكن لنا أن نعتمد عليها ؟ .

● الملائكة جند من جند اللَّه ، يفعلون ما يؤمرون ، ما هو الدور الذي قاموا به في غزوة بدر الكبرى ؟ .

● هل صمد إبليس عليه لعنة اللَّه في أرض المعركة ؟ لماذا ؟ .

● ناقش موقف أبي جهل من رسول اللَّه ﷺ ، والصحابة - رضوان اللَّه عليهم - في مكة والمدينة ، وما انتهى إليه مصير أبي جهل ، ومن قتله ؟ وما هي الدروس والعبر ؟ وما مصير النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ؟ .

● كم كان عدد قتلى المشركين ، وكم كان عدد شهداء المسلمين ؟ كم أسر المسلمون من قوات العدو ؟ كيف افتدى الأسرى أنفسهم ؟ .

● استشار رسول اللَّه ﷺ أبا بكر وعمر في شأن الأسرى ، فكان لكل منهما رأي يخالف الآخر ، اذكر الرأيين مع بيان الحكم الشرعي الذي نزل به الوحي على رسول اللَّه ﷺ .

● وقف رسول اللَّه ﷺ بعد المعركة ، ينادي المشركين في مصارعهم ، ما هو مدلول هذا الموقف ؟ .

● كيف تلقت مكة خبر هزيمة جيشهم في بدر؟ كيف تلقى أبو لهب بالذات هذا الخبر؟ .

● كيف تلقت المدينة المنورة خبر نصر المسلمين في بدر ، اليهود والمنافقون والمسلمون ؟

● طبق رسول اللَّه محمد ﷺ قاعدة جميلة في فك الأسرى ، ما هي ؟ كما أطلق

عددًا منهم دون فداء ، اذكر بعضهم .

● بينت سورة الأنفال صفات إنسان العقيدة ، العنصر الضروري لإقامة الدين ، ونصرة محمد ﷺ ، ودين محمد ﷺ ، وأمة محمد ﷺ ، ما هي هذه الصفات ؟ مع تقديم نماذج من حياة الذين حضروا بدرًا .

● كيف يمكن تربية الإنسان ؛ ليصل إلى هذا المستوى ؟ وما هي مقومات التربية مع ضرب نماذج من حياة الصحابة ؟ .

● قدم الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الأنفال ، نموذجًا لصحابي عزفت نفسه عن الدنيا من هو ؟ وكيف كانت إجابته لرسول اللَّه ﷺ ، حينما سأله « **كيف أصبحت يا حارث** ؟ » .

● إصلاح ذات البين فريضة ، وتكلم القرآن الكريم عن أهمية إصلاح ذات البين ، فما هي الآيات التي قررت ذلك ؟ وما هي مناسبة التنزيل ؟ وفي أي آية من سورة الأنفال نزل حكم اللَّه في الغنائم ، التي تم الإشارة إليها في الآية الأولى ؟ .

● اللَّه ﷻ يصلح بين الإخوان ، يوم القيامة ، قصَّ خبرًا عن رسول اللَّه ﷺ يؤكد هذه الحقيقة .

● اذكر قصة استشهاد عوف بن الحارث الأنصاري ، في غزوة بدر .

● ما هي معلوماتك عن عُمَير بن الحُمام ؟ .

● كان حمزة بن عبد المطلب ﷺ نموذجًا للإقدام والشجاعة ، وطلب الشهادة في مظانها ، اذكر موقفًا من مواقفه في بدر .

● حينما دعا عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، المبارزة في أول المعركة ، خرج له شباب من الأنصار ، فرفضوا مبارزتهم ، وطلبوا شبابًا من المهاجرين . من الذين خرجوا لهم ؟ وما هي نتيجة المبارزة ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● من هو أول قتيل في الإسلام ؟ .

● ما هو جزاء الشهيد عند ربه ؟ .

● كان أمية بن خلف حريصًا على تعذيب بلال بمكة ، حتى أوقع اللَّه به بين يدي المسلمين بأرض بدر ، كيف وقع في الأسر ؟ وما هي قصة مصرعه وولده ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● « رحم اللَّه بلالًا ، ذهبت أدراعي وفجعني في أسيري » ، من القائل ؟ وما المناسبة ؟ .

اللقاء التاسع عشر
يهود بني قينقاع ينتهكون حرمات المسلمين بالمدينة المنورة (النصف الثاني من شوال سنة ٢هـ /٦٢٣م)

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ وبعد ، يقول الله رب العالمين : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة : ٨٢] ويقول ﷻ : ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ [التوبة : ٨] .

أيها الأبناء الأعزاء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هذا هو لقاؤنا التاسع عشر تحت عنوان « يهود بني قينقاع ينتهكون حرمات المسلمين بالمدينة المنورة » . إذن حديثنا هذه الأمسية عن عدوان خطط له ونفذه أعدى أعداء هذه الأمة ، وهم اليهود الذين يقول الله عنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٦] رغم أن رسول الله محمدًا ﷺ قد اعتبرهم أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وأن بينهم النصر على من حاربهم وأن بينهم النصح والنصيحة والنصر للمظلوم ، وأن المدينة حرام لأجل هذه الصحيفة ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم [١] .

أسامة : يعني بإبرام هذه المعاهدة صارت المدينة وضواحيها ، دولة واحدة عاصمتها المدينة المنورة ، وزعيمها وقائدها رسول الله ﷺ ، والكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين .

الوالد : تمامًا يا أسامة . ولكن اليهود لم يشكروا الله ، على نعمة الأمن والأمان الذي تحقق لهم في كنف الرسول محمد ﷺ ؛ فكانوا يسعون إلى تقويض الأمن في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وخاصة بعد النصر المؤزر الذي تحقق للمسلمين في بدر الكبرى ، وكان أعظم اليهود حقدًا على المسلمين ، كعب بن الأشرف ، كما أن أشر الطوائف هم يهود بني قينقاع .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٣٢١ - ٣٢٣) .

بلال : أين كانوا يسكنون ؟ وما هي المهن التي كانوا يمارسونها ؟ .

الوالد : كانوا يسكنون بالمدينة في حي باسمهم ، وكانوا صاغة وحدادين وصُنَّاع الظروف والأواني ، وكان لديهم سبعمائة مقاتل وكَمٌّ لا بأس به من السلاح ، وكانوا أول من نكث العهد والميثاق من اليهود .

أسامة : والدليل تحرشهم واستفزازهم للمسلمين ، وتعرضهم لهم بالسخرية ، وإيذاء من يَرِد سوقهم من المسلمين ، حتى إنهم كانوا يشبِّبُون بنساء المسلمين .

الوالد : من أجل هذا جمعهم رسول اللَّه ﷺ في سوق بني قينقاع ، على اعتبار أنه رئيس الدولة ، ووعظهم وحذرهم عاقبة الظلم والعدوان ، وقال لهم : « **يا معشر يهود ، احذروا من اللَّه مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنِّي نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد اللَّه إليكم** » . وجاء الرد اليهودي وقحًا ؛ هل تذكره يا أسامة ؟ .

أسامة : نعم يا والدي قالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك ، أنك قاتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا ، لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا (١) .

الأولاد : كذبٌ وقلةُ حياءٍ ، وكفران بنعمة الأمان ، بدلًا من أن يعتذروا ، ويدخلوا في الإسلام .

أسامة : وقد نزل بيان اللَّه ينذرهم ويحذرهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٢- ١٣] .

الوالد : إن ردَّ اليهود على الرسول القائد ﷺ ، كان يعني إعلانًا للحرب عليه ، وعلى المسلمين ، والدولة الإسلامية ، ولكن الرسول ﷺ كظم غيظه وصبر وصبر المسلمون ، في انتظار ما ستسفر عنه الأيام .

أسامة : وفي نفس الوقت كانت عيون النبي ﷺ وأصحابه تراقب تحركات يهود وتصرفاتهم ؛ لأنهم تعلموا في مدرسة الإسلام : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء : ١٠٢] .

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص٥) .

وقد صح حدس النبي محمد ﷺ ، فقد وصله أن امرأة مسلمة من العرب ، قدمت إلى سوق بني قينقاع . بِجَلَب لها فباعته ، وجلست إلى صائغ يهودي ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت .

سارة : لماذا تشتري من يهودي يا جدي ؟ ألم يكن هناك صائغ مسلم ؟

الوالد : نعم يا سارة ، كان اليهود يسيطرون على الاقتصاد في المدينة ، بما في ذلك تجارة الذهب .

سارة : لم يكن هناك ضرورة لكي تشتري المرأة المسلمة من اليهودي .

الوالد : أنا متفق معك يا سارة ، وما حدث يبرر كلامك . لقد عمد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوب المرأة المسلمة ، فعقده إلى ظهرها ، وهي غافلة ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين ، على الصائغ ، فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأُغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع [1] .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللّه ، إنا للّه وإنا إليه راجعون ، ربنا تقبل أخانا المسلم ، الذي غار على أخته المسلمة ، وربنا ينتقم من اليهود .. آمين .

رحمة : ماذا فعل رسول اللّه ﷺ والصحابة واليهود ؟

الوالد : طبعًا ، غار رسول اللّه ﷺ على عرض الأخت المسلمة ، ودم الأخ المسلم ، وأيضًا الفتنة التي أشعلها اليهود على أرض المدينة المنورة . فجهز حملة لتأديب يهود بني قينقاع وحاصرهم في حصونهم ودام الحصار خمس عشرة ليلة (من النصف من شوال إلى هلال ذي القعدة) وقذف اللّه الرعب في قلوب اليهود ، فطلبوا النزول على حكم رسول اللّه ﷺ في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم .

بلال : وما الحكم الذي أصدره رسول اللّه ﷺ بحقهم ؟

الوالد : ماذا تتوقع يا بلال ؟ أُناس أعلنوا الحرب ، وأثاروا الفتن ؛ بهدف تقويض بنيان الدولة الإسلامية ، ونقضوا العهود والمواثيق مع رسول اللّه ﷺ ، ورفضوا الحل السلمي ، وأطلقوا سهامهم (أي حاربوا) ، تجاه المسلمين بقيادة رسول اللّه ﷺ ، ثُم غلبوا فكان من الطبيعي أن يجري عليهم أحكام الشريعة ، التي تتصل بالعدو المقاتل .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص٦) .

وهنا تدخل رأس المنافقين في المدينة ، وهو عبد اللَّه بن أُبيّ بن سلول ، وألح على النبي محمد ﷺ في أن يعفوا عنهم قائلًا : واللَّه لا أرسلك حتى تحسن في موالي [(١)] (يقصد اليهود) .

رحمة : ماذا فعل النبي ﷺ حيال هذا المنافق ، الذي لم يكن قد مضى إلا نحو شهر واحد على إظهار إسلامه ؟

أسامة : عامله رسول اللَّه ﷺ بالمراعاة ، وأمر رسول اللَّه ﷺ يهود بني قينقاع ، بالخروج من المدينة ولا يجاورونه بها ؛ لأنهم غادرون ، فخرجوا إلى أذرعات الشام ، حيث هلك أكثرهم .

وقد غَنَّم اللَّه المسلمين أسلحتهم ، والكثير من الغنائم ، وصدق رسول اللَّه ﷺ : « **وجُعل رزقي تحت ظل رمحي** » .

الوالد : وهنا نتوقف قليلًا لكي نتعلم **أهم الدروس والعبر** من عدوان يهود بني قينقاع ، على الدولة الإسلامية الوليدة بالمدينة المنورة .

أحمد : الدرس الأول : هو الحقد الشديد الذي يُكِنُّه اليهود للمسلمين ، وعدم شكرهم لنعمة الأمن والأمان التي تحققت لهم في ظل الدولة الإسلامية ، بقيادة النبي محمد ﷺ ، وغدرهم ونقضهم للعهود ، وحرصهم على إثارة الفتنة بين مسلمي المدينة المنورة ، (الأوس والخزرج) . وتجسس اليهود على المسلمين لصالح المشركين ، ونقلهم كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحركاتهم إلى الأعداء . ولهذا يجب على المسلمين أن يأخذوا حذرهم ، ويوحدوا صفهم ، ويعلنوا براءتهم من اليهود ، إلا أن يُسلِّموا لرب العالمين ، وأن يقاطعوهم في تجارتهم ، وأن لا يطبعوا العلاقات معهم ، وأن يجاهدوهم على أرض فلسطين ؛ لتحرير بيت المقدس ونصرة أهله ، وهذا يستلزم الأخذ بالأسباب ، وأخذ الحيطة والحذر ، وإعداد القوة ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أحمد !!

محمد : نعم ، استهانة اليهود بدماء المسلمين وأعراض المسلمين ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨] .

---

(١) المرجع السابق (ص٦ ، ٧) .

محمود : بعد إذنك يا أبي . دور عبد اللَّه بن أُبَي ، رأس المنافقين ، في التحالف والتناصر مع أهل الكتاب المحاربين ضد إخوانه المسلمين ، وهو أمر واقع في عالمنا المعاصر . وأيضًا تعليمات النبي ﷺ « **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب** » (١) ، « **لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب** (٢) ؛ **حتى لا أدع إلا مسلمًا** » ، « **لا يجتمع في الجزيرة دينان** » .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا ، بقي أن نعرض الآن ، كيف واصل رسول اللَّه محمد ﷺ مهاجمة الأعداء وتحجيم حركتهم ، على الطرق التجارية إلى العراق والشام ، أي حاصرهم اقتصاديًّا ، وذلك من خلال أخذ زمام المبادرة ؛ تنفيذًا لخطته ﷺ ، التي أعلنها بعد الأحزاب « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا** » . ونعرض في لقاءٍ قادمٍ لغزوة بني سليم بالكدر .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) رواه البخاري ، باب الجزية ، ومسلم ، الوصية .

(٢) مختصر صحيح مسلم ، حديث رقم ١١٥٣ .

اختبر معلوماتك

● اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين ، كما أخبر رب العالمين . يبدو ذلك واضحًا في سلوكهم في المدينة المنورة مع المسلمين ، ومع رسول اللَّه ﷺ الذي أعطاهم العهد وأمنهم على دمائهم وتجارتهم وأموالهم وبيعهم . قدم دليلًا على ذلك من خلال موقف أبي ياسر وحيي بن أَخْطب ، وشَاس بن قيس ومحاولة إثارة الفتنة بين الأوس والخزرج .

● من هم بنو قينقاع ؟ متى بادروا رسول اللَّه ﷺ بالعداوة صراحة ؟

● تجرأ اليهود على أعراض المسلمين ودمائهم ، وكان على المسلمين أن يغاروا ، ويتحركوا ؛ نصرةً لإخوانهم وأخواتهم . ماذا فعل النبي ﷺ ؟

● متى خرج رسول اللَّه ﷺ لحصار بني قينقاع ؟ كم ليلة استمر الحصار ؟ ما النتائج التي أسفر عنها الحصار ؟ ما الدروس المستفادة ؟ .

● ما هو دور كبير المنافقين عبد اللَّه بن أبي ، في إنقاذ اليهود ؟ قدم أدلة من القرآن تنبه الأمة إلى خطورة دور المنافقين . ما الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء العشرون

غزوة بني سُلَيْم ومحاولة اغتيال الرسول ﷺ [1] ، سنة ثنتين من الهجرة

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . .

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه محمد ﷺ وبعد ،

هذا هو لقاؤنا العشرون حول سيرة النبي محمد ﷺ ، في وجه تحديات العصر ، ومن هذه التحديات غزوة بني سليم ، ومحاولة اغتيال النبي ﷺ ، ونمهد لذلك بكلمة :

إن الصراع بين الحق والباطل صراع مستمر ؛ لحكمة ربانية ؛ يقول رب العالمين : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٣٩، ٤٠] . يبدو ذلك واضحًا فيما سردناه من معارك فرضت على المسلمين بقيادة رسول اللَّه ﷺ ، ومنها معركة بدر الكبرى التي نصر اللَّه المسلمين فيها نصرًا عزيزًا . يقول رب العالمين : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وبمجرد أن عرف اليهود والمنافقون بخبر الانتصارات ، تحركت الأحقاد في نفوسهم ، ضد الدولة الإسلامية الوليدة ، على أرض المدينة المنورة ، فبدأوا ينسجون المؤامرات لجر المسلمين إلى المعارك . كما أن الأعراب المحيطين بالمدينة ، والذين كانوا يعيشون على السلب والنهب ، خشوا قيام دولة قوية على أرض المدينة ، تحول بينهم وبين ارتكاب جرائمهم ، بالإضافة إلى مشركي العرب من قريش ، الذين أخذوا يعدون العدة لغزو المدينة ؛ للأخذ بثأر قتلاهم وأسراهم ، والهزائم التي لحقت بهم .

وعلى سبيل المثال العدوان الذي كانت تُعدُّه عرب بني سُلَيْم من قبائل غطفان ، لغزو المدينة المنورة ؛ ولكن استخبارات المدينة المنورة - بفضل اللَّه - نقلت المعلومات إلى النبي ﷺ فأخذ زمام المبادرة وباغت العدو في عقر داره بالكُدْرِ - وهو ماء لبني سُلَيْم

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٧٤ ، ٢٧٥) زاد المعاد (ج٢ ، ص ٩٠) ؛ السيرة النبوية ابن كثير (ج٢ ، ص٥٣٩) .

يقع في نَجْد على الطريق التجارية الشرقية الحيوية بين مكة والشام – ففر بنو سليم ، وغَنِمَ المسلمون خمسمائة بعير ، وأقام رسول اللَّه ثلاثة أيام في ديارهم ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان ذلك في شوال سنة ٢هـ /٦٢٣ م ، بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام .

سارة : اللَّه أكبر صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده !

الوالد : نعم يا بنية ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ؛ فقد نشط الأعداء في وضع الخطط ، لاغتيال رسول اللَّه محمد ﷺ . مثال ذلك : المؤامرة التي خطط لها صفوان بن أمية وعُمَيْر بنُ وَهْب الجُمَحِي [1] .

جنة : ما هذه المؤامرة يا جدي ؟

الوالد : سيحدثكم عنها أسامة .

أسامة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ وبعد . .

اتفق صفوان بن أمية مع عُمَيْر بن وَهْب الجُمَحِي ، أن يتوجه عمير إلى المدينة المنورة ، ويغتال رسول اللَّه ﷺ بسيف شُحِذَ له وسُمَّ ، في مقابل أن يقوم صفوان بسداد دين على عُمَيْر ، وأن يرعى عِيالَه وأهل بيته .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! .

أسامة : وتوجه عُمير إلى المدينة المنورة وأناخ راحلته أمام باب مسجد النبي ﷺ وشاءت إرادة اللَّه ، أن يراه عمر بن الخطاب ﷺ ، وهو في نفر من المسلمين . فدخل عمر على رسول اللَّه ﷺ وقال : يا نبي اللَّه ، هذا عدو اللَّه عمير قد جاء متوشحًا سيفه ، وأتصور أنه ما جاء إلا لشر . فقال ﷺ : « **أدخله عليَّ** » .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! وهل نزع منه عمر السيف قبل أن يدخل ؟

أسامة : قال عمر لرجال من الأنصار : « ادخلوا على رسول اللَّه ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون . ولم يكتف عمر بذلك ، بل دخل به وقد أخذ بحمالة سيفه في عنقه .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أرسله يا عُمَر ، ادن يا عمير** » .

جنة : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! والسيف معه ألم يكن من الواجب أن يأخذ رسول اللَّه ﷺ حذره ، ويطلب من عمر أن يجرده من السيف ؟ .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٢ ، ص٤٨٦ – ٤٨٨) .

أسامة : نعم يا جنة ، انتظري ، إن الحذر واجب ، وأيضًا رسول اللَّه ﷺ محفوظ بحفظ اللَّه ، فلما دنا عُمير من رسول اللَّه ﷺ ، وقال : أنعموا صباحًا ، قال النبي ﷺ : « **قد أكرمنا اللَّه بتحية خير من تحيتك يا عُمير ، بالسلام ، تحية أهل الجنة** » .

الأولاد : وعليك سلام اللَّه ، ورحمته وبركاته ، يا رسول اللَّه .

أسامة : ثم قال رسول اللَّه : « **ما جاء بك يا عُمير ؟** » قال : جئت لابني وهب الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال ﷺ : « **فما بال السيف في عنقك ؟** » قال : قبحها اللَّه من سيوف ! وهل أغنت عنَّا شيئًا ؟ قال ﷺ : « **اصدقني يا عُمير ، ما الذي جئت له ؟** » قال : ما جئت إلا لذلك .

الأولاد : كذب عُمير عدو اللَّه .

أسامة : فكرر عليه رسول اللَّه ﷺ : « **اصدقني ، ما الذي جئت له ؟** » قال عُمير : ما جئت إلَّا لذلك .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **بل قعدت أنت وصفوان بن أمية ، في الحجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش (قتلى بدر) ، ثم قلت : لولا دين علي وعيال عندي ، لخرجت حتى أقتلَ محمدًا ، فتَحَمَّل صفوان بدَينِك وعيالِك على أن تقتلني ، واللَّه حائل بينك وبين ذلك** » . (أي أن اللَّه لن يمكنك من قتلي) .

الأولاد : اللَّه أكبر ، ربنا كَشَفه ، حفظك اللَّه ، يا رسول اللَّه ، ماذا فعل عُمير حينما سمع ذلك ؟ .

أسامة : قال عُمير بن وهب : أشهد أنك رسول اللَّه ، قد كنا يا رسول اللَّه ، نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فواللَّه إني لأعلم ما أتاك به إلا اللَّه ، فالحمد للَّه الذي هداني للإسلام . ثم تَشَهَّدَ شهادة الحق .

فقال رسول اللَّه ﷺ : « **فَقِّهُوا أخاكم في دينه ، وعَلِّموه القرآن ، وأطلقوا له أسيره** » [1] .

الأبناء : لقد شاءت إرادة اللَّه ، أن يُسلم عُمير بن وهب .

سلمان : ماذا حدث لصفوان بن أُمَيَّة ، حينما علم أن المؤامرة انكشفت ، وفشلت ، وأسلم عُمير بن وهب ؟ .

أسامة : أصابه الحزْن ، وأقسم أن لا يكلم عُمير بن وهب .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٤٨٧) .

كما أن عمير بن وهب ، رجع إلى مكة ، وأقام بها يدعو الناس إلى الإسلام ، فأسلم على يديه ناس كثير .

الوالد : شكر اللَّه لك يا أسامة . **بقي علينا الوقوف عند رؤوس العظات والعبر .**

إيمان : الحقد الشديد الذي يكنه كفار العرب للإسلام وأهله ، ويبدو ذلك في التربص بالمسلمين ، والتخطيط لاغتيال الرسول القائد محمد ﷺ : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران : ١١٨] وهذا يستلزم من المسلمين أخذ الحيطة والحذر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] وإعداد القوة المانعة وتحصين المدن ، والثغور ، والمرابطة بها تجاه الأعداء ، وكذلك إعداد وتربية إنسان العقيدة ، العنصر الضروري لمجاهدة الأعداء وتعريفهم مَن العدو ومَن الصديق ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٥] ، وذلك كله من مقتضيات تحرير الولاء والبراء .

محمد : حقيقة أن الصحابة كانوا يقظين ، ويقومون على حراسة القيادة الإسلامية ، مثلما بدا من موقف عمر بن الخطاب ﷺ والصحابة ؛ لكن من الواضح أيضًا أن اللَّه ﷻ ، من فوق سبع سماوات ، هو الذي يدير المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل ، وهو الذي يرى ويسمع ويرقب ما يدور في الخفاء ضد أمة الإسلام ويبطله . وصدق اللَّه القائل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا . إن الحكمة من تدخل القدرة القادرة ، وهي قوة اللَّه تعالى ، إنما لحسم المعركة لصالح الإسلام وأهله ، وعقاب الشرك وأهله :

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال : ٧، ٨] . أيضًا حفظ اللَّه لعباده : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق : ٤] . والحفظ أيضًا يحتاج إلى طاعات تؤهل الإنسان للحفظ الرباني ، لقول رسول اللَّه ﷺ : « **احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل اللَّه ، وإذا استعنت فاستعن باللَّه** » ، وللحديث بقية ، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

سبحانك اللَّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلَّا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اختبر معلوماتك

● كان انتصار المسلمين في بدر – رغم أنهم لم يعتدوا على أحد – كافيًا لتحريك الأحقاد ضد الدولة الإسلامية ، بقيادة النبي محمد ﷺ ، واتخذت الأحقاد شكل الإعداد لغزو المدينة ، ومن أصحاب هذه الأحقاد ، بنو سُلَيْم ، الذين أعدوا العدة لغزو المدينة المنورة . كيف عرف النبي خبر هذه الغزوة ؟ ماذا فعل ؟ وما النتيجة التي أسفرت عنها المعركة ؟ ما هو تاريخ هذه الغزوة ؟ ما الدروس المستفادة ؟ .

● خطط أعداء الإسلام بمكة لاغتيال رسول الإسلام ، محمدًا ﷺ . من هم الذين خططوا ؟ وهل قاموا بالتنفيذ ؟ متى ؟ ما النتيجة ؟ وما الدروس المستفادة ؟ ما الأسباب التي أدت بعُمير بن وهب إلى اعتناق الإسلام ؟ .

● هل المؤامرة على الإسلام وأهله انتهت أم أنها مستمرة ؟ قدم الدليل على ما تقول . وما هو واجب المسلمين تجاهها ؟ .



اللقاء الحادي والعشرون

غزوة السَّوِيق ، غزوة ذي أَمَر ، مصرع كعب بن الأشرف ، غزوة بحران ، سرية زيد بن حارثة إلى ماء قَرْقَرَة

أحمد : لو أذنت لي يا أبي ، أريد أن أتعرف على غزوة السَّوِيق .

الوالد : ظل أعداء الإسلام يتربصون بالدولة الإسلامية الوليدة ،وخاصة بعد الضربات التي وُجهت إلى المشركين في بدر ، وإلى يهود بني قينقاع .

ومن هؤلاء : أبو سفيان الذي رجع مع قومه إلى مكة موتورين محزونين ، ونذر أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمدًا رسول اللَّه ﷺ . فخرج في مائتي راكب حتى أتى « العُرَيْض » في طرف المدينة ، وبات ليلة واحدة عند « سلام بن مشكم » اليهودي ، فسقاه الخمر وبَطَّن له من خبر الناس ، فلما أصبح قطع أصوارًا من النخل وأحرق أصوارًا ، وقتلوا رجلًا من الأنصار وحليفًا له في حرثٍ لهما ، ثم انصرفوا راجعين .

وبلغ رسول اللَّه ﷺ الخبر ، فخرج في طلبه ، فبلغ قرقرة الكدر ، وفاته أبو سفيان . وطرح الكفار سويقًا كثيرًا من أزوادهم يتخففون منه ، فأخذها المسلمون فسميت غزوة السويق ، وكان ذلك بعد بدر بشهرين ، أي شهر ذي الحجة ، من السنة الثانية للهجرة (١) .

أحمد : وذلك يعني أن رسول اللَّه ﷺ هو وأصحابه ، طاردوا قوة أبي سفيان ، من المدينة حتى قَرْقَرة الكُدْر ، على طريق المدينة مكة ، فما هي أهم الدروس المستفادة ؟

الوالد : هذا العدوان كشف عن تواطؤ بني يهود ومشركي العرب ، وأن اليهود يجمعون المعلومات ، أي يتجسسون على المسلمين ويعطون المعلومات لأعدائهم ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة : ٨٢] . وهنا تبدو أهمية اليقظة والمرابطة أمام العدو ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء : ٧١] ، ويقول ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

ياسر : من الملاحظ أن رسول اللَّه محمدًا ﷺ كان حريصًا على الضربات الاستباقية ؛ لإجهاض قوة الأعداء ، وخاصة عرب البادية في نجد وغطفان وغيرها ؛ امتثالًا لقول اللَّه

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٢ ، ص٥٤٠ ، ٥٤١) ؛ الرسول القائد (ص٩٥ - ١٠١) ، المغازي (ص١٤٣) .

تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] ،وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٤] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

الوالد : الدليل على ذلك ، يا بني ، هو غزوة ذي أَمَر (نجد) ، أكبر حملة عسكرية قادها رسول اللَّه ﷺ (٤٥٠ مقاتل) ، قبل معركة أُحد في المحرم سنة ٣هـ /٦٢٤م [1] .

لقد توفرت لدى الرسول محمد ﷺ معلومات من خلال عيونه المبثوثة داخل صفوف العدو ، أن جمعًا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب ، تَجَمَّعُوا عند ماء يُسَمى « ذا أمر » يهدفون الإغارة على المدينة المنورة . استخلف رسول اللَّه ﷺ عثمان بن عفان ؛ لتصريف أمور الدولة ، في المدينة ، أثناء غيابه ، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلًا ؛ ما بين راكب وراجل .

وبمجرد سماع العدو بخروج النبي ﷺ ،تفرقوا في رؤوس الجبال . وصل رسول اللَّه ﷺ إلى مكان تجمعهم (ماء يسمى بذي أَمر) فأقام صفرًا كله من سنة ٣هـ / ٦٢٤م ولم يقع قتال ورجع بعدها .

ياسر : هل هذه الحملات كانت لها أثر على العدو ؟

الوالد : مؤكد لأن العدو أدرك أن النبي ﷺ وأصحابه ليسوا غافلين ، وأنهم يرصدون حركة أعدائهم ، وأنهم دائمًا يأخذون زمام المبادرة ، ويحرصون على الضربات الاستباقية .

الشيء المهم المحافظة على اللياقة البدنية للمقاتل ، ورفع كفاءة الجيش الإسلامي القتالية ، من خلال الممارسة والتدريب المستمر ، وأيضًا التعرف على طبيعة الأرض التي يتحرك عليها العدو ، على اعتبار أنها أرض المعارك المستقبلية ، وأيضًا معرفة الطرق التي تؤدي إلى أطراف الأرض ، التي يجب أن تبلغها دعوة الإسلام .

وأيضًا تَسَامُع الأعداء بأن الجيش الإسلامي ، يترك مقر الدولة الإسلامية ، ويعسكر شهرًا في أرض نجد – يترك في نفس السامع انطباعًا عن قدرة المسلمين على الحركة بكل

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٣) .

الاتجاهات .

ياسر : شكر اللَّه لك يا والدي .

الوالد : وفي شهر ربيع الأول خرج رسول اللَّه محمد ﷺ في ثلاثمائة مقاتل باتجاه بني سُلَيْم ، أرض بُحْرَان [1] ، معدنًا بالحجاز في ناحية الفُرع (بين مكة والمدينة) ، فأقام بها فعسكر بها خلال شهر ربيع الآخر ، وجمادى الأولى سنة ٣هـ ؛ ثم رجع بعدها إلى المدينة ولم يلق حربًا .

واحتمال كبير أن القوة التي خرج بها في هذه الغزوة ، غير القوة التي خرج بها في الغزوة السابقة ، حرصًا على تدريب جميع أفراد القوات المسلحة ، من خلال الإبدال والإحلال ، ورفع خبرتهم العسكرية ، إلى غير ذلك مما ذكرناه .

محمود : قرأت يا والدي عن سرية زيد بن حارثة ، التي خرجت من المدينة المنورة ، في جمادى الآخرة سنة ٣هـ /٦٢٤م . هل يمكن أن نعرف أسبابها ، وتشكيلات السرايا ، والنتائج التي تمخضت عنها ؟ .

الوالد : صاحب الاختصاص أسامة .

أسامة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على محمد رسول اللَّه ﷺ وبعد . .

ابتداءً ، أود أن أذكر أن الحياة الاقتصادية لأهل مكة (قريش) ، كانت تعتمد اعتمادًا أساسيًا على التجارة ، مع بلاد الشام ، والحبشة ، وكانت لهم رحلتان ، رحلة الشتاء إلى الحبشة ، ورحلة الصيف إلى بلاد الشام .

ثانيًا : كانت قريش تعتبر أن قيام الدولة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ، يشكل تهديدًا لتجارتها التي كانت تمر بأرضها أثناء رحلتها إلى بلاد الشام . وهذا ما ظهر من النقاش الذي دار بين قادتها . قال صفوان بن أمية (قائد قافلة قريش التجارية إلى الشام عام ٣هـ /٦٢٤م) : « إن محمدًا وصحبه عوروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم ، ودخل عامتهم معه ، فما ندري أين نسلك ، وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء .

وبعد المناقشة اقترح الأسود بن عبد المطلب على صفوان ، أن يسلك طريق العراق

---

(١) المغازي ، (ص١٤٤ ، ١٤٥) ؛ السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص٤ ، ٥) .

الذي يخترق نجدًا إلى الشام ، وتمر في شرقي المدينة ، على بُعد كبير منها ، وذلك بدلًا من طريق الساحل . وبناءً عليه خرجت قافلة قريش التجارية ، بقيادة صفوان بن أمية ، عبر طريق (العراق/ نجد/ الشام) .

سارة : وماذا حدث يا عمي ؟

أسامة : صبرًا يا سارة ، لكن عيون النبي محمد ﷺ ، كانت ترقب تحركات العدو ؛ لأن المسلمين مأمورون باتخاذ الحيطة والحذر ، فَعَلِمَ بأخبار خروج القافلة .

سارة : كيف استطاعت عيون النبي ﷺ أن تعرف أخبار هذه القافلة القرشية التجارية ؟ .

أسامة : كان هناك صحابي اسمه سَلِيط بن النعمان ، كان قد أسلم ، ولم تعلم قريش بإسلامه فكان في مجلس شرب - قبل تحريم الخمر - ضمه مع نعيم بن مسعود الأشجعي - ولم يكن أسلم إذ ذاك - فلما أخذت الخمر من نعيم تحدث بالتفصيل عن قضية عير قريش (تجارتها) ، وخط سيرها ، فأسرع سَلِيط إلى النبي ﷺ يروي له القصة .

سارة : جزاك اللَّه خيرًا يا عمي .

أسامة : وجزاك . وعلى الفور جهز رسول اللَّه ﷺ سرية قوامها مائة راكب ، بقيادة زيد بن حارثة الكلبي ، وتحركت السرية ، واستطاعت أن تداهم قافلة قريش التجارية بغتة ، عند ماء في أرض نجد يُقَال له « قَرْدَة » ، فاستولت على القافلة كلها وكانت تحمل تجارة قوامها مائة ألف وأسرت دليل القافلة فُرَات بن حَيَّان ، وهرب قائد القافلة صفوان بن أمية ، ومن معه من الحرس . وكان هذا فتحًا من اللَّه على المسلمين ، وقسم رسول اللَّه ﷺ هذه الغنيمة على أفراد السرية ، بعد أخذ الخمس ، وأسلم فُرَات بن حَيَّان [١] على يديه ﷺ .

الأولاد : اللَّه أكبر كبيرًا ، والحمد للَّه كثيرًا ، صدق وعده ونصر عبده .

ألم يكن من الأولى أن تعتبر قريش بما حدث لها ، وترجع عن غيِّها ، وتضم جهدها إلى جهد الدولة الإسلامية ؟ .

أسامة : لو كان فيها عقلاء لحاسبوا أنفسهم ، ورجعوا إلى اللَّه ، وأنابوا ، وأسلموا للَّه رب العالمين ، وسعدوا ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين فيهم ، ولكنها الغطرسة والكبرياء يا إخواني ، هي التي حالت عن تلمس طريق الرشاد ، ولم تقف قريش عند هذا الحد ، بل قررت القيام

---

(١) المغازي ، الذهبي ، (ص١٤٥ - ١٥٤) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص٨ - ٩) .

بحرب شاملة وغزو المسلمين ، في عقر دارهم بعد أن اهتزت صورتهم ، وفقدوا كرامتهم وحرموا من الأمن على تجارتهم وأموالهم .

الوالد : جزاك اللّٰه خيرًا يا أسامة . بقي علينا في هذا اللقاء أن نعرض لمصرع عدو من أعدى أعداء الإسلام ، وهو اليهودي كعب بن الأشرف ، وهو ينتسب إلى قبيلة طيء من بني نَبْهَان ، وأمه من بني النضير ، وكان حصنه الذي يقيم به جنوب المدينة ، خلف ديار بني النضير . وقد تبدى حقده الشديد عند سماعه خبر انتصار المسلمين ، في بدر ، وقتل سبعين من صناديد قريش ، وأسر سبعين آخرين ، لم يصدق ، وقال : « أحق هذا ؟ هؤلاء أشراف العرب (يقصد كفار قريش) وملوك الناس ، واللّٰه إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها » . وحينما علم أن الخبر صحيح ، انطلق عدو اللّٰه يهجو رسول اللّٰه ﷺ والمسلمين ، ويمدح أعداء المسلمين ، ويحرضهم على المسلمين .

ولم يكتف بهذا ، بل إنه سافر إلى مكة ، ونزل ضيفًا على المُطَّلِب بن أبي وَداعَة السَّهمي ، وجعل ينشد الأشعار ، يبكي فيها قتلى المشركين في بدر ؛ يهدف من وراء ذلك إثارة حفيظة المشركين وإذكاء حقدهم ، على رسول اللّٰه محمد ﷺ وأصحابه ويدعوهم إلى حربه .

والأنكى من ذلك ، أن أبا سفيان قبل أن يُسلم ، سأل كعب بن الأشرف : « أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأي الفريقين أهدى سبيلًا ؟ » فقال اليهودي الكاذب : بل أنتم أهدى منهم سبيلًا وأفضل . وفي ذلك أنزل اللّٰه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١] .

ولم يقف جهد الشيطان عند هذا الحد ، وحينما عاد إلى المدينة ، كان يقرض الشعر يُشَبِّبُ فيه بنساء الصحابة ، ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء .

فقال رسول اللّٰه ﷺ : « **من لكعب بن الأشرف ؛ فإنه قد آذى اللّٰه ورسوله ؟** » فقام محمد بن مسلمة ، فقال : أنا يا رسول اللّٰه ، أتحب أن أقتله ؟ قال ﷺ : « **نعم** » . وكَوَّنَ رسول اللّٰه قوة صغيرة مكونة من : عَبَّاد بن بشر وأبي نَائِلَة (اسمه سَلْكَان بن سلامة) وهو أخو كعب من الرضاعة ، والحارث بن أوس وأبي عَبْس بن جبر ، وجعل قيادتها إلى محمد بن مسلمة [١] .

وفي ليلة مقمرة (ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣هـ /٦٢٤م) اجتمعت

---

(١) المغازي (ص١٥٧ - ١٦٤) ، السيرة النبوية ابن كثير (ج٣ ص٩ - ١٧) .

هذه المفرزة إلى رسول الله ﷺ ، فشيعهم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم قائلًا : « **انطلقوا على اسم الله ، اللَّهم أعنهم** » ثم رجع ﷺ إلى بيته ، وطفق يصلي ويناجي ربه .

وانتهت القوة إلى حصن كعب بن الأشرف ، ودخلوه ، وأتموا مهمتهم ، وقتلوه وحملوا رأسه إلى رسول اللَّه محمد ﷺ ، فقال ﷺ : « **أفلحت الوجوه** » قالوا : ووجهك يا رسول اللَّه .

ولما علمت اليهود بمصرع طاغيتها كعب بن الأشرف ، دبَّ الرعب في قلوبهم العنيدة ، وعلموا أن الرسول القائد ﷺ لن يتوانى في استخدام القوة ، حينما يرى أن النصح لا يجدي نفعًا ، لمن يريد العبث بالأمن ، وإثارة الاضطرابات ، وعدم احترام المواثيق ، فلم يحركوا ساكنًا ؛ لقتل طاغيتهم بل لزموا الهدوء ، وتظاهروا بإيفاء العهود ، واستكانوا وأسرعت الأفاعي إلى جحورها ؛ تختبئ فيها .

بقي سؤال : من يذكر لنا الدرس المستفاد من أخبار هذه السرية ؟ .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، السبب الرئيسي لهذه السرية هو حقد اليهود على المسلمين ، ويبدو ذلك واضحًا من كلمات الرسول القائد محمد ﷺ .

« **من لكعب بن الأشرف ؟** » لماذا ؟ لأنه آذى اللَّه ورسوله والمسلمين .

نوع الإيذاء :

سب دين الإسلام ، سب رسول اللَّه ﷺ ، خاض في أعراض المسلمات الحرائر .

ومن هنا يرى قائد الدولة الإسلامية ، ضرورة كسر شوكة هذا المجرم ، ومن هنا تم تشكيل الغزوة ؛ لتصفية ذلك المجرم .

عمار : معذرة يا عمي أسامة ، إذا كان ذلك موقف النبي محمد ﷺ من كعب بن الأشرف ، فكيف نفسر موقف أولياء الأمور والأمة المسلمة ، حيال الهجمة الشرسة ، التي تتبناها بعض أجهزة الإعلام المسلمة ، على دين الإسلام ، ورسول الإسلام ، وعلى صحابة رسول اللَّه ﷺ ؟ .

أسامة : السبب غياب السلطة الراشدة ، وضعف عقيدة الإيمان باللَّه واليوم الآخر ، وعدم قيام المسلمين بتطبيق الحدود الشرعية ، على من يرتكب هذه الجرائم .

جزاكم اللَّه خيرًا .

قولوا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

اختبر معلوماتك

● ما هي معلوماتك عن غزوة السَّويق ؟ متى وقعت ؟ ما النتائج التي أسفرت عنها ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟

● ما هي معلوماتك عن غزوة ذي أمر ، النتائج التي أسفرت عنها ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟

● اكتب مذكرات عن :

أ : غزوة بُحْرَان .

ب : سرية زيد بن حارثة إلى ماء قَرَدة .

جـ : مصرع كعب بن الأشرف . مع ذكر الدروس المستفادة .

اللقاء الثاني والعشرون

مشركو قريش يقومون بعدوان شامل على الدولة الإسلامية الوليدة بالمدينة المنورة ، غزوة أحد [1] (شوال سنة ٣هـ /٦٢٤م)

الوالد المعلم : السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته ، الحمد للّٰه والصلاة والسلام على محمد رسول اللّٰه ﷺ .

أبنائي وأحفادي وأحبابي ، لقاؤنا هذا حول العدوان على الأمة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في شهر شوال من السنة الثالثة من الهجرة ، والذي يُعرف بمعركة أُحد . وسيعرض لهذا الموضوع الأستاذة الدكتورة وفاء ، المشرفة الأكاديمية لجامعة أم القرى سابقًا ، وكذلك رئيسة قسم التاريخ الإسلامي بكلية الشريعة (طالبات سابقًا) .

سارة ورحمة وسُمَيَّة وسلمى : اللّٰه أكبر ، جزاك اللّٰه خيرًا يا جدي ، ومرحبًا بك يا جدتنا العزيزة . كلنا آذان صاغية .

أسامة : إيه الهيصة دي يا بنات ؟

البنات : إنت زعلان ليه يا عم أسامة ؟ آن الأوان للنصف الآخر أن يتحدث .

الوالد : للعلم يا بنات ، جدتكم هي التي ترفض دومًا إدارة اللقاءات ، ولسنا نحن الذين نحول بينها وبين أداء ذلك الواجب .

الأولاد : جزاكم اللّٰه خيرًا يا جدي ، وبارك اللّٰه عليك ، وعلى جدتنا ، وعلينا جميعًا ، وحفظكم من كل سوء .

الوالدة المعلمة (الجدة) : الحمد للّٰه ، والصلاة والسلام على رسول اللّٰه ، وبعد ..

عدوان مشركي قريش على المسلمين في السنة الثالثة من الهجرة ، هو الذي يطلق عليه كُتَّاب السيرة غزوة أُحد وغزوة حمراء الأسد . ونعرض ابتداءً للعناصر الرئيسية للموضوع :

- أسباب العدوان .

---

(١) سُمِّي أحدٌ أحدًا ؛ لتوحده من بين تلك الجبال وفي الصحيح « **أحدٌ جبل يحبنا ونحبه** » قيل : معناه أهله ، وقيل : لأنه كان يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل المحُب ، وقيل : على ظاهره كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] ، السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص١٨ - ١١٨) .

- كفار مكة يعدون العدة ويحشدون الطاقات لغزو المدينة المنورة .
- استخبارات الرسول القائد ﷺ داخل صفوف الأعداء ، ترصد وتبلغ .
- الرسول القائد ﷺ يشاور أصحابه ، ويخطط للمقاومة .
- موقف المنافقين واليهود المعاهدين .
- وقائع المعركة .
- الصحابة يخرجون إلى حمراء الأسد .
- النتائج .
- التقويم .
- مواقف بطولية من حياة الصحابة .
- الدروس المستفادة .
- الأسئلة .

اللَّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا ، وأنت إن شئت تجعل الحزن سهلًا ، فاللَّهم اجعل أمرنا كله سهلًا . اللَّهم يا مُعلم إبراهيم علِّمنا ، اللَّهم يا مُفَهِّم سليمان فَهِّمْنا ، اللَّهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، آمين آمين .

والآن نعرض لأسباب العدوان ، كما وردت على لسان أحد أفراده ، في أحد اجتماعات قادة قريش : « يا معشر قريش ، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرًا » ، فأجابوه لذلك فباعوها ، وكانت ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار . وفي ذلك يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] . أي أن الهدف الأخذ بالثأر من المسلمين ، الذين هزموهم في معركة بدر الكبرى ، والقضاء على القوة الإسلامية الناهضة (١) .

وخرج جيش مشركي العرب في ثلاثة آلاف مقاتل ، من قريش والأحباش ، وبني كِنَانة وأهل تهامة . وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب ، وقيادة الفرسان (٢٠٠ فارس) إلى خالد بن الوليد ، يعاونه عكرمة بن أبي جهل . أما اللواء فكان إلى بني

(١) تفاصيل المعركة في : الرسول القائد (ص١٠٧ – ١٢٥) ، المغازي ، الذهبي (١٦٥ – ٢٢٥) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص٨٨ – ١٠٩) .

عبد الدار ، وسلك الطريق الرئيسية التي تؤدي إلى المدينة المنورة ، حتى نزل قريبًا من جبل (قِبَلي أحد) شمال المدينة ، فعسكر هناك يوم الجمعة ، السادس من شهر شوال ، سنة ثلاث من الهجرة .

إيمان : لقد أعلن كفار مكة في اجتماعاتهم ، أن سبب الغزو هو الأخذ بثأر بدر . لكن القرآن كشف السبب الرئيسي للغزو ، وهو : ﴿ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الأنفال : ٣٦] ، وقد ألب أبو سفيان قبائل العرب المحالفة لقريش فقاد جيشًا قوامه ثلاثة أضعاف جيش بدر ، وعرفت قريش أنها وحدها لا طاقة لها بمحمد ﷺ وأصحابه ، فلجأت إلى التعبئة العربية .

جنة : كيف عرف رسول اللَّه ﷺ بتحرك جيش المشركين ؟

الوالدة : العباس بن عبد المطلب ، كان بمكة عينًا للرسول ﷺ ، فوجه رسالة إلى رسول اللَّه ﷺ [١] يضمنها تفاصيل عن جيش المشركين : عدده وتسليحه وقادته .

جنة : هل وصلت الرسالة قبل وصول الجيش ؟ وهل كانت قريش تعلم أن العباس يجمع معلومات لمصلحة رسول اللَّه محمد ﷺ ؟ .

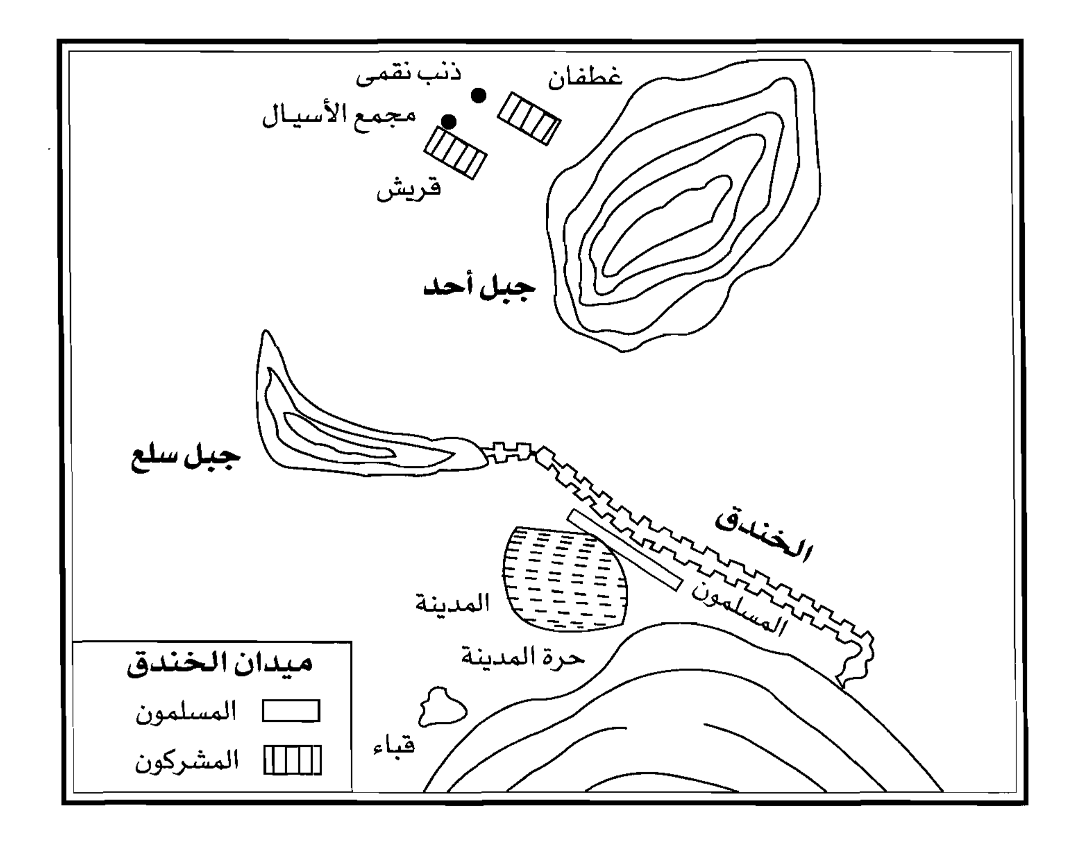
الوالدة : نعم ، يا جنة ؛ لقد قطع حامل الرسالة المسافة من مكة إلى المدينة ، وهي خمسمائة كيلو متر تقريبًا ، في ثلاثة أيام ، وسلم الرسالة إلى الرسول محمد ﷺ ، وهو في مسجد قباء ، وقرأ الرسالة عليه (أُبَيّ بن كعب) فأمره رسول اللَّه ﷺ بالكتمان ، وعاد من قباء ، إلى المدينة ؛ ليشاور أصحابه ويتبادل معهم الرأي ، **وكانت الاحتياطات** :

استنفار عام للمسلمين في المجتمع المدني ؛ لمواجهة عدوان مرتقب ، لا يفارق الصحابة السلاح ، حتى وهم في الصلاة ؛ استعدادًا للطوارئ . وقامت دوريات من المسلمين تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون ؛ لمهاجمة المسلمين ؛ وذلك بهدف رصد واكتشاف تحركات العدو .

وعلى مداخل المدينة وأنقابها ، رابطت وحدات من المجاهدين لحراستها ؛ خوفًا من أن يؤخذ المسلمون على غرة ؛ أي تأمين المدينة لسكانها . وقام مجموعة من الصحابة من الأنصار ، فيهم سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، بالسلاح - بحراسة الرسول القائد ﷺ ، أي تأمين القيادة .

أما فيما يتصل بمعرفة قريش بدور العباس ، فهذا مستبعد ؛ وإلا كانوا يؤذونه .

(١) الرسول القائد (ص١٠٩) .


ذنب نقمى
غطفان
مجمع الأسيال
قريش
جبل أحد
جبل سلع
الخندق
المسلمون
المدينة
حرة المدينة
قباء
ميدان الخندق
المسلمون
المشركون

ولعلكم لاحظتم يقظة الرسول القائد ﷺ وأصحابه - رضوان اللَّه عليهم - وحينما علم رسول اللَّه ﷺ من خلال رجال استخباراته - أن جيش مكة قد عسكر شمال المدينة قرب أحد - عقد مجلسًا استشاريًّا عسكريًّا أعلى ؛ لتبادل الرأي حول خطة المواجهة .
وأثناء الاجتماع ذكر رسول اللَّه ﷺ رؤيا رآها ، قال : « **فقد رأيت واللَّه خيرًا ، رأيت بقرًا يُذْبَح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة** » .
وتأول رسول اللَّه ﷺ البقر بنفر من أصحابه ، يقتلون وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته ، وتأول الدرع بالمدينة [١] . ثم أشار إلى أصحابه أن لا يخرجوا من المدينة ، ويتحصنوا بها ؛ فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام ، وبغير جدوى ؛ وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت ، وكان هذا هو الرأي (ولكن كما يقول ابن كثير : غلب القضاء والقدرُ) ووافق الرسول القائد على هذا الرأي عبد اللَّه بن أُبيٍّ بن سلول رأس المنافقين .

ولكن جماعة من فضلاء الصحابة ، يتقدمهم حمزة بن عبد المطلب ، الذين فاتهم الاشتراك في معركة بدر الكبرى - أشاروا على النبي بالخروج وألحُّوا عليه في ذلك : يا رسول اللَّه ، كنا نتمنى ذلك اليوم ، وندعو اللَّه ، فقد ساقه إلينا وقَرَّب المسير اخرج إلى أعدائنا لا يرون أنَّا جَبُنَّا عنهم .

أسامة : ولهذا كان سيد الشهداء حمزة من أشد المتحمسين للخروج ، وقال لرسول اللَّه ﷺ : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة [٢] .

لهذا تنازل الرسول القائد ﷺ عن رأيه أمام رأي الأغلبية ، واستقر الرأي على الخروج خارج المدينة ، وملاقاة العدو . وقد أغضب ذلك القرار رأس المنافقين عبد اللَّه ابن أُبيَّ بن سلول .

الوالدة : شكر اللَّه لك يا أسامة . إذن كان قرار المجلس الاستشاري العسكري ، بقيادة الرسول محمد ﷺ الخروج لملاقاة العدو . وكانت الخطوات التنفيذية أُولاها الإعداد المادي والاستعانة باللَّه والدعاء والحشد المعنوي والإيماني لمجاهدي الأمة .

صلى الرسول ﷺ بالناس صلاة الجمعة ، فوعظهم وذكرهم ، وأمرهم بالجد والاجتهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بِلأْمَته ، فلبسها ، ثم أذَّن في الناس بالخروج [٣] .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٢١ - ٢٣) . (٢) السيرة النبوية ، (ج ٣ ص ٢٤) .
(٣) السيرة النبوية ، (ج ٣ ص ٢٥) .

وكان الناس ينتظرون خروج النبي ﷺ ، وقد قال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : استكرهتم رسول اللَّه ﷺ على الخروج ؛ فردُّوا الأمر إليه . فندم الصحابة على ما صنعوا ، فلما خرج قالوا له : يا رسول اللَّه ، ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته** (درعه) **أن يضعها ، حتى يحكم اللَّه بينه وبين عدوه** » .

الأولاد : اللَّه أكبر ، اللَّهم تقبل منهم يا رب العالمين جهادهم وشهداءهم .

أسامة : وذلك يا والدتي ؛ لأن هناك مرحلة الشورى ، ومرحلة القرار . فطالما اتخذ الصحابة القرار بالخروج لملاقاة العدو ، ما كان لهم أن يرجعوا عنه ، وخاصة أنهم على أعتاب مواجهة العدو .

الوالدة : تمامًا يا أسامة ؛ لأن التراخي في تنفيذ القرارات ساعة المحنة ، يمكن أن يؤدي إلى ما لا يُحمد عقباه . وبعدها قسم رسول اللَّه محمد ﷺ جيشه الذي كان يتألف من ألف مقاتل ، فيهم مائة دارع إلى ثلاث كتائب :

- كتيبة المهاجرين وكان لواؤها إلى مُصعب بن عمير .
- وكتيبة الأوس من الأنصار وكان لواؤها إلى أسيد بن حضير .
- وكتيبة الخزرج ، ولواؤها إلى المنذر بن عمرو الساعدي [١] .

وتحرك جيش المسلمين نحو الشمال ، يتقدمه سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة .

سلمان : هل كان هناك شباب في جيش النبي ﷺ ؟ .

الوالدة : نعم يا سلمان ، كان فيه رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، رغم صِغر سنهما ؛ لأن الأول كان ماهرًا في رماية النبل ، فأجازه رسول اللَّه ﷺ ، والثاني صارع الأول ؛ لكي يثبت جدارته في الجهاد ، فصرعه فأجازه النبي ﷺ ، وكذلك البراء بن عازب .

ولكن كان هناك شباب ، خرجوا في الجيش ، ردَّهم رسول اللَّه ﷺ ، عندما استعرض الجيش لصغر سنهم ، وهم : عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب : وأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وعمرو بن حزم ، وأبو سعيد الخدري [٢] .

سلمان : شكر اللَّه لك يا جدتي ، اللَّهم اجعلنا مثلهم يا ربنا ، مجاهدين في سبيل اللَّه ، آمين .

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٢٩٥) .
(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٢٩ - ٣٠) .

أسامة : فيه مسألة مهمة يا أمي ، وهي أن رسول اللَّه القائد ﷺ ، حينما جاوز ثنية الوداع ، رأى كتيبة حسنة التسليح ، منفردة عن سواد الجيش ، فسأل عنها فأُخبر أنهم من اليهود حلفاء الخزرج ، يرغبون في المساهمة في القتال ضد المشركين . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **هل أسلموا ؟** » فقالوا : لا ، فأبى ﷺ أن يستعين بأهل الكفر على أهل الشرك [1] .

الوالدة : تمامًا يا أسامة ، وهذه رسالة مهمة لأنها ترسي معلمًا بارزًا ، في حياة الأمة ، وهي أهمية تمييز الصفوف والمفاصلة ، عند مواجهة العدو والبراءة من الشرك وأهله ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ [الممتحنة : ٤] ويقول ﷻ : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

أضف إلى ذلك أن يهود بني قينقاع ، وهم أعدى أعداء الأمة – نقضوا عهودهم مع رسول اللَّه ﷺ ، واستحلوا تعرية امرأة مسلمة ، واستحلوا دم مسلم غار لأخته المسلمة ، في حرم رسول اللَّه ﷺ . والشيء المهم أن نصر اللَّه لا يتنزل إلا على المؤمنين الموحدين ، ولا يمكن أن يتنزل على صف لا زال في قلوب أبنائه ولاء لأعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين .

لعل هذه بعض الأسباب التي دفعت رسول اللَّه ﷺ إلى رفض الاستعانة بمشرك على مشرك .

وبعد أن استعرض رسول اللَّه ﷺ الجيش وأدركهم المساء – صلى المغرب بأصحابه ، ثم صلوا العشاء وباتوا في موضع يُقال له الشيخان ، بين أحد والمدينة . وأخذًا بالأسباب ، عين رسول اللَّه محمد ﷺ خمسين مجاهدًا ، بقيادة محمد بن مسلمة الأنصاري ؛ لحماية معسكر المسلمين ، وكُلف ذكوان بن عبد قيس ، حراسة الرسول القائد محمد ﷺ .

سلمان : محمد بن مسلمة الأنصاري بطل سرية كعب بن الأشرف اليهودي .

الجدة : نعم .

سلمان : هل يمكن أن تعرضي لنا أخبار سريته ، وأسبابها والنتائج التي أسفرت عنها ؟ .

الوالدة : لقد عرضنا لها في وقت سابق ، أثناء غيابك في مكة المكرمة .

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص١٧٠) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٢٧) .

سلمان : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

الوالدة : الآن نواصل عرضنا لغزوة أُحد . وقبل طلوع الفجر تحرك الجيش الإسلامي ، ونزل بمقربة من العدو ، وصلى المسلمون الفجر ، وبعدها حدثت حادثة ، كان يمكن أن يكون لها أثر سلبيٌّ على معنويات الجيش ، ألا وهي تمرد عبد اللَّه بن أُبيٍّ بن سَلُول وانسحابه بنحو ثلث الجيش (ثلاثمائة مقاتل) ، تاركًا إخوانه في الإسلام في مواجهة العدو قائلًا : ما ندري علامَ نقتل أنفسنا (١) .

محمود : ولكن هذه خيانة عظمى ، أن ينسحب من أرض المعركة ، والمسلمون على مقربة من العدو ، وكان ذلك كافيًا لهدم معنويات الجند وإحداث الاضطراب داخل الجيش الإسلامي ، وقد يؤدي ذلك إلى انسحاب جُند آخرين .

الوالد : فعلًا لقد همت بنو حارثة من الأوس ، وبنو سلمة من الخزرج ، بالانسحاب ، لولا أن اللَّه ثبتهما ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

جنة : ألم يحاول أحد من المسلمين ، أن يُذَكِّر عبد اللَّه بن أُبَي ، بخطورة ما يُقدم عليه ؟ .

الجد : نعم يا جنة ، الصحابي عبد اللَّه بن عمرو بن حرام - والد جابر بن عبد اللَّه - حاول تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم في هذا الظرف الدقيق : يا قوم ، أذكركم اللَّه ألا تخذلوا قومكم ونبيكم ، عندما حضر من عدوهم ، قالوا : « لو نعلم أنكم تقاتلون ، ما أسلمناكم ، ولكنَّا لا نرى أن يكون قتال » . فقال عبد اللَّه : أبعدكم اللَّه ، أعداء اللَّه فسيغني اللَّه عنكم نبيه ﷺ (٢) .

رحمة : معنى ذلك يا جدتي ، أنه كان على سبعمائة مقاتل ، من جيش المسلمين ، أن يواجهوا جيش المشركين ، الذي يبلغ ثلاثة آلاف مقاتل .

الجدة : تمامًا يا رحمة .

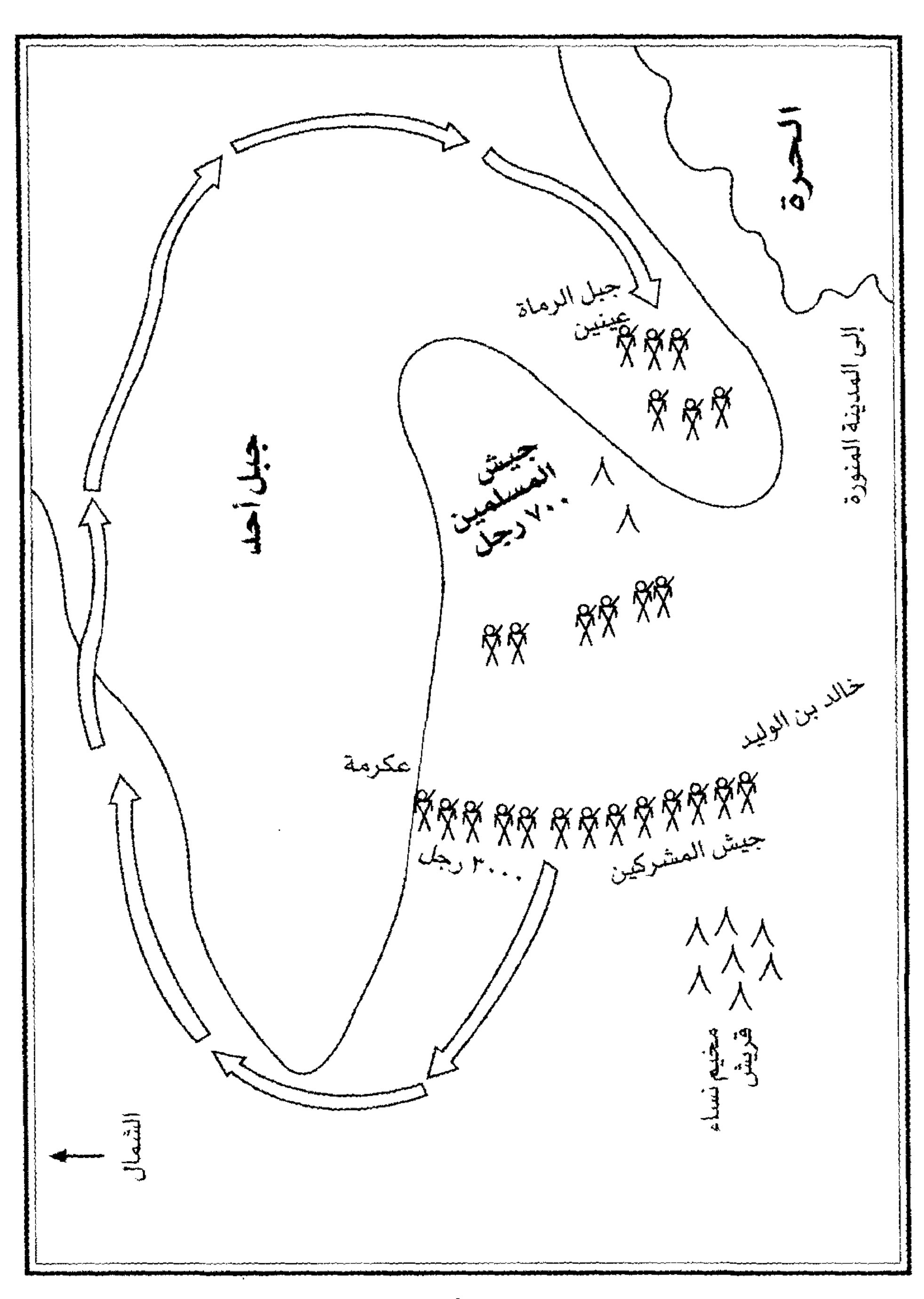
بلال : هل يمكن أن نتعرف على الخطة التي وضعها رسول اللَّه ﷺ ، لمقاومة العدوان العربي المجرم ؟ .

الوالدة : صَفَّ رسول اللَّه القائد ﷺ جيشه بالشعب من موضع (أحد) ، في

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٢٧) .

(٢) السيرة النبوية (ج ٣ ص ٢٧) الرحيق المختوم (ص ٢٩٩) .


الحرة
جبل الرماة
عينين
إلى المدينة المنورة
جبل أحد
جيش المسلمين
٧٠٠ رجل
خالد بن الوليد
عكرمة
جيش المشركين
٣٠٠٠ رجل
مخيم نساء قريش
الشمال

غزوة أحد

عدوة الوادي ، جاعلًا ظهرهم إلى جبل أحد ، مستقبلًا المدينة المنورة ، وعلى هذا صار جيش العدو فاصلًا بين المسلمين ، وبين المدينة ، وجعل على الميمنة المنذر بن عمرو ، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وكانت مهمة الزبير الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد (١) .

وخوفًا من أن يقوم العدو بحركة التفاف ، خلف الجيش الإسلامي - اتخذ رسول الله ، محمدًا ﷺ ، الاحتياطات ، فوضع على جبل أحد خمسين من الرماة بإمرة عبد الله بن جبير ؛ لحماية ظهور أفراد الجيش الإسلامي ، وللحيلولة بين جيش العدو والالتفاف حول جيش المسلمين .

وأعطى الرسول القائد ﷺ تعليمات محددة لقائد الرماة : « **انضح الخيل عنّا بالنبل ، لا يأتون من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك ، لا نؤتين من قِبَلِكَ** » .

ثم قال للرماة : « **احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا ، فلا تشركونا** » . وفي رواية البخاري ، أنه قال : « **إن رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا مكانكم هذا ، حتى أرسل إليكم . وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم** » .

محمود : خطة حكيمة ودقيقة جدًّا ، يبدو منها أن الرسول القائد ﷺ ، قد احتل أفضل موقع من ميدان المعركة ، وحمى ظهره ويمينه بارتفاعات جبل أحد ، وقرأت أيضًا أنه ﷺ اختار لمعسكره موضعًا مرتفعًا ، يحتمي به ، إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ، ولا يلتجئ إلى الفرار ؛ حتى لا يتعرض للوقوع في قبضة الأعداء المطاردين وأسرهم . ومن هذا الموضع المرتفع يمكن أن يلحق خسائر فادحة في أعدائه ، إن أرادوا احتلال معسكره ، من موضعهم المنخفض (٢) .

الوالدة : تمامًا يا محمود ، جزاك الله خيرًا . كما أن رسول الله ﷺ أصدر أمرًا بألّا يقاتل أحدٌ إلا بأمر منه ، وأخذ يذكر أصحابه بأهمية الصبر والثبات في القتال ، وطلب النصر أو الشهادة .

سارة : هل يمكن أن نعرف يا جدتي شيئًا عن أحداث المعركة ؟

الجدة : نعم ، بدأت المعركة حينما تحدى حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة

(١) المغازي ، الذهبي (ص١٧٠) .

(٢) الرحيق المختوم (ص ٢٩٨ - ٢٩٩) ، الرسول القائد (ص ١١٠) ، السيرة النبوية (ج٣ ، ص٢٩) .

العبدري – المسلمين إلى المبارزة ، وكان من أشجع فرسان قريش ، ويركب جملًا .

بلال : هل خرج إليه أحد ؟ وماذا كانت النتيجة ؟ .

سارة : لماذا تُقاطع جدتك يا بلال ؛ إنها تواصل الشرح .

بلال : أنا آسف يا سارة .

الجدة : حينما طلب فارس المشركين المبارزة ، أحجم عنه الناس ؛ لفرط شجاعته ، ولكن الزبير بن العوام ابن صفية عمة رسول اللَّه ﷺ ، انطلق للمبارزة دون تردد ، بل وثب إليه على جمله وثبة الليث ، ثم ألقاه على الأرض وذبحه بسيفه [١] .

الأولاد : اللَّه أكبر ، والنصر للإسلام .

الوالدة : واندلع القتال بين أهل الحق بقيادة رسول اللَّه محمد ﷺ ، وأهل الباطل في سائر النقاط ، وتركز اللقاء في بداية المعركة حول لواء المشركين الذي قُتِلَ عشرةٌ من الذين حملوه من المشركين ، نتيجة الهجمات التي شارك فيها من الصحابة علي بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وبعدها وقع لواء المشركين على الأرض . وتتابعت الهجمات الإسلامية على العدو ، كالإعصار وهي تقول : « أمت .. أمت » وكانت بطولات وكانت تضحيات .

وكانت المعركة في بدايتها لصالح المسلمين ؛ حيث خارت عزائم المشركين ، كما لو كانوا يقاتلون ثلاثين ألف مسلم ، وليس سبعمائة وبدا الكثيرون يهربون ويتركون أرض المعركة .

وهنا وقع خطأ فادح ، أدى إلى تغير في خط سير المعركة لصالح المشركين .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، ما هو هذا الخطأ يا جدتنا ؟ .

الجدة : ارتكب الرماة الذين كانوا يحمون ظهور الجيش الإسلامي خطأً فادحًا ، حينما خالفوا أمر الرسول القائد ﷺ ، وتركوا جبل الرماة ؛ تصورًا منهم أن المعركة قد انتهت ، لصالح المسلمين ، ونزلوا لجمع الغنائم . ورغم أن قائدهم حذرهم من ترك مواقعهم ؛ [٢] امتثالًا لأمر رسول اللَّه ﷺ ؛ لكنهم لم يأبهوا لذلك .

وانتهز خالد بن الوليد (لم يكن قد أسلم بعد) فرصة ترك المسلمين لمواقعهم على جبل الرماة ، وبدأ عملية تطويق لجيش المسلمين ؛ لإفنائه ، وصاح بإخوانه لمساندة خطته ،

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٠) .
(٢) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٤٢ – ٤٣) .

ورجع المشركون وواصلوا مهمتهم ، وبدأوا بتطويق رسول اللَّه ﷺ للقضاء عليه .

ولم يفطن من المسلمين إلى هذه المباغتة إلا رسول اللَّه ﷺ الذي قاتل والقلة القليلة معه ؛ ليشق طريقًا بين قوات قريش التي أطبقت عليه من كل جانب ؛ لكسر خطة التطويق والنجاة من هجمة الاستئصال ، وقدم المسلمون شهداء وتضحيات ؛ بل إن رسول اللَّه ﷺ رماه أحد المشركين بحجر فكسر أنفه ورباعيته ، ورغم هذا واصل الرسول محمد ﷺ جهاده فوقع في حفرة ، كان قد حفرها أبو عامر الفاسق ، وأشاع المشركون أن رسول اللَّه ﷺ قد قتل في أرض المعركة ، فأسرع إليه علي بن أبي طالب ، وأخذ بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد اللَّه ، واستمر ﷺ هو وأصحابه في القتال ؛ للخروج من المأزق ، والانسحاب إلى الموقع المرتفع (صخرة في الجبل) الذي كان قد أعده تحسبًا لهذا الموقف ، لمواصلة القتال ضد المشركين .

وتساقط كثير من الصحابة الذين كانوا معه ، شهداء ؛ لكن المقاومة استمرت وشارك فيها نسوة أمثال نسيبة بنت كعب الأنصارية .

سلمان : هل يمكن أن نعرف عدد الشهداء وأسماء بعضهم رحمهم اللَّه ؟ .

الوالدة : نعم ، ذُكر من الشهداء أربعة من المهاجرين هم : حمزة بن عبد المطلب [(١)] ، ومصعب بن عمير ، وعبد اللَّه بن جحش ، وشمّاس بن عثمان ﷺ ، ومن الأنصار إلى تمام سبعين رجلًا .

منى : ما هو مصير أُبَيّ بن خلف ، الذي كان يعلن في مكة : يا محمد ، أن عندي العَوذ فرسًا أَعْلِفهُ كل يوم فَرقًا من ذُرة أقتلك عليه ، فيقول رسول اللَّه ﷺ : « **بل أنا أقتلك إن شاء اللَّه** » [(٢)] .

الوالدة : حينما أُشيع أن رسول اللَّه ﷺ قد قُتِل ، فتَّ في عضد الناس : بعضهم ترك أرض المعركة ، والبعض الآخر جلس يبكي ، في هذه الأثناء صاح كعب بن مالك ، وقد شاهد رسول اللَّه ﷺ على قيد الحياة : يا معشر المسلمين ، هذا رسول اللَّه . فأشار رسول اللَّه ﷺ أن اصمت ؛ حتى لا ينتبه المشركون إلى أنه على قيد الحياة ، فيكروا عليه ، ولكن ما كان يخشاه قد وقع [(٣)] .

بلال : ماذا فعل رسول اللَّه ﷺ وأصحابه إزاء هذا الموقف الصعب ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ - ص ١٠٤) . (٢) المرجع السابق (ص٦٩) .

(٣) المرجع السابق (ص٦٩) ، المغازي ، الذهبي (ص١٧٨) .

الوالدة : لما اشتد هجوم المشركين على رسول اللَّه ﷺ ، نتيجة هذا النداء - تجمع حوله المسلمون يستميتون في الذود عنه ، وكانت الخطة الاحتياطية : أن أَلْبَسَ رسول اللَّه ﷺ ثياب الحرب لكعب بن مالك ، وأعطاه لأمته ؛ لصرف العدو عنه . وخلال لحظات توجهت الضربات لكعب بن مالك ، حتى بلغت عشرين جرحًا ، وهم يحسبونه رسول اللَّه ﷺ .

احمد : يا له من ثبات أشد من الجبال الرواسي ، من رسول اللَّه ﷺ والصفوة المختارة ! ويا لها من خطة عظيمة أعادت شتات الجيش الإسلامي ، وحطمت هجوم العدو واحتلت المواقع العليا من ساحة المعركة ، وحالت دون تقدم المشركين شبرًا واحدًا نحو المدينة [١] !

الوالدة : وبينما رسول اللَّه ﷺ يتجه نحو الشعب ؛ ليتخذ موقعًا لمواصلة الجهاد هو وأبو بكر الصدِّيق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد اللَّه ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمَّة ، ورهط من المسلمين ، بعد أن كسروا الطوق الذي كان يريد المشركون فرضه حول النبي ﷺ والجيش الإسلامي - لإفنائه - أدركه أُبَيُّ بنُ خَلَف .

وقبل أن نعرض لكيفية مصرع أبي بن خلف بيد النبي ﷺ ، أود أن أذكر : بينما كان رسول اللَّه ﷺ وأصحابه في الشعب ، علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **اللَّهم لا ينبغي لهم أن يعلونا** » فانطلق عمر وإخوانه ﷺ يقاتلونهم حتى أهبطوا المشركين من الجبل . وبعدها صلى الرسول محمد ﷺ الظهر بأصحابه ، قاعدًا من الجراح التي أصابته وكذلك الصحابة [٢] .

(١) فقه السيرة ، الغضبان (ص ٣٠٥) .

(٢) كُسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشُجَّ في وجهه ، فجعل يمسح الدم ، ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى اللَّه فأنزل اللَّه ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] . وقيل أيضًا : إن ابن قمئة الحارثي رمى رسول اللَّه ﷺ بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلقت طائفة أخرى إلى فوق الجبل ، وجعل رسول اللَّه ﷺ يدعو الناس : « **إليَّ عباد اللَّه إليَّ عباد اللَّه** » فاجتمع إليه ثلاثون رجلًا ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة فرُمي بسهم في يده فيبست يده .

وفشا في الناس أن رسول اللَّه ﷺ قد قتل فقال ، بعض أصحابه : ليت لنا رسولًا إلى عبد اللَّه بن أبي ، فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان . يا قوم ، إن محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قد قتل ، فإن رب محمد لم يُقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ . اللَّهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، ثم شد بسيفه ، فقاتل حتى قتل : السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١) .

أحمد : معذرة يا والدتي ، هنا مسألة تحتاج إلى لفت نظر ، وهي أهمية الصلاة ، رغم ما نزل بالصحابة والرسول من الإصابات والمصائب - لم ينسوا الصلاة ، ولم يقصروا فيها ؛ بل على العكس ، سارعوا إليها ؛ لأنه لا يجوز التقصير فيها ؛ لأنها عمود الدين ، ولأن الرسول ﷺ كان إذا أحزنه شيء فزع إلى الصلاة . كما أن الرسول محمدًا ﷺ كان حريصًا في دبر المعركة ، أن يصُفَّ إخوانه خلفه ، وأن يدعو الله ﷻ ؛ لأنه لا يرد البلاء إلا الدعاء .

الوالدة : تمامًا يا أبا رحمة . وفي هذا توجيه لأمة الإسلام في محنتها المعاصرة : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم . ولعلكم تدركون أن عمر بن الخطاب ﷺ حينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي ، وهو يؤم المسلمين لصلاة الفجر ، كان كل همه بعد أن أفاق من غشية نزلت به : « هل صلى المسلمون ؟ » .

نعود مرة أخرى لمقتل أبي بن خلف [1] : لما صعد رسول الله ﷺ في الشعب ، أدركه أُبَيّ بن خلف ، وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا . فقال القوم من الصحابة : أيعطف عليه رجل منّا ؟ .

فقال رسول الله ﷺ : « **دعوه** » فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث ابن الصمة ، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايرنا عنه تطايُر الشَّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله ، وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة البيضة والدرع ، فطعنه فيها طعنة تدَأْدَأَ - تدحرج - منها عن فرسه مرارًا ، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشًا غير كبير ، فاحتقن الدم قال : « قتلني واللّهِ محمد » .

قالوا : « ذهب والله فؤادك ، والله إن بك من بأس » قال : « إنه قال لي بمكة : « **أنا أقتلك** » ، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني » فمات عدو الله « أُبَيّ بن خلف » بِسَرِف وهم قافلون به إلى مكة (راجعون) . هذه هي قصة مقتل أُبَيّ بن خلف . وصدق الله القائل : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

أسامة : معذرة يا أمي ، لقد طال بنا الحديث ، حتى نسينا في غمرته قصة الشهيد الذي غسلته الملائكة . فمن هو ؟

بلال : أنا أعرفه ، إنَّه حنظلة بن أبي عامر ، الذي تزوج من جميلة بنت أبيٍّ بن سلول ،

---

(١) الرحيق المختوم (ص ٣٢٢ - ٣٢٣) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص ٩٧) ، مختصر سيرة الرسول (ص ١٢٢) ، سيرة ابن هشام (ج ٢ ، ص ٧٤) ، السيرة النبوية (ج٣ ، ص٦٤ ، ٦٩) ، المغازي ، الذهبي (ص١٧٩) .

وكانت عروسًا عليه ، تلك الليلة ، فقالت : خرج وهو جُنب ، حين سمع الهاتفة للجهاد . وفي ميدان القتال ، تمكن من أبي سفيان بن حرب ، فلمَّا علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود المشرك ، فضربه وقتله ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن صاحبكم تغسله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه** »[1] .

عمار : اللَّه أكبر يخرج إلى الجهاد في يوم عرسه ، ويهبه اللَّه الشهادة ، يرتع في رياض الجنة ، بين الحور العين ، إلى حين تلحق به زوجه ، فتصبح هي زعيمة للحور العين . اللَّهم ارزقنا الشهادة في سبيلك ، ولا تحرمنا من مشاهدة حنظلة غسيل الملائكة .

سمية : ولا تحرمني من مشاهدة زوجه جميلة ، التي صبرت . واحتسبت زوجها ، الذي لم يمض معها سوى ليلة واحدة يوم عرسها .

الجميع : آمين .. آمين .

سمية : لماذا كان رسول اللَّه ﷺ حريصًا على الدعاء بعد معركة أحد ، ومواراة الشهداء أجداثهم ؛ لقد أمر أصحابه : « **استووا حتى أثني على ربي** ﷻ » فصار الصحابة خلفه صفوفًا ؟ .

احمد : لأن اللَّه علمهم : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [غافر : ٦٠] ، ولأن الرسول ﷺ علمهم وعلم الأمة : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفطر ، والمظلوم يرفع اللَّه دعوته فوق الغمام ، ويقول : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** » . كما أن رسول الإسلام علمهم : « **لا يرد البلاء إلا الدعاء** » اللَّهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

هبة : ماذا قال الرسول ﷺ في دعائه وأمن الصحابة عليه ؟ ونريد أن نُؤَمِّنَ نحن معك يا والدتي .

الوالدة : قال رسول اللَّه ﷺ : « **اللَّهم لك الحمد كله اللَّهم لا قَابِضَ لما بَسَطْتَ ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مُقَرِّب لما باعدت ، ولا مُبعد لما قربت . اللَّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك .**

اللَّهم إني أسألك النَّعِيم المُقِيم الذي لا يحول ولا يزول . اللَّهم إني أسألك العَوْن يوم العَيْلَة ، والأمن يوم الخوف . اللَّهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا . اللَّهم

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤١) .

حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللَّهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين . اللَّهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللَّهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » [١] .

الجميع : آمين . . آمين . . يا رب العالمين .

عمر : قرأنا في كتب السيرة ، أن حمزة بن عبد المطلب ، قد أبلى بلاءً حسنًا في معركة أحد قبل أن يُقتل ، هل يمكن لنا أن نعرف دوره في المعركة ؟ ومن قتله ؟ وكيف حدث هذا رغم أن حمزة بن عبد المطلب لم يكن يقف أمامه أحد ؟ .

الوالدة : ذكر ابن هشام : وقاتل حمزة حتى قَتَل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد الذين حملوا لواء المشركين ، ثم مرَّ به سباع بن عبد العزَّى ، فقال له حمزة رضي الله عنه : هلمَّ إليَّ يا ابن مقطعة البظور (وكانت أمه خَتَّانَة بمكة) فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

في هذه اللحظة كان وحشي ، غلام جُبَيْر بن مُطْعم ، يتربص به ليغتاله ، لا ليبارزه . وقد ذكر ابن هشام على لسان وحشي : « واللَّه إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ، ما يُبقي به شيئًا ، مثل الجمل الأَوْرَق ، إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى (مشرك) فقال له حمزة : هلم إليَّ يا بن مقطعة البظور ، فضربه ضربة كأنما أخطأ رأسه » [٢] .

وهززت حربتي (والكلام لوحشي العبد الحبشي) ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت عنها ، دفعتها عليه ، فوقعت في ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل (أي حمزة) نحوي فَغُلب ، فوقع ، وأمهلته ، حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحيت إلى المعسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره (يعني كل مهمته هو اغتيال حمزة لحساب هند بنت عتبة) ، وقد أعتقته هند بنت عُتْبة حينما رجع إلى مكة .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، وصدق رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم « **سيد الشهداء حمزة** » .

عمر : مما لا شك فيه أن الصحابة ورسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ، قد حزنوا عليه حزنًا شديدًا .

الوالدة : حقيقة ، كان عليهم أن يحزنوا ، ونحن أيضًا ؛ كُلما قرأنا خبر حمزة رضي الله عنه حزنا عليه حزنًا شديدًا ، وخاصة أنه قُتِل غَيْلَة ، ولكن لكل أجل كتاب ، ويكفي أنه

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٧٧) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ : ٣٦ - ٣٨) ؛ المغازي الذهبي (ص١٨٧) .

شهيد حيٌّ يُرزق في الجنة ، كما أخبر رب العالمين .

علي : إن وحشيًا لم يكتف بقتل حمزة ، إنما مثَّلَ به أيضًا .

الجدة : وحشي لم يُمَثِّل بحمزة ، إنما الذي مثَّلَ به هند بنت عتبة ، **التي بقرت بطنه ، وأخرجت كبده ، وحاولت أن تلوك جزءًا منها ، ثم لفظتها ، ويُقال : إنها قطعت أنفه وأذنيه** [١] ، وكذلك أنوف بعض الصحابة ، وآذانهم ، وصنعت منها عقدًا ، لهذا فإن رسول الله ﷺ أمر الزبير بن العوام ، أن يُرْجِع أمه صفية بنت عبد المطلب ؛ لئلا ترى ما حل بأخيها حمزة ، فقال لها : يا أمِّ ، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي ، قالت : وَلِمَ وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي وذلك في الله ؟ فما أرضانا ما كان من ذلك ، ولأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك ، قال : « **خلِّ سبيلها** » فأتته (أتت حمزة) فنظرت إليه واسترجعت واستغفرت [٢] .

الأولاد : نسأل الله أن يكون قد آجرهم في مصائبهم خيرًا ، ويكون قد أبدلهم خيرًا منها ، وأن يتقبل حمزة في الشهداء ، وأن لا يحرمنا من الشهادة في سبيله ، آمين .

الجدة : ثم أمر رسول الله بحمزة فدفن ، ودفن معه ابن أخته عبد الله بن جحش (أمه أميمة بنت عبد المطلب) وكان قد مُثِّلَ به رضي الله عنه أيضًا .

وقد روي أن عبد الله بن جحش ، دعا الله يوم أحد : اللَّهم إنِّي أقسم عليك أن ألقى العدو غدًا فيقتلوني ، ثم يبقروا بطني ، ويجدعوا أنفي وأذني ، ثم تسألني : بم ذاك ؟ فأقول : فيك . قال سعيد بن المُسَيِّب : إني لأرجو أن يَبرّ الله آخر قسمه ، كما بر أوله [٣] .

عمَّار : معذرة يا جدتي ، أود أولًا أن أسأل : هل أسلم وحشي قاتل حمزة بعد ذلك ؟ وكيف عامله رسول الله ﷺ ؟ .

الوالدة : سؤال جيد في موضعه ، حينما فتح رسول الله ﷺ مكة ، هرب وحشي إلى الطائف ، وحينما خرج وفد من الطائف باتجاه المدينة المنورة ، لمقابلة رسول الله ﷺ احتار وحشي ، ماذا يفعل وإلى أين يذهب ، فقال له رجل : ويحك إن محمدًا - والله ما يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه (الإسلام) وشهد شهادته .

فما كان من وحشي إلا أن سافر إلى المدينة ، حتى قدم على رسول الله ﷺ ،

(١) وقيل : إن حمزة بن عبد المطلب ، قد بُقر بطنه ، وحُملت كبده ، احتملها وحشي ، وقد قتله ؛ فذهب بكبده إلى هند بنت عتبة في نذر نذرته .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٨١ ، ٨٣) ، المغازي ، الذهبي (ص٢٠٨ - ٢٠٩) .

(٣) المغازي ، الذهبي (ص١٨٥) .

ووقف على رأسه ، وهو يتلفظ بشهادة الحق « أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدًا رسول اللّه » . فلما رآه رسول اللّه ﷺ قال : « **أوحشي ؟** » فقال وحشي : نعم يا رسول اللّه ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **اقعد ، فحدثني كيف قتلت حمزة** » فقص عليه الخبر ، فلما فرغ من حديثه ، قال له رسول اللّه ﷺ : « **ويحك غَيِّب عنِّي وجهك فلا أرينَّك** » .

عمار : أي أن الشهادتين قد عصمتا دمه ؛ إنها عظمة الإسلام ؛ فرسول اللّه ﷺ قال ما معناه : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ؛ فإن قالوها ، عصموا دماءهم وأموالهم إلَّا بحقها .

الوالدة : نعم ، بقيت كلمة ، وهي أن وحشيًّا ظلَّ يحس بوطأة الجريمة ، التي ارتكبها ، وكان ينتظر الفرصة لكي يكفر عن جريمته ، وقد واتته الفرصة في حروب الردة ، حينما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكَذَّاب [١] صاحب اليمامة ، وخرج معهم . وقام وحشي بتسديد حربته إلى مسيلمة الكذاب [٢] ، في الوقت الذي كان رجل من الأنصار يريد قتل مسيلمة الكذاب ، وتحقق الهدف بفضل اللّه .

سمية : هل يمكن أن تقصي عليَّ قصة استشهاد مصعب ؟ .

بلال : نريد يا جدتي أن نتعرف على **نماذج من الرجال الذين استشهدوا في غزوة أُحد** .

الوالدة المعلمة (الجدة) : على الرحب والسعة . يقول اللّه تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ومن هؤلاء **عمرو بن الجموح** .

كان عمرو بن الجموح أعرجَ شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأُسْد ، يشهدون مع رسول اللّه ﷺ المَشَاهد . فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا : إن اللّه قد عذرك . فأتى رسول اللّه ﷺ وقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فواللّه إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة .

فقال رسول اللّه ﷺ : « **أما أنت قد عذرك اللّه ، فلا جهاد عليك** » وقال لبنيه : « **ما عليكم أن لا تمنعوه ؛ لعل اللّه أن يرزقه الشهادة** » [٣] . فخرج معه فقُتل يوم أحد رضي الله عنه .

---

(١) سيرة ابن هشام (ج٣ ، ص ٥٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٦ - ٣٨) .
(٢) المرجع السابق (ص ٥٤) .
(٣) المغازي ، الذهبي (ص١٨٥) ، السيرة النبوية (ج ٣ ص ٧٣ - ٧٤) .

الأبناء : شيء عظيم ، الصحابي له أربعة أبناء يجاهدون مع رسول اللَّه ﷺ ، وهو أعرج ؛ ولكنه رغم ذلك يلحُّ في أن يجاهد معهم ، رغم أنه أعرج ومعذور ؛ لعل اللَّه يغنمه الشهادة ، وَوَسَّط الرسول محمد ﷺ لدى أولاده ، فوافق الأبناء وشارك الأب في القتال في أُحد ، فغنمه اللَّه الشهادة .

الجدة : تمامًا يا أبنائي .

أسامة : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ومن هؤلاء **سعد بن الربيع الأنصاري** (١) ، أحد النقباء ليلة العقبة ﷺ ، وقد آخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف .

بعد انتهاء المعركة وفرغ الناس لقتلاهم ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **من رجل ينظر إليَّ ما فعل سعد بن الربيع ، أفي الأحياء أم في الأموات** » فقال رجل من الأنصار - لعله محمد بن مسلمة ، وقيل : زيد بن ثابت - : أنا ، فنظر فوجده جريحًا في القتلى ، وبه رمق .

قال : فقلت له : إن رسول اللَّه ﷺ أمرني أن أنظر : أفي الأحياء أنت أم في الأموات . فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول اللَّه سلامي ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك اللَّه عنا خير ما جازى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند اللَّه إن خَلُصَ إلى نبيكم ، وفيكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات .

إبلال : جزاك اللَّه عنَّا خيرًا يا عمي ، ذكرتنا بالخير ، وكأني بإخواني وأخواتي وأمهاتنا وآبائي وأمهاتي ، الذين يستشهدون على أرض بيت المقدس ، وعلى أرض العراق - يبلغوننا نفس الرسالة : لا عذر لكم عند اللَّه إن خَلُصَ إلى إخوانكم وأخواتكم وآبائكم ، على أرض بيت المقدس ، وعلى أرض العراق ، وغيرها من ديار الإسلام ، ولكم عين تطرف ، لا عذر لكم عند ربكم ، إن خلص إلى دين الإسلام وفيكم عين تطرف .

أسامة : جزاك اللَّه خيرًا ، وربنا يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل . كم كانت خسارة المشركين من الرجال !

محمود : معذرة يا أسامة ، هناك رواية أخرى مهمة تتصل بالصحابي سعد بن الربيع .

أسامة : تفضل يا أبا نور الدين .

محمود : روي عن زيد بن ثابت ، أن النبي ﷺ بعثه يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ،

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٧٨) .

وقال له : « **إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له : يقول لك رسول اللَّه : كيف تجدك ؟** » .

وجعلت أطوف بين القتلى ، فأصبته ، وهو في آخر رمق ، وبه سبعون ضربة ، فقلت : « إن رسول اللَّه يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : « **خبِّرني كيف تجدك ؟** » .

قال : على رسول اللَّه السلام ، وعليك ، قل له : يا رسول اللَّه ، أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند اللَّه إن خلص إلى رسول اللَّه شُفْرٌ (أصل منبت الشعر في الجفن) يَطْرِف . قال : وفاضت نفسه [1] .

أسامة : جزاك اللَّه خيرًا .

الوالدة : قُتل منهم اثنان وعشرون وأُسِر منهم أبو عَزَّة الجمحي ، وقتل صبرًا بين يدي النبي ﷺ [2] . والآن جاء دورك يا أسامة ؛ لتعرض لنا صورًا من بطولات الصحابيات والصحابة - رضوان اللَّه عليهم - أجمعين .

أسامة : أذكر ابتداءً أن المهاجرين والأنصار رجالًا ونساءً وفتيانًا وفتيات ، قد بايعوا رسول اللَّه ﷺ على أن يعبدوا اللَّه ولا يشركوا به شيئًا ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأموالهم وأولادهم ، وفهموا أن مقتضيات العبودية للَّه رب العالمين : إقامة الدين ، ونصرة محمد ﷺ ، ودين محمد ﷺ ، وأمة محمد ﷺ ، وجهاد الكافرين ، وأن القيام بهذه المهمات قد يترتب عليه ابتلاء في النفس والمال والولد . لهذا باعوا أنفسهم للَّه في مقابل جنة عرضها السماوات والأرض . يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وقد جاء وقت الوفاء بالعهود في أُحد ، فكان الوفاء أعظم ما يكون ، امتثالًا لأمر اللَّه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴾ [المائدة : ١] سلموا اللَّه السلعة يسلم لكم الثمن . نلمح ذلك في المواقف التالية : حينما رجع الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة لقيته **حَمْنَة بنت جحش** ، وكانت قد نُعي إليها أخوها عبد اللَّه بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عُمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن**

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص١٨٦) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ١٠٤) .

زوج المرأة منها لبمكان » [١] .

الأولاد : اللَّه أكبر ، تقبل اللَّه شهداء المسلمين ، وجزاهم اللَّه عنَّا خيرًا ؛ لأنهم ضحوا في سبيل هذا الدين الإسلامي الذي أكرمنا اللَّه به .

أسامة : **النموذج الآخر امرأة من بني دينار نُعي إليها أخوها وأبوها وزوجها** ، فلما نُعوا لها استرجعت واستغفرت لهم ورضيت بقضاء اللَّه ؛ ولكنها قالت : ما فعل رسول اللَّه ﷺ ؟ (أي تريد أن تطمئن على قائد الدعوة الإسلامية) . قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد اللَّه ، كما تحبين ، قالت : أَرُونيه حتى أنظر إليه ، فأشاروا لها إليه ، حتى إذا رأت رسول اللَّه ﷺ ، قالت : كلّ مصيبة بعدك جَلَل (أي طالما أنت يا رسول اللَّه بخير ، طالما الدعوة الإسلامية مستمرة ؛ فكل مصيبة حتى لو كانت في النفس أو الأخ أو الزوج بسيطة) [٢] .

عمار : معذرة يا جدتي ، لم أسمع شيئًا في هذا اللقاء عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، أين هما من التضحيات التي قدمها الصحابة ؟ .

الوالدة : كانا موجودين ، ورغم التضحيات الكبيرة التي قدمها صحابة رسول اللَّه ﷺ ، ومقتل حمزة بن عبد المطلب أسد اللَّه وأسد رسوله ﷺ - ظل المسلمون مسيطرين على الموقف كله ؛ فقد قاتل يومئذ أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وطلحة بن عبيد اللَّه ، وعبد اللَّه بن جحش ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وسعد بن الربيع .

علي : هل صلى رسول اللَّه ﷺ وأصحابه على شهداء أُحد يا جدتي ؟

الوالدة المعلمة : أورد الإمام الحافظ ابن كثير في السيرة ، أخبارًا تفيد أن النبي ﷺ قد صلى على شهداء أحد ، ولكن الأخبار التي ذكرت ذلك ضعيفة السند ، وفيها غرابة . إلا أن الخبر الذي أورده الإمام الحافظ ، عن البخاري ، بسند صحيح عن جابر ابن عبد اللَّه ، أخبره أن رسول اللَّه ﷺ كان يجمع بين الرجلين ، من قتلى أحد ، في ثوب واحد ثم يقول : « **أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟** » فإذا أشير له إلى أحدهما ، قدمه في اللحد ، وقال : « أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة » وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصلِّ عليهم ولم يغسلوا .

كما أورد رواية عن الإمام أحمد ، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في قتلى أحد :

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٩٣) .
(٢) المغازي ، الذهبي (ص٢١٧) .

« **فإن كل جرح أو كل دمٍ ، يفوح مسكًا يوم القيامة** » ولم يُصلِّ عليهم .

محمود : ولكن يا جدتي ، بارك الله عليك وحفظك من كل سوء ، أورد الإمام الحافظ أيضًا في السيرة ، أن رسول الله ﷺ قد صلى عليهم بعد ذلك بسنين طويلة ، قبل وفاته بيسير ، وذلك نقلًا عن الإمام البخاري .

أسامة : نعم ، لقد صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد ، بعد ثماني سنوات ، كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر ، فقال : « **إني بين أيديكم فَرَطٌ ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحَوضُ ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ؛ ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها** » .

الوالدة : جزاك الله خيرًا يا أبا حنفي ، لقد أضفت إلينا شيئًا ، لم ننتبه إليه من قبل . بقيت كلمة : من الثابت أن رسول الله ﷺ أمر بنزع الحديد والجلود عن الشهداء . ولم يغسلوا ؛ بل دفنهم بجراحهم ودمائهم ، وقال ﷺ : « **ما من جريح يُجرح في سبيل الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمي جرحُه ، اللون لونُ دم ، والريح ريح مسك** » .

كما ثبت عنه ﷺ أنه كان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللحد الواحد ، وقال : « **احفروا ووسِّعُوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد** » ، وكان يأمر بتقديم أكثرهم قرآنًا . كما أنه ﷺ أمر بأن يُدفن الشهداء ، حيث صُرعوا . وجاء هذا التوجيه حين بلغه أن عبد الله والد جابر ، قد حُمل ليدفن بالمدينة ، أن يرده وقال : « **والذي نفسي بيده لا يُدفن إلا مع إخوته** » فدفن مع أصحابه بأحد [1] .

رحمة : ما للشهيد عند ربه يا جدتي ؟ .

الوالدة المعلمة : أورد الإمام الحافظ جملة أحاديث عن فضل الشهادة ، رواها جابر بن عبد الله ﷺ قال : نظر إليَّ رسول الله ﷺ ، فقال : « **ما لي أراك مُهتمًا** » قال : قلت : يا رسول الله ، قُتل أبي وترك دينًا وعيالًا [2] .

فقال : « **ألا أخبرك ؟ ما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحًا ، وقال له : يا عبدي ، سلني أعطك . فقال : أسألك أن تردني إلى الدنيا ، فأقتل فيك ثانية ، فقال : إنه قد سبق مني القول ، أنهم إليها لا يرجعون . قال : فيارب فأبلغ من ورائي** » . فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] [3] .

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٨١ ، ٨٢) . (٢) المرجع السابق (ص ٨٨) .

(٣) السيرة النبوية (ج٣ ص٨٨) .

وقد سئل عبد اللّه بن مسعود ، عن قول اللّه ﷻ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : « أما إنّا قد سألنا عن ذلك رسول اللّه ﷺ فقال : « **أرواحُهم في جوف طيرٍ خُضْر ، تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلّقة بالعرش ، قال : فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم ربك اطلاعة ، فقال : اسألوني ما شئتم فقالوا : يا ربنا وما نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أن لن يُتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نسألك أن تردَّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا ؛ نُقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأي أنهم لا يَسْألون إلا هذا تُركوا** » [1] .

الأولاد : رحمة اللّه على صحابة رسول اللّه ﷺ ، اللّهم ارزقنا الشهادة في سبيلك يا رب العالمين .

رحمة : جزاك اللّه خيرًا يا جدتي .

الوالدة : وجزاك اللّه خيرًا يا رحمة . بقيت « كرامة » لا بد وأن تُذكر للشهيد ، تتضح مما رواه الإمام الحافظ : « لما أجرى معاوية العينَ عند قتلى أُحد بعد أربعين سنة ، استُصْرِخْنَا إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المِسْحاة قدم حمزة ، فانبعث دمًا . وفي رواية : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس . وفي رواية عن جابر : وحفرنا عنهم فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائم على هيئته ، ووجدنا جاره في قبره عمرو بن الجموح ، ويده على جرحه ، فأزيلت عنه فانبعث جُرحهُ دمًا » . وقيل « إنه فاح من قبورهم مثلُ ريح المسك رضي اللّه عنهم أجمعين ، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا » ، انتهى كلام الإمام الحافظ [2] .

الأولاد : جزاكم اللّه خيرًا يا جدتنا .

الجدة : وجزاكم .

منى : ولكن ما علاقة غزوة أحد بغزوة حمراء الأسد ؟ وأين تقع الأخيرة [3] ؟ .

الوالدة : هل يمكن أن تُجيب عن هذا السؤال يا أسامة ؟ .

أسامة : نعم ، حينما انسحب كفار قريش بعد معركة أحد ، توقفوا في الطريق إلى مكة ، وتلاوموا ؛ لأنهم لم يحققوا نصرًا يُذكر ؛ لأن القيادة المسلمة على قيد الحياة : لم

(١) المرجع السابق (ص ٩٠ - ٩١) .
(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٨٦ - ٨٧) .
(٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٩٧ - ١٠٣) المغازي ، الذهبي ، (ص٢٢٣ - ٢٢٨) .

تصنعوا شيئًا ، أصبتم شوكةَ القوم وحدَّهم ثم تركتموهم ولم تبتروهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم .

وبينما يهم القوم بالعودة إلى المدينة ، وقد أجمعوا العودة إلى رسول اللَّه ﷺ ، وأصحابه وقالوا : أصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟ لَنكُرنَّ على بقيتهم ، فلنفرغَنَّ منهم ، لقيهم مَعْبد بن أبي مَعْبد الخزاعي ، فلما رآه أبو سفيان ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرَّقُون عليكم تحرُّقًا ، قد اجتمع معه من كان تخلف في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط . قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : واللَّه ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل .

قال أبو سفيان : فواللَّه قد أجمعنا الكرَّة عليهم ؛ لنستأصل بقيتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك .

ففتَّ ذلك في عضد أبي سفيان قائد جيش المشركين ، حينذاك ، وقرروا مواصلة العودة إلى مكة ،ومر بهم ركب من عبد القَيْس في طريقهم إلى المدينة ، يطلبون الميرة ، فقال لهم أبو سفيان : « هل أنتم مبلغون عني مُحمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأُحمِّلكُم على إبلكم هذه زبيبًا بعكاظ إذا وافيتموهم ؟ » قالوا : نعم .

قال : فإذا وافيتموه ، فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه ، وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فمر الركب برسول اللَّه وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : « **حسبنا اللَّه ونعم الوكيل** » [١] .

منى : يعني حربًا إعلامية يشنها الطرفان ، ولكن حرب النبي ﷺ الإعلامية ، كانت مؤيدة من اللَّه ﷻ ؛ نرى ذلك في تراجع جيش المشركين عن تهديدهم بالعودة إلى المدينة ، ومواصلة السير إلى مكة .

الوالدة : للَّه الحمد والمنة ، والدليل على ما تقولين : ما رواه ابن عباس ، عندما سمع النبي ﷺ يقول : « **حسبنا اللَّه ونعم الوكيل** » ، قال : قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

---

(١) كانت خزاعة ؛ مسلمهم وكافرهم ، موضع سر رسول اللَّه ﷺ وهم محالفون له . السيرة النبوية (ج٣ ، ص٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠) المغازي ، الذهبي (ص٢٢٥) .

نهال : هل مَعْبد هذا ابن أم مَعْبد الخزاعية ، التي مر بها رسول الله محمد ﷺ وأبو بكر ﵁ في حادثة الهجرة من مكة إلى المدينة ؟ .

الوالدة : نعم .

نهال : ما الذي دفع مَعْبدًا إلى القيام بدور تخذيل أبي سفيان ، وجيش المشركين ، عن العودة إلى المدينة ؟ .

الوالد : لقد مرَّ مَعْبد برسول الله ﷺ ، وهو مقيم بحمراء الأسد ، في طريقه للحاق بأبي سفيان وقومه ، فقال : « يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . فأراد مَعْبد أن يفت في عضد أبي سفيان ، وجيش قريش ، فقال ما قال ونجح في صرف جيش قريش عن العودة إلى المدينة . وصدق الله القائل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

بَقِيت كلمة ... حمراء الأسد تقع على بعد ثمانية أميال من المدينة ، وكانت هذه الغزوة يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال .

شيرين : ولكن يا والدتي ، ما هي الأسباب التي دفعت رسول الله ﷺ والمسلمين ، غداة يوم أحد ، رغم ما بهم من القرح والجراح - إلى الخروج في أثر أبي سفيان ؟ .

الوالدة : خشي رسول الله ﷺ أن يرجع أبو سفيان وجيش المشركين ، لمهاجمة المدينة ؛ فقرر ، رغم ما به وأصحابه من شدة القرح ، الخروج في طلب العدو ؛ ليسمع بذلك فيفت في عضده . وقال رسول الله ﷺ : « **لا ينطلق معي إلا من شهد القتال** » ؛ في أحد ، فقال عبد الله بن أُبيّ (الذي انسحب بثلاثمائة من الجند عند بداية معركة أُحُد) : أنا راكب معك . فقال رسول الله ﷺ : « **لا** » .

واستجاب الصحابة الذين شهدوا أُحُدًا فانطلقوا معه على شدة ما بهم من البلاء ؛ وفيهم يقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

شيرين : وذلك يعني يا والدتي أن رسول الله ﷺ والصحابة ، خرجوا ؛ إرهابًا للعدو ؛ ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

الوالدة : تمامًا يا أم جنة .

شيرين : معذرة يا والدتي ... بقيت مسألتان ، بل ثلاثة ، تتعلق بما سمعته الآن ، فيما يتصل بهذه الواقعة ، المنافقون وعدم السماح لهم بالخروج .

أحمد : أنت تريدين هذا اللقاء لحسابك ، دعي الفرصة لغيرك ، ودعي الوالدة تكمل الأحداث مترابطة .

الوالدة : دعها يا أحمد . بالنسبة لعدم سماح النبي ﷺ ، للمنافقين الذين لم يحضروا أُحُدًا – بالخروج معه ، ردَّ اللَّه على ذلك : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة : ٤٧] .

شيرين : لم يتخلف أحد رغم ما بهم من الجراح ؟ .

الوالدة : نعم ، والدليل ما روي أن رجلًا من بني عبد الأشهل ، قال : « شهدت أحدًا أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مُؤذِّن رسول اللَّه بالخروج في طلب العدو قلت لأخي ، وقال لي : أتَفُوتنا غزوة مع رسول اللَّه ﷺ ؟ ! واللَّه ما لنا من دابة نركبها وما منَّا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ وكنت أيسر جُرحًا منه ، فكان إذا غُلب حَملته عُقبة ومشى عُقبة (نوبة) ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون (أي حمراء الأسد) »[1] .

رحمة : قرأت في كتب السيرة يا جدتي أن الرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يُقاتل حمية ، فسئل ﷺ : أيهما في سبيل اللَّه ؟ أجاب : « **من قاتل ؛ لتكون كلمة اللَّه هي العليا** » . وقرأت أن هناك رجلًا اسمه قزمان ، قاتل قتالًا شديدًا في أُحد ، ثم قُتل ، فأخبر عنه رسول اللَّه ﷺ أنه من أهل النار ، وكيف أفسر ذلك يا جدتي ؟ .

الوالدة : هذا سؤال جيد يدل على أهمية الاطلاع الحرّ .

قُزْمَان هذا قاتل في أُحد قتالًا شديدًا ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتُملَ إلى دار بني ظفر ، فجعل رجال من المسلمين ، يقولون له : « واللَّه لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر » . قال قزمان : « بماذا أُبَشَّر ؟! فواللَّه إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت » قال : فلما اشتدت عليه جراحته ، أخذ سهمًا من كنانته فقتل به نَفْسَه . أي أنه ما قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا ؛ لم يقاتل في سبيل اللَّه ، قاتل حمية لقومه ، كما أنه لم يصبر على جراحاته ، فقتل نفسه من أجل هذا ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنه من أصحاب النار** »[2] .

الأبناء : اللَّهم ثبتنا يا اللَّه على كلمة التوحيد ، وارزقنا الإخلاص في القول والعمل .

---

(١) المرجع السابق (ص ٩٨) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٧١ – ٧٢) .

الوالدة : نعم يا أبنائي ؛ لأن مناط قبول الأعمال النية والإخلاص ، وأن يكون العمل صوابًا .

رحمة : جزاك اللّه خيرًا ، يا جدتي ، ورزقنا وإياك الإخلاص في القول والعمل .

سارة : لو أذنت لي يا جدتي ، هناك سؤال يطرح نفسه ، هل مُخَيريق اليهودي الذي قاتل في أحد مع المسلمين ، من أهل الجنة ؟ .

الوالدة : ما شاء اللّه ، البنات بدأن يقرأن ، ويستوعبن ، ولعلَّها استجابة للدعاء : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

سؤال جيد . كان مُخَيْرِيق أحد بني ثعلبة بن الفطْيُون ، فلما كان يوم أحد ، قال : يا معشر اليهود ، واللّه لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حق ، قالوا : اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعُدته ، وقال : إن أصبت فمالي لمحمد ، يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول اللّه ﷺ ، فقاتل معه حتى قُتل ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **مخيريق خير يهود** » (١) .

لقد عمل عملًا صالحًا ، ووفاء بعهده مع رسول اللّه ، ولكنه لم يسلم ، ولم يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، فاللّه سبحانه سيؤجره على هذا العمل ، ويخفف عنه العذاب بقدر مساندته للمسلمين ، ضد عدوهم ، وماله الذي بلغ سبع حوائط (بساتين) ، بالمدينة المنورة ، ووصى به لقائد الدولة الإسلامية محمد ﷺ ، الذي جعلها بدوره أوقافًا للّه بالمدينة .

ولكي تتضح الصورة ، ويتضح الفارق ، أذكر لكم حادثة أخرى : سأل أبو هريرة رضي الله عنه إخوانه : حَدِّثُوني عن رجل دخل الجنة ، لم يُصَلِّ قط ، فإذا لم يعرفه الناس ، سألوه من هو ؟ فيقول : أُصيْرِم بني عبد الأشْهل ، عمرو بن ثابت . فلمَّا سُئل : كيف كان شأن الأُصَيْرِم ، قال : كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد ، بدا له ، فأسلم ، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراح .

قال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل ، يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : واللّه ، إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ، أحَدبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال :

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٧٢) .

بل رغبة في الإسلام ؛ آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، وغدوت مع رسول الله ﷺ ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني . فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « **إنه من أهل الجنة** » [١] .

الأولاد : سبحان الله ! إن العبرة بالخواتيم .

الجدة : ليس هذا فحسب ، ولكن الإسلام شرط في دخول الجنة . هذا الرجل أسلم ، وانطلق يجاهد أعداء الله ، وينصر دينه ورسوله وأمة محمد ﷺ ، أي أنه قاتل في سبيل الله ، فقُتِلَ ، فاستحق الجنة ، رغم أنه لم يصلِّ لله ركعة واحدة .

رحمة : جزاكِ الله خيرًا ؛ يا جدتي ، ونسأل الله أن يوفقنا لإخلاص النية وحسن العمل .

أحمد : قرأت يا جدتي ، أن الإمام الحافظ ابن كثير ، ذكر : ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أُحد .

الجدة : نعم يا أحمد ، روى أحمد عن ابن عباس ، أنه قال : ما نصر الله في موطن كما نصر يوم أُحد ، قال : فأنكرنا ذلك . فقال : بيني وبين من أنكر ذلك ، كتاب الله . إن الله يقول في يوم أحد : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] يقول ابن عباس : والحس القتل ، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

وواصل ابن كثير تفصيل الخبر : إلى أن صاح الشيطان ، وقال : قُتِل محمد ، فما زلنا كذلك ، ما نشك أنه حَقٌّ ، حتى طلع رسول الله ﷺ ، بين السعدين ، نعرفه بِتَكَفُّيه إذا مشى . قال : ففرحنا ، كأنه لم يصبنا ما أصابنا ، فترقى نحونا وهو يقول : « **اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسول الله** » ويقول مرة أخرى : « **اللَّهم إنه ليس لهم أن يَعْلُونا** » حتى انتهى إلينا [٢] .

« فمكث ساعة فإذا أبو سفيان – وقد تهيأ المشركون للانصراف – يصرخ في أسفل الجبل : أُعْلُ هُبَل ، أُعْلُ هُبَل ، مرتين – يعني آلهته – فنادى : أفيكم محمد ؟ فلم يجيبوه . أفيكم ابنُ أبي قُحَافة ؟ فلم يجيبوه . أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه . فلم يملك عمر نفسه ، أن قال : يا عدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقى الله

---

(١) المرجع السابق (ص ٧٣) .
(٢) السيرة النبوية (ص ٤٦ – ٤٨) .

ما يُحزنك . فقال أبو سفيان : « قد كان فيكم مُثلة ، لم آمُرْ بها ولم تسؤني » .

ثم قال : اعلُ هُبل ؛ فقال النبي ﷺ : « **ألا تجيبونه ؟** » فقالوا : ما نقول ؟ قال : « **قولوا : اللّه أعْلَى وأجل** » . ثم قال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم ، فقالوا : « اللّه مولانا ولا مَوْلى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، والحرب سجال . فأجاب عمر وقال : « لا سواء ، قَتْلانا في الجنَّة وقتْلاكم في النَّار » .

ورغم هذا ، فإن أبا سفيان ما كان يصدق أن محمدًا ﷺ لم يُقتل وهو على قيد الحياة ، فسأل عنه : هلمَّ إليَّ يا عمر ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **ائته فانظر ما شأنه** » فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك اللّه يا عمر ، أقتلنا محمدًا ؟ قال عمر : اللّهم لا ، وإنه ليستمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قَمِئة وأبر [1] .

أحمد : جزاك اللّه خيرًا يا جدتي ، رحم اللّه الإمام الحافظ ابن كثير .

الوالدة : بعد إذن أبي محمد ، الكلمة الآن للمشتغلين بالعُلُوم الشرعية ؛ ليعرضوا لنا ما نزل في سورة آل عمران ، فيما يتصل بمعركة أُحد ، تفضل يا محمود .

محمود : الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ :

والدي ، والدتي ، إخواني ، أخواتي ، لقد أنزل اللّه قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة ، في سورة آل عمران [2] (ستين آية) ، يرسي معالم بارزة في حياة المجاهدين ، وحياة الأمة صاحبة رسالة خير أُمَّة أُخرِجَتْ للناس .

يقول اللّه تعالى مخاطبًا المؤمنين ، لمَّا أصيبوا يوم أُحد ، وقُتل منهم سبعون (من خيار الصحابة) وأصيب النبي ﷺ ووقع على شقه في حفرة حفرها ، أبو عامر الفاسق ، وكسرت رباعيته ، وتهشمت البيضة على رأسه ؛ لقد جرى نحو من ذلك على الأمم الذين كانوا قبلكم ، من أتباع الرسل ، ولكن في النهاية كانت العاقبة للمتقين :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ [3] فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا

---

(١) السيرة النبوية (ص ٤٧ - ٤٩ ، ص ٧٥) .

(٢) آل عمران : (١٢١ - ١٨٠) .

(٣) قرح : جراح .

يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١) ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ (٣) وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧- ١٤٥] .

الوالدة : ما شاء اللَّه ! أدرك الجميع يا محمود أن في هذا البيان القرآني تشجيعًا للجبناء وترغيبًا لهم في القتال ، فإن الإقدام والإحجام ، لا يُنقص من العمر ولا يزيد ، مثال ذلك : عبور المسلمين نهر دجلة سيرًا على الأقدام ، إلى المدائن ، قال رجل من المسلمين - وهو مجد بن عدي - : ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء الأعداء هذه النطفة (يقصد نهر دجلة) ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ، ثم أقحم فرسه دجلة ، فلما أقحم ، أقحم الناس ، فلما رآهم العدو قالوا : ديوانا ديوانا (أي مجانين) وكان فتح المدائن سنة ١٦هـ (٤) .

الأبناء : اللَّه أكبر ولله الحمد ، جزى اللَّه عنّا صحابة رسول اللَّه ﷺ خير الجزاء ، الذين نشروا نور الإسلام في كل مكان ، وضحوا بالغالي والنفيس .

الوالد : أكمل يا شيخ محمود .

محمود : وتتواصل الآيات القرآنية : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨] .

---

(١) المنافقين .

(٢) ليميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أُكرم من أهل الشهادة بالإيمان .

(٣) جاء في سيرة ابن هشام أن رجلًا من قريش مرَّ على رجل من الأنصار ، وهو يتشحط في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمدًا قد قُتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قُتل فقد بلغ ، فقاتلوا عن دينكم . وكان عليٌّ ﷺ يقول في حياة الرسول : واللَّه لا ننقلب على أعقابنا بعد أن هدانا اللَّه . واللَّه لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت .

(٤) ترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية ، خلافة عمر بن الخطاب ، أ . د . محمد بن صامل السلمي . دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ص١٢١ .

بيان من اللَّه ﷻ عن أهمية الصبر ، والثبات ، والمقاومة ، واستمرار مجاهدة الكافرين والظالمين ، والدعاء ؛ فإنه لا يرد البلاء إلا الدعاء ، وهذا ما قام به الرسول القائد ﷺ قبل وأثناء وبعد المعركة ، وهذه هي عوامل النصر .

الوالدة : جزاك اللَّه خيرًا يا أبا حنفي ، وهنا - لو أذنتم لي - آيات سبقت الآيات التي ذكرتها يا محمود ، وهي : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا (٢) مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣- ١٢٧] .

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٣) ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢- ١٣٦] .

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بالمسلمين في أحد ، والبلاء الذي أصابهم : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . أي أن اللَّه أراد أن يرسي قواعد ومعالم في حياة الأمة : أن طاعة اللَّه وطاعة الرسول ﷺ ، توجب نزول الرحمات من اللَّه ﷻ ، وبيان صفات المؤمنين الموحدين ، ومنها : النفقة في السراء والضراء ، وكبح جماح الغيظ ، والعفو عن الناس ، والإحسان ، والذين إذا أذنبوا تذكروا اللَّه ، فاستغفروا ؛ فهو غفّار الذنوب ، وأن أمثال هؤلاء قد أعد اللَّه لهم جنات النعيم .

---

(١) نصركم وأنتم أقل عددًا ، وأضعف قوة منكم في أُحد .

(٢) بقتل ينتقم به منهم .

(٣) أي دارًا ، لمن أطاعني وأطاع رسولي .

الوالد : أعتقد حان الوقت الآن أن ننتقل إلى موضوع آخر من موضوعات سيرة الرسول محمد ﷺ ، ونكتفي بهذا الجزء من استعراضنا لآيات من سورة آل عمران ، التي تُعَقب على أحداث غزوة أحد ، على أن نعرض لها في مناسبات أخرى ، إن شاء اللَّه ؛ لأن كثرة العلم مَضَلّةُ الفهم ، موافقون ؟ .

الأولاد : نعم ، موافقون .

سبحانك اللَّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● ما هي معلوماتك عن أُحُد ؟ متى وقعت غزوة أحد ؟

● ما هي أسباب الغزوة ؟ ومن المعتدي ؟ ومن أين له بتمويل الغزوة ؟

● كم كان عدد أفراد الجيش المعتدي ، وقائده العام ، وقادة سلاح الفرسان ، وتسليحه ؟ .

● كيف علم رسول اللَّه محمد ﷺ ، بخروج جيش مكة ، باتجاه المدينة المنورة ؟ ومتى ؟ وأهمية ذلك ؟ .

● من الذي قرأ الرسالة المُوجهة من مكة إلى رسول اللَّه ﷺ ؟ وما هي التعليمات التي تلقاها قارئ الرسالة بعد الفراغ من قراءتها ؟ وما تعنيه هذه التعليمات ؟ .

● ما هي الاحتياطات التي اتخذها رسول اللَّه ﷺ لحماية أمن الدولة الوليدة ؟ .

● شاهد رسول اللَّه رؤيا قبل غزوة أحد ، هل قصها على إخوانه ؟ .

● كان النبي ﷺ حريصًا على مشاورة أصحابه ، في الصغيرة والكبيرة ، يبدو ذلك من المجلس العسكري الاستشاري بقيادته قُبيل غزوة أُحد ، ما القرار الذي أسفرت عنه المشورة ؟ ما تقويمك لهذا القرار ؟ .

● كم كان عدد أفراد جيش المسلمين ، وتشكيلاته العسكرية ؟ .

● مَن مِن الشباب شارك في معركة أحد ؟ كم كانت أعمار كل منهم ؟ مَن مِن الشباب ردهم رسول اللَّه ؟ لماذا ؟ هل تتمنى أن تفعل مثلهم ذودًا عن الأوطان والمقدسات والعقائد والأعراض ؟

● رفض رسول اللَّه محمد ﷺ ، اشتراك كتيبة يهودية حديثة التسليح ، في دفع العدوان عن المدينة ، وقال حكمة مأثورة في هذا الشأن ، هل يمكن تعليل هذا القرار ؟ وما هي المعالم التي يرسيها هذا القرار في حياة الأمة المسلمة ؟ هل تعرف نموذجًا متأخرًا مخالفًا لهذا القرار ، وكان له أثر مدمر على أمن الأمة العربية ؟ .

● تمرد جزء من الجيش بقيادة رأس النفاق عبد اللَّه بن أُبيّ ، متى ؟ وأين حدث ذلك ؟ وما الأثر الذي يمكن أن يتركه في معنويات الجيش المجاهد ؟ .

● يقول رب العالمين : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] من هما الطائفتان ؟ .

● حاول أحد الصحابة إعادة المتمردين إلى الصف ، ولكنهم لم يمتثلوا ؟ من هو الصحابي ؟ .

● ما هي خطة الرسول ﷺ في اختيار أرض المعركة ، وتوزيع قواته ؟ وما هي تعليماته ؟ .

● ما هي معلوماتك عن جبل الرماة ؟ من قائدهم ؟ وما هي تعليمات الرسول محمد ﷺ لقائد الرماة ؟ .

● ما هو دور الزبير بن العوام ابن صفية عمة الرسول محمد ﷺ في بداية المعركة ؟ وما هي معلوماتك عن هذا الصحابي ؟ صف أحداث المعركة .

● كان النصر في بداية المعركة للمسلمين ، ثم حدث تحول أدى إلى وقوع رسول اللَّه ﷺ في حفرة ، وكسر رباعيته ، وتهشم البيضة على رأسه ، واقترن ذلك بإشاعة خبر مقتله ﷺ . ما الأسباب التي أدت إلى ذلك ؟ وكيف علق القرآن الكريم على هذه الأحداث ؟ .

● ما الخطة التي قام سلاح فرسان العدو بتطبيقها ، حين انكشف الرماة الذين كانوا يحمون ظهر الجيش الإسلامي ؟ ماذا كان يعني ذلك لو نجحت خطة سلاح الفرسان ؟ .

● كم من صحابة رسول اللَّه ﷺ ، استشهد ، نتيجة هذا الخطأ الفادح ، الذي ترتب عن مخالفة الرماة لأوامر الرسول القائد محمد ﷺ ؟ .

● اذكر بعض أسماء شهداءُ أُحُد السبعين .

● ماذا فعل الصحابة – رضوان اللَّه عليهم – حينما أشيع أن رسول اللَّه ﷺ ، قد قُتل ؟

● تكلم عن كيفية نجاح رسول اللَّه ﷺ في كسر الطوق المضروب حوله من جيش المشركين .

● ما هي معلوماتك عن المكان الذي اصطحب إليه ﷺ أصحابه ؟ متى قال رسول اللَّه ﷺ : « **اللَّهم لا ينبغي لهم أن يعلونا** » ؟ من أسرع بتحقيق وصية النبي محمد ﷺ ؟ .

● كان النبي ﷺ وأصحابه حريصين على أداء الصلوات في ميدان القتال . لماذا ؟ .

● حاول أُبي بن خلف قتل رسول اللَّه محمد ﷺ ، ما النتيجة ؟ .

● كان رسول اللَّه ﷺ حريصًا على تسوية الصفوف ، خلفه ، بعد انتهاء المعركة ، ومواراة الشهداء التراب ، وكان حريصًا على الدعاء ، ما الدعاء الذي دعا

به رسول اللّٰه ﷺ ؟ وما هي منزلة الدعاء في العقيدة الإسلامية ؟

● من شهداء أحد عبد اللّٰه بن جحش ﷺ ، ماذا قال عنه سعد بن أبي وقاص ﷺ ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● من شهداء أحد سعد بن الربيع الأنصاري ، ترك وصية لإخوانه ، برسول الإسلام ، (وهو يتشحط في دمه ، وهو على أبواب الآخرة) ، ما هي ؟ وكيف يمكن للمقاومة الإسلامية أن تنتفع بهذه الوصية ؟ .

● سيد الشهداء حمزة ، اكتب مذكرات عن قصة استشهاده ، والدروس المستفادة .

● بدا الثبات في مواقف أسر الشهداء واضحًا ، ومن هؤلاء حمنة بنت جحش ، وامرأة من بني دينار . اكتب عن الصورتين .

● هل صلى رسول اللّٰه ﷺ وأصحابه على شهداء أحد ؟ ما حكم صلاة الجنازة على الشهداء ؟ ما للشهيد عند ربه من خلال الكتاب والسنة ؟ ما الكرامة التي ظهرت لشهداء أحد بعد سنوات من استشهادهم ؟ .

● ما العلاقة بين غزوة أحد وغزوة حمراء الأسد ؟ وأين تقع الأخيرة ؟

● من الذي خرج في غزوة حمراء الأسد ؟ وهل شارك فيها أحد من الذين تخلفوا عن أحد ؟ لماذا ؟ .

● ما الهدف من غزوة حمراء الأسد ؟ وما المدلول لهذه الغزوة ؟ وهل حققت الهدف المرجو منها ؟

● سئل رسول اللّٰه ﷺ ، الرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل حمية ، فأجاب ، وانسحب ذلك على رجال قتلوا في أحد . ما الإجابة التي أجاب بها رسول اللّٰه ﷺ ، مع ذكر نماذج تقرب هذه المفاهيم ، من حياة النبي ، قتلوا في أحد ؟ .

● كانت معنويات المسلمين مرتفعة رغم ما أصابهم ، وقد بدا ذلك واضحًا ، حينما وقف أبو سفيان يسأل ، إذا كان رسول اللّٰه ﷺ وأبو بكر وعمر ﷺ على قيد الحياة ، اذكر ذلك الموقف ، والدروس المستفادة .

● ما هي المهمة التي من أجلها خرجت السيدة عائشة وأم سليم وفاطمة بنت رسول اللّٰه ﷺ ، ونسيبة بنت كعب الأنصارية ، إلى أرض المعركة ، مع بيان الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء الثالث والعشرون

السرايا والبعوث بين أحد والأحزاب
(٣ - ٥ هـ / ٦٢٤ - ٦٢٦م)

- سرية أبي سَلمة لقتال بني أسد بن خزيمة (محرم ٤ هجرية) .
- عدوان بني لحيان على رُسل رسول اللَّه ﷺ في الرجيع (صفر ٤ هجرية) .
- عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوَان يقتلون سبعين من القراء من صحابة رسول اللَّه ﷺ ، عند بئر معونة .

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، والحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ،

فإنا نرحب بكم في هذا اللقاء الثالث والعشرين ، الذي نعرض فيه لأخطر التحديات التي واجهت الدولة الوليدة على أرض المدينة المنورة ، بقيادة النبي محمد ﷺ ، في الفترة من السنة الثالثة إلى الخامسة الهجرية ، وكيف واجهها رسول اللَّه ﷺ .

هذه التحديات هي استهانة الأعداء بالمسلمين ، بعد أن قتل المشركون سبعين من خيار الصحابة ، وأصابوا الرسول محمدًا ﷺ في غزوة أحد . وكشف اليهود والمنافقون والأعراب عن وجههم السافر ، وحقدهم البالغ على محمد ﷺ وأصحابه . واتخذ هذا الحقد شكل حملات عسكرية عدوانية ضد المسلمين على النحو التالي :

مثال ذلك ما بلغ النبي ﷺ ، من أن بني أسد بن خزيمة (طليحة وسلمة ابني خويلد) يُعدون العدة للإغارة على المدينة المنورة ، وتجرأت عضَل وقارة ، على خداع المسلمين ، وقام عامر بن الطفيل بقتل القرَّاء الدعاة الآمنين .

أسامة : ماذا فعل النبي ﷺ وأصحابه لمواجهة هذه الأخطار ؟ .

الوالد : تكلم يا محمود .

محمود : الرسول محمد ﷺ لم يفاجأ بهذه التحديات ؛ لأنه كان يعلم أن الصدام مع المجرمين حتمي ، ولهذا فقد أعد لكل شيء عدته . وعلى الفور عقد رسول اللَّه ﷺ لواءً لسرية قوامها مائة وخمسون مقاتلًا من المهاجرين والأنصار ، بقيادة أبي سلمة ؛ للخروج إلى بني أسد [1] لإجهاض العدوان المقرر على المسلمين وبفضل . اللَّه استطاعت هذه

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص١٢١ - ١٢٢) ؛ المغازي ، الذهبي (ص٢٢٩ - ٢٤١) .

السرية أن تباغت بني أسد بن خزيمة ، في ديارهم ، قبل أن يقوموا بغارتهم ، فتشتتوا في الأرض وغنم المسلمون من ورائهم إبلًا وشياهًا لهم ، فاستاقوها ، وعاد المجاهدون إلى المدينة سالمين غانمين ، لم يلقوا أحدًا وكان خروج هذه السرية مع بداية شهر المحرم سنة ٤هـ/ ٦٢٥م ، وقد قُدر لقائدها أبي سلمة ، أن يموت نتيجة جرح أصابه في غزوة أحد .

بلال : أليست هذه السرية كان فيها من الصحابة المعروفين أبو عبيدة بن الجراح وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهما ؟ .

الوالد : تمامًا يا بلال .

بلال : ألم يأمر رسول الله ﷺ قائد السرية أن يسيروا ليلًا ، ويستخفوا نهارًا ، ويسلكوا طريقًا غير مطروقة ؛ حتى لا يطلع أحدٌ على أخبارهم ونواياهم ، فيباغتوا العدو (بني أسد) في وقت لا يتوقعونه ؟ .

الوالد : تمامًا يا بلال ، من أين حصلت على هذه المعلومات ؟ .

بلال : من كتاب الرسول القائد [1] .

الوالد : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ! على كلٍّ ، لقد نجحت الخطة التي اتبعتها سرية أبي سَلَمَة ، وأحاطوا بالعدو فجرًا ، فلم يستطع المشركون الثبات ، وولوا الأدبار فطاردهم المسلمون وعادوا بالغنائم .

محمود : نلاحظ يا والدي في هذه السرية عدة أمور منها :

(أ) الدقة في التخطيط الحربي عند النبي ﷺ ، حيث فرق الأعداء قبل أن يجتمعوا ، فذهلوا لمجيء سرية أبي سلمة ، وهم يظنون أن المسلمين قد أضعفتهم وقعة أحد ، وأذهلتهم عن أنفسهم ، فأصيب المشركون بالرعب من المسلمين ، ووهنت عزيمتهم ، وانشغلوا بأنفسهم عن مهاجمة المدينة .

(ب) دقة المسلمين في الرصد الحربي ، واختيارهم التوقيت الصحيح ، والطريق المناسب ؛ حيث وصلوا إلى الأعداء قبل أن يعلموا عنهم أي شيء رغم بُعد المسافة .

(ج) وكان من أهم عوامل النجاح في هذه السرية أيضًا ، أنها أنزلت في نفوس الأعداء شعورًا أثَّر على معنوياتهم ، ألا وهو قناعتهم بقدرة المسلمين على الاستخفاء ، والقيام بالحروب الخاطفة المفاجئة ، فجعلتهم يمتلئون رعبًا ، ويتوقعون الإغارة من المسلمين عليهم في أي وقت ، وهذا الشعور حملهم على الاعتراف بقوة المسلمين

---

(١) للواء ركن محمود شيت خطاب (مكتبة الحياة بغداد) .

ومسالمتهم [١] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ، بقي أن تحدثنا يا أسامة ، عن مؤامرة عضل وقارة وعدوانهم على المسلمين الذي وقع في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة / ٦٢٥م .

أسامة : جاء وفدٌ إلى النبي ﷺ من عضلٍ والقارة [٢] وذكروا أن فيهم إسلامًا ويطلبون من النبي ﷺ أن يرسل معهم من يعلمهم الدين وقراءة القرآن ، فاختار رسول اللَّه ﷺ وفدًا من ستة نفر وقيل عشرة وأمَّر عليهم مَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنَوي ، وقيل : عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، وأمرهم بالذهاب مع وفد عُضل وقارة . فلما بلغوا الرجيع كشف وفد عضل وقارة عن وجههم الكالح ، واستصرخوا على المسلمين حيًّا من هُذَيل ، يقال لهم بنو لحيان ، الذين خرجوا في مائة شخص ؛ لأسر صحابة رسول اللَّه ﷺ .

سارة : معذرة يا أبي ، ما معنى الرجيع ؟ وأين تقع يا عم أسامة ؟

أسامة : الرَّجيع هو ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة . وقد قام بنولحيان بحصار القرَّاء في مكان يُقال له « فدفد » ، وطلبوا منهم الاستسلام لهم ، ولهم العهد والميثاق ، إذا نزلوا إليهم ، ألا يقتلوا منهم أحدًا .

رحمة : مجرمون وخونة !

أسامة : صبرًا يا رحمة ، ودعي التعليق لوقت آخر . فأما عاصم فأبى الاستسلام ، وقاتلهم في أصحابه ، فقُتل منهم سبعة بالنبل ، وبقي خُبَيْب وزَيْد بن الدَّثِنة ، ورجل آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق مرة أخرى ، فنزلوا إليهم ، ولكنهم غدروا بهم ، وربطوهم بأوتار قسيهم ، فقال الرجل الثالث من الصحابة : هذا أول الغدر فَجَرُّوه وعالجوه على أن يصحبهم ، فلم يفعل ، فقتلوه .

الأبناء : قتلهم اللَّه ، أعداء اللَّه ، لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! رحم اللَّه صحابة رسول اللَّه ﷺ الذين خرجوا لأداء واجب الدعوة إلى اللَّه ، وتعليم الناس القرآن ، فغدر بهم المجرمون . إنا للَّه وإنَّا إليه راجعون !

الوالد : هذا هو طريق أصحاب الدعوات يا أبنائي ، فلا بد من الصبر والثبات

---

(١) السيرة النبوية ، الصلابي (ج١ ،ص ١٧٦) ؛ التاريخ الإسلامي ، الحميدي (ج٦ ، ص١٩ - ٢٣) ؛ الرسول القائد ، (ص١٣٠ - ١٣١) .

(٢) زاد المعاد (ج٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩) ، الرحيق المختوم (ص ٣٤٢) ؛ السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص١٢٣ - ١٣٤) .

والرضا والتوكل على اللّه ، والاستمرار في حمل أمانة الدعوة إلى اللّه ، مع الثقة في نصرة اللّه .

الأولاد : ما فعل بنو لحيان بالصحابيين خُبَيْب وزَيد .

أسامة : باعوهما بمكة ، وكان قتلا من رؤوسهم يوم بدر ، فأما خُبَيْب فمكث عندهم مسجونًا ثم أجمعوا على قتله ، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم .

بلال : لماذا خرجوا إلى التنعيم ولم يقتلوه في الحرم ؟

أسامة : لأنهم كانوا لا يجرؤون على فعل ذلك في حرم اللّه الآمن ، فخرجوا إلى الحِلّ خارج الحرم .

فلما أجمعوا على صلب خُبَيْب ، قال : دَعُوني حتى أركع ركعتين للّه ، فتركوه فَصَّلاهُما ، فلما سلم ، قال : واللّه لولا أن تقولوا أن ما بي جَزَع لزدت ، ثم دعا عليهم : « اللّهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تُبقِ منهم أحدًا » .

الأبناء : آمين .

أسامة : ثم قال خبيب هذه الأشعار (١) :

لقد أجمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلَّ مجمعِ
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقُربت من جذعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى اللّه أشكو غُرْبتي ثم كُرْبتي ... وما أرصد الأعداء لي عند مَصرعي
فذا العرش صبَّرني على ما يُراد بي ... فقد بَضَّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وقد خيَّروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عَيْنَاي من غير مجزع
فلست أبالي حِين أُقتَلُ مُسْلِمًا ... على أي شِقٍّ كانَ في اللّه مضجعي
وذاك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فقال له أبو سفيان قبل أن يُسلم الروح : أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال خبيب : لا واللّه ما يسرني أني في أهلي وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه ، تصيبه شَوكَةٌ تؤذيه .

ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته ، فجاء عمرو بن أمية الضُّمري ، فاحتمله بخدعة ليلًا ، فذهب به فدفنه . وكان الذي قتل خبيبًا هو عقبة بن الحارث ، وكان

(١) المغازي الذهبي (ص٢٣٤) السيرة النبوية ابن كثير (ج٣ ص١٣٢ - ١٣٣) .

خبيبٌ قد قتل أباه يوم بدر .

سلمان : هل خبيب هذا الذي رؤي وهو أسير ، يأكل قطفًا من العنب ، وما بمكة غيره ؟

الوالد : تمامًا يا سلمان ، وهو أول من سن الركعتين عند القتل ، رضي اللَّه عن صحابة رسول اللَّه ﷺ .

احمد : أليس عاصم الذي أبى النزول في عهد بني لحيان ، هو الذي عاهد اللَّه ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا ؟

الوالد : نعم يا أحمد ، وقد بعثت قريش إلى عاصم ، ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ، وكان عاصم قد قتل عظيمًا ، من عظمائهم يوم بدر ، فبعث اللَّه على جثمان عاصم مثل الظلة من الدبر « الزنابير » فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء . وكان عمر بن الخطاب لمَّا بلغه خبره يقول : « يحفظ اللَّه العبد المؤمن بعد وفاته ، كما يحفظه في حياته » .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، أن أقول : إن هذه الحادثة يستنبط منها أن للأسير في يد العدو أن يمتنع عن قبول الأمان ولا يمكنهم من نفسه ، ولو قُتل ترفعًا عن أن ينزل على حكم كافر ، كما فعل عاصم ؛ فإن أراد الترخص ، فله أن يستأمن مترقبًا الفرصة ، مؤملًا الخلاص ، كما فعل خبيب وزيد .

إيمان : كم كان خبيب رائعًا ، عندما أتاه صبيٌّ صغير في أسره ، فوضعه على فخذه ، فظنت أم الصبي (المأسور خبيب في بيتها) ، أن خبيبًا لا بد قاتله ، ففزعت منه ، فقال لها خبيب : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل إن شاء اللَّه .

إنه موقف يدل على صفاء النفس ، والالتزام بالمنهج الإسلامي ، حتى مع من غدروا به ؛ إنه الوفاء والاستقامة والعفو عند المقدرة ، في سلوك المسلم في حالتي الرخاء والشدة ، وفي قول خبيب : ما كنت لأفعل إن شاء اللَّه .

الوالد : الحادثة الرابعة يا أبنائي ، وقعة بئر معونة [1] ، التي أسفرت عن قتل سبعين من صحابة رسول اللَّه ﷺ .

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون .

عمار : متى وقعت هذه الحادثة يا جدي ؟ وأين وقعت ؟ وهل لك أن تروي لنا شيئًا

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير . (ج٣ ، ص١٣٩ - ١٤٤) .

عنها ؛ لنستبين سبيل المجرمين ؟ .

الوالد : لقد وقعت في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة ٦٢٥م ، وملخص الحادثة أن أبا براء ، عامر بن مالك ، المدعو بمُلاعِب الأَسِنَّة - قدم على رسول الله ﷺ في المدينة ، فدعاه إلى الإسلام ، فلم يُسلم ، ولم يُبعد ، فقال : يا رسول الله ، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد تدعوهم إلى الإسلام ، لرجوت أن يجيبوهم . فقال ﷺ : « **إني أخاف عليهم أهل نجد** ». فقال أبو براء : أنا جارٌ لهم .

فبعث رسول الله ﷺ مع أبي براء سبعين رجلًا ، وأمَّر عليهم المنذر بن عمر ، أحد بني ساعدة الملقب بالمُعتق ، وكانوا من خيار المسلمين ، وفضلائهم وسادتهم وقرنائهم . فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر ، وحرة بني سليم ، فنزلوا هناك ، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم ، بكتاب رسول الله ﷺ ، إلى عدو الله عامر بن الطُّفَيل ، فلم ينظر فيه ، وأمر رجلًا فطعنه بالحربة من خلفه ، فلما أنفذها ورأى الدم ، قال حَرَام : فُزْتُ وربِّ الكعبة ، ثم استنصر عدو الله عامر بن الطُّفَيل ، لفوره - بني عامر ، لقتال الباقين من المسلمين ، فلم يجيبوه ؛ لأجل جوار أبي براء ، فاستنفر بني سليم ، فأجابته عُصَيّة ورُعْل وذكْوان ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ ، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد بن النجار ؛ فإنه ارتث . من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق .

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون . لكن ما علاقة عمرو بن أمية الضُّمري ، والمنذر بن عقبة بن عامر ، بما حدث ؟ .

الوالد : كانا في سرح المسلمين ، فرأيا طيرًا تحوم على موضع الوقعة ، حيث قتل الصحابة ، فنزل المنذر بن عقبة ، فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه ، وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنّه من ضُمر جَزَّ عَامر ناصيته ، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه ، فلما كان بالقرقرة (من صدر قناة) ، نزل في ظل شجرة ، وجاء رجلان من بني كلاب ، فنزلا معه ، فلمَّا ناما فتك بهما عمرو ، وهو يرى أنه أصاب ثأر أصحابه ، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به .

فلمَّا رجع أخبر رسول الله ﷺ ، بما فعل ، فقال ﷺ : « **لقد قتلتَ قتيلَين لأَدِينَّهما** » ثم قال : « **هذا عمل أبي بَراء قد كنت لهذا كارهًا متخوفًا** » .

الوالد : سؤال ، هل مرت هذه الحادثة دون عقاب من الرسول ﷺ ؟ من يجيب ؟ .

اسامة : لا ، لم تمر دون عقاب ؛ فقد ورد في كتب السيرة ، أن رسول الله ﷺ قنت

داعيًا على قبائل سُلَيم التي عصت اللّه ورسوله . وعن ابن عباس ﷺ ، قال : قنت رسول اللّه ﷺ شهرًا متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح ، في دبر كل صلاة ، إذا قال : سمع اللّه لمن حمده من الركعة الأخيرة ، يدعو على أحياء من بني سُلَيم ، على رِعْل وذَكْوَان وعُصَيَّة ، ويؤَمِّن من خلفه [١] .

سمية : لقد هزتني كلمة حرام بن مِلْحَان : « فزت ورب الكعبة » ، التي قالها حينما اخترق الرمح ظهره ، وخرج من صدره ، إن هذا المشهد يجعل أقسى القلوب وأعظمها تحجرًا ، يتأثر ويستصغر نفسه أمام هؤلاء العظماء الذين لا يفزعون من الموت ؛ إنما يُسرُّون وتغشاهم السكينةُ والطمأنينة .

أسامة : صَدَقْتِ يا سُمَيَّة ، إن هذا الموقف البديع جعل جبَّار بن سلمى ، الذي طعن حرام ابن مِلْحَان ، يدخل في الإسلام ، فيقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أنِّي طعنت رجلًا منهم يومئذ برمح بين كتفيه ، فسمعته يقول : فزت ورب الكعبة . فقلت في نفسي : ما فاز ؟ ألست قد قتلت الرجل ؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : إنها الشهادة . فقلت : فاز لعمرو اللّه [٢] .

رحمة : معنى هذا يا عم أسامة ، أن الشهيد لا يحس بألم الموت .

أسامة : نجدها في قول رسول اللّه ﷺ : « **ما يجد الشهيد من مس القتل ، إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة** » [٣] .

محمود : إن للشهيد منزلة خاصة عند اللّه ﷻ ؛ جزاءً للثمن الباهظ الذي يدفعه ، وهو روحه رخيصة في سبيل اللّه ﷻ ، لم يبخسه أعدل العادلين حقه ، فكافأه مكافأة من ست جوائز ، كل واحدة منها تعدل الدنيا وما فيها . فقد روي عن رسول اللّه ﷺ : « **للشهيد ست خصال : يُغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويُحلى حلة الإيمان ، ويُزوج من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه** » [٤] . هذا بالإضافة للوسام المميز الذي يأتي به يوم القيامة ، وهو جرحه ، كهيئة يوم جرح ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك . كما أن حياة الشهداء لا تنتهي بموتهم ، بل هم أحياءٌ عند ربهم يُرزقون ويتنعمون . يقول اللّه

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٢٣٥ - ٢٤١) . (٢) السيرة النبوية ، الصلابي (ج٢ ، ص ١٨٩) .

(٣) السيرة النبوية (ج٢ ، ص ١٨٩) صحيح سنن الترمذي ، تحقيق الألباني (ج٢ ، ص ١٣٣) حديث رقم (١٦٦٨) . (٤) صحيح سنن الترمذي (ج٢ ، ص ١٢٩) .

تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

أسامة : حدثتكم عن موقف النبي ﷺ ، من حادثة بئر معونة . والآن أحدثكم عن إيجابية الصحابة إزاء هذا الموقف ، ومنه نتعلم دور الإعلام في خدمة الإسلام . كان حسَّان بن ثابت ، من رجالات هذه المؤسسة الإعلامية ؛ فكان يُقرض الشعر يشن به حربًا نفسية على الأعداء ، وكان بجانبه كعب بن مالك ، وعبد اللَّه بن رواحة ﷺ ، فلم يتركوا حدثًا من أحداث السيرة إلا قالوا فيه شعرًا . وكان ﷺ يتعهد شعراء الدولة الإسلامية ، ويشجعهم على خوض هذا الباب من الجهاد . وقد نظم حسان بن ثابت ، أبياتًا تناقلتها الركبان ، يَحُثُّ فيها ربيعة بن عامر (مُلاَعِب الأسِنَّة) ويحرضه على عامر بن الطفيل ، بإخفاره ذمة أبي البراء . فلمَّا بلغ ربيعة الشعر ، وكان الشعر عندهم أوجع من رشق النبال - قال ربيعة : فأخذ ثأر أبيه ، فضرب عامر بن الطفيل ضربة ؛ لكنها لم تصب منه مقتلًا . ومما قاله حسان :

على قتلى مَعونة فاستهلِّي بدمع العين سحًّا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا منـاياهــم ولاقتهم مناياهم بِقَدْر

سارة : ما مصير عامر بن الطفيل العامري ؟ .

أسامة : استجاب اللَّه لدعاء نبيه ﷺ ، الذي قال : « **اللَّهم اكفني عامرًا** » فأصيب بمرض مستعصٍ على العلاج ، وحبسته آلامه في بيت امرأة ، وولى عنه الناس ، ونفروا منه خشية العدوى ، وفقد صوابه وصرخ فيمن حوله : ائتوني بفرسي ، فركبه ، فمات على ظهره .

الوالد : بقيت كلمة مهمة في نهاية هذا اللقاء . هذه الأحداث التي استشهد فيها الكثير من خيار الصحابة ، وابتلي بها المسلمون - ترسي معلمًا بارزًا في حياة الأمة . وهي أن طريق أصحاب الدعوات ليس مفروشًا بالورود ، ولكنه مليء بالابتلاءات ؛ لحكمة ربانية : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢- ٣] .

ويبتلى المرء على قدر دينه كما أخبر الرسول ﷺ ؛ فإن كان في دينه صلابة ، زيد في بلائه ، حتى يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة ، وما حدث لإخواننا في بئر معونة ابتلاء ، وأسأل اللَّه أن يكون قد وفقهم إلى الصبر على ما أصابهم ، والرضا بقضاء اللَّه ، والشكر على أن غنمهم الشهادة في سبيله .

وإلى اللقاء القادم إن شاء الله ، حول غزوة بني النضير . فقولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

اختبر معلوماتك

● ما هي الأهداف التي من أجلها عقد الرسول ﷺ لواءً لسرية بقيادة أبي سلمة ؟ ومتى تم ذلك ؟ وما هي النتائج التي حققتها السرية ؟ وما هي أسباب وفاة أبي سلمة ؟ .

● ما هي معلوماتك عن مؤامرة عُضَل والقارة ضد المسلمين ؟ وما هي علاقة هؤلاء بحادثة الرجيع ؟ وما الرجيع ؟ .

● من هم النفر الذين أرسلهم رسول اللّه ﷺ ؛ ليعلموا الناس الإسلام ، ويدعوهم إليه ، مع وفد عُضل والقارة ؟ ومن هو أميرهم ؟ ومتى تم ذلك ؟ .

● ما علاقة بني لَحْيان بمقتل القرَّاء ؟ .

● مَن مِن الصحابة المشهورين شارك في هذه السرية ؟ وما هي التعليمات التي أعطاها الرسول ﷺ لهذه السرية ، والنتائج والدروس المستفادة ؟ .

● ما الدليل على أن الأعداء لا عهد لهم وأن الغدر من شيمتهم ؟ كم استشهد من الصحابة ؟

● الابتلاء سنة ربانية جارية ، وهذا يستلزم الرضا والصبر والثبات والدعاء والتوكل على اللّه ، والثقة في نصرة دين اللّه قَدم لذلك نموذجًا من خلال سيرة الصحابي خُبَيب .

● حينما عرض أبو سفيان على خبيب « أيسرك أن محمدًا عندنا نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ » كيف كان رد خبيب ؟ .

فلست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان في اللّه مصرعي

من القائل ؟ ما أثر ذلك في قلبك ؟ وما الدرس المستفاد ؟ .

● صلى خبيب ركعتين قبل قتله ، وبعدها قال كلمات ، ودعا دعوات ، اذكرها ، وما مدلولها ؟ وما تنشئه في النفس من دروس وعبر ؟ .

● ما تعليقك على خبيب ، وهو يأكل قطفًا من عنب ، وهو في الأسر في وقت ليس موسمًا للعنب ؟ .

● تمكن خبيب من طفل للذين أسروه ، هل كان في الإمكان ، بتهديده حياة الطفل، أن يخرج من المأزق ؟ لماذا لم يفعل ؟ .

● ما هي معلوماتك عن حادثة بئر معونة ؟ وأين وقعت ؟ ومتى ؟ .

● طلب مُلاعِب الأسنَّة من رسول اللَّه ﷺ ، أن يرسل معه مجموعة من القُرَّاء الدعاة ؛ لدعوة الناس إلى الإسلام ووعد أنه مسؤول عن حمايتهم ، لماذا وافق رسول اللَّه ﷺ بالرغم من أن الرجل لم يكن قد أسلم ؟ كم كان عدد القُرَّاء ؟ ومن كان أميرًا عليهم ؟ .

● حمل حرام بن ملحان أخو بني سليم ، رسالة رسول اللَّه ﷺ إلى عدو اللَّه عامر ابن الطفيل ، يدعوه إلى الإسلام ، هل استجاب ؟ .

● من المتعارف عليه أن الرسل لا تُقتل ، هل راعى المشركون هذه القاعدة ؟ ما أثر ثبات حرام بن ملحان وهو يستشهد ، على عامر بن الطفيل ؟ .

● استنفر عامر بن الطفيل أعداء الإسلام على القُرَّاء ، من الذي استجاب ؟ .

● هل استسلم القراء ؟ ما هو مصيرهم ؟ حينما استشهد القراء ظل رسول اللَّه ﷺ يدعو على عُصَيَّة ورَعْل وذَكْوَان ، هل الدعاء له أهمية ؟ .

● للشهيد عند ربه خصال ، تحدث عنها ، وعن فضل الشهادة في سبيل اللَّه .

● ما هو دور الإعلام في المعركة بين الحق والباطل ؟ قدم نموذجًا لهذا الدور .

اللقاء الرابع والعشرون

يهود بني النضير يحاولون قتل النبي محمد ﷺ
(ربيع الأول سنة ٤ هـ / ٦٢٥ م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، والحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ ، وبعد ..

هذا هو لقاؤنا الرابع والعشرون ، نعرض فيه لغزوة يهود بني النضير [1] ، الذين حاولوا اغتيال رسول اللَّه ﷺ ، في مسكنهم ومحلتهم ، وهذا نوع من الغدر الخسيس ، أن يغدر الإنسان بضيفه .

بلال : معذرة يا جدي ، إذن هذا هو السبب المباشر لغزوة بني النضير ؟

الوالد : نعم يا بلال ، وهذه ليست أول مرة يحاول اليهود فيها نقض العهد مع رسول اللَّه ﷺ ، فقد سبق وقتلوا رجلًا مسلمًا غضب لأخته المسلمة ، في بني قينقاع ، وسبق أيضًا أنهم ألَّبوا الأحزاب على رسول اللَّه ﷺ .

الأبناء : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، صدق اللَّه القائل : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

الوالد : نعم يا أبنائي ، ولهذا فقد نهى اللَّه ﷻ عن موالاتهم ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] . والآن نعرض يا أبنائي ملخصًا لغزوة بني النضير .

توجَّه رسول اللَّه ﷺ ، ومعه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، طائفة من الصحابة - إلى مساكن يهود بني النضير ، وطلب منهم أن يعينوه في دفع دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضُّمَري خطأ ، مع أنهما كان لهما عهد أمان من رسول اللَّه محمد ﷺ ، وجاء هذا الطلب طبقًا لعهد الأمان الذي أعطاه النبي ﷺ إلى يهود بني النضير ، الذين كانوا يمثلون جزءًا من الكيان العضوي للدولة الإسلامية الوليدة .

فتظاهر اليهود بأنهم سيلبُّون طلب الرسول القائد ﷺ ، وطلبوا منه الجلوس ، حتى

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص ١٤٥ - ١٥٤) ؛ الرسول القائد ، (ص ١٣٢ - ١٣٤) ، مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، (ص ٤٦٩ - ٤٨٠) .

يتم تجهيز نصيبهم من الدية : « نفعل يا أبا القاسم ، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك » .

وأثناء انتظار النبي ﷺ إلى جوار جدار ، من جدر البيوت ، قرروا اغتيال النبي ﷺ ، وتطوع أحدهم وهو عمرو بن جحاش ، وحمل الرحى ليلقيها على النبي ﷺ من فوق سطح المنزل ، الذي كان النبي يجلس تحته . فَحَذَّر سَلامُ بن مِشْكم قومه من الغدر ونقض العهد مع الرسول القائد ﷺ : « لا تفعلوا ، فواللَّه ليُخْبرن بما هممتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه » . ولكن اليهود عزموا على تنفيذ خطتهم .

ونزل جبريل من عند رب العالمين ، على رسول اللَّه ﷺ ، يعلمه بما هموا به ، فنهض ﷺ مسرعًا إلى المدينة ولحق به أصحابه .

جنة : ما فعل النبي محمد ﷺ ؟ هل أعلن عليهم الحرب بعدما حاولوا اغتياله ؟

الوالد : في البداية لم يفعل هذا ؟ إنما اكتفى برسالة حملها محمد بن مسلمة إلى يهود بني النضير .

بلال : هل يمكن أن نتعرف على نص الرسالة يا جدي ؟

الوالد : نعم ، نص الرسالة : « **اخرجوا من المدينة ، ولا تساكنوني بها ، وقد أجَّلتكم عشرًا ، فمن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه** » .

سلمان : هل خرجوا يا جدي ؟

الوالد : صبرًا يا أولادي ، لم يجد اليهود مناصًا من الخروج ، فأقاموا أيامًا يتجهزون للرحيل ، بيد أن رئيس المنافقين ، عبد اللَّه بن أُبي ، بعث إلى اليهود أن اثبتوا تمنَّعُوا ، ولا تخرجوا ، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم ، فيموتون دونكم ، وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان .

وهنا عادت لليهود ثقتهم ، واستقر رأيهم على المناوأة ، وطمع رئيسهم حُييّ بن أَخْطَبْ فيما قاله رئيس المنافقين ، فبعث إلى رسول اللَّه ﷺ يقول : إنَّا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك . وقد سجل القرآن الكريم الحادثة في سورة بني النضير (الحشر) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١١- ١٢] .

وهنا تبدو خطورة دور المنافقين ، الذين قال عنهم رب العالمين : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ

لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨- ١٣٩] . أي أن ولاءهم ، أي حبهم ونصرتهم ، للكافرين ضد إخوانهم المسلمين .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، أي أنهم نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ ، وحاولوا قتله ، وأصروا على قتال النبي ﷺ ، بعد موقف المنافقين معهم ، وهذا يعني أن اليهود لا يستطيعون مقاتلة المسلمين منفردين ، وإنما يعتمدون على غيرهم ، وعلى الدسِّ والغدر ، والتفريق بين أبناء الوطن الواحد .

الوالد : تمامًا يا محمد ، ولهذا قرر النبي محمد ﷺ قبول التحدي ، وأعد جيشه لغزوة بني النضير ، وخرجوا في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة / ٦٢٥م ، وحاصروا يهود بني النضير ، لمدة ستة أيام ، اضطر اليهود بعدها إلى التسليم والنزول عند حكم رسول اللَّه محمد ﷺ ، وأعطوه ما أراد منهم ، وصالحهم على أن يحقن دماءهم، وأن يخرجوا إلى أذرعات بالشام ، وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة ، إلا السلاح .

بلال : جزى اللَّه رسول اللَّه ﷺ خير الجزاء ، ففي الحكم رحمة ، وكان من الواجب طبقًا للشرع - بل حتى قوانين العصر - أن يُقتلوا لأنهم تآمروا لقتل قائد الدولة الإسلامية .

الوالد : تمامًا يا بلال ، والآن نطلب من محمود أن يعرض لنا الدروس المستفادة من أحداث غزوة بني النضير ، ولكن قبل أن تبدأ ، اذكر لإخوانك المصادر والمراجع التي تعتمد عليها في عرضك للدروس المستفادة .

محمود : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه . لقد قرأت تفسير سورة بني النضير ، في تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير ، وأيضًا ما كتبه ابن قيم الجوزية ، في كتابه : زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد ﷺ ، عن هذه الغزوة ، وكذلك كتاب السيرة النبوية لابن كثير ، والسيرة والمغازي للإمام الذهبي .

الوالد : جميل يا محمود ، بارك اللَّه فيك ، ووفقك في دراستك .

عمار : معذرة يا جدي ، لا يوجد في المصحف سورة اسمها « بني النضير » .

الوالد : تمامًا يا عمار ، ولكنْ هناك سورة الحشر ، وهي سورة بني النضير .

عمار : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي ، والآن تفضل يا عمي محمود ؛ فكلنا آذان صاغية .

محمود : شكرًا يا عمار ، تبدأ سورة الحشر بقول اللَّه تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ١] . فيها بيان من اللَّه سبحانه ، إنه هو العزيز منيع الجناب ، وهو الحكيم في قدره وشرعه . ثم بين رب العالمين في الآية التالية : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٢- ٤] .

أي أن اللَّه رب العالمين سبحانه ، هو الذي قاد المعركة ، وأخرج يهود بني النضير ، « وكان رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة قد هادنهم وأعطاهم عهدًا وذمة ، على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه ، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة ، التي ظنوا أنها مانعتهم من بأس اللَّه ، فما أغنى عنهم من اللَّه شيئًا ، وجاءهم من اللَّه ما لم يكن ببالهم ، وسيرهم رسول اللَّه وأجلاهم عن المدينة ، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى خيبر ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم ، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ، أي : تفكروا في عاقبة من خالف أمر رسول اللَّه ، وكَذّب كتابه ، كيف يحل به من بأسه المخزي في الحياة الدنيا ، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم » (١) .

أحمد : لو أذنت لي يا محمود ، إن هذه الآية ترسي معالم كثيرة في حياة المسلم المجاهد منها :

ألف : أيها المسلم ، إن اللَّه القدير الجبار المتكبر ، هو الذي يقود المعركة المستعرة ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، وهو قد كتب على نفسه سبحانه ، نصرة الحق وأهله ، ودحر الباطل وأهله ، فلا تخشوا الباطل بسبب ما يملكه من القوة المادية ، والعدد الكبير ؛ لأن الذي يحسم المعركة هو رب العالمين ، لمصلحة الحق إذا استكمل مقومات الإيمان التي تؤهله لنصرة اللَّه ، وصدق اللَّه القائل في سورة الأنفال : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث ، (ص٤٦٩ - ٤٧٠) .

باء : أن حصون اليهود وسلاحهم ، لم تَحُلْ بينهم وبين نزول عقاب اللَّه الذي لم يخطر لهم على بال ، كما أن اللَّه ﷻ قد قذف الخوف والهلع والجزع في قلوبهم ، وكيف لا يحصل لهم ذلك ، وقد حاصرهم النبي ﷺ الذي نُصِرَ بالرعب مسيرة شهر صلوات اللَّه وسلامه عليه ؟ .

جيم : أن اليهود لهم طبيعة غريبة [١] فرغم أن النبي ﷺ قد عاهدهم واعتبرهم جزءًا من الكيان العضوي للمجتمع المدني ، أَمَّنهُم على عقائدهم وأموالهم ودمائهم ، إلا أنهم كفروا بنعمة اللَّه ﷻ ، وارتكبوا من الجرائم التي أدت بهم إلى الشتات ، هم المسؤولون عن ذلك ، فهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، ويا أخي محمود ، لعل في هذا توصية أيضًا إلى أمة الإسلام ، في معركتها المعاصرة ، مع الصهيونية والمسيحية الأصولية ، على أرض فلسطين ، وغيرها من ديار الإسلام : إنكم لستم وحدكم في الميدان ، اللَّه يقود معركتكم ، ولكن الشرط : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد : ٧] ، فلا تخافوا الصهاينة ؛ لكثرة عدتهم وعتادهم .

وتوجيه كذلك إلى طبيعة الصهاينة ، وهي أنهم لا يستطيعون مواجهة المسلمين وجهًا لوجه ، وإنما من وراء الدبابات المصفحة والطائرات ، والمستعمرات المحصنة ، ولكنها لا تمنعهم من بأس اللَّه إذا جاءهم .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا ، والآن واصل يا محمود استعراضك لسورة بني النضير .

محمود : ثم بين رب العالمين في الآية الثالثة ، الأسباب التي من أجلها عاقب اللَّه يهود بني النضير ؛ وهي حرب اليهود وعداوتهم للَّه ولرسوله والمؤمنين . يقول رب العالمين : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٤] ، أي عقاب مشابه حاضر ، لكل من يحارب اللَّه ورسوله ودينه ، وينقض العهود ويغدر ويتآمر .

بلال : معذرة يا عمي محمود ، معنى ذلك أن اللَّه سلط على اليهود ، رسوله ﷺ وعباده المؤمنين ، لأنهم شاقوا اللَّه ورسوله ، وكذبوا بما أنزل اللَّه على رسله المتقدمين ، في البشارة بمحمد ﷺ .

---

(١) يمكن التعرف على مفاتيح الشخصية اليهودية ، في كتاب : معركة الوجود بين القرآن والتلمود ، للأستاذ الدكتور عبد الستار فتح اللَّه سعيد ، دار الوفاء .

محمود : نعم يا بلال ، ويأتي بعد ذلك بيان موضوع على جانب كبير من الأهمية ، فيما يتصل بضوابط الجهاد الشرعية ، وهي أن المسلمين نهوا عن أن يقطعوا أو يحرقوا شجرة مثمرة ، ولكن هذه القاعدة خالفوها في بني النضير ، لأن النخيل الكثيف كان يمكن اليهود وهم في حصونهم من رمي المسلمين بالسهام ، والمسلمون لا يتمكنون من الرد بوسيلة مشابهة ، فأمر النبي ﷺ بقطع النخيل ؛ ليرسي معلمًا بارزًا ، وهو أن الضرورات تبيح المحظورات ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر : ٥] .

وفي الآية السادسة من السورة ، بين اللَّه ﷻ حكم الفيء ، وهو كل ما أخذ من الكفار من غير قتال ، ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، كأموال بني النضير الذين نزلوا من حصونهم ، من الرعب الذي ألقاه اللَّه في قلوبهم ، فأفاءه اللَّه على رسوله ﷺ ، الذي تصرف فيه كما يشاء ، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح ، وقد بين ذلك رب العالمين : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] ، أي جميع البلدان التي تُفتح هكذا ، فحكمها حكم أموال بني النضير ، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه . وقد روى الإمام أحمد ، عن عمر ﷺ ، قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء اللَّه على رسوله ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول اللَّه خالصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، وما بقي جعله في الكُراع والسلاح في سبيل اللَّه ﷻ .

ثم ختم اللَّه ﷻ الآية السابعة بقوله : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ أي أن ما أمركم به فافعلوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، فإنه إمَّا يأمر بخير ، أو ينهى عن شر . وهذا يؤكد أن مصدر التشريع القرآن والسنة .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا شيخ محمود ، على هذا التأصيل الشرعي للدراسات التاريخية ، والأحكام المستنبطة من أحداث غزوة بني النضير .

محمود : جزاكم اللَّه خيرًا يا والدي ، هل لكِ يا أم محمد أن تستكملي العرض ؟ .

الوالدة : نعم ، الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه .

وفي الآيات : الثامنة والتاسعة والعاشرة ، من سورة الحشر ، يأتي صفات المجاهد

إنسان العقيدة ، الذي نصره الله رب العالمين في غزوة بني النضير . يقول الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر : ٨] . أي أن المهاجرين أجبروا على ترك حرم الله ، التي هي أحب أرض الله إلى الله ، والدور والأموال والأهل ؛ نصرة لدين الله ﷻ ، أي ما خرجوا من أجل الدنيا التي يعلمون أنها كسوق قام ثم انفضَّ ، ربح فيه الرابحون ، وخسر فيه الخاسرون ، وإنما خرجوا ابتغاء مرضات الله ﷻ ، وهنا يظهر أهمية تجديد النية ؛ لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

ثم قال الله تعالى مادحًا الأنصار : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين ، وآمنوا قبل كثير منهم ، ومن كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ، ويواسونهم بأموالهم ، وفي هذا بيان لمعنى الولاء ، وهو الحب والنصرة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] .

ونعرض هنا لنموذج من نماذج الإيثار ؛ لنتعرف على معنى الأخوة المضيئة ، ومعنى الولاء والحب والنصرة ، حينما أرسى رسول الله ﷺ ميثاق التحالف الإسلامي ، بين المهاجرين والأنصار ، فعقد هذه المؤاخاة بين المؤمنين ، واستطاع بفضلها إيجاد وحدة إسلامية شاملة ، فقد آخى بين الأنصاري سعد بن الربيع ، والمهاجر عبد الرحمن بن عوف ، وأحس سعد بن الربيع ﷺ أن أخاه المهاجر عزب (غير متزوج) ، ولا يملك شيئًا فعرض عليه : « أي أخي ، أنا أكثر أهل المدينة مالًا ، فانظر شطر مالي فخذه ، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها » .

فقال عبد الرحمن : « بارك الله لك في أهلك ومالك ؛ دلوني على السوق » ، فدلوه ، فذهب فاشترى وباع ، فربح وتزوج وأولم لإخوانه . رضي الله عن الصحابة [1] .

عرض وإيثار من الأنصار ، وعفة نفس من المهاجرين ، ولهذا فقد أوصى عمر بن الخطاب ، الخليفة من بعده : فالمهاجرين الأولين أن يُعرف لهم حقُّهم ويُحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرًا – الذين تبوَّءُوا الدار والإيمان من قبل – أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج ٢ ، ص ٣٢٧) .

أسامة : معذرة يا والدتي ، هنا مسألة مهمة ، تتضح مما ورد في تفسير هذه الآية ؛ فقد أورد الإمام أحمد ، عن أنس ﷺ ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم ، أحسن مواساةً في قليل ، ولا أحسن بذلًا من كثير ، قد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . فقال ﷺ : « **لا ، ما أثنيتم عليهم ، ودعوتم الله لهم** » [(١)] .

الوالدة : شكر الله لك يا أسامة ، وأود أن أضيف هنا وأجلي معنى الإيثار : لقد عرض الأنصار على رسول الله ﷺ أن يقسم النخيل بينهم وبين الأنصار ، فرفض النبي ﷺ . فقال الأنصار للمهاجرين : أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا [(٢)] . كما أن الله سبحانه ، وتعالى ، حذر من الشح : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « **إياكم والظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم** » وفي رواية « **أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا** » .

بقيت من الدروس المستخلصة من الآية العاشرة ، من سورة الحشر ، والتي تصف حال أهل الإيمان الذي لم يُقدر لهم أن يجاهدوا مع رسول الله ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] ، وهم التابعون لهم بإحسان ، هم المتبعون لآثارهم الحسنة ، وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السرِّ والعلانية .

بقي أن نعطي الفرصة لمن يرغب في استعراض ما تبقى من سورة بني النضير ، وما فيها من دروس وعبر .

الوالد : شكر الله لك ، تفضلي يا إيمان .

إيمان : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد ..

فإن الآية الحادية عشرة حتى السابعة عشرة من سورة بني النضير ، تبرز لنا خطورة المنافقين ، وأهل الكتاب المحاربين على أمة الإسلام ؛ يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟

(١ ، ٢) المرجع السابق ، (ص ٣٢٨) .

لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر: ١١، ١٢] . أي أن المنافقين إخوان للذين كفروا من أهل الكتاب ، وهم اليهود ، وهم في صف واحد ضد الأمة المسلمة ، بالأمس واليوم وغدًا . ولولا دعم المنافقين للذين كفروا ، وضعف أهل الإسلام ، ما حقق اليهود وأعوانهم أي نصر .

ثم بين اللَّه تعالى صفات اليهود والذين أشركوا ، وأعوانهم من المنافقين : لا يفقهون ، لا يعقلون ، لا يستطيعون مواجهة المسلمين وجهًا لوجه ، إنما من وراء الحصون ، من وراء الدبابات والطائرات ، ومن وراء الأنظمة الخائنة والعميلة : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٥ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٣- ١٧] .

سلمان : معذرة يا جدي ، ما الذي دفع يهود بني النضير إلى البقاء بالمدينة مُتَحَدِّين أوامر النبي محمد ﷺ ، رغم أنهم كانوا يتجهزون للرحيل ؟

الوالد : لأن منافقي المدينة ، وعلى رأسهم عبد اللَّه بن أبي ، أرسلوا إليهم أن اثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه . عند ذاك عادت لليهود ثقتهم بأنفسهم ، واستقر رأيهم على القتال ، وأرسلوا إلى النبي من يقول له : لن نخرج فافعل ما بدا لك ، ثم احتموا بحصونهم ، ونقلوا الحجارة إلى شوارعهم ، وأقاموا فيها متاريس وخنادق للاحتماء وراءها في القتال ، وكَدّسوا أرزاقًا تكفيهم لمدة سنة في حصارهم ، وكان الماء متيسرًا لديهم باستمرار . لهذا تحرك المسلمون بقيادة الرسول ﷺ ، لديار بني النضير ، فحاصرهم عشرين ليلة ، كانوا أثناءها يدخلون شارعٍ بعد شارعًا ودارًا بعد دار .

ولما رأى الرسول ﷺ إصرار اليهود على القتال ، مستفيدين من حصونهم القوية ، أمر أصحابه أن يقطعوا نخل اليهود ، وأن يحرقوه ؛ حتى لا يستمر اليهود على حماسهم في القتال ، طمعًا في المحافظة على أموالهم .

سلمان : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي .

الوالد : بقي أن نشير إلى توجيه رباني ، وهو المحاسبة للنفس ، في ضوء التكاليف

الشرعية الناجمة ، عن غزوة بني النضير ، لأن الإنسان حينما ينزل أول منازل الآخرة ، « القبر » ، يُسأل عن ربه ، وعن نبيه ، وعن دينه ، وعن كتاب اللَّه ، ماذا عمل فيه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨- ٢٠] .

ورسولنا ﷺ علمنا أن الكَيِّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، أي حاسب نفسه بنفسه ، أو كما يقول عمر بن الخطاب : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واستعرضوا أعمالكم ، قبل أن تعرضوا على من لا يخفى عليه منكم خافية . وبعدها مباشرة يأتي بيان من اللَّه ﷻ : هل قرأتم سورة بني النضير ؟ هل وعيتم الدروس والتكاليف والفرائض التي في رقابكم ؟ هل أدركتم أن جهاد الكافرين والمنافقين واليهود في المقدمة ، فريضة لتحرير الوطن الإسلامي ، والقدس في القلب منه ؟ هل أدركتم أن نصركم لإخوانكم المسلمين في كل مكان للذود عن أعراضهم ودمائهم وعقائدهم ، ومقدساتهم - أمانة في رقابكم ؟ هل سمعتم كلام اللَّه ؟ هل قست القلوب إلى هذا الحد ؟ ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١] .

تقريع للإنسان ، الجبل الصخر يمكن أن يتصدع من خشية اللَّه ، فما لكم يا بني آدم قست قلوبكم ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وقعدتم عن نصرة ربكم وأمتكم وإخوانكم والذود عن أعراضكم ؟

أحمد : معذرة يا أبي ، من أجل هذا جاء التعريف باللَّه ﷻ وصفاته وأسمائه .

الوالد : تمامًا يا أحمد ، التعريف باللَّه الذي أنزل هذا القرآن ، والذي يدير المعركة بين أهل الإسلام وأهل الشرك . ممَّن أنتم خائفون ؟ وعلى أي شيء تخافون ؟ الأجل ... المال ... الولد ؟ ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] . ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤] .

عمار : معذرة يا جدي ، ما هي الأسباب التي تمنع الإنسان من القيام بفرض اللَّه عليه ، ويقع تحت طائلة التقصير والمحاسبة بين يدي اللَّه ﷻ ؟

الوالد : سؤال جيد يا عمار ، أحد هذه الأسباب : السلبية ، وضعف الثقافة الشرعية والتاريخية . ومن الأسباب أيضًا خوف الإنسان على أجله ، وأن يؤذى من قبل المجرمين ، ويفصل من عمله ، أو يضيق عليه في الرزق . لهذا ، فإن اللَّه لم يترك الإنسان لحيرته ، بل علمه أن الأجل بيده : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، ثم جاءت الآيات في آخر سورة بني النضير ، لتؤكد على هذه المعاني ، وتبدأ بقول اللَّه تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر : ٢١] .

عمار : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي العزيز .

الوالد : وجزاك ، بقي سؤال موجه إلى من يستطيع الإجابة عليه : **ما هي أعظم الدروس** التي خلفتها سورة بني النضير وأحداثها في وجدانكم ؟

إيمان : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ ، المتامل في آيات سورة الحشر ، يتبين له أن اللَّه هو الذي أخرج يهود بني النضير ، من ديارهم ، بالرغم من أن كل الأسباب المادية معهم ، حتى اعتقدوا أنه لا أحد يستطيع أن يخرجهم من حصونهم ، لمتانتها وقوتها . لكن اللَّه فاجأهم من حيث لم يحتسبوا ، جاءهم من قلوبهم التي لم يتوهموا أنهم يهزمون بها ، فقذف في قلوبهم الرعب ، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . وهذا الأسلوب القرآني الفريد يربي الأمة بالأحداث والوقائع ، ويكشف الحقائق ، ويربط الأحداث بفاعلها الحقيقي ، وهو رب العالمين .

ومن ذلك أنها بينت أن الذي أخرج بني النضير هو اللَّه ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾ [الحشر : ٢] ، واستمرت الآية الكريمة تبين أن يهود بني النضير ، حسبوا كل شيء ، وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضية ، لكن جاءتهم الهزيمة من مكان اطمأنوا إليه ، وهو أنفسهم ، فإذا الرعب يأتي من داخلهم ، لذلك يجب على كل إنسان عاقل ، أن يعتبر بهذه الغزوة ، وأن يعرف أن اللَّه هو المتصرف في الأمور ، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ، ولا المسببات ، فهو القادر على كل شيء ، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ، ويصلحوا أمرهم ، فإذا اتبعوا أمر اللَّه ، أصلح اللَّه لهم كل شيء ، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا .

إن هذه الغزوة درس للأمة في جميع عصورها ، تذكرهم أن طريق النصر هو الرجوع إلى اللَّه ، وتقديره حق قدره ، فإذا عرف ذلك المؤمنون نصرهم اللَّه ، مهما كانت قوة

العدو ، فإن اللَّه لا يعجزه شيء .

أسامة : إذن الانتصار على أعداء الأمة الإسلامية ، ممكن أن يتحقق ، مهما كانت قوتهم أو كثرة عددهم ، إذا أخذنا بأسباب النصر الحقيقية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] ، ونصر اللَّه كما بينت سورة الحشر ، لا يكون بالقتال فقط ، وإنما بالإيمان به ، والتصديق برسله ، وتربية الأمة على الجهاد الشامل ، بتعريفها بربها ودينها ونبيها ، وبترشيد الأمة أن الطريق الصحيح هو أن يكون القتال أو الجهاد ، خالصًا للَّه ، لا من أجل أرض أو حمية أو شعب .

احمد : وها نحن نرى في واقعنا المعاصر ، إقبال شباب الانتفاضة الفلسطينية على الشهادة في سبيل اللَّه ، وقد صرح د . عبد العزيز الرنتيسي ، المتحدث باسم حركة المقاومة الإسلامية ، حماس - أن سبب هذا الإقبال على الشهادة ، هو أولًا الإقبال على كتاب اللَّه ، ففي كل حي أو قرية أقيمت حلقة ؛ لتحفيظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية ، والاهتمام بالتربية الإسلامية ، وتربية النشء على دراسة سيرة النبي ﷺ ومغازيه ؛ لذا لا نعجب أن اللَّه ألقى في قلوب العدو اليهودي الرعب : ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ [الحشر : ٢] ، لقد أصبح العدو الصهيوني يعيش في رعب متصل ، لقد انتشر التمرد في جيش العدو ، وكثرت الهجرة المعاكسة ، وارتفع معدل البطالة ، وكسد الاقتصاد .. إلخ (١) .

يقول الكاتب الصهيوني : « إنه بفضل العمليات الانتحارية - هكذا يسميها - نجح الفلسطينيون في قلب شوارع إسرائيل إلى موقع عسكري ومرهق ، وبفضل العمليات الانتحارية نجحوا في المساس بقوة ، بالاقتصاد الإسرائيلي ، وبفضل العمليات الانتحارية ، نجحوا في الحفاظ على اهتمام الأسرة الدولية بمشكلتهم » (٢) .

ويقول إعلام العدو : « إن الانتفاضة ليست مجرد هبة ، بل هي حرب استنزاف ، أغرقت إسرائيل في لجة من الدماء » (٣) .

ويقول صحفي آخر : « الحقيقة المرة أننا لم ننجح في تصفية الإرهاب ، ودحره بالقوة ، بل إن الفلسطينيين نجحوا في زرع الرعب في صفوفنا » (٤) .

« إن الوضع خطير جدًّا ، أنا أنظر بخطورة بالغة ، إلى الوضع الذي لا يستطيع فيه

---

(١) كتاب البيان ، الانتفاضة والتتار الجدد ، أ.د سفر بن عبد الرحمن .

(٢) المرجع السابق (ص ٤١) .
(٣) المرجع السابق ، (ص ٤٢) .

(٤) المرجع السابق ، (ص ٣٥) .

الوزراء أن يتجولوا بحرية داخل الخط الأخضر ، وإن لم نشعر نحن الوزراء بالطمأنينة ، فكيف سيشعر بها الجمهور ؟ » .

محمود : وواقعنا المعاصر يشهد بتحقق موعود اللَّه فيهم : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الحشر : ٢] ، هذا الوصف الذي وصفه اللَّه في سورة الحشر ، ليهود بني النضير ، ثم تكرر في وصف الرعب الذي أصاب يهود بني قريظة : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب : ٢٦] ، والحقيقة أن ما يحدث على أرض فلسطين المحتلة ، للعدو اليهودي ، يشهد بذلك ، وله مظاهر متعددة ، منها : هجرة مضادة ، تهريب رؤوس الأموال ، إخلاء المستوطنات ، انتشار الأمراض العقلية ، وكذلك قلة الإقبال على الدخول في الأكاديميات العسكرية ، حتى إن بعضها قد أقفل ولم تُجدِ العقوبات العسكرية شيئًا ، بل ارتفع عدد الموقوفين من المتهربين من الخدمة من ستمائة في أول عام ٢٠٠٢م ، إلى ألف بعد عشرة شهور .

إن اجتماع هذه المظاهر يؤكد أن الانتفاضة المباركة ، أدخلت الدولة اليهودية في حالة من الرعب الدائم (١) .

بلال : هل حصل المسلمون على غنائم من وراء غزوة بني النضير ؟

أسامة : نعم ، غنائم كثرة خمسين درعًا ، وثلاثمائة وأربعين سيفًا ، وغلال عظيمة ، كما أصبحت أرضهم للمسلمين .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا أبنائي ، على هذا الفهم الراقي ، وأسأل اللَّه ﷻ أن ينفعنا وينفعكم بما علمنا .

بلال وسلمان وسمية وسلمى : هذه جرعات فوق طاقتنا يا جدي العزيز ، وبعض العلم ينسي البعض الآخر ، ونريد أن نسأل بعض الأسئلة .

الوالد : واحد واحد ، لا داعي للتساؤلات الجماعية .

بلال : متى وقعت غزوة بني النضير ؟

الوالد : ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة .

سلمان : كم كان عدد قوات المسلمين بالنسبة لعدد قوات العدو ؟

الوالد : خرج كل مسلمي المدينة ، بقيادة النبي ﷺ لحصار بني النضير ، في

---

(١) الانتفاضة والتتار الجدد ، (ص ٤٨ - ٤٩) .

مقابل كل يهود بني النضير ، وكان الهدف التخلص من بني النضير ؛ لتآمرها على اغتيال النبي ﷺ ، ونقض العهود ، وإشاعة الفتن .

عمار : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي ، وأسأل اللَّه ﷻ أن يوفقني وأبي وأمي وجدي وجدتي وأعمامي وأخوالي وإخواني ، وأخواتي والحاضرين والغائبين ، من أمة محمد ﷺ - أن نقوم بفرائض اللَّه علينا ، قولوا جميعًا : آمين .

الجميع : آمين .. آمين آمين .

سبحانك اللهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● من هم بنو النضير الذين حاولوا اغتيال رسول اللَّه ﷺ ؟ وهل كان لهم عهد عند رسول اللَّه ﷺ ؟ .

● لماذا توجه رسول اللَّه ﷺ إلى بني النضير في عشرة من أصحابه ؟ .

● لماذا قرر رسول اللَّه ﷺ العودة إلى المدينة ؟ .

● من هو عمرو بن جِحَاش ؟ وما هي المهمة التي كاد أن يقوم بها ؟ ماذا قال سلام ابن مِشْكم لإخوانه ؟ .

● من الذي أخبر الرسول ﷺ عن مؤامرة بني النضير عليه ؟ .

● ما هي أسباب غزوة بني النضير ؟ .

● ما هي العلاقة بين سورة بني النضير وسورة الحشر ؟ ولماذا سُميت كذلك ؟ وما هي أسباب التنزيل ؟ .

● أرسل رسول اللَّه ﷺ رسالة إلى بني النضير ، مع محمد بن مسلمة ، ما مضمون الرسالة ؟ وهل استجاب يهود بني النضير ؟ وما الذي حال بينهم وبين النزول على طلب رسول اللَّه ؟ .

● هل كان رسول اللَّه ﷺ محقًّا فيما فعل ؟ .

● ما هو دور المنافقين في تخذيل يهود بني النضير ، عن الاستجابة لطلب رسول اللَّه ﷺ ؟ .

● ماذا فعل النبي ﷺ حينما أعلن بنو النضير عدم النزول على قراره ؟ .

● تحدث عن غزوة بني النضير ، عدد قوات كل من الطرفين ، التسليح ، خطة المواجهة ، نتائج الغزوة .

● ما هي صفات الجيل المسلم ، الذي نصره اللَّه ﷻ ، على يهود بني النضير ، وأعوانهم من المنافقين ؟ وكيف تم إعداد هذا الجيل ؟ .

● فصَّل اللَّه ﷻ خطورة دور المنافقين على الإسلام ، لماذا ؟ مع التدليل على ذلك من حادثة بني النضير .

● ما هي صفات اليهود ، كما بينها القرآن الكريم ؟ وهل هي نفس صفات يهود

العصر ؟ .

● هل قرأت شيئًا عن مفاتيح الشخصية اليهودية في كتاب « معركة الوجود بين القرآن والتلمود » ؟ .

● ذكرت سورة بني النضير آيات عن أهمية محاسبة النفس ، اذكرها ، وما الأحكام التي تُبنى عليها ؟ .

● ما هي الدروس المستفادة ، وما هي المعالم التي ترسيها غزوة بني النضير ، في حياة الأمة المسلمة ؟ .

● من الذي يدير المعركة بين رسول اللّه ﷺ ، وبين أعدائه ، من اليهود والمنافقين ؟ .

● لماذا عاقب اللّه يهود بني النضير ، على يد رسول اللّه محمد ﷺ وأصحابه ؟ .

● ما هو حكم الغنائم التي أنعم اللّه بها على المسلمين في هذه الغزوة ؟ .

● أواخر سورة الحشر ، حُضَّ النبي ﷺ على قراءتها ، مسبوقة بالاستعاذة باللّه من الشيطان الرجيم ، ثلاثًا . ما الفائدة ؟ .

● سورة بني النضير تُعرف الناس بصفات اللّه وأسمائه ، ما أثر هذا العلم على الدارس للمسألة ؟ .

● شباب الانتفاضة يذكر الأمة أن الجندي اليهودي الذي لا يغلب ، أكذوبة . كيف كان ذلك ؟ .

● عبور القوات المسلحة في العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م) قناة السويس وتحطيم خط بارليف ، وكسر شوكة اليهود يرسي معلمًا بارزًا في حياة الجيل الجبان ، ما هو ؟ .

● رسول اللّه ﷺ استفاد من نتائج غزوة بني النضير ، أما المعاصرون فلم يستفيدوا من حادثة العبور ، بل وأجهضوا النصر الذي تحقق ، كيف كان ذلك ؟ .

اللقاء الخامس والعشرون

غزوة « بدر الموعد » و « دومة الجندل »
سنة ٤ هـ / يناير ٦٢٦ م

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ ، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، وبعد ، فهذا هو لقاؤنا الخامس والعشرون ، نعرض فيه لغزوة « بدر الآخرة » أو « بدر الموعد » و « دومة الجندل » .

وأسباب بدر الموعد أو الآخرة ، تتضح لنا إذا ما تذكرنا ما جرى من حوار بين أبي سفيان ، وعمر بن الخطاب ، في نهاية معركة أُحد ، هل يذكر ذلك أحد منكم ؟

محمود : نعم ، حينما سأل أبو سفيان عن رسول اللَّه ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعلم أنهم على قيد الحياة - تضايق وانطلق يرفع شعارات جاهلية ، محاولًا بها تحطيم معنويات المسلمين ، ولكن لم يفلح .

قال أبو سفيان : اعْلُ هُبل ، فرد عليه عمر بن الخطاب : « اللَّه أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزى لكم ، فقال عمر : « اللَّه مولانا ولا مولى لكم » قال أبو سفيان : يوم بيوم ، فرد عليه عمر ﷺ : « قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » قال أبو سفيان : إن مَوْعِدَكُم بدر العام القادم ، فرد عمر : « نعم هو بيننا وبينك موعد » [1] .

وجاء الموعد المحدد ، وتحرك أبو سفيان باتجاه بدر ، متصورًا أن المسلمين سَيَجْبُنُون عن انتظاره ولكن رسول اللَّه ﷺ تحرك باتجاه بدر ؛ لكسر معنويات قريش ، والتغلب عليها ، وإظهار قوة المسلمين لكفار العرب واليهود ، وحتى لا يعلن العدو أن المسلمين قد جبنوا عن لقائه .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا .. أكمل ..

محمود : قرر رسول اللَّه ﷺ الخروج هو وإخوانه ؛ لملاقاة جيش المشركين ، بقيادة أبي سفيان ، في بدر ، في ألف وخمسمائة مقاتل ، وذلك في شعبان سنة ٤هـ/ ٦٢٦م ، وكان معهم عشرة أفراس ، وأعطى لواء الجيش لعلي بن أبي طالب ﷺ ؛ وقبل أن يخرج ﷺ إلى أرض المعركة ، استخلف على المدينة عبد اللَّه بن روَاحة ؛ لتصريف

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٧٦) .

شؤون المدينة ، أثناء غيابه ﷺ (١) .

بلال : معذرة يا عمي محمود ، هل خرج أبو سفيان تنفيذًا لتهديده ؟ وكم كان عدد جيشه وعدته ؟ .

محمود : نعم .. خرج أبو سفيان في ألفين من مشركي مكة ، ومعهم خمسون فَرَسًا حتى انتهى إلى مرِّ الظهران ، على بعد مرحلة من مكة ، وانتهى إلى بدر ، ونزل بماء بتلك الناحية يسمى مجنَّة (٢) .

عمار : مَن الذي سبق أولًا إلى بدر يا عمي ؟ وكيف كانت معنويات الجيشين ؟

محمود : سبق المسلمون بقيادة النبي ﷺ إلى بدر ، بنشاط وحماس . أما أبو سفيان فقد أصابه الخور ، حينما علم بخروج المسلمين إلى بدر ، وانتظاره . لذلك حاول أن يتلمس عذرًا للعودة أمام قومه ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلح لكم إلا عام خصب ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإني راجع فارجعوا ، واستجابت قريش لنداء أبي سفيان ، وآثروا العودة وعدم مواصلة السير للقاء المسلمين في بدر .

عمار : اللَّه أكبر ، صدق رسول اللَّه ﷺ الذي قال : « **نُصرت بالرعب مسيرة شهر** » .

محمود : نعم ، وعلى الجانب المقابل ، ظل المسلمون ببدر ، ينتظرون العدو ثمانية أيام ، وكانت معهم تجارة فتبايعوا ، وربحوا وعادوا إلى المدينة ، وقد ازدادت هيبة الجيش الإسلامي في أعين أعدائه ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .

الوالدة : لو أذنت لنا يا أبا محمد ، أعتقد أن غزوة بدر الموعد ، والتي تُسمى بدر الآخرة ، وبدر الصغرى ، تحتاج إلى إيضاح أكبر لخطورتها وأهميتها.

إن هذه الغزوة تسمى « بدر الموعد » لأن أبا سفيان (٣) قال للمسلمين قبل أن ينصرف من أحد : « موعد بيننا وبينكم بدر الصَّفراء ، على رأس الحول ، نلتقي فنقتتل » ، فقال رسول اللَّه ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ : « **قل له : نعم إن شاء اللَّه** » . وكانت بدر مجمعًا يجتمع العرب فيه ، وسوقًا تقوم لهلال ذي القعدة . فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج

(١) الرسول القائد ، (١٣٦ - ١٣٧) ؛ السيرة النبوية (ج٣ ، ص١٦٩ - ١٧٢) المغازي ، الذهبي (ص٢٥٠) .
(٢) الرحيق المختوم ، ص٣٥٢ ؛ زاد المعاد ، (ج٢ ص١١٢) .
(٣) التاريخ الإسلامي . مواقف وعبر ، د. عبد العزيز عبد اللَّه الحميدى ، المجلد الثالث (ج٦) . دار الدعوة ، الإسكندرية ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م (ص٦١ - ٦٧) ، وما بعده .

إلى رسول اللَّه ﷺ . فكان كل من ورد عليه مكة يريد المدينة ، أظهر له : إنَّا نُريدُ أن نَغْزو محمدًا في جمع كثيف . فيقدم القادم إلى أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فيراهم على تَجَهُّزٍ ، فيقول : تركت أبا سفيان قد جمع الجُموع وسار في العرب ؛ ليسير إليكم كموعدكم ، فيكره ذلك المسلمون ويُهيبهم ذلك .

ويَقْدُم نُعَيم بن مسعود الأشْجَعِي مكة ، فجاءه أبو سفيان ، في رجال من قريش ، فقال : يا نعيم ، إني وعدت محمدًا وأصحابه أن نلتقي نحن وهو ، بِبَدرِ الصَّفْراء ، على رأس الحول ، وقد جاء ذلك . فقال نعيم : ما أقدمني إلا ما رأيتُ مُحَمَّدًا وأصحابه ، يصنعون من إعداد السلاح والكُراع ، وقد تجلَّب إليه حلفاء الأوس من بَلَى وجُهَينة وغيرهم ، فتركت المدينة أمس وهي كالرمَّانَة .

فقال أبو سفيان : أحقًّا ما تقول ؟ قال : إي واللَّه ، فجزوا نُعَيمًا خيرًا ووصلوه وأعانوه . فقال أبو سفيان : أسمعك تذكر ما قد أعدوا وهذا عام جدب ، وإنما يصلحنا عام خصب نرعى فيه الظهر والخيل نشرب اللبن ، وأنا أكره أن يخرج محمدٌ وأصحابه ، ولا أخرج ، فيجترئون علينا ، وأحب أن يكون الخُلف من قِبَلهم ونجعل لك عشرين فريضة . قال نعيم : رضيت . فخرج على بعير حملوه عليه ، وأسرع السير ، فقدم ، وقد حلق رأسه معتمرًا ، فوجد أصحاب رسول اللَّه يتجهزون ، فقالوا له : من أين يا نُعَيم ؟ قال : من مكة ، خرجت معتمرًا . فقالوا : لك عِلمٌ بأبي سفيان ؟ قال نعيم : تركت أبا سفيان قد جمع الجموع ، وأجلب معه العرب ، فهو جاء فيما لا قِبل لكم به ، فأقيموا ولا تخرجوا . وجعل يطوف بهذا القول في أصحاب رسول اللَّه ﷺ حتى رَعَّبهم وكرَّه إليهم الخروج . واستبشر المنافقون بذلك واليهود ، وقالوا : محمد لا يُفلت من هذا الجمع ، واحتمل الشيطان أولياءه من الناس ، لخوف المسلمين ؛ حتى بلغ رسول اللَّه ﷺ ذلك ، وحتى خاف رسول اللَّه ﷺ ألا يخرج معه أحد . فجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وقد سمعا ما سمعا فقالا : يا رسول اللَّه ، إن اللَّه مظهر دينه ، ومُعز نبيه وقد وعدنا القوم موعدًا ، ونحن لا نحب أن نتخلف عن القوم ، فيرون أن هذا جبن منَّا ؛ فَسِرْ لموعدهم ، فواللَّه إن في ذلك لخيرة ، فَسُرَّ النبي ﷺ بذلك ، وقال : « **والذي نفسي بيده لأخْرُجَنَّ ، وإن لم يخرج معي أحد** » .

وخرج النبي ﷺ ، في جيش من الصحابة ، كما ذكر محمود ، منذ قليل . في هذا الخبر ظهرت أخلاق المسلمين وأخلاق الكفار ، فقد ظهرت شجاعة المسلمين وإقدامهم على المكاره ، ووفاؤهم بالوعد ، كما ظهر في جبن الكفار وفشلهم ، وصدق اللَّه

القائل : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر : ١٣] .

وظهر أن المنتصر حقًّا في معركة أُحد ، هم المسلمون ؛ لأنهم خرجوا للقتال بعد سنة بنفوس وثَّابة ومعنويات عالية ، بينما تقاعس الكفار ، وجبنوا وصاروا يبذلون من أموالهم لمن يخذِّل رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، عن الخروج ؛ ليكون النكوث من المسلمين ، حتى لا يفتضح المشركون أمام العرب ، وليحتفظوا بنتائج أحد التي وهموها نصرًا ، وليست كذلك .

أحمد : لو أذنت لي يا والدتي .. وفي هذه الغزوة ندرك خطورة الإعلام ؛ فقد بث نعيم بن مسعود دعاية إعلامية واسعة ، عن ضخامة جيش المشركين ، كان لها أثر خطير في نفوس بعض المسلمين .

إيمان : لكن حزم الرسول القائد ﷺ ، وقوة عزيمته ، وإدراكه الدقيق لعوامل النصر والهزيمة ، وإعلانه أنه سيخرج ، ولو كان وحده - أحبط هذا المخطط ، فارتفعت معنويات المسلمين بمجرد سماعهم عن عزم النبي ﷺ على الخروج ، وهذا يعتبر مثلاً عاليًا في الطاعة ، والاستسلام لأوامر الله ﷻ ، ورسوله ﷺ . وصدق الله القائل : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

الوالد : جزاكم الله خيرًا لهذه المداخلات التي تبين لنا خطورة الدور الإعلامي ، في المعركة ، بين المسلمين وأعدائهم . وقد انتصر المسلمون على أعدائهم ، بدون قتال ، كما أنهم ربحوا في تجارتهم ربحًا عظيمًا ، كما ذكر عثمان بن عفان [١] .

والآن .. من قام بدراسة غزوة دُومة الجَنْدَل [٢] ؟

أسامة : أنا يا والدي .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : خرج رسول الله ﷺ ، في ألف راكب ، وراجل ، باتجاه دومة الجندل ، وهي تقع على الحدود بين الحجاز والشام (بينها وبين المدينة خمس عشرة مرحلة) ، يكمن بهم نهارًا ويسير ليلاً ؛ ليباغت القبائل البدوية ، التي تقطن دومة الجندل ، وتقوم بقطع الطريق ، ونهب القوافل ، ولإجهاض استعداداتها لمهاجمة المدينة . فلما وصلها رسول الله ﷺ ، فرت القبائل وأهل دومة الجندل ؛ خوفًا من لقاء المسلمين ، وعاد رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، بعد أن أقاموا بضعة أيام في دومة الجندل .

---

(١) التاريخ الإسلامي ، دروس وعبر (ج٦ ، ص ٦٧) .

(٢) السيرة النبوية ، (ج٣ ص١٧٧ - ١٧٨) ؛ الرسول القائد (١٣٧ - ١٣٨) ، الرحيق المختوم ص٣٥٣ ، زاد المعاد (ج٢ ص١١٢) .

كانت غزوة دومة الجندل ، ضمن حركة تثبيت أركان الدولة الإسلامية ؛ فقد فرضت سلطان المسلمين على هذه المنطقة كلها ، وأشعرت سكانها أنهم في حماية الدولة الإسلامية ، وأنهم يُؤَمِّنُون لهم الطرق ، ويحمون لهم تجارتهم .

إن وصول جيوش المسلمين إلى دومة الجندل ، على هذه المسافة البعيدة من المدينة - دليلٌ قاطعٌ على ما وصلت إليه قوة المسلمين ، وعلى شعورهم بالمسؤولية الكاملة ، تجاه تأمين الحياة للناس في هذه المنطقة ، وأن هذه المناطق النائية كانت ضمن الدولة الإسلامية ، وأن الدولة أصبحت منيعة ، ليس في مقدور أحد أن يعتدي عليها .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة . هل لك أن تكمل يا محمود ؟ .

محمود : نعم . قد كانت غزوة دومة الجندل ، بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية ، وأطراف الشام الجنوبية ، وأحسوا بقوة الإسلام ، وسطوته [1] كما كانت لقيصر ، وجنده الذين يحتلون أرض الشام ، كما أن سير الجيش الإسلامي هذه المسافات الطويلة فيه تدريب له على السير ، إلى الجهات النائية في أرض لم يعهدها من قبل . لذلك تعتبر هذه الغزوة فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وأفريقية فيما بعد .

بقي أن أعرض لبعض الدروس المستفادة من هذه الغزوة ، كما وردت في كتاب : التاريخ الإسلامي دروس وعبر [2] .

هذا الخبر يدلنا على دقة الرصد الحربي عند المسلمين ، في العهد النبوي ؛ حيث علم رسول اللَّه ﷺ بما همَّ به أهل دومة الجندل ، من الزحف على المدينة ، ومهاجمة المسلمين ، فقام ﷺ بهذه الغزوة الموفقة التي أدت إلى تلك النتائج الطيبة لصالح المسلمين .

ويظهر في هذا الخبر أيضًا براعة النبي ﷺ ، في الإدارة الحربية ، حينما وصل إلى دومة الجندل ، في أقصى شمال الجزيرة العربية ، وهو يقود جيشًا كبيرًا نسبيًا ؛ فلم يعلم به أهل تلك البلاد ، حتى فاجأهم قبل أن يتجمعوا له ، ويعدوا العدة للقائه ، وبهذه الإدارة الحكيمة ، جَنَّب النبي ﷺ أصحابه خوض معركة قد تكون شاقة عليهم ، مع حصول المسلمين على المكاسب الحربية ، التي أرادوها ، من إضعاف عدوهم معنويًا وماديًا ، وإرهابهم حتى لا يفكروا مرة أخرى بغزو المسلمين .

---

(١) السيرة النبوية ، محمد علي الصلابي ، (ج٢ ، ص٢٢٩) .

(٢) التاريخ الإسلامي دروس وعبر ، د. عبدالعزيز عبد اللَّه الحميدي (ج٦ ، ص ٦٨ - ٧٠) .

اختبر معلوماتك

● في نهاية غزوة أُحد ، قال أبو سفيان : اعْلُ هُبَل ، فرد عليه عمر ﷺ : « اللَّهُ أعْلَى وأجلّ » ، فقال أبو سفيان : يوم بيوم ، فرد عمر ﷺ : « لا سواء ؛ قتلانا في الجنَّة وقتلاكم في النار » ، فقال أبو سفيان : موعدنا بدر السنة القادمة . فهل صدق أبو سفيان في تهديده ؟ وماذا فعل رسول اللَّه ﷺ لمواجهة هذا التحدي ؟ .

● لماذا سُميت الغزوة « بدر الآخرة » أو « بدر الموعد » ؟ وأسبابها والنتائج التي أسفرت عنها ، وما هي الدروس والعبر ؟ .

● أين تقع دُومَة الجَنْدَل ؟ وما هي أسباب خروج رسول اللَّه ، في ألف مقاتل ، إلى دوْمَة الجندل ؟ وما هي النتائج التي أسفرت عنها ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء السادس والعشرون

الأحزاب (مشركو العرب ويهود بني قريظة) يهاجمون المدينة المنورة شوال سنة ٥ هـ / ٦٢٦م

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته ، والحمد للَّه ، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ وبعد ..

فهذا هو لقاؤنا السادس والعشرون ، حول غزوة الأحزاب (الخندق) ، وغزوة بني قريظة . وأسباب هاتين الغزوتين والدروس والعبر .

يقول ربنا رب العالمين : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: ٨٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧] ، ويقول سبحانه : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١، ١١٢] .

الأولاد : سبحان اللَّه الذي كشف لنا عن طبيعة العدو اليهودي ومشاعره ، ضد الأمة المسلمة ! فما الهدف يا والدي ؟ وما هي الغاية من هذا البيان الرباني ؟ .

الوالد : تكلم يا محمود .

محمود : الهدف كما يقول رب العالمين : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥] ، وينبني على ذلك عمل :

- أخذ الحذر ، يقول اللَّه ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١] .
- وإعلان البراءة وتفعيل المقاطعة ، يقول اللَّه سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْۙ

أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ١، ٢] .

● جهاد الكافرين والمنافقين، وإعداد العدة لمقاومتهم؛ يقول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩]، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

الوالد: شكر الله لك يا شيخ محمود. في ضوء هذا البيان، وفي ضوء ما فعله يهود بني قينقاع، من تآمر على الدولة الإسلامية، بقيادة النبي محمد ﷺ، وقتل للمسلمين وتآمر على حياة الرسول القائد ﷺ، وحرص على إثارة الفتن، داخل المجتمع المسلم - يمكن أن نفهم أحداث غزوة الأحزاب، وبني قريظة، والعدوان اليهودي المعاصر على فلسطين، وعلى العالم الإسلامي، ويستهدف المقدسات والعقائد والأعراض. أكمل يا أسامة.

أسامة: خرج عشرون رجلًا من زعماء اليهود، وسادات بني النضير، منهم: كنانة بن الربيع، وسلام بن مشكم، وسلَّام بن أبي الحقيق، وحُيي بن أخطب، في رحلة إلى قريش بمكة، يحرضونهم على غزو المدينة المنورة، وتقويض بنيانها، والقضاء على رسول الله محمد ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش؛ ثم توجه وفد اليهود إلى غَطَفان، فدعوهم إلى ما دَعَوا إليه قريشًا، فاستجابوا لذلك، ثم طاف الوفد اليهودي، في قبائل العرب، يدعونها إلى ذلك، كما استطاع حُيي بن أخطب التأثير على يهود بني قريظة؛ لينضموا بدورهم إلى الأحزاب، ونقضوا عهدهم مع قائد الدولة الإسلامية محمد ﷺ. وهكذا نجح ساسة اليهود، وقادتهم، في تأليب أحزاب المشركين، على النبي ﷺ، ودعوته والمسلمين.

وفعلًا خرجت قريش وكنانة، وحلفاؤهم من أهل تهامة، وقائدهم أبو سفيان بن حرب، في أربعة آلاف مقاتل، ووافاهم بنو سليم بمرِّ الظهران، وخرجت قبائل من غطفان وبنو فزارة، يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعر بن رحيلة، كما خرجت بنو أسد وغيرها، باتجاه المدينة المنورة.

وبعد أيام تجمع شرق المدينة، وبالقرب من أحد، جيش عرمرم من المشركين يبلغ

عدده عشرة آلاف مقاتل ، جيش ربما يزيد عدده عن جميع من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيوخ ، وهدف العدو القضاء على المسلمين ، وإسقاط الدولة الإسلامية ، وانتهاب أموالها وسبي أهلها .

محمد : ماذا فعل الرسول القائد محمد ﷺ يا أبت ؟ .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد .. يقول الله رب العالمين : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] .

وعلى الفور سارع رسول الله ﷺ إلى عقد مجلس عسكري استشاري أعلى عرض فيه لموضوع العدوان المرتقب على المدينة المنورة ، وكيفية مواجهته ، مع رسم خطة الدفاع عن الدولة الإسلامية الوليدة . وقد أسفرت المشاورات عن الخطة التالية : قرر المسلمون البقاء في المدينة المنورة ، وحفروا خندقًا عميقًا يحيط بشمال المدينة ، ويقع بين حرة المدينة وجبل سلع ؛ لأنها هي المنطقة الوحيدة المكشوفة ، بينما بقية جهات المدينة الأخرى ، محاطة بالبساتين الكثيفة والعوارض الطبيعية . لذلك أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق في هذه المنطقة : « يا رسول الله ، إنَّا كنَّا بأرض فارس إذا حوصرنا خَنْدَقنا حولنا » .

عمار : ومن الذي قام بحفر الخندق يا جدتي ؟ .

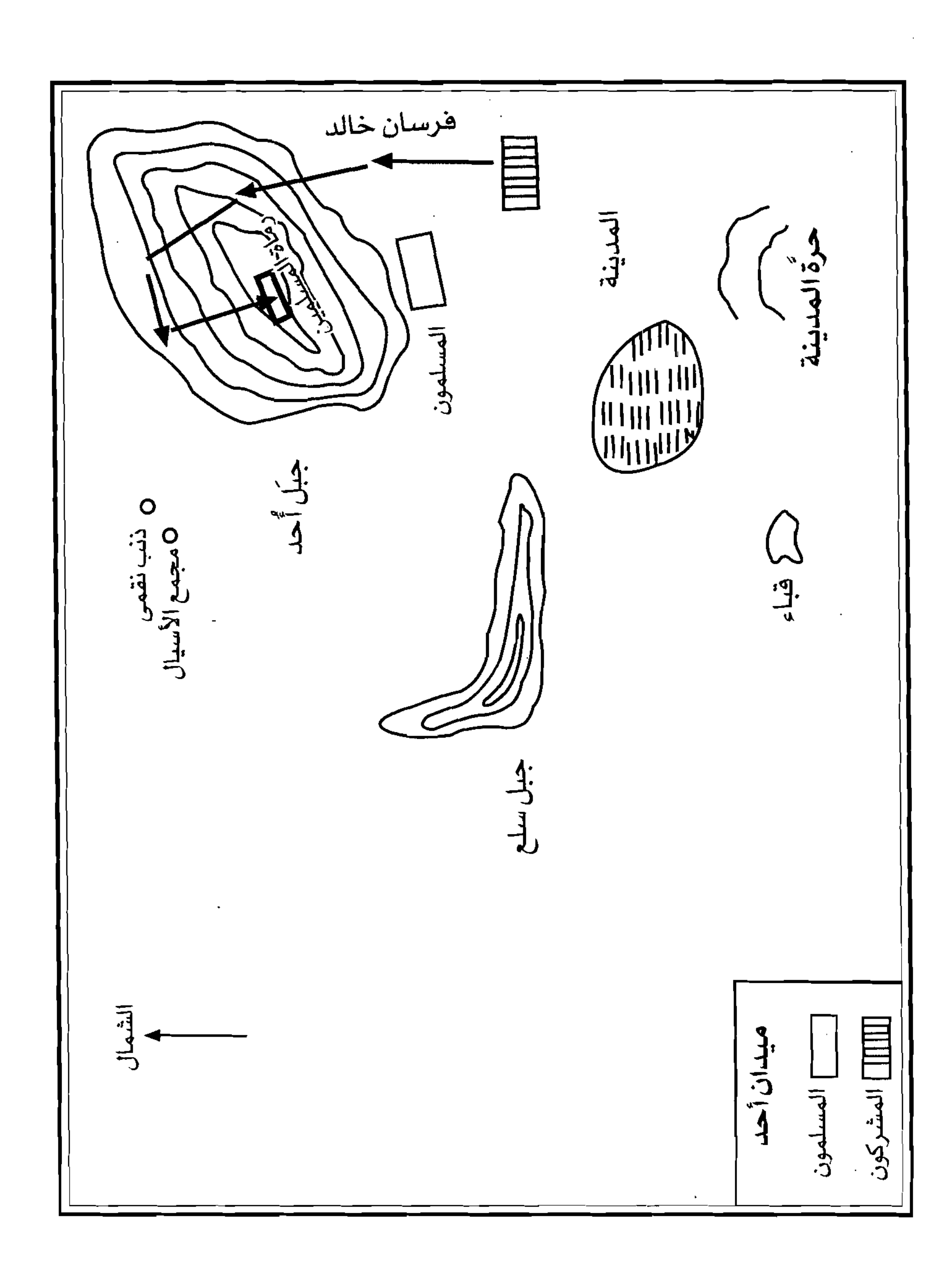
الوالدة المعلمة : قَسَّم الرسول القائد ﷺ المنطقة المراد حفرها على أصحابه ؛ لكل عشرة منهم أربعون ذراعًا ، وشارك هو ﷺ بالحفر أيضًا كأي واحد من أصحابه ؛ بل إنه ﷺ كان يعاون إخوانه في مهمتهم ، عندما تصادفهم بعض العقبات أثناء الحفر .

رحمة : هل كان هناك ورديات للعمل ؟ .

الجدة : كان العمل يستمر طيلة النهار ، ثم يأوي المسلمون ليلًا إلى دورهم ؛ ليأخذوا قسطًا من الراحة ، وكانت التعليمات من الرسول القائد ﷺ ألا يترك أحدٌ العمل أو مكانه ، إلا بإذنٍ شخصي من القائد العام ﷺ .

جنة : من الواضح يا جدتي ، أن كل الرجال كانوا منشغلين في حفر الخندق ، فمن كان يقوم على حماية النساء والأطفال ، خاصة أن يهود بني قريظة نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ وانضموا إلى أعدائه ، وصاروا يتربصون بالمسلمين .

الجدة : تمامًا يا جنة ؛ لقد أخذ المسلمون بالأسباب ، فجمعوا النساء والأطفال في بيوت قوية البنيان ، في منطقة آمنة داخل المدينة ، وهجروا البيوت الواهنة .


فرسان خالد
رماة المسلمين
المسلمون
المدينة
حرة المدينة
جبل أحد
ذنب نقمى
مجمع الأسيال
جبل سلع
قباء
الشمال
ميدان أحد
المسلمون
المشركون

وبعد الانتهاء من حفر الخندق ، رابط المسلمون خلفه في مواجهة العدو ، واستفادوا من جبل سلعٍ لحماية جناحهم الأيسر ، من التفاف العدو ، لقطع خط رجعتهم ، وهذا درس استفادوه من معركة أحد (**انظر الخريطة**) .

جنة : من الواضح يا جدتي أن الأمر كان جد خطير ؛ لقد كان بإمكان يهود بني قريظة التسلل إلى داخل المدينة ، والتنكيل بالنساء والأطفال ، في الوقت الذي ينشغل فيه المجاهدون ، بمواجهة العدو بأرض المعركة . كما كان بإمكانهم الالتفاف حول المسلمين ، لقطع خط رجعتهم إلى داخل المدينة .

الوالدة المعلمة : لا تقلقي يا جنة ؛ لقد وفق اللَّه رسول اللَّه ﷺ ، في الأخذ بالأسباب ، كما سنرى ، اصبري قليلًا ، لتدركي أن الرسول القائد ﷺ قد أخذ بالأسباب .

أسامة : آمل عدم مقاطعة الوالدة ؛ حتى يتم استعراض الأحداث ، بما في ذلك خطة الدفاع والهجوم التي رسمها رسول اللَّه محمد ﷺ ، بحضور الصحابة ، وذلك في مواجهة الأعداء .

الوالدة : تمامًا يا أسامة . وأثناء حفر الخندق ، ورغم شدة البرد وقلة الطعام والكساء ، فقد استمر المسلمون يعملون بهمة ونشاط ، ويصدحون بالأناشيد . فقد روي عن البراء بن عازب ، أنه قال :

رأيت رسول اللَّه ﷺ ينقل من تراب الخندق ، حتى وارى عنِّي الغبار جلدة بطنه ﷺ ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد اللَّه بن رواحة ، وهو ينقل التراب ويقول :

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

وحينما كان يرى الرسول القائد ﷺ أصحابه ، وهم على تلك الحال من الجوع والبرد ، كان يرتجز :

اللَّهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فيتجاوب الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - مع كلمات الرسول القائد ﷺ :

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

منى : معذرة يا أمي ، هل وصلت الخصاصة بالصحابة إلى هذا الحد رغم هذا

ظلت المعنويات مرتفعة ، والرباط في مواجهة العدو حادث ، والصبر والثبات والتوكل على الله ، والثقة في نصرة دين الله متحقق ؟ .

الوالدة المعلمة : نعم يا أم نور الدين .

رُوي : « شكونا للرسول ﷺ الجوع ، فرفعنا عن بطوننا عن حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين » .. سبحان الله ! كل صحابي يربط حجرًا من شدة الجوع ، والرسول القائد ﷺ يربط حجرين على بطنه ، أي أنه أشدهم جوعًا .

ووصل الأمر أن الصحابة كانوا يأكلون ما لا يمكن أكله ، من شدة الجوع . مثال : كانوا يؤتون بملء الكفين من الشعير - فيصنع لهم مع الدهن الذي تغير طعمه ولونه من قدمه - طعامًا ، يوضع بين يدي القوم ، وهم جياع ؛ فيأكلونها ، رغم أنها بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن ، رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ .

راهبة : ولكن ، ألم يكن أحد من الأنصار يملك أن يطعم الصحابة في هذا الموقف ، وخاصة أن بذل المال واجب في مثل هذه الظروف . يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٥] ؟ .

الوالد : نعم ولكن المسألة تحتاج إلى إطعام جيش بأكمله . وقد رأى أحد الأنصار ، وهو جابر بن عبد الله في النبي ﷺ جوعًا شديدًا ، فذبحت زوجته بهيمة ، وطحنت صاعًا من شعير ، ثم التمس جابر من رسول الله ﷺ أن يأتي إلى بيته ، في نفر من الصحابة ، وما كان لرسول الله ﷺ أن يذهب بنفر ، ليطعموا ويترك بقية أصحابه ، ولم يكن من المتصور أن يدعو أهل الخندق جميعًا على طعام يتكون من بهيمة وصاع من شعير . ولكن هذا غير المتصور ، قد وقع ، وهو بكل المعايير معجزة تحققت على يد النبي محمد ﷺ بفضل الله ورحمته . لقد دعا رسول الله ﷺ أهل الخندق جميعًا ؛ ليطعموا عند أخيهم جابر فأُسْقِطَ في يدي الأنصاري ، وحينما أخبر زوجته بالدعوة العامة إلى بيته ، طمأنته زوجته ، وقالت له : إنه رسول الله ﷺ ولن يخزيه الله رب العالمين . وقام رسول الله ﷺ بجميع أهل الخندق ، وهم ألف ، فأكلوا من ذلك الطعام ، وشبعوا ، وبقي برمة اللحم تغط به كما هي ، وبقي العجين يُخبز كما هو [1] .

راهبة : الله أكبر ولله الحمد . لا حرج على فضل الله الذي يرزق من يشاء بغير

---

(١) روى ذلك البخاري (ج٢ ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩) .

حساب . وهذه من بركة اللَّه التي خص بها رسول اللَّه محمد ﷺ .

الوالد : انتظري يا هبة ؛ لترين ما هو أعجب . لقد كان النعمان بن بشير ﷺ ، يُشارك هو وأبوه وخاله في حفر الخندق ، فحملت إليه أخته حفنة من التمر ليأكلوا وحينما مرت برسول اللَّه ﷺ طلب منها التمر ، وبدده فوق ثوب ، ثم دعا أهل الخندق ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل التمر يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه يسقط من أطراف الثوب .

شيرين : اللَّه أكبر وللَّه الحمد ؛ إنه يذكرنا بكلمة مريم ابنة عمران ، حينما كان يتنزل عليها الرزق من السماء ، فيسألها زوج خالتها زكريا عليه السلام : « أنَّى لك هذا » ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

الوالدة : جزاكِ اللَّه خيرًا يا شيرين ؛ لكن الأعجب من هذا ، أن يعمل المجاهدون بهمة ونشاط ، رغم هذه الظروف ، في حفر الخندق ، والاستعداد لمقاومة المشركين ..

فقد روي أنه قد عرضت للصحابة ، وهم يحفرون الخندق ، كُدية (صخرة) فجاءوا إلى النبي ﷺ ، وقالوا هذه كُدية ، عرضت في الخندق ، فقال : « **أنا نازل** » ثم قام ﷺ وبطنه معصوب بحجرين ، وقد لبثنا ثلاثة لا نذوق ذواقًا ، وأخذ النبي ﷺ المعول فضرب الصخرة فصار رملًا لا يتماسك .

نهال : قرأت يا والدتي ، أن تحطيم الصخرة اقترن ببشارات للأمة المسلمة ، من رسول اللَّه محمد ﷺ .

الوالدة : نعم ، حينما توجه رسول اللَّه ﷺ إلى الموقع ، وأخذ المعول ، فقال : « **بسم اللَّه** » ، ثم ضرب ضربة فومض نور ، فقال ﷺ : « **اللَّه أكبر أُعطيت مفاتيح الشام ، واللَّه إني لأنظر قصورها الحمر الساعة** » ، ثم ضرب الثانية فقطع آخر ، فقال : « **اللَّه أكبر أعطيت فارس ، واللَّه إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن** » ثم ضرب الثالثة ، فقال : « **بسم اللَّه** » فقطع بقية الحجر ، فقال : « **اللَّه أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، واللَّه إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني** » (١) .

نهال : اللَّه أكبر وللَّه الحمد ! لقد كانت هذه البشارات من رسول اللَّه ﷺ ، تعني أن الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) ، ستنهار تحت ضربات المجاهدين المسلمين ، وتعني أيضًا أن الإمبراطورية الفارسية ستسقط تحت ضربات أهل الحق ، وأن ميراث

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد والنسائي .

الإمبراطوريتين ، سيدخل في ميراث الأمة المسلمة .

الوالدة : تمامًا ولله المنة والحمد ، وقد تحقق ذلك ، كما سنرى بفضل الله ﷻ .

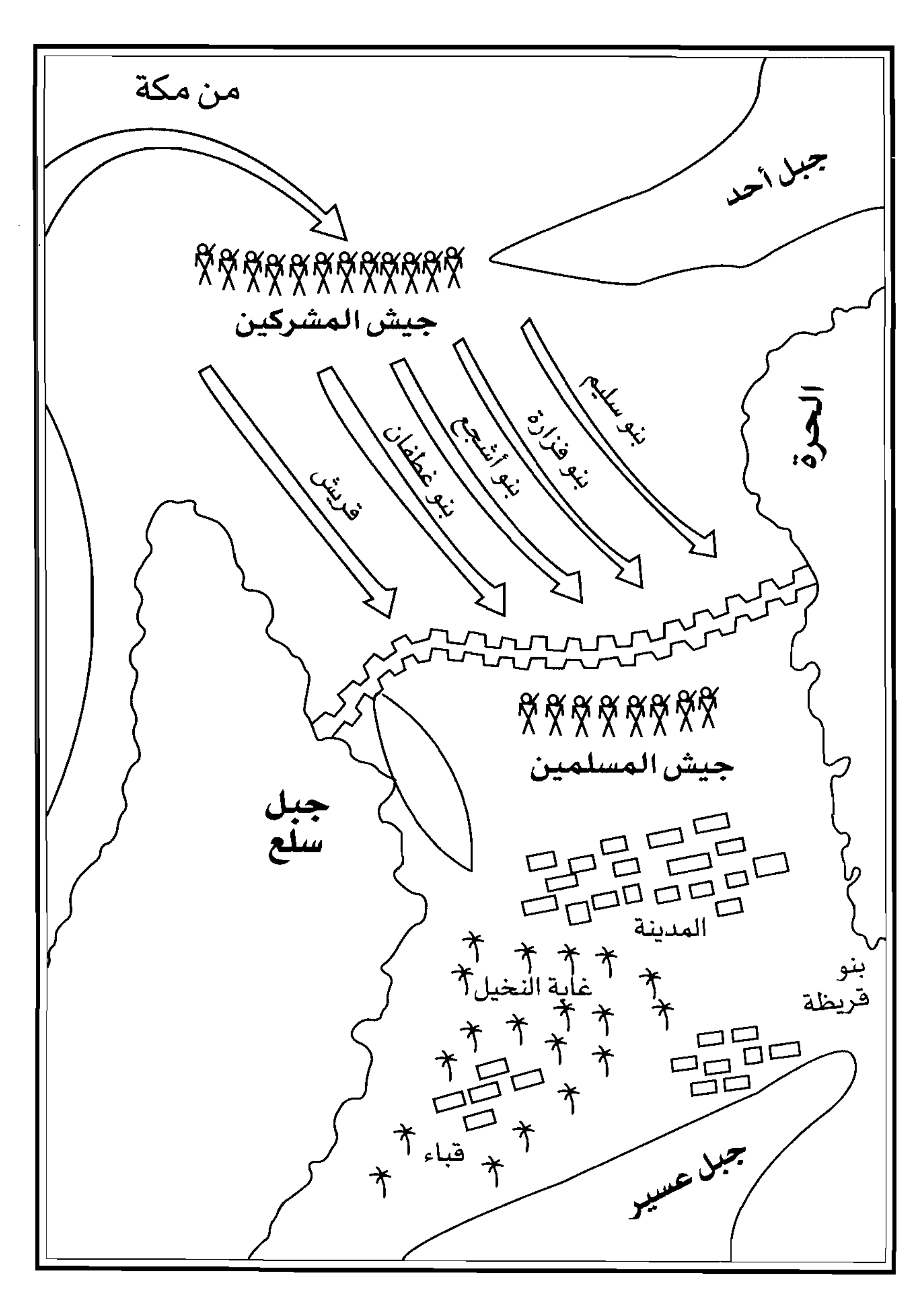
إيمان : آمل أن نعود مرة أخرى ، إلى غزوة الأحزاب ؛ لنتابع الأحداث ؛ متى وصل الأعداء إلى المدينة المنورة ؟ وكم كان عددهم ؟ وأين نزلوا ؟ وما هو موقفهم حينما شاهدوا الخندق ؟ وكم كان عدد المسلمين في الخندق ؟ .

الوالدة : كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة / ٦٢٦م . واستمر الحصار شهرًا واحدًا . وكان رسول الله ﷺ ، في ثلاثة آلاف من الصحابة ، في الخندق ، فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع ، فتحصنوا به ، والخندق بينهم وبين الأحزاب . وكان شعارهم (كلمة السر) « حم لا ينصرون » . واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة بن أم مكتوم ؛ للقيام بالواجبات أثناء غياب النبي ﷺ .

ولما أراد المشركون مهاجمة المسلمين ، واقتحام المدينة – وجدوا خندقًا عريضًا يحول بينهم وبينها ، فالتجؤوا إلى فرض الحصار على المسلمين ، بينما لم يكن المشركون مستعدين لهذا الخندق ، حين خرجوا من ديارهم ، إذ كانت هذه الخطة ، كما قال المشركون ، مكيدة ما عرفها العرب ، ولم يكونوا قد أدخلوها في حساباتهم . ورغم هذا فقد أخذ المشركون يدورون حول الخندق غضابًا ، يتحسسون نقطة ضعيفة ، لينفذوا منها ، والمسلمون يرقبون ويرشقون المشركين بالنبل ، حتى لا يجترئوا على الاقتراب من الخندق ، ولا يستطيعوا اقتحامه ، أو يهيلوا عليه التراب ؛ ليبنوا لهم طريقًا يمكنهم من العبور .

بلال : ماذا فعل المشركون ؟ هل حاولوا اقتحام الخندق ؟ .

الوالدة : خرجت منهم جماعة ، فيها عمرو بن عبد ود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضرار بن الخطاب ، فتيمَّمُوا مكانًا ضيقًا من الخندق ، فاقتحموه ، وتصدى لهم علي بن أبي طالب ، في نفر من المسلمين ، حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا فيها خيلهم ، ودعا عمرو إلى المبارزة ، فخرج له علي بن أبي طالب ﷺ ، فبارزه فقتله ، وانهزم باقي المشركين ، واقتحموا من الخندق هاربين ، وقد بلغ بهم الرعب إلى أن ترك عكرمة بن أبي جهل رمحه ، وهو منهزم ، عن عمرو بن عبد ود . كما قامت قوة صغيرة من المشركين ، بالهجوم على المسلمين ، باتجاه موقع الرسول ﷺ ، فقاتلهم المسلمون النهار كله ، حتى الليل ، فلما حانت صلاة العصر ، تحرج موقف المسلمين ؛ لاقتراب المشركين من منزل النبي ﷺ ، حتى لم يستطع المسلمون أن يصلوا ، ولكنهم


من مكة
جبل أحد
جيش المشركين
بنو سليم
بنو فزارة
بنو أشجع
بنو غطفان
قريش
الحرة
جيش المسلمين
جبل
سلع
المدينة
غابة النخيل
بنو
قريظة
قباء
جبل عسير

غزوة الخندق

استطاعوا مع الليل صد مفرزة المشركين ، خائبة على أعقابها . وقد استاء الرسول القائد ﷺ والصحابة ؛ لفوات وقت صلاة العصر ، حتى دعا الرسول ﷺ على المشركين : « **ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ، حتى غابت الشمس** » .

سلمان : ذلك يعني يا جدتي ، أنه لم يجر قتال مباشر بين القوتين ؛ بل اقتصر الأمر على المراماة .

الوالدة : تمامًا يا سلمان ، ولكن المعركة لم تقف فقط ، على المواجهة عبر الخندق ، ولكن استمرت على جبهات أخرى ، وبآليات مختلفة ، بمعنى أن رسول الله ﷺ ، كان حريصًا على تفكيك تحالف الأحزاب . من هذه الآليات ما أورده ابن قيم الجوزية ، في كتابه زاد المعاد : « ثم إن الله ﷻ له الحمد ؛ صنع أمرًا من عنده ، خذَّل به العدو وهزم جموعهم ، وفَلَّ حدهم ، فكان مما هيأ من ذلك أن رجلًا من غَطَفان ، يُقال له نُعَيم بن مسعود رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « **إنما أنت رجل واحد ، فَخَذل عنَّا ما استطعت ؛ فإن الحرب خدعة** » .

فذهب نُعيم من فوره ذلك ، إلى يهود بني قريظة ، وكان عشيرًا لهم في الجاهلية ، فدخل عليهم وهم لا يعلمون بإسلامه ، فقال : « يا بني قريظة ، إنكم قد حاربتم محمدًا ، وإن قريشًا إن أصابوا فرصة انتهزوها ، وإلَّا شمروا إلى بلادهم ، راجعين ، وتركوكم ومحمدًا ، فانتقم منكم » .

قالوا : فما العمل يا نعيم ؟ قال : لا تقاتلوا معهم ، حتى يعطوكم رهائن ، قالوا : قد أشرت بالرأي . ثم مضى نعيم على وجهه إلى قريش . قال لهم : تعلمون ودي لكم ونصحي لكم . قالوا : نعم . قال : إن يهود قد ندموا على ما كان منهم ، من نقض عهد محمد ﷺ ، وأصحابه . وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن ، يدفعونها إليه ، ثم يوالونه عليكم ؛ فإن سألوكم رهائن ، فلا تعطوهم ، ثم ذهب إلى غطفان ، فقال لهم مثل ذلك .

فلما كان ليلة السبت ، من شوال ، بعثوا إلى يهود : إنَّا لسنا بأرض مقام ، وقد هلك الكراع والخف ، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدًا . فأسل إليهم اليهود ، أن اليوم يوم السبت ، وقد علمتم ما أصاب مَنْ قبلنا ، حين أحدثوا فيه . ومع هذه فإنَّا لا نقاتل معكم ، حتى تبعثوا إلينا رهائن . فلما جاءتهم رسلهم بذلك ، قالت قريش : صدقكم والله نُعَيم . فبعثوا إلى يهود : إنَّا والله لا نرسل إليكم أحدًا ، فاخرجوا معنا حتى نناجز

محمدًا . فقالت قريظة ، صدقكم واللَّه نُعيم . فتخاذل الفريقان ، وهنا تدخلت قدرة اللَّه العلي القدير ، بعد شهر من الحصار ، ثبت أثناءها المسلمون ، وصبروا وصابروا ورابطوا ؛ لينهي المعركة لصالح المسلمين . وقد نزل في هذه الغزوة قرآن يُتلى إلى يوم القيامة ، هي سورة الأحزاب . التي ترسي معالم بارزة في حياة الأمة المسلمة .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا . لو أذنت لي ، أذكر ببعض المعالم التي ترسيها الآيات في حياة الأمة .

من المعالم التي ترسيها سورة الأحزاب في حياة الأمة ، البراءة من الكفر وأهله : توجيه من اللَّه ﷻ لأمة الإسلام اليومَ وغدًا ، وهي تخوض صراعًا شرسًا ضد أعداء الإسلام ، بعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، وإعلان البراءة منهم ، ومقاطعتهم ، وعدم الثقة فيهم ، ومجاهدتهم ؛ لأنهم أهل غدر ، ونقض للعهود ، كما حدث من يهود بني قينقاع وبني النضير ، وبني قريظة .

والمنافقون أشد خطرًا من الكافرين ؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام ، وهم يضمرون الكره له ولأهله ؛ لهذا يقول اللَّه تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٣٩] .

ويقترن هذا التصرف باتباع توجيهات اللَّه ، في التعامل مع أعداء الإسلام ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ؛ لأن ذلك يعصم المؤمنين من الزلل [١] .

ثم يأتي بعد ذلك توجيه آخر : ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤٨] ، أي لا تخف من الكافرين والمنافقين ، واللَّه يعصمك من الناس .

محمد : إذن ، تحقيق الولاء والبراء ، شرط في تحقيق النصر ، أليس كذلك يا والدتي ؟ .

الوالدة : تمامًا يا محمد . ومن المعالم التي ترسيها غزوة الأحزاب [٢] أن اللَّه ﷻ هو الذي يدير المعركة ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، وأن النصر بيده سبحانه ، ويسخر جنده لتحقيق مشيئته وقدره .

---

(١) التقوى أن يعمل الإنسان بطاعة اللَّه على نور من اللَّه ، رجاء ثواب اللَّه ، وأن يترك معصية اللَّه على نور من اللَّه ، مخافة عذاب اللَّه .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، (ج٣ ، ص٨٤ - ٨٥) .

يقول اللَّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] ، ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] .

أورد ابن قيم الجوزية في زاد المعاد :

وأرسل اللَّه ﷻ إلى المشركين جندًا من الريح ، فجعلت تقوض خيامهم ، ولا تدع لهم قدرًا إلا كفأتها ولا طنبًا إلا قلعته ، ولا يقر لهم قرار ، وجند اللَّه من الملائكة يزلزلونهم ، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف . ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ : « **نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور** » . وأرسل رسول اللَّه ﷺ حذيفة بن اليمان ، يأتيه بخبرهم ، فوجدهم على هذه الحال ، وقد تهيئوا للرحيل ، فرجع إلى رسول اللَّه ﷺ ، فأخبره برحيل القوم ، فأصبح رسول اللَّه ﷺ ، وقد رد اللَّه عدوه بغيظه ، لم ينالوا خيرًا ، وكفاه اللَّه قتالهم ؛ فصدق وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، فدخل المدينة ووضع السلاح .

سلمان : هل معنى ذلك أن الملائكة زلزلتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف ؟ .

أسامة : نعم يا سلمان ، فقد كان رئيس كل قبيلة ، يقول : يا بني فلان ، إليَّ ، فيجتمعون إليه فيقول : النجاء ، لما ألقى اللَّه ﷻ في قلوبهم الرعب ، (رواه مسلم) .

سلمان : لقد ذكرت يا عم أسامة ، أن حذيفة عبر الخندق ، ودخل إلى صفوف العدو ، فهل هذا حدث رغم أن حذيفة رضي الله عنه كان خائفًا ؟

الأولاد : معذرة يا جدي ويا جدتي ، أنت يا سلمان تريد أن تأخذ اللقاء لحسابك ، اترك لنا الفرصة .

سلمان : أنا لم أمنع أحدًا من الأسئلة .

الأولاد : أنت دائمًا تفعل هذا .

سلمان : معذرة سامحوني .

الوالدة : لا تتخانقوا ، وكونوا عباد اللَّه إخوانًا ، ونظموا عملية الاستفسارات ، ولا داعي للتشاحن ، مع العلم أن الأسئلة التي يطرحها سلمان مفيدة .

سلمان : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

الأولاد : انبسط يا عمّ .

سلمان : الحمد للَّه ، نعم أنا سعيد سعادة غامرة بشهادة جدتي .

الأولاد : أصل جدتك لا تعرفك جيدًا .

الوالد : الأمر كده خرج عن الحدود . تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : ورد في صحيح مسلم ، عن حذيفة بن اليمان : لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب ، في ليلة ذات ريح شديدة ، وقر ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا رجل يأتي بخبر القوم ، يكون معي يوم القيامة ؟** » فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ، ثم الثالثة مثله ، ثم قال ﷺ : « **يا حذيفة ، قم فأتنا بخبر القوم** » فلم أجد بُدًّا إذ دعاني باسمي ، أن أقوم فقال : « **ائتني بخبر القوم ، ولا تذعرهم عليَّ** » قال : فمضيت كأنما أمشي في حمام ، حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يُصْلي ظهره بالنار ، فوضعت سهمًا في كبد قوسي ، وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول الرسول ﷺ : « **لا تذعرهم عليَّ** » ولو رميته لأصبته ، قال : فرجعت كأنما أمشي في حمّام ، فأتيت رسول اللَّه ﷺ ، ثم أصابني البرد ، حين رجعت ، وقررت ، فأخبرت رسول اللَّه ﷺ ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلِّي فيها ، فلم أزل نائمًا حتى الصبح ، فلما أن أصبحت ، قال الرسول ﷺ : « **قم يا نومان** » .

وهنا مجموعة من الدروس المستفادة ، أن الإنسان في مواجهة العدو ، قد يخاف ويتردد في حمل التكليف ، فإذا وجد من يشد من أزره ، ويذكره أن هذا فرض اللَّه عليه ، انطلق للأداء ؛ لهذا يجب على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ألَّا يحقروا إنسانًا بسبب خوفه ، وعدم إقدامه على حمل التكليف ؛ فلسنا بأفضل من حال خير القرون .

إذا تعين التكليف في رقبة إنسان ، وخاصة في مواجهة العدو ، لا يملك الإنسان أن يعتذر أو يتردد ؛ بل عليه أن يمتثل لأمر الرسول القائد ﷺ ، كما أنه يجب ألا يتجاوز المهمة المكلف بها ، والدليل أن حذيفة كان بإمكانه أن يقتل أبا سفيان ؛ ولكنه تذكر توجيه النبي ﷺ فامتنع .

ومن الدروس المستفادة ، أن اللَّه في عون العبد يثبته ، ويعينه على أداء التكاليف ، ويذلل له الصعاب ، فرغم أن حذيفة لم يكن له ثوب يستره بالكامل والبرد شديد ، بمجرد أن امتثل للأمر ، وانطلق للعبور ، سرى الدفء في أوصاله ، وتصبب جبينه عرقًا : « فرجعت فكأنما أمشي في حمّام » .

ومن الدروس أيضًا ، أهمية الدعاء . بمجرد امتثال حذيفة للأمر ، دعا له رسول اللَّه ﷺ : « **اللّهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته** » .

قال حذيفة : فواللَّه ما خلق اللَّه فزعًا ولا قرًا في جوفي ، إلا خرج من جوفي ، فما

أجدُ فيه شيئًا .

شاءت إرادة اللَّه ، أن يعاين حذيفة الانتقام الرباني من العدو . يقول حذيفة : وإذا الريح في عسكرهم ، ما تجاوز عسكرهم شبرًا ، فواللَّه إني لا أسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضربها ، ثم إنِّي خرجت نحو النبي ﷺ ، فلما انتصفت في الطريق أو نحوًا من ذلك ، إذا أنا بنحو من عشرين فارسًا ، أو نحو ذلك مُعتمِّين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن اللَّه تعالى كفاه القوم .

بلال : اللَّه أكبر ؛ إنها الملائكة ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي الحبيبة ، وبارك اللَّه في عمرك ، وجدي وأعمامي ، وأزواجهم وإخواني وأبي وأمي .

محمد : معذرة ، هل الابتلاء سنة ربانية جارية ؟ لحكمة ؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب وليتبين المنافق من الصادق ، والمجاهد من الجبان ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة ؛ ليحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ؛ ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

الوالد : نعم ، وهذا ما بدا واضحًا في غزوة الأحزاب ، وما نزل من القرآن الكريم . يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : ١٠، ١١] . **إذًا الابتلاء سنة جارية ؛ ليظهر المنافق من المجاهد** .

ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ﴾ [الأحزاب : ١٢، ١٣] أي إلى بيوتكم ومنازلكم .

﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ [الأحزاب : ١٣] ، أي ليس دونها ما يحجبها عن العدو ، ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ؛ هربًا من الزحف ، ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٤] ، أي هؤلاء الذين يريدون الهرب ، بزعم أن بيوتهم عورة ، لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، ثم سئلوا الفتنة ، وهي

الدخول في الكفر - لكفروا سريعًا وهم لا يحافظون على الإيمان ، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع . ثم قال تعالى مذكرًا له بعهدهم : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ١٥، ١٦] أي بعد فراركم وهربكم .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١٧] .

وهكذا يتضح لكم يا أبنائي ، أن القرآن الكريم كشف حقيقة المنافقين الذين يخذلون إخوانهم ساعة الشدة ، والذين يضمرون غير ما يظهرون ، وهي تؤكد أنهم جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير ؛ فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :

أفي السلم أعيار [1] جفاء وغلظة وفي الحرب أمثال النساء العوارك ؟

محمد : جزاك اللَّه خيرًا يا والدي .

محمود : معذرة يا والدتي ، هل ممكن أن نتعرف على سمت إنسان العقيدة الذي نصره اللَّه ﷻ في غزوة الأحزاب .

الوالدة : نعم ، نلمح صفات الإنسان المجاهد ، كما بينها اللَّه ﷻ من خلال نموذج الرسول ﷺ والصحابة المجاهدين ؟ .

اللَّه ﷻ في سورة الأحزاب ، يأمر الناس بالتأسي بالنبي محمد ﷺ :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، أي في أقواله وأفعاله وأحواله ، وفي صبره ، ومصابرته ، ومرابطته ومجاهدته ﷺ .

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] ، أي هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله من الابتلاء والاختبار ، والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ، وما زادهم ذلك الحال والضيق والشدة ، إلا إيمانًا باللَّه وتسليمًا ، وانقيادًا لأوامره وطاعة للَّه ورسوله ﷺ .

ويقول ﷻ : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن

(١) جمع عير وهو الحمار .

شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤] . لما ذكر اللَّه تعالى المنافقين أنَّهم نقضوا العهد ، ووصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق ، فمنهم من قضى أجله ، ومنهم من ينتظر ، وما غيروا عهد اللَّه ولا نقضوه ولا بدلوه .

وهذه الآية تعلمنا أن اللَّه ﷻ يختبر عباده بالخوف والزلزال ؛ ليميز الخبيث من الطيب .

نخلص من العرض السابق يا أبنائي ، أن أهم صفات الجيل المجاهد ، الاستسلام الكامل للَّه ﷻ ، في الصغيرة والكبيرة ، والتأسي برسول اللَّه ﷺ ، والثبات والصبر والثقة في نصرة دين اللَّه ﷻ .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أم محمد . **وأود يا أبنائي ، أن أنبهكم ، أن هناك دروسًا على درجة كبيرة من الأهمية ، تعلمنا إياها سورة الأحزاب ، وهي :**

أن اللَّه ﷻ هو الذي يدير المعركة ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، بين حزب اللَّه وحزب الشيطان ، وهو الذي ينصر عباده الموحدين ، بحوله وقوته . الدليل ما ورد في سورة الأحزاب : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، ولهذا كان رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا إله إلا اللَّه وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده** » . كما كان رسول اللَّه ﷺ حريصًا على الدعاء ، وطلب النصر ، من الجهة التي تملكه : « **اللَّهم منزل الكتاب ، مجري السحاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللَّهم اهزمهم وزلزلهم** » ، « **اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا** » .

ويمتن اللَّه ﷻ على المؤمنين : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يهود بني قريظة ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ ، أي حصونهم ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧] .

تفضلي يا دكتورة ؛ لاستكمال الحديث عن غزوة بني قريظة .

سلمان : معذرة يا جدتي . كم ليلة حاصر المسلمون بني قريظة ؟ وما هو دور سعد بن معاذ في بني قريظة ؟ .

الوالدة : لقد حاصر رسول اللَّه ﷺ بني قريظة خمسًا وعشرين ليلة ، بدأت في شهر ذي القعدة ، من سنة خمس من الهجرة ، فلما طال عليهم الحال ، نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ﷺ ؛ لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، فعند ذلك استدعاه

الرسول ﷺ من المدينة ؛ ليحكم فيهم رغم أنه قد أصيب في غزوة الأحزاب .

فلما أقبل سعد ، وهو راكب على حمار ، قد وطّأوا له بوسادة من أُدَم - جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا أبا عمرو ، إنهم مواليك ، فأحسن فيهم ويرفقون عليهم ، ويعطفونه ، وهو ساكت لا يرد عليهم ؛ فلما أكثروا عليه ، قال ﷺ : « لقد آن لسعد أن لا تأخذه في اللَّه لومة لائم » . فلما دنا سعد من الخيمة التي فيها الرسول ﷺ ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **لقد حكمت بحكم اللَّه تعالى من فوق سبع سماوات** » وكانوا ما بين مائة والسبعمائة [1] .

سلمان : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي .

رحمة : لم يكن هناك قتال في الأحزاب ، فكيف أصيب سعد ؟ .

الوالدة : ولكن كان هناك مناوشات وتراشق بالسهام ففي هذه الأثناء رمي سعد ابن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل ، رماه رجل من قريش ، يقال له حبان بن العرقة .

رحمة : اللَّهم انتقم منه وأذقه من عذابك .

الوالدة : آمين . المهم أن سعد بن معاذ عندما أصيب قال كلمة على جانب كبير من الأهمية : « اللَّهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب أن أجاهدهم فيه ، من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه ، اللَّهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء ، فأبقني لهم ، حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فافجرها واجعل موتتي فيها ، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة » .

واستجاب اللَّه دعوة سعد ، وغنمه اللَّه الشهادة في سبيله .

رحمة : جزاك اللَّه خيرًا يا جدتي ، ورضي اللَّه عن صحابة رسول اللَّه ﷺ المجاهدين الصادقين .

إيمان : ما هو الدور الذي قامت به عمة رسول اللَّه ﷺ ، صفية بنت عبد المطلب ، في حماية النساء والأطفال أثناء غزوة الأحزاب ؟ .

الوالدة : كما بينا من قبل ، جمع رسول اللَّه ﷺ النساء والأطفال في فارع حصن حسان بن ثابت ، ويبدو أن اليهود كانوا يريدون معرفة مكانهم ، وإمكانات

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص٢٣٢ - ٢٣٩) .

الدفاع عنهم وحمايتهم ، فأرسلوا رجلًا منهم إلى داخل المدينة ، فاستطاع التسلل إلى الدور التي تجمع بها النساء والأطفال . ولكن هذا اليهودي لم يعد إلى قومه ، ليخبرهم عن مواضع النساء والأطفال المسلمين ، وعن درجة مناعتها وحمايتها ؛ لأن امرأة مسلمة وهي صفية بنت عبد المطلب رأته يستطلع المواضع ، فاستطاعت قتله مستفيدة من عمود خيمة .

إن هذا اليهودي كان دورية استطلاع ، للحصول على المعلومات عن مواضع النساء والأطفال ، حتى يقوم بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسير الحماية لهم ؛ ليضطروا المسلمين إلى الانسحاب من مواضعهم الأصلية ، لنجدة أهليهم وإنقاذ أموالهم [1] .

إيمان : جزى اللّٰه صفية بنت عبد المطلب عن المسلمين خير الجزاء . إن قتل هذا اليهودي خلص المسلمين من خطر داهم ؛ إذ جعل اليهود يفكرون أن في داخل المدينة حراسًا أشداء من المسلمين ، وليس من السهل التسلل من هذه الحراسة الشديدة ؛ لذلك قبع اليهود في حصونهم لا يفكرون بالخروج . جزاك اللّٰه خيرًا يا أمي .

الوالدة : وجزاك .

نور الدين : ولكن متى يا جدتي حاصر الرسول ﷺ بني قريظة ؟ .

الوالدة : بعد عودة رسول اللّٰه ﷺ إلى المدينة ، من غزوة الأحزاب ، جاءه جبريل عليه السلام وهو يغتسل في بيت أم سلمة ، فقال : « **أوضعتم السلاح ؟ فإن الملائكة لم تضع بعد أسلحتها ، انهض إلى غزو هؤلاء** » يعني بني قريظة (رؤوس الغدر) ، فخرج المسلمون سراعًا وكان قد تبدى جبريل عليه السلام معتجرًا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول اللّٰه ؟ قال ﷺ : « **نعم** » . فقال جبريل : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم ، ثم قال : إن اللّٰه تبارك وتعالى يأمرك بأن تنهض إلى بني قريظة [2] .

سلمان : من هو الشخص الذي استطاع إقناع بني قريظة بنقض العهد مع رسول اللّٰه ﷺ ودخول الحرب إلى جوار المشركين في الأحزاب ؟ .

أسامة : انطلق حُيي بن أخطب إلى بني قريظة ، فدنا من حصنهم ، فأبى كعب بن أسد القرظي أن يفتح له ، فلم يزل يكلمه حتى فتح له ، فلما دخل إليه ، قال : لقد

---

(١) الرسول القائد (ص١٥١ - ١٥٢) .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (ج٣ ، ص٩٠) ؛ والسيرة النبوية (ج٣ ، ص ٢٢٤) ، والرسول القائد (١٦٢ - ١٦٤) .

جئتك بعزِّ الدهر جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها وسادتها ؛ حتى نستأصل محمدًا ، ومن معه .

قال كعب : جئتني واللَّه بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه فهو يَرْعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ، فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا وفاء وصدقًا (١) فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول اللَّه ﷺ ، ودخل مع المشركين في محاربته فسر بذلك المشركون .

وشرط كعب على حُيي أنه إن لم يظفروا بمحمد ، أن يجيء حُيي ، حتى يدخل معه في حصنه ، فيصيبه ما أصابه ، فأجابه إلى ذلك ووفى له به .

بلال : هل بلغ رسول اللَّه خبر بني قريظة ونقضهم للعهد ؟ .

أسامة : نعم ، وللتأكد من الخبر أرسل رسول اللَّه ﷺ إلى بني قريظة السعدين ، سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، وخوات بن جبير ، وعبد اللَّه بن رواحة ؛ ليعرفوا هل هم على عهدهم أو قد نقضوه ، فلما دنوا منهم فوجدوهم على أخبث ما يكون وجاهروهم (يهود بني قريظة) (٢) بالسب والعداوة ، ونالوا من رسول اللَّه ﷺ ، فانصرفوا عنهم ، ولحنوا لرسول اللَّه ﷺ لحنًا يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد وغدروا . فعظم ذلك على المسلمين .

فقال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك : « **اللَّه أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره** » .

واشتد البلاء وظهر النفاق واستأذن بعض بني حارثة رسول اللَّه ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقالوا : بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارًا .

وهم بنو سلمة بالفشل ثم ثبت اللَّه الطائفتين .

سلمان : ماذا فعل النبي ﷺ لما طال الحصار على المسلمين ؟

أسامة : اقترح رسول اللَّه أن يصالح عُيَيْنَة بن حِصْن والحارث بن عوف المرِّي ، وهما قائدا غطفان على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهم عن قتال المسلمين . وجرت المراودة على ذلك .

فاستشار رسول اللَّه ﷺ السعدين في ذلك .

فقالا : أمرًا تحبّه فنصنعه أم شيئًا أمرك اللَّه به لابد لنا من العمل به ، أم شيئًا تصنعه لنا ؟ فقال : « **بل شيء أصنعه لكم لأني رأيت العرب رمتكم عن قوسٍ واحدة وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما** » . فقال له سعد بن

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص١٩٨) .

(٢) لهم حصن شرقي المدينة ، وكان عددهم قريبًا من ستمائة إلى سبعمائة مقاتل ولهم عهد من النبي وذمة .

معاذ : يا رسول اللَّه ، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك باللَّه وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قرى أو بيعًا أفحين أكرمنا اللَّه بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة واللَّه لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم اللَّه بيننا وبينهم . فصوب رسول اللَّه ﷺ رأي السعدين ، وقال : « **أنت وذاك** » (١) .

بلال : هل أسلم أحد من يهود بني قريظة ؟ .

أسامة : نعم ، استحيا ثابت بن قيس من ولد اليهودي الزبير بن باطا ، عبد الرحمن بن الزبير ، فأسلم ، وله صحبة .

بلال : ولكن يا عمِّ أسامة المسلمون يسمون عبد الرحمن والزبير وكذلك اليهود ؟ !

أسامة : نعم ، أسماء عربية في الأصل ، واليهود كانوا يتسمون بأسماء العرب قبل بعثة محمد ﷺ .

كما أن أم المنذر ، سلمى بنت قيس النجارية ، استوهبت رفاعة بن سموأل القرظي ، فوهبه لها ، فاستحيته ، فأسلم وله صحبة .

سلمان : ما فعل المسلمون في الغنائم ؟ .

أسامة : قسم رسول اللَّه ﷺ أموال بني قريظة ، بعد أن أخرج منها الخمس ، فأسهم للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهمان للفرس ، وسهم للفارس ، وأَسْهَم للراجل سهمًا واحدًا .

رحمة : كم شهيدًا قدم المسلمون في غزوة بني قريظة ؟ .

أسامة : شهيدًا واحدًا هو خَلَّاد بن سويد ، طرحت عليه امرأة من قريظة حجرًا أثناء الحصار (٢) .

الوالدة : معذرة يا أبنائي ، لقد جاء التعليق الرباني على نتائج هذه المعركة ، ليرسي معالم في حياة الأمة المسلمة ، أن اللَّه ﷻ هو الذي يدير المعركة ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، لمصلحة عباده الموحدين : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥- ٢٧] (٣) .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٢٠١ - ٢٠٢) . (٢) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٢٤٣) .

(٣) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص ٢٢٣ - ٢٥٠) .

محمود : نعم ، صدق اللَّه وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

حكم في غاية العدل والإنصاف ؛ فإن بني قريظة ، بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع ، كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ، ألفًا وخمسمائة سيف ، وألفين من الرماح ، وثلاثمائة درع ، وخمسمائة ترس وجحفة ، غنمها المسلمون بعد الفتح ، وهكذا تم استئصال أفاعي الغدر والخيانة ، الذين كانوا قد نقضوا الميثاق المؤكَّد ، وعاهدوا الأحزاب على إبادة المسلمين ، في أحرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم ، وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والقتل .

وقتل مع هؤلاء المجرمين شيطان بني النضير ، وأحد أكابر مجرمي معركة الأحزاب ، حُيي بن أخطب ، والد صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، الذي قال بعد لقائه برسول اللَّه محمد ﷺ ، عند وصوله إلى المدينة المنورة : « أجد في نفسى عداوة محمد ما حييت . بل إنه قال لرسول اللَّه ﷺ عند موته : « أما واللَّه ما لمت نفسي في معاداتك » .

صدق اللَّه القائل : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ [المائدة : ٨٢] ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٥٦] .

وهكذا سنة جارية : من يغالب اللَّه يُغلب .

الوالد : معذرة يا أبنائي ، أود أن أذكر أن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر ، بل كانت معركة أعصاب ، لم يجر فيها قتال مرير ، إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام ، تمخضت عن تخاذل المشركين ، وأفادت أن أية قوة من قوات العرب ، لا تستطيع استئصال القوة الإسلامية الصغيرة ، التي تنمو في المدينة ؛ لأن العرب لم تكن تستطيع أن تأتي بجمع أقوى مما أتت به في الأحزاب ، ولذلك قال رسول اللَّه ﷺ حين أجلى اللَّه الأحزاب : « **الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم** »[1] .

سارة : ماذا كان من أمر أبي لبابة يا عم أسامة ؟

أسامة : لقد أقام مرتبطًا بسارية (جذع نخلة) ، في مسجد رسول اللَّه ﷺ ، ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود ، فيرتبط بالسارية (العمود) .

ثم نزلت توبته ورسول اللَّه ﷺ في بيت أم سلمة ، فقامت على باب حجرتها ، وقالت

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٢٢١) .

له : يا أبا لبابة أبشر فقد تاب اللَّه عليك . فثار الناس ليطلقوه فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول اللَّه ﷺ فلما مر النبي ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه .

رحمة : لماذا يا عم أسامة ربط أبو لبابة نفسه بالسارية ؟ .

أسامة : لأنه ارتكب خطأ ؛ إذ إنه أفشى سر الرسول ﷺ .

المناسبة : حينما قررت قريظة النزول على حكم رسول اللَّه ﷺ أرادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم من المسلمين ، لمعرفة ما سيتعرضون له إذا نزلوا على حكم رسول اللَّه ﷺ ، فبعثوا إلى رسول اللَّه أن أرسل إلينا أبا لبابة نستشيره ، وكان حليفًا لهم ، وكانت أمواله وولده في منطقتهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ . قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، يقول : إنه الذبح . وبعدها علم أبو لبابة أنه بهذه الإشارة قد خان اللَّه ورسوله ، فمضى على وجهه ، ولم يرجع إلى رسول اللَّه ﷺ ، حتى أتى المسجد النبوي فربط نفسه بسارية المسجد ، وحلف ألا يحله إلا رسول اللَّه ﷺ بيده ، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدًا . فلما بلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ ، قال : « **أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، أما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي يطلقه من مكانه حتى يتوب اللَّه عليه** » [1] .

رحمة : جزاك اللَّه خيرًا يا عم أسامة .

نور الدين : معذرة ، هل يمكن أن تعرض لنا يا عمِّ أسامة ، النشاط الجهادي لرسول اللَّه ﷺ والصحابة بعد بني قريظة ؟ .

أسامة : نعم . أولًا سرية عبد اللَّه بن عتيك ؛ لمحاسبة الغادرين الذين نقضوا عهودهم مع رسول اللَّه ﷺ . لعلكم تذكرون اليهودى سَلَّام (أبا رافع) بن أبي الحُقَيْق الذى حرَّض الأحزاب مع حُيي بن أخطب : لقد فر بعد فشل غزوة الأحزاب ، وبني قريظة ، إلى خيبر . فأراد النبي ﷺ أن يؤدب رؤوس الفتنة . وأن يلقي الرعب في قلوب يهود خيبر ، الذين آووا هذا المجرم في ديارهم ، حتى لا يسلكوا طريق يهود بني النضير وبني قريظة .

قد استطاعت هذه السرية بفضل اللَّه ، أن تؤدي المهمة المطلوبة منها ، فاقتحمت على أبي رافع مسكنه في خيبر ، وقامت بالقضاء عليه (قتله عبد اللَّه بن أنيس) .

نور الدين : جزاك اللَّه خيرًا يا عمِّ .

---

(١) الرحيق المختوم (ص٣٧٠) ؛ السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢) .

أسامة : ثانيًا **غزوة بني لحيان** [١] .

لقد خرج رسول اللَّه ﷺ على رأس مائتي رجل من أصحابه ، بهدف تأديب بني لحيان ، فانتهى إلى بطن غران وهو وادٍ بين أمج وعُسْفَان الذين غدروا بالمسلمين عند ماء الرجيع ، قبل عامين خلوا ، وكان عددهم ما بين ستة وقيل عشرة ، وكان أميرهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل عاصم بن ثابت .

وأيضًا ، كان الهدف من الغزوة ردع قريش التي كانت تفكر في غزو المدينة المنورة ، وقد استعمل الرسول ﷺ عنصر المباغتة ؛ إذ إنه سلك بقواته طريق الشام ، وحرص على إذاعة هذا النبأ ، ونشره . وبعد فترة رجع مسرعًا باتجاه منازل بني لحيان ، الذين فروا إلى رؤوس الجبال [٢] .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا عم أسامة .

أسامة : وجزاك ، ماذا تبقى يا والدي ؟ آمل أن تذكرني .

الوالد : **غزوة ذي قَرَد (الغابة)** [٣] .

أسامة : تفضل أنت يا والدي .

الوالد : أغار عيينة بن حصن الفزاري على أطراف المدينة ، فوجد هناك بعض الإبل الحوامل ذوات اللبن ، في حراسة مسلم وزوجته ، فقتل عيينة الراعي المسلم ، وسبى امرأته وساق الإبل .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ، إنا للَّه وإنا إليه راجعون .

الوالد : ولكن كان هناك رجل مسلم اسمه سلمة بن عمرو بن الأكوع ، شاهد ما فعله المشركون بقيادة عيينة ، فبعث برسالة إلى رسول الإسلام محمد ﷺ ، وقام هو وأصحابه بمطاردة عيينة بن حصن ، حتى لحق به المسلمون بقيادة النبي ﷺ ، الذين استطاعوا تخليص الإبل والمرأة المسلمة .

هكذا ندرك يا أبنائي أن الأعداء ما برحوا يكيدون للإسلام وأهله ، ويتربصون بالمسلمين ويغدرون بهم . وعلى الجانب الآخر يتضح لكم أن الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ ، كانت على درجة كبيرة من اليقظة والاستعداد لضرب كل من تسول له

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص١٥٦ - ١٥٩ ، ٢٨٥) .
(٢) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص ١٥٦ - ١٥٩) .
(٣) السيرة النبوية ، (ج ٣ ، ص ٢٨٥) ؛ زاد المعاد ، (٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٠) .

نفسه العبث بأمن المسلمين .

أبنائي ، أعتقد أن الحديث قد طال ، وآن لنا أن نستريح على أمل اللقاء في الأسبوع القادم ، إن شاء اللَّه ، حول غزوة الحديبية ، وآمل أن يتاح لكم الاطلاع على ما كتب في المصادر والمراجع عنها قبل اللقاء القادم .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد ، وصية أخيرة بالنسبة لغزوة الأحزاب ، وبني قريظة ، والسرايا والبعوث التي أعقبتها ؛ حتى لا ننسى .

كان من فضل اللَّه ﷻ على أمة الإسلام ، أن يسجل أحداث غزوة الأحزاب ، والدروس المستفادة منها ، في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، بهدف أن تعي الأمة المسلمة أحداث تلك المعركة جيلًا بعد جيل ، ولا تنساها أبدًا . يقول اللَّه ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] . وكأن المقصود من هذه الغزوة بالذات ؛ لأنها ممتدة عبر التاريخ ، وسوف تتكرر أحداثها - أن تذكروا ما فعله الرسول محمد ﷺ والصحابة في مواجهة الأحزاب . يقول اللَّه تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، واذكروا واقتدوا بفعل الصحابة الذين قاوموا الأحزاب وجاهدوهم ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

وجاءت تدوينات السنة لتذكر الأمة عبر تاريخها ، بإصرار الرسول محمد ﷺ والصحابة - رضوان اللَّه عليهم - على مقاومة المشروع اليهودي الذي شارك فيه مشركو العرب بإمكاناتهم كلها . وبالرغم من قلة عدد المسلمين وعدتهم وشدة البرد وقلة الطعام ، جاءت تدوينات السنة لتعلمنا أهمية التكافل في وجه التحديات . فهذا صحابي يقدم كل ما عنده من طعام لجند الجهاد ، وذاك يقدم حفنة من تمر ، وذاك يقدم منزله ليحتمي فيه النساء والأطفال من كيد اليهود .

وبهذا ندرك مدى التقصير الذي ترتكبه أمتنا في حق إخواننا وأخواتنا وأطفالنا ، على أرض فلسطين والعراق ، وكل أرض يُقَاوِمُ المجرمون عليها ؛ لكي ندرك واجباتنا تجاههم ؛ فنقوم بفرض اللَّه علينا ، من نصرتهم ودعمهم بالمال والنفس والسلاح ، وأيضًا ببث الأمل في قلوب أبناء الأمة ؛ هذا ما وعدنا اللَّه ورسوله : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥- ٢٧] .

عمار : معذرة يا جدي ، أود أن أذكر أيضًا ، بشيءٍ مهمٍّ أن رسول اللَّه ﷺ استنفر الأمة كلها لمقاومة العدوان اليهودي العربي ، فنفر المسلمون جميعًا ورابطوا في مواجهة العدو ينامون في السلاح ، ويستيقظون في السلاح ، ودوريات من المجاهدين تتجول داخل البلاد ، وعلى أطرافها ؛ لترصد أية تحركات للعدو لإجهاضها . هل يمكن أن تنتبه أمتنا إلى الأخطار المحدقة بها ، وتعد نفسها وأبناءها لمقاومتها ، خاصة أن مجمع البحوث الإسلامية أفتى بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٠ بجريدة الأهرام ، أننا حيال حرب صليبية تستهدف الوطن والعرض والدين ، وأن الجهاد فرض عين في رقاب المسلمين ؟ .

الجد : جزاكم اللَّه خيرًا .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● من هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا ؟ وما هي أبرز صفاتهم ؟ وما هي العقوبات التي كتبها الله عليهم نتيجة الجرائم التي ارتكبوها ؟ ولماذا طردهم الله من رحمته ؟ ماذا ينبني على تلك المعرفة بعداوتهم من تكاليف ؟ .

● ما هي معلوماتك عن غزوة الأحزاب ؟ متى وقعت ؟ أسبابها ؟ عدد قوات جيش العدو ؟ قاداته ؟ أهدافهم ؟ من الذين ألبوا الأحزاب على المسلمين ؟ .

● ما فعل الرسول ﷺ حينما وصلته المعلومات عن خروج العدو باتجاه عاصمة الإسلام الأولى (المدينة المنورة) ؟

● ما هي الخطة التي اتفق عليها الرسول ﷺ مع الصحابة لمواجهة الأحزاب ؟ من هو صاحب الاقتراح ؟ ما هي الدروس المستفادة من الإجراءات التي اتخذها الرسول ﷺ والصحابة لمواجهة العدوان ؟

● ما كان الرسول ﷺ يحب أن يتميز عن أصحابه ، دلل على ذلك .

● من كان يقوم على حراسة النساء والأطفال ، حينما كان الصحابة مشغولين بحفر الخندق ؟ .

● ما الدور الذي قامت به صفية بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله ﷺ ، في أثناء غزوة الأحزاب ؟ .

● هل حافظ يهود بني قريظة على عهدهم مع الرسول ﷺ ؟ ما الدروس المستفادة من هذه الواقعة ؟ .

● رغم ظروف الإعاشة الصعبة : برودة الجو ، وقلة الطعام ، وقلة العدد والعدة - أصر المسلمون على مواجهة التحدي والتصدي للأحزاب ، ما الدروس المستفادة ؟ .

● ماذا فعل الصحابي عبد الله بن جابر الأنصاري ، حينما رأى في وجه النبي جوعًا شديدًا ؟ اذكر القصة والدروس المستفادة .

● رغم الحصار الشديد وقلة العدد والعدة ، كان رسول الله ﷺ حريصًا على بث الأمل في النفوس ورفع المعنويات ، وخاصة وهو يحطم الصخرة التي كانت تعترض المسلمين في الخندق ، اذكر القصة والدروس المستفادة .

● لا يرد البلاء إلا الدعاء ، اذكر دعاء رسول الله ﷺ يوم الأحزاب .

● ما هي السورة التي نزلت على الرسول ﷺ ، والصحابة ، بمناسبة غزوة الأحزاب وغزوة بني قريظة ؟ .

● ما هي المعالم والدروس والعبر التي ترسيها الغزوتان ، والسورة ، في حياة الأمة المسلمة ؟ .

● اللَّه ﷻ هو الذي يقود ويدير المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل يتضح ذلك جيدًا من معركة الأحزاب ، وبني قريظة ، اعرض لذلك ، وما الدور الذي قامت به الملائكة في الغزوتين ؟ .

● طلب رسول اللَّه ﷺ صحابيًّا ؛ ليعبر الخندق ، ويأتيه بأخبار العدو ، فلم يقم أحد ، ما معنى ذلك ؟ .

● لماذا عبر حذيفة بن اليمان ؟ صف مشاعره وهو يعرض للحادثة . ما الدروس المستفادة من حديثه ؟ .

● الابتلاء سنة ربانية جارية لحكمة ، وغزوتا الأحزاب وبني قريظة كانتا ابتلاء للرسول ﷺ والصحابة ، كيف واجه المنافقون هذا الابتلاء ؟ كيف واجه المؤمنون هذا الابتلاء ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● استشار رسول اللَّه ﷺ صاحبيه سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، في منح نصف ثمار المدينة ليهود بني قريظة ، بشرط الانسحاب من تحالفهم مع كفار العرب ضد المسلمين . ولكنهما رفضا الاقتراح ، ما هي الأسباب ؟ كيف يمكنك تقويم ذلك الموقف؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● هناك أسطوانة في مسجد رسول اللَّه ﷺ اسمها أسطوانة أبي لبابة ، بأي شيء تذكرك هذه الأسطوانة ؟ ما هي قصة أبي لبابة ، والدروس المستفادة ؟ .



اللقاء السابع والعشرون

رسول الله ﷺ يواصل تصفية أوكار مجرمي اليهود ومشركي العرب (سنة ٦هـ / ٦٢٧م)[1]

- مقتل سلَّام بن أبي الحَقِيق .
- سرية محمد بن مسلمة .
- غزوة بني لحيان .
- سرية عكاشة بن محصن إلى الغَمْر .
- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّة ، في ديار بني ثعلبة .
- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة .
- سرية زيد بن حارثة إلى الجَمُوم (ماء لبني سليم في مرِّ الظهران) .
- سرية زيد بن حارثة إلى العيص .
- سرية زيد بن حارثة إلى بني ثعلبة .
- سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى .
- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى الساحل .

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد ،

فهذا هو لقاؤنا السابع والعشرون ، تحت عنوان : رسول الله ﷺ يواصل مهاجمة وتصفية أوكار مجرمي الحرب من اليهود ومشركي العرب ، وتأمين الدولة والأمة الإسلامية ، وذلك من خلال توجيه حملات تأديبية إلى القبائل والأعراب الذين لم يكونوا يستكينون للأمن والسلام إلا بالقوة .

ويشمل هذا اللقاء مقتل اليهودي سلَّام بن أبي الحـقيق وسرية محمد بن مسلمة وغزوة بني لَحْيان ، وسرية عُكَّاشة بن محصن ، وعداها من السرايا .

سلمان : من هو سلَّام بن أبي الحقيق ؟ وما هي الأخطاء التي ارتكبها ضد المسلمين ؟ .

---

(١) الرحيق المختوم ، (ص ٣٧٨ - ٣٨٤) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص ٣٣٨ - ٣٤١) ، زاد المعاد ، (ج٢ ، ص ١٢٠ - ١٢١) .

الوالد : كان سلاَّم بن أبي الحقيق [١] وكنيته أبو رافع ، من أكابر مجرمي الحرب اليهود الذين حزَّبوا الأحزاب ضد المسلمين ، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ .

ولما انكسر الأحزاب واليهود في غزوة بني قريظة ، استأذنت قبائل الخزرج رسول الله في تصفية كعب بن الأشرف ، وهو بِخَيْبَر فأذن لهم رسول الله ﷺ في ذلك ، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان . فخرجت مفرزة كلهم من بَني سَلَمَة من الخزرج ، قائدهم عبد الله بن عَتِيك ، ودخلوا الحصن (ويُقال القائد فقط) وقتلوا المجرم سلاَّم بن أبي الحقيق ، وكان ذلك في ذي القعدة أو ذي الحجة من عام ٥ هـ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الأحزاب ، وقريظة ، واقتَصَّ من مجرمي الحروب – أخذ يوجه حملات تأديبية إلى القبائل والأعراب .

سلمان : جزاك الله خيرًا يا جدي .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، أنا أعرض **لسرية محمد بن مَسْلَمة** [٢] .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : كانت العشائر النجدية ، من أجرأ العناصر البدوية الوثنية على المسلمين ، ولقد كان رجال هذه القبائل يشكلون الأغلبية الساحقة لقوات الأحزاب ، وكانت ضمن الجيوش التي قادها أبو سفيان لحرب المدينة .

لهذا فإن أول حملة عسكرية وجهها النبي ﷺ لتأديب خصومه ، بعد غزوة الأحزاب هي – تلك الحملة التي جردها على القبائل النجدية ، وعقد رسول الله ﷺ لواء هذه السرية لمحمد بن مسلمة ، وكان عدد أفراد هذه السرية ثلاثين راكبًا ، وتحركت إلى القرطاء (بناحية ضرية بالبكرات من أرض نجد) وبين ضرية وبين المدينة تسع ليالٍ ، وذلك في العاشر من محرم سنة ٦هـ .

وكان التوفيق حليف المسلمين . وحينما أغاروا على العدو هرب سائرهم ، فاستاق المسلمون نعمًا وشاءً ورجعوا إلى المدينة آخر المحرم ، وقد أسروا ثُمَامَة بن أثال الحنفي ، سيد بني حنيفة ، الذي كان قد خرج متنكرًا ، بناء على تكليف مسيلمة الكذاب

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير ، (ج٣ ، ص ٢٦١ – ٢٦٦) .

(٢) السيرة النبوية ، الصلابي (ج٢ ، ص ٣١٢) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص ٣٣٨) المغازي ، الذهبي (ص ٣٥٠ – ٣٥١) الرحيق المختوم (ص ٣٨٠) .

لاغتيال النبي محمد ﷺ . فلما جاؤوا به ربطوه بسارية من سواري مسجد النبي ﷺ . وخرج إليه النبي ﷺ فقال : « **ما عندك يا ثمامة ؟** » قال : عندي خير يا محمد ، إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دمٍ ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكرٍ ، وإن كنت تريد المال فسل تُعط منه ما شئت ، فتركه . ثم مرَّ به رسول اللَّه ﷺ مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، فرد عليه كما ردَّ أولًا ، ثم مرَّ به مرة ثالثة ، فقال بعدما دار بينهما الكلام السابق : « **أطلقوا ثمامة** » فأطلقوه ، فذهب إلى نخلٍ قريب من المسجد ، فاغتسل ثم جاءه فأسلم ، وقال : واللَّه ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه إليَّ ، فواللَّه ما كان على وجه الأرض دين أبغض إليَّ من دينك ، فقد أصبح دينك أحب الأديان إليَّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العُمْرة ، فبشره رسول اللَّه ﷺ ، وأمره أن يعتمر فلما قدم على قريش قالوا : صَبأت يا ثُمَامَة ، قال : لا واللَّه ، ولكني أسلمت مع محمد ﷺ ، فواللَّه لا يأتيكم من اليَمَامة حبَّةُ حنطة ، حتى يأذن فيها رسولُ اللَّه ﷺ ، وكانت يمامة ريف مكة ، فانصرف إلى بلاده ، ومنع الحمل إلى مكة ، حتى جَهِدَت قريش ، وكتبوا إلى رسول اللَّه ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثُمامة يخلي إليهم حمل الطعام ، ففعل رسول اللَّه ﷺ .

الوالد : **ما هي الدروس المستفادة ؟** من يتحدث ؟ .

محمود : نعم يا والدي .. العفو عند المقدرة ، عفو رسول اللَّه ﷺ عن أسير بين يديه ، هو ثُمَامة بن أثال - الذي كان خارجًا لاغتيال رسول اللَّه ﷺ - دون مقابل ؛ رغم أنه قد عرض أن يَفْتَدي نفسه بالمال . وقد دلَّ ذلك على بُعد نظر رسول اللَّه ﷺ ؛ إذ إن ثمامة قد أعلن إسلامه ، دون ضغط من أحد . أيضًا التحول الذي حدث في قلب ثمامة ، فقد وقع في قلبه حب اللَّه ﷻ ، وحب رسوله ﷺ ، وحب دين الإسلام .

حِرْص ثمامة على إعلان إسلامه بين ظهرانيٍّ قومه ، ومنعه تجار الحنطة من الذهاب إلى مكة من اليمامة (نجد) . وحينما ضج أهل مكة واستغاثوا برسول اللَّه ﷺ أن يكلم ثمامة ؛ ليسمح بوصول الحنطة إليهم - ففعل ، وهذا فقه جيد من ثمامة عن معنى الولاء والبراء ، وفقه رسول اللَّه ﷺ عن العفو وأثره على الإنسان .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ، بقي أن أعرض بإيجاز **لغزوة بني لَحْيَان** [1] .

---

(١) الرحيق المختوم ، ص ٣٨١ ؛ زاد المعاد (ج٢ ص ١٩١) ؛ المغازي ، الذهبي (ص ٢٤٥) ، السيرة النبوية (ج٣ ص ٥٦ - ٥٩) .

ففي ربيع الأول - وقيل جمادى الأولى - بعد قريظة بستة أشهر - خرج رسول الله ﷺ في مائتي مقاتل إلى بطن غُرَان - واد بين أمَج وعُسْفَان - (حيث كان مصاب أصحابه) ؛ يستهدف كسر شوكة بني لحيان الذين قتلوا القُرَّاء المسلمين في حادثة الرجيع . وحينما سمع بنو لحْيان بخبر وصول الرسول ﷺ هربوا في رؤوس الجبال ، ولم يقدروا عليهم ، ورجع رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة بعد أربع عشرة ليلة .

إيمان : لقد استطاع النبي ﷺ أن يرهبَ هؤلاء الذين غدروا بالمسلمين ، وأن يظهر لهم مدى قوة المسلمين وثقتهم بأنفسهم ، وقدرتهم على الحركة إلى قلب ديار العدو متى شاؤوا .

الوالد : جزاكِ اللَّه خيرًا يا إيمان ، وتابع رسول اللَّه ﷺ إرسال السرايا والبعوث ؛ لإجهاض قوة الأعداء ويدخل في ذلك :

(١) **سرية عُكَّاشة بن مُحْصن** ، في أربعين رجلًا إلى الغَمْر ، في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦هـ . وقد فر القوم وغنم المسلمون مائتي بعير .

(٢) **سرية محمد بن مسلمة** ، في عشرة رجال إلى ذي القَصَّة ، في ديار بني ثعلبة ، في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦هـ . رصدهم الأعداء وكمنوا لهم ، فلما نام محمد بن مسلمة وإخوانه هاجمهم الأعداء - وهم مائة - فقتلوهم جميعًا ، ولم يفلت منهم إلا قائد السرية جريحًا .

(٣) **سرية أبي عبيدة بن الجراح** [١] ، في أربعين رجلًا إلى ذي القَصَّة - حيث قُتِلَ أفراد سرية محمد بن مسلمة في ربيع الآخر سنة ٦هـ - وافوا بني ثعلبة مع الصبح ، فأغاروا عليهم وأعجزوهم هربًا إلى الجبال ، وأصابت السرية رجلًا منهم ، فأسلم ، وغنموا نعمًا وشاءً .

(٤) **سرية زيد بن حارثة إلى الجموم** [٢] ، في ربيع الآخر سنة ٦هـ .

(٥) **سرية زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب إلى العيص** [٣] ، في جمادى الأولى من سنة ٦هـ . وغنمت هذه السرية أموال عير لقريش ، كان قائدها أبو العاص ختن رسول اللَّه ﷺ ، (زوج ابنته زينب) ، وأفلت أبو العاص ، فأتى زينب بنت رسول اللَّه ﷺ في المدينة ، فاستجار بها ، وسألها أن تطلب من رسول اللَّه ﷺ رد

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٣٣٨) المغازي ، الذهبي (ص٣٥٢) .

(٢) المرجع السابق (ص٣٣٨) .

(٣) المرجع السابق (ص٣٣٩) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٢١) .

أموال العير عليه ، ففعلت ، وأشار رسول اللّه ﷺ على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم فردوا كل شيء وبعدها رجع أبو العاص إلى مكة ، وأدى الودائع إلى أهلها ، ثم أسلم وهاجر ، فرد عليه رسول اللّه ﷺ السيدة زينب بالنكاح الأول بعد ثلاث سنين ونيف .

بلال : لو أذنت يا جدي ، انضباط من صحابة رسول اللّه ﷺ مع توجيهات النبي الذي فوض الأمر لإخوانه ، وكان بالإمكان ألا يردوا شيئًا من الغنائم إلى عدو مقاتل ؛ ولكنهم عرفوا أن أبا العاص زوج ابنة النبي محمد ﷺ قد طلب أن تشفع لدى النبي ﷺ في ردِّ العير إلى أصحابها ، وهي طلبت من أبيها بدورها أن يشفع له عند أصحابه ، وتجاوب الصحابة لأجل رسول اللّه ﷺ .

والملاحظة الثانية يا جدي ، إسلام أبي العاص ، وحرصه على أداء الأمانات إلى أصحابها .

سارة : الملاحظة الثالثة يا جدي ، كيف أعز اللّه المرأة المسلمة بالإسلام ، زينب بنت رسول اللّه ﷺ امرأة استجار بها زوجها وهو مشرك فأجارته ، وطلب منها أن تتوسط له عند رسول اللّه ، لرد أموال العير عليه ، فتوسطت وقبلت وساطتها ، فهل لمجرم أو جاهل أن يقول إن الإسلام قد ضيع المرأة ؟ !! .

الجد : ما شاء اللّه يا أبنائي ! ، أسأل اللّه أن يجعلكم من أئمة الهدى . أكمل يا أسامة ، وحدثنا عن بقية السرايا المطروحة أمامكم في الأوراق .

أسامة : (٦) **سرية زيد بن حارثة** [١] ، **في خمسة عشر رجلًا إلى بني ثعلبة** ، في جمادى الآخرة سنة ٦هجرية ، ورجع بعد أربع ، وقد غنموا من العدو عشرين بعيرًا ، بعد أن هرب العدو .

(٧) **سرية زيد بن حارثة** [٢] **في اثني عشر رجلًا إلى وادي القرى** ، في رجب سنة ٦ هجرية ؛ لاستكشاف المنطقة والتعرف على تحركات العدو ، فهجم عليهم سكان وادي القرى ، فقتلوا تسعة من الصحابة ، وأفلت ثلاثة منهم زيد بن حارثة .

السرية الأخيرة طبقًا للورقة المطروحة سرية أبي عبيدة بن الجراح [٣] ، في ثلاثمائة راكب لرصد عير (تجارة) لقريش (طريق الساحل) فأصاب المسلمين جوع شديد حتى إنهم أكلوا الخَبَط ونحروا تسعة جزائر من التي كانوا يعتقبونها ، وقد نهاهم أميرهم ، فألقى

---

(١) المرجع السابق (ص٣٣٨) .
(٢) المغازي الذهبي (ص٣٥٤ - ٣٥٥) .
(٣) الرحيق المختوم (ص٣٨٤) .

الله لهم رزقًا من البحر ، دابة تسمى العنبر ، فأكل منها أهل السرية ، وادَّهنوا وحملوا منها إلى المدينة ، فسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب !

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة .

قولوا جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

اكتب مذكرات مختصرة عن :

- مقتل سلام بن أبي الحقيق .
- سرية محمد بن مسلمة .
- غزوة بني لحْيان .
- سرية عكاشة بن محصن .
- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصَّة .
- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصَّة .
- سرية زيد بن حارثة إلى الجَمُوم .
- الأسباب والنتائج والدروس المستفادة ، مع رسم خريطة للمواقع .



اللقاء الثامن والعشرون

غزوة بني المُصطَلِق أو غزوة المُريْسِيْع [1]

شعبان سنة ٥ هـ / ٦٢٦ م

دور المنافقين في حادثة الإفك

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد ،

هذا هو لقاؤنا الثامن والعشرون ، نعرض فيه لغزوة بني المصطلق ، وحادثة الإفك . والسؤال الذي يطرح نفسه : ما هي أسباب هذه الغزوة ؟ ومتى وقعت ؟ ولماذا سُميت بغزوة بني المُصْطَلِق ؟ وهل هي غزوة المُرَيْسِيْع ؟ وما المُرَيْسِيْع ؟ .

من الذي درس أخبار الغزوة ، ويستطيع أن يحدثنا عنها ؟ .

أسامة : أنا يا والدي . الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وبعد . .

سبب غزوة بني المصطلق المعلومات التي وصلت رسول اللَّه ﷺ ، أن الحارث بن أبي ضرار رئيس بَني المُصْطَلِق (وهي فرع من خزاعة) ، سار في جيش من العرب لقتال رسول اللَّه ﷺ وذلك في سنة خمس من الهجرة (وقيل ست من الهجرة) . وللتحقق من الخبر بعث رسول اللَّه ﷺ بُريدة بن حصيب الأسلمي إلى الحارث بن أبي ضرار ، فرجع بُريدة ، وقد تأكد لديه صحة الخبر ، وهو أن بني المصطلق قد حشدوا جموعهم في منطقة المريسيع قرب مكة ؛ استعدادًا لمهاجمة عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة . فندب رسول اللَّه أصحابه للخروج لملاقاة الحارث بن أبي ضرار ، وخرج معه الصحابة الذين خرج معهم بعض المنافقين الذين لم يخرجوا في غزاة قبلها .

محمود : كم كان عدد المسلمين في هذه الغزوة يا أسامة ؟ .

أسامة : خرج رسول اللَّه ﷺ في ألف مقاتل ما بين راكب وراجل ، وجعل لواء المهاجرين لأبي بكر ، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة ، ونزل المسلمون على ماء قريب من بني المصطلق يُقال له المريسيع ، ثم أحاطوا ببني المصطلق ، ففر من جاء لنصرتهم ، وقُتل من بني المصطلق عشرة ، ومن المسلمين رجل واحد ، ثم سلَّم بنو المصطلق ، فأخذوا أسرى . وكان النصر في جانب المسلمين الذين سبوا النساء والذراري والنعم والشاء .

وكان من جملة السبي السيدة جُوَيْرِية بنت الحارث ، سيد القوم ، وقعت في سهم

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٢٩٧) المغازي ، الذهبى (ص ٢٥٨) ، زاد المعاد (ج ٢ ص ١١٢ - ١١٣) .

ثابت بن قيس ، فكاتبها ، فأدى عنها رسول اللَّه ﷺ وتزوجها ، فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة من أهل بيت بني المصطلق ، أسلموا وصاروا أصهار رسول اللَّه ﷺ .

محمود : لو أذنت لي يا أسامة ، هذه الغزوة ترتبط بالفتنة التي كادت تنشب بين المهاجرين والأنصار .

أسامة : نعم . . كان لعمر بن الخطاب أجير (جَهْجَاه بن مسعود) يقود فرسه ، فازدحم بعد انتهاء المعركة مع أحد رجال الخزرج (سِنان بن وبر الجهني) على الماء ، فاقتتلا . صاح الخزرجي : يا معشر الأنصار . ونادى أجير ، عمر : يا معشر المهاجرين . وسمع عبد اللَّه بن أُبَيٍّ النداء ، وكان قد خرج مع المنافقين في هذه الغزوة متظاهرًا بالإسلام ، فانتهزها فرصة ليشعلها فتنة عمياء بين المهاجرين والأنصار [1] .

بلال : ماذا فعل المسلمون ؟ .

أسامة : لمَّا علم الرسول ﷺ بالحادث أمر إخوانه ليشدوا الرحال فورًا قبل أن يستفحل الأمر ، وانطلق الناس طيلة اليوم حتى أمسوا ، وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا ، وصَدر يومهم الثاني حتى آذتهم الشمس ، فلما نزل الناس لم يلبثوا حينما مست جُنُوبُهم الأرض ، أن ناموا من فرط تعبهم . وأنسى التعب المسلمين فتنة ابن أبيٍّ وعادوا إلى المدينة ومعهم الأسرى والغنائم ، وهكذا نجح رسول اللَّه ﷺ بحسن تصرفه ، أن يُخرج المسلمين بسلام من هذه الفتنة .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

الوالدة : لو أذنت لي يا أبا محمد ، هناك فتنة أخرى وقعت وهزت المجتمع المسلم هزًّا عنيفًا بعد العودة من غزوة بني المصطلق واستعراضها ، فيما أعتقد ، مهم قبل أن نعرض لموضوع آخر .

سارة : ما هي هذه الفتنة يا جدتي ؟

الوالدة : قصة حادثة الإفك . هل نعرض لها أم نتركها للقاء آخر ؟ .

الوالد : يمكن أن نعرض الحادثة بإيجاز على أن نعرض لها في موقع آخر ، أثناء دراستنا لسورة النور .

الوالدة : جزاكم اللَّه خيرًا . كان من عادة النبي ﷺ إذا خرج إلى ميدان القتال ، أقرع بين نسائه ، فيصطحب معه من يصيبها الدور ، وفي الخروج لغزوة بني

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٢٩٩) .

المصطلق أصاب الدور السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فخرجت معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طبعًا ترتدي حجابها ، وتركب هودجها الذي يحجبها عن المسلمين ، وغالبًا ما كان مكان النساء في حماية الصحابة خلف الجيش .

وبعد أن فرغ النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق ، نزل منزلًا وهو راجع في الطريق ، فخرجت السيدة عائشة لقضاء حاجتها ، ففقدت عقدًا لأختها كانت أعارتها إياه ، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه في وقتها . في هذه الأثناء جاء النفر الذين كانوا يُرَحِّلون هودجها ، فظنوا أن السيدة عائشة فيه ، فحملوا الهودج (وهي ليست فيه) .

وبعد قليل رجعت السيدة عائشة ، فوجدت أن الجيش قد ترك المكان ، ولا يوجد داع ولا مجيب ، فقعدت في مكانها فظنت أنهم سيفتقدونها ، فيرجعون في طلبها ، فغلبتها عيناها ، فنامت ، فلم تستيقظ إلا عندما سمعت الصحابي صفوان بن المُعَطِّل ، وهو يقول : إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون ؛ زوجة رسول اللَّه ﷺ ؟ !

هبة : كيف عرف صفوان بأنها زوجة رسول اللَّه ﷺ ؟ وما الذي أخره عن المشي مع الجيش ؟

الوالدة : كان صفوان يراها قبل فرض الحجاب ، وسبب التأخير أنه كان يتأخر عن الجيش ؛ ليتفقد المخيَّم بعد رحيل الجيش ، ولحكمة ربانية أن لا تبقى أم المؤمنين في هذه الصحراء المخيفة ويأتي عليها الليل ولا يؤمن عليها من الأعداء . ونلاحظ أن صفوان لم يكلمها ولم يسألها عن سبب تأخرها عن الجيش ، كل الذي فعله صفوان بعد أن استرجع ، أناخ راحلته فقربها إليها فركبتها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ثم سار بها يقودها ، حتى قدم بها ولحق بالجيش في نحو الظهيرة .

فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ، ومن هؤلاء رأس المنافقين عبد اللَّه بن أُبـيّ ، فجعل يشيع قصصًا ملفقة يتهم فيها السيدة عائشة العفيفة الطاهرة ، بصفوان بن المُعَطّل الصحابي الطاهر .

ولمَّا وصلوا المدينة واصل عدو اللَّه وعدو رسوله ﷺ ومن على شاكلته - إطلاق الشائعات والنيل من عرض رسول اللَّه ﷺ ، وهذا ابتلاء شديد هزَّ بيت النبوة والمجتمع الإسلامي هزًّا عنيفًا .

منى : ما هو موقف النبي محمد ﷺ ، وهو يعلم جيدًا أن زوجه طاهرة بريئة مما وصفت به ؟ .

الوالدة : الرسول محمد ﷺ بَشَرٌ ، وقد تأخر الوحي . لهذا شاور أصحابه في فراق عائشة رضي الله عنها [١] .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! ماذا كان رأي الصحابة ؟ .

الوالدة : علي أشار عليه بأن يفارقها (يطلقها) تلويحًا لا تصريحًا . أسامة بن زيد وغيره أثنوا على عائشة رضي الله عنها ، وأشاروا بإمساكها وأن لا يلتفت رسول اللَّه ﷺ إلى الأعداء وكلام المنافقين .

فقام رسول اللَّه ﷺ على المنبر يستعيذ باللَّه ، من عبد اللَّه بن أُبيٍّ بن سَلُول ، فأظهر أسيد بن حضير سيد الأوس رغبته في قتله ، فغضب سعد بن عبادة لعبد اللَّه بن أُبي ، على اعتبار أنهما خزرجيان ، وجرى بينهما كلام (بين سعد وأسيد) تثاور له « الحيان » ؛ فخفضهم رسول اللَّه ﷺ حتى سكتوا وسكت .

شيرين : لكن أين موقف السيدة عائشة رضي الله عنها من هذه الفتنة ؟ لماذا لم تدافع عن نفسها ، وتحكي حقيقة الخبر ؟ .

الوالدة : شاءت إرادة اللَّه أن تمرض السيدة عائشة بعد عودتها شهرًا ، وهي لا تعلم عن حديث الإفك شيئًا ، لكنها لاحظت أن رسول اللَّه لا يعاملها في مرضها باللطف الذي كان يعتاده معها ، فلمَّا تماثلت للشفاء خرجت مع أم مِسْطَح إلى البراز ليلًا ؛ فعثرت أم مسطح في مرطها ، فدعت على ابنها مسطح ، فاستنكرت ذلك عائشة منها (دعاء الأم على ولدها) فأخبرتها الخبر (ما قاله الناس عن عائشة) فرجعت ، عائشة واستأذنت رسول اللَّه ﷺ لتأتي أبويها وتستيقن الخبر .

شيرين : ما شاء اللَّه عليك يا أم المؤمنين ! أي أنها لم تبن على ما سمعته من أم مسطح ، وأرادت أن تتأكد من الخبر .

الوالدة : نعم ، ثم أتت عائشة والديها بعد الإذن من رسول اللَّه ﷺ وعرفت جلية الأمر ، وجعلت تبكي حتى ظنت أن البكاء فاتق كبدها ، فبكت ليلتين ويومًا ، لم تكن تكتحل بنوم ولا يرقأ لها دمع .

سارة : ألم يرق لها رسول اللَّه ﷺ يا جدتي ؟ !

---

(١) مختصر سيرة الرسول (ص ١٢٥ - ١٢٧) ؛ المغازي ، الذهبي (ص ٢٦٩ - ٢٨١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص ٣٠٤ - ٣١١) زاد المعاد ، (ج٢ ، ص ١١٣ - ١١٧) .

الوالدة : جاء رسول الله ﷺ في ذلك ، فتشهد ، وقال : « **أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ؛ فإن كنت بريئة فسيبين ذلك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ، ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه** » .

جنة : لا حول ولا قوة إلا بالله ، أي أن رسول الله ﷺ كان يشك أيضًا يا جدتي ؟ .

الوالدة : رسول الله ﷺ لم يكن قد نزل عليه الوحي ، ويتعامل أيضًا مع بشر وخشي مع كثرة الكلام أن يكون هناك شيء ، وعلى كلٍّ فالقرآن الكريم له عتاب في هذا الأمر كما سنرى .

المهم عائشة رضي الله عنها عندما سمعت كلام رسول الله ﷺ ، قلص دمعها ، وقالت لكل من أبويها أبي بكر وأمها أن يجيبا ؛ فلم يدر أبو بكر وزوجه ما يقولان ، فقالت عائشة : والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث (الإفك) ، حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فإن قلت لكم بأمر إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - ما أنتم بمصدقي ، وإن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدِّقُنِّي ، والله ما أجد لكم مثلًا إلا قول أبي يوسف ، قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] ، ثم تحولت واضطجعت .

ونزل الوحي ساعته فسرِّيَ عن رسول الله ﷺ ، وهو يضحك .

الأولاد : الله أكبر ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج : ٣٨] .

الوالدة : نعم ، كان أول كلمة تكلم بها بعد نزول الوحي : « **يا عائشة ، أما الله فقد برَّأك** » ، وقرأ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ١١- ٢٠] .

رحمة : ما فعلت عائشة رضي الله عنها ؟ .

الوالدة : قالت لها أمها : قومي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت عائشة إدلالًا ببراءة ساحتها ، وثقة في محبة رسول الله ﷺ لها : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله .

رحمة : غصب عنها يا جدتي .

عمَّار : ما فعل رسول الله ﷺ مع المجرمين الذي أشاعوا الخبر الكاذب ، واتهموا أم المؤمنين ، وهي العفيفة الطاهرة ؟

الوالدة : أقيم عليهم حد القذف الذي شرعه رب العالمين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] . وجُلد في هذا مِسْطح بن أُثَاثَة وحَسّان بن ثابت وحمنة بنت جحش .

سلمان : ورأس الفتنة عبد الله بن أبي ؟ .

الوالد : لم يُحد إما لأن الحدود تخفيف لأهلها ، وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة ، وإما للمصلحة التي ترك لأجلها قتله .

هذه يا أولادي أخبار فتنة حادثة الإفك التي هزت بيت النبوة ، والمجتمع المسلم على مدار شهر ، ابتلاء شديد لكن لحكمة ربانية ؛ لتتميز الصفوف : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] ، وللحديث بقية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ، نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

الوالدة المعلمة : معذرة يا أبا محمد ، طالما فتحنا الحديث عن دور المنافقين ، فيا حبذا لو عددنا مواقف المنافقين في المدينة ، منذ وصول رسول الله ﷺ ؛ حتى تتضح خطورتهم على الصف المسلم ، وبيان مكانتهم عند الله في ضوء قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٣٩] ، ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] ، وذلك ليحذر المسلمون هذا القطاع من بني الإنسان ؛ لأنهم سبب نكبة أمتنا في عالمنا المعاصر ؛ فهم يظهرون شعائر الإسلام وهم أعدى أعداء الإسلام ، ويتآمرون مع أعداء الإسلام ضد أمة الإسلام .

الوالد المعلم : تمامًا يا أم محمد ، تفضلي طالما أنت مشغولة بهذا الموضوع ، فهذا يعني أنك قد قمت بتجهيزه .

الوالدة : نعم ، جزاكم اللَّه خيرًا . بدأ النفاق يظهر في المدينة بعد فترة من وصول النبي ﷺ والمهاجرين ، وقيام الدولة الإسلامية ، وإسناد القيادة إلى رسول اللَّه ﷺ ، وأول من أظهر النفاق هو عبد اللَّه بن أبي بن سلول ، والسبب أنه كان يطمع في إمارة الأوس والخزرج قبل وصول الرسول الكريم .

محمد : لو أذنت لي يا والدتي ، هل ذلك يعني أن عبد اللَّه بن أُبيّ كان يحنق على الإسلام والمسلمين ولا سيما على رسول اللَّه ﷺ حنقًا شديدًا ؛ لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته ، وكانوا ينظمون له الخرز ؛ ليتوجوه ، إذ دخل فيهم الإسلام ، فصرفهم عن ابن أبي ، فكان يرى أن رسول اللَّه ﷺ هو الذي استلبه ملكه ؟

الوالدة : تمامًا يا محمد ، وقد ظهر حنقه - عبد اللَّه هذا - وتحرقه منذ بداية الهجرة قبل أن يتظاهر بالإسلام ، وبعد أن تظاهر به . ركب رسول اللَّه ﷺ مرة على حمار ليعود سعد بن عبادة ، فمر بمجلس فيه عبد اللَّه بن أُبيّ فَخَمَّر ابن أُبيّ أنفه ، وقال : لا تُغَبِّرُوا علينا ، ولما تلا رسول اللَّه ﷺ على المجلس القرآن ، قال : اجلس في بيتك ولا تَغْشَانا في مجلسنا .

بلال : مجرم هذا المنافق يا جدتي .

الوالدة : وهذا قبل أن يتظاهر بالإسلام ، ولما تظاهر به بعد موقعة بدر ، استمر على عدائه للَّه ولرسوله وللمؤمنين ، ولم يكن يفكر إلا في تشتيت المجتمع الإسلامي ، وتوهين كلمة الإسلام ، وكان يوالي أعداءه ، وقد تدخل في أمر بني قينقاع ، كما ذكرنا ، وكذلك جاء منه في غزوة أحد من الشرِّ والغدر والتفريق بين المسلمين ، وإثارة الارتباك والفوضى في صفوفهم ، بما مضى في حديثنا عن تلك الغزوة .

الأولاد : اللَّهم زد عبد اللَّه بن أبي مما هو فيه ، آمين آمين .

الوالد : وكان من شدة مكر هذا المنافق وخداعه بالمؤمنين ، أنه كان بعد تظاهره بالإسلام يقوم كل جمعة حين يجلس رسول اللَّه ﷺ للخطبة ، فيقول : « هذا رسول اللَّه ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم اللَّه وأعزكم به ، فانصروه ، وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس ، فيقوم رسول اللَّه ﷺ ويخطب . وكان من وقاحة هذا المنافق أنه قام في يوم الجمعة التي بعد أحد ، قام ليقول ما كان يقوله من قبل ، فأخذ المسلمون ثيابه من نواحيه ، وقالوا له : اجلس أي عدو اللَّه ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس ، وهو يقول : واللَّه لكأنما قلت بجرًا ، أن

قمت أشدد أمره ، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

بلال : لقد كان الصحابة على وعي بما يكنه ذلك المنافق .

الوالدة : نعم يا بلال ، وكانت لعبد الله اتصالات ببني النضير ، يحيك المؤامرات معهم ضد المسلمين . قال لهم : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾ [الحشر : ١١] ، وقد ذكرنا ذلك أثناء حديثنا عن بني النضير .

وكذلك انخذل بثلث الجيش في غزوة أحد ، تاركًا إخوانه المسلمين في مواجهة أعدائهم .

وكذلك فعل هو وأصحابه في غزوة الأحزاب من : إثارة القلق والاضطراب وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ، ما قد قص الله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] ، إلى قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٠] .

عمار : أي أن المنافقين كانوا ضليعين في الإجرام والتآمر على الأمة المسلمة بالاتفاق مع اليهود .

الوالدة : نعم ، بيد أن جميع أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والمشركين ، كانوا يعرفون جيدًا أن سبب غلبة الإسلام ، ليس هو التفوق المادي وكثرة السلاح والجيوش والعدد ، وإنما السبب هو القيم والأخلاق والمثل التي يتمتع بها المجتمع الإسلامي ، وكل من يمت بصلة إلى هذا الدين ، وكانوا يعرفون أن منبع هذا الفيض إنما هو رسول الله ﷺ الذي هو المثل الأعلى - إلى حد الإعجاز - لهذه القيم .

كما عرفوا بعد إدارة دفة الحروب طيلة خمس سنين ، أن القضاء على هذا الدين وأهله لا يمكن بطريق السلاح ، فقرروا أن يشنوا حربًا دعائية واسعة ضد هذا الدين من ناحية الأخلاق والتقاليد ، وأن يجعلوا شخصية الرسول ﷺ أول هدف لهذه الدعاية التي تعتمد على اختلاق الأكاذيب .

الأولاد : حسبنا الله ونعم الوكيل في المنافقين !

الوالدة : وقد ظهرت خطتهم هذه جلية بعد غزوة الأحزاب حينما تزوج

رسول اللَّه ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة ، كان من تقاليد العرب أنهم كانوا يعتبرون المتبنى مثل الابن الصُّلْبي فكانوا يعتقدون حرمة حَلِيلَة المُتَبنَّى على الرجل الذي تبناه ، فلمَّا تزوج النبي ﷺ بزينب ، وجد المنافقون فرصة - حسب زعمهم - لإثارة المتاعب ضد النبي ﷺ :

أن زينب رضي الله عنها كانت زوجة ابنه - متبناهُ - فالزواج بها من أكبر الكبائر ، حسب تقاليد العرب ، وأكثروا من الدعاية في هذا السبيل ، واختلقوا قصصًا وأساطير ، قالوا : إن محمدًا رآها بغتة ، فتأثر بحسنها فشغفه حبًّا ، وعلقت بقلبه ، وعلم بذلك ابنه زيد ، فخلى سبيلها لمحمد ، وقد نشروا هذه الدعاية المختلقة نشرًا بقيت آثاره في كتب التفسير والحديث إلى هذا الزمان ، وقد أثرت تلك الدعاية تأثيرًا قويًّا في صفوف الضعفاء ، حتى نزل القرآن بالآيات البينات : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] (وهو زيد بن حارثة مولى رسول اللَّه ﷺ ومتبنَّاه) ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ (أى زينب بنت جحش الأسدية ابنة عم رسول اللَّه ﷺ) ﴿ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ (الخطاب من رب العالمين لرسول اللَّه ﷺ قد أخبرتك أني مزوجكها) ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ ﴾ (مولى رسول اللَّه ﷺ وابنه بالتبني) ﴿ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ (أي لما فرغ منها وطلقها) ، ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ (أي رب العالمين زوجها محمدًا ﷺ) ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ (أي أنَّما أبحْنا لك تزويجها وفعلنا ذلك ؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء إلى الأبناء بالتبني) ﴿ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (١) .

وقد كان هذا الزواج بأمر من اللَّه تعالى ولم يكن بدافع عن الهوى والشهوة كما يقول المنافقون ، وبعض المرجفين من أعداء اللَّه ؛ وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية ، وقد صرح اللَّه ﷻ بفرض هذا النوع بقوله : ﴿ لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ ﴾ .

وهذه إشارة عابرة وصورة مصغرة مما اقترفه المنافقون قبل غزوة بني المُصْطَلِق ، وكان النبي ﷺ يكابد كل ذلك بالصبر واللين والتلطف ، وكان عامة المسلمين يحترزون من

---

(١) الأحزاب : ٣٧ ، مختصر تفسير ابن كثير ، المجلد الثالث (ص ٩٧ - ٩٨) ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني (ج ٢) مكتبة الغزالي دمشق ١٣٩٧هـ (ص ٣٢١ - ٣٢٢) .

شرهم أو يتحملونه بالصبر ؛ إذ كانوا قد عرفوهم بافتضاحهم مرة بعد أخرى ، حسب قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٦] .

نهال : من المؤكد يا والدتي أن رسول اللَّه ﷺ كان لا يتصرف من نفسه ، وإنما هذا تشريع من اللَّه ﷻ .

الوالدة : تمامًا يا نهال .

منى : والآن نريد أن نعرف دور المنافقين في غزوة بني المصطلق ، وحادثة الإفك يا والدتي .

الوالدة : لما كانت غزوة بني المُصْطَلِق ، وخرج فيها المنافقون مع المجاهدين ، رغم أن الله قد حذر منهم ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة : ٤٧] ، فقد وجد المنافقون متنفسًا للتنفس بالشر فأثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين ، والدعاية الشنيعة ضد النبي ﷺ ، وهو ما أشار إليه أبو محمد في بداية اللقاء ، ويمكن أن نعرض له في لقاء آخر حول سورة النور .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أم محمد ، وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه ، حول الضربات الاستباقية التي كان يوجهها رسول اللَّه ﷺ إلى أعداء الإسلام والمسلمين .

قولوا جميعًا : سبحانك اللّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

- أين كان يقيم بنو المُصْطَلِق ؟ وما علاقة هذا الموقع بالمُرَيْسِيع ؟ .
- ما هي أسباب هذه الغزوة ؟ ومتى وقعت ؟ .
- عرف رسول اللّه ﷺ بحشود بني المُصْطَلِق قبل تحركها إلى المدينة ، ماذا يعني ذلك ؟ .
- هل تأكد رسول اللّه ﷺ من صحة الخبر ؟ هل كان في الإمكان التحرك بقواته قبل التأكد من الخبر ؟ .
- كان رسول اللّه ﷺ حريصًا على أخذ زمام المبادرة ، وهي ما يُسمى في العسكرية المعاصرة « الحرب الاستباقية » . ما الهدف ؟ .
- ما هي نتائج الغزوة ؟ .
- كانت السيدة جُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد القوم – من جملة السبي التي وقعت في يد الصحابي ثابت بن قيس ، كيف وصلت إلى يد رسول اللّه ﷺ ؟ وهل تزوجها ؟ .
- خرج بعض المنافقين مع رسول اللّه ﷺ إلى بني المُصْطَلِق ، ومن هؤلاء عبد اللّه ابن أبي بن سلول ، وكان لهم دور خطير في إثارة فتنة كادت أن تؤدي بالأنصار والمهاجرين إلى حد الاقتتال . مَنْ كان وراءها ؟ وكيف استطاع رسول اللّه ﷺ وأد الفتنة في مهدها ؟ .
- كان رسول اللّه ﷺ حريصًا في غزواته على اصطحاب بعض نسائه ، منهن أم المؤمنين عائشة التي اصطحبها رسول اللّه ﷺ في غزوة بني المصطلق ، ما هو مدلول هذا التصرف ؟ .
- لماذا تخلفت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الجيش ؟ ولماذا لم ينتبه المسؤولون عن هودج أم المؤمنين إلى أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليست فيه ؟
- ماذا فعلت أم المؤمنين حين وصلت إلى معسكر الجيش ، ووجدت أنه قد رحل وترك موقعه ؟
- من هو صَفْوان بن المُعَطِّل ؟ ماذا فعل عندما وجد أم المؤمنين نائمة ؟ وكيف عرفها ؟ .

● من الذي أطلق الشائعات عن العفيفة الطاهرة أم المؤمنين التي برأها اللَّه من فوق سبع سماوات ؟ ما الأثر الذي تركته حادثة الإفك على رسول اللَّه ﷺ ، وعلى أم المؤمنين ، وعلى بيت النبوة وبيت الصديق رضي الله عنه ، وعلى الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - وعلى المجتمع المسلم بأكمله ؟ .

● ما الموقف الذي التزمه الرسول القائد من الشائعة ، والذين أطلقوا الشائعات ؟ وماذا فعل ؟ وهل أقام حد القذف ؟ ومن أُقيم عليه حد القذف ؟ وهل أقيم الحد على عبد اللَّه بن أبي بن سلول ؟ .

● في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة في سورة النور ، يرسي اللَّه تعالى معالم بارزة ودروسًا مستفادة من حادثة الإفك . ما هي هذه الدروس ؟ .

● اذكر ملخصًا عن خطورة المنافقين على الصف المسلم ، من خلال مواقفهم من الرسول محمد ﷺ والمجتمع المسلم .

اللقاء التاسع والعشرون

رسول الله محمد ﷺ يواصل توجيه ضربات اسْتِبَاقِيّة لإجهاض قوة الأعداء ، بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة

- **سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدومة الجندل**
- **سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك**

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته ، وبعد . .

هذا هو لقاؤنا التاسع والعشرون الذي يبدو فيه أن قوى الأعداء والحاقدة على الإسلام ، لم تتوقف لحظة واحدة عن التآمر على الإسلام والكيد لأهله ، ولم يكن رسول اللّٰه غافلًا عما يحدث حوله من مؤامرات ، لأن عيون رجالاته واستخباراته كانت تعمل داخل صفوف الأعداء ، وكانوا يرسلون معلوماتهم أولًا بأول إلى رسول اللّٰه ﷺ ؛ وبناء على تلك المعلومات قرر النبي ﷺ توجيه السرايا لإجهاض المؤامرات .

ونعرض هنا للسرايا والبعوث التي عقد لها رسول اللّٰه محمد ﷺ الألوية ، ووجهها لكسر شوكة أعداء الإسلام ، ومنها :

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدُومَةِ الجَنْدَل في شعبان سنة ٦هـ - / ٦٢٧م [1] .

انطلقت السرية لأداء مهمتها ، ومكث عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام ، يدعو أهل دُومَةِ الجَنْدَل إلى الإسلام ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن بن عوف من تماضر بنت الأَصْبَغ بن عمرو الكلبي التي ولدت له أبا سلمة ، وكان أبوها رأسهم وملكهم وكان نصرانيًا .

إيمان : إن سلوك عبد الرحمن بن عوف ﷺ مع تلك القبيلة ، قمة في الفهم لرسالته ، فهو يفهم أن الهدف الرئيسي هو دعوة القبيلة إلى الإسلام ، فكان متريثًا خبيرًا بالنفوس والقلوب ؛ فشحذ كل الإمكانات الفكرية والحركية لإنجاح مهمته العظمى ، وتكلل عمله بفضل اللّٰه تعالى بالنجاح الكبير ، فأسلم سيد بني كلب « الأصبغ بن عمرو » وأسلم بإسلامه الكثيرون لتغدو دُومَة الجَنْدَل موقعًا من المواقع الإسلامية ، في هذه الأطراف المتنامية ، فلا غنى للمسلمين عن تلك القلعة للمستقبل القريب ، في المواجهة مع العرب والروم المناوئين للإسلام .

---

(١) السيرة النبوية ، الصلابي (ج٢ ، ص ٢٢٠) ؛ الرحيق المختوم (ص ٣٩٥) المغازي ، الذهبي ، (ص ٣٥٥) .

سمية : كما أن زواج عبد الرحمن بن عوف ﷺ من ابنة سيد بني كلب ، زعيم دومة الجندل ، يقوي الروابط بين الزعيم المسلم الجديد ، وبين دولة الإسلام في المدينة [١] .

سارة : وقد كان النبي ﷺ حريصًا على أن يتزوج هو وصحابته ببنات سادة القبائل ؛ لحكمة تعليمية ، وحكمة تشريعية ، وحكمة اجتماعية ، وحكمة سياسية ، ومنها تخريج بضع معلمات للنساء يعلمهن الأحكام الشرعية ؛ لأن ذلك كسب كبير لدعوة الإسلام حيث تكون المصاهرة سببًا في الحب وامتصاص أسباب العداء ، ثم الدخول في الإسلام [٢] .

احمد : معذرة يا والدي ، لقد قرأت أشياء لفتت انتباهي عن هذه السرية في كتاب : التاريخ الإسلامي دروس وعبر ، ورد فيها رواية عن ابن عمر :

دعا رسول اللّٰه ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، وقال له : « **تجهز ؛ فإني باعثك في سرية من يومك هذا ، أو من غد إن شاء اللّٰه** » .

وفي وقت الخروج وصى رسول اللّٰه ﷺ عبد الرحمن بن عوف : « **اغز باسم اللّٰه وفي سبيل اللّٰه ، فقاتل من كفر باللّٰه ، لا تغل ولا تغدر ، ولا تقتل ولدًا** » . ثم بسط يده فقال : « **يا أيها الناس اتقوا خمسًا قبل أن يحل بكم : ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم اللّٰه بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إلا سلط اللّٰه عليهم عدوهم ، وما منع قوم زكاة إلا أمسك اللّٰه عليهم قطر السماء ، ولولا البهائم لم يسقوا ، وما ظهرت الفاحشة في قوم ، إلا ألبسهم اللّٰه شيعًا وأذاق بعضهم بأس بعض** » .

وفي وصية رسول اللّٰه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف ، بيان لبعض مقاصد الجهاد ، وأحكامه ؛ فالجهاد يكون باسم اللّٰه تعالى لا بأسماء رموز الجاهلية ، ويكون في سبيل اللّٰه جل وعلا إعلاء لدينه ، لا في سبيل القوم والوطن والمصالح الدنيوية .

فأهل الجاهلية كانوا يقاتلون باسم أصنامهم ، وفي سبيل إعلاء شأن قبائلهم وأوطانهم ، فلما جاء الإسلام رفع من مستوى المسلمين الفكري ، فهجروا رموز الجاهلية ونطقوا باسم اللّٰه تعالى وحده ، وأصبح القوم الذين يعتزون بهم وينتصرون لهم هم المسلمين في كل مكان .

ثم نهى رسول اللّٰه ﷺ عبد الرحمن بن عوف ، عن الغلول ، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها ، ونهاه عن الغدر في العهود ، وعن قتل الولدان . وتلك نماذج من الأدب الإسلامي في الجهاد ؛ فالقتال نوع من العنف والقسوة ، ولكنه بالنسبة للمسلمين الذين

(١) السيرة النبوية الصلابي (ج٢ ص ٢٢٠) .
(٢) التاريخ الإسلامي الحميدي (م٣ ج٦ ص ١٨٦) .

طهر اللَّه تعالى قلوبهم من الغل والحسد - أمر عارض لإحقاق الحق وإزهاق الباطل ، وحماية المحقين من المبطلين وليس متأصلًا في نفوسهم ، ولذلك كان محفوفًا بالآداب السامية التي تجعل الإنسان الواحد جامعًا بين منتهى القوة والبطش ، ومنتهى الرحمة والعطف .

وانتهز رسول اللَّه الفرصة فوجه الكلام لعموم الحاضرين ، وحذرهم من الفتن الكبيرة التي تترتب على المعاصي الظاهرة ؛ فبين لهم أن التطفيف في المكاييل والموازين يؤدي إلى القحط والجدب ونقص الثمرات ، وأن نقض العهود وعدم الوفاء بها يؤدي إلى تسلط الأعداء على المسلمين ، وأن منع الزكاة يؤدي إلى حبس المطر ، وأن ظهور الفاحشة يؤدي إلى انتشار الأمراض المهلكة كالطاعون ، وأن الحكم بغير ما أنزل اللَّه تعالى يؤدي إلى تفرق الأمة وظهور العداء والقتال بين فئاتها .

لقد كانت هذه السرية دليلًا على أن المسلمين في العهد النبوي لم يكونوا يتعطشون لسفك الدماء ، ولم تكن تغريهم قوتهم وعددهم ، كما في هذه السرية ، إلى الطمع في أموال الأعداء ؛ بل كان المطلب الأول الذي استمروا يلحون عليه في كل مواجهة بينهم وبين أعدائهم ، أن يقوموا بدعوة الأعداء إلى الإسلام ، فإذا أسلموا عصموا دماءهم وأموالهم ، وأصبحوا في الحقوق كأفراد المسلمين .

الوالد : **بارك اللَّه فيكم ، فهم جيد . والآن نعرض للسرية الثانية وهي سرية علي ابن أبي طالب** [1] **، إلى بني سعد بن بكر ، بفدك في شعبان سنة ٦هـ .**

محمد : ما هي أسباب إرسال هذه السرية ؟

الوالد : المعلومات التي وصلت إلى الرسول القائد ﷺ أن جمعًا يريدون أن يمدوا اليهود بمدد ضد المسلمين ، ولهذا بعث رسول اللَّه إليهم عليًا في مائتي رجل ، وكان يسير بالليل ويكمن بالنهار ، فأصاب عينًا لهم (جاسوسًا) فأقر أن أهل فدك بعثوه إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر ، ودلهم الجاسوس على موضع تجمع بني سعد ، فأغار عليهم علي بن أبي طالب ﷺ ، فغنم هو وأصحابه خمسمائة بعير وألفي شاة وهربت بنو سعد بالظعن وكان رئيسهم وبر بن عُلَيْم .

محمود : في هذا الخبر مثل من خبرة النبي الحربية ، ودقة رصده لأعدائه ؛ فقد علم عن تحركات بني سعد بفدك التي أرادوا بها إمداد يهود خيبر ، الذين قد عزموا غزو المدينة ، بمدد . فأرسل هذه السرية بقيادة علي بن أبي طالب ﷺ لتمزيق جمعهم والقضاء على

---

(١) المغازي ، الذهبي ، (ص ٣٥٥) .

قوتهم قبل أن ينالوا مقصدهم .

وقد نجح علي ﷺ في تمزيق جمعهم وإرهابهم وشل قوتهم ، بما غنموه من أموالهم التي يستعينون بها في الحروب . وهكذا يكون التخطيط الحربي السليم ، وذلك بقطع الطريق على تجمع الأعداء الكبير ، حتى لا يتقوى بالإمدادات الحربية الصغيرة .

أسامة : لو أذنت لي يا والدي أكمل ؟

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : **السَّريَّة الثالثة : سرية أبي بكر الصديق إلى وادي القرى في رمضان سنة ٦هـ** [١] .

كان بطن من فزارة به امرأة تُدعى أم قرْفة ، وكانت شيطانة تجهز ثلاثين فارسًا من أهل بيتها ؛ لاغتيال النبي محمد ﷺ ، وحينما علم النبي بالخبر ، بعث أبا بكر ﷺ وصلى أبو بكر الصبح وأصحابه ، وبعدها قاموا بشن الغارة ، ووردوا الماء ، وقتلوا من قتلوا من العدو ، بمن فيهم الثلاثون الذين أعدتهم أم قرفة لاغتيال النبي ﷺ . وصدق اللّه القائل : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] .

والسَّريَّة الرابعة هي سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شوال سنة ٦هـ / ٦٢٧م . وسبب توجيه هذه السرية أن رهطًا من عُكَل وعُرَيْنَةَ أظهروا الإسلام وأقاموا بالمدينة ، فمرضوا ، فأمر لهم رسول اللّه ﷺ بذود [٢] وراعٍ في البادية ، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ؛ فلمَّا صحوا قتلوا راعي رسول اللّه ﷺ ، واستاقوا الإبل ، وكفروا بعد إسلامهم .

الأولاد : مجرمون .. رد الجميل على هذا النحو ؟ ! كفر باللّه ، وكفر بالنعمة ، وقتل نفس بغير حق ، وسرقة أموال الغير ؛ إنهم يستحقون أن يُقام عليهم حد الحرابة .

الوالد : نعم يا أبنائي ، ولهذا أرسل رسول اللّه ﷺ في طلبهم ، سرية كرز بن جابر الفهري ، ودعا اللّه عليهم (على العرنيين) : « **اللَّهم أعم عليهم الطريق واجعلها عليهم أضيق من مَسَك** » . فاستجاب اللّه دعوته ﷺ وعمَّى عليهم السبيل ، فأدركتهم سرية كرز وقبض عليهم ، وقطعت أيدي المعتدين وأرجلهم وسملت أعينهم جزاءً وقصاصًا بما فعلوا ، ثم تُركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا .

الأولاد : صدق اللّه القائل : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ

---

(١) المغازي ، الذهبي ، (ص ٣٥٦ - ٣٥٧) .

(٢) ذود : إبل ما بين ثلاثة إلى عشرة.

فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣] ، والقائل: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة .

بقيت سريَّة عمرو بن أمية الضمري مع سلمة بن أبي سلمة التي عقد رايتها الرسول القائد لله في شوال سنة ٦هجرية ، وكان الهدف منها اغتيال أبي سفيان لأنه كان قد أرسل أعرابيًا لقتل النبي ﷺ ، بيد أنهما لم ينجحا في الاغتيال ، وهذا لحكمة أرادها اللَّه ، وهي أن يُسلم أبو سفيان ، ويحسن إسلامه ، ويكون من قادة المجاهدين .

أعتقد أن هذا يكفي في هذا اللقاء ، وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه ، مع خروج صحابة رسول اللَّه بقيادة النبي محمد ﷺ إلى الحديبية .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

اكتب مذكرات عن :

(١) سرية عبد الرحمن بن عوف ﷺ إلى ديار بني كلب بدومة الجندل .

أين تقع ديار بني كلب ودومة الجندل ؟ ما هي الأسباب ؟ كم كان عدد المشركين فيها ؟ .

وما هي النتائج التي تمخضت عنها ؟ ومتى وقعت ؟ والدروس المستفادة ؟ .

(٢) سرية علي بن أبي طالب ﷺ إلى بني سعد بن بكر بفدك .

(٣) سرية أبي بكر الصديق ﷺ ، أو زيد بن حارثة ﷺ إلى وادي القرى .

(٤) سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين ، الدروس المستفادة .

(٥) سرية عمرو بن أمية الضمري ، الدروس المستفادة .

اللقاء الثلاثون

خروج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه باتجاه مكة لأداء العمرة

صلح الحديبية (١)

ذو القعدة سنة ٦ هـ / ٦٢٧م

الوالد : الحمد للَّه والصلاة والسلام على محمد رسول اللَّه ﷺ .. وبعد ، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . هذا هو لقاؤنا حول رحلة النبي محمد ﷺ وأصحابه من المدينة المنورة ، باتجاه مكة المكرمة ؛ لأداء واجب العمرة . وتبدأ هذه الرحلة برؤية رآها رسول اللَّه ﷺ ، أنه قد زار هو وأصحابه المسجد الحرام ، وأخذ مفتاح الكعبة ، وطافوا واعتمروا ، وحلق بعضهم ، وقصر بعضهم ، فأخبر بذلك أصحابه ، ففرحوا ، وحسبوا أنهم داخلون مكة عامهم ذلك (السادس الهجري) وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر ، كما كان حريصًا ﷺ على استنفار العرب ومن حوله من البوادي ؛ ليخرجوا معه .

أسامة : ورؤيا الأنبياء حق .

الوالد : نعم ، وفي اليوم المحدد ركب رسول اللَّه ناقته القصواء في ألف وأربعمائة ، وقيل ألف وخمسمائة ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

عمَّار : هل أحرم رسول اللَّه ﷺ والصحابة وأهلوا بالعمرة من المدينة المنورة ؟

الوالد : لا ، يا عمَّار ، لمَّا كان الركب الكريم بذي الحليفة ، أحرم بالعمرة وقلد الهدي وأشعره .

عمَّار : أين تقع ذو الحليفة ؟ وهل هو ميقات أهل المدينة للذين يحرمون بالحج والعمرة ؟ .

الوالد : ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أو سبعة أميال ، وهو ميقات أهل المدينة للحج والعمرة . وبعدها بعث رسول اللَّه ﷺ عينًا له من خزاعة ، يخبره عن قريش ؛ حتى إذا كان قريبًا من عسفان ، أتاه عينه ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش ، وجمعوا لك جموعًا ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت العتيق .

سلمان : رغم أن الرسول ﷺ أعلن أنه ذهب معتمرًا وليس محاربًا .

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣١٢ - ٣٣٧) المغازي ، الذهبي (ص٣٦٣ - ٣٩٣) ، زاد المعاد (ص١٢٢ - ١٣٣) ، الرحيق المختوم (ص٣٩٨ - ٤١١) ، الرسول القائد (ص١٧٧ - ١٩٨) .

الوالد : نعم يا سلمان . المهم أن رسول اللّه ﷺ استشار أصحابه ، وقال : « **أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم ، فنصيبهم ؛ فإن قعدوا قعدوا موتورين محزونين ، وإن نجوا يكن عنق قطعها اللّه ، أم ترون أن نؤم هذا البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه ؟** » [(١)] .

فقال أبو بكر : اللّه ورسوله أعلم ، إنما جئنا معتمرين ، ولم نجئ لقتال أحد ؛ ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي ﷺ : « **فروحوا إذًا** » ، فراحوا .

حتى إذا كان ببعض الطريق ، قيل للنبي ﷺ : إن خالد بن الوليد (لم يكن قد أسلم بعد) مرابط على رأس مائتي فارس بِكُرَاع الغَمِيْم (في الطريق الرئيسي الذي يوصل إلى مكة) . وقد حاول خالد صد المسلمين فقام بفرسانه ، يترائى الجيشان ، ورأى خالد المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون ، فقال : قد كانوا على غرة ، لو كنا حملنا عليهم ؛ لأصبنا منهم ، ثم قرر أن يميل على المسلمين في صلاة العصر ميلة واحدة ، ولكن اللّه أنزل حكم صلاة الخوف ، ففاتت الفرصة خالدًا .

ولتحاشي الصدام مع قوات قريش ، سلك رسول اللّه ﷺ بأصحابه ذات اليمين طريقًا وعرًا تاركًا الطريق الرئيسي إلى اليسار ، الذي يفضي إلى الحرم مارًّا بالتنعيم ، فانطلق خالد يركض إلى قريش يعلمهم بما وقع .

وسار النبي ﷺ ؛ حتى إذا كان بالثنية مهبط الحديبية ، من أسفل مكة - بركت راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ فألحَّت ، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي ﷺ : « **ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل** » . ثم قال : « **والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات اللّه ، إلا أعطيتهم إياها** » . ثم زجر الناقة فوثبت به ، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية [(٢)] .

وفزعت قريش لنزوله عليهم ، فاختار رسول اللّه ﷺ أن يبعث إليهم رجلًا من أصحابه ، فدعا عمر بن الخطاب ﷺ ليبعثه إليهم ، فقال : يا رسول اللّه ، ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت ، فأرسل عثمان بن عفان ؛ فإن عشيرته بها وإنه مبلغ ما أردت .

فدعا رسول اللّه عثمان بن عفان ﷺ فأرسله إلى قريش ، وقال : « **أخبرهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عُمارًا ، وادعهم إلى الإسلام** » ، وأمره أن يأتي رجالًا بمكة مؤمنين ونساء

---

(١) المغازي ، الذهبي ، (ص٣٦٦) .
(٢) المرجع السابق ، (ص٣٦٧) .

مؤمنات ، فيبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن اللَّه ﷻ مظهر دينه بمكة ؛ حتى لا يستخفي فيها أحد بالإيمان [١] .

محمد : معذرة يا أبي ، هذه بشارة من رسول اللَّه ﷺ للمستضعفين والمحصورين - بالنصر وظهور الدين ؛ تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] ، وتأتي البشارة في ظروفٍ ؛ المسلمون ممنوعون من دخول بيت اللَّه العتيق للعمرة .

الوالد : تمامًا يا محمد . وقد وصل عثمان بن عفان ﷺ ، فمر على قريش ببلدح فقالوا : أين تريد ؟ فقال : بعثني رسول اللَّه ﷺ أدعوكم إلى اللَّه وإلى الإسلام ، ونخبركم أنَّا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارًا . قالوا : قد سمعنا ما تقول فانفذ لحاجتك ، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص ، فرحب به ، ثم أسرج فرسه ، فحمل عثمان على الفرس وأجاره وأردفه « أبان » حتى جاء مكة [٢] .

وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان : خلص عثمان قبلنا إلى البيت ، وطاف به ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون** » . فقالوا : وما يمنعه يا رسول اللَّه وقد خلص ؟ قال : « **ذاك ظني به ، أن لا يطوف الكعبة حتى نطوف معه** » [٣] .

احمد : ألم يكن في مكة رجل رشيد يُذكر القوم بأن محمدًا ما جاء محاربًا ، ولا يجوز منعه وإخوانه عن الاعتمار والطواف بالبيت العتيق

الوالد : نعم ، جاء عديد من الناس لمقابلة رسول اللَّه ﷺ . لكن أود قبل أن أعرض لهذا الأمر أن أذكر أنه سرت شائعة أن عثمان ﷺ قد قُتل ، فدعا رسول اللَّه أصحابه إلى البيعة ، فثار المسلمون إلى رسول اللَّه ﷺ ، وهو تحت الشجرة ، فبايعوه على أن لا يفروا ، وأخذ رسول اللَّه ﷺ بيد نفسه وقال : « **وهذه عن عثمان** » .

ولما تمت البيعة رجع عثمان ﷺ ، فقال له المسلمون : اشتفيت يا أبا عبد اللَّه من الطواف بالبيت ، فقال : بئس ما ظننتم بي . والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول اللَّه ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول اللَّه ، ولقد دعتني قريش إلى الطواف فأبيت . فقال المسلمون : رسول اللَّه ﷺ كان أعلمنا باللَّه وأحسننا ظنًّا [٤] .

---

(١) المرجع السابق (ص٣٨٢) .

(٢) المرجع السابق (ص٣٨٢) زاد المعاد (ج ٢ . ص ١٢٣ - ١٢٤) .

(٣) المغازي ، الذهبي (ص٣٨٣) .

(٤) المغازي ، الذهبي (ص٣٨٣ - ٣٨٥) .

وبينما المسلمون يبايعون رسول اللَّه ﷺ ، جاء بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، في نفر من خزاعة ، وكانوا عيبة نصح [١] رسول اللَّه من أهل تهامة . فقال : « إني تركت كعب ابن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ، معهم العُوّذَ المَطَافِيل [٢] ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب ، وأضرت بهم ، فإن شاؤوا ماددتهم ، ويخلوا بيني وبين الناس ، وإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس ، فعلوا ؛ وإلا فقد جموا** (أي استراحوا من جهد الحرب) ، **وإن أبوا إلا القتال ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن اللَّه أمره** » .

قال بديل : سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشًا ، فقال : « إني قد جئتكم من عند هذا الرجل ، وسمعته يقول قولًا ، فإن شئتم عرضته عليكم ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء . وقال ذو الرأي منهم : هات ما سمعته . قال : سمعته يقول كذا وكذا . فقال عروة بن مسعود الثقفي : إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد ، فاقبلوها ودعوني آته . فقالوا : ائته .

ولعلك لاحظت يا أحمد أن هناك أصواتًا عاقلة تطالب بعدم الصدام ؛ ولكن الكثرة لا تقبل مجرد سماع الصوت الآخر . المهم عروة بن مسعود الثقفي قابل النبي ﷺ وجعل يكلمه ، فقال له النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك : أي محمد أرأيت لو أن استأصلت قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهًا وأرى أوباشًا من الناس خلقًا أن يفروا ويدعوك .

فقال له أبو بكر : أنحن نفر عنه وندعه ؟ قال عروة : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ، لولا يد كانت عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر فلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ، ضرب يده بنصل السيف ، وقال : أخر يدك عن لحية رسول اللَّه ﷺ ، فرفع عروة رأسه ، وقال : من

---

(١) عيبة نصح رسول اللَّه : أي خاصته وأصحاب سره .

(٢) العوذ : الناقة ذات اللبن ، والمطافيل : الأمهات التي معها أطفالها ، والمراد أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ؛ ليكون أدعى إلى عدم الفرار . المغازي ، الذهبي (ص٣٦٧ - ٣٦٨) .

ذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غُدَر ، أو لست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ثم جاء ، فأسلم ، فقال النبي ﷺ : « **أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء** » [١] .

محمد : أي قيم هذه ؟ ! قتل قومًا من المشركين ، ثم جاء مسلمًا ، ومعه أموال الذين قتلهم ، فقبل رسول اللَّه ﷺ منه الإسلام ، ولكنه رفض أن يقبل أموال المقتولين !

الوالد : نعم ، إنها أمة الإسلام ، ورسول الإسلام ، وقيم الإسلام .

ثم إن « عروة » جعل يرمق أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فواللَّه ما تنخم النبي ﷺ نخامة ، إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها جلده ووجهه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له ، فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، واللَّه لقد وفدت على الملوك ؛ على قيصر وكسرى والنجاشي ، واللَّه ما رأيت ملكًا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا ، واللَّه إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له ، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها [٢] .

محمد : إنه الحبُّ الكبير الذي يكنه المسلمون لرسول الإسلام ﷺ الذي علمهم : « **واللَّه لا يؤمن أحدكم حتى يكون اللَّه ورسوله أحب إليه من نفسه وماله وولده** » .

الوالد : تمامًا يا محمد ، اللَّهم إنَّا نشهدك أنا نحب اللَّه ورسوله أكثر من حبنا لأنفسنا وأموالنا وأولادنا .

محمود : ذلك يعني يا والدي أن قريشًا لم تكتف بتوصيات عروة بن مسعود الثقفي ؟

الوالد : نعم ، والدليل أنهم أوفدوا رجلًا من بني كنانة ، لمقابلة رسول اللَّه ﷺ بناءً على طلبه : « قال : دعوني آته » فقالوا : « ائته » . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له** » . فبعثوها له ، واستقبله القوم يلبون ، فلمَّا رأى ذلك قال : « **سبحان اللَّه ! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت** » . فرجع إلى أصحابه ، فقال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ،

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٣٦٨ - ٣٦٩) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٢٤) .
(٢) المغازي ، الذهبي (ص٣٦٩ - ٣٧٠) .

وما أرى أن يُصدوا عن البيت [١] .

إيمان : سبحان الله ! حينما شاهد صاحب بني كنانة البدن قد قلدت وأشعرت ، وسمع المسلمين يلبون : لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك – تأثر واقترح السماح للمسلمين بأداء العمرة .

الوالد : نعم يا إيمان ، ولكن رغم هذا لم تقتنع قريش بالتخلية بين المسلمين والبيت العتيق ، لأداء مناسك العمرة .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا بالله .

الوالد : وجاء رجل فاجر كما وصفه رسول الله ﷺ ، هو مكرز بن حفص ؛ لمقابلة رسول الله ﷺ ، وفي هذه الأثناء وصل سهيل بن عمرو ؛ ليفاوض النبي محمدًا ﷺ في عقد معاهدة تمنع الصدام ، وبمجرد أن شاهده النبي ﷺ ، قال لأصحابه : « **قد سُهِّل لكم أمركم** » .

سارة : ما أجمل البشارات التي تخرج مِن في النبي محمد ﷺ ، بمجرد أن شاهد سهيل بن عمرو [٢] .

الوالد : نعم ، وفعلًا بدأت الخطوات النهائية ، لعقد اتفاقية سلام بين محمد ﷺ وقريش . فقال ﷺ : « **هات أكتب بيننا وبينكم كتابًا** » . فدعا الكاتب ، فقال : « **اكتب بسم الله الرحمن الرحيم** » فقال سهيل : « أما الرحمن فوالله ما ندري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللَّهم ، كما كنت تكتب » . فقال المسلمون : « والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال النبي ﷺ : « **اكتب : باسمك اللَّهم** » . ثم قال اكتب : « **هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله** » فقال سهيل : فوالله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال النبي ﷺ : « **إني رسول الله وإن كذبتموني . اكتب : محمد بن عبد الله** » .

رحمة : الله أكبر ، هنا ملاحظتان يا جدي : الأولى إصرار الصحابة – رضوان الله عليهم – على عدم مسح « بسم الله الرحمن الرحيم » و « محمد رسول الله » ، والثانية : الفقه العظيم لرسول الله محمد ﷺ وهو يتعامل مع أناس يرفضون الإقرار بالتوحيد ، وبأن محمدًا رسول الله ، ورسول الله لا يريد قتالهم ، يريد حقن الدماء ، فيتجاوب مع

---

(١) المرجع السابق (ص٣٧٠) .

(٢) المغازي الذهبي (ص٣٧٠ – ٣٧١) .

رغبات وفد المفاوضة القرشي ، لمصلحة أعظم ستؤدي إلى فتح مكة ، وانتشار الإسلام ، ودخول الناس في دين الله أفواجًا .

الوالد : ما شاء الله على الفهم الراقي يا رحمة !

وبعدها واصل الرسول محمد ﷺ حديثه عن شروط الصلح ، فقال النبي ﷺ « **على أن تخلوا بيننا وبين البيت ، فنطوف به** » . فقال سهيل : « والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل » فكتب . فقال سهيل : « على أن لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا » . فقال المسلمون : « سبحان الله ! كيف يرد إلى المشركين وقد جاءهم مسلمًا ؟ » . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده ، قد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين . فقال سهيل : « هذا يا محمد أول ما نصالحك عليه ، على أن ترده » . فقال النبي ﷺ : « **إنا لم نقض الكتاب بعد** » ، فقال « فوالله إذًا لا نصالحك على شيء أبدًا » . فقال النبي ﷺ : « **فأجره لي** » . قال : « ما أنا بمجيره لك » قال : « **بلى فافعل** » قال : « ما أنا بفاعل » . قال مكرز : « بلى ، قد أجرناه » فقال أبو جندل : « يا معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ » وكان قد عذب في الله عذابًا شديدًا .

محمد : هل لنا أن نتعرف على نص وثيقة الهدنة بصورة أكثر بساطة ؟

الوالد : نعم ، ورد في كتاب « الرسول القائد » نص الوثيقة على النحو التالي :

باسمك اللّهم ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدًا ﷺ من قريش بغير إذن وليه ، رده عليهم ، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه إليه . وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده ، دخل فيه . ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم ، دخل فيه . وأنك ترجع عنّا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها [1] .

بلال : معذرة يا أبي ما معنى : عيبة مكفوفة ؟

---

(١) لواء ركن محمود شيت خطاب (ص١٨٤) .

الوالد : المراد أننا نكف عنك ، وتكف عنَّا .

سلمان : وأنه لا إسلال ولا إغلال ؟ .

الوالد : أي لا سرقات خفية ولا خيانة .

الأولاد : جزاك اللَّه خيرًا يا والدنا .

منى : اختبار شديد للمسلمين أن يردوا أي مسلم هرب من مكة إلى المدينة المنورة ، بينما لا ترد مكة أي إنسان جاءها من المدينة ، لا توازن . ثم يأتي مسلم بين يدي رسول اللَّه ﷺ فارًّا من مكة ؛ لعل المسلمين ينقذونه ، فيصر المفاوض القرشي قبل توقيع الاتفاق على ردِّ أبي جندل بن سهيل بن عمرو ، إلى أهله ، ويصرخ المسلم المستجير : « يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ؟ ألا ترون ما لقيت ؟ » (وكان قد عُذب عذابًا شديدًا) ، ورغم ذلك يوافق رسول اللَّه ﷺ على الصلح ويمضيه .

الوالد : نعم يا منى ؛ إنه رسول اللَّه ويدرك أن اللَّه لن يضيعه . رسول اللَّه حريص على أن لا تراق دماء على أرض حرم اللَّه الآمن ، حريص على أن يعطي المشركين فرصة للاحتكاك بالمسلمين والتعرف عليهم عن قرب . ولهذا فإن عمر بن الخطاب تضايق ، وبدا ذلك فيما روي عن موقفه ؛ لأنه لم تظهر له الحكمة من الاتفاق .

قال عمر بن الخطاب (١) : « واللَّه ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ ، فأتيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول اللَّه ، ألست نبي اللَّه ؟ قال : « **بلى** » . قلت : ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ؟ قال : « **بلى** » . فقلت : علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم اللَّه بيننا وبين أعدائنا ؟ فقال : « **إني رسول اللَّه ، وهو ناصري ولست أعصيه** » . قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام ؟** » قلت : « لا » قال : « **فإنك آتيه ومطوف به** » .

قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت له كما قلت لرسول اللَّه ﷺ ، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول اللَّه ﷺ ، وزاد : فاستمسك بغرزه (الركاب) حتى تموت ، فواللَّه إنه لعلى الحق ، ثم نزلت : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] إلى آخر سورة الفتح ، فأرسل رسول اللَّه ﷺ إلى عمر فأقرأه إياها . فقال : يا رسول اللَّه ، أو فتح هو ؟ قال : « **نعم** » . فطابت نفسه ورجع .

محمود : معذرة يا والدي لقد ندم عمر ﷺ على ما فرط منه ندمًا شديدًا . قال عمر :

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٣٧١) .

« فعملت لذلك أعمالًا ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي كنت تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيرًا » ، فلما فرغ من قضية الكتاب ، قال رسول اللَّه ﷺ : « **قوموا ، فانحروا ثم احلقوا** » ، فواللَّه ما قام منهم رجل واحد ، حتى قال ثلاث مرات . فلمَّا لم يقم منهم أحد ، قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا رسول اللَّه ، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا كلمة ، حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فقام ، فخرج ، فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ، ودعا حالقه ، فحلقه فلما رأى الناس ذلك ، قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضًا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًّا [1] .

أسامة : يبدو أن بعض المسلمين لم يدرك أهمية النتائج التي ترتبت على هذه الهدنة ومنها :

(أ) اعتراف قريش بالمسلمين طرفًا مساويًا لهم .

(ب) فتح المجال أمام الرسول ﷺ لعقد تحالفات مع القبائل العربية التي لم تكن تطمئن لمحالفته ؛ لقوة قريش ولوجود بيت اللَّه العتيق بمكة ؛ والدليل على ذلك إعلان خزاعة حلفها للرسول ، بعد الصلح مباشرة .

(ج) تيسير الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم بأمان .

(د) السماح للمسلمين بزيارة البيت العتيق بعد عام ، والبقاء بمكة ثلاثة أيام [2] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

جنة : قرأت يا جدي أن عمر بن الخطاب حينما شاهد أبا جندل [3] بن سهيل بن عمرو يستغيث بالمسلمين : « يا معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين ، وقد جئت مسلمًا ، يفتنوني في ديني ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ » وكان قد عذب عذابًا شديدًا في اللَّه ؛ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن اللَّه جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد اللَّه ، فلا نغدر بهم** » فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : « اصبر يا أبا جندل ؛ فإنما هم مشركون وإنما دم أحدهم دم كلب » ويدني قائم السيف منه . يقول عمر : « رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضن

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٣٧٢) .
(٢) الرسول القائد (ص١٨٥) .
(٣) المغازي ، الذهبي (ص٣٧١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٢١ - ٣٢٢) .

الرجل بأبيه ، ونفذت القضية » (١) .

رحمة : ولعل هذا من رحمة اللّه ، يا جدي ؛ لأن سهيل بن عمرو أسلم بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه ، وابنه قد يسر اللّه له أمره وأوجد له مخرجًا .

الوالد : نعم يا رحمة ، فقدر اللّه فيه الرحمة والخير كما سنرى .

هبة : قرأت يا أبي أن بعض النسوة اللائي كن في مكة ، وكن يستخفين بإسلامهن (مثل أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط) ، وجدن فرصة في الهروب إلى المدينة المنورة دون رضا أولياء أمورهن ، وبناء عليه طلب أولياء أمورهن إعادتهن إلى مكة ، فرفض رسول اللّه ﷺ ذلك . لماذا رغم شروط المعاهدة ؟ .

الوالد : رسول اللّه ﷺ واع يا أم بلال ؛ لأن نص صلح الحديبية « على أنه لا يأتيك منَّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته علينا » . أي أن النساء لم يدخلن في العقد . وأنزل اللّه ﷻ في ذلك قرآنًا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

محمود : هل لنا أن نتعرف على ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية ؟ .

الوالد : نعم ، ويا حبذا أن نعرض لذلك ، اعتمادًا على ما ورد في كتاب « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية (٢) .

محمود : الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ، وبعد ، فإليكم يا إخوان بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية (العبادات) :

- يجوز الاعتمار في أشهر الحج : شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة .
- أن الإحرام من الميقات للعمرة أو الحج أفضل وميقات أهل المدينة ذو الحليفة .
- أن سوق الهدي مسنون في العمرة المفردة ، وكذلك في حج القِران (العمرة والحج) .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٢٢) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين . المطبعة المصرية ومكتبتها ، (ج٢ ص١٢٧ - ١٣١) .

● من الواجبات الدينية أن يقوم قائد الجيش بإرسال فريق لاستطلاع الطريق ، ومعرفة أخبار العدو ، ومكان إقامته ، وتسليحه .

● يجوز للمسلمين أن يستعينوا بالمشرك المأمون في الجهاد عند الحاجة .

محمد : أهمية الشورى واستحبابها ، ومن ذلك : مشورة الإمام رعيته وجيشه ؛ لتحقيق جملة مصالح ؛ استخلاصًا لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم ، وتعرفًا لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض ، وامتثالًا لأمر الرب في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وقد مدح ﷺ عباده بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] .

● جواز سبي ذراري المشركين إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال .

● ردُّ الكلام الباطل ، ولو نُسب إلى غير مكلف ؛ فإنهم لما قالوا : خلأت القصواء (يعني حرنت وألحت فلم تسر) ، أي أنهم نسبوا إلى الناقة ما ليس من خلقها وطبعها – رده رسول اللّٰه ﷺ عليهم ، وقال : « **ما خلأت ، وما ذاك لها بخلق** » ثم أخبر ﷺ عن سبب بروكها ، وأن الذي حبس الفيل حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت من وراء حبسها وما جرى بعده .

أحمد : أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة ، إذا طلبوا أمرًا يعظمون فيه حرمة من حرمات اللّٰه تعالى ، أجيبوا إليه وأعطوه وأعينوا عليه . وإن منعوا غيره فيعاونون على تعظيم ما فيه حرمات اللّٰه ، لا على كفرهم وبغيهم ، ويمنعون مما سوى ذلك .

● كل من التمس المعاونة على محبوب اللّٰه تعالى ، مُرضٍ له ، أجيب إلى ذلك كائنًا من كان ، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض للّٰه أعظم منه .

● مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم ، ولا يخص بها المسجد الذي هو مكان الطواف ، ومنها أنه من نزل قريبًا من مكة ، فإنه ينبغي أن ينزل في الحل ويصلي في الحرم ..

● جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى في ذلك المصلحة للمسلمين فيه ، ولا يتوقف في ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم .

إيمان : قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول اللّٰه ﷺ ، وهو قاعد – سنة يُقْتَدَى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر ، وتعظيم الإمام ، وطاعته ، ووقايته بالنفوس ، وهذه العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين ، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين ، وليس هذا من النوع الذي ذمَّه النبي ﷺ بقوله : « **من أحب أن يتمثل إليه الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار** » .

كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ، ليست من هذا النوع المذموم في غيره .

● استحباب إظهار شعائر الإسلام لرسل الكفار . والدليل بعث البدن في وجه رسول قريش إلى رسول الله ﷺ .

● مال المشرك المعاهد معصوم ، وأنه لا يملك ؛ بل يرد عليه . والدليل أن المغيرة عندما صحب قومًا على الأمان - قبل إسلامه - ثم غدر بهم ، وأخذ أموالهم ، فقال ﷺ : « **أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء** » .

أسامة : احتمال قلة أدب رسول الكفار وجهله وجفوته ، ولا يُقابَل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة .

● طهارة النخامة ، سواء كانت من رأس أو صدر ، ومنها طهارة الماء المستعمل .

● استحباب التفاؤل .

● مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين - جائز للمصلحة الراجحة ، ودفع ما هو شر منه ، ففيه دفع أعلى المفسدتين ، باحتمال أدناهما .

هبة : أن من حلف على فعل شيء أو نذره أو وعد به غيره ، ولم يُعَين وقتًا لا بلفظه ولا بنيته ، لم يكن على الفور بل على التراخي .

● الحلاقة نسك وأنه أفضل من التقصير ، وأنه نسك في العمرة ، كما هو نسك في الحج ، وأنه نسك في عمرة المحصور .

منى : المحصر ينحر هديه حيث أحصر من الحل والحرم ، وأنه لا يجب عليه أن يواعد من ينحره في الحرم ، إذا لم يصل إليه ، وأنه لم يتحلل حتى لم يصل إلى محله ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ [الفتح : ٢٥] .

شيرين : المحصر لا يجب عليه القضاء ، لأنه ﷺ أمرهم بالحلق والنحر ، ولم يأمر أحدًا منهم بالقضاء ، والعمرة من العام القابل لم تكن واجبة ، ولا قضاء عن عمرة الإحصار ، والدليل أنهم كانوا في عمرة الإحصار ألفًا وخمسمائة ، وكانوا في عمرة القضاء دون ذلك ، وإنما سُميت عمرة القضية والقضاء ؛ لأنها العمرة التي قاضاهم عليها .

ياسر : اتباع الرسول ﷺ وطاعته والاقتداء به ، توجب امتثال أمره .

● جواز صلح الكفار على ردِّ من جاء منهم إلى المسلمين ، ولا يُرد من ذهب من المسلمين إليهم (هذا في غير النساء) ، أما النساء فلا يجوز اشتراط ردهن إلى الكفار .

الوالد : جزاكم الله خيرًا (١) وإلى لقاء آخر إن شاء الله .

الوالدة المعلمة : معذرة يا أبا محمد ، قبل أن نختم لقاء الحديبية ، أقترح أن نأخذ استراحة قصيرة ثم نعرض للدروس المستفادة من صلح الحديبية ارتباطًا بسورة الفتح ، وبحيث ننتقل بعد ذلك لموضوع آخر من موضوعات السيرة .

الوالد : إذا كان أحد قرأ سورة الفتح ، وتفسيرها ، فليكن ما تريدين .

الوالدة : جزاكم الله خيرًا ، واضح أن هناك ثلاثة أفراد قاموا بهذا الواجب وأنا كذلك .

الوالد : إذن بعد الاستراحة نواصل الحديث إن شاء الله .

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله ﷺ .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ،

نستأنف لقاءنا ؛ لنستخلص الدروس والعبر من سورة الفتح التي نزلت بمناسبة صلح الحديبية . ولعلكم تذكرون أننا قد اتفقنا على قراءة سورة الفتح ، وتفسيرها ؛ ليشارك كل منَّا في التذكرة بدروس وعبر مستقاة من هذه السورة ، ولنبدأ بحسب الحروف الأبجدية .

احمد : جزاكم الله خيرًا يا أبي ، نزلت هذه السورة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية ، في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة ، حينما صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ، وحالوا بينه وبين العمرة ، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، فأجابهم إلى ذلك على كره من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب ﷺ ، فلمَّا نحر هديه حيث أحصر ، ورجع – أنزل الله ﷻ هذه السورة ، وجعل ذلك الصلح فتحًا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل إليه الأمر : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

وقد روى البخاري عن البراء ﷺ قال : « تعدون الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » . وفي هذا يقول رسول الله ﷺ : « **لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية أحب إليَّ مما على الأرض** » ثم قرأ الآيات : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح : ١ - ٣] فقال الصحابة : هنيئًا مريئًا يا نبي الله ؛ بَين الله ﷻ ما يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ﷺ : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين ، للإمام ابن قيم الجوزية ، (ج٢) المطبعة المصرية ومكتبتها (ص ١٢٧ - ١٢٩) .

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٥] .

ورغم ذلك كان رسول اللَّه ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه ، فقالت له عائشة رضي الله عنها : « يا رسول اللَّه ، أتصنع هذا وقد غفر لك اللَّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ » فقال ﷺ : « **يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا** » . اللَّهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ﷺ .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أحمد ، ووفقنا للاقتداء برسول اللَّه ﷺ في صلاته ، وخاصة قيام الليل والناس نيام ؛ حيث يتجلى رب العالمين على العباد ، فيقول : « هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من صاحب حاجة فأقضيها له ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ » .

شيء مهم يا أبنائي : من القائل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ ؟ إنه رب العالمين هو الذي يدير المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل ، هو الذي ينصر عباده الموحدين ، هو الذي يدخل المؤمنين الجنة ، والمؤمنات الجنة وهو الذي يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات . هو الذي نصر محمدًا ﷺ بسبب خضوعه لأمر اللَّه عز وجل ، فرفعه اللَّه ونصره على أعدائه ، كما جاء في الحديث : « **وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًّا ، وما تواضع أحد للَّه عز وجل إلا رفعه اللَّه تعالى** » .

أسامة : إن بيعة الصحابة رضوان اللَّه عليهم يوم الحديبية لرسول اللَّه ﷺ وكانوا ألفًا وأربعمائة – هي بيعة للَّه عز وجل ، هي بيعة للجهاد في سبيل اللَّه بالنفس والمال ، بيعة الموت ؛ لتكون كلمة اللَّه هي العليا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] ، فاللَّه هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

ويقول ﷺ : « **من سل سيفه في سبيل اللَّه ، فقد بايع اللَّه** » ويقول الحسن البصري : « سلم اللَّه السلعة ، يسلمك الثمن » .

بلال : معذرة يا جدي ، ولكن هناك شخص لم يبايع ، ولعله منافق ، إنه « الجد بن قيس » الذي قال عنه صحابي هو « جابر » رضي الله عنه : واللَّه لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته

قد صبأ إليها يستتر بها من الناس .

الوالد : أحسنت يا بلال .

إيمان : الدرس المهم يا والدي هو : بيان رب العالمين لحال ونفسية وقلوب المنافقين المتخلفين من الأعراب الذين تركوا المسير مع رسول الله ﷺ ، واختاروا المقام في أهليهم . ومع هذا طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم لا على سبيل الاعتقاد ، ولكن على وجه التقية والمصانعة : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ [الفتح : ١١] .

﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفتح : ١٢] أي هلكى ، ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح : ١٢] . اللَّهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ، ووفقنا لأداء فريضة الجهاد ؛ نصرة لدينك وكتابك وسنة نبيك ﷺ وأمة الإسلام .

الوالد : شكر اللَّه لك يا أم سمية .. شيرين .

شيرين : نعم ، أداء الطاعات تؤدي إلى نزول السكينة والطمأنينة على البيت المسلم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٢] .

ولهذا جاء في سورة الفتح أن الصحابة لما استسلموا لأمر اللَّه ، وبايعوا رسول اللَّه ﷺ على الجهاد ، وباعوا أنفسهم ، كافأهم اللَّه ﷻ وأنزل عليهم السكينة ، بالإضافة إلى بشارات النصر والتمكين : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح : ١٨- ١٩] .

الوالد : جزاكِ اللَّه خيرًا يا أم رحمة .

منى : كما ذكرتنا يا أبي أن اللَّه ﷻ هو الذي ينصر عباده المؤمنين : ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح : ٢٢- ٢٣] . أي هذه سنة اللَّه وعادته في خلقه ؛ ما

تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل ، إلا نصر اللَّه الإيمان على الكفر ، كما فعل تعالى يوم بدر مع قلة عدد المسلمين وكثرة المشركين .

لما كان يوم الحديبية هبط على رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة بالسلاح ، من قبل جبل التنعيم ، يريدون مباغتة رسول اللَّه ﷺ ، فأُخذوا ، فأُتي بهم رسول اللَّه ﷺ ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا عسكر رسول اللَّه ﷺ بالحجارة والنبل ، وفي ذلك نزلت هذه الآية : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٢٤] .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا منى ... نهال .

نهال : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ . بين اللَّه ﷻ الحكمة والبركة في عدم صدام المسلمين بقريش ، وتوقيع صلح الحديبية ؛ لأنه بين أظهر المشركين في مكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ، ممن يكتم إيمانه ويخفيه عنهم ؛ خيفة على أنفسهم من قومهم ؛ فلو جرى قتال ما كان أحد يميزهم فَيُقتلون خطأً وهذه مصلحة عظيمة للمسلمين وحفظ لعباده الصالحين الأتقياء الأخفياء . يقول اللَّه تعالى : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡىَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٌ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤۡمِنَٰتٌ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٥] ، إذن صدق اللَّه القائل : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

الوالد : شكرًا نهال .. محمد .

محمد : الشيء الذي لفت نظري في كتب التفسير : الروايات التي تتحدث عن موقف عمر - رضي اللَّه عنه وأرضاه - وموقف أبي بكر ﷺ مما وقع في الحديبية .. والتي تؤكد الثقة في نصرة اللَّه لدينه وعباده ، والثقة في تصرف رسول اللَّه محمد ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى ، وأنه ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللَّه ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، يقول عمر : فأتيت النبي ﷺ ، فقلت : ألست نبي اللَّه ؟ قال ﷺ : « **بلى** » قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال ﷺ : « **بلى** » قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال ﷺ : « **إني رسول اللَّه ، ولست أعصيه وهو ناصري** » قلت : أو لست كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال ﷺ : « **بلى ، أفأخبرتك أنا نأتيه العام** » قلت : لا ، قال ﷺ : « **فإنك آتيه ومطوف به** » . قال : فأتيت

أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي اللَّه حقًّا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ ! قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ ! قال : أيها الرجل ، إنه رسول اللَّه ﷺ ، وليس يعصي ربه وناصره ، فاستمسك بغرزه ؛ فواللَّه إنه على الحق ، قلت : أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف ؟ ! قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك تأتيه وتطوف به .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا ، وإلى لقاء آخر إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● ما السبب الذي من أجله خرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة ، باتجاه مكة المكرمة في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة ؟ .

● كم كان عدد أفراد الركب الكريم ؟ هل كانوا يلبسون عدة الحرب ؟ لماذا ؟ .

● ما الموقع الذي أهلَّ منه المسلمون بالعمرة ؟ اذكر نص الإهلال بالعمرة .

● ما هي معلوماتك عن ذي الحليفة ؟ كم تبعد عن المدينة المنورة ؟ .

● ما معنى الميقات المكاني ، والميقات الزماني ؟ .

● علم أهل مكة أن رسول الله ﷺ خرج باتجاه البيت العتيق ، يريد العمرة ، ماذا فعلوا ؟ .

● رصدت عين الرسول ﷺ ، أن خالد بن الوليد في عدد من سلاح الفرسان يتربصون بالركب الكريم ؛ لمنع المسلمين من دخول مكة ، ماذا فعل رسول الله ﷺ لتجنب الصدام مع قوات قريش ؟ .

● ما الحديبية ؟ ما عسفان ؟ أين تقع كل منهما ؟ .

● ما هي معلوماتك عن صلاة الخوف ؟ .

● « خلأت القصواء » ، من قال هذا ؟ وماذا تعني هذه الكلمات ؟ وهل فعلًا خلأت القصواء ؟ .

● نزل رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية ، واختار عثمان رسولًا إلى مكة ؛ ليخبر قريشًا أنه ما جاء مقاتلًا ، وإنما جاء معتمرًا ، وأنه يدعوهم إلى الإسلام ، ويسعى لمقابلة المستخفين بدينهم من المسلمين والمسلمات ، ويبشرهم أن الله سيجعل لهم مخرجًا ويُظهر دينه .

● هل قام عثمان رضي الله عنه بالمهمة ؟ .

● عرضت قريش على عثمان بن عفان الطواف بالبيت العتيق ، هل استجاب لذلك ؟ لماذا ؟ ما هي معلوماتك عن عثمان رضي الله عنه ؟ .

● كم رسولًا أرسلتهم قريش إلى رسول الله ﷺ لاستطلاع الأمر ؟ وماذا قالوا ؟ .

● أرسلت قريش وفدًا لمفاوضة النبي ﷺ لعقد هدنة ، من هو أبرز شخصيات الوفد؟ وهل كانت هناك عقبات في المفاوضات ؟ وكيف استطاع رسول الله ﷺ

تذليل هذه العقبات ؟ ما الحكمة كما بينها رسول اللَّه ﷺ ؟ ما الدروس المستفادة ؟ .

● اذكر نصوص الوثيقة التي وقعها رسول اللَّه محمد ﷺ مع قريش في الحديبية ومتى تم ذلك ؟ .

● حينما أمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه بأن ينحروا الهدي ، ويتحللوا بعد أن حيل بينهم وبين دخول الحرم وأداء العمرة ، هل استسلموا من اللحظة الأولى ؟ لماذا ؟ ما هي النتيجة ؟ ما هي الدروس المستفادة ؟ .

● اذكر موقف عمر بن الخطاب من صلح الحديبية ، وكذلك موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، والمعالم التي ترسيها هذه المواقف في حياة الأمة .

● ذكر ابن قيم الجوزية بعض الحكم التي تضمنها صلح الحديبية ، اذكر خمسًا منها .

● أفرد كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » صفحات مطولة للفوائد الفقهية من قصة الحديبية ، اذكر ملخصًا مع الاستعانة بالكتاب ، ومن هو مؤلف الكتاب ؟ اذكر ترجمة بسيطة له .

● حاولت مجموعة من شباب قريش المتهورين إفساد مفاوضات الصلح ، ما الموقف الذي اتخذه الرسول ﷺ منهم ، وخاصة بعد أن وقعوا في أسر المسلمين ، والدروس المستفادة ؟ .

● قال رسول اللَّه ﷺ لأبي جندل : « **اصبر واحتسب ، فإن اللَّه جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا** » كيف كان الفرج ؟ ومتى ؟ .

● قال رسول اللَّه ﷺ عن أبي بصير : « **ويل أمِّه ، مسعر حربٍ لو كان له أحد** » . ارو القصة والدروس المستفادة .

● هاجر من مكة نسوة مؤمنات إلى المدينة المنورة ، فسأل أولياؤهن رسول اللَّه ﷺ أن يردوهن عليهم ، هل استجاب رسول اللَّه ﷺ اذكر الآية القرآنية التي تتحدث عن الحكم الشرعي ، وفي أي سورة هي ؟ .

● في الطريق من الحديبية إلى المدينة المنورة نزلت سورة الفتح على رسول اللَّه ﷺ . هل لك أن تحفظ منها كل يوم ثلاث آيات ؟ وهل يمكن أن تقرأ تفسيرها في مختصر تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير ؟ ما الدليل على أنك قمت بهذا الواجب ؟ وهل في ذلك من فائدة للإنسان ؟ .

● « **ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل** » ثم قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله ، إلا أعطيتهم إياها** » . من القائل والمناسبة والدروس المستفادة ؟ .

● ما القصواء ؟ أين جاء ذكر الفيل في القرآن ؟ وما المناسبة ؟ وماذا يعني : حبسها حابس الفيل ؟ .

● يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح : ١٨] أكمل الآية ، واذكر السورة ، وما هي المناسبة ؟ وماذا كانت تعني هذه البيعة ؟ وهل حضر عثمان ﷺ هذه البيعة ؟ لماذا ؟ .

● « أي قوم ، لقد دخلت على الملوك ؛ على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، والله ما رأيت ملكًا يُعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا » . من القائل ؟ والمناسبة ؟ .

اللقاء الحادي والثلاثون

رسول الله محمد ﷺ يوجه الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الله ﷻ والدخول في الإسلام
أواخر سنة ست من الهجرة / ٦٢٧م

الوالد : هذا هو لقاؤنا الحادي والثلاثون ، تحت عنوان « رسول الله ﷺ يدعو الملوك والأمراء إلى الإسلام » ؛لأن الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة حياتية ، يقول تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] ويقول سبحانه : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، ولهذا فقد وجه رسول الله ﷺ **رسالة إلى هرقل عظيم الروم** .

منى : هل يمكن أن نتعرف على مضمون رسالة رسول الله ﷺ [١] ؟ .

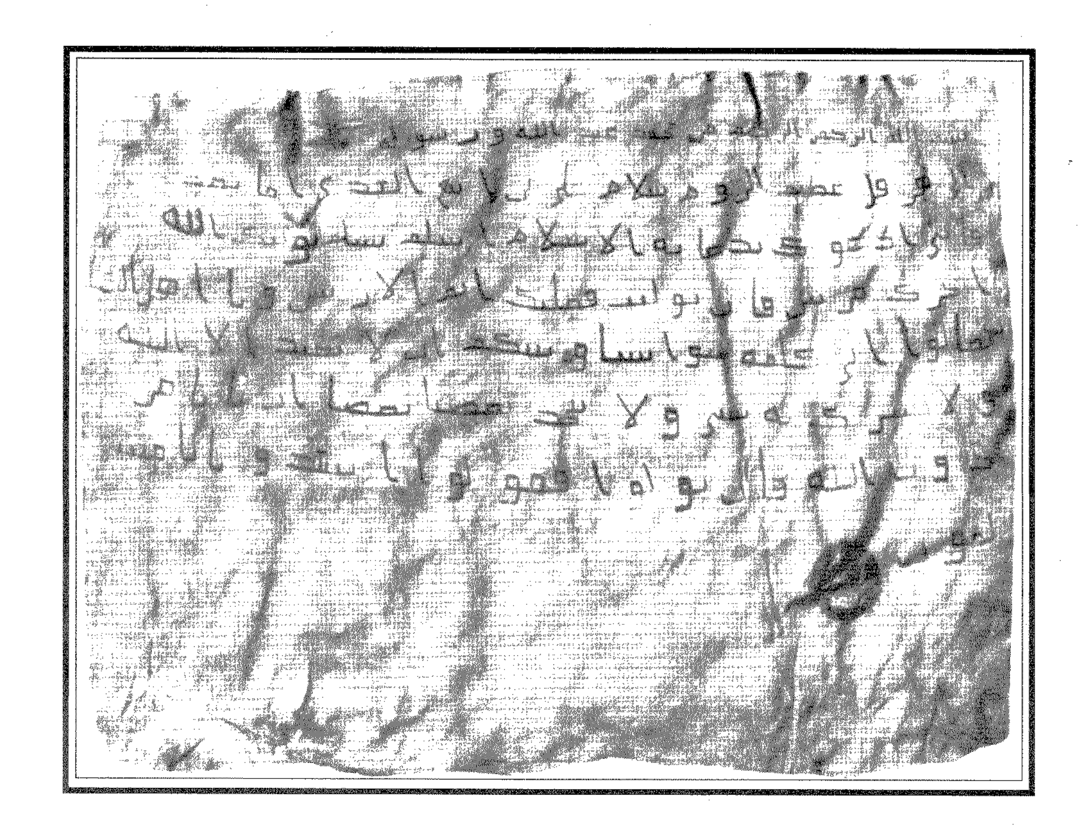
الوالد : نعم : « **من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم . أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين** ، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] » .

منى : من الذي حمل الرسالة إلى هرقل ؟ وما الذي جاء بالروم إلى بلاد الشام ؟ ومن هم الأريسيون ؟ ولماذا يتحمل عنهم هرقل الآثام ؟ وهل قام هرقل بالرد على رسول الله ﷺ ؟ وهل أسلم ؟ .

الوالد : الذي حمل الرسالة إلى هرقل دِحْية بن خليفة الكلبي ، وكان هرقل نازلًا ببيت المقدس (إيلياء) قادمًا إليها من حمص . والروم نسبة إلى رومية (روما) بشبه الجزيرة الإيطالية ، وكانت عاصمة للدولة الرومانية ، وكان الروم قد احتلوا بلاد الشام منذ زمن طويل (٦٤ ق . م) ، على يد أحد قادتهم وهو بومبي ومن بعده أنطونيوس وقيصر . وكان الروم وثنيين ، ثم دخلوا النصرانية على يد أحد أباطرتهم وهو قسطنطين .

---

(١) زاد المعاد (ج٣ ، ص٦٠ - ٦١) ؛ السيرة النبوية (ج٣ ص٥٠١) أوروبا منذ أقدم العصور ، دولة الروم د . جمال عبد الهادي ، د . وفاء محمد رفعت . دار الشروق - جدة ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م .



رسالة النبي ﷺ إلى هرقل

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله

إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله

أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتا

ب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله

ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من

دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسـ

لمون

وقد انقسمت الدولة الرومانية في عهده إلى شرقية - وعاصمتها بيزنطة أو قسطنطينية ، وكانت تدين بالمذهب الأرثوذكسي - وغربية ، وكانت عاصمتها رومية وتدين بالكاثوليكية .

والأريسيون هم الفلاحون ، وهرقل يتحمل مسؤوليتهم لأن كل إنسان راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، فإذا حال بينهم وبين الخير ، وهو الإسلام ، فيتحمل مسئوليتهم جميعًا .

نهال : ماذا فعل هرقل بعد تلقي الرسالة ؟

الوالد : أرسل هرقل جنده للبحث عن عربي من قريش في بلاد الشام ؛ ليسأله عن رسول الله محمد ، فعثر جند هرقل على أبي سفيان بغزة ، وهو في طريق التجارة إلى الشام .

هبة : ماذا فعل هرقل بأبي سفيان ؟ .

الوالد : سأل هرقل أبا سفيان [1] : أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي زعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : أنا أقربهم نسبًا ، فقال : ادنوه مني ، وقربوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه ، قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عنِّي كذبًا ، لكذبت عنه . ثم كان أول ما سألني عنه (هرقل) أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا .

قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون .

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا .

قال : فهل تتهمونه بالكذب ، قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا .

قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة ، لا ندري ما هو فاعل فيها .

قال : ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة .

قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ؛ ينال منا وننال منه .

---

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٤٩٩ - ٥٠١) .

قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : « **اعبدوا اللَّه وحده ، ولا تشركوا به شيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم** » ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال هرقل للترجمان : « قل له : سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب من قومها . وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول قبله ؟ فذكرت أن لا . فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يتأسى بقول قيل قبله . وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ؛ فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ؛ فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على اللَّه . وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك : بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان كل ما تقول حقًّا ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم . فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا هرقل بكتاب رسول اللَّه ﷺ الذي بعث به مع دِحْية ، فقرأ ، فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أَمِر أَمْر [1] ابن أبي كبشة ؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل اللَّه عليَّ الإسلام .

هذا ما رآه أبو سفيان من أثر كتاب رسول اللَّه ﷺ إلى هرقل ، وقد كان من أثره عليه أنه أجاز دحية بن خليفة الكلبي ، حامل كتاب الرسول ﷺ ، بمال وكسوة . ولما

(١) المرجع السابق ، كان قيصر جاء إذ ذاك في إيلياء - بيت المقدس - من حمص ؛ شكرًا لما منَّ اللَّه عليه من إلحاق الهزيمة الساحقة بالفرس ، وكانت الفرس قد قتلوا كسرى أبرويز ، وصالحوا الروم على رد ما كانوا قد احتلوا من بلاد قيصر ، وردوا إليه الصليب الذي تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد صلب عليه ، وكان قيصر قد ذهب إلى إيلياء (بيت المقدس) سنة ٦٢٩م (أي سنة ٧هـ) ، يضع الصليب في موضعه ، ويشكر اللَّه ويذكر اللَّه على هذا الفتح المبين (حسب معتقدهم) . الرحيق المختوم (ص٤٢١) هامش٢ .

كان دحية بحِسْمَى في الطريق ، لقيه ناس من جُذَام ، فقطعوها عليه ، فلم يتركوا معه شيئًا ، فجاء رسول اللَّه ﷺ قبل أن يدخل بيته ، فأخبره ، فبعث رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمى وهي وراء وادي القرى ، في خمسمائة رجل ، فشن زيد الغارة على جذام ، فقتل فيهم قتلًا ذريعًا واستاق نعمهم ونساءهم ، فأخذ من النعم ألف بعير ، ومن الشاة خمسة آلاف ، والسبي مائة من النساء والصبيان (١) .

منى : معذرة يا أبي ، إن ما فعله هرقل دليل على ذكائه ، وحواره مع أبي سفيان كشف عن دلائل نبوة الرسول محمد ﷺ ، وصدقه وأهمية الإسلام الذي يدعو إليه ، وأن لديه معلومات عن ظهور مَلِكِ الختان في تلك الفترة ، وهو رسول اللَّه محمد ﷺ ، ومن حديث هرقل نفهم بأن رسول اللَّه محمدًا ﷺ رغم معاناته سيعلو نجمه ، يحرر أرض الشام من الاحتلال الرومي : « فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه » (٢) .

فسبحان اللَّه العظيم !!

الوالد : وقد تحققت فعلًا توقعات هرقل ، فقد تحررت بلاد الشام ، ومنها دمشق وحمص وحلب ، بعد موقعتي اليرموك وأجنادين ، وتحرير بيت المقدس عام ١٥هـ / ٦٣٦م ، وكان ذلك تحقيقًا لبشارة النبي ﷺ : « **يا معاذ ، إن اللَّه سيفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش إلى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلًا من سواحل الشام أو بيت المقدس ، فهو في رباط إلى يوم القيامة** » .

منى : وذلك يعني يا أبي أن الدولة الرومية التي ظلت تحتل الشام ، قد انكسرت شوكتها على أيدي صحابة رسول اللَّه محمد ﷺ .

الوالد : تمامًا يا منى .

نهال : سؤال يا أبي ، هل هرقل – وهو إمبراطور أقوى دولة في العالم – لم يستكثر أن أحد أبناء الأمة العربية التي ظلت تعيش في ظل وخدمة الإمبراطورية الرومية سبعمائة سنة ، يوجه إليه رسالة على النحو الذي فعله رسول اللَّه ﷺ ؟ .

الوالد : جميل أن تفكري على هذا النحو ، خاصة أن الغساسنة النصارى الذين

(١) الرحيق المختوم (٤٢٣) زاد المعاد (ج٢ ص١٢٢) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ص٥٠٠ – ٥٠١) .

كانوا يقومون على خدمة الإمبراطورية الرومية ويقاتلون لحسابها - لم يكن لهم قيمة تذكر في المجتمع الدولي ، ولم يكن لهم كيان سياسي ، لكن واضح من رد هرقل أنه استقبل رسالة النبي محمد ﷺ بحفاوة بالغة ، وأنزلها منزلة طيبة من نفسه ، وأحسن إلى رسول رسول اللّه ﷺ . وكان يمكن أن يُسْلم ، على ما اعتقد بعض الكتاب ، لولا معارضة القساوسة والرهبان وخشية عزله من منصبه [(١)] .

وأيضًا إعلان هرقل أمام قومه أن محمدًا ﷺ سيملك موضع قدميه - دليل على أن هرقل استقبل رسالة رسول اللّه ﷺ باحترام وتقدير بالغين ، بخلاف كسرى ملك الفرس كما سنرى .

نهال : جزاك اللّه خيرًا يا والدي .

الوالد : وجزاك .

الرسالة الثانية التي نعرض لها ، هي تلك التي أرسلها رسول اللّه محمد ﷺ إلى كسرى ملك فارس [(٢)] :

« **بسم اللّه الرحمن الرحيم . من محمد رسول اللّه ﷺ إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن باللّه ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا اللّه ، وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية اللّه ؛ فإني أنا رسول اللّه إلى الناس كافة ؛ لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين ، فإن تُسلم تسلم وإن أبيْتَ فإن إثم المجوس عليك** » .

وحمل هذا الكتاب عبد اللّه بن حذافة السهمي . فلما قرأ الكتاب على كسرى مزّقه وقال في غطرسة : « عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي » .

ولما بلغ ذلك رسول اللّه محمدًا ﷺ قال : « **مزّق اللّه ملكه** » .

وقد استجاب اللّه دعوة رسوله ﷺ ومزق ملك كسرى .

شيرين : معذرة يا أبي ، أليس ذلك سوء أدب وكبرياء وغطرسة من كسرى ، وما كان له أن يستقبل بها كتاب رسول اللّه ﷺ ؟ .

الوالد : نعم يا أم رحمة ، لكن ضعي في الاعتبار أن فارس كانت أقوى دولة

---

(١) المرجع السابق (ص٥٠٥ - ٥٠٦) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٠٧ - ٥١٤) .

في المجتمع الدولي ودولة الروم ، وكانت تستعبد العرب (المناذرة) وتحتل جزءًا من ديارهم ، وهي التي كانت تعيّن الأمراء العرب . وفجأة ظهر رسول اللَّه محمد ﷺ ، وخاطبه على النحو الذي سمعنا ، انزعج كسرى وقرر رفض الدعوة على هذا النحو غير المهذب .

شيرين : ماذا حدث لكسرى ؟

الوالد : بمجرد وصول رسالة محمد ﷺ لكسرى ، كلف كسرى باذان عامله على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل (يقصد محمدًا ﷺ) بالحجاز ، رجلين من عندك جلدين فليأتياني به .

فاختار باذان رجلين ممن عنده ، وبعثهما بكتاب إلى رسول اللَّه ﷺ ، يأمره بأن ينصرف معهما إلى كسرى ، فلما قدما المدينة ، وقابلا النبي ﷺ ، قال أحدهما : شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك ؛ لتنطلق معي ، وقال قولًا تهديديًا ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك ، فأمرهما النبي ﷺ أن يلاقياه غدًا .

شيرين : سوء أدب منقطع النظير . يبدو أن كسرى تصور أن محمدًا ﷺ واحد من العملاء العرب الذين يخضعون له ؛ لم يدرك أنه رسول الإسلام ﷺ وخاتم المرسلين وسيد الأولين والآخرين . المهم ، هل قابل رسول اللَّه ﷺ رسولي باذان في اليوم التالي ؟ وماذا حدث ؟ .

الوالد : نعم وقد حدثت معجزة ربانية ، وبين اللقاء الأول والثاني تدخلت القدرة القادرة ، قدرة الملك الجبار ؛ لينهي ملك كسرى ويمزقه .

الأولاد : اللَّه أكبر . . . ماذا حدث يا جدي ؟ .

الوالد : لقد قامت ثورة كبيرة ضد كسرى من داخل بيته بعد أن لاقى جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر ، فقد قام شيرويه بن كسرى على أبيه فقتله ، وأخذ الملك لنفسه . وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ مضين من جمادى الآخرة من سنة سبع من الهجرة ، وعلم رسول اللَّه ﷺ الخبر من الوحي .

فلمَّا غدوا عليه أخبرهما رسول اللَّه ﷺ بذلك ، فلم يصدقا وقالا (رسولا باذان) : هل تدري ما تقول ؟ لم يكونا يتصوران أن يُقتل كسرى ويُمزق ملكه بهذه السهولة وفي ذلك الوقت .

ثم أردفا ذلك بقولهما : إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا

ونخبر الملك باذان .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : أن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى ، وينتهي إلى الخف والحافر ، وقولا : له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك** » .

الأولاد : اللَّه أكبر .. اللَّه أكبر .. جزاك اللَّه عنا خيرًا يا رسول اللَّه ، يا من أكرمنا اللَّه برسالتك ، يا من علمتنا الإسلام ، يا من علمتنا العزة والكرامة ، يا من بشرتنا بأن ملك الظالمين سينتهي وأن أمة الإسلام سيمتد ملكها ؛ لترث كسرى وقيصر .

اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ..

الوالد : اللَّهم آمين . العجيب يا أبنائي أن رسول اللَّه ﷺ رغم أن باذان كان تابعًا لكسرى ، إلا أنه أرسل له رسالة مع الرسولين : « **إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك** » [1] .

المهم أن رسولي كسرى خرجا من عنده ، حتى قدما على باذان ، فأخبراه بالخبر . وبعد قليل جاء كتاب بقتل كسرى على يد ولده شيرويه ، وطلب شيرويه من باذان في كتابه : أنظر الرجل (يقصد رسول اللَّه ﷺ) الذي كان كتب فيه أبي إليك ، فلا تهيجه حتى يأتيك أمري .

المفاجأة العجيبة يا أبنائي أن هذه الحادثة كانت سببًا في إسلام باذان ومَن معه من أهل فارس باليمن .

شيرين : جزاك اللَّه خيرًا يا أبي .

هبة : معذرة يا أبي ، هل خاطب رسول اللَّه ﷺ أحدًا من مصر ؟ وهل دعا شعب مصر إلى اللَّه والدخول في الإسلام ؟ .

الوالد : نعم يا أم بلال ، **لقد بعث رسول اللَّه ﷺ برسالة إلى جريج بن مينا القبطي الملقب بالمقوقس صاحب الإسكندرية :**

« **بسم اللَّه الرحمن الرحيم . . من محمد بن عبد اللَّه ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك اللَّه أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ،** ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص ٥١٠ - ٥١١) .

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] » (١) .

وحمل هذه الرسالة حاطب بن أبي بلتعة .

فلما دخل حاطب على المقوقس ، قال له : « إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه اللَّه نكال الآخرة والأولى ، فانتقم ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك » .

فقال المقوقس : إن لنا دينًا لن ندعه إلا لما هو خير منه .

فقال حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به اللَّه ما سواه ؛ إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى . ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن ، إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قومًا فهم أمته ، فالحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به (يقصد الإسلام) .

فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر . وأخذ (المقوقس) كتاب النبي ﷺ فجعله في حُق من عاج ، وختم عليه ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتبًا له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول اللَّه ﷺ :

بسم اللَّه الرحمن الرحيم . . لمحمد بن عبد اللَّه من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيًّا بقي . وكنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .

هبة : هل معنى ذلك أن المقوقس لم يسلم يا أبي ؟ .

الوالد : واضح من الرسالة أنه لم يسلم ، ولكنه ردَّ ردًّا جميلًا .

هبة : من هما الجاريتان ؟ ومن تزوجهما ؟ .

الوالد : الجاريتان هما مارية التي اتخذها النبي محمد ﷺ سرية له ، فولدت له إبراهيم الذي توفي في حياة النبي ﷺ ، وسيرين التي تزوجها حسان بن ثابت

---

(١) زاد المعاد ، (ج٣ ، ص٦١) .

الأنصاري ، والبغلة اسمها دُلْدُل وبقيت إلى زمن معاوية بن أبي سفيان ﷺ (سنة ٤١ هـ) .

سارة وبلال ورحمة وسمية : دُلْدُل ... دُلْدُل ... ماذا يعني هذا الاسم يا جدي ؟ .

الوالد : لا أدري ما دُلْدُل .

محمد : سؤال يا أبي ، من المعلوم أن مصر حينما بعث رسول اللّه ﷺ برسالته إلى المقوقس - كانت تحت الاحتلال الرومي ، وكان يحكمها حاكم عسكري رومي ، تحت قيادته ثلاث فرق عسكرية رومية ، لماذا لم يخاطب رسول اللّه ﷺ الحاكم العسكري الرومي للبلاد ؟ .

الوالد : أعتقد - واللّه أعلم - أن النبي ﷺ كان يؤمن أن سلطة الاحتلال سلطة غير شرعية ، وإن مضى على احتلالها سبعة قرون ، فتجاهلها وخاطب أصحاب البلد الأصليين . أي المصريين المُسمون بالأقباط ، أي ما يمكن أن تسمى بالسلطة الشرعية .

محمد : جزاك اللّه خيرًا . إذن يمكن القول أن مجلس الحكم الانتقالي في العراق غير شرعي والاحتلال اليهودي لفلسطين غير شرعي .

الوالد : تمامًا يا محمد ، بل يمكن القول بأن الحكومة العراقية الحالية ، غير شرعية ؛ لأنها مختارة من قبل سلطة قوات الاحتلال لتحقيق أهدافه .

بقيت كلمة أخيرة ، هل يمكن يا أم محمد أن تلخصي لنا الرسائل التي وجهها رسول اللّه ﷺ إلى الملوك والأمراء النصارى العرب وغيرهم ، ومدى تجاوب المرسل إليهم مع هذه الرسائل ؟ .

الوالدة : **نعم ، حمّل رسول اللّه محمد ﷺ شجاع بن وهب الأسدي رسالة إلى الحارث بن أبي شمّر الغسّاني أمير دمشق :**

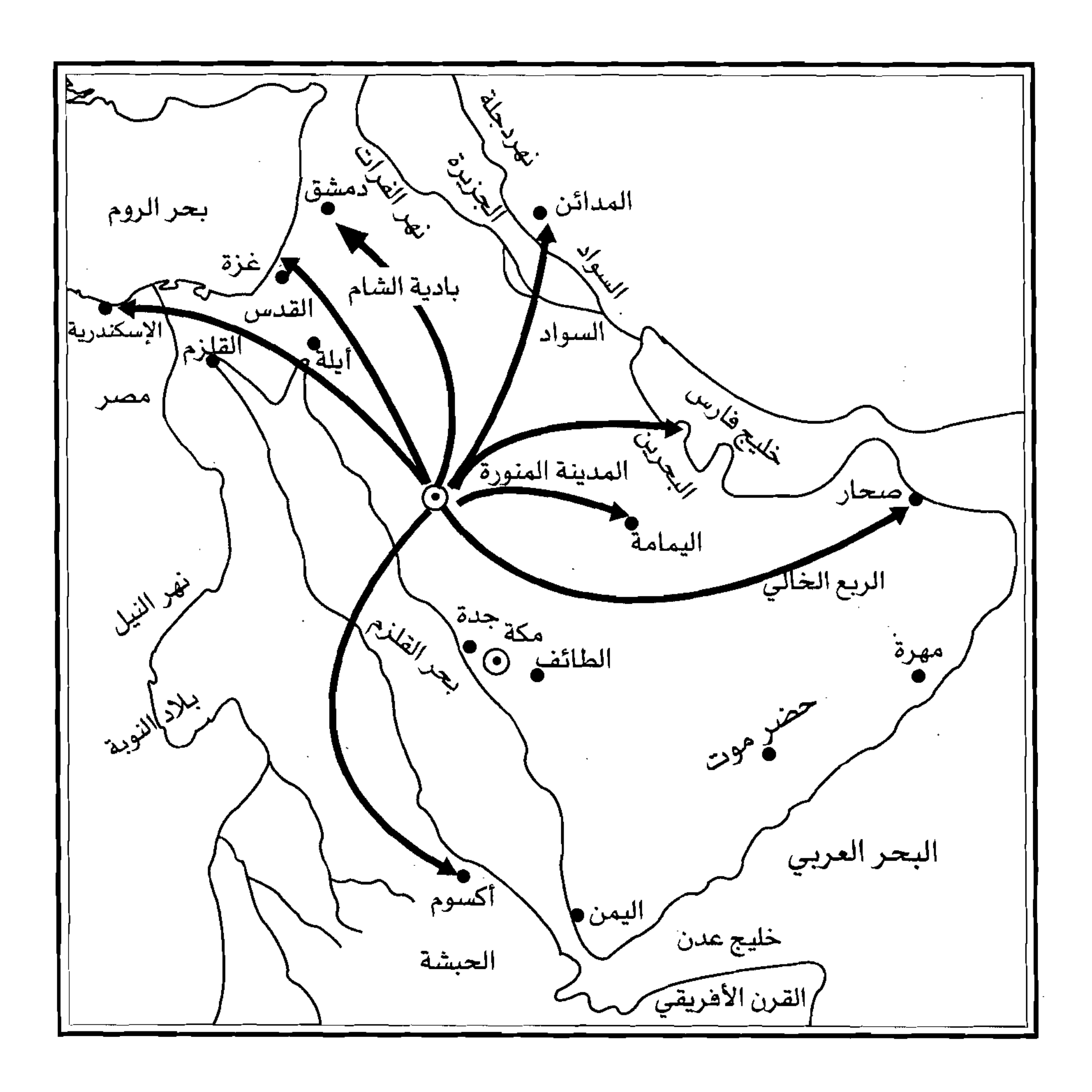
« بسم اللّه الرحمن الرحيم . . من محمد رسول اللّه إلى الحارث بن أبي شمّر ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به وصدق ؛ وإني أدعوك إلى أن تؤمن باللّه وحده لا شريك له فيبقى لك ملكك » [1] .

فلما قرأ الحارث الكتاب رمى به في الأرض ، وقال : من ينزع ملكي مني ؟ وأخذ يعد العدة لقتال المسلمين .

الوالد : جريمة رغم أنه معين من قبل الروم ، ولا يملك من أمر نفسه أو أمته

---

(١) زاد المعاد (ج٣ ، ص٦٣) ؛ السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٠٧) .



كتب الرسول الأعظم إلى الملوك والأمراء

شيئًا ، ورغم ذلك استهان بكتاب رسول اللّه ﷺ .

الوالدة : **نعم ، كما حمل رسول اللّه ﷺ الحارث بن عمير الأزدي كتابًا إلى ملك بصرى ، يدعوه للإسلام** ؛ ولكن الكتاب لم يصل ؛ لأن شرحبيل بن عمرو الغساني قتل رسول رسول اللّه ﷺ قبل توصيل الكتاب إلى صاحبه .

الوالد : قتل رسول رسول اللّه ﷺ مع أن الرسل لا تقتل ، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله عقد رسول اللّه ﷺ راية لسرية مؤتة بقيادة زيد بن حارثة [١] .

الوالدة : نعم . كما بعث رسول اللّه ﷺ العلاء بن الحضرمي برسالة إلى المنذر ابن ساوى والي البحرين يدعوه إلى الإسلام . وقد أسلم المنذر وعرض الإسلام على قومه فأسلم بعضهم وبقي آخرون على يهوديتهم أو مجوسيتهم ففرضت الجزية على اليهود والمجوس [٢] .

كما وجه الرسول ﷺ سليط بن عمرو برسالة إلى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة ، يدعوه إلى الإسلام ، فأظهر استعداده لاعتناق الإسلام ، إذا هو نُصّب حاكمًا فلعنه الرسول ﷺ لمطامعه .

والرسالة الأخيرة (على قدر علمي) : حملها رسول اللّه ﷺ لعمرو بن العاص السلمي إلى ملك عمان جيفر وعبد (ابني الجلندي) .

وهكذا نلمح أن رسول اللّه ﷺ أدرك وآمن أن الدعوة إلى اللّه ، واجبة في حق الرسول والقادة والزعماء وآحاد المسلمين ؛ فأدى واجب البلاغ كاملًا ، ولم يكره أحدًا على الإسلام ؛ امتثالًا لأمر اللّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

الوالد : نخلص من العرض السابق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى اللّه ﷻ ، فريضة شرعية وضرورة حياتية في حق الراعي والرعية ، لا يعذر من ذلك أحد ، كلٌّ على قدر علمه ومسؤولياته ، وهي من مقتضيات الاستسلام للّه رب العالمين القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

عمار : هل معنى ذلك يا جدي أننا مطالبون بأن ندعو إلى اللّه ؟ .

---

(١) المغازي الذهبي (ص٤٧٩) .

(٢) زاد المعاد (ج٣ ص٦١ - ٦٢) .

الوالد : نعم ، ولكن لا بد وأن يكون الداعية إلى الله ﷻ صورة حية للإسلام الذي يدعو إليه عقيدة وشريعة وخلقًا وسلوكًا ومعاملات .

سمية : معنى ذلك يا جدي أن علماء الأمة وقادتها وزعماءها ، مطالبون بأن يوجهوا رسائل إلى زعماء وقادة وملوك الدول غير الإسلامية يدعونهم إلى الإسلام ؛ لأنه فريضة في رقابهم .

الجد : تمامًا يا سمية . هل يذكر أحد من خلال اطلاعه بقية الرسائل التي وجهها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراك يدعوهم فيها إلى الإسلام مع ذكر المراجع التي نرجع إليها ؟ .

الوالدة : لقد كتب رسول الله ﷺ رسالة إلى النجاشي ملك الحبشة وحملها إليه عمرو ابن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري ، كما وجه رسالة إلى هوذة بن عليّ الحنفي ، وثمامة بن أثال الحنفي ، رئيسي اليمامة ، وذلك سنة ستٍّ من الهجرة ، وحملها إليهما صليت بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد . وهناك دراسة قيمة عن هذه الرسالة في كتاب غزوة مؤتة ، للأستاذ شوقى أبو خليل [1] . جزاكم الله خيرًا .

قولوا جميعًا : سبحانك اللّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) دار الفكر دمشق ١٩٨٣ م .

اختبر معلوماتك

● الدعوة إلى الله ﷻ فريضة شرعية ، وضرورة حياتية ، وهذا هو ما قام به رسول الله ﷺ على مدار ثلاث وعشرين سنة ، وقد وجه رسائل إلى كل ملوك وأمراء وزعماء عصره ، فتفاوتت الردود . إلى من وجه رسول الله ﷺ رسائله ؟ ومن حملها ؟ وما مدى تجاوب الملوك والأمراء والزعماء مع دعوة رسول الله ﷺ إلى الإسلام ؟ .

● متى وأين تلقى هرقل رسالة رسول الله ﷺ ؟ ومن الذي حملها إليه ؟ .

● ما هو الأسلوب الذي اتبعه هرقل ؛ ليتحقق من صدق رسالة محمد ﷺ ؟ .

● ما هي المهمة التي قام بها أبو سفيان بين يدي هرقل ؟ وهل صدق أبو سفيان الحديث أم كذب عليه ؟ .

● ما الرد الذي بعث به هرقل إلى رسول الله محمد ﷺ ؟ .

● ما هي الكلمات التي قالها هرقل ، وكانت بمثابة إشارة بانتصار دعوة الإسلام ، ورحيل قوات الاحتلال الرومي من بلاد الشام ومصر ؟ .

● إلى من ينتسب الروم ؟ ومتى احتلوا الشام وبقية العالم العربي ؟ ومتى أخرجوا ؟ ومن الذي أخرجهم ؟ وما الدرس المستفاد ؟ وهل يمكن أن يعطينا هذا الحدث التاريخي الأمل في خروج قوات الاحتلال الأجنبي من فلسطين والعراق ؟ .

● متى تحررت بلاد الشام ، وبيت المقدس على وجه الخصوص ، ومصر ؟ وما الوسيلة ؟ وما هي الدروس المستفادة ، خاصة وأمتنا تواجه احتلالاً مشابهًا لاحتلال الروم ؟ .

● هل بشر رسول الله محمد ﷺ بتحرير بيت المقدس ؟ اذكر الأحاديث .

● أرسل رسول الله ﷺ كتابًا إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام ، ما الرد الذي قام به كسرى ؟ .

● استجاب الله ﷻ لدعاء رسول الله ﷺ على كسرى ؟ ما الدرس المستفاد ؟ .

● ما هو موقف باذان عامل كسرى على اليمن ، حينما علم بصدق النبي محمد ﷺ ؟

● بعث رسول الله كتابًا إلى المقوقس عظيم القبط ومصر ، تحت الاحتلال الرومي ، ما هو رد المقوقس ؟ لماذا لم يوجه رسول الله ﷺ الرسالة إلى حاكم مصر العسكري الرومي ؟ ما الدرس المستفاد ؟ .

● من هي مارية القبطية ؟ من هي سيرين ؟ ومن دُلْدُل ؟ ومتى توفي ؟ .

● اذكر بإيجاز الرسائل الأخرى التي وجهها رسول الله ﷺ إلى الأمراء ، من حملها ؟ وإلى من ، وكيف كانت الإجابة ؟ .

اللقاء الثاني والثلاثون

غزوة خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء
المحرم سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله .. وبعد ،

فهذا هو لقاؤنا الثاني والثلاثون حول غزوة خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء ، نعرض فيه لأسباب هذه الغزوات ، والنتائج التي تمخضت عنها .

بلال : لو أذنت لي يا جدي نريد خريطة لنتعرف على موقع خيبر ، وفدك . ووادي القرى ، وتيماء .

الوالد : ها هي الخريطة ، ولعلكم تلاحظون أن خيبر ووادي القرى على مسافة ستين إلى ثمانين ميلًا إلى الشمال من المدينة المنورة ، في الطريق إلى الشام .

وغزوة خيبر هي واحدة من المعارك التي كانت تجري بين الأمة المسلمة بقيادة الرسول محمد ﷺ ، واليهود ، **وأسبابها** :

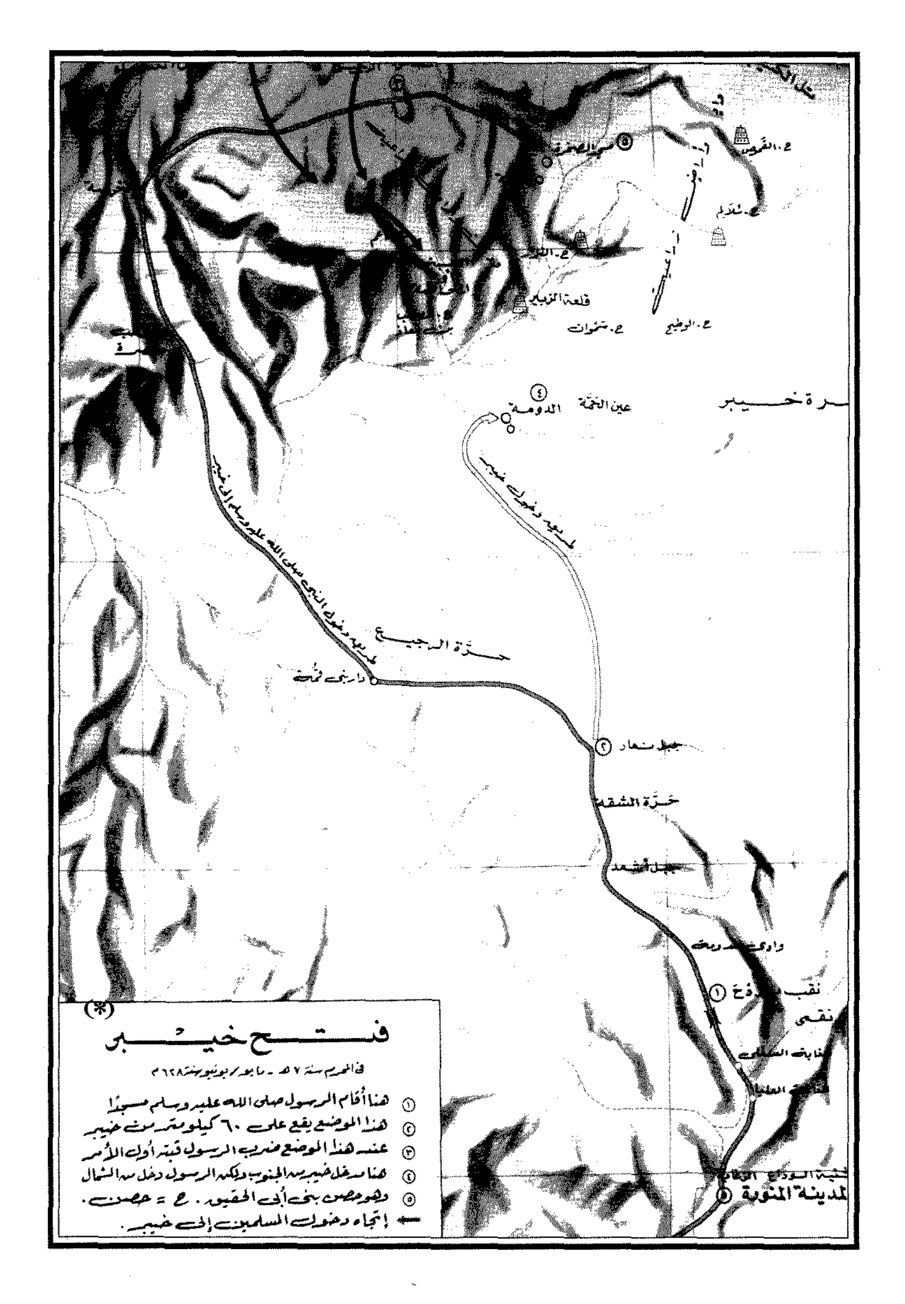
● أن يهود خيبر كانوا يشكلون تهديدًا دائمًا للدولة الإسلامية الوليدة ، وهم الذين حرضوا الأحزاب ؛ لغزو المدينة المنورة واستئصال شأفة الأمة الإسلامية ، وهم الذين حرضوا يهود بني قريظة على نقض عهودهم مع النبي محمد ﷺ ، ومعاونة الأحزاب لضرب المسلمين من الخلف عند فرض الحصار عليهم ، وهم الذين تآمروا على قتل النبي محمد ﷺ ، وهم الذين آووا بعضًا من يهود بني النضير الذين حاولوا قتل النبي محمد ﷺ فعلًا .

بلال : متى تحرك المسلمون باتجاه خيبر يا جدي ؟ .

الوالد : حينما رجع الرسول القائد من الحديبية إلى المدينة المنورة ، وأقام بها ذا الحجة (سنة ٦هـ / ٦٢٧م) ، وبعض المحرم (سنة ٧هـ / ٦٢٨م) ، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر (١) .

سمية : كم كان عدد الجيش الإسلامي ، وعدد جيش العدو ، وتشكيلاته ؟ وما هي

(١) المغازي ، الذهبي (ص٤٠٣ - ٤٣٩) ، الرحيق المختوم (ص٤٣٠ - ٤٤٩) ، السيرة النبوية (ج٣ ص٣٤٤ - ٤١٢) ، مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٣٨) ، الرسول القائد (١٩٨ - ٢٠٢) .



(*) نقلاً عن أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس.

طبيعة أرض المعركة ، وطبيعة حصون اليهود في خيبر ، وعددهم وإمكانية صمودها أمام جيش محمد ﷺ .

الوالد : حينما أراد الرسول محمد ﷺ الخروج إلى خيبر ، أعلن أنه لا يخرج معه إلا راغب في الجهاد (الذين حضروا معه الحديبية) ؛ امتثالا لأمر الله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح : ١٥] .

أي أنه لم يخرج مع رسول الله ﷺ إلا أصحاب الشجرة ، وهم ألف وأربعمائة .

وقبل أن يخرج ﷺ استعمل على المدينة سباع بن عرفطة ؛ ليصرف أمور الدولة في غيابه ﷺ ، وليعوّد المسلمين تحمل المسؤولية أثناء غيابه ﷺ .

عمار : لو أذنت لي يا جدي ، هل لنا أن نتعرف على أرض المعركة ؟ .

الوالد : نعم يا عمار ، كانت خيبر منقسمة إلى شطرين : الأول به منطقة يقال لها النطاة ؛ فيها ثلاثة حصون :

١ - حصن ناعم ٢ - حصن الصعب بن معاذ ٣ - حصن قلعة الزبير ،

ومنطقة يقال لها الشق وبها حصنان :

١ - حصن أبي ٢ - حصن النزار

أما الشطر الثاني من خيبر ويعرف بالكتيبة ؛ ففيه ثلاثة حصون فقط :

١ - حصن القموص (وهو حصن بني أبي الحقيق من يهود بني النضير) .

٢ - حصن الوطيح ٣ - حصن السلالم

ذلك بالإضافة إلى حصون وقلاع صغيرة أخرى . وعلى العموم كانت خيبر محصنة تحصينًا جيدًا تكتنفها البساتين .

وكان عدد يهود خيبر ألفًا وأربعمائة نسمة ، بقيادة سلام بن مشكم (١) ، وقد أدخلوا أموالهم وعيالهم حصني الوطيح والسلالم ، وأدخلوا ذخائرهم حصن ناعم ، ودخلت قواتهم حصن النطاة (٢) .

---

(١) الرسول القائد (ص١٩٩) ، زاد المعاد (ج٢ ص١٣٦) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٧٥) .

سلمان : معذرة يا جدي ، ما هو دور المنافقين في هذه الغزوة ؟ .

الوالد : أرسل رأس المنافقين عبد اللّٰه بن أبي بن سلول رسالة إلى يهود خيبر :

إن محمدًا قصدكم وتوجه إليكم ، فخذوا حذركم ، ولا تخافوا منه ؛ فإن عددكم وعدتكم كثيرة ، وقوم محمد شرذمة قليلون ، عزل لا سلاح معهم إلا قليل .

سارة : ماذا فعل يهود خيبر عند سماعهم هذا التحذير ؟ .

الوالد : أرسل اليهودي كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس - رسالة إلى عرب غطفان يطلبون مساعدتهم ؛ لأنهم كانوا حلفاء اليهود ، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا المسلمين ، واستجابت غطفان لرغبة يهود خيبر ، وبدأوا يعدون العدة للتحرك نحو خيبر .

رحمة : هل كان رسول اللّٰه ﷺ على علم بما حدث ، وما جرى من اتصالات بين المنافقين وبين يهود خيبر ؛ وبين يهود خيبر وغطفان ؟ .

الوالد : نعم يا رحمة ، عيون استخبارات الرسول محمد ﷺ كانت ترصد كل حركة داخل معسكرات الأعداء وترصد الأحداث قبل وقوعها .

جنة : كيف واجه رسول اللّٰه ﷺ الموقف يا جدي ؟ .

الوالد : تحرك رسول اللّٰه ﷺ بقواته إلى موضع الرجيع ؛ ليحول بين تعاون يهود خيبر وغطفان في قتال المسلمين ، وبهذا استطاع رسول اللّٰه ﷺ إيهام غطفان بأن الهجوم موجه ضدهم ، وأن قوات المسلمين توشك أن تطوقهم .

ولما كان رسول اللّٰه ﷺ يستهدف خيبر ؛ فإنه أرسل قوة صغيرة من أصحابه ؛ لمباغتة ديار غطفان ، بعد أن تركتها غطفان لمعاونة اليهود . وحينما علمت غطفان بحركة جيش المسلمين تجاهها ، أسرعت بالعودة للدفاع عن ديارها وتركت يهود خيبر وحدهم أمام المسلمين ، وصدق اللّٰه القائل : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١٢] .

محمد : ماذا فعل النبي محمد ﷺ بعد ذلك ؟ .

الوالد : سلك رسول اللّٰه ﷺ بالجيش طريقًا اسمه مرحب ؛ ليدخل خيبر من جهة الشمال (أي من جهة الشام) ؛ فيحول بين اليهود وبين الفرار إلى الشام ، كما يحول بينهم وبين غطفان .

وقد قامت قوات المسلمين بتطويق قرية خيبر ليلًا ، ولم يعرف اليهود أنهم مطوقون إلا عند خروج بعض الفلاحين من الحصون صباحًا ، لممارسة أعمالهم ؛ فلما رأوا جيش المسلمين عادوا أدراجهم .

فقال النبي ﷺ : « **اللّٰه أكبر ، خربت خيبر ، اللّٰه أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين** » (١) .

محمد : قرأت يا والدي أن حباب بن المنذر كان له رأي في اختيار أرض المعركة .

الوالد : ما هي معلوماتك عن هذا الموقف يا محمد ؟ .

محمد : كان النبي ﷺ قد اختار لمعسكره منزلًا ، فأتاه حباب بن المنذر فقال : يا رسول اللّٰه ، أرأيت هذا المنزل أنزلكه اللّٰه أم هو الرأي في الحروب ؟ .

قال ﷺ : « **بل هو الرأي** » .

فقال الحباب : « يا رسول اللّٰه ، إن هذا المنزل قريب جدًّا من حصون نطاة ، وجميع مقاتلي خيبر فيها ، وهم يدرون أحوالنا ، ونحن لا ندري أحوالهم ، وسهامهم تصل إلينا وسهامنا لا تصل إليهم ، ولا نأمن بياتهم هذا بين النخلات ، ومكان غائر وأرض وخيمة ، لو أمرت بمكان خالٍ من هذه المفاسد نتخذه معسكرًا » .

قال ﷺ : « **الرأي ما أشرت** » ، ثم تحول إلى مكان آخر .

الوالد : جزاك اللّٰه خيرًا يا أبا بلال .

محمد : وجزاك .

الوالد : ولما دنا رسول اللّٰه ﷺ من خيبر ، وأشرف عليها - قال لأصحابه : « **قفوا** » ، فوقف الجيش ، وكان الدعاء من رسول اللّٰه ﷺ : « **اللّٰهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، اللّٰهم إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر هذه القرية ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا باسم اللّٰه** » (٢) .

كما أن رسول اللّٰه ﷺ أعطى راية الجيش لرجل يحب اللّٰه ورسوله ، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال : « **انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم للإسلام ،**

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٤) ، السيرة النبوية (ج٣ ص٣٤٨ - ٣٤٩) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٤٧ - ٣٤٨) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٤) ، مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٣٩) .

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » [١] .

محمود : ولكنهم لم يستجيبوا يا والدي .

الوالد : نعم ، ولهذا قال رسول الله ﷺ لعليّ رضي الله عنه : « **اذهب ، فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت** » . قال عليّ : على ما أقاتل الناس ؟ قال : « **قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله ، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منّا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله** » .

أحمد : معذرة يا أبي ، من الواضح أن رسول الله ﷺ كان يحب عليًا رضي الله عنه .

الوالد : نعم ، هذه حقيقة ، ولهذا قال ﷺ يوم خيبر : « **لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يسألون ليلتهم أيهم يُعطاها** » [٢] .

أحمد : معذرة يا والدي ، وذلك يعني : لو أسلم اليهود كان يمكن العفو عنهم ، رغم الجرائم التي ارتكبوها في حق المسلمين بقيادة النبي ﷺ .

الوالد : تمامًا يا أحمد ، فمعذرة ، فسنواصل حديثنا عن أحداث المعركة .

ركز المسلمون في هجومهم الرئيسي على حصن ناعم ، وهو خط الدفاع الأول عن خيبر ، وهو حصن مرحب اليهودي ، مع توجيه قوة ثانوية لمهاجمة الحصون الأخرى ؛ كي تمنع قوات اليهود من التعاون فيما بينهم ، وتحرمهم معرفة اتجاه الهجوم الرئيسي . واستمر الهجوم ثلاثة أيام ، بقي أثناءها اليهود داخل الحصون في اليومين الأولين ، ثم خرجوا في اليوم الثالث .

لكن قبل إنشاب القتال دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه اليهود إلى الإسلام ، فرفضوا هذه الدعوة وبرزوا للمسلمين ، ومعهم ملكهم مرحب الذي دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه سلمة ابن الأكوع الذي استشهد ، فدعا مرحب إلى البراز مرة أخرى ، وجعل يرتجز بقوله :

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

---

(١) المغازي (ص٤٠٧) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٤) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٥١ - ٣٥٢) .

فبرز له علي بن أبي طالب قائلًا :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب عليٌّ رأس مرحب ، فقتله ، ثم كان الفتح على يديه (١) .

ثم خرج ياسر أخو مرحب يطلب البراز ، فبرز إليه الزبير بن العوام ، فقتله .

وتواصل القتال حول الحصن لعدة أيام ، بعدها انهارت مقاومة اليهود ، واستسلم الحصن .

الوالد : أكمل يا أبا الهيثم .

أسامة : أثَّر سقوط حصن ناعم على معنويات اليهود ، فاستسلم بعده حصن الصعب ابن معاذ بعد قتال شديد . ولما كانت إمدادات المسلمين من الطعام والمياه قد نفدت ، لذلك وجهوا هجومهم الرئيسي على حصن الصعب بن معاذ ، الذي كان اليهود قد كدسوا فيه كثيرًا من المواد الغذائية ، وكان قائد الهجوم حباب بن المنذر ، ففرضوا عليه الحصار ثلاثة أيام ، وفي اليوم الثالث دعا رسول الله ﷺ رب العالمين طالبًا فتح الحصن :

« **اللَّهم إنك قد عرفت حالهم ، وأن ليست لهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونهم عنهم غناءً وأكثرها طعامًا وودكًا** » (٢) .

فغزا المسلمون ، ففتح الله ﷻ حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعامًا وودكًا منه .

محمود : الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، صدق وعده ونصر عبده ؛ تحقيقًا لوعده في سورة الفتح ، مرجع النبي محمد ﷺ من الحديبية : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢٠ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢١ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٢٠ - ٢٢] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود . هل لك أن تحدثنا عن تقسيم الغنائم التي غنمها المسلمون من خيبر ؟ .

محمود : قد قسم رسول الله ﷺ أرض خيبر على ستة وثلاثين سهمًا ، وجعل كل

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص ١٣٨) ، السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٥٥) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٦٧ - ٣٦٨) .

سهم مائة سهم ، فكانت ثلاثة آلاف وستمائة سهم ، فكان لرسول اللَّه ﷺ والمسلمين النصف من ذلك ، وهو ألف وثمانمائة سهم ، لرسول اللَّه ﷺ سهم كسهم أحد المسلمين (١) . وهنا فائدة تستلزم أن ندعو لرسول اللَّه ﷺ ، جزاك اللَّه عن أمة الإسلام خيرًا يا رسول اللَّه ، يا من لا تميز نفسك عن أصحابك في شيء .

كما قام رسول اللَّه ﷺ بعزل النصف الآخر ، وهو ألف وثمانمائة سهم ، لنوائبه وما يتنزل به من أمور المسلمين (٢) .

وإنما قسمت على ألف وثمانمائة سهم ؛ لأنها كانت طعمة من اللَّه لأهل الحديبية ، مَنِ شهد منهم ومَن غاب ، وكانوا ألفًا وأربعمائة ، وكان معهم مائتا فرس ، لكل فرس سهمان ، فقسمت على ألف وثمانمائة سهم ، فصار للفارس ثلاثة أسهم ، وللراجل سهم واحد (٣) .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا شيخ محمود ، الحقيقة : لقد غنم المسلمون مغانم كثيرة من خيبر ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر » . ولما رجع رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة ، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل ، حين صار لهم مال ونخيل » .

وهذا شيء جميل أن يعرف الصحابة لإخوانهم فضلهم ، ويردون لهم ما أخذوه منهم ، والأهم من ذلك أن رسول اللَّه ﷺ اصطفى لنفسه صفية بنت حيي بن أخطب التي أسلمت ، وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق (٤) .

الزوج يهودي والأب يهودي والمجتمع يهودي ، وشاء اللَّه أن ينقذها من النار ، فتسلم ويعتقها رسول اللَّه ﷺ ويتزوجها ، فأبدل اللَّه صفية أهلًا خيرًا من أهلها ، ودارًا خيرًا من دارها في الدنيا والآخرة .

رجنة : لقد قرأت في كتاب اللَّه يا جدي : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٤] .

فما الصداق الذي قدمه رسول اللَّه ﷺ للسيدة صفية ؟ .

الوالد : إن رسول اللَّه ﷺ قد جعل عتق صفية صداقها .

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٧ - ١٣٨) .

(٢) كان رسول اللَّه ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقًا من التمر ، وعشرين وسقًا من شعير . السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٧٨) .

(٣) المرجع السابق (ص٣٨٠) .

(٤) المرجع السابق (ص٣٦٣ - ٣٦٤) .

ارجع بنا مرة أخرى إلى الغزوة يا محمود .

محمود : لقد وقف بنا الحديث عند فتح حصن ناعم ، وحصن الصعب بن معاذ ، وقلنا : إن الفتح كان من الله ، ثم استجابة لدعاء رسول الله ﷺ . وصدق الله الذي علمنا على لسان رسول الله ﷺ : « **ثلاثة لا ترد دعوتهم منهم الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، والمظلوم يرفع الله دعوته فوق الغمام ، ويقول : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** » .

كما أن رسول الله ﷺ دعا في المواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، حينما يلتقي الصفان ؛ صف أهل الإيمان في مواجهة أهل الشرك .

فما أحوجنا دوامًا إلى الدعاء ، خاصة في الظروف التي يعاني منها إخواننا على أرض فلسطين ، والعراق ، والأمة ممنوعة من مد يد العون لهم تحت ضغط أعداء الإسلام ! ما أحوجنا إلى الدعاء لهم ؛ لأنه لا يرد البلاء إلا الدعاء !

الوالد : شكر الله لك يا شيخ محمود ، تفضل أكمل يا أسامة أخبار الغزوة .

أسامة : لقد استماتت اليهود في الدفاع عن حصونهم ، وركز المسلمون على حصن الزبير ولكنه استعصى عليهم ، فقرروا قطع المياه عنه ، مما أجبر اليهود على الخروج من الحصن للدفاع عنه ، فقاتلهم المسلمون في العراء ، وقضوا على أكثرهم ، وأجبروا اليهود الباقين على الفرار . وفتح الله الحصن على المسلمين .

وبعدها أخذت الحصون كلها تتساقط في أيدي المسلمين ، إلا حصني الوطيح والسلالم [1] ، فتجمعت قوات المسلمين حولهما ، وضيقوا الحصار على اليهود ، فطلبوا الصلح على أن يحقن المسلمون دماءهم .

وقبل الرسول محمد ﷺ بشرطهم ، مع إبقائهم على أرضهم يفلحونها ، على أن يكون لهم نصف ثمرها ، مقابل عملهم فيها ؛ لأن المهام الجهادية الملقاة على عاتق المسلمين ، لم تكن تسمح لهم بتفريغ أحد لزراعة الأرض .

الوالد : ما هي حصيلة المعركة من القتلى والجرحى ؟ .

أسامة : قدم المسلمون تسعة عشر شهيدًا ، وقيل : ثلاثة وعشرين مع كثير من الجرحى .

أما اليهود المحاربون فقد كانت خسائرهم في الأرواح كبيرة جدًّا (قيل : ثلاثة وتسعون قتيلًا) ، كما خسروا أموالهم وأملاكهم .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٧٥ - ٣٧٧) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٦) .

الوالد : جزاكم اللّه خيرًا . والسؤال الآن موجه إلى محمود ، لعلك تابعت حديث أسامة عن غزوة خيبر ، فما هي المسائل التي فاتته ، وفاتني ذكرها ؟ .

محمود : الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه .

أولًا : الدور الذي قام به الصحابى المشهور ، أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري ، صاحب العصابة الحمراء – في اقتحام قلعة أبي ، بعد قتل قادتها [1] .

ثانيًا : استعمال الرسول ﷺ والصحابة لآلات المنجنيق ؛ لضرب القذائف على حصن النزار الذي استعصى على المسلمين ؛ لأنه كان على جبل مرتفع منيع ، وكانوا يرشقون المسلمين بالنبال ، وبإلقاء الحجارة . وبعدها اقتحم المسلمون الحصن .

أحمد : لو أذنت لي يا أبي أن أكمل .

الوالد : تفضل يا أحمد .

أحمد : **ثالثًا** : كانت هناك مفاوضات جرت بين الرسول القائد ، وبين ابني أبي الحقيق اليهودي ؛ وبناء عليه صالحهم رسول اللّه ﷺ على حقن دماء مَن في الحصون من المقاتلين ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ، ويخلون بين رسول اللّه ﷺ ، وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء – أي الذهب والفضة – والكراع والحلقة إلا ثوبًا على ظهر إنسان ، ثم أردف رسول اللّه ﷺ قوله (بوضوح تام) : « **وبرئت منكم ذمة اللّه وذمة رسوله ، إن كتمتموني شيئًا** » فوافق اليهود على ذلك .

وبعد هذه المصالحة تم تسليم الحصون إلى المسلمين ، وبذلك تم فتح خيبر .

لكن ابني أبي الحقيق ، **وهذه هي المسألة الرابعة** ، غيّبا مالًا كثيرًا غيبوا مسكًا فيه مال وحلي لحيي بن أخطب ، كان قد احتمله معه إلى خيبر ، حين أجليت بنو النضير .

الوالد : هل تدري ما فعل رسول اللّه ﷺ في هذه المسألة يا محمود ؟ .

أحمد : معذرة يا أبي سأكمل بقية المسألة : لقد جيء بكنانة بن الربيع [2] الذي كان عنده كنز بني النضير ، فسأله عنه فأنكر أن يعرف مكانه ، وجاء رجل من اليهود ، فقال : إني رأيت كنانة يطوف في خربة ههنا كل غداة .

فقال رسول اللّه ﷺ لكنانة : « **أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك ؟** » .

---

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٣٧٦ – ٣٧٧) .

(٢) المرجع السابق زاد المعاد ، (ج٢ ، ص١٣٦) .

قال كنانة : نعم .

فأمر رسول اللَّه ﷺ بالخربة ، فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم (وبهذا ظهر كذب كنانة بن الربيع) .

ثم سأل رسول اللَّه ﷺ كنانة عما بقي ، فأبى أن يؤديه . فدفع رسول اللَّه ﷺ بكنانة إلى الزبير بن العوام ؛ ليستنطقه ، وبعد ذلك أمر الرسول ﷺ بضرب عنقه ؛ لأنه نقض عهده مع رسول اللَّه ﷺ ، وخان اللَّه والرسول وخان الأمانة ، وذلك بالإضافة إلى أنه أخذ بمحمود بن مسلمة المسلم الذي كان قد قتل تحت جدار حصن ناعم [1] ، وألقى عليه الرحى وهو يستظل بالجدار .

الوالد : وهذا حكم اللَّه يا أولادي ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

بلال : ما هو مصير ابني أبي الحقيق ؟ .

الوالد : أمر الرسول ﷺ بقتل ابني أبي الحقيق اللذين كتما الأمانات التي كانت بأيديهما ، وبهذا نقضا عهدهما مع رسول اللَّه ﷺ ، وقد أقيم عليهما هذا الحد بعد اعتراف ابن عم كنانة بن الربيع عليهما بالمال ، وهو يهودي [2] .

محمد : معذرة يا والدي ، لدي مساهمة كذلك في نفس الموضوع .

الوالد : تفضل يا أبا بلال .

محمد : قدوم أبي هريرة إلى المدينة المنورة مسلمًا ، فاستقبله سباع بن عرفطة أمير المدينة بالنيابة عن رسول اللَّه ﷺ ، بعد صلاة الصبح ، فزوده ولحق برسول اللَّه ﷺ بخيبر ، فأشركه المسلمون في الغنائم ؛ بناء على توجيه رسول اللَّه ﷺ .

سلمان : معذرة يا جدي ، ولكن أبا هريرة لم يشارك في الغزوة .

الوالد : أولًا : يقول ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » وأبو هريرة أسلم للَّه رب العالمين ، وحينما علم أن إخوانه قد خرجوا لغزوة خيبر ، لحق بهم بنية المشاركة في الغزوة ؛ لهذا أشركه المسلمون في الغنائم . تفضل يا محمد .

محمد : الثانية : قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة على رسول اللَّه ﷺ ، وجاء

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٧٤) .

(٢) المرجع السابق (ص٣٧٦ - ٣٧٧) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص ١٣٦ - ١٣٧) .

معه الأشعريون : عبد اللّٰه بن قيس وأبو موسى وأصحابه ، وكان فيمن قدم معهم أسماء بنت عميس .

بلال : معذرة يا أبي وجدي ، ولكن أبا موسى كان باليمن ، فما الذي جمعه بجعفر بن أبي طالب في الحبشة ؟ .

محمد : سؤال طيب . حينما بلغ أبا موسى وأصحابه وهم باليمن ، مخرج النبي ﷺ بمكة - استقل هو وأخواه وأصحابه سفينة للذهاب إلى النبي ﷺ ، فألقتهم السفينة بالحبشة عند النجاشي فقابلوا جعفر بن أبي طالب ؛ ولما عرفوا أنه قد جاء وإخوانه إلى الحبشة ، فرارًا بدينهم ، بناء على موافقة رسول اللّٰه ﷺ - بقي الأشعريون مع جعفر رضي الله عنه لحين استبانة ما يجري من الأحداث بمكة . وحين أذن لهم رسول اللّٰه ﷺ في العودة ، عاد أبو موسى وإخوانه وجعفر وإخوانه إلى المدينة ، فوافق ذلك فتح خيبر [1] .

وحينما شاهد رسول اللّٰه ﷺ جعفرًا ، اعتنقه وقبله ، وقال : « **واللّٰه ما أدري بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر** » .

ياسر : جزى اللّٰه عنا خيرًا رسول اللّٰه ﷺ والصحابة الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلًا من اللّٰه ورضوانًا ، وينصرون اللّٰه ورسوله .

الوالد : تمامًا يا ياسر ، كم ضحوا وبذلوا في سبيل إقامة هذا الدين ، ونصرة محمد ودين محمد وأمة محمد ﷺ ، كم بذلوا في جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكافرين والمنافقين .

بلال : معذرة يا جدي ، كم كان عدد المهاجرين الجدد ؟ وكيف رجعوا من الحبشة ؟ ومن الذي طلب منهم الرجوع ؟ .

الوالد : تفضل يا محمد .

محمد : أرسل رسول اللّٰه ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، يطلب منه السماح بإعادة المهاجرين إلى وطنهم ، فأرسلهم النجاشي على مركبين وكانوا ستة عشر رجلًا ، ومعهم من بقي من نسائهم وأولادهم .

بلال : جزاك اللّٰه خيرًا يا والدي .

الوالد : هل انتهيت يا محمد من إضافاتك التي ترتبط بغزوة خيبر ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٨٦ - ٣٩٢) زاد المعاد ، (ج٢ ، ص١٣٨ - ١٣٩) .

محمد : بقيت مسألة أخيرة يا والدي .

سارة : معذرة يا جدي ، ومعذرة يا أبي ، أريد أن أعرف متى تزوج رسول الله ﷺ بأم المؤمنين صفية ؟ ومن الذي جهزها لرسول الله ﷺ وخاصة أن أهلها منهم من توفي أو قتل في الحروب ؟ وهل عمل رسول الله ﷺ لأصحابه وليمة بتلك المناسبة [١] ؟ .

الوالد : شيء جميل يا سارة ، فمن الواضح أن هذه الأشياء تهم العرائس ، أسأل الله أن يرزقكم الأزواج الصالحين .

الأولاد : آمين .

الوالد : لقد بنى رسول الله ﷺ بصفية رضي الله عنها ، وهو راجع إلى المدينة من خيبر بسد الصهباء ، حيث كانت قد حلت له ، والتي جهزتها له أم سليم رضي الله عنها ، وأهدتها له من الليل ، فأصبح عروسًا بها ، وأولم عليها ، وأقام عليها ثلاثة أيام في الطريق يبني بها .

سارة : جزاك الله خيرًا يا جدي ؛ لكن لي سؤال آخر ، لقد قرأت أن رسول الله ﷺ حينما بنى بأم المؤمنين صفية لاحظ بوجهها خضرة ، فماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ .

الوالد : دقة الملاحظة شيء جميل يا سارة ، لقد سألها رسول الله ﷺ : **« ما هذا ؟ »** .

قالت صفية : يا رسول الله ، قد رأيت قبل قدومك علينا ، كأن القمر زال من مكانه وسقط في حجري ، ولا والله ما أذكر من شأنك شيئًا ، فقصصتها على زوجي ، فلطم وجهي فقال : تمنين هذا الملك الذي بالمدينة (يقصد رسول الله محمدًا ﷺ) ؟ وذلك يعني أن زوجها قد غار عليها [٢] .

سارة : جزاكم الله خيرًا يا جدي .

الوالد : وجزاك يا آنسة سارة ، والآن هات الأخيرة يا محمد .

محمد : الأخيرة تتعلق بمحاولة قتل النبي محمد ﷺ بالسم في خيبر . فلما انتهى رسول الله ﷺ من فتح خيبر ، واطمأن بها ، أهدت له اليهودية زينب بنت الحارث زوجة اليهودي سلام بن مشكم الذي قتل في الحرب – شاة مشوية . وقد سألت : أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ، فقيل لها : الذراع . فأكثرت فيها من السم . ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع ،

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٣٥٠ – ٣٧١ – ٣٧٤) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٧) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٧٨) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٧) .

فلاك منها مضغة ، فلم يسغها ، ولَفِظَها ، ثم قال : « **إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم** » ، ثم دعا بالمرأة فاعترفت . فقال لها : « **ما حملك على ذلك ؟** » [١] .

قالت : « قلت : إن كان ملكًا استرحت منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَر » .

فتجاوز عنها رسول اللَّه ﷺ .

سلمان : هل مات أحد ممن كان مع رسول اللَّه ﷺ ؟ .

الوالد : أكل منها بشر بن البراء بن معرور ، فأساغها فمات منها . واختلفت الروايات في التجاوز عن المرأة اليهودية القاتلة ، وأجمعت الروايات أنه تجاوز عنها أولًا ، فلما مات بشر بن البراء ، قتلها رسول اللَّه ﷺ قصاصًا ؛ لأن اللَّه علمنا : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩] .

إيمان : بقي علينا يا أبت أن نعرف مصير يهود فدك ووادي القرى وتيماء وسرية أبان بن سعيد التي وجهها رسول اللَّه ﷺ ؛ لقتال الأعراب الضاربين حول المدينة .

الوالد : الآن جاء دور الدكتورة أم محمد ؛ لتجيب لنا على أسئلتك يا إيمان .

الوالدة : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، حينما توجه الرسول ﷺ لفتح خيبر ، أرسل محيصة بن مسعود إلى يهود فدك يدعوهم إلى الإسلام فأبطؤوا عليه ، فلما فتح اللَّه على المسلمين خيبر ، قذف اللَّه في قلوب يهود فدك الرعب ، فبعثوا إلى رسول اللَّه ﷺ يصالحونه على النصف من فدك بمثل ما صالح عليه أهل خيبر ، فقبل رسول اللَّه ﷺ ذلك منهم ، فكانت فدك ، لرسول اللَّه ﷺ خالصة ؛ لأنه لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب .

أما فيما يتصل بوادي القرى وموقعها بين المدينة وتبوك ، وكان فيها جماعة من اليهود وجماعة من العرب - فقد فتحت عنوة ، وغنم المسلمون أموالهم وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا ، وترك رسول اللَّه ﷺ الأرض والنخيل في أيدي اليهود ، وعاملهم عليها كما عامل أهل خيبر ، وظل رسول اللَّه ﷺ معسكرًا بوادي القرى أربعة أيام .

أما يهود تيماء ، فقد صالحوا النبي ﷺ وكتب لهم بذلك كتابًا :

« **هذا كتاب محمد رسول اللَّه ﷺ لبني عاديا أن لهم الذمة وعليهم الجزية ، ولا عداء ولا جلاء** » [٢] .

(١) المغازي (ص٤٣٥ - ٤٣٧) ، الرحيق المختوم (ص٤٤٥) ، زاد المعاد (ج٢ ، ١٣٩ - ١٤٠) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤١٢ - ٤١٣) .

وبعدها قرر رسول الله ﷺ العودة إلى المدينة المنورة ، فوصلها في أواخر صفر ، وقيل : في ربيع الأول سنة ٧هـ / ٦٢٨م .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أم محمد .

بقي أن نختم حديثنا باستعراض **أهم الدروس المستفادة من هذه الغزوات** ومنها :

● أن الصراع بين الحق والباطل ، بين أمة الإسلام واليهود ومن شايعهم - قديم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لحكمة ربانية ، يقول الله ﷻ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٣٩، ٤٠] .

● أن اليهود ، كما أخبر رب العالمين ، هم أعدى أعداء الأمة المسلمة ، ويحقدون عليها حقدًا شديدًا ؛ رغم أن رسول الله ﷺ قد اعتبرهم جزءًا من نسيج الدولة الإسلامية ، وأمنهم على عقائدهم وأموالهم ودورهم ؛ يقول الله ﷻ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

● لقد بدا حقد اليهود على الإسلام والمسلمين واضحًا في حياة النبي ﷺ ، والدليل على ذلك إثارتهم للحروب والفتن داخل المجتمع المسلم وخارجه ، وكانوا دوامًا عونًا لأعداء الدولة الإسلامية . فيهود خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين ، وحرضوا بني قريظة على الغدر والخيانة ، كما أنهم كانوا حريصين على الاتصال بالمنافقين ؛ لتحقيق أهدافهم . وقد كشف الله أمرهم تفصيلًا ؛ ليتخذ المسلمون الحيطة والحذر من بني يهود ، ويدركوا أنهم لن يكفوا عن عدوانهم وتآمرهم على الأمة المسلمة ، إلا إذا وجدت القوة الرادعة التي تأخذ على أيديهم .

● ومن الدروس المستفادة أيضًا أن رسول الله ﷺ كان قائدًا سياسيًا وعسكريًا ناجحًا ، جمع بين الرسالة والإمامة ، وأقام مؤسسات المجتمع المدني السياسي والتعليمي ، والاقتصادي والجهادي ، وأعد قوة تردع الأعداء ، وقبل ذلك ربى إنسان العقيدة ؛ فقد كان رسول الله ﷺ يخطط للمعارك ، ويقودها ويديرها بنفسه ؛ أي أنه كان قائدًا ميدانيًا ناجحًا ، ولا نرى لذلك مثيلًا في عصرنا .

● أن الله ﷻ هو الذي يدير المعركة ، من فوق سبع سموات بين الأمة المسلمة ،

وبين أعدائها . ولهذا فإن من سنن اللَّه في الخلق التمكين لعباده الموحدين ، وعقاب المارقين ؛ يقول اللَّه ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢٠، ٢١] .

● بقيت كلمة أخيرة يا أبنائي ، يا حبذا لو قام كل منَّا بتدوين انطباعاته ، والدروس المستفادة من غزوة خيبر ، وسنقوم بجمع الأوراق في اللقاء القادم .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد ، قبل أن ننهي هذا اللقاء أريد أن أسأل سؤالًا سأله الوالد المعلم قبل ذلك : ما هي المسائل التي فاتنا ذكرها فيما يتصل بفتح خيبر ؟ .

إيمان : نعم يا والدتي ، لقد قرأت في السيرة النبوية ، أن ست نسوة خرجن مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة خيبر ؛ يناولن السهام للمجاهدين ويسقين السَّويق ، ويداوين الجرحى ، ويغزلن الشعر ، كل ذلك ابتغاء مرضاة اللَّه ، وعسى أن يغنمهن اللَّه شهادة في سبيله .

ويقال إن زوجة صحابي هو عبد اللَّه بن أنيس ، كانت حبلى فنفست في الطريق ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **انقع لها تمرًا ، فإذا انغمر ، فأمر به لتشربه** » ففعلت ، فما رأت شيئًا تكرهه (١) .

سارة وسلمى : جزاك اللَّه خيرًا يا عمتنا إيمان ، إن ذلك يعني أن النساء ما كن يتخلفن عن الجهاد .

الوالدة : تمامًا يا بناتي ، وجزاكم اللَّه خيرًا ، من يساهم بمعلومة أخرى ؟ .

أسامة : لقد فاتنا قصة العبد الأسود الحبشي من أهل خيبر ، كان في غنم لسيده ، فلما رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الذي يزعم أنه نبي ، فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ . فأقبل بغنمه إلى رسول اللَّه ﷺ ، فقال : ماذا تقول وما تدعو إليه ؟ قال : « **أدعو إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه وأن لا تعبد إلا اللَّه** » . قال العبد : فما لي إن شهدت وآمنت باللَّه ﷻ ؟ قال : « **لك الجنة إن مت على ذلك** » . فأسلم ، ثم قال : يا نبي اللَّه ، إن هذه الغنم عندي أمانة ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **أخرجها من عندك ، وارمها بالحصباء ، فإن اللَّه سيؤدي عنك أمانتك** » ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها فعلم اليهودي أن غلامه قد أسلم ، فقام رسول اللَّه ﷺ في الناس ، فوعظهم ، وحضهم على الجهاد ، فلما التقى المسلمون واليهود ، قتل فيمن قتل العبد الأسود واحتمله المسلمون إلى معسكرهم ، فأدخل

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٣٨٧ - ٣٨٨) .

الفسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ اطلع في الفسطاط ، ثم أقبل على أصحابه ، وقال : « **لقد أكرم اللَّه هذا العبد ، وساقه على خير ، ولقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين ، ولم يُصَلِّ للَّه سجدة قط** » . [١] .

وفي رواية : أن العبد قال : يا رسول اللَّه ، إني رجل أسود اللون قبيح الوجه لا مال لي ؛ فإن قاتلت هؤلاء حتى أُقتل أدخل الجنة ؟ قال : « **نعم** » .

فتقدم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول اللَّه وهو مقتول ، فقال : « **لقد حسَّن اللَّه وجهك ، وطيب ريحك ، وكثر مالك** » وقال : « **لقد رأيت زوجتين من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته** » . [٢] .

محمود : لقد فاتنا أيضًا : أن رجلًا من الأعراب جاء على رسول اللَّه ﷺ فآمن به واتبعه ، فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر ، غنم رسول اللَّه ﷺ فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم . فلما جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسمٌ قسمه لك رسول اللَّه ﷺ . فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم ، فأموت فأدخل الجنة . فقال : « **إن تَصْدُق اللَّه يصدُقك** » .

ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتي به رسول اللَّه ﷺ يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي : « **هو هو ؟** » قالوا : نعم ، فقال : « **صدق اللَّه فصدقه** » [٣] .

وكفنه النبي ﷺ في جبته ﷺ ، ثم قدمه ، فصلى عليه وكان مما ظهر من صلاته : « **اللَّهم إن هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك ، فقتل شهيدًا ، وأنا عليه شهيد** » .

الأولاد : اللَّه أكبر ، فاز ورب الكعبة ، اللَّهم غنمنا الشهادة يا رب العالمين .

الوالد : آمين ، جزاكم اللَّه خيرًا يا أولادي ، ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **رباط يوم في سبيل اللَّه خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة ، خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل اللَّه تعالى ، والغدوة ، خير من الدنيا وما عليها** » .

إيمان : ولعل هذا هو الذي يفسر رغبة رسول اللَّه ﷺ :

« **والذي نفس محمد بيده ، ما من كَلْم يُكلمُ في سبيل اللَّه ، إلا جاء يومَ القيامة كهيئة**

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٦١) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٥) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٦٢) .

(٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٦٢) .

يوم كُلم : لونه لون دم ، وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده ، لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل اللَّه أبدًا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل اللَّه فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .

الوالد : نسأل اللَّه أن يغنمنا الشهادة ، وأن يتقبل شهداء الإسلام على أرض بيت المقدس والعراق ، وغيرها من ديار الإسلام .

الأولاد : آمين . آمين .

هبة : لقد فاتنا يا والدتي معرفة الشاعر صاحب هذه الأبيات التي قيلت ، والمسلمون في طريقهم إلى خيبر :

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فدًى لك ما اقتفينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
وأنزلن سكينة علينا ... وإنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا [1] .

الوالدة : إنه عامر بن الأكوع الذي استجاب لطلب إخوانه : ألا تسمعنا من هنيهاتك ؟ وهم في طريقهم لفتح خيبر .

نهال : مسألة بسيطة قرأتها ، ولم أسمعها في هذا اللقاء :

حينما سبيت صفية بنت حيي بن أخطب ، أمر رسول اللَّه ﷺ بلالًا أن يذهب بها إلى رحله ، فمر بها بلال وسط القتلى ، فكره رسول اللَّه ﷺ ذلك ، وقال : « **أذهبت الرحمة منك يا بلال ؟** » [2] ، وفي رواية « **أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟** » وعرض عليها رسول اللَّه ﷺ الإسلام ، فأسلمت ، فاصطفاها لنفسه ، وجعل عتقها صداقها ، وبنى بها في الطريق .

الوالدة : ما شاء اللَّه ، لا قوة إلا باللَّه ، على هذه اليقظة والقراءة والاطلاع والمتابعة !

الأولاد : هذا بعض ما تعلمناه منكم ، وجزاكم اللَّه عنا خير الجزاء .

الوالد والوالدة : آمين . آمين .

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٩) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٣) ، السيرة النبوية (ج٣ ، ص٣٤٧) ، مختصر سيرة الرسول (ص١٣٨) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ص٣٧٤) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٣٧) .

محمد : معذرة يا والدي ، بقي عندي سؤال : لماذا أخرج عمر بن الخطاب يهود خيبر من أطراف المدينة ، رغم أن رسول اللَّه ﷺ قد صالحهم في الأموال على النصف ، وقال : « نحن أعلم بها منكم وأعمر لها ؟ » .

الوالد : لأن اليهود غشوا المسلمين ، وألقوا بابن عمر من فوق بيت ، ففدعوا (اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل) يديه .

فقال رئيس اليهود : لا تخرجنا ، دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول اللَّه ﷺ ، وأبو بكر ، فرفض عمر ؛ لأن رسول اللَّه ﷺ كان قد صالحهم على نصف ثمارها على شرط : أنا إذا شئنا أن نخرجكم ، أخرجناكم ، وبعد ذلك قسم عمر رضي الله عنه أرض خيبر على كل من شهد خيبر من أهل الحديبية .

محمد : أي أن رسول اللَّه ﷺ أعطى خيبر لليهود ، على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشيء ما بدا لرسول اللَّه ﷺ .

الوالد : نعم يا محمد .

محمد : من كان يقدر الثمار ويقوم بتقسيمها ؟

الوالد : كان عبد اللَّه بن رواحة يأتيهم كل عام ، فيخرصها عليهم ، ثم يضمنهم الشطر [1] ، فشكوا إلى رسول اللَّه ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه - فقال : يا أعداء اللَّه ، تطعموني السحت ؟ واللَّه لقد جئتكم من عند أحب الناس إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه ، على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

الأولاد : اللَّه أكبر ، ما شاء اللَّه على الانضباط ، مع قول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ [المائدة : ٨] .

الوالد : نعم ، جزاكم اللَّه خيرًا ، ورضي اللَّه عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٣ ، ص٣٧٨ - ٣٧٩) .

اختبر معلوماتك

• ارسم خريطة تبين موقع خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء ، كم ميلًا تبعد خيبر عن المدينة المنورة ؟ .

• ما الأسباب التي دعت النبي ﷺ للقيام بغزو يهود خيبر ؟ ومتى وقع ذلك ؟ .

• كم كان عدد جنود الجيش الإسلامي ؟ كم عدد جيش العدو ، وتسليحه ، تشكيلاته ، قياداته ، طبيعة أرض المعركة ، الحصون التي كان يتحصن بها اليهود ؟ .

• طلب المنافقون الذين لم يحضروا الحديبية من النبي ﷺ ، الخروج معه إلى خيبر ، هل لبى النبي ﷺ طلبهم ؟ لماذا ؟ .

• لماذا استخلف رسول اللَّه ﷺ سباع بن عرفطة ، على المدينة ، قبل خروجه للغزو ؟

• هل يمكن أن تصف تشكيلات حصون خيبر ؟ وهل إمكانات اليهود كانت توحي أن بإمكانهم الصمود ؟ .

• من الذي أبلغ يهود خيبر أن رسول اللَّه ﷺ قد عقد العزم على غزوهم ؟ .

• هل قبائل غطفان العربية كانت تنوي التحالف مع يهود خيبر لقتال النبي ﷺ ؟ .

• لماذا تحرك الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ ، باتجاه قبائل غطفان ، وإن كان في الأصل يريد يهود خيبر ؟ هل نجحت خطته ؟

• من الذي اقترح على النبي ﷺ تغيير أرض المعركة ؟ وهل استجاب النبي ﷺ لهذا الاقتراح ؟ ما مدلول هذه الاستجابة ؟

• من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء حينما يلتقي الصفان (في أرض الجهاد) ، بأي شيء دعا النبي ﷺ ؟

• اكتب وصية النبي ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب ، وهو يعطيه السيف .

• هل دعوة العدو إلى الإسلام قبل القتال واجب ؟ ما الدليل ؟ .

• هل استجاب اليهود لدعوة عليٍّ بن أبي طالب إلى الإسلام ؟ .

• كم عدد شهداء المعارك في خيبر ؟ وكم عدد قتلى العدو ؟ .

• ماذا تعرف عن أبي دجانة سماك بن خرشة ؟ .

• من الواضح أن يهود خيبر هم الذين طلبوا الصلح من رسول اللَّه ﷺ ، لكنِ ابنا

أبي الحقيق اليهودي ، لم يوفيا بعهديهما مع رسول اللّه ﷺ ، فعاقبهما ، ما الدرس المستفاد ؟ .

- من الذي دلَّ رسول اللّه ﷺ على مال حيي بن أخطب ؟ .
- ما النتائج التي أسفرت عنها غزوة خيبر ؟ .
- متى أسلم أبو هريرة ؟ وهل ضرب له بسهم في غنائم خيبر ؟ لماذا ؟ .
- متى رجع جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، والأشعريون وأصحابهم إلى المدينة المنورة ؟ .
- هل فرح رسول اللّه ﷺ بعودة جعفر رضي الله عنه ؟ .
- متى تزوج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب ؟ وكم أصدقها ؟ وأين أعرس بها ؟ .
- من الذي وضع السم في الشاة ، وأهداها إلى رسول اللّه ﷺ وأصحابه ؟ وهل أكلوا منها ؟ ما النتائج ؟ هل عاقب رسول اللّه ﷺ المرأة اليهودية ؟ .
- هل فتح رسول اللّه ﷺ « فدك » ووادي القرى وتيماء ؟ ما النتائج ؟ .
- ما هي الدروس المستفادة من غزوة خيبر ؟ .

اللقاء الثالث والثلاثون

رسول الله محمد ﷺ يواصل ضرباته الاستباقية ضد الأعداء ويعقد لواء لغزوة ذات الرقاع ولواءات لسرايا أخرى

(٧ هـ / ٦٢٨ م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ وبعد .

هذا هو لقاؤنا الثالث والثلاثون تحت عنوان : رسول اللَّه ﷺ يواصل ضرباته الاستباقية ؛ لردع أعداء الدولة الإسلامية ، ويخرج في جموع من الصحابة لغزوة ذات الرقاع ، مع عقد رايات لسرايا وبعوث أخرى .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي أن أتمرن على إدارة مثل هذا اللقاء .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : جزاك اللَّه خيرًا يا والدي . إخواني وأخواتي .

لعلكم تذكرون قول اللَّه تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٣٩ ، ٤٠] .

ولعلكم تذكرون ما فعله أهل نجد بالدعاة المسلمين في حادثة الرجيع [١] ؛ حيث غدر بنو لحيان بجموع الدعاة المسلمين الذين كانوا قد أرسلهم رسول اللَّه ﷺ مع الوفد ؛ ليعلموهم دين الإسلام فقتلوهم .

ولعلكم تذكرون أيضًا مأساة بئر معونة [٢] ؛ حيث أحاطت عُصيَّة ورِعْل وذَكوان ، بقيادة عدو اللَّه عامر بن الطفيل - بسبعين من الصحابة الدعاة القراء ؛ فقتلوهم دون ذنب أو جريرة .

عمار : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! متى كان ذلك يا عمي أسامة ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص١٢٣ - ١٣٤) .

(٢) المرجع السابق (ص١٣٩ - ١٤٤) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٠٩ - ١١٠) .

أسامة : في صفر من السنة الرابعة من الهجرة / ٦٢٥م .

من أجل هذا قرر رسول اللَّه ﷺ الخروج ، وعقد الرايات للسرايا والبعوث إلى نجد ؛ لردع القوى المتآمرة على الأمة المسلمة ، والتي استحلت دماء المسلمين ، ولم تكف عن التآمر عليهم ، خرج رسول اللَّه ﷺ لهذه المهمة ؛ امتثالًا لقول اللَّه تعالى : ﴿ **وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

بلال : لو أذنت لي يا عمي ، إِذَن غزوة ذات الرقاع [(١)] تعتبر من الضربات الاستباقية ؛ لإجهاض قوة العدو قبل أن يستفحل أمرها ، وثأرًا لمن استحل دماء المسلمين ، أم أن هناك أسبابًا أخرى مباشرة لتلك الغزوة ؟ .

أسامة : السبب المباشر هو المعلومات التي وصلت رسول اللَّه ﷺ ، عبر جهاز استخباراته التي كانت تعمل داخل صفوف العدو ، أن قبيلتي محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان ، قد حشدتا قوة لمهاجمة المدينة المنورة ، وعلى الفور قرر رسول اللَّه محمد ﷺ ، أن يأخذ زمام المبادرة ، ويفاجئ العدو في عقر داره ، قبل أن يقوم بعدوانه .

وخرج رسول اللَّه في أربعمائة راكب في غزوة ذات الرقاع ؛ للقضاء على بني ثعلبة ، وبني محارب ، وأيضًا لأخذ ثأر شهداء المسلمين الذين قتلوا في حادثة بئر معونة .

نزل رسول اللَّه بمنزل يقال له : نخل ، وهو منزل من منازل بني ثعلبة ، على مسافة مرحلتين (يومين) من المدينة المنورة .

وعلى الرغم من ضخامة عدد هؤلاء الأعراب ، إلا أن مباغتة الرسول ﷺ لهم ، أربكتهم ؛ فتفرقوا هاربين تاركين وراءهم نساءهم وأموالهم ، وكان فضل اللَّه على المسلمين عظيمًا . والشيء الذي يلفت النظر يا إخواني هنا ، حرص الرسول ﷺ والصحابة على الاتصال باللَّه ﷻ ، وطلب نصرته عن طريق العبادات في وقت الشدة والرخاء ؛ لقول النبي ﷺ : « **تعرَّف إلى اللَّه في الرخاء يعرفك في الشدة** » . فحين حضر وقت الصلاة والمسلمون في غاراتهم ، حرص رسول اللَّه ﷺ على صلاة الخوف .

بلال : ما معنى صلاة الخوف يا عمي أسامة ؟ .

أسامة : لو تكرمت يا أخي محمود ، هل يمكن أن تشرح لنا حكم صلاة الخوف وهيئتها ؟ .

محمود : أنزل اللَّه على نبيه صلاة الخوف ، في هذه الغزوة ، وبين القرآن الكريم صفة

---

(١) الرسول القائد (ص ١٣٥) السيرة النبوية (ج٣ ، ص١٦٠) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١١٠ - ١١١) .

الصلاة التي تؤدى ساعة مواجهة العدو ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء : ١٠٢] .

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه [(١)] : « فصلى النبي ﷺ بطائفة ركعتين ، ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات ، وللقوم ركعتين » .

ودل تشريع صلاة الخوف على أهمية الصلاة عند تواجه الصَّفَّين ، والمسلمون في قلب المعركة ؛ لأن الصلاة عمود الدين ، ولا يمكن التساهل فيها أو التنازل عنها مهما كانت الظروف ، وبذلك تندمج الصلاة والعبادة بالجهاد ، وفق المنهاج النبوي في تربية الأمة .

بلال : جزاك الله خيرًا يا عمي محمود .

محمود : وجزاك .

أسامة : وحمل المسلمون ما استطاعوا من الغنائم ، وعادوا أدراجهم إلى المدينة ، بعد خمسة وعشرين يومًا أمضوها بقيادة الرسول القائد ﷺ في مطاردة أعدائهم .

وقد حققت هذه الحملة العسكرية أغراضها ، وتمكنت من تشتيت الحشود التي كانت تستعد لغزو المدينة المنورة . لقد أرهبت هذه الحملة العسكرية القبائل المعادية ، ولقنتها درسًا بأن المسلمين ليسوا قادرين فقط على سحق كل من تحدثه نفسه بالاقتراب من المدينة المنورة ، بل قادرين أيضًا بقوة الله على نقل المعركة إلى أرض العدو نفسه وضربه في عرينه .

بلال : لماذا سميت بغزوة ذات الرقاع ؟ .

أسامة : ورد عن أبي موسى الأشعري ﷺ ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، ونحن ستة نفر بيننا بعيرٌ نعتقبه بالتناوب ، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي ، وسقطت أظافري ؛ فكنا نلف على أرجلنا الخرق ؛ فسميت ذات الرقاع ، كما كنا نعصب الخرق على أرجلنا [(٢)] .

---

(١) كتاب الصلاة باب صلاة الخوف حديث رقم (٨٤٣) .

(٢) صحيح البخاري ، باب غزوة ذات الرقاع .

سلمان : قرأت يا عمي أسامة أن رسول اللَّه ﷺ ، قد تعرض لمحاولة اغتيال في هذه الغزوة ولكن اللَّه منعه .

أسامة : نعم يا سلمان ، لقد روى الإمام الحافظ ابن كثير عن جابر ، قال : « أقبلنا مع رسول اللَّه ﷺ حتى إذا كنا بذات الرقاع ، أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول اللَّه ﷺ ، فنزل رسول اللَّه ﷺ ، وتفرق الناس في العضاة (شجر عظيم له شوك) ؛ يستظلون بالشجر ، ونزل رسول اللَّه ﷺ تحت شجرة ، فعلق بها سيفه » .

قال جابر : « فنمنا نومة ، فجاء رجل من المشركين ، فأخذ سيف رسول اللَّه ﷺ ، فاخترطه وقال لرسول اللَّه ﷺ : أتخافني ؟ قال : « **لا** » . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « **اللَّه** » فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول اللَّه ﷺ ، فقال : « **من يمنعك مني ؟** » قال : كن خير آخذ ، قال : « **تشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأني رسول اللَّه** » ، قال الأعرابي : لا ، ولكن أعاهدك ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، قال : فخلى سبيله . فأتى أصحابه ، وقال : جئتكم من عند خير الناس [1] .

سلمان : صدق اللَّه القائل سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج : ٣٨] .

وصدق سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

أسامة : ، نعم ، الشيء المهم أن رسول اللَّه ﷺ تمكن من هذا الأعرابي ، وكان يمكن أن يقتله ، ولكنه عفا عنه ، فأسلم الأعرابي مع تعهده أن لا يكون مع قوم يقاتلون النبي ﷺ .

أحمد : لو أذنت لي يا أسامة ، هل يمكن أن تذكر لنا قصة المرأة التي سباها المسلمون في هذه الغزوة ؟ .

أسامة : نعم ، في مرجع المسلمين من غزوة ذات الرقاع سبوا امرأة من المشركين ؛ فنذر زوجها أن لا يرجع حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد ﷺ ؛ فجاء ليلًا ، وقد أرصد رسول اللَّه ﷺ رجلين ربيئة (للمراقبة والحراسة) للمسلمين من العدو ، وهما عباد بن بشر ، وعمار بن ياسر ؛ فضرب عبادًا وهو قائم يصلي بسهم فنزعه ، ولم يبطل صلاته ،

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص١٦١ - ١٦٤) ويقال إن اسم الرجل هو غورث بن الحارث من بني محارب ، وإنه كان قد وعد قومه بقتل محمد ﷺ ، ولكن اللَّه سلَّم .

حتى رشقه بثلاثة أسهم ؛ فلم ينصرف عباد من الصلاة حتى سلم ، فأيقظ صاحبه (عمار) ، فقال (عمار) : سبحان اللَّه ! هلا نبهتني ؟ فقال (عباد) : إني كنت في سورة فكرهت أن أقطعها . وفي رواية : كنت في سورة أقرأها ، فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع على الرمية ركعت فآذنتك ، وايم اللَّه لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول اللَّه ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها [١] .

الأولاد : سبحان اللَّه ! الصحابي يصاب بثلاثة أسهم ، فلا يقطع صلاته حتى يتمها ، هذا دليل على الاستغراق في الوقوف بين يدي اللَّه ﷻ ، والاستغراق في تفهم آيات اللَّه ﷻ فما أحوجنا إلى هذه الطاعات مع الخشوع وقراءة القرآن ، والتبتل بين يدي اللَّه ﷻ ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا أولادي ، هل يمكن أن يذكّرنا أحد بأثر هذه الغزوة على الأعراب المحاربين للَّه ولرسوله وأمة الإسلام ؟ .

أسامة : نعم ، كان لهذه الغزوة أثرٌ في قذف الرعب في قلوب الأعراب القساة ، وإذا نظرنا إلى تفاصيل السرايا بعد هذه الغزوة ، نرى أن هذه القبائل من غطفان ، لم تجترئ أن ترفع رأسها بعد هذه الغزوة ؛ بل استكانت شيئًا فشيئًا ، حتى استسلمت ، بل وأسلمت ؛ حتى نرى عدة قبائل من هؤلاء الأعراب تقوم مع المسلمين في فتح مكة ، وتغزو حُنينًا وتأخذ من غنائمها [٢] ، وتخرج صدقاتها بعد الرجوع من غزوة الفتح .

بهذا تم كسر الأجنحة الثلاثة التي كانت ممثلة في غزوة الأحزاب ، وساد المنطقة الأمن والسلام ، واستطاع المسلمون بعد ذلك أن يسدوا بسهولة كل خلل وثلمة حدثت في بعض المناطق من بعض القبائل ، بل بعد هذه الغزوة بدأت التمهيدات لفتوح البلدان والممالك الكبيرة ؛ لأن داخل البلاد كانت الظروف قد تطورت لصالح الإسلام والمسلمين .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

بقي أن أذكركم بأن الحركة الجهادية لقمع الخارجين على الشرعية ، لم تتوقف بعد غزوة ذات الرقاع .

---

(١) المرجع السابق (ص١٦٤ - ١٦٥) .

(٢) الرحيق المختوم (ص٤٥٢) .

فبعد الرجوع من هذه الغزوة أقام رسول اللَّه ﷺ بالمدينة المنورة ، إلى شوال سنة ٧هـ / ٦٢٨م ، وبعث في خلال ذلك عدة سرايا .

محمد : معذرة يا أبت ، هل لنا أن نتعرف بإيجاز على بعض هذه السرايا ؟ .

الوالد : نعم ، تفضل يا أسامة .

أسامة : ١ - سرية غالب بن عبد اللَّه الليثي إلى بني الملوح بالكديد (موضع على بعد ٤٢ ميلًا من مكة بين عسفان وأمج) في صفر أو في ربيع الأول سنة ٧هـ / ٦٢٨م . كان بنو الملوح قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد ، فبعث رسول اللَّه ﷺ هذه السرية لأخذ الثأر . فشنوا الغارة في الليل فقتلوا مَن قتلوا ، وساقوا النعم وطاردهم جيش كبير من العدو ، حتى إذا قرب من المسلمين نزل مطر فجاء سيل عظيم حال بين الفريقين . ونجح المسلمون في إتمام الانسحاب [1] .

٢ - سرية عمر بن الخطاب إلى تربة [2] (من أرض هوازن وراء مكة بأربعمائة ميل) ، في شعبان سنة ٧هـ / ٦٢٨م ، ومعه ثلاثون رجلًا كانوا يسيرون الليل ويستخفون في النهار ، وأتى الخبر إلى هوازن ؛ فهربوا وجاء عمر إلى محالهم فلم يلق أحدًا ، فانصرف راجعًا إلى المدينة .

٣ - سرية بشير بن سعد الأنصاري ، إلى بني مرة بناحية فدك في شعبان سنة ٧هـ / ٦٢٨م في ثلاثين رجلًا . خرج إليهم واستاق الشاء والنعم ثم رجع ؛ فأدركه الطلب عند الليل فرموهم بالنبل ، حتى فني نبل بشير وأصحابه ، فقتلوا جميعًا إلا البشير ؛ فإنه لجأ إلى فدك ، فأقام عند يهود حتى برأت جراحه فرجع إلى المدينة [3] .

٤ - سرية أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة [4] .

أسامة : هذه السرايا كانت - كما ذكر والدنا - دوامًا لها أثر فعال في إجهاض قوة الأعداء الذين كانوا يتربصون بالمسلمين ، وهذه بركة الجهاد في سبيل اللَّه ، كما أخبر النبي ﷺ : « **وجعل رزقي تحت ظل رمحي** » .

هذه هي بركة الجهاد في سبيل اللَّه الذي شرع ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله للَّه .

---

(١) المغازي (ص٤٤٨ - ٤٥١) ، زاد المعاد (ج٢ ، ص١٤٩) .

(٢) المغازي (ص٤٤٦) ؛ والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٤١٨) .

(٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤١٩) .

(٤) المغازي (ص٤٥٢ - ٤٥٣) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٤٩ - ١٥٠) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٢٢ - ٤٢٣) .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا أسامة ، وبقي علينا جميعًا أن نعمل معًا لاستخلاص الدروس المستفادة من هذا اللقاء . تفضل يا أحمد .

أحمد : يقظة الرسول القائد ﷺ وحرصه على حماية الأمة ووطنها وأعراضها وأموالها ودمائها ،مع الأخذ بالأسباب ؛ لكسر شوكة كل من تحدثه نفسه بالنيل من مواطني الدولة الإسلامية ؛ امتثالًا لقول اللّه تعالى : ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء : ٨٤] .

وهذا ما فعله النبي ﷺ ، وفي نفس الوقت نلمح حرص النبي محمد ﷺ على جمع المعلومات عن الأعداء : موطنهم ، مؤامراتهم ، قوتهم ، تسليحهم ؛ لكي يعد خطته على هذا الأساس . ولهذا فقد كان للرسول ﷺ عيونٌ ، أي : أجهزة استخبارات داخل صفوف العدو ترصد وتجمع المعلومات ، وتوافي بها الرسول القائد ﷺ .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا أحمد ، تفضل يا محمد .

محمد : هناك درس آخر يا والدي ، وهو حرص الرسول القائد ﷺ بصفته ولي أمر المسلمين – على الذود عن أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم ، وكسر شوكة كل من يحاول الاعتداء على أي فرد من أفراد الرعية .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا محمد ، تفضل يا محمود .

محمود : في ضوء هذا يمكن أن نفهم حرص الرسول ﷺ على توجيه الضربات الاستباقية ؛ لإجهاض قوة العدو قبل أن يستفحل أمرها ، والحرص أيضًا على التكتم في حركة الغزوات والسرايا ، ونلمح أيضًا حرصًا من الرسول ﷺ والصحابة على العبادات والطاعات وهم يتحركون في مواجهة الأعداء ؛ إيمانًا منهم بأن إعداد القوة وحدها لا يكفي ؛ لأن النصر من عند اللّه العزيز الحكيم . والدليل على ذلك تشريع اللّه ﷻ لأمته صلاة الخوف ؛ حتى لا تقصر في ترك فريضة الصلاة حتى وهي في ميدان القتال .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا محمود ، تفضل يا ياسر .

ياسر : الصبر والجلد الذي كان عليه صحابة رسول اللّه ﷺ ؛ يقطعون الفيافي والقفار سيرًا على الأقدام حتى نقبت أقدامهم ؛ فيلفونها بالخرق ويواصلون المسيرة ؛ جهادًا في سبيل اللّه ؛ نصرة لدين اللّه ﷻ ولنصرة الإسلام .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا ياسر ، تفضلي يا إيمان .

إيمان : الذي يلفت النظر في غزوة ذات الرقاع موقف النبي ﷺ من الأعرابي الذي اخترط سيفه ، وحاول قتل النبي ﷺ وألقى عليه بالسؤال التالي : أتخافني ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا** » . فقال الأعرابي : فمن يمنعك مني ؟ قال : « **اللَّه** » . وصدق رسول اللَّه ﷺ ؛ فقد منعه اللَّه ﷻ القائل : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق : ٤] ، من عدوه .

والشيء الآخر الذي يلفت النظر هو اختراط النبي ﷺ للسيف الذي وقع من يد الأعرابي ، ثم قال له : « **من يمنعك مني ؟** » فقال الأعرابي : كن خير آخذ . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه** » ، قال الأعرابي : أعاهدك أن لا أقاتلك ، وأن لا أكون مع قوم يقاتلونك ؛ فخلى رسول اللَّه ﷺ سبيله ، فرجع إلى قومه قائلًا : جئتكم من عند خير الناس .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا أبنائي ، وعند هذا الحد نكتفي ، وإلى لقاءٍ آخر إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● ما هي الأسباب التي دفعت الرسول محمدًا ﷺ إلى الخروج في غزوة ذات الرقاع؟ وما هي النتائج التي أسفرت عنها هذه الغزوة ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● جرت محاولة لاغتيال النبي محمد ﷺ ، والصحابة نائمون ، ولكن اللَّه سلم . اذكر تفاصيل هذه الحادثة والدروس المستفادة منها .

● كان الرسول ﷺ حريصًا على تنظيم نوبات حراسة ، تقوم على حراسة الصحابة أثناء فترة راحتهم . ما الذي جرى لعباد بن بشر أثناء نوبته مع عمار بن ياسر ؟ وما الدرس المستفاد ؟ .

● اكتب مذكرات مختصرة عن :

١ - سرية غالب بن عبد اللَّه الليثي إلى بني الملوح .

٢ - سرية عمر بن الخطاب إلى تربة .

٣ - سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة .

٤ - سرية أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة . مع ذكر الدروس المستفادة .



اللقاء الرابع والثلاثون

رسول الله محمد ﷺ يؤدي عمرة القضاء [١]

(٧هـ - / ٦٢٨ م)

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

هذا هو لقاؤنا الرابع والثلاثون تحت عنوان : رسول الله محمد ﷺ وأصحابه يُحْرِمُونَ بالعمرة من ذي الحليفة في السنة السابعة من الهجرة / ٦٢٨م .

أمر رسول الله محمد ﷺ أصحابه أن يعدوا أنفسهم للتوجه إلى مكة المكرمة ؛ لقضاء عمرتهم التي لم يتمكنوا من أدائها في السنة السادسة من الهجرة ، وأن لا يتخلف منهم أحد شهد الحديبية ؛ فخرج الصحابة مع رسول الله ﷺ إلا من توفي أو استشهد ، وخرج معهم آخرون ؛ فكانت عدتهم ألفين سوى النساء والصبيان .

واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة عويف بن الأخبط الدُّؤلي ؛ لتصريف شئون المدينة المنورة أثناء غيابه ، وساق ستين بدنة ، وجعل عليها ناجية بن جندب الأسلمي .

وأحرم رسول الله ﷺ والصحابة جميعًا من ذي الحليفة ، ميقات أهل المدينة ، ولبى رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، وخرجوا مستعدين بالمقاتلة والسلاح ؛ خشية أن يقع غدر من قريش ، وحينما بلغوا يَأْجِجَ وضعوا الأداة كلها (الحجف والنبل والمجان والرماح) ودخل رسول الله ﷺ إلى البيت العتيق راكبًا ناقته القصواء ، وإخوانه يحيطون به ، ومعهم سلاح الراكب السيوف في القرب ، والجميع يُلَبي .

سلمان : ما يقولون يا جدي ؟ .

الوالد : يقولون : « لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » .

الأولاد : نسأل الله أن يوفقنا للعمرة والحج ، آمين .

الوالد : وخرج أهل مكة إلى جبل قعيقعان (الجبل الذي في شمال الكعبة) ؛ ليروا المسلمين ، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يكشفوا عن المناكب ، وأن يسرعوا في الطواف ؛ ليرى المشركون جلدهم وقوتهم ؛ لأنه كان حريصًا على أن يكايدهم بكل ما استطاع ؛

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٢٨ - ٤٣٩) ، والمغازي (ص٤٥٩ - ٤٦٣) ، ومختصر سيرة الرسول (ص١٤٢) .

فوقف أهل مكة ، الرجال والنساء والصبيان ، ينظرون إلى رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ، وهم يطوفون بالبيت العتيق ، وعبد اللَّه بن رواحة بين يدي رسول اللَّه ﷺ يرتجز متوشحًا سيفه ، يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد أنزل الرحمن في نزيله
في صحف تتلى على رسوله	يا رب إني مؤمن بقيله
إني رأيت الحق في قبوله	فاليوم نضربكم على تأويله
ضربًا يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

الأولاد : اللَّه أكبر ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده .

الوالد : وبقي رجال من المشركين ينظرون إلى رسول اللَّه ﷺ حنقًا وغيظًا ؛ فأقام رسول اللَّه ﷺ بمكة ثلاثًا ؛ فلما أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، ورسول اللَّه ﷺ في مجلس الأنصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب : « نناشدك اللَّه والعقد لما خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاث » .

إيمان : سبحان اللَّه ! هذا حرم اللَّه الآمن لا يُصد عنه أحد ، ولا يُطرد منه أحد ، يقولون لرسول اللَّه ﷺ هذا الكلام !!

الوالد : انتظري يا إيمان ؛ لتسمعي ؛ لقد رد سعد بن عبادة الأنصاري على حويطب : « كذبت لا أم لك ، إنها ليست بأرضك ولا أرض آبائك (إنها أرض اللَّه ﷻ) ، واللَّه لا نخرج » [1] .

ثم نادى رسول اللَّه ﷺ حويطبًا أو سهيلًا ، فقال : « **إني قد نكحت منكم امرأة ، فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع طعامًا ؛ فنأكل وتأكلون معنا** » .

فرفض مجرمو قريش عرض النبي ﷺ ، وقالوا : « نناشدك اللَّه والعقد إلا خرجت عنا » .

فأمر رسول اللَّه ﷺ أبا رافع ؛ فأذَّن بالرحيل إلى المدينة المنورة .

عمار : أليس في هذا دليل على سعة صبر النبي ﷺ هو وإخوانه على الأذى ، وسوء المعاملة ؟ ألم يكن في الإمكان أن يتحداهم رسول اللَّه ﷺ ، ويرفض الخروج من مكة ؛ لأنها حرم اللَّه الآمن ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٣٣) .

الوالد : نعم يا عمار ، لكن رسول اللَّه ﷺ كان حريصًا على عدم الصدام مع المشركين ، كما كان حريصًا على عدم إراقة الدماء ؛ لهذا فوت الفرصة على المشركين وصبر وأمر أبا رافع فأذَّن بالرحيل .

إيمان : جزاك اللَّه خيرًا يا رسول اللَّه ، بقي سؤال يا أبي : من هي المرأة التي نكحها رسول اللَّه محمد ﷺ بعد عمرة القضاء ؟ .

الوالد : إنها ميمونة بنت الحارث العامرية (١) ، وكان رسول اللَّه ﷺ قد بعث جعفر بن أبي طالب إليها ؛ ليخطبها إلى رسول اللَّه ﷺ ، فجعلت أمرها إلى العباس ابن عبد المطلب ، وكانت أختها أم الفضل تحته ، فزوجها العباس رسول اللَّه ﷺ .

وقد نزل رسول اللَّه ﷺ بطن سرف فأقام بها وخلف أبا رافع ؛ ليحمل ميمونة إليه حين يمسي ؛ فأقام حتى قدمت ميمونة ومن معها ، وقد لقوا أذى وعناء من سفهاء قريش وصبيانهم ، فبنى بها بسرف ، ثم أدلج وسار ﷺ حتى قدم المدينة .

بلال : معذرة يا جدي ، لقد قرأت أن ميمونة حينما توفيت دفنت بسرف ؛ حيث بنى بها النبي ﷺ عند عودته من عمرة القضاء (٢) .

الوالد : نعم ، جزاك اللَّه خيرًا يا بلال .

رحمة : لو أذنت لي يا جدي ، لقد قرأت أنه لما أراد رسول اللَّه ﷺ الخروج من مكة بعد أداء العمرة - تبعتهم سلمى ابنة حمزة بن عبد المطلب ، تنادي : يا عم يا عم ؛ فتناولها عليٌّ بن أبي طالب ﷺ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمك حمزة ؛ فحملتها فاختصم فيها عليّ وزيد وجعفر ، فقال علي : أنا أخذتها وهي ابنة عمي ، وقال جعفر : ابنة عمي وخالتها أسماء بنت عميس تحتي ، وقال زيد : ابنة أخي ، فقضى بها رسول اللَّه ﷺ لخالتها ، وقال : « الخالة بمنزلة الأم » (٣) .

الوالد : الخبر صحيح يا رحمة ، وجزاك اللَّه خيرًا . وفي هذا دليل على عدم جواز إقامة الفتاة المسلمة إلا عند أرحامها ؛ ليصونوا عرضها ويكرموا وفادتها .

جنة : لماذا سميت العمرة بعمرة القضاء يا جدي ؟ .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٣٩) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق (ص٤٤٢) .

الوالد : قيل : لكونها قضاء للعمرة التي صُدُّوا عنها في الحديبية [١] ، وقيل : سميت عمرة القضية والقضاء ؛ لأنها العمرة التي قاضاهم عليها . فاتني أن أذكر أن رسول الله ﷺ بعد الانتهاء من الطواف والسعي ، قد أمر بنحر هديه عند المروة ، وكذلك الصحابة .

والآن جاء دوركم ؛ لتعرضوا **الدروس المستفادة** ، تفضل يا أسامة .

أسامة : الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٧] ، وفي هذا تأكيد على أن رسول الله ﷺ حينما راجعه عمر : ألم تكن تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « **بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام** (٦ هـ) ؟ » قال : لا . قال : « **فإنك آتيه ومطوف به** » . أي أن رسول الله ﷺ ما كان ينطق عن الهوى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٤] .

وفي هذا درس أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن العاقبة للمتقين .

محمود : الحقيقة أنه مشهد رائع حقًّا ، فرسول الله محمد ﷺ الذي خرج من مكة ليلة الهجرة مطلوبًا رأسه حيًّا أو ميتًا ، ومعه الصديق - يرجع إلى مكة المكرمة بعد سبع سنوات على رأس أكثر من ألفي مجاهد معتمرين ، ومعهم سلاح المسافر ؛ ليدخلوا المسجد الحرام ويطوفوا بالبيت العتيق ، فصدق الله القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] . إن عمرة القضاء كانت مقدمة للفتح الأعظم ، كما سنرى إن شاء الله ، وكان ذلك يعني أيضًا أن صلح الحديبية كان فتحًا بكل المعايير ، رغم أن بعض الصحابة قد اعترضوا عليه في حينه .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود ، تفضلي يا إيمان .

إيمان : دخل رسول الله ﷺ مكة المكرمة ، في موكب مهيب ، والمسلمون حوله متوشحون سيوفهم ، محدقون به من كل جانب يسترونه ؛ مخافة أن يمسه أذى من المشركين ، وأصواتهم تعجُّ بالتلبية لله العلي الكبير . هذه التلبية الجماعية التي لم تنقطع منذ أن أحرم الصحابة من ذي الحليفة ، واستمرت حتى دخول مكة - كان لها مغزى ومعنى ؛ فهي إعلان لعقيدة التوحيد ، ورفع لشعاره وتعني إبطال الشرك ، وإسقاط

---

(١) المرجع السابق (ص٤٢٨) .

رايته ، وتعلن الحمد ، والثناء على اللَّه الذي مكنهم من أداء هذه النسك ، بقولهم : لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك . وكان منظر المعتمرين بقيادة النبي ﷺ مظهرًا دعويًّا مؤثرًا (١) .

الوالد : جزاكِ اللَّه خيرًا يا إيمان .

محمود : لقد أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاث الأُوَل ، وأن يمشوا بين الركنين ؛ لكي يرى المشركون قوتهم ، وأن يرفعوا أصواتهم بالتلبية ، وقد قصد الرسول ﷺ بهذه الطريقة أن يرهب قريشًا ، وأن يظهر لهم قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم .

وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين ؛ فهذه حرب نفسية شنها رسول اللَّه ﷺ على المشركين ، وقد آتت أكلها ، ولقد أقام الرسول ﷺ في مكة ثلاثة أيام ، ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد ، ويطوفون بالبيت العتيق ، ويرفعون الأذان ، ويتمون الصلاة ، ويصلي بهم النبي ﷺ الصلوات الخمس في جماعة ، وكان بلال بن رباح بصوته الندي يرفع الأذان من فوق الكعبة ؛ فكان وقعه على المشركين كالصاعقة (٢) .

احمد : لقد كان تأثير هذه العمرة على قريش ، وعلى عرب الجزيرة ، تأثيرًا بالغًا ، فقد حملت في مضمونها مهمة دعوية عظيمة . فلم يكد يترك الرسول ﷺ مكة حتى وقف خالد بن الوليد يقول في جمع من قريش : « لقد استبان لكل ذي عقل ، أن محمدًا ليس بساحر ولا شاعر ، وأن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق لكل ذي لب أن يتبعه » . وأسلم خالد بن الوليد وأسلم عمرو بن العاص ، وعثمان بن طلحة حارس الكعبة ؛ بل ظهر الإسلام في كل بيت من قريش سرًّا وعلانية ، وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا أن نقول : إن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة ؛ قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها (٣) .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) السيرة النبوية ، الصلابي (ج٢ ، ص٤١٦) . (٢) السيرة النبوية ، الصلابي ، (ج٢ ، ص٤١٨) .
(٣) السيرة النبوية ، الصلابي (ج٢ ، ص٤٢١) .

اختبر معلوماتك

● متى خرج رسول اللَّه ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء ؟ ولماذا سميت كذلك ؟ .

● من أين أحرموا وأهلُّوا بالعمرة ؟ وبأي عبارات كانوا يهلون ؟ .

● هل كان معهم سلاح المسافر ؟ وما السبب ؟ .

● كم يومًا بقي رسول اللَّه ﷺ وأصحابه بمكة ؟ .

● صف مشاعرك وأنت تقرأ عن رسول اللَّه ﷺ والصحابة ، وقد دخلوا مكة بعد طول غياب (سبع سنوات) ، يطوفون بالبيت العتيق ، ويسعون بين الصفا والمروة ، ويشربون من زمزم ، ويصلون في مقام إبراهيم . وما أثر ذلك على نصرة الدين ؟ .

● من الذي طلب من رسول اللَّه ﷺ وأصحابه أن يخرجوا من مكة بعد أداء العمرة ؟ وهل هذا جائز من الناحية الشرعية ؟ دلل على ما تقول .

● تزوج رسول اللَّه ﷺ من أم للمؤمنين بعد أداء العمرة . من هي ؟ ومن الذي زوجها ؟ وما هو الاقتراح الذي قدمه رسول اللَّه ﷺ بين أيدي رسل أهل مكة ؛ لتأليف القلوب ورفضوه ؟ .

● المشاعر الفياضة تضطرم في القلوب بحب حمزة وابنة حمزة ، ويقولون : الدماء تحن إلى بعضها ، يبدو هذا في ابنة حمزة التي خرجت في أثر رسول اللَّه ﷺ والصحابة ، تنادي : يا عم يا عم ، وهي لم تكن قد رأته منذ زمن طويل . صور الموقف مع ذكر العظات والعبر .

● ما هي مشاعر عمر بن الخطاب والصحابة - رضوان اللَّه عليهم - وهم يطوفون بالبيت العتيق بعد عام من منعهم في الحديبية ؟ أليس في هذا دليل على صدق وعد اللَّه ، وصدق رسول اللَّه ﷺ ، وأن اللَّه لا يخلف الميعاد ؟ .

● العمرة عبادة . ما هو حكم العمرة ؟ ولماذا أمر الرسول ﷺ الصحابة بالرمل في الثلاثة أشواط الأولى ؟ .

● كيف قضى المسلمون بقيادة رسول اللَّه ﷺ الثلاثة أيام في مكة المكرمة ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء الخامس والثلاثون

غزوة مؤتة
أول صدام بين قوات المسلمين وقوات الاحتلال الرومي
(جمادى الأولى ٨هـ / ٦٢٩م)
سرية ذات السلاسل

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته .

الحمد للّٰه والصلاة والسلام على رسول اللّٰه محمد ﷺ وبعد ،

هذا هو لقاؤنا الخامس والثلاثون ، حول غزوة مؤتة [1] (قرية بأدنى بلقاء الشام) بينها وبين بيت المقدس مرحلتان .

اللّٰهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا ، وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلًا ، فاللّٰهم اجعل أمرنا كله سهلًا ؛ آمين .

في جمادى الأولى سنة ٨هـ / ٦٢٩م ، عقد رسول اللّٰه ﷺ لواء لسرية من ثلاثة آلاف مجاهد ، بقيادة زيد بن حارثة الكلبي ، وفي نفس الوقت حدد القائد الثاني ، وهو : جعفر بن أبي طالب ، إذا أصيب الأول ، كما حدد القائد الثالث : عبد اللّٰه بن رواحة ، إذا أصيب الثاني ، وحدد لها الوجهة : أرض الشام .

والهدف من عقد لواء هذه السرية تأديب الأعراب الذين غدروا بدعاة المسلمين بذات الطلح على حدود الشام ، وتأديب عامل هرقل على بصرى ، ومن تحالف معه ؛ لسكوتهم على اغتيال حامل رسالة رسول اللّٰه ﷺ إلى أحد أمراء الغساسنة .

بلال : معذرة يا جدي ، أريد أن أعرف قصة الغدر بدعاة المسلمين ، وما علاقة القاتل بالروم ؟ وألم يكن الروم من أهالي البلاد ؟ .

الوالد : تفضل يا أسامة ، أجب على السؤال .

أسامة : الحمد للّٰه والصلاة والسلام على رسول اللّٰه ﷺ .

بعث رسول اللّٰه ﷺ الحارث بن عمير الأزدي (أحد بني لهب) برسالة إلى ملك

---

(١) غزوة مؤتة غزوة جيش الأمراء ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٣ (ص٨٣ - ٨٤) ، السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٥٠) ، المغازي ، الذهبي (ص٤٦٤ - ٤٧٩) .

بصرى (وهي بلدة بالشام من أعمال دمشق) المعين من قبل قوات الاحتلال الرومي بالشام ، فاعترضه شُرَحبيل بن عمرو الغساني ، وهو أيضًا من أمراء قيصر على الشام فقال : أين تريد ، لعلك من رسل محمد ؟ قال الحارث : نعم ، فأوثقه شرحبيل ربطًا وقدمه ؛ فضرب عنقه ، فلما بلغ رسول اللَّه ﷺ ذلك ، اشتد الأمر عليه ، فجهز جيشًا سَيّرهُ إلى مؤتة ، وهدفه تأديب عامل هرقل على بُصرى الذي قتل رسول رسول اللَّه ﷺ . فمقتل الصحابي المسلم الحارث يمثل خرقًا لقاعدة أساسية في العرف الدولي ؛ لأن الرسل لا تقتل ؛ لأنه مبلغ فقط ، فلا يساء إليه مهما تضمنت الرسالة .

وقتل رسول رسول اللَّه ﷺ يعتبر تحدِّيًا صريحًا للدولة الإسلامية الوليدة ، واعتداءً مباشرً على الإسلام ، ونزع هيبته من قلوب أعدائه ؛ بل إن ذلك يمكن أن يجرِّئ الأعداء على المسلمين وسراياهم ، وخروج سرية مؤتة يمكن أن يعيد للإسلام هيبته في نفوس الأعراب ، خاصة واللَّه علمهم : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، والمسلمون هنا معتدًى عليهم .

سلمان : ما الذي جاء بالروم من شبه الجزيرة الإيطالية (أوربا) إلى أرض الشام ؟ وما ديانتهم ؟ ومنذ متى ؟ ولماذا بقوا هذه الفترة الطويلة ؟ ولماذا لم تقاومهم الأمة ؟ وما هي علاقتهم بأمراء عرب الشام والجزيرة ؟ .

أسامة : أسئلة جيدة يا سلمان .

الدولة الرومية دولة استخرابية (لا تقل : استعمارية) ، احتلت أرض الشام وبيت المقدس في عدوان تم منذ عام ٦٤ ق . م ، واعتنق حكام الروم في وقت متأخر النصرانية على المذهب الأرثوذكسي بعد وفاة المسيح عليه السلام بسنوات طويلة ، وظلوا يحتلون أرض العرب لمدة سبعة قرون ؛ لأنهم لم يجدوا مَن يقاومهم ويردهم عن أوطانهم ، حتى بعث محمد ﷺ ، وكان عرب الشام والجزيرة قبل بعثة محمد ، لا قيمة لهم من الناحية السياسية ، ولا وزن لهم ، فهم عمال من قبل الروم ، أي أنهم كانوا أمراء معينين من قِبَل قوات الاحتلال الرومي ؛ لحمايتها من هجمات أهل البلاد ، وأحيانًا أخرى لقتال الفرس أعداء الروم (حرب بالوكالة) ؛ وهؤلاء الأعراب اعتنق قطاع ضخم منهم النصرانية ، وظلوا عملاء للروم ، كما هو واقع الكثير من أبناء هذه الأمة اليوم .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، آمل أن تواصل الحديث عن سرية مؤتة بداية بتجهيز السرية .

أسامة : تجهز الناس المكتتبون في تلك السرية (الغزوة) ، وتهيؤوا للخروج ؛ حيث

عسكروا وتجمعوا بالجرف ، وعقد لهم رسول اللّٰه ﷺ لواءً أبيض ، ودفعه إلى زيد بن حارثة ، وأمرهم أن يأتوا المكان الذي قتل فيه رسوله الحارث بن عمير الأزدي ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ؛ فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم باللّٰه وقاتلوهم [١] .

وخرج رسول اللّٰه ﷺ مع الجيش مشيعًا ، حتى بلغ ثنية الوداع ، وهناك أوصى رسول الله ﷺ الجيش :

« أوصيكم بتقوى اللّٰه ، وبمن معكم من المسلمين ، خيرًا ، اغزوا باسم اللّٰه ، فقاتلوا عدو اللّٰه وعدوكم بالشام ، وستجدون رجالًا في الصوامع معتزلين ، فلا تتعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرًا ولا بصيرًا (أعمى فانيًا) ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تهدموا بناءً » .

رحمة : وقفة هنا يا عمي أسامة مع هذه الوصية الرائعة للرسول ﷺ ؛ لندرك الفارق الكبير بين مجرمي العالم المعاصر الذين يدمرون البيوت ، ويهدمون المدن ويخربون الزروع ، ويهجّرون السكان المدنيين الآمنين ، من أطفال ونساء وشيوخ ومرضى وجرحى ، خارج ديارهم ، ويستخدمون معهم أسلحة الدمار الشامل ، نووية وكيميائية وجرثومية ، كما حدث في هيروشيما ونجازاكي باليابان ، وكما يحدث في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان ، وغيرها من بلاد المسلمين .

أسامة : نعم ، وصية رسول اللّٰه ﷺ جديرة أن تُتخذ دستورًا لجيوش العالم كله ، وأن تنفذها روحًا ونصًّا للحد من شقاء العالم اليوم ؛ ففيها الرحمة والإنسانية ؛ لأن مدار الأوامر الشرعية الإسلامية : حفظ العقل ، وحفظ النفس ، وحفظ الدين ، وحفظ العرض ، وحفظ المال ؛ ففي ظلها يأمن الإنسان ، ولو كان مقاتلًا ؛ هناك ضوابط شرعية تضبط التعامل معه ؛ فلا غدر ولا قتل للأطفال ولا هدم للبيوت ، بما في ذلك بيوت المحاربين ، فضلًا عن بيوت المدنيين المسالمين الذين لا يشتركون في القتال .

وانطلق جيش مؤتة باتجاه الشام الجنوبية (فلسطين بيت المقدس) .

جنة : هل علم الروم والأمراء العرب النصارى بخبر تحرك جيش مؤتة ؟ .

أسامة : نعم ، وتجهزوا لمواجهة قوات المسلمين التي لم يكونوا يعرفون عددها ولا عدتها . وجمع الأمير العربي العميل شرحبيل بن عمرو ، عددًا كبيرًا من العرب (خمسين ألفًا على رأي) وأرسل هرقل (قيصر الروم) جيشه لمواجهة سرية مؤتة (قيل : مائة ألف) ، وكان عليهم ابن أبي شمر الغساني [٢] ، وانضم إلى جيش العدو أعداد من عرب لخم ،

(١) غزوة مؤتة (ص٨٥ – ٨٦) .
(٢) السيرة النبوية (ج٣ ص٤٥٨) غزوة مؤتة (١٠٢) .

وجذام ، والقين ، وبهراء ، وبلي وعليهم أمير من بلي يقال له : مالك بن رافلة من بني ألاشة ، وتحركت هذه القوات باتجاه معان .

عمار : هل أدرك الجيش الإسلامي بقيادة زيد بن حارثة ، خطورة الموقف ، بسبب قلة عددهم (ثلاثة آلاف مقاتل) ومع كثرة عدد العدو وعدته ؟ .

أسامة : نعم ، أدرك أمراء الجيش ذلك ، وتشاوروا فيما بينهم ، فرأى بعضهم أن يشاوروا رسول الله ﷺ بعد أن يخبره بالموقف وينتظروا أوامره النهائية ، ولكن أكثر الصحابة المجاهدين من صحابة رسول الله ﷺ ، رأوا أن يمضوا لهدفهم مهما تكون النتائج . وقال لهم الصحابي عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه : « يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين [1] إما ظهور وإما شهادة » .

فقال المجاهدون : « والله صدق ابن رواحة » .

ومضوا لأداء مهمتهم ، وأنشبوا القتال ضد عدوهم .

وفي هذا دليل واضح على فرط شجاعة الصحابة - رضوان الله عليهم - وقوة قلوبهم وارتفاع المنسوب الإيماني فيها ، واعتمادهم على ربهم ، ورغبتهم في الجهاد بالنفس والمال ؛ طلبًا للشهادة في مظانها ؛ لأنهم باعوا كل شيء لله . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة ، لقد وقر في قلوب المؤمنين إيمان صادق بالله تعالى ، فاطمأنت عليه نفوسهم ، واستنارت أرواحهم التي كانت ترنو بأبصارها إلى إحدى الحسنيين : إما نصر وإما شهادة ، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة : ٥٢] ، وذلك مع الثقة التامة واليقين الكامل بوعد الله عز وجل ، في نصرة المؤمنين والانتقام من المجرمين ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ص٤٥٨) وغزوة مؤتة (١٠٤) .

بقي يا أسامة أن تحدثنا عن تعبئة جيش المسلمين واستعداداته للقتال .

أسامة : كما ذكرت يا والدي ، تقدمت سرية مؤتة ، حتى إذا كان المجاهدون بتخوم البلقاء ، من أرض الشام ، لقيتهم الجموع الرومية بقيادة ابن أبي شبرة الغساني ، والعرب المتنصرة بقيادة مالك بن رافلة بقرية من قرى البلقاء ، يقال لها : مشارف [١] ، ثم دنا العدو فانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة حيث التقى الجمعان .

وتعبأ المسلمون في مؤتة ، فجعلوا على ميمنتهم رجلًا من بني عذرة يقال له : قطبة بن قتادة ، وجعلوا على ميسرتهم رجلًا يقال له : عباية بن مالك الأنصاري .

سمية : لو أذنت لي يا عمي ، لقد قرأت أن الصحابي أبا هريرة ﷺ ، كان له تعليق على هذا الموقف .

أسامة : نعم لقد روي عن أبي هريرة ﷺ : شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به ، من العدة والسلاح والكراع (الخيل) والديباج والحرير والذهب ، فبرق بصري ، فقال لي ثابت بن الأرقم : يا أبا هريرة كأنك ترى جموعًا كثيرة ، فقلت : نعم . فقال : إنك لم تشهد بدرًا معنا [٢] ، إنا لم ننتصر بالكثرة ، ولعله كان يذكره بقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

بقيت إشارة ، لماذا اختار المسلمون قرية مؤتة (بين الكرك والطفيلة) ؟ والإجابة : لأنها أنسب مكان للقتال لوجود العوارض الطبيعية التي يستطيعون التحصن بها ؛ نظرًا لقلة قوتهم بالنسبة إلى الأعداء .

وبدأ هجوم المسلمين على العدو ، باندفاع القائد زيد بن حارثة بالراية ، إلى صفوف العدو ، فقاتل مستميتًا ، حتى مزقته رماح العدو .

فتناول الراية جعفر بن أبي طالب ﷺ ، واندفع بها يقاتل حتى أصيبت يده اليمنى ؛ فتناول الراية بشماله ، فقطعت أيضًا ؛ فاحتضن الراية بعضديه ، حتى استشهد ﷺ وأرضاه ، ويقال : إن هذا القائد جعفر بن أبي طالب ﷺ نزل عن فرس له شقراء [٣] ، في أرض المعركة ، رغم خطورة الموقف ، ثم عقرها ، وقاتل القوم وهو ينشد :

يا حبذا الجنة واقترابُها ... طيبةٌ وباردٌ شرابُها

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٠) .

(٢) المرجع السابق (ص٤٦١) وغزوة مؤتة (ص١١١) .

(٣) السيرة النبوية (ج٣ ص٤٦٢) وغزوة مؤتة (ص١١٣) .

والروم رومٌ قد دنا عذابُها كافرةٌ بعيدة أنسابُها
عليَّ إن لاقيتُها ضِرابُها [(١)]

الأولاد : اللَّه أكبر وللَّه الحمد ، للَّه دركم يا شهداء الإسلام التضحية بأعظم معانيها . بالنفس والمال ؛ نصرة للإسلام وأمة الإسلام ، وذودًا عن حياض الإسلام ، ودماء وأعراض المسلمين ! فجزاكم اللَّه خيرًا عن أمة الإسلام .

أسامة : نعم ، جزى اللَّه عنا صحابة رسول اللَّه ﷺ خير جزاء ؛ فهم الذين تربوا على يد نبينا محمد ﷺ ، وهم قدوتنا وأسوتنا وحملة هذا الدين إلينا . لقد أخبر رسول اللَّه ﷺ أن اللَّه ﷻ قد أثاب جعفرًا ﷺ بدلًا من ذراعيه [(٢)] جناحين يطير بهما في الجنة ، حيث يشاء . ويقال : إن رجلًا من الروم النصارى ضربه يومئذٍ ضربة فقطعته نصفين . نسأل اللَّه ﷻ أن ينزله منازل الشهداء ، وأن لا يحرمنا من مشاهدته على حوض النبي ﷺ .

وبعدما استشهد جعفر بن أبي طالب ، أخذ الراية عبد اللَّه بن رواحة ، وهذا يبين لنا أن الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - كانوا حريصين أن لا تسقط راية الإسلام ، فكلما ترجل فارس ، اعتلى فارس آخر جواده ، وهذا ما حدث بالفعل ؛ فقد تقدم صحابي آخر هو عبد اللَّه ابن رواحة ، وهو على فرسه ، وأخذ الراية وهو يقول :

أقسمت يا نفس لتنزلنَّه لتنزلنَّ أو لتُكرهنَّه
إن أجلب الناس وشدوا الرنَّه ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنه هل أنت إلا نطفة في شنه [(٣)]

وقال أيضًا ﷺ :

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حِمامُ الموت قد صَليتِ
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هُديتِ
وإن تأخرت فقد شقيتِ

عمار : معذرة يا عمي أسامة ، هناك بعض الكلمات الصعبة التي وردت في الأشعار أريد أن أفهم معانيها ، مثل : الرنة وشنة .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦١) .
(٢) غزوة مؤتة (ص١١٣) .
(٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٢) ، غزوة مؤتة (ص١١٥) .

أسامة : صبرًا يا ابن أخي ، ففي نهاية اللقاء سأشرح لك هذه الأشعار التي تعني ترويض النفس على اقتحام صفوف العداء ، وطلب الشهادة في مظانها .

المهم أن ابن عم لعبد الله بن رواحة ، جاء له بعرق من لحم قائلًا : « شد بهذا صلبك ؛ فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت » . فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ، ثم سمع الحطمة (النزال والمضاربة) في ناحية الجيش ، فقال مخاطبًا نفسه : « وأنت في الدنيا » . ثم ألقى عرق اللحم من يده ، ثم أخذ سيفه ، وتقدم فقاتل حتى قتل ﷺ وأرضاه .

سارة : يا حبذا لو نتعلم ونعلم إخواننا معنى التضحية والفداء من تاريخ صحابة رسول الله ﷺ ، وخاصة في هذه الأيام التي تداعى فيها الأعداء على أمتنا ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، ولكن لي هنا سؤال يا عمي أسامة : ماذا فعل المسلمون بعد أن قتل القائد الثالث الذي عينه رسول الله ﷺ ؟ هل سقطت راية المسلمين ؟ .

أسامة : لم يحدث هذا يا ابنة أخي ، الحمد لله ؛ لقد تقدم صاحبيٌّ اسمه ثابت بن أقرم ، وأخذ الراية ونادى : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت . فقال : ما أنا بفاعل ؛ لأنه كان يرى أن هناك في الصف المجاهد من هو أجدر بالقيادة منه ، فدفع الراية إلى خالد بن الوليد ، وقال : أنت أعلم بالقتال [1] مني . فقال خالد : أنت أحق به مني ؛ لأنك ممن شهد بدرًا ، فنادى ثابت : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ﷺ ، وسلموه الراية فأخذها .

فلما أخذ خالد بن الوليد ﷺ الراية ، قاتل قتالًا شديدًا ، يقول خالد ﷺ :

« لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة ، تسعة أسياف ، ما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية » [2] .

« وهذا خلق إسلامي رفيع عظيم ، أن يتنازل العَالمُ إلى من هو أعلم منه ، والتنازل هنا لتحقيق مصلحة عامة هي فوق المآرب الشخصية ، وأسمى من حفظ النفس وحبها للإمارة ، وهذا لا يكون إلا من رجال تعمق الإيمان في نفوسهم ، وتمكَّن الإسلام الصحيح من قلوبهم .

محمود : هل يمكن يا أسامة أن تعرض لنا وصف النبي محمد ﷺ لمعركة مؤتة ، وهو في المدينة المنورة ؟ وفي هذا دليل على النبوة وأنه وحي من السماء .

أسامة : لقد صعد رسول الله ﷺ المنبر في المدينة المنورة ، وأمر فنودي : « الصلاة

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٢ - ٤٦٣) غزوة مؤتة (ص١١٦) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ص٤٦٥) وغزوة مؤتة (ص١١٦) .

جامعة » ونظر المسلمون إليه ، فإذا بعينيه تذرفان ، فعلم الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - أن أمرًا عظيمًا وقع أحزن رسول اللَّه ﷺ .

قال ﷺ بعد أن كشف اللَّه له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى ميدان المعركة [١] (معركة مؤتة) وهذا ما يسمى في علم الروح : « الجلاء البصري » - فقال : « **أخبركم عن جيشكم هذا أنهم انطلقوا فلقوا العدو أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا .**

ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيدًا ، استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة .

ثم أخذها عبد اللَّه بن رواحة ، فقاتل بها حتى قتل شهيدًا » [٢] .

فكبر الأنصار حتى ارتجّت جنابات المسجد النبوي .

ثم قال ﷺ : « **لقد رفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب** » .

ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه حتى فتح اللَّه عليهم . اللَّهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره ، باب خير باب خير ، الآن حمي الوطيس** » ، فمن يومئذ سمي خالد : سيف اللَّه .

احمد : لو أذنت لي يا أسامة ، ماذا فعل خالد بن الوليد في هذا الموقف الحرج ؟ .

اسامة : لقد نجح في الصمود أمام جيش الروم طوال النهار ، في أول يوم من أيام القتال ، وكان يشعر بمسيس الحاجة إلى مكيدة حربية تلقي الرعب في قلوب الروم ؛ حتى ينجح في الانحياز بالمسلمين من غير أن يقوم الروم بحركات المطاردة ، فبات يحكم خطته لتدارك الموقف غير المتوازن ، فاستفاد بحلول الظلام ، فقام بالأعمال التالية ؛ ليضمن انسحابًا مأمونًا لا خسائر فيه :

١ - جعل الخيل طيلة الليل تقوم بحركة دائمة ، في حركة دائرية مصدرة أصواتًا ومثيرة غبارًا كثيفًا .

٢ - جعل مقدمة الجيش [٣] سَاقَته ، وسَاقَته مُقَدِّمَته ، وَميمنتهُ مَيْسَرةً ، وميسرَتَهُ ميمنةً .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٣) غزوة مؤتة (ص١١٨) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٣) ، غزوة مؤتة (ص١١٩) .

(٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٦٨ - ٤٦٩) غزوة مؤتة (ص١٢١) .

فأنكر الروم في اليوم التالي ما كانوا يعرفونه من رايات المسلمين وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مدد ؛ فهبطت معنويات الروم ، ورعبوا رعبًا شديدًا .

وقد انتشرت مؤخرة الجيش الإسلامي في جبهة واسعة ، وأحدثت ضجة عالية ؛ لإيهام العدو بقدوم إمدادات جديدة للمسلمين .

ولحرمان العدو من معرفة انسحاب قوات المسلمين ، حتى لا يطاردها ؛ فيكبدها خسائر فادحة بقواته ؛ بينما قامت مؤخرة جيش المسلمين بقتال التعويق لإحباط مطاردة العدو ، وإنقاذ القسم الأكبر من قوات المسلمين من التطويق الذي يمكن أن يعقبه الفناء .

وبذلك استطاعت مؤخرة جيش المسلمين النجاح في مهمتها ؛ فلم يتكبد المسلمون في انسحابهم خسائر تذكر ، على الرغم من أن حركة الانسحاب من أصعب الحركات العسكرية ؛ لاحتمال انقلاب الانسحاب إلى هزيمة ، والهزيمة كارثة تؤدي إلى خسائر فادحة في صفوف المنسحبين .

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن قدموا اثني عشر شهيدًا منهم القادة الثلاث ، واستقبلهم أهل المدينة بحثو التراب على وجوههم قائلين لهم : « يا فرار فررتم في سبيل اللَّه » (١) .

ولكن الرسول ﷺ أجابهم : « **إنهم ليسوا الفرار ، بل أنتم الكرَّار وأنا فئتكم** » .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، وأود أن أضيف هنا أن أحد المحللين العسكريين رحمه الله قال عن هذه المعركة : كانت معركة مؤتة معركة استطلاعية ؛ أفادت المسلمين كثيرًا في معرفة خواص قوات الاحتلال الرومي ، وتسليحها وأساليب قتالها ، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك للروم .

ولا تعدوا تضحيات المسلمين الطفيفة شيئًا يذكر بجانب الفائدة العسكرية التي أفادوها (٢) .

الوالدة : لو أذنت لي يا أبا محمد بإضافة بسيطة : هذه المعركة كانت بمثابة إعلان عملي من قيادة الدولة الإسلامية ، وعلى رأسها رسول اللَّه محمد ﷺ ، لنصارى العرب ومشركيهم ، ولأهل الكتاب ولدولة الروم الاستخرابية التي كانت تحتل وبيت الشام وبلاد المقدس في القلب منها - أن المسلم الحر المجاهد الذي لا يقبل باحتلال

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٧١) غزوة مؤتة (ص١٢١) .

(٢) الرسول القائد (ص٢٠٦) .

أرضه ومقدساته أو إهدار حرمة دماء أبنائه وثرواته - قد ولد وأنه لن يسمح لعميل أو لقوات أجنبية أن تدنس أرض العرب والمسلمين وخاصة القدس ، وأنه قد آن الأوان أن ترحل قوات الاحتلال الأوربي البيزنطي النصراني الأرثوذوكسي ، وأنه قد آن الأوان للعملاء من أبناء الأمة العربية (الطابور الخامس) أن يرجعوا عن غَيِّهم ، والاعتماد على التواجد الأجنبي لحمايتهم ، وأن عِزَّهم في أن يرجعوا إلى ربهم وإسلامهم وإخوانهم . لقد كانت هذه المعركة ، معركة مؤتة ، بداية الصدام الدامي مع قوات الاحتلال الرومي ، فكانت توطئة وتمهيدًا لتحرير بيت المقدس وبلاد الشام ومصر ، وغيرها من البلدان العربية الواقعة تحت الاحتلال الرومي ، والانطلاق منها لتحرير الإنسان كل الإنسان .

محمد : جزاكم اللَّه خيرًا ، أخيرًا لو أذنتم لي ؛ هناك شبهات دفع بها المستشرقون للتشكيك في هذه الحادثة (أخبر النبي ﷺ بها من على المنبر) ومن هؤلاء المستشرقين (موير) الذي اعتبر وصف رسول اللَّه ﷺ لما حدث في ميدان القتال بأنه خرافة ؛ لأن الخبر في زعم (موير) كان قد وصل رسول اللَّه ﷺ من أول رسول أرسله خالد بن الوليد إلى المدينة ، وعلى ذلك فليست هناك معجزة كما يقول المستشرقون .

ولكن (موير) لم يعلق شيئًا على معجزة رسول اللَّه ﷺ التي تنبأ فيها بإصابة زيد وجعفر ، وعبد اللَّه بن رواحة ، قبل أن يذهبوا إلى مؤتة ، وقد أصيبوا جميعًا بالترتيب كما ذكر النبي ﷺ ، فكان على المستشرق (موير) للأمانة العلمية والتاريخية خاصة ، وهو يشتغل بالتاريخ - أن يدلي برأيه صريحًا في هذه المسألة لا أن يذكرها بلا تعليق ، وبغض الطرف عنها وعن الحقيقة ، خاصة أنه رأى هذه المعجزة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار .

وغاب عن (موير) أن رسول اللَّه ﷺ لما جمع المسلمين وأخبرهم خبر الجيش ، لم يصل إليه رسول خالد ﷺ إلا بعد أيام من وقوع الأحداث ، وهي مدة تراجع خالد ، ووصول يعلى بن أمية إلى المدينة من مؤتة ، وهي مدة تحتاج على الأقل أسبوعًا .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمد ، ولعل في ذلك دليلًا على مدى الجرم الذي ارتكبه المستشرقون ، وهم يعرضون لسيرة النبي محمد ﷺ ، رغم أنهم يدَّعون الالتزام بالموضوعية ، وذكر الحقائق مجردة ، وهذا ليس بغريب على من حذرنا اللَّه منهم ، بقوله سبحانه : ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة : ١٣] .

بقي علينا الآن استعراض **الدروس المستفادة من هذه الغزوة** ، وقد جاء الدور على محمود ؛ ليعرض لنا هذه الدروس .

محمود : الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ، لقد استطاع خالد بن الوليد ﷺ أن ينقذ الجيش الإسلامي من الهلاك الجماعي ؛ فوضع خطة أوهمت العدو أن مددًا قد ورد إلى الجيش الإسلامي ، وذلك بأن قام بتغيير مراكز المجاهدين في السَّرية ، وفي أثناء تبديل المواقع أمر الخيل بعمل جلبة قوية وضجة عالية ، ثم حمل على العدو عند الفجر بهجمات سريعة قوية ؛ ليدخل في روعه أن إمدادات كثيرة وصلت إلى المسلمين .
وبفضل اللّه نجحت الخطة ؛ إذ إن الروم قد أيقنوا أن جيشًا جديدًا للمسلمين قد نزل إلى ميدان المعركة ، في نفس الوقت الذي لم يكن قد غاب عن ذاكرتهم الخسائر الفادحة التي أنزلها المسلمون بقوات الروم في اليوم السابق . وقد فت ذلك في عضد الروم وحلفائهم ، وأدركوا أن إحراز نصر على جيش المسلمين مستحيل ، فتخاذلوا وضعف نشاطهم واندفاعهم في الضغط على جيش المسلمين ، فانتهز خالد بن الوليد الفرصة وباشر الانسحاب ، وكانت عملية التراجع التي قام بها خالد في أثناء المعركة من أكثر العمليات في التاريخ العسكري مهارة ونجاحًا ؛ وصدق اللّه القائل : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، ويمكن القول أن خالد بن الوليد بخطته تلك قد أنقذ اللّه على يديه المسلمين من هزيمة ساحقة وقتل محقق ، وأن انسحابه كان قمة النصر حيث يكون الانسحاب في ظروف مماثلة أصعب من مواصلة القتال .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، هل يمكن أن نقول إن معركة مؤتة هي خطوة عملية قام بها النبي ﷺ للقضاء على دولة الروم ، وهز هيبتها في قلوب العرب ؟ .

الوالد : نعم . هل لك يا أحمد أن تقدم لنا درسًا آخر ؟ .

أحمد : لقد قدم لنا الصحابي الجليل ثابت بن أَقْرَم درسًا عظيمًا في التجرد والإيجابية .
وتمثلت الإيجابية في إقدامه – رغم خطورة الموقف بعد مقتل القائد الثالث عبد اللّه بن رواحة – على رفع الراية قبل أن تسقط من يد الشهيد الثالث ، ويبدو التجرد حينما قال له إخوانه المجاهدون : « أنت أميرنا » أي أنت قائد الجيش ، بعد مقتل القائد الثالث الشهيد ، ولكنه رفض لا لخوف أو لعجز ، ولكنه رأى أن خالد بن الوليد أكفأ منه لهذا العمل ، فأعطاه الراية ليقود سرية مؤتة . إن ثابتًا لم يكن عاجزًا عن قيادة المسلمين ، وخاصة أنه من المجاهدين الذين حضروا غزوة بدر الكبرى ، ولكنه رأى من الظلم ومن

الحيف أن يتولى مسئولية القيادة ، وفي المسلمين من هو أجدر بها منه ، حتى لو لم يمض على إسلامه ثلاثة أشهر (يقصد خالد بن الوليد) .

إنه درس لمن يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة والأمينة والصادقة والعليمة والقوية ، والقدرات الفذة ؛ لحرمانها من تولي المسئوليات ؛ خوفًا على مكانتهم وامتيازاتهم الشخصية وأطماعهم الدنيوية .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، إن هناك درسًا مهمًا من غزوة مؤتة ممكن أن يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة الآن ، ونحن نربيها على منهج المقاومة والجهاد ، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا أمام أخس شعوب الأرض يرجع إلى التفوق التقني للعدو ، وحسن إعداده للمعركة . لقد سجل أحد المؤرخين الثقات رأيه في المعركة : هذا عظيم جدًا أن يتقاتل جيشان ، أحدهما الفئة التي تقاتل في سبيل اللَّه عدتها ثلاثة آلاف ، وأخرى كافرة عدتها مائة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ؛ ثم مع هذا كله لا ويقتل من المسلمين إلا اثنا عشر قتيلًا ، وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول : « قد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقيت في يدي غير صفيحة يمانية » . فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها ؟ .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد قبل أن نختم هذا اللقاء أود أن أعرض بتركيز شديد على سير الشهداء ، وصفاتهم التي تؤكد أن حياتهم كلها جهاد في سبيل اللَّه ، وأنهم جديرون بفضل اللَّه عليهم ، واصطفاهم للشهادة ، وقد ذكر فضلهم الإمام الحافظ ابن كثير :

- زيد بن حارثة [١] : استشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة .

تقول عائشة رضي الله عنها : ما بعثه رسول اللَّه ﷺ في سرية إلا أمَّره عليهم ، ولو بقي لاستخلفه بعده ، والدليل على صدق عائشة رضي الله عنها شهادة صحابي هو سلمة بن الأكوع ، يقول : غزوت مع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمره علينا رسول اللَّه ﷺ .

وقال عنه رسول اللَّه ﷺ : « **وايم اللَّه ، إن كان لخليقًا للإمارة** » .

ولما أتى خبر استشهاد جعفر وزيد بن حارثة ، بكى رسول اللَّه وقال : « **أخواي ومؤنساي ومحدثاي** » وشهد له بالشهادة .

أسامة : وكذلك جعفر بن أبي طالب [٢] ابن عم رسول اللَّه ﷺ ، وأخو علي بن أبي طالب ؛ لكنه أسنُّ منه بعشر سنين ، وأشبه الناس به خُلُقًا وخَلْقًا .

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٤٨٠ - ٤٨٣) . (٢) المرجع السابق (ص٤٨٣ - ٤٨٦) .

استشهد وهو ابن تسع وثلاثين .

أسلم بعد واحد وثلاثين إنسانًا ، له هجرتان هجرة إلى الحبشة ، وهجرة إلى المدينة المنورة . وكان رسول اللَّه ﷺ يسميه أبا المساكين ، وعلى مثل جعفر فلتبك البواكي . وهو أول من عقر فرسه في الإسلام ، ووجد به عند استشهاده بضع وسبعون جراحة ، ما بين جرح بسيف وطعنة برمح ، كلها فيما أقبل من بدنه ، عرض عليه الماء قبل أن تصعد روحه إلى بارئها ، فقال : إني صائم ضعوه في ترسي ؛ عند رأسي فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت ، فمات ﷺ لساعة قبل غروب الشمس شهيدًا .

● وكذلك عبد اللَّه بن رواحة [١] خال النعمان بن بشير شهد بيعة العقبة وبدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء ، والمشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ إلا فتح مكة وما بعده ؛ لاستشهاده سنة ٨هـ . دعا له رسول اللَّه ﷺ : « **زادك اللَّه حرصًا على طواعية اللَّه وطواعية رسوله** » ، كان من الشعراء الذين ينافحون عن رسول اللَّه ﷺ .

سأله رسول اللَّه ﷺ مرة : « **قل شعرًا تقتضبه اقتضابًا** (ارتجالًا) **وأنا أنظر إليك** » .

فقال :

إني تفرست فيك الخير أعرفه	واللَّه يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبي ومن يحرم شفاعته	يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت اللَّه ما آتاك من حسن	تثبيت موسى ونصرًا كالذي نُصروا

فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **وأنت ثبتك اللَّه يا ابن رواحة** » فثبته اللَّه أحسن الثبات فقتل في مؤتة شهيدًا [٢] .

قال أبو الدرداء ، عويمر بن عامر بن قيس بن أمية الخزرجي الأنصاري : أعوذ باللَّه أن يأتي عليّ يومٌ لا أذكر فيه عبد اللَّه بن رواحة ، كان إذا لقيني مُقْبِلًا ضرب بين ثَدْيَيَّ ، وإذا لقيني مدبرًا ضرب بين كتفي ثم قال : يا عويمر اجلس فلنؤمن ساعة ، فأقول له : أو لسنا بمؤمنين ؟ فيجيب ابن رواحة : بلى ، ولكننا نذكر اللَّه فنزداد إيمانًا فنجلس فنذكر اللَّه ما شاء . ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الإيمان ، فقال ﷺ : « **رحم اللَّه ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة** » .

وكان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، وإذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٨٦) . (٢) المرجع السابق (ص٤٥٧) .

وكان صوامًا ، يقول أبو الدرداء ﷺ : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد ، حتى إن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة .

لما حضر خروج جيش مؤتة ، ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم ، فلمّا ودع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع ، بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حُب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] . فلست أدري كيف بالصَّدر بعد الورود [١] .

فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرغٍ [٢] تقذفُ الزبدا
أو طعنة بيدي حران مُجهِزَةً بحربةٍ تُنفِذُ الأَحشاءَ والكبدا
حتى يُقال إذا مروا على جَدَثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

الوالد : جزاكم الله خيرًا يا أبنائي ، وجزاكي الله خيرًا يا أم محمد ، والآن نعرض في نهاية هذا اللقاء **لسرية عقد لواءها رسول الله ﷺ** ، **لعمرو بن العاص** ، في ثلاثمائة مقاتل من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرسًا ، وأمره أن يستعين بمن مر به من قبائل : بَليّ وعذرة وبلقين ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٨هـ / ٦٢٩م .

وكان الهدف من هذه السرية الاتصال بالقبائل العربية التي تقطن مشارف الشام ، وتحالفت مع قوات الاحتلال الأوربي الرومي البيزنطي ضد الأمة العربية والإسلامية ، وذلك بهدف تأليف قلوبهم ، ومنع تحالفهم في قابل الأيام مع الروم ، وتأديب المتمردين منهم .

واختار رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ﷺ لهذه المهمة ؛ لأن أم ابنه كانت امرأة من بَلي ليستألفهم . وهناك احتمال أن السرية خرجت لمواجهة جمعٍ من قضاعة ، كانوا يريدون مهاجمة أطراف المدينة المنورة . وخرج المسلمون وكانوا يسيرون بالليل ، ويكمنون بالنهار ؛ حتى لا يحس بهم العدو .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٥٦) .

(٢) فرغ : ذات سعة ، والزبدا : رغوة الدم .

سلمان : معذرة يا جدي ، ما معنى السلاسل ؟ وأين تقع ؟ .

الوالد : ماء ذات السلاسل من أرض جذام - بضم السين ، وفتحها - موقع وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام ، فلما وصل عمرو بن العاص إلى هذا الموقع ، خشي من كثرة عدوه ، نتيجة المعلومات التي حصل عليها نتيجة عمل أجهزة استخباراته ، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من المجاهدين من سراة المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو ، وأن يكونا جميعًا ولا يختلفا .

فلما لحق المدد بجيش عمرو أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ، فقال عمرو : إنما قدمت علي مددًا ؛ فأطاعه أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس .

وواصلت السرية سيرها ، وقامت بمطاردة القبائل العربية الموالية لقوات الاحتلال الرومي ، فتوغلوا في ديار بلي وعذرة وبلقين وطيئ ، وكلما انتهوا إلى موقع فرت القبائل التي كانت فيه ، واستطاع المجاهدون المسلمون مرة واحدة الاصطدام بجموع من القبائل العربية التي فرت لا تلوي على شيء . وبذلك نجحت سرية ذات السلاسل في تشتيت جموع القبائل العربية بأرض الشام ، وأعادوا هيبة المسلمين إلى نفوس القبائل القاطنة هناك .

الأولاد : معذرة يا جدي ، لقد أتخمنا في هذا اللقاء بالمعلومات ، ونعتقد أنه لا بد من فترة ندون ما لدينا من معلومات ، بشأن هاتين السريتين على أن يكون لنا لقاء آخر إن شاء الله .

الوالد : جزاكم الله خيرًا ، أعتقد أن هذه الجرعة تكفي ؛ لأن كثرة العلم مضلة الفهم ، على أمل أن نلتقي بكم في لقاء قادم إن شاء الله ، نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● أين تقع مؤتة ؟ ما هي أسباب عقد لواء سرية مؤتة ؟ ومتى ؟ وكم كانت عدد أفراد هذه السرية ؟ .

● عين رسول اللَّه ﷺ زيد بن حارثة قائدًا للسرية ، ثم حدد القائد الثاني في حالة استشهاد القائد الأول ، ما السبب في ذلك ؟ وهل كان لذلك أثر في معنويات قيادة السرية ؟ .

● اكتب مذكرات مختصرة عن :

● زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد اللَّه بن رواحة ﷺ ، واذكر قصة استشهاد كلٍّ منهم .

● من هو الحارث بن عمير الأزدي ؟ من الذي قتله ؟ .

● هل كانت بلاد الشام بما في ذلك مؤتة حرة مستقلة ، أم أنها كانت تحت الاحتلال الأجنبي ؟ .

● كم جنديًا حشد الروم لمواجهة جيش المسلمين في مؤتة ؟ ومن كان يعاونهم من القبائل العربية ؟ .

● حينما شاهد المسلمون ضخامة الجيش الرومي ، ومعها نصارى الشام - اقترح البعض منهم استشارة الرسول محمد ﷺ : هل يقاتلون الروم أم ينسحبون ، ما هو القرار الذي اتخذه المسلمون ؟ .

● كم شهيدًا قدم المسلمون في هذه الغزوة ؟ .

● من الذي تسلم الراية بعد مقتل عبد اللَّه بن رواحة ﷺ ، وعلى من اصطلحوا ؟ .

● ما هي الخطة التي اقترحها ونفذها القائد الرابع لسرية مؤتة خالد بن الوليد ﷺ ؛ للخروج من مأزق المواجهة ؟ .

● لماذا عجزت الأمة العربية قبل بعثة محمد ﷺ عن مقاومة الاحتلال الرومي ، وإخراجه من أطراف الجزيرة العربية وبلاد الشام ؟ .

● كيف تمكن المسلمون بعد بعثة محمد ﷺ من كسر شوكة وهيبة دولة الاحتلال الرومية ، ومواجهتها في معارك ضارية ، وطردها في النهاية من بلاد الشام على عهد الخلفاء الراشدين ؟ وما هي الدروس المستفادة من هذا الحدث الضخم ، وهو تحرير

الأوطان والمقدسات بعد سبعمائة سنة من الاحتلال ؟ ألا يمكن أن يعطينا ذلك الأمل في مواجهتنا اليوم للعدوان الصهيوني الغربي على فلسطين البيت المقدس ، والوطن الإسلامي ؟ .

● المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، ما هو موقف المسلمين بقيادة النبي ﷺ من أولاد جعفر بن أبي طالب ، وزوجه بعد وفاة أبيهم ؟ أليست هذه صورة من صور التكافل التي يمكن أن تطبقها الأمة الآن مع أسر الشهداء في فلسطين ، وغيرها من بلاد الإسلام ؟ .

● وصف الرسول ﷺ وهو في المدينة المنورة ، معركة مؤتة ، رغم أنها وقعت على أرض الشام ، هل من تبرير ؟ وهل قبل المستشرقون هذه الرواية ؟ ما السبب ؟ ألا يعني ذلك أنه يجب علينا ألا نعتمد على كتابات المستشرقين ، فيما يتعلق بتاريخ الأمة الواحدة ، وألَّا نسمح لأبنائنا أن يتتلمذوا على أيديهم ؟ .

● اكتب مذكرات عن سرية ذات السلاسل .



اللقاء السادس والثلاثون

الفتح الأعظم : الصحابة بقيادة رسول الله ﷺ يُحررون مكة والبيت العتيق من قبضة المشركين [1] (رمضان سنة ٨هـ / ٦٢٩م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ،

هذا هو لقاؤنا السادس والثلاثون حول فتح مكة ، وتحريرها من قبضة المشركين ، ونصرة خزاعة التي تعرضت للعدوان من قبل بني بكر ، في حرم الله الآمن .

وقد ورد عن ابن القيم في كتابه : زاد المعاد : « هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدًى للعالمين ، من أيدي الكفار والمشركين » .

وقبل أن نعرض للتفاصيل أتمنى أن تكونوا قد قرأتم ما كتبه الإمام ابن قيم الجوزية في : زاد المعاد ، وابن كثير في : السيرة النبوية ، والإمام الذهبي في : المغازي ، وما كتبه محمود شيت خطاب في كتابه : الرسول القائد ، وما كتبه غيرهم عن فتح مكة .

الأولاد بصوت واحد : نعم ، وجزاك الله خيرًا يا جدي على هذا الخير الذي دللتنا عليه .

الوالد : وجزاكم ، وأدعو الله ﷻ أن تنتفعوا بما قرأتم ، والآن نبدأ الحوار .

بلال : معذرة يا جدي ، لم أستطع أن أقرأ كل ما كتب عن فتح مكة في المراجع المذكورة .

سارة : وأنا أيضًا ، يا جدي .

سلمان : وأنا أيضًا وأعتذر عن ذلك .

الوالد : واضح أن قطاعًا منكم لم يقرأ ، ولعل ذلك مرده إلى صعوبة الموضوع ، على كلٍّ سنحاول أن نعرض هنا لفتح مكة بالتفصيل ، وسأقوم بطرح الأسئلة لإلقاء الضوء على هذا الحدث العظيم الذي وقع بعد إحدى وعشرين سنة من بعثة النبي محمد ﷺ ، وبعد سبع سنوات من هجرته ﷺ .

---

(١) الرسول القائد (ص٢٢٣ - ٢٦٦) فتح مكة (الفتح الأعظم) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٤٥ - ١٥٥) والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٢٦ - ٥٨٦) ، والمغازي الذهبي (ص٥٢١ - ٥٦٦) .

والسؤال الذي نطرحه الآن : متى تم فتح مكة ؟ وما هي الأسباب التي دفعت الرسول محمدًا ﷺ إلى التحرك في هذا الوقت بالذات ؛ لفتح مكة وتحريرها ممن غلب عليها من المشركين ؟ .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي في الإجابة ، السبب المباشر لهذه الغزوة أن قبيلة خزاعة حلفاء النبي ﷺ بعد صلح الحديبية (٦هـ /٦٢٧م) - تعرضوا لعدوان من قبيلة بني بكر حلفاء قريش . وتفصيل الخبر أن نوفل بن معاوية الدِّيلي خرج في جماعة من بني بكر في شهر شعبان سنة ٨هـ - /٦٢٩م ، فأغاروا على قبيلة خزاعة ليلًا ، وهم على ماء يقال له الوتير ، فأصابوا منهم رجالًا ، فتناوشوا واقتتلوا ، وأعانت قريش بني بكر بالسلاح والرجال مستغلين ظلمة الليل ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر : « يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك » فقال المجرم كلمة عظيمة : « لا إله اليوم يا بني بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمري أنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم ؟ » [1] .

سمية : إنهم مجرمون يا عمي أسامة ، يستهينون بحرم اللَّه الآمن ، وبيت اللَّه العتيق الذي جعله اللَّه عتقًا من الجبابرة ، الحرم الذي لا يختلى خلاه ، ولا تلتقط لقطته إلا للتعريف ، الذي يأمن فيه كل شيء : الإنسان والصيد والنبات ، والذي نظر إلى الكعبة فيه رسول اللَّه ﷺ مخاطبًا : « **ولدم امرئ مسلم أعز على اللَّه منك** » .

أين دعوة إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ، أين الأمن والأمان ؟ .

أسامة : جزاك اللَّه خيرًا يا سمية ، وهذا الذي حدث من انتهاك لحرمة حرم اللَّه الآمن وإهدار لحرمة الإنسان - هي التي دفعت النبي محمدًا ﷺ إلى إعلان الاستنفار العام لقوات المجاهدين لفتح مكة ؛ تطهيرًا للبيت من المشركين ، ونصرةً للمظلومين وتجهيز البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود .

احمد : لو أذنت لي يا أسامة ، أيضًا أذكر بأن الوقت كان قد حان ؛ لتطهير حرم اللَّه الآمن من أهل الشرك ، وتهيئة البقعة المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة ، وعدم الحيلولة بين الناس وبين زيارة البيت العتيق . بالإضافة إلى ذلك لإزالة العقبة الكؤود من وجه الدعوة الإسلامية ؛ لأنه بعد صلح الحديبية قد تم القضاء على أوكار الدس والخيانة والغدر اليهودية في المدينة المنورة ، كما أمكن للدولة الإسلامية السيطرة على القبائل

---

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٢٨) المغازي ، الذهبي (ص٥٢٢) .

العربية شمال المدينة المنورة حتى حدود العراق والشام ، وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها ، وأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أي قوة في بلاد العرب ، ولم يبق من عقبات في وجه الدعوة الإسلامية إلا مشركو قريش .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أحمد ، فعلًا هذه هي مجموعة الأسباب التي أدت بالمسلمين للتحرك لفتح مكة . ولا يفوتنا أن نذكر أن السبب الرئيسي هو خرق قريش للهدنة التي قدرها صلح الحديبية لمدة عشر سنوات بينها وبين الدولة الإسلامية الوليدة ، بعد ثمانية عشر شهرًا (١) .

عمار : لو أذنت لي يا عمي أسامة ، ماذا فعلت قبيلة خزاعة عندما وقع عليها العدوان في الحرم الآمن ؟ .

أسامة : أسرع عمرو بن سالم الخزاعي ، حتى قدم على رسول اللَّه ﷺ بالمدينة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد محمدًا ... حلف أبيه وأبينا الأتلدا (٢)
قد كنتم وُلْدًا وكنّا والدًا (٣) ... ثُمَّت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول اللَّه نصرًا أبدا ... وادعُ عباد اللَّه يأتوا مددا
فيهم رسول اللَّه قد تجرَّدا ... إن سيم خَسْفًا وَجْهُهُ تَربَّدا
إن قريشًا أخلفوك الموعدا ... في فَيلَق كالبحر يجري مُزْبدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ... وجعلوا لي في كَدَاءٍ رَصَدَا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدًا ... فهم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بَيَّتُونا بالوَتِير هُجَّدا ... وقتلونا رُكَّعًا وسُجَّدا (٤)

فقال رسول اللَّه ﷺ عند سماعه هذه الرسالة : « **نصرت يا عمرو بن سالم الخزاعي** » (٥) .

---

(١) المغازي الذهبي (ص٥٢١ - ٥٢٢) ، والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٢٦) ، وزاد المعاد (ص١٦٠) .
(٢) الأتلد : القديم يشير إلى الحلف الذي كان بين خزاعة وبين بني هاشم منذ عهد عبد المطلب .
(٣) يشير إلى أم عبد مناف - وهي حبي زوجة قصي ، كانت من خزاعة .
(٤) يقول : قتلنا وقد أسلمنا .
(٥) المغازي (ص٥٢٣) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٢٧) .

عمار : جزى اللّه عنا رسول اللّه محمدًا ﷺ خير الجزاء ، الذي علم البشرية أن نصرة المظلوم فريضة ، والذي علم البشرية أن الظلم وإهدار دماء الإنسانية واستحلال أعراضها – جريمة تستحق تحرك المجاهدين لنصرة المظلوم ، والانتقام من الظالم ، وليس هذا بغريب على رسول ﷺ الذي يقول : « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » .

أسامة : جزاك اللّه خيرًا يا ابن أخي .

جنة : لو أذنت لي يا عمي أسامة ، لقد قرأت أن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِي هو الذي خرج في نفر من خزاعة ، واستغاث برسول اللّه ﷺ .

أسامة : نعم يا جنة ، عمرو بن سالم الخزاعي ، وبديل بن وَرْقَاء الخزاعي ، هما اللذان استغاثا برسول اللّه ﷺ وكان على رسول الإسلام ﷺ أن يستجيب لنداء المظلومين المقهورين الذين سفكت دماؤهم في بلا اللّه الحرام ، ويعد العدة لتحرير هذا البلد الحرام ، والمسجد الحرام من قبضة المشركين الظالمين سفاكي الدماء .

منى : هل عرفت قريش يا عمي أسامة ، أنها بمناصرتها لبني بكر على خزاعة ، قد نقضت عهدها الذي وقعته مع رسول اللّه ﷺ في الحديبية ؟

أسامة : نعم يا منى ، ولهذا السبب تحركت قريش على الفور لمعرفة موقف الرسول محمد ﷺ ومحاولة الاعتذار له عما وقع منها ، والدليل على ذلك تحذير رسول اللّه ﷺ لوفد خزاعة : « **كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يشد في العقد ويزيد في المدة** » . وبينما وفد خزاعة بقيادة بديل بن ورقاء الخزاعي ماضون إلى مكة ، لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان وقد بعثته قريش إلى رسول اللّه ﷺ ؛ ليشد العقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا .

سمية : معذرة يا عمي أسامة أليس هذا دليلًا أن الوحي يقود خطى النبي ﷺ في المعركة الدائرة بينه ، وبين أهل الباطل ، وأنه ما ينطق عن الهوى ؟ .

أسامة : تمامًا يا سمية ، ولهذا نبه النبي ﷺ على وفد خزاعة عند انتهاء زيارته : « **إذا سئلتم عن زيارتي وما دار بيننا من حديث ، فلا تخبروا أحدًا بذلك** » .

وقد حدث ما توقعه رسول اللّه ﷺ ؛ فقد سأل أبو سفيان وهو في طريقه إلى المدينة المنورة ، بديل بن ورقاء الخزاعي (وهو راجع من المدينة) : « من أين أقبلت يا بديل ؟ » ، فقال بديل : « سرت في خزاعة في هذا الساحل » قال أبو سفيان : «أو ما جئت محمدًا؟ » ، قال بديل : « لا » .

ولكن هذه الإجابة لم تشف غليل أبي سفيان ، والدليل على ذلك أنه شك في كلام بديل ، فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان : « لئن كان بديل جاء المدينة ، لقد علف بها النوى » فأتى مَبْرَكَ راحِلته فأخذ من بعرها فَفَتَّه ، فرأى فيها النَّوى ، فقال : « أحلف باللَّه لقد جاء بديل محمدًا » [1] .

وقدم أبو سفيان المدينة يسعى إلى مقابلة النبي ﷺ ، ولكنه لم يجرؤ على التوجه إليه مباشرة ، فدخل على ابنته أم حبيبة .

سارة : من أم حبيبة يا عمي أسامة ؟ .

أسامة : زوجة الرسول محمد ﷺ . ولما ذهب أبو سفيان في بيت ابنته ؛ ليجلس على فراش رسول اللَّه ﷺ ، طوته عنه ، فقال أبو سفيان : « يا بنية ، أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ » .

قالت أم حبيبة رضي الله عنها : « بل هو فراش رسول اللَّه ﷺ وأنت رجل مشرك نجس » ، فقال أبو سفيان : « واللَّه لقد أصابك يا بُنَية بعدي شر » ، فقالت : « بل هداني اللَّه تعالى للإسلام ، وأنت تعبد حجرًا لا يسمع ولا يبصر » .

ياسر : لو أذنت لي يا أسامة ، هذا ليس بمستغرب من أبي سفيان ؛ لأنه لم يذق طعم الإسلام ، ولم يعرف معنى الولاء والبراء ، ولم يدرك أن ولاء ابنته أم المؤمنين أم حبيبة ، لم يكن لأبيها ، ولكنه كان للَّه ولرسوله وللمؤمنين .

أسامة : جزاكم اللَّه خيرًا .

ثم خرج أبو سفيان من عند ابنته ، حتى أتى رسول اللَّه ﷺ فكلمه ، فلم يرد عليه شيئًا .

ثم ذهب إلى أبي بكر فكلمه ، ثم ذهب إلى عمر فكلمه ، فقال عمر لأبي سفيان : « أنا أشفع لكم إلى رسول اللَّه ﷺ ، فواللَّه لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، للَّه درك يا ابن الخطاب ، يا من كنت وفيًا لما تعلمته في مدرسة الإسلام ، وعلى لسان رسول اللَّه ﷺ : « **إن أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللَّه والمعاداة في اللَّه ، الحب في اللَّه والبغض في اللَّه** » !

هل يمكن أن تكمل يا محمود ؟

محمود : نعم إن شاء اللَّه يا أبي .

---

(١) المغازي ، (ص٥٢٤ - ٥٢٨) ، والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٢٩ - ٥٣٠) ، وزاد المعاد ، (ص١٦١) .

لقد ذهب أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فاستأذن عليه ، وعلى زوجه فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يدب بين أيديهما ، فقال أبو سفيان : « يا علي إنك أمسُّ القوم بي رحمًا ، وإني قد جئتك في حاجة ، فلا أرجعن كما جئت خائبًا ، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » [1] .

سلمى : سبحان الله ! أبو سفيان يرجو عليًا أن يشفع له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ سبحان من أعز أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام !

محمود : نعم يا سلمى ، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ويحك يا أبا سفيان ، لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نُكلمه فيه » ، فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة ، فقال : هل لك أن تأمري بُنيّك هذا ، فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

فقالت فاطمة رضي الله عنها : « والله ما بلغ بُنيّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

منى : جزاك الله خيرًا يا أبا نور الدين ، لعل فاطمة هنا رضي الله عنها بهذه الكلمات كانت تؤمن وتوقن أن الإسلام سيعلو وينتصر ، وسيذل الله الشرك وأهله .

محمود : نعم ، وحينذاك سأل أبو سفيان علي بن أبي طالب ، في هلع وانزعاج ويأس وقنوط : « يا أبا الحسن إني أرى الأمور قد اشتدت عليَّ فانصحني » . قال علي رضي الله عنه : « والله ما أعلم شيئًا يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك » فقال : أو ترى ذلك مغنيًا عني شيئًا ؟ .

قال علي رضي الله عنه : « لا والله ما أظن ، ولكن لا أجد لك غير ذلك » .

فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : « أيها الناس إني قد أجرت بين الناس » [2] . ثم ركب بعيره ، فانطلق عائدًا إلى مكة ، فلما قدم على قريش سألوه عن نتيجة المهمة التي قام بها ، أخبرهم أنه قد فشل في مهمته .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود .

فقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يمكث بعد ما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ

---

(١) المغازي (ص٥٢٤) والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٣٠) ، ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص١٤٧) ، وزاد المعاد (ص١٦١) .

(٢) المغازي (ص٥٢٤ - ٥٢٥) ، والسيرة النبوية (ج٣ ص٥٣١ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥) ، ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص١٤٩) .

في الجهاز ، وأمر عائشة أن تجهزه ، وتخفي ذلك .

ثم خرج رسول اللَّه ﷺ إلى المسجد ، فدخل أبو بكر ﷺ على عائشة ، فوجد عندها حِنْطة تُنسف وتنقّى فقال لها : يا بنية لِمَ تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت .

فقال : أيريد رسول اللَّه ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت .

فقال : يريد بني الأصفر - وهم الروم - ؟ فصمتت .

قال : فلعله يُريد أهل نجد ؟ فصمتت .

قال : فلعله يريد أهل قريش ؟ فصمتت .

وفي هذه اللحظة دخل رسول اللَّه ﷺ ، فقال له أبو بكر ﷺ : يا رسول اللَّه ، أتريد أن تخرج مَخْرَجًا ؟ قال : نعم .

قال أبو بكر : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : لا .

قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : لا .

قال : فلعلك تريد قريشًا ؟ قال : نعم .

قال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، أليس بينك وبينهم مدة ؟

قال : ألم يَبْلغك ما صنعوا ببني كعب [(١)] .

نهال : للَّه درك يا أم المؤمنين ! إنها تقوم بتجهيز وإعداد مهمات رسول اللَّه ﷺ ، لميدان القتال والجهاد والنزال ، وحينما سألها أبوها عن السبب ، قالت : ما أدري ؛ لأنها تعلمت في مدرسة الإسلام أنه ليس لها أن تفشي سر رسول اللَّه ﷺ ولو لوالدها . هذه واحدة ، أما الثانية فإن أم المؤمنين استحت أن تسأل رسول اللَّه ﷺ عن سبب طلب تجهيز مهماته ، وهذا متوقع في حق أم المؤمنين التي تعلمت من رسول اللَّه ﷺ ، وتربت على توجيهاته : ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة : ١٠١] وقوله ﷺ : « **ذروني ما تركتكم** » .

الوالد : تمامًا يا أم سلمى ، فجزى اللَّه أم المؤمنين خير الجزاء ، التي أحسن اللَّه تربيتها على يد أبيها أبي بكر وزوجها رسول اللَّه ﷺ ، التي وعت سنة النبي محمد ﷺ ، فأدتها أعظم ما يكون الأداء ، والتي علمتنا كما تبين لنا أهمية

(١) المرجع السابق .

حفظ سر زوجها رسول الله ﷺ . ومن الواضح أيضًا أن أبا بكر ﷺ كان حائرًا ، كان يشعر أن هناك شيئًا عظيمًا سيحدث ، ولكن لا يدري ما هو ، ولم يستطع أن يدرك هذا الأمر من خلال أسئلته التي طرحها على ابنته ، في بيت الرسول القائد ﷺ . ولكن حيرة أبي بكر ﷺ لم تطل كثيرًا ، فقد أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة ، وأمر بالجد والتهيؤ ثم دعا الله ﷻ : « **اللَّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها** » .

لكن حدث أمر لم يكن في الحسبان ، وهو أن صحابيًا من أهل المدينة هو حاطب بن أبي بلتعة ، كتب إلى قريش كتابًا يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم ، ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلًا على أن تبلغه قريشًا ، فجعلته في قرون [(١)] رأسها ، ثم خرجت به باتجاه مكة .

رحمة : لا حول ولا قوة إلا بالله ! أليست هذه خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ؟ وهل وصلت الرسالة إلى قريش يا جدي ؟ وهل علمت بمخرج رسول الله ﷺ ؟ .

الوالد : بفضل الله لم تصل يا رحمة ، لقد نزل الوحي من السماء وأخبر رسول الله ﷺ بما صنع حاطب بن أبي بلتعة ، فانتدب رسول الله ﷺ عليًا والمقداد وقال : « **انطلقا حتى تأتيا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب إلى قريش** » .

فانطلقا (علي والمقداد) تعادى بهما خيلهما حتى وجدا المرأة بذلك المكان الذي حدده رسول الله ﷺ فاستنزلاها ، وقالا : معك كتاب ؟ قالت : ما معي كتاب . ففتشا رحلها فلم يجدا شيئًا .

فقال علي للمرأة : « أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ، ولا كذبنا ، والله لتخرجن الكتاب أم لنجردَّنك (لنقلعن الثياب) ، فلما رأت المرأة الجد منه ، قالت : « أعرض » فأعرض علي والمقداد ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليهما [(٢)] . فأتيا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : « من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم » .

رحمة : هل يمكن أن نتعرف على نص الرسالة يا جدي ؟ .

الوالدة نعم « إن رسول الله ﷺ قد أذن بالغزو ، ولا أراه إلا يريدكم ، وقد

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٢) فتح مكة (الفتح الأعظم) (ص٣٩) .

(٢) المغازي (ص٥٢٥ - ٥٢٦) ، والسيرة النبوية (ج٣ ص٥٣٦ - ٥٣٧) .

أحببت أن تكون لي يد بكتابي إليكم » فدعا رسول اللَّه ﷺ حاطبًا فقال : « **ما هذا يا حاطب ؟** » ، فقال : لا تعجل علي يا رسول اللَّه ، واللَّه إني لمؤمن باللَّه ورسوله ، وما ارتددت ولا بدلت ولكني كنت امرءًا ملصقًا في قريش لست من أنفسهم ، ولي فيهم أهل وعشيرة ، وولد ، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم ، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي .

فقال عمر بن الخطاب ﷺ : دعني يا رسول اللَّه أضرب عنقه ؛ فإنه قد خان اللَّه ورسوله وقد نافق .

فقال ﷺ : « **إنه** (أي حاطبًا) **قد شهد بدرًا ، وما يدريك يا عمر لعل اللَّه اطلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** » .

فذرفت عينا عمر ، وقال : اللَّه ورسوله أعلم .

فأنزل اللَّه سورة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

جنة : جزى اللَّه رسول اللَّه ﷺ خيرًا عن موقفه من الصحابي ، حاطب بن أبي بلتعة ، الذي أخطأ واعتذر فغفر له زلته .

ولكن الشيء الذي يلفت النظر يا جدي أن نزول الوحي جبريل ﷺ يحذر رسول اللَّه ﷺ ، مما فعل حاطب ، وما ترتب عليه من القبض على المرأة ، والعثور على الرسالة - دليل على أن اللَّه ﷻ هو الذي يقود المعركة بين أهل الحق بقيادة النبي محمد ﷺ ، وبين أهل الباطل من فوق سبع سماوات . فهنيئًا لأهل الإسلام بمنة اللَّه عليهم : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا جنة ، هل لك يا أسامة أن تحدثنا عن تشكيلات الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ ، وقوة قريش التي تصدت لهذا الجيش ؟ .

أسامة : نعم ، لقد خرج رسول اللَّه ﷺ في عشرة آلاف مقاتل من المدينة المنورة لعشر خلون من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة / ٦٢٩م وكان الجيش مؤلفًا من الأنصار والمهاجرين وبني سليم ومزينة وغطفان وأسلم وجهينة ، وكثير من القبائل

الأخرى ، في عدد وعدة ، لم تعرفه الجزيرة العربية من قبل ، وكلما تقدم الجيش باتجاه هدفه ازداد عدده ، بانضمام مسلمي القبائل التي تسكن على جانبي الطريق من مكة إلى المدينة المنورة ، وعلى الجانب الآخر كان مشركو قريش وبنو بكر ، وكل جماعة منهم لها قائد خاص [١] .

سلمان : من كان يصرف أمور الدولة الإسلامية في غياب رسول اللّٰه ﷺ يا جدي ؟ .

الوالد : لقد استخلف رسول اللّٰه ﷺ أبا رُهم كلثوم الغفاري لهذه المهمة .

محمد : سؤال يا والدي ، هل ظل المسلمون على صيام في شهر رمضان ، رغم أن عندهم رخصة الإفطار ، فاللّٰه يقول : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟

الوالد : واصل الرسول ﷺ والصحابة سيرهم وهم صائمون ؛ حتى بلغوا الكديد بين عسفان وأمج فأفطر ، وأفطر الناس معه ، ثم واصل سيره حتى نزل بمر الظهران [٢] (وادي فاطمة) نزله عشاءً فأمر الجيش ، فأوقدوا النيران ، وجعل رسول اللّٰه ﷺ على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه .

احمد : لكن متى علمت قريش بخبر خروج رسول اللّٰه ﷺ باتجاه مكة ؟ .

الوالد : انتظر قليلًا يا أحمد ، لقد وصل جيش المسلمين مر الظهران على مسافة أربعة فراسخ من مكة ، فعسكر هناك وأمر الرسول ﷺ أن يوقد كل مسلم نارًا حتى ترى قريش ضخامة الجيش دون أن تعرف هويته ، فيؤثر ذلك على معنوياتها ، وتستسلم للمؤمنين دون قتال ، وبذلك يؤمّن رسول اللّٰه ﷺ هدفه في دخول مكة دون إراقة لدماء [٣] .

نور الدين : وهل أوقد المسلمون فعلًا عشرة آلاف نار ؟ .

الوالد : نعم يا علي ، ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد ، فأسرع أبو سفيان بن حرب ، وبُدَيل بن ورقاء الخزاعي ، وحكيم بن حزام ، بالخروج باتجاه النيران ، حتى عرفوا مصدرها ونوايا أصحابها وأهدافهم ، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين ، قال أبو سفيان لصاحبه : « ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا » .

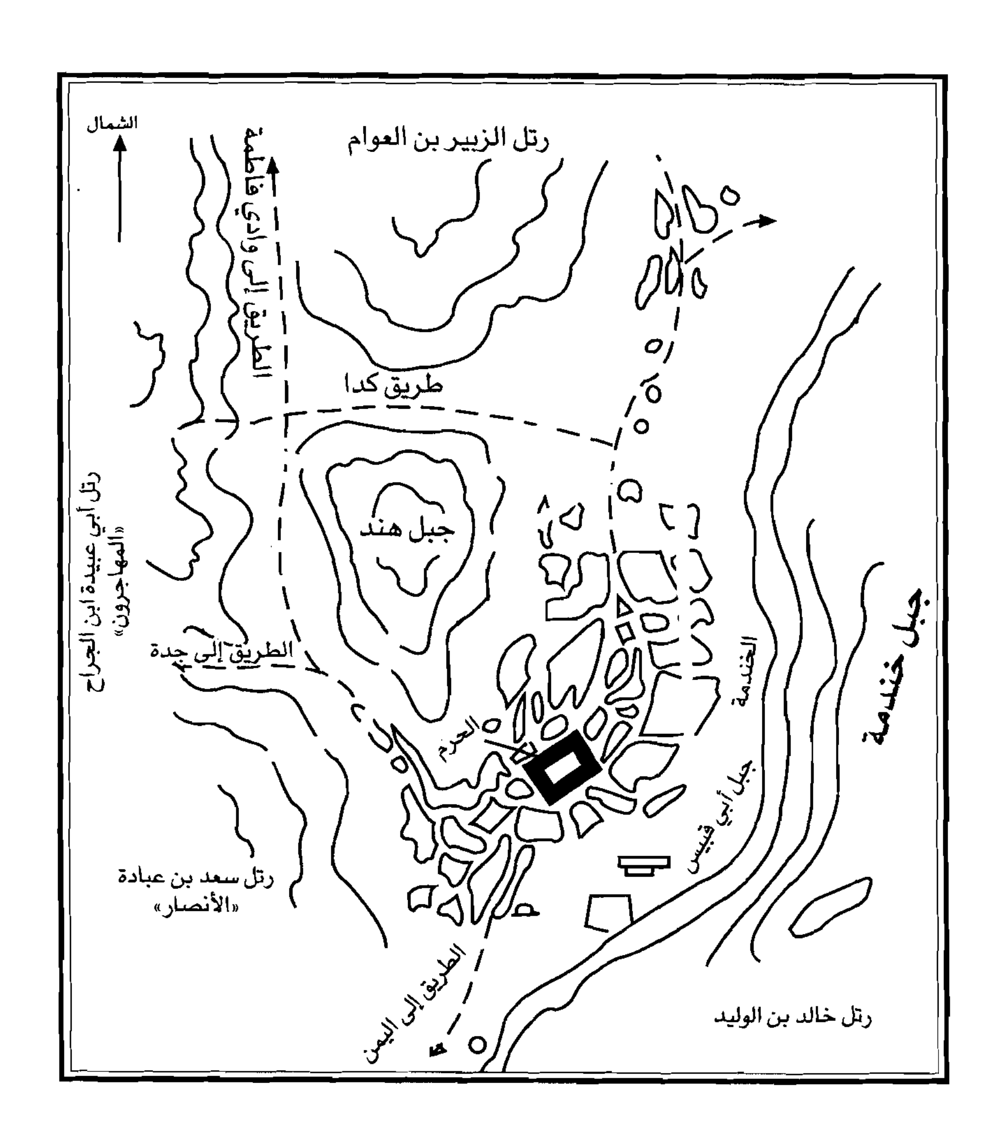
فرد عليه بديل بن ورقاء : « هذه واللّٰه خزاعة خمشتها الحرب » .

---

(١) المغازي (ص٥٢٩) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٤١) .

(٢) المغازي (ص٥٢٧) الفتح الأعظم (ص٥٠ - ٥١) .

(٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٤٨ - ١٤٩) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ١٦٣) .


الشمال
رتل الزبير بن العوام
الطريق إلى وادي فاطمة
طريق كدا
جبل هند
رتل أبي عبيدة ابن الجراح
«المهاجرون»
الطريق إلى جدة
الحرم
الخندمة
جبل خندمة
جبل أبي قبيس
رتل سعد بن عبادة
«الأنصار»
الطريق إلى اليمن
رتل خالد بن الوليد

فتح مكة (١)

فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب ، وقال : « خزاعة أذل من أن هذه نيرانها وعسكرها » .

سلمى : سؤال يا جدي ، ما الحكمة من أن رسول اللّه ﷺ أراد أن يباغت قريشًا ؟ .

الوالد : لأن رسول اللّه ﷺ كان يتمنى ألا تكون حربًا تراق فيها الدماء ، وخاصة في حرم اللّه الآمن ، ولذلك فهو حريص على المباغتة لقهر قريش ، ومنعها من المقاومة حتى لا تسفك دمًا .

محمد : معذرة يا والدي ، أين قابل أبو سفيان العباس عم النبي ﷺ ؟ .

الوالد : خرج العباس عم النبي ﷺ من معسكر المسلمين راكبًا بغلة الرسول ﷺ ؛ ليخبر قريشًا بالجيش الضخم الذي جاء لقتالها ، والتي لا قبل لقريش به ، حتى يؤثر على معنوياتها ويضطرها للتسليم ، دون قتال ، فيحقن بذلك دماءها ويؤمن لها صلحًا شريفًا ، ويخلصها من معركة فاشلة معروفة النتائج سلفًا ، لا يمكن أن يثيرها غير العصبية الجاهلية .

وفي الطريق سمع العباس حديثًا يجري بين أبي سفيان ، وبديل بن ورقاء ، وعرف العباس صوت أبي سفيان فناداه : أبا حنظلة ؟ « فعرف صوتي فقال : أبا الفضل [1] ؟ قلت : نعم ، قال : ما لك فداك أبي وأمي ؟ قلت : هذا رسول اللّه ﷺ في الناس ، واصباح قريش واللّه . قال أبو سفيان للعباس : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قلت : واللّه لئن ظفر بك ؛ ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة ، حتى آتي بك رسول اللّه ﷺ فأستأمنه لك ، فركب خلفي ورجع صاحباه .

قال العباس : « فجئت به (أبي سفيان) ، فكلما مررت به على نار من نيران المؤمنين ، قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول اللّه ﷺ ، وأنا عليها ، قالوا : بغلة رسول اللّه ﷺ وعمه عليها ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال : من هذا ؟ وقام إليه فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سفيان عدو اللّه ؟ الحمد للّه الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتد نحو رسول اللّه ﷺ ، وركضت البغلة فسبقت ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول اللّه ﷺ ، ودخل عليه عمر ، فقال : « يا رسول اللّه هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه » .

قال العباس : « قلت : يا رسول اللّه ، إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول اللّه ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : واللّه لا يناجيه الليلة أحد دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه ،

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٣) .

قلت : مهلًا يا عمر ، فواللَّه لو كان من رجال بني عدي بن كعب (أسرة عمر) ما قلت مثل هذا ، قال عمر : مهلًا يا عباس ، فواللَّه لإسلامك كان أحب إلي من إسلام الخطاب ، لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول اللَّه ﷺ ، من إسلام الخطاب » .

فقال رسول اللَّه ﷺ : « **اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به** » ، فذهبت ، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول اللَّه ﷺ ، فلما رآه قال : « **ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا اللَّه ؟** » ، قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! لقد ظننت أن لو كان مع اللَّه إله غيره ، لقد أغنى عني شيئًا بعد [1] .

قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول اللَّه ؟ » ، قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئًا . فقال له العباس : ويحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، قبل أن تضرب عنقك ، فأسلم وشهد شهادة الحق .

فقال العباس : يا رسول اللَّه إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئًا . قال : « **نعم ، من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن** » .

محمد : سبحان اللَّه ! أعلم أن اللَّه على كل شيء قدير ، أبو سفيان يسلم بعد إحدى وعشرين سنة من بعثة النبي ﷺ ، أبو سفيان ينحاز إلى صف النبي المجاهد بعد إحدى وعشرين سنة من البعثة ؟ صدق اللَّه القائل : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ١٠٠] ، وصدق رسول اللَّه ﷺ القائل : « **إن الإنسان ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** » .

الوالد : نعم يا محمد ليس هذا فحسب ، بل إن أبا سفيان قد حسن إسلامه ، وكان يَتَلَمَّس فيما تبقى من عمره ، مواطن الجهاد لقتال المشركين ، وكم كان له من صولات وجولات ضد الروم البيزنطيين الذين كانوا يحتلون بيت المقدس ، بل إنه فقد عينيه في معركة اليرموك رضي اللَّه عنه وأرضاه .

---

(١) زاد المعاد ، (ج٢ ، ص١٦٣) مختصر سيرة الرسول (ص١٥٠) .

أكمل يا محمود .

محمود : لقد أورد ابن قيم الجوزية ، في زاد المعاد [1] : « وحسن إسلام أبي سفيان بعد ذلك » . ويقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول اللّٰه ﷺ منذ أسلم حياءً منه نظرًا لما مضى من عمره في معاداة الإسلام وأهله ، وكان رسول اللّٰه ﷺ يحب أبا سفيان ، وشهد له بالجنة ، وقال : أرجو أن يكون خلفًا من حمزة .

هل لك أن تكمل يا أسامة ؟

أسامة : نعم ، في صباح يوم الثلاثاء في السابع عشر من شهر رمضان ، سنة ٨هـ - غادر رسول اللّٰه ﷺ مر الظهران إلى مكة ، وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود اللّٰه فيراها ، ففعل فمرت القبائل على راياتها ؛ كلما مرت به قبيلة ، قال أبو سفيان : « يا عباس من هذه ؟ » فيقول العباس : « سليم » فيقول أبو سفيان : « ما لى ولسليم ؟ » ثم تمر به القبيلة ، فيقول : « يا عباس ، من هؤلاء ؟ » فيقول العباس « مزينة » فيقول أبو سفيان : « ما لي ولمزينة ؟ » ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سأل أبو سفيان العباس عنها ، فإذا أخبره قال : ما لي ولبني فلان ؟ حتى مر به رسول اللّٰه ﷺ في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يُرى منهم إلا الحُدق من الحديد ، فقال أبو سفيان : « سبحان اللّٰه يا عباس ! من هؤلاء ؟ » قال : « هذا رسول اللّٰه ﷺ في المهاجرين والأنصار » .

قال أبو سفيان : « ما لي أحد بهؤلاء قبل ولا طاقة » ، ثم قال : « واللّٰه يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك اليوم عظيمًا » (يقصد محمدًا ﷺ) قال العباس : « يا أبا سفيان ، إنها النبوة » قال أبو سفيان : « فنعم إذن » .

أحمد : معذرة يا أسامة ، لماذا أخذ رسول اللّٰه ﷺ راية الأنصار من سعد بن عبادة ؟ .

أسامة : لما مر سعد بن عبادة بأبي سفيان ، قال له : « اليوم يومُ المَلْحَمَة ، اليوم تُسْتَحَلّ الحُرمة ، اليوم أذلَّ اللّٰه قريشًا » [2] .

فلما حاذى رسول اللّٰه ﷺ أبا سفيان ، قال أبو سفيان : « يا رسول اللّٰه ، ألم تسمع ما قال سعد ؟ » ، قال رسول اللّٰه ﷺ : « **وما قال سعد ؟** » فقال أبو سفيان كذا وكذا ، فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما : « يا رسول اللّٰه ، ما نأمن أن يكون لسعد بن عبادة في قريش

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣) .

(٢) زاد المعاد (ج٣ ، ص١٦٤) ؛ والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٥١) .

صولة » . فقال رسول الله ﷺ : « **بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشًا** » .

ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فنزع منه اللواء ، ودفعه إلى ابنه قيس بن سعد بن عبادة ، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد ؛ إذ صار إلى ابنه .

الوالد : ما فعل أبو سفيان بعد أن استعرض الجيش الإسلامي المتوجه إلى مكة المكرمة مع العباس ﷺ ؟

أسامة : لما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان ، قال له العباس : النجاء إلى قومك . فأسرع أبو سفيان حتى دخل مكة ، وصرخ بأعلى صوته : « يا معشر قريش [1] ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، فقامت إليه زوجه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأخمش الساقين ، قبح من طليعة قوم .

قال أبو سفيان : « ويلكم ، لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

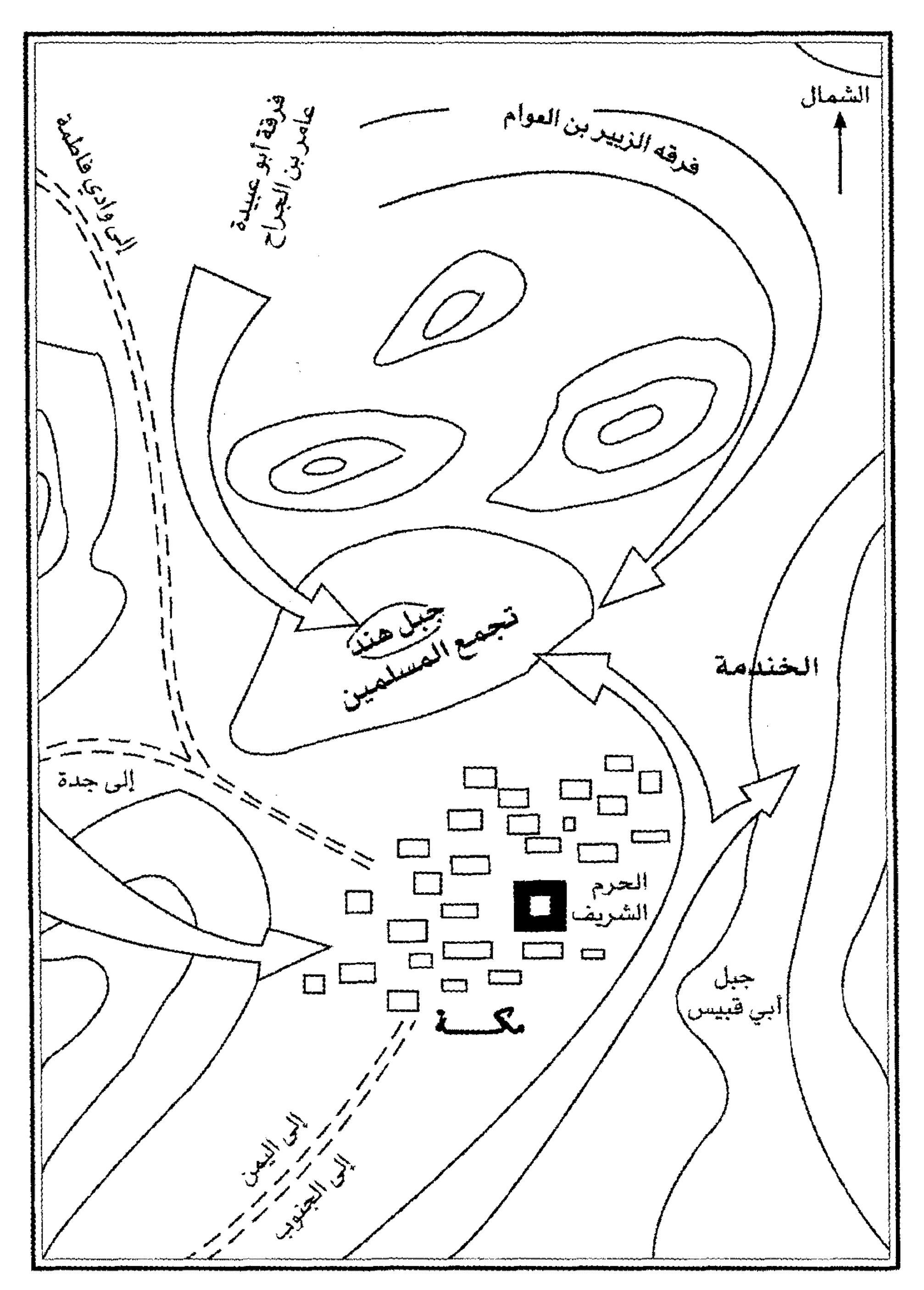
وسار رسول الله فدخل مكة من أعلاها ، وضربت له هنالك قبة ، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها ، وكان على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسُلَيم وغِفَار ومزينة وجُهَيْنَة ، وقبائل من قبائل العرب ، وكان أبو عبيدة على الرجالة والحسر ، وهم الذين لا سلاح معهم ، وقال لخالد ومن معه : « **إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصدًا ، حتى توافوني على الصفا** » فما عرض لهم أحد إلا أناموه .

أحمد : لو أذنت لي يا أسامة أن أوجه نظر الأبناء إلى قضية مهمة تتصل بأبي سفيان : لقد تحول أبو سفيان من صوت معاد للإسلام .. من صوت يدعو إلى حرب الله ورسوله .. إلى صوت يدعو إلى الله ورسوله ، فسبحان مصرف القلوب ! ولكن من الذي تعرض لجيش المسلمين يا أبي ؟ .

الوالد : تجمع سفهاء قريش مع عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو بالخندمة ليقاتلوا المسلمين ، وكان فيهم رجل من بني بكر - حماس

---

(١) المرجع السابق (ص٥٥٠ - ٥٥٤) .


الشمال
فرقه الزبير بن العوام
فرقة أبو عبيدة عامر بن الجراح
إلى وادي فاطمة
جبل هند
تجمع المسلمين
الخندمة
إلى جدة
الحرم الشريف
جبل أبي قبيس
مكة
إلى اليمن
إلى الجنوب

فتح مكة (٢)

ابن قيس - كان يعد قبل ذلك سلاحًا ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : « لمحمد وأصحابه » ، قالت : « واللّه ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء » . قال : « إني واللّه لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضهم » . ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لي عِلَّه هذا سلاح كامل وألَّه
وذو غرارين سريع السله [1]

أسامة : لو أذنت لي يا أبي أن أشير إلى اغترار حماس بن قيس بنفسه ، وتصوره بأنه يمكن أن يغلب جند الفتح ، فما هو مصيره ؟ .

الوالد : نعم ، لقد شهد الخندمة مع صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو ، فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيئًا من قتال ، فقتل كرز بن جابر الفهري ، وخنيس بن خالد ابن ربيعة من المسلمين ، وكانا في خيل خالد بن الوليد . فشذَّا عنه فسلكا طريقًا غير طريقه ، فقتلا جميعًا ، وأصيب من المشركين نحو اثني عشر رجلًا ، ثم انهزموا وانهزم حماس صاحب السلاح ، حتى دخل بيته ، فقال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي ، فقالت : وأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمه هإذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربًا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيتٌ خلفنا وهمهمه لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه [2]

الأولاد : اللّه أكبر ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

رحمة : من كان على المجنبة اليسرى لجيش الفتح ؟ .

الوالد : كان الزبير بن العوام على المجنبة اليسرى ، وكان معه راية رسول اللّه ﷺ فأمره أن يدخل مكة من أعلاها - من كداء - وأن يغرز رايته بالحجون عند مسجد الفتح ، ولا يبرح حتى يأتيه ، وقام الزبير رضي الله عنه بالمهمة .

عمار : لو أذنت لي يا جدي ، أريد أن أتعرف على الدور الذي قامت به قوات الأنصار ، والمهمة التي قام بها المهاجرون .

---

(١) علة : يقال علَّ الرجل يعل من المرض ، غرارين : حدين ، السلة : الانتشال والسحب .

(٢) زاد المعاد ، (ج٢ ص١٦٤) مختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥١) السيرة النبوية (ج٣ ص٥٦١ - ٥٦٢) .

الوالد : كان واجب قوات الأنصار بقيادة سعد بن عبادة ، دخول مكة من الغرب ، وكان على قوات المهاجرين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح دخول ، مكة من الشمال الغربي من اتجاه جبل هند على أن تلتقى القوات كلها بعد الفتح في منطقة جبل هند .

عمار : متى أسلم خالد بن الوليد يا جدي وعهدي به أنه كان يقاتل المسلمين في مواضع كثيرة في أحد والأحزاب وغيرها ؟ .

الوالد : سبق لنا وذكرنا قصة إسلام خالد بن الوليد ، يمكنك مراجعة اللقاءات السابقة ، يبدو أنك كنت نائمًا يا عمار !!

عمار : لا يا جدي ، كنت غائبًا .

الوالد : الحمد للّه على السلامة يا عمار ، راجع مع أحد من أخوالك هذا اللقاء الذي عرضنا فيه لقصة إسلام خالد بن الوليد .

عمار : سمعًا وطاعة يا جدي .

الوالد : أكمل يا أسامة الحديث بداية بدخول رسول اللّه ﷺ المسجد الحرام .

أسامة : نهض رسول اللّه ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله ، حتى دخل المسجد الحرام وهو يردد سورة الفتح ، فأقبل إلى الحجر الأسود ، فاستلمه ثم طاف بالبيت ، وفي يده قوس ، وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنمًا ، فجعل يطعنها بالقوس ، ويقول : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] . وتساقطت الأصنام على وجوهها ، ولم يرفع أحد رأسه دفاعًا عن هذه الأصنام التي كانوا يتعبدون لها ، والسبب : لقد انهار سلطان الباطل ، وأصبحت العبودية للّه رب العالمين .

لكن السؤال الذي يطرح نفسه يا أبي : أن رسول اللّه ﷺ كان يطوف بالبيت العتيق في المرحلة المكية والأصنام موجودة ، بينما يوم فتح مكة كان حريصًا على تطهير الكعبة منها ، فما تفسير ذلك ؟ .

الوالد : نعم يا أسامة ، ولعل هذا يبين لنا فقه الرسول ﷺ ، الذي كان يطوف بالبيت العتيق في المرحلة المكية ، دون أن يحاول المساس بها ؛ لأنه لم يكن للإسلام قوة تعينه في تحطيم الأصنام ، ومجرد تحطيمها والمسلمون ضعفاء كان يمكن أن تعرض الدعوة الإسلامية لمخاطر تشغل أصحابها عن القضايا الكبرى ، وعلى رأسها قضية التوحيد .

أما عند فتح مكة ، فقد أصبح السلطان في البيت العتيق لله رب العالمين ، ولهذا قام رسول اللَّه ﷺ بتحطيم الأصنام ؛ لأنه لا يحل لأمة الإسلام أن تكون على قيد الحياة ، وبيت اللَّه العتيق يكتظ بالأصنام ، التي تعبد من دون اللَّه ﷻ .

أحمد : جزاك اللَّه خيرًا يا والدي ، ما أحوجنا أن نتعلم من فقه رسول اللَّه ﷺ ، فقه الأولويات لكل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية !

الوالد : وهذا ما نسعى لتلمسه أثناء عرضنا للسيرة النبوية .

هبة : لو أذنت لي يا والدي ، هل طاف رسول اللَّه ﷺ بالكعبة ، وهل دخلها وصلّى فيها ؟ ومن الذي كان يحتفظ بمفتاحها ؟ .

الوالد : نعم ، لقد طاف بالبيت العتيق على راحلته ، ولم يكن يومئذٍ مُحرمًا ، فاقتصر على الطواف ، فلَّما أكمله ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، فأمر بها فَفُتحت ، فدخلها فرأى فيها الصور ، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ، فقال : « **قاتلهم اللَّه ، واللَّه ما استقسما بها قط** » . ورأى في الكعبة حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ، وأمر بالصور فمحيت .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، أليس في ذلك دليل على حرمة وجود التصاوير في بيت اللَّه العتيق ، وكذلك حرمة التماثيل ، والدليل على ذلك ما فعله رسول اللَّه ﷺ بتمثال الحمامة ، وكذلك حرمة الاستقسام بالأزلام ؟

الوالد : نعم يا محمد ؛ لأن اللَّه علم المسلمين : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

نواصل حديثنا عن رحلة النبي ﷺ داخل البيت العتيق . لقد أغلق رسول اللَّه ﷺ باب الكعبة عليه ، وعلى أسامة وبلال ، فاستقبل جدار الكعبة ، الذي يقابل الباب ، حتى إذا كان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، وقف وجعل عمودين عن يساره ، وعمودًا عن يمينه ، وثلاثة أعمدة وراءه (وكان البيت يومئذٍ على ستة أعمدة) ثم صلى هناك ، ثم دار في البيت العتيق ، وكبر في نواحيه ، ووحد اللَّه ، ثم فتح باب الكعبة ، وقريش قد ملأت المسجد الحرام صفوفًا ، ينتظرون ماذا يصنع بهم رسول اللَّه ﷺ .

فأخذ النبي ﷺ بعضادتي باب الكعبة ، وهم تحته ، فقال : « **لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط**

والعصا ، ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها » (١) .

« **يا معشر قريش ، إن اللَّه قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب** » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : « خيرًا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم » قال ﷺ : « **فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته** : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٩٢] ، **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، هذه الفقرة تحتاج أن نتعلم منها الدروس والعظات والعبر ، فهل تأذن لنا في استعراض بعض منها ؟ .

الوالد : تمامًا يا محمد ، وهذا هو الهدف ، تفضل .

محمد : إن القضية الكبرى التي من أجلها خلق اللَّه الخلق ، ومن أجلها أرسل اللَّه الرسل ، وفي ختامهم رسول اللَّه محمد ﷺ - هي قضية التوحيد : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

هذه القضية من أجلها طُورِد المسلمون في أرزاقهم ، وأوذوا وقدموا شهداء ، وتضحيات ، واضطر البعض منهم إلى الهجرة إلى الحبشة ؛ فرارًا بدينهم . وصدق اللَّه القائل : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج : ٨ ، ٩] ، وذلك في المرحلة المكية ، التي صبروا وصابروا وثبتوا ورابطوا أثناءها ؛ لأداء واجب البلاغ ، ولم يتنازلوا عن دعوتهم .

ولما أعز اللَّه الإسلام ودخل رسول اللَّه ﷺ مكة المكرمة يوم الفتح ، كان الجميع يرفعون أصواتهم بكلمة التوحيد ، لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمد .

محمد : وجزاك يا والدي .

---

(١) مختصر سيرة الرسول (ص : ١٥٣) ، وزاد المعاد (ج ٢ ، ص ١٦٥) ، والسيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٥٧٠) .

المسألة الثانية أن رسول الله ﷺ أعلن على ملأ من الناس إعلانًا يؤكد حرمة الدم، وحرمة القتل الخطأ شبه العمد؛ لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويؤكد أيضًا أن هناك حدودًا لا بد وأن تقام فيما يتصل بقاتل النفس خطأ، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢].

الشيء الثالث يا أبي هو حرمة العصبية والقومية والقبلية والتفاخر بالأنساب، لا يجوز ذلك؛ لأن الناس كلهم لآدم، وآدم من تراب؛ لذلك قال ﷺ عن العصبية: « **دعوها فإنها منتنة** » وقال ﷺ: « **ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية** ».

الشيء الأخير الذي أعرض فيه لأهمية العفو عند المقدرة التي تمثلت في شخصية النبي ﷺ، في تعامله مع أهل مكة الذين أخرجوه وقاتلوه وحاصروه هو وإخوانه، يعذبون البعض أحيانًا، ويحولون بينهم وبين لقمة الخبز، أحيانًا أخرى، ويجبرونهم على الهجرة من حرم الله الآمن أحيانًا أخرى، بل ويستحلون دماء البعض الآخر أحيانًا أخرى.

يدخل رسول الله ﷺ إلى مكة، وبإمكانه أن يبطش بهؤلاء بعد محاكمة عادلة، ولكنه آثر العفو عند المقدرة؛ لقول الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولهذا كان موقف النبي ﷺ مع قريش: « **لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء** ».

هبة: لو أذنت لي يا أبي مرة أخرى، السؤال الذي طرحته: من الذي سلم رسول الله ﷺ

مفتاح الكعبة ؟ .

الوالد : معذرة يا أم بلال ، لقد جلس رسول اللَّه ﷺ في المسجد الحرام ، فقام إليه علي بن أبي طالب ﷺ ، ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول اللَّه ﷺ ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى اللَّه عليك ، فلم يجبه رسول اللَّه ﷺ وسأل : « **أين عثمان بن طلحة ؟** » وجاء عثمان بن أبي طلحة بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، فرد عليه رسول اللَّه ﷺ مفتاح الكعبة ، قائلًا : « **هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء** » .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، لقد قرأت في رواية لابن سعد في الطبقات ، أن رسول اللَّه ﷺ قال لعثمان حين دفع مفتاح الكعبة إليه : « **خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان ، إن اللَّه استأمنكم على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف** » ، فلما وليت ناداني ، فرجعت إليه ، فقال : « **ألم يكن الذي قلت لك ؟** » ، قال : فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة : « **لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت** » ، فقلت : بلى أشهد أنك رسول اللَّه [١] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

شيرين : لو أذنت لي يا أبي ، هل أتيحت الفرصة لبلال ﷺ أن يعتلي ظهر الكعبة ، ويؤذن للصلاة ، خاصة وأنه كان محرمًا عليه الأذان بمكة المكرمة ، في بداية تاريخ الدعوة الإسلامية ؟

الوالد : نعم يا أم رحمة ، فحينما حان وقت الصلاة ، والمسلمون بالمسجد الحرام ، أمر رسول اللَّه ﷺ بلالًا أن يصعد إلى الكعبة فيؤذن بالصلاة ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد ، والحارث بن هشام ، وأشراف قريش جلوس بفناء الكعبة . فقال عتاب : لقد أكرم اللَّه أسيدًا أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . وأذن بلال للصلاة ، فقال الحارث : « أما واللَّه لو أعلم أنه حق لتبعته » فقال أبو سفيان : « أما واللَّه لا أقول شيئًا ، لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصباء » [٢] ، فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : « **لقد علمت الذي قلتم** » ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول اللَّه ، واللَّه ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول : أخبرك .

الأولاد : اللَّه أكبر ، إنها النبوة ، إنه الوحي الذي يتابع مسيرة الدعوة الإسلامية ، إنها

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٥) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٧٥) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥٣) .

عين اللَّه ﷻ التي تسمع وترى ، وتدبر الأمور لمصلحة الدعوة الإسلامية ، ولعل اللَّه ﷻ أراد بالحارث وعتاب خيرًا ، فأسلما للَّه رب العالمين .

نهال : لو أذنت لي يا أبي ، هل صلى رسول اللَّه ﷺ صلاة الشكر ؟ .

الوالد : نعم ، لقد دخل رسول اللَّه ﷺ يومئذٍ دار أم هانئ بنت أبي طالب أي بنت عمه ، فاغتسل وصلى ثماني ركعات في بيتها ، وكان ذلك في وقت الضحى فظنها من ظنها صلاة الضحى وإنما هذه صلاة الفتح .

منى : لو أذنت لي يا أبي ، هل كان ممكنًا لأحد من النساء المسلمات أن تجر أحدًا بين يدي رسول اللَّه ﷺ ؟ .

الوالد : نعم ، والدليل على ذلك أنّ أمّ هانئ يوم الفتح أجارت حموين [1] لها ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ** » ، وقد كان أخوها علي ابن أبي طالب يريد أن يقتلهما ، فأغلقت أم هانئ عليهما باب بيتها ، وسألت النبي ﷺ أن يجيرهما ، فقال : « **لك ذلك** » .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ببعض الأسئلة .

الوالد : انتظر قليلًا يا أسامة ، لنعيش لحظات مع الفتح الأعظم الذي وصفه اللَّه تعالى في سورة الفتح : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] .

إنه مشهد عظيم ، فها هو رسول اللَّه ﷺ الذي أُخْرج من مكة يوم الهجرة ، وقد همت قريش بقتله ، بل ورصدت مائتي ناقة لمن يأتي به حيًّا أو ميتًا ، مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقد أخرجا في يوم لم يكن يتصور أي إنسان يحسب بالمعايير المادية ، أنهما سيصلان إلى المدينة المنورة سالمين ، إلا أن يشاء اللَّه شيئًا آخر .

وشاءت إرادة اللَّه ﷻ أن يصل الركب الكريم إلى المدينة المنورة ، ويقوم صرح الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ الذي أرسى قواعد المؤسسات السياسية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية ، والذي عقد الرايات للسرايا والبعوث والغزوات ، وارتفعت رايات الجهاد ، وكسرت شوكة كفار العرب واليهود ، وخفتت أصوات المنافقين ، وشاءت إرادة اللَّه ﷻ أن يرجع الرسول القائد ، هو وأصحابه ، إلى مكة ؛ لإعلاء كلمة التوحيد

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٦٨) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦) .

بين جنبات البيت العتيق ، وليأمن الناس على دمائهم وأعراضهم ومقدساتهم .

لقد رجع الرسول ﷺ المطارَد هو وإخوانه ، إلى مكة ، فاتحين منتصرين يصدحون بكلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

أسامة : كلمة واحدة يا أبي ، إن هذا الفتح المبين يعطينا الأمل في وجه التحديات المعاصرة ، إن الحق سيعلو ، وستنكسر شوكة الظلم ، وستتحرر مقدسات المسلمين ، والقدس في القلب منها ، ويقوم دين الله وتطبق الشرائع وتقام الحدود ، ويأمن الناس كل الناس على أعراضهم وعقولهم ، وعلى أموالهم وعلى عقائدهم ، مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

ومصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِىٓ إِنَّ اللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة ، وصدق الله القائل : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف : ١١٠] .

عمار : هل معنى ذلك يا جدي ، أنه لم يكن هناك مقاومة من المشركين ، لجيش النبي محمد ﷺ ، خاصة أننا قرأنا أن النبي ﷺ قد أعلن على ملأ من الجيش إهدار دماء بعض المحاربين لرسول الله ﷺ ؟

الوالد : لم يكن الأمر كذلك يا عمار ، قد كانت هناك مقاومة يائسة كما أن الرسول ﷺ قد أهدر فعلًا دماء تسعة نفر من أكابر المجرمين الذين يحادون الله ورسوله وأمر بقتلهم ، حتى لو وجدوا تحت أستار الكعبة (١) ، وهم : عبد العزى بن خطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن نفيل بن وهب ، ومقيس بن صبابة ، وهبار بن الأسود ، وقينتان كانتا لابن خطل ، كانتا تغنيان بهجو النبي ﷺ ، وسارة مولاة لبعض بني عبد المطلب ، والتي وجد معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي أشرنا إليه في لقائنا هذا .

عمار : ما هو مصير هؤلاء الذين أهدرت دماؤهم ؟ .

الوالد : فأما ابن أبي سرح ، فجاء به عثمان إلى النبي ﷺ ، وشفع فيه فحقن

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٦٣ - ٥٦٤) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥٤) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦) .

دمه وقبل رسول اللَّه ﷺ إسلامه بعد أن أمسك عنه ؛ رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله ، وقد كان أسلم قبل ذلك وهاجر ، ثم ارتد ورجع إلى مكة إلى أن أمسك به رسول اللَّه ﷺ يوم الفتح .

سمية : وماذا عن بقية الذين أهدرت دماؤهم ؟ .

الوالد : أما عكرمة بن أبي جهل ، ففر إلى اليمن ، فاستأمنت له امرأته فأمنه النبي ﷺ فتبعته وأعلمته بعهد الأمان الذي أخذته له من رسول اللَّه ﷺ ، فرجع معها وأسلم وحسن إسلامه ، وأظن أنه قد استشهد يوم اليرموك .

أما ابن خطل فكان متعلقًا بأستار الكعبة ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ ، وأخبره ، فقال : « **اقتله** » ، فقتله .

وأما مقيس بن صبابة ، فقد قتله نميلة بن عبد اللَّه ، وكان مقيس قد أسلم قبل ذلك ، ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله ، ثم ارتد ولحق بالمشركين حتى تمكن منه المسلمون يوم الفتح .

وأما الحارث فكان شديد الأذى لرسول اللَّه ﷺ بمكة ، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأما هبار بن الأسود ، فهو الذي كان قد عرض لزينب بنت الرسول ﷺ حين هاجرت ، فنخس بها دابتها حتى سقطت زينب على صخرة ، وأسقطت جنينها (لأنها كانت حاملًا) ففر هبار [1] يوم مكة خوفًا من العقاب ، ثم شاءت إرادة اللَّه أن يسلم ويحسن إسلامه .

سلمى : وماذا عن المغنيتين (القينتين) ؟ .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : وأما القينتان فقتلت إحداهما ، واستؤمن للأخرى ، فأسلمت ، كما استؤمن لسارة فأسلمت .

عمار : وماذا عن صفوان بن أمية ، وفضالة بن عمير بن الملوح ، الذي حاول قتل النبي ﷺ أثناء الطواف يوم الفتح ؟ .

الوالد : لم يكن صفوان ممن أُهدر دمه يا عمار ، لكنه بصفته زعيمًا كبيرًا من زعماء قريش ، خاف على نفسه وفر ، فاستأمن له عُمير بن وهب الجمحي رسولَ اللَّه ﷺ

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٦٤) .

فأمنه ، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ، فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر من جدة إلى اليمن ، فرده ، فقال لرسول اللَّه ﷺ : اجعلني بالخيار شهرين ، فقال ﷺ : « **أنت بالخيار أربعة أشهر** » ، وذلك امتثالًا لتوجيهات اللَّه ﷻ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦]. ثم شاءت إرادة اللَّه ﷻ أن يسلم صفوان بن أمية وتحقن دماؤه ، وقد كانت امرأته قد أسلمت قبله فأقرهما النبي ﷺ على النكاح الأول .

محمود : معذرة يا أبت وفي هذا دليل على أن النكاح الأول كان مشروعًا ، ولم يكن فاسدًا أو باطلًا ، رغم أنهما لم يكونا على الإسلام .

الوالد : تمامًا يا محمود ، وفي هذا دليل على أن عقد الزواج الذي يبرم بين امرأة ورجل غير مسلمين وأسلما للَّه رب العالمين - زواجهما صحيح ، ولا يحتاج إلى إعادة توثيق .

اسامة : بقيت كلمة أخيرة يا والدي ، ماذا عن فضالة بن عمير ؟ .

الوالد : لقد كان فضالة رجلًا جريئًا ، فجاء إلى الرسول ﷺ وهو في الطواف ؛ ليقتله ؛ فكشف له رسول اللَّه ﷺ عما في نفسه فأسلم (١) .

عمار : هل معنى ذلك يا جدي أن الوحي قد نزل من عند اللَّه ﷻ ليخبر الرسول ﷺ بما همَّ به فضالة ، ويحذره ؟ .

الوالد : تمامًا يا عمار ، فاللَّه ﷻ خير حافظًا وهو أرحم الراحمين ، وهو القائل سبحانه : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق : ٤] ، وصدق الرسول القائد ، وهو يعبر عن ذلك في وصيته لابن عباس : « **يا بني ، احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده تجاهك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء ، لن ينفعوك إلا بشيء ، قد كتبه اللَّه لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك** » .

عمار : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي .

محمود : معذرة يا والدي ، هل يمكن أن نعرض للخطبة التي خطبها رسول اللَّه ﷺ في اليوم الثاني من فتح مكة المكرمة ؟ .

الوالد : تفضل يا محمود ، وجزاك اللَّه خيرًا .

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦ - ١٦٧) .

محمود : الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، لما كان الغد من يوم الفتح ، قام رسول اللَّه ﷺ في الناس خطيبًا ، فحمدَ اللَّه وأثنى عليه ، ومجده بما هو أهله ، ثم قال :

« **أيها الناس ، إن اللَّه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرمة اللَّه إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر ، أن يسفك بها دمًا ، ولا يُعضد بها شجر ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه ﷺ ، فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب** » .

وفي رواية أخرى : « **لا يعضد شوكها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد ، ولا يختلى خلاؤها** » .

فقال العباس : « يا رسول اللَّه إلا الإذخر ، فإنه لقينهم وبيوتهم » (١) .

فقال : « إلا الإذخر » .

كما أن الرسول ﷺ وجه نصيحة خاصة لخزاعة ، التي كانت قد قتلت رجلًا من بني ليث يوم الفتح بقتيل لهم في الجاهلية : « **يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلًا لأَدِيَنَّه فمن قتل بعد مقامي هذا ، فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله** » .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا شيخ محمود .

والحقيقة أن هذا النص النبوي يرسي معالم بارزة في حياة الأمة ، وهي حرمة حرم اللَّه الآمن ، الذي لا يجوز أن تراق فيه دماء حرام ، وأيضًا حرمة قتل النفس الإنسانية .

منى : قرأت يا والدي أن الأنصار خشوا بعد فتح اللَّه على المسلمين مكة المكرمة - أن يمكث فيها رسول اللَّه ﷺ ويهجر المدينة المنورة .

الوالد : نعم يا منى ، فقد ورد أنه لمَّا تم فتح مكة على الرسول ﷺ ، وهي بلده ووطنه ومولده ، قال الأنصار فيما بينهم : أترون رسول اللَّه ﷺ إذا فتح اللَّه عليه أرضه وبلده أن يقيم بها ؟ وهو يدعو على الصفا رافعًا يديه - فلما فرغ من دعائه قال ﷺ : « **ماذا قلتم يا معشر الأنصار ؟** » (٢) قالوا : لا شيء يا رسول اللَّه ، فلم يزل بهم حتى أخبروه بما حدث بينهم ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **معاذ اللَّه** (يا معشر الأنصار) **المحيا**

(١) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٧٧ - ٥٧٩) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦) .

(٢) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٦) ، والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٨١) .

محياكم والممات مماتكم » .

فسر الأنصار سرورًا عظيمًا .

وفي هذا دليل على الحب العظيم الذي كان يكنُّه الأنصار لرسول الإسلام محمد ﷺ ودليل أيضًا على أن رسول اللّه ﷺ كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا .

رحمة : معذرة يا جدي ، لقد قرأت أن رسول اللّه ﷺ بعد الفتح ، كان حريصًا على أخذ العهود والمواثيق على من أسلم ، وهي ما تسمى بالبيعة .

جنة : سؤال آخر يا جدي : يقال : إن هند زوجة أبي سفيان ، دخلت على رسول اللّه ﷺ متنكرة ثم أعلنت إسلامها ، هل قبل رسول اللّه ﷺ منها ذلك ، خاصة وأنها حرضت على قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم أحد ، ومثلت به وحاولت أن تلوك شيئًا من كبده ؟ .

الوالد : بارك اللّه فيكم جميعًا يا أبنائي ، نعم حين فتح اللّه مكة المكرمة على رسول اللّه ﷺ ، والمسلمين ، تبين لأهل مكة الحق ، وعلموا أنه لا سبيل إلى النجاح إلا بالإسلام ، فأذعنوا له واجتمعوا للبيعة ، فجلس رسول اللّه ﷺ على الصفا يبايع الناس ، وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

وقد روي أيضًا أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال ، أخذ في بيعة النساء [١] ، وهو على الصفا ، وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه ، فجاءت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنكرة ؛ خوفًا من رسول اللّه ﷺ أن يعرفها ؛ لما صنعت بحمزة ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **أبايعكن على ألا تشركن باللّه شيئًا** » ، فبايع عمر النساء على أن لا يشركن باللّه شيئًا ، فقال رسول اللّه ﷺ : « **ولا تسرقن** » ، فقالت هند : إن أبا سفيان رجل شحيح ، فإن أنا أصبت من ماله هنات ؟ فقال أبو سفيان : وما أصبت فهو لك حلال ، فضحك رسول اللّه ﷺ ، وعرفها فقال : « **وإنك لهند ؟** » قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبي اللّه ، عفا اللّه عنك .

فقال : « **ولا يزنين** » . فقالت (هند) أو تزني الحرة ؟ .

فقال : « **ولا يقتلن أولادهن** » فقالت : ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا ، فأنتم وهم أعلم (وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر) فضحك عمر حتى استلقى

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٦٠٢ - ٦٠٤) .

فتبسم رسول اللَّه ﷺ .

فقال : « **ولا يأتين ببهتان** » . فقالت (هند) : واللَّه إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق .

فقال : « **ولا يعصينني في معروف** » ، فقالت : واللَّه ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، أليست نصوص هذه البيعة هي التي وردت في قول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

الوالد : نعم ، جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

جنة : لو أذنت لي يا جدي كم يومًا أقام رسول اللَّه ﷺ بمكة بعد الفتح ؟ وهل قام بأداء واجب العمرة ؟ .

الوالد : لقد أقام رسول اللَّه ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يعلم الناس أمور دينهم ، ويذكرهم بفرائض اللَّه عليهم ، وخلال هذه الأيام أمر أبا أسيد الخزاعي ، فجدد أنصاب الحرم ، وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام ، ولكسر الأوثان التي كانت حول مكة ، فكسرت كلها ونادى منادٍ بمكة : « من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر ، فلا يدع في بيته صنمًا إلا كسره » [1] .

الوالدة : أعتقد أننا في حاجة لرصد **الدروس المستفادة** .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : ذكر صاحب سيرة الرسول القائد [2] رحمه الله ، مجموعة من العوامل والأسباب التي أخذ بها الرسول ﷺ ، والتي تدخل في دائرة الإعداد عند فتحه لمكة المكرمة :

أ - حرص الرسول ﷺ على مباغتة العدو ، ولهذا لم يكشف عن نيته لأحد عن فتح مكة عندما اعتزم فتحها ، وكان سبيله إلى ذلك الكتمان الشديد ، كما أنه اتخذ جملة ترتيبات ؛ لحرمان قريش من معرفة نوايا الرسول ﷺ ، وقد أمنت هذه الأسباب ، مباغتة للعدو ممتازة للغاية ، وأجبرت قريش على الاستسلام دون قتال .

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٦٧) .

(٢) محمود شيت خطاب ، مكتبة النهضة ، بغداد (ص٢٣٤ - ٢٤٢) .

ب - توفر المعلومات عن العدو للرسول القائد ﷺ ، وهو يقرر خطة الفتح عن نوايا العدو وقياداته ، وعدد قواته ، وتنظيماته وتسليحه وأسلوب قتاله وأماكن تجمعه . وفي مقابل ذلك فشلت قريش في الحصول على أي نوع من المعلومات ، عن رسول اللّٰه ﷺ وأهدافه ووجهته وخطته وقواته .

جـ - بعد النظر الذي اتسم به الرسول القائد ﷺ ، بالإضافة إلى مزاياه الأخرى وحرصه على اتخاذ التدابير الضرورية ؛ لمعالجة أية احتمالات بما فيها الهزيمة ، أي أنه ﷺ لم يترك مسار قواته للأقدار .

د - حرص الرسول ﷺ على تحقيق التنظيم الدقيق لقواته المسلحة ، الذي لا يخضع إلا للعقيدة الموحدة فقط ، دون غيرها من المؤثرات ، بالإضافة إلى وحدة الصف وقوة الساعد ، وقد كان ذلك كافيًا لإحجام القبائل عن مقاومة النبي ﷺ أو مد قريش بمعلومات عنه ﷺ .

هـ - قوة معنويات جيش النبي ﷺ ، وضعف معنويات جيش العدو ؛ يبدو ذلك واضحًا في معنويات الجيش الإسلامي ، وهو يتوجه إلى أحب أرض اللّٰه إلى اللّٰه ، إلى مكة المكرمة ، إلى بيت اللّٰه العتيق ، إلى قبلتهم المباركة ، إلى مهاجر إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام ، إلى مهبط الوحي بالرسالة الخاتمة على رسول اللّٰه ﷺ ، إلى أرض العمرة والحج ، هذه المعنويات العالية قد ساهمت بفاعلية في تحقيق النصر .

و - حرص النبي القائد ﷺ على عدم الصدام مع قريش ، وعدم إراقة أية دماء على أرض حرم اللّٰه الآمن ، وفي هذه الدائرة كان يصب الحشد المعنوي للجيش الإسلامي ، والذي كان من آلياته لتحقيق هذا الهدف إيقاد عشرة آلاف نار ؛ لتراها قريش ، وأيضًا استعراض أبي سفيان لجيش الفتح ، وبعدها أدرك أنه لا قبل لقريش بمقاومة جيش النبي ﷺ ، ويدخل في الآليات أيضًا الحرص على العفو العام عن قريش : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .

ويدخل في ذلك أيضًا توجيه رسول اللّٰه ﷺ لقبيلة خزاعة التي قتلت رجلًا من هذيل أثناء الفتح : « **يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر إن نفع** » . بل إنه ﷺ قد عفا عن فضالة بن عمير الذي حاول اغتيال النبي ﷺ في الطواف . وقد كان لحرص النبي ﷺ على عدم إراقة الدماء أثر في تأليف القلوب وتوحيد كلمة الأمة ؛ لتقبل على الإسلام .

معذرة ، هل لك يا أبا محمد ، أو أحد من الأبناء أن يضيف شيئًا ؟ .

الوالد : نعم ، وليكن ترقيمنا متصلًا بالترقيم السابق :

ز - الوفاء للأنصار ، أهل المدينة المنورة الذين فتحوا ديارهم وصدورهم لإخوانهم للدعوة الإسلامية المهاجرة ، وقدموا أموالهم وحياتهم وأولادهم لنصرة الإسلام ، وكسر شوكة الأعداء . لقد خشي الأنصار أن يقيم رسول اللَّه ﷺ بمكة بعد الفتح ، ويهجر المدينة المنورة ؛ فجاء الرد من الرسول ﷺ : « **معاذ اللَّه المحيا محياكم والممات مماتكم** » .

والأمر الذي يلفت النظر ، ويؤكد أن الوفاء كان سجية من سجايا النبي ﷺ - هو إعادة مفتاح الكعبة إلى حملته القدامى رغم إلحاح على أن يجمع له ولأهله الحجابة مع السقاية ، قائلًا : « **يا ابن طلحة ، هاك مفتاحك ، اليوم يوم بر ووفاء** » وصدق من قال عن رسول اللَّه ﷺ أنه أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم وأوفاهم .

محمود : حـ : لو أذنت لي يا أبي ، من المعالم البارزة في حياة النبي ﷺ ، هو التواضع للَّه ﷻ في لحظة النصر ، وذكر الفضل لصاحبه ، وهو اللَّه ﷻ ، وقد بدا ذلك واضحًا في سلوك رسول اللَّه ﷺ يوم الفتح ، حتى رآه المسلمون يوم ذاك ، ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدا عليه التواضع الجم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعًا ، وترقرقت في عينيه الدموع ؛ تواضعًا وشكرًا للَّه ﷻ .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا ، تفضل يا أسامة .

أسامة : ط - من الأسباب التي عاونت في تحقيق النصر : تحرير المسلمين المجاهدين لعقيدة الولاء والبراء ، فها هي أم حبيبة زوج رسول اللَّه ﷺ ، تطوي فراش النبي ﷺ عن والدها أبي سفيان ، رغم أنه قد قدم من سفر طويل ، وبعد غياب طويل ؛ لأنها رغبت بفراش رسول اللَّه ﷺ أن يجلس عليه مشرك نجس ، ولو كان هذا المشرك أباها .

ويبدو ذلك أيضًا في كلمة عمر بن الخطاب للعباس عم النبي ﷺ ، يوم الفتح : « مهلًا يا عباس ، فواللَّه إسلامك يوم أسلمت ، كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم » .

ي - تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة من الوثنيات ، وقد كان ذلك كافيًا لتحطيم معنويات المشركين ، وإقناع العرب بأن هذه الأصنام لا تملك النفع والضرر لأحد ؛ فضلًا عن أن تدفع عن نفسها الأذى ، وهذا شيء طبيعي ؛ لأنها أحجار لا تنفع ولا تضر .

ك - القضايا الإدارية : إعاشة المسلمين في غزوة الفتح كانت جيدة ، رغم طول مدة الغزوة ، وبُعد المسافات بين قاعدتي الجيش في المدينة المنورة وأرض الفتح (مكة المكرمة)،

كما أن عملية نقل المسافرين والأمتعة كانت ممتازة ؛ لكثرة الخيل والإبل ، كما أن التسليح كان متوفرًا ومتنوعًا وممتازًا ، كل هذه الأسباب قد أخذ بها المسلمون ، وكانت من العوامل الفعالة لتحقيق النصر .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، وهذا يكفي .

وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

سبحانك اللَّهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● متى تم الفتح الأعظم ؟ وما هي الأسباب التي دفعت الرسول محمدًا ﷺ إلى التحرك باتجاه حرم الله الأمن ، في ذلك الوقت بالذات ؟ .

● نقضت قريش صلح الحديبية وأعانوا بني بكر على قتال خزاعة ، واستحلوا دماءهم واستحلوا حرمة حرم الله الآمن ، ماذا فعل عمرو بن سالم الخزاعي ، وبديل بن ورقاء الخزاعي ؟ .

يا رب إني ناشد محمدًا حلف أبيه وأبينا الأتلدا

أكمل الأبيات واشرحها ، ومن القائل ؟ .

● لماذا سافر أبو سفيان بن حرب إلى المدينة المنورة ؟ من هم الأشخاص الذين قابلهم ؟ هل نجح في مهمته ؟ ما الأسباب ؟ .

● لم تسمح أم حبيبة زوجة النبي ﷺ لأبيها أبي سفيان أن يجلس على فراش النبي ﷺ ، ما السبب ؟ وما الدرس المستفاد ؟ .

● طلب رسول الله ﷺ من زوجه عائشة رضي الله عنها أن تجهزه ، ودخل عليها أبوها أبو بكر ، وهي تجهز رسول الله ﷺ ، واستفسر منها عن سبب الجهاز ، هل أجابته على سؤاله ؟ ما الدروس المستفادة من موقف عائشة رضي الله عنها ؟ .

● نبّه رسول الله ﷺ بُديل بن ورقاء الخزاعي إلى كتم خبر زيارته للرسول ، ما السبب ؟ ومن الذي قابله عند عودته ؟ وهل سأله إذا كان قد قابل محمدًا ﷺ ؟ ما الإجابة ؟ .

● هل اقتنع أبو سفيان برد بُديل بن ورقاء الخزاعي ؟ وهل تَيَقَّن أبو سفيان أن بُديلًا قد قابل النبي ﷺ ؟ وما الدروس المستفادة ؟ .

● كان رسول الله ﷺ حريصًا على عدم الإعلان عن وجهته (مكة) ، ما هي الأسباب التي أخذ بها ؟ .

● دعا رسول الله ﷺ الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش ؟ لماذا ؟ .

● حاول حاطب بن أبي بلتعة أن يعلم قريشًا بخروج رسول الله ﷺ إلى مكة ، ولكن المحاولة فشلت ، كيف عرف رسول الله ﷺ بخبر هذه الرسالة ؟ كيف حصل عليها ؟ ما هو الموقف الذي اتخذه رسول الله ﷺ من حاطب بن أبي بلتعة ؟ .

● كم كان عدد جيش المسلمين ؟ اذكر تشكيلات الجيش ، وخطة فتح مكة .

● إلى من أسند رسول الله ﷺ مهمة تصريف الأمور بمكة المكرمة أثناء غيابه ؟ .

- هل ظل المسلمون صائمين في رمضان ؟ وما هو الحكم الفقهي المستخلص من عمل رسول اللَّه ﷺ وأصحابه ؟ .
- من هو الشخص الذي عينه رسول اللَّه ﷺ ليكون مسئولًا عن حراسة جيش الفتح ؟ .
- اذكر قصة إسلام أبي سفيان . لماذا أمر رسول اللَّه ﷺ الجيش بإيقاد النيران ؟ .
- لماذا أمر رسول اللَّه ﷺ بحبس أبي سفيان مع العباس ، بمضيق الوادي عند خطم الجبل ؟ ما هو انطباع أبي سفيان حينما شاهد قوة الجيش الإسلامي ؟ وماذا فعل ؟ .
- تكلم عن تنفيذ خطة فتح مكة ؟ كم فردًا قتل من المشركين ؟ .
- كان موكب دخول رسول اللَّه ﷺ المسجد الحرام موكبًا مهيبًا ، وهو يستقبل الحجر الأسود ، وهو يحطم الأصنام ، وهو يقول : « **لا إله إلا اللَّه وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده** » ، صف مشاعرك .
- من هم الطلقاء ؟ .
- أمر رسول اللَّه ﷺ بلالًا أن يصعد على ظهر الكعبة ، ويؤذن للصلاة ، ما هي مشاعرك إذا ما تذكرت بلالًا وهو يعذب في رمضاء مكة ، ولا أحد ينافخ عنه ؟ ما الدروس المستفادة في ضوء السنن الربانية ؟ .
- هل صلى رسول اللَّه ﷺ صلاة الفتح ؟ أين ؟ .
- أهدر رسول اللَّه ﷺ دم تسعة من المجرمين ، من هم ؟ .
- « **معاذ اللَّه ، المحيا محياكم والممات مماتكم** » من القائل ؟ ما المناسبة ؟ وما الدرس المستفاد ؟ .
- اذكر الحوار بين رسول اللَّه ﷺ وهند بنت عتبة ، ورسول اللَّه ﷺ يأخذ البيعة على الذين أسلموا ، وما هي نصوص البيعة ؟ .
- كم يومًا مكث رسول اللَّه ﷺ في مكة بعد الفتح ؟ ما هي أهم الأعمال التي قام بها ؟ .
- إلي من دفع رسول اللَّه ﷺ مفتاح الكعبة ؟ ماذا يعني هذا الموقف من رسول اللَّه ﷺ ؟ .
- اذكر خطبة رسول اللَّه ﷺ يوم الفتح ، والدروس المستفادة .
- اكتب موضوعًا عن :

المجتمع المسلم بين حادثة الهجرة وفتح مكة ، دروس وعبر .

اللقاء السابع والثلاثون

الرسول ﷺ يواصل مهمته الدعوية ، ويرسل السرايا لتحطيم الأصنام ، ويقود الغزوات تجاه هوازن وثقيف في وادي حنين والطائف (٨ هـ / ٦٢٩م)

الوالد : الحمد للّٰه والصلاة والسلام على محمد رسول اللّٰه ، وبعد ،

هذا هو لقائنا السابع والثلاثون نعرض فيه الأهداف التي كان رسول اللّٰه حريصًا على تحقيقها بعد فتح مكة .

هل يمكن أن يذكرنا أحد بأهم هذه الأهداف ؟ .

محمد : نعم يا أبي ، لقد قرأت في زاد المعاد (١) :

« ولما اطمأن رسول اللّٰه ﷺ بعد الفتح ، بعث خالد بن الوليد إلى العزى لخمس ليال بقين من شهر رمضان (سنة ٨هـ) ؛ ليهدمها ، وكانت بنخلة ، وكانت لقريش وجميع بني كنانة ، وهي أعظم أصنامهم ، وكان سدنتها بني شيبان ، فخرج إليها خالد ﷺ في ثلاثين فارسًا حتى انتهى إليها ، فهدمها . ولما رجع سأله رسول اللّٰه ﷺ : « **هل رأيت شيئًا ؟** » قال : لا ، قال : « فإنك لم تهدمها » ، فارجع إليها فاهدمها . فرجع خالد متغيظًا قد جرد سيفه فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فجعل السادن يصيح بها ، فضربها خالد فجزلها باثنتين ، ثم رجع إلى رسول اللّٰه ﷺ فأخبره ، فقال : « **نعم تلك العزى ، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبدًا** » .

احمد : وقرأت أنا أيضًا في زاد المعاد ، والرحيق المختوم :

ثم بعث عمرو بن العاص ﷺ في نفس الشهر إلى سواع (٢) ليهدمه ، وهو صنم لهذيل برهاط على ثلاثة أميال من مكة ، فلما انتهى إليه عمرو ، قال له السادن : ما تريد ؟ قال : أمرني رسول اللّٰه ﷺ أن أهدمه ، قال : لا تقدر على ذلك ، قال : لم ؟ قال : تمنع . قال : حتى الآن أنت على الباطل ، ويحك ، فهل يسمع أو يبصر ؟ ثم دنا فكسره ، وأمر أصحابه فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئًا ، ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت للّٰه .

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين ، ابن قيم الجوزية ، المطبعة المصرية (ج٢ ص١٦٧) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٥٩٧ - ٥٩٨) .

(٢) مختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٥٥) .

محمود : وأنا أيضًا يا والدي قرأت في نفس المصدر :

وفي نفس الشهر بعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسًا إلى مناة ، وكانت بالمشلل عند قديد للأوس والخزرج وغسان وغيرهم ، فلما انتهى سعد إليها ، قال له سادنها : ما تريد ؟ قال : هدم مناة ، قال : أنت وذاك ، فأقبل إليها سعد وخرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس ، تدعو بالويل وتضرب صدرها ، فقال لها السادن : مناة ، دونك بعض عصاتك ، فضربها سعد فقتلها ، وأقبل إلى الصنم فهدمه وكسره ، ولم يجدوا في خزانته شيئًا .

الوالد : **بقي أن نعرض لغزوة حنين** التي تسمى غزوة أوطاس ، وهما موضعان بين مكة والطائف ، وتسمى غزوة هوازن ؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول اللَّه ﷺ ، ولما سمعت هوازن برسول اللَّه ﷺ وما فتح اللَّه عليه من مكة ، جمع مالك بن عوف النصري ، واجتمع إليه مع هوازن ، ثقيف كلها ، واجتمعت إليه مضر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، وقرروا السير لمهاجمة المسلمين .

بلال : كيف علم رسول اللَّه ﷺ باجتماع هوازن وثقيف لحرب المسلمين ؟ .

الوالد : رسول اللَّه ﷺ لم يكن نائمًا ، كانت عيونه تعمل داخل صفوف الأعداء ، وبمجرد علمه بما اجتمعت من أجله هوازن وثقيف - أرسل من يجمع المعلومات عن العدو .

سمية : هل لنا أن نتعرف كيف كان يفكر العدو ، وما هي الخطة التي وضعها للوقوف في وجه المسلمين ؟ .

الوالد : نعم ، « لما نزل قائد قوات ثقيف مالك بن عوف النصري بأوطاس (واد في ديار هوازن) اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصمة - وهو شيخ كبير - ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعًا مُجَرَّبًا - قال دريد : بأي واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجالُ الخيل ، لا حَزْنٌ ضرس ، ولا سهلٌ دَهِسٌ ، ما لي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصبي ، ويعَار الشاء (صوت الغنم) ، قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم ، فدعا مالكًا وسأله عما حمله على ذلك ، فقال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فقال : راعي ضأن واللَّه ، وهل يرد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل

بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم سأل عن بعض البطون والرؤساء ، ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل ، شيئًا ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ، ثم ألق الصباة على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك » .

ولكن مالكًا - القائد العام - رفض هذا الطلب قائلًا : والله لا أفعل ؛ إنك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعني هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي ، فقالوا : أطعناك . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني :

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

أقود وطفاء الزمع ... كأنها شاة صدع [1]

وجاءت إلى مالك عيون كان قد بعثهم للاستكشاف عن المسلمين ، جاءت هذه العيون وقد تقطعت أوصالهم . قال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالًا بيضًا على خيل بُلق ، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى [2] .

أسامة : يلاحظ هنا يا والدي ، الغرور الذي كان على هذا القائد عوف ، ماذا فعل رسول الله محمد ﷺ ؟ .

الوالد : نعم يا أسامة ، شاب في الثلاثين من عمره قوي الإرادة ماضي العزيمة شجاعًا لكنه سقيم الرأي ، متهور سيىء المشورة ، وصدق الله القائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : ٨٣، ٨٤] ، ولما سمع رسول الله ﷺ بأخبار تحشد هوازن وثقيف ، كان لا بد وأن يجمع المعلومات عن العدو : أعدادهم ، تسليحهم ، أهدافهم ، موعد خروجهم ، كي يبني خطته على أساس هذه المعلومات .

لهذا وجه رسول الله ﷺ أبا حدرد الأسلمي ؛ ليستكشف قوات العدو ، ويدخل في الناس ؛ ليقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم .

وقد فعل ولكنه لم يقم بالمهمة على الوجه الأكمل ، وبعدها قرر رسول الله ﷺ الخروج لمهاجمة العدو ؛ ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين .

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٥ - ١٨٦) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥٦ - ١٥٧) ، والسيرة النبوية (ج٣ ، ص٦١٠ - ٦١٢) ، والمغازي ، الذهبي (ص٥٧١ - ٥٨٦) .

(٢) المغازي (ص٥٧٤) .

سمية : متى خرج رسول الله ﷺ للقاء الأعداء ؟ وكم كان عدد جيش المسلمين وتسليحه ؟ .

الوالد : تحرك رسول الله ﷺ إلى حنين في يوم السبت ، السادس من شهر شوال سنة ٨هـ - وكان ذلك يوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة - خرج في إثني عشر ألفًا من المسلمين ، عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا معه لفتح مكة ، وألفان من أهل مكة وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام واستعار من صفوان بن أمية ، وهو يوم ذاك كان مشركًا - أدراعًا وسلاحًا ، واستعمل على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

وكان مقدمة جيش المسلمين مؤلفة من سُلَيم ، بقيادة خالد بن الوليد ، وأمامها القطاعات الراكبة من الفرسان ، وكان القسم الأكبر مؤلفًا من القبائل الأخرى ، وأمام كل قبيلة رايته ، وكانت الكتيبة الخضراء المؤلفة من المهاجرين والأنصار في مؤخرة القسم الأكبر ، ومعها الرسول ﷺ .

وصل جيش المسلمين فجرًا إلى وادي حنين ذلك الجيش الذي قال المسلمون عنه : لن نغلب اليوم من قلة [١] .

ولما كان عشية ، جاء فارس إلى رسول الله ﷺ فقال : « إني طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشاتهم ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : « **تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله** » ، وتطوع للحراسة تلك الليلة أنس ابن أبي مرثد الغنوي .

وفي طريقهم إلى حنين رأوا سدرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذاتُ أَنْوَاط ، كانت العرب تعلق عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون ، فقال بعض أهل الجيش لرسول الله ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط . فقال : « **الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون . إنها السنن ؛ لتركبن سنن من كان قبلكم** » .

وقد كان بعضهم قال ، نظرًا إلى كثرة الجيش الإسلامي : لن نغلب اليوم ، وكان قد شق ذلك على رسول الله ﷺ .

محمود : من الملاحظ هنا يا والدي أن الجيش الإسلامي كان يضم عناصر لم تتح لهم فرصة التربية على التوحيد ، ولم تكتمل تربيتها الإيمانية حين ذاك ، وكان هذا يشكل

(١) الرسول القائد (ص٢٤٦ - ٢٥٠) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٦) ، والمغازي ، الذهبي (ص٥٧٢ - ٥٧٤) .

خطورة على الجيش في ضوء سنن الله في النصر والهزيمة .

الوالد : تمامًا يا محمود ، وقد ظهر ذلك جليًا في المعركة ، كما سنرى ؛ إذ فر قطاع ضخم من أرض المعركة .

انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين ليلة الأربعاء لعشر خلون من شوال ، وكان مالك ابن عوف النصري قد سبقهم ، فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي ، وفرق كُمناءه في الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضايق ، وأصدر إليهم أمره بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلعوا ، ثم يشدوا شدة رجل واحد .

وكانت خطة مالك تتلخص في احتلال قمم وادي حنين ومضيق الوادي ، فإذا دخلت قوات المسلمين في الوادي باغتهم المشركون بالرمي عليهم بالنبال من كل جانب ؛ لتحطيم صفوفهم ، ثم القيام بالهجوم لإجبارهم على الانسحاب .

وبالسَّحر عبأ رسول الله ﷺ جيشه وعقد الألوية والرايات وفرقها على الناس ، وفي عماية الصبح استقبل المسلمون وادي حنين ، وشرعوا ينحدرون فيه ، وهم لا يدرون بوجود كمناء العدو في مضايق هذا الوادي ؛ فبينما هم ينحطون إذ تمطر عليهم النبال ، وإذا كتائب العدو قد شدت عليهم شدة رجل واحد ؛ فانشمر المسلمون راجعين ، لا يلوي أحد على أحد ، وكانت هزيمة منكرة ، حتى قال أبو سفيان [1] بن حرب ، وهو حديث عهد بالإسلام : لا تنتهي هزيمتهم دون البحور ، وصرخ كلدة ، وجبلة بن الحنبل : ألا بطل السحرُ اليوم ، فقال له صفوان بن أمية : اسكت ، فض الله فاك ، فوالله لأن يربّني (يملكني) رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن .

وانحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين ، وثبت وهو يقول : « **هلموا إليّ أيها الناس ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله** » ، ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته .

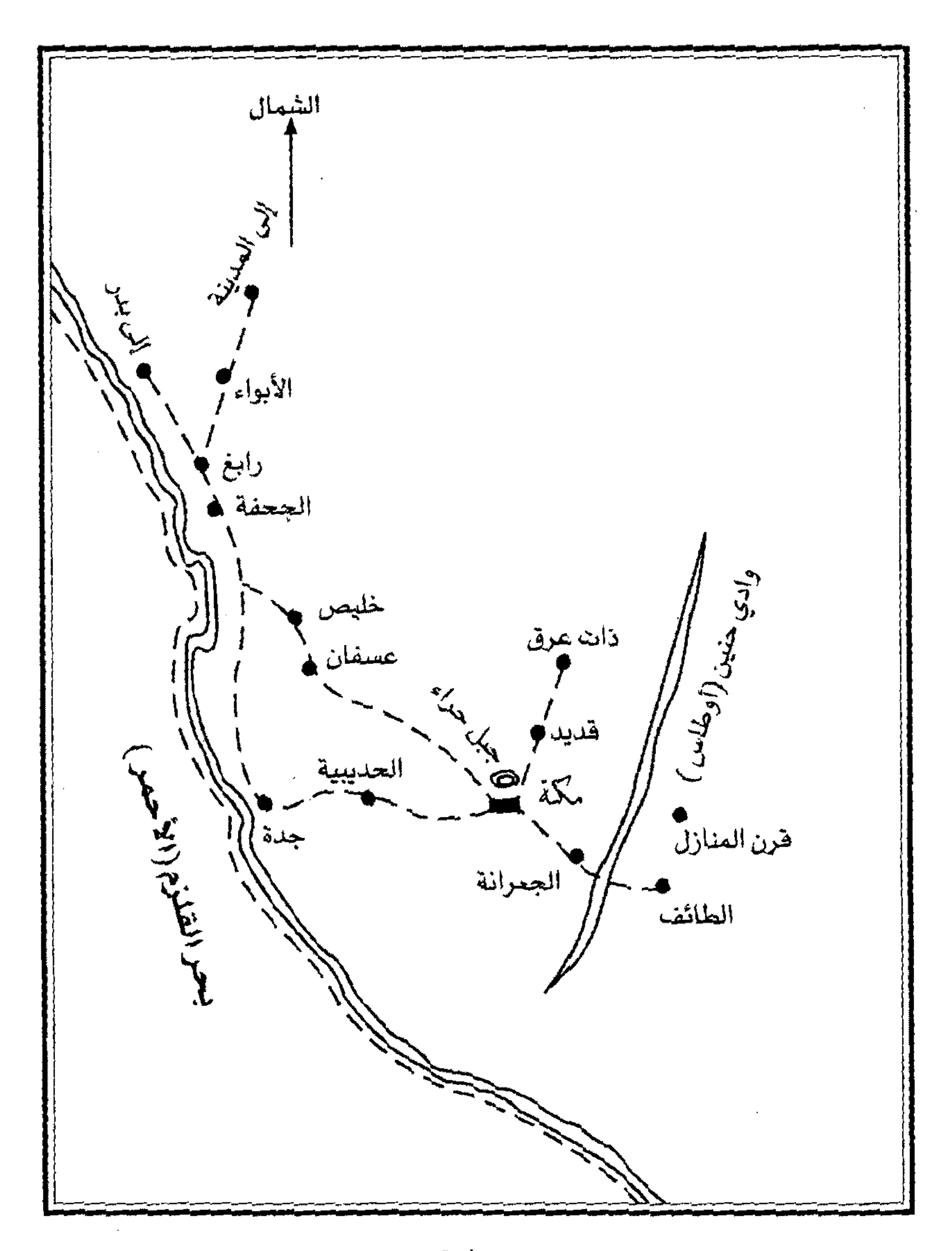
وحينئذٍ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها ؛ فقد طفق يركز بغلته قبل الكفار وهو يقول :

أنـــا الـــنـــبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عـــبـــد المطـــلـــب

بيد أن أبا سفيان بن الحارث كان آخذًا بلجام بغلته ، والعباس بركابه يكفانها أن لا تسرع . ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلًا : « **اللَّهم أنزل نصرك** » .

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٥٧٦ - ٥٧٨) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٦١٦ - ٩) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٧) .


الشمال
إلى المدينة
إلى ينبع
الأبواء
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
جبل حراء
ذات عرق
قديد
مكة
الحديبية
جدة
الجعرانة
الطائف
قرن المنازل
وادي حنين (أوطاس)
بحر القلزم (الأحمر)

غزوة حُنَيْن

ورجع المسلمون إلى رسول اللَّه ﷺ وحمي الوطيس .

وأمر رسول اللَّه ﷺ عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادي الصحابة ، قال العباس : فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة (شجرة) ؟ قال : فواللَّه لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها . فقالوا : يا لبيكاه . يا لبيكاه . ويذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر عليه . فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ، ويخلي سبيله ، ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول اللَّه ﷺ ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم خلصت آخرًا للخزرج ، وكانوا صبرًا عند الحرب . وتجالد الفريقان مجالدة شديدة ، ونظر رسول اللَّه ﷺ إلى ساحة القتال ، وقد استحر واحتدم ، فقال : « **الآن حمي الوطيس** » . ثم أخذ رسول اللَّه ﷺ قبضة من تراب الأرض فرمى بها في وجوه القوم وقال : « **شاهت الوجوه** » فما خلق اللَّه إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا من تلك القبضة ، فما زلت أرى حَدَّهم كليلًا ، وأمرهم مدبرًا . وقال رسول اللَّه ﷺ : « **وانهزموا ورب محمد** » .

وما هي إلا ساعات قلائل - بعد رمي القبضة - حتى انهزم العدو هزيمة منكرة وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين ، وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظعن [١] .

وهذا هو التطور الذي أشار إليه ﷺ في قوله : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥- ٢٦] .

محمد : معذرة يا والدي ، هل لنا أن نتعرف على من ثبت من الصحابة مع رسول اللَّه ﷺ ؟

الوالد : ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد .

أسامة : ولكن كيف تجرأ أبو سفيان ، وقال هذه الكلمة الكبيرة في حق المسلمين ، رغم أنه أعلن إسلامه : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، والشيء الآخر أن الأزلام معه في كنانته

(١) المغازي ، الذهبي (ص٥٧٨ - ٥٨٢) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥٨ - ١٦٠) ، وزاد المعاد ، (ج٢ ص١٨٦ - ١٨٧) .

الوالد : لأن هزيمة المسلمين في بداية المعركة كانت مباغتة وغير متوقعة ، كما أنه لم ينل قسطًا من التربية الإسلامية ، لقد أسلم ودخل المعركة ولم يمض على إسلامه شهر ، وهذا يؤكد لنا خطورة خوض المعارك بصف لم يكتمل تربيته الإيمانية .

أسامة : بقيت مسألة : من هو الرجل الذي خرج في صفوف المسلمين ، وحاول اغتيال النبي محمد ﷺ ؟ .

الوالد : شيبة بن عثمان الحجبي ، قال : لما كان عام الفتح ، دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة ، قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحنين ، فعسى إذا اختلطوا أن أصيب من محمد غِرَّة ، فأثأر منه ، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدًا ﷺ ، ما اتبعته أبدًا ، وكنت مرصدًا لما خرجت له ، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة ، كلما اختلط الناس واقتحم رسول الله عن بغلته وأصلت السيف ودنوت ، أريد ما أريد منه ، ورفعت سيفي حتى كدت أسوره إياه ، فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني ، فوضعت يدي على بصري خوفًا عليه ، فالتفتُّ إلى رسول الله محمد ﷺ ، فناداني : « **يا شيبة ادن مني** » ، فدنوت منه فمسح صدري ، ثم قال : « **اللَّهم أعذه من الشيطان** » ، قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إليّ من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهب الله ما كان في نفسي ثم قال : « **ادن فقاتل** » فتقدمت أمامه أضرب بسيفي الله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي كل شيء ، ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيًا لأوقعت به السيف ، فجعلت ألزمه فيمن لزمه ، حتى تراجع المسلمون فكرُّوا كرة رجل واحد ، وقُرِّبت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها ، وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره ، فدخل خباءه فدخلت عليه ، ما دخل عليه أحد غيري ؛ حبًا لرؤية وجهه وسرورًا به ، فقال : « **يا شيبة الذي أراد الله بك خير مما أردت لنفسك** » ، ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي ما لم أكن أذكره لأحد قط ، قال : فقلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، ثم قلت : استغفر لي فقال : « **غفر الله لك** » [1] .

الوالدة : هذا الحدث يحتاج إلى وقفة يا أبا محمد .

الوالد : تفضلي .

الوالدة : هذا نموذج يظهر لنا نتيجة الهداية إلى الدين الحق من تحول

---

(١) المغازي الذهبي (ص٥٨٣) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٧) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٥٨ - ١٥٩) السيرة النبوية (ج٣ ، ص٦٣١) .

جذري في السلوك والفكر هذا التحول من محاولة طمس مصدر النور الذي أضاء الدنيا كلها ، إلى بذل كل الجهد في حماية ذلك المصدر ، كان من أهم دوافعه ما جبل عليه الرسول محمد ﷺ من مكارم الأخلاق [1] .

عمار : هل حرم الأنصار من الغنائم يا أبي ؟ وما هو أثر ذلك في نفوسهم ؟ وكيف عالج النبي ﷺ هذا الموقف ؟ .

الوالد : نعم ، لقد حرم الأنصار جميعهم أُعْطِية حنين ، وهم الذين آووا ونصروا .

لما أعطى رسول اللَّه ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش ، وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت فيهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي واللَّه رسول اللَّه ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول اللَّه ، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : « **فأين أنت من ذلك يا سعد** ؟ » ، قال سعد : يا رسول اللَّه ، ما أنا إلا من قومي .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة** » ، فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : لقد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول اللَّه ﷺ فحمد اللَّه وأثنى عليه ، ثم قال :

« **يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم ، وَجِدَة وجَدْتُموها عليَّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالًا فهداكم اللَّه ، وعالةً فأغناكم اللَّه ، وأعداء فألف اللَّه بين قلوبكم ؟** » .

قالوا : بلى ، اللَّه ورسوله أمنُّ وأفضل .

ثم قال ﷺ : « **ألا تجيبوني يا معشر الأنصار** » .

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول اللَّه ؟ للَّه ولرسوله المن والفضل .

قال ﷺ : « **أما واللَّه لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصُدِّقْتُمْ : أتيتنا مكذبًا فصدقناك ، ومخذولًا فنصرناك ، وطريدًا فآويناك ، وعائلًا فآسيناك .**

أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ؛ ليسلموا

---

(١) التاريخ الإسلامي ، دروس وعبر ، المجلد الرابع (ج٨ ، ص٢٨) .

ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبًا ، وسلكت الأنصار شعبًا ؛ لسلكت شعب الأنصار ، اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » (١) .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًا ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا .

الأولاد : رضي الله عن الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ، ونحن معهم يا رب العالمين ، آمين .

رحمة : معذرة يا جدي ، لقد سمعت أن الشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة - كانت في السبي ، ما هو مصيرها ؟ .

الوالد : فعلًا يا رحمة لقد كانت الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى السعدية في السبي ، وهي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فلما جيء بها إلى رسول الله ﷺ عرفت له نفسها ، فعرفها بعلامة فأكرمها ، وبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، ثم منَّ عليها ، وردها إلى قومها .

رحمة : ما هي العلامة يا جدي ؟ .

الوالد : قالت الشيماء : يا رسول الله ، أنا أختك في الرضاعة ، قال : « **وما علامة ذلك** » ، قالت : عضة عضضتنيها في ظهري ، وأنا متوركتك ، فعرف رسول الله محمد ﷺ العلامة ، وخيرها : « **إن أحببت فأقيمي عندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أمتعك فترجعي إلى قومك** » .

قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، ففعل رسول الله ﷺ (٢) .

إيمان : ما فعلت فلول المشركين من هوازن وثقيف الذين هزموا في حنين ؟ هل تحصنوا بالطائف ؟ وما فعل رسول الله ﷺ حيالهم ؟

الوالد : لما انهزم العدو صارت طائفة منهم إلى الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وطائفة إلى نخلة ، وطائفة إلى أوطاس ، فأرسل النبي ﷺ إلى أوطاس طائفة من

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٨ - ١٨٩) ، والسيرة النبوية ابن كثير (ج٣ ، ص٦٧٣ - ٦٧٩) ، والمغازي ، الذهبي ، (ص٦٠٠ - ٦٠١) .

(٢) زاد المعاد (ج٢ ، ص١٨٩) ؛ السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٦٨٨ - ٦٩٠) المغازي (ص٦١٠) .

المطاردين يقودهم أبو عامر الأشعري ، فتناوش الفريقان القتال قليلًا ، ثم انهزم جيش المشركين ، وفي هذه المناوشة قُتل القائد أبو عامر الأشعري ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري (ابن عمه) فقاتل ففتح اللَّه عليه ، فهزمهم اللَّه وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **اللَّهم اغفر لأبي عامر وأهله ، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك** » واستغفر لأبي موسى .

وطاردت طائفة أخرى من فرسان المسلمين فلول المشركين الذين سلكوا نخلة ، فأدركت دُرَيْد بن الصمة ، فقتله ربيعة بن رفيع .

وأما معظم فلول المشركين الذين لجأوا إلى الطائف ، فتوجه إليهم رسول اللَّه ﷺ بنفسه بعد أن جمع الغنائم .

محمد : ماذا عن الغنائم ؟ .

الوالد : أكمل يا أسامة .

أسامة : وكانت الغنائم : السبي ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرون ألفًا ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، أمر رسول اللَّه ﷺ بجمعها ، ثم حبسها بالجعرانة وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري ، ولم يقسمها حتى فرغ من غزوة الطائف ، فاستأنى بهم رسول اللَّه ﷺ أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة ليلة ، يبتغي أن يقدم عليه وفد هوازن تائبين ، فيحرزوا ما فقدوا ، ولكنه لم يجئه أحد ، فبدأ بقسمة المال ليسكت المتطلعين من رؤساء القبائل ، وأشراف مكة فكان المؤلفة قلوبهم أول من أعطى وحظي بالأنصبة الجزلة .

وأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل ، فقال : ابني يزيد ؟ فأعطاه مثلها ، فقال : ابني معاوية ؟ فأعطاه مثلها ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها . وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل ، وكذلك أعطى رجالًا من رؤساء قريش وغيرها مائة مائة من الإبل ، وأعطى آخرين خمسين خمسين وأربعين أربعين ، حتى شاع في الناس أن محمدًا ﷺ يعطي عطاء ما يخاف الفقر ؛ فازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال ، حتى اضطروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال : « **أيها الناس ردوا عليَّ ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان عندي شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا** » .

ثم قام إلى جنب بعيره فأخذ من سنامه وبرة فجعلها بين إصبعه ، ثم رفعها فقال : « **أيها الناس والله ما لي من فيئكم ، ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم** » .
وبعد إعطاء المؤلفة قلوبهم ، أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحضار الغنائم والناس ، ثم فرضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربعًا من الإبل وأربعين شاة ، فإن كان فارسًا أخذ اثني عشر بعيرًا وعشرين ومائة شاة .

كانت هذه القسمة مبنية على سياسة حكيمة ، فإن في الدنيا أقوامًا كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم ، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليها فمها ، حتى تدخل حظيرتها آمنة ، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون من الإغراء ، حتى تستأنس بالإيمان وتهش له [1] .

الوالد : جزاكم الله خيرًا ؛ فهذه الأخطار وأمثالها تبين منهجًا من مناهج رسول الله ﷺ في الدعوة ، وهو أنه كان يتألف الكبار إلى الإسلام بالمال ، وخاصة سادتهم وأشرافهم الذين لهم أتباع يأخذون برأيهم ؛ ذلك أن هؤلاء الكبار إذا أسلموا أسلم أتباعهم ، فلذلك أعطى زعماء أهل مكة وبعض القبائل ، ولقد كان لهذه العقائد أثر في إسلام بعضهم ، وفي ثباتهم على الإسلام .

إيمان : معذرة يا والدي ، لقد انشغلنا بالحديث عن توزيع الغنائم ، وفاتنا الحديث عن فلول المشركين من هوازن وثقيف الذين هزموا في حنين وتحصنوا بالطائف ، فهل كان رسول الله ﷺ على علم بهذا ؟ وما هي الإجراءات التي اتخذها لمواجهة ذلك التحدي ؟

الوالد : نعم يا إيمان ، لقد تجمعت المعلومات لدى رسول الله ﷺ أن فلول المنهزمين من حنين تحصنوا بالطائف بقيادة مالك بن عوف النصري ، ومن هنا كان قرار رسول الله ﷺ : « لا بد من مداهمتهم في عقر دارهم (بالطائف) » وخرج إليهم ﷺ في شهر شوال سنة ٨هـ / ٦٢٩م .

وقدم خالد بن الوليد على مقدمته طليعة في ألف رجل ، ثم سلك رسول الله ﷺ إلى الطائف ، فمر في طريقه على النخلة اليمانية ، ثم على قرن المنازل ، ثم على لية ، وكان هناك حصن لمالك بن عوف فأمر بهدمه ، ثم واصل سيره حتى انتهى إلى الطائف فنزل قريبًا من حصنه ، وعسكر هناك ، وفرض الحصار على أهل الحصن .

---

(١) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، المجلد الرابع (ج٨ ، ص٤٢ - ٤٣) ، وزاد المعاد ، (ج٢ ، ص١٨٨) ، والسيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٦٨٠) ، والمغازي (ص٥٩٩ - ٦٠٢) .

ودام الحصار مدة غير قليلة ، ففي رواية أنس عند مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يومًا ، وعند أهل السير خلاف في ذلك فقيل : عشرين يومًا ، وقيل : بضعة عشر ، وقيل : ثمانية عشر ، وقيل : خمسة عشر .

ووقعت في هذه المدة مراماة ومقاذفات ؛ فالمسلمون أول ما فرضوا الحصار رماهم أهل الحصن رميًا شديدًا كأنه رجل جراد ؛ حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات ، وقتل منهم اثنا عشر رجلًا ، واضطروا إلى الارتفاع عن معسكرهم إلى مكان آخر ، فعسكروا هناك .

ونصب النبي ﷺ المنجنيق على أهل الطائف ، وقذف به القذائف ، حتى وقعت شدخة في جدار الحصن ، فدخل نفر من المسلمين تحت دبابة ، ودخلوا بها إلى الجدار ليحرقوه ؛ فأرسل عليهم العدو سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرموهم بالنبل ، وقتلوا منهم رجالًا [١] .

وأمر رسول اللّه ﷺ - كجزء من سياسة الحرب لإلجاء العدو إلى الاستسلام - أمر بقطع الأعناب وتحريقها . فقطعها المسلمون قطعًا ذريعًا ، فسألته ثقيف أن يدعها للّه والرحم ، فتركها ﷺ للّه والرحم .

ونادى مناديه ﷺ : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا ، فهو حر ، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلًا فيهم أبو بكرة - تسور حصن الطائف وتدلى منه ببكرة مستديرة يستقي عليها ، فكناه رسول اللّه ﷺ « أبا بكرة » - فأعتقهم رسول اللّه ﷺ ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة .

ولما طال الحصار ، واستعصى الحصن ، وأصيب المسلمون بما أصيبوا من رشق النبال وبسكك الحديد المحماة - وكان أهل الحصن قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة - ، استشار رسول اللّه ﷺ نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك ؛ وحينئذٍ عزم رسول اللّه ﷺ على رفع الحصار والرحيل ، فأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس : إنا قافلون غدًا إن شاء اللّه ، فثقل عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتحه ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : « **اغدوا على القتال** » فغدوا فأصابهم جراح ، فقال : « **إنا قافلون غدًا إن شاء اللّه** » ، فسروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ورسول اللّه ﷺ يضحك .

---

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٦٥٢ - ٦٦٦) ، والمغازي (ص٥٩١ - ٥٩٨) .

محمد : هل يمكن أن نقول إن الحصار قد طال وعجز المسلمون على اقتحام الطائف ، وكثرت خسائرهم ، لذلك قرروا الانسحاب ؟ .

الوالد : هذه بعض الأسباب ، أضف إلى ذلك أن رسول اللَّه ﷺ كان يريد أن يتألف قلوبهم ، ويمن عليهم بفك نسائهم وأطفالهم ، وقيل : يا رسول اللَّه ، ادع على ثقيف ، فقال : « **اللَّهم اهد ثقيفًا وآت بهم** » .

وصدق حدس النبي محمد ﷺ وقبل اللَّه دعوته ، وجاء وفد ثقيف ليعلن إسلامه للَّه رب العالمين ، وقد وزعت الغنائم .

وكان وفد هوازن يتكون من أربعة عشر رجلًا ، ورأسهم زهير بن صرد [1] وفيهم أبو برقان ، عم رسول اللَّه ﷺ من الرضاعة ، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي والأموال وأدلوا إليه بكلام ترق له القلوب ، فقال : « **إن معي من ترون ، وإن أحب الحديث إليَّ أصدقه ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟** » قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئًا . فقال : « **إذا صليت الغداة** – أي صلاة الظهر – **فقوموا ، وقولوا** : « **إنا نستشفع برسول اللَّه ﷺ إلى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول اللَّه ﷺ أن يرد إلينا سبينا** » فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أما ما كان لي ولبني عبد المطلب ، فهو لكم ، وسأسأل لكم الناس** » ، فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول اللَّه ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول اللَّه ﷺ فقال العباس بن مرداس : وهنتموني .

فقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن هؤلاء القوم قد جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت سبيهم ، وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئًا . فمن كان عنده منهن شيء ، فطابت نفسه بأن يرده فسبيل ذلك ، ومن أحب أن يستمسك بحقه ، فليرد عليهم ، وله بكل فريضة ست فرائض من أول ما يفيء اللَّه علينا** » فقال الناس : قد طيبنا لرسول اللَّه ﷺ . فقال : « **إنا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرض . فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم** » لم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن ، فإنه أبى أن يرد عجوزًا صارت في يديه منهم ، ثم ردها بعد ذلك وكسا رسول اللَّه ﷺ السبي قبطية قبطية .

---

(١) السيرة النبوية ، (ج٣ ، ص٦٦٧ – ٦٧٣) ، والمغازي (ص٦٠٤ – ٦٠٧) .

محمود : رضي الله عن صحابة رسول الله الذين تعلموا في مدرسة الإسلام أهمية الصدقات ، وتفريج كربات المسلمين ، ومنها رد النساء والأطفال إلى ذويهم بعد أن صارت ملك أيمانهم ، وقبل ذلك وبعد ذلك الاستجابة لتوجيهات رسول الإسلام محمد ﷺ ، وكذلك استشعار حقوق الأخوة في الإسلام ، والقيام بها وأداؤها أعظم ما يكون الأداء .

الوالد : فعلًا يا محمود ، جزاك الله خيرًا ، نواصل حديثنا .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من قسمة الغنائم في الجعرانة ، أهلَّ معتمرًا منها ؛ فأدى العمرة وانصرف بعد ذلك راجعًا إلى المدينة بعد أن ولى على مكة عتاب بن أسيد ، وكان رجوعه إلى المدينة لستٍّ ليال بقيت من ذي القعدة سنة ٨هـ .

ولما ارتحلوا واستقلوا قال : « **قولوا : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون** » .

وقد علق على عودة النبي ﷺ إلى المدينة بعد الفتح المبين الشيخ محمد الغزالي : للّه ما أفسح المدى الذي بين هذه العودة الظافرة ، بعد أن توج الله هامته بالفتح المبين ، وبين مقدمه إلى هذا البلد النبيل منذ ثمانية أعوام .

لقد جاء مطاردًا يبغي الأمان غريبًا مستوحشًا ينشد الإيلاف والإيناس ، فأكرم أهله مثواه وأووه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، واستخفوا بعداوة الناس جميعًا من أجله ، وها هو ذا بعد ثمانية أعوام يدخل المدينة التي استقبلته مهاجرًا خائفًا لتستقبله مرة أخرى ، وقد دانت له مكة وألقت تحت قدميه كبرياءها وجاهليتها ؛ فأنهضها ليعزها بالإسلام وعفا عن خطيئاتها الأولى ، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .

وعند هذا الحد نكتفي يا أبناء على أمل أن نلتقي بكم قريبًا إن شاء الله .

الوالدة : معذرة يا أبا محمد ، قبل أن نختم هذا اللقاء .

هناك بعض الدروس المهمة التي نعرض لبعض منها :

- إن الصدام بين الحق والباطل صراع قديم ومستمر لحكمة ربانية ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

- إن أهل الحق الذين أدركوا أن الصدام مع الباطل حتمي - لا بد وأن يأخذوا بالأسباب كما فعل رسول الله ﷺ : يعد ما في الطوق ، ويربي إنسان العقيدة ، ويحرص على وحدة الصف ، وحيازة أسباب القوة المادية ، ويسبق ذلك جمع المعلومات عن العدو

قادته ، إستراتيجيته ، كيف يفكر ، غاياته ، ومخططاته ضد أهل الحق ؛ حتى لا يباغت أهل الحق بالعدوان ، وهذا ما فعله رسول اللَّه ﷺ بالنسبة لأهل ثقيف والطائف .

● خطورة انخراط العناصر التي لم تكتمل تربيتها الإيمانية بعد في صفوف الجيش المقاتل (المجاهد) ؛ لأنها تشكل نقطة ضعف ؛ فسبب انهزام المسلمين في بداية معركة حنين مرجعه إلى فرار الطلقاء الذين لم ينالوا القسط الوافي من التربية بعد إسلامهم ، وإن كان السبب الرئيسي هو اغترار المسلمين بقوتهم : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥، ٢٦] .

● عدم الاكتفاء بفرد واحد لجمع المعلومات عن العدو ، بل لا بد من أكثر من طلعة ؛ لاختراق صفوف العدو ، واستكشاف قواته ، والأرض الموجود عليها ، قبل اتخاذ قرار الهجوم والمواجهة والمقاومة .

● أهمية الصبر والثبات والدعاء ، وهذا ما فعله رسول اللَّه ﷺ والقلة التي ثبتت معه ، وأيضًا نداء الرسول محمد ﷺ : « **يا أصحاب بيعة الرضوان** (الشجرة) **الثبات الثبات ، إليَّ عباد اللَّه ، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب** » وأخذ حفنة حصباء وضرب بها وجوه القوم قائلًا : « **شاهت الوجوه** » . فما خلق اللَّه إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا من تلك القبضة . وصدق اللَّه القائل : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

ومع الأخذ بالأسباب ، والإنابة إلى اللَّه ، والتوكل عليه وعدم الاغترار بالأعداد - كان النصر العظيم . يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥، ٢٦] .

● أيضًا من الدروس المستفادة أهمية التجرد وتحرير النية ، وأن يكون الجهاد في سبيل اللَّه ، وليس من أجل الغنائم أو أي شيء من عرض الدنيا الزائل . فرسول اللَّه ﷺ قسم الغنائم على المهاجرين دون الأنصار الذين وجدوا في أنفسهم لحرمانهم من الغنائم ،

وقالوا كلامًا ما كان لهم أن يقولوه . من أجل هذا جمعهم رسول اللَّه ﷺ وذكرهم : « **ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول اللَّه ﷺ إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار** » .

● يقول ﷺ : « **وجعل رزقي تحت رمحي** » يبدو ذلك من الغنائم الوفيرة التي حازها المسلمون يوم حنين .

● جزاك اللَّه خيرًا يا أبا محمد أن أعطيتنا هذه الفرصة .

الوالد : وجزاكم .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك نتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● عقد رسول اللَّه ﷺ بعد فتح مكة ألوية لسرايا ، لتحطيم الأصنام في مناطق مجاورة بهدف إزالة منكر ، وسد السبيل أمام الراغبين في التعبد لتلك الأوثان ، وفي هذا النطاق كانت سرية خالد بن الوليد في رمضان سنة ٨هـ ؛ لهدم العزى ، وسرية عمرو بن العاص في نفس التاريخ لهدم صنم هذيل ، وسرية سعد بن زيد الأشهلي ؛ لهدم مناة . اكتب مذكرات مختصرة عن كل منها مع بيان الدروس المستفادة في ضوء التكاليف الربانية .

يقول اللَّه تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٥، ٢٧] .

● متى كانت غزوة حنين ؟ وما هي القبائل التي عقدت العزم على حرب رسول اللَّه ﷺ بعد فتح مكة ، ومتى ؟ .

● من هو مالك بن عوف النصري ؟ كم كان عمره وقت المعركة ؟ إلى أي شيء كان يهدف من وراء قتال المسلمين ؟ .

● ماذا فعل النبي محمد ﷺ ؟ من الذي قام بجمع المعلومات عن العدو ؟ وهل كانت المعلومات دقيقة ؟ ماذا ترتب على اعتماد هذه المعلومات ؟ ما النتائج التي أسفرت عنها المعركة ؟ ومن المسئول عن ذلك بين يدي اللَّه ﷻ ؟ .

● لماذا هزم المسلمون في بداية معركة حنين ؟ ماذا حدث لجيش المسلمين الذي بلغ اثني عشر ألفًا ، والذي كان يتصور أفراده أنهم لن يغلبوا عن قلة ؟ كم فردًا صمد مع رسول اللَّه ﷺ في أرض المعركة ؟ كيف استطاع رسول اللَّه ﷺ والقلة القليلة الصامدة من أصحابه ، أن يحولوا الهزيمة إلى نصر ؟ وكيف تفسر ذلك في ضوء السنن الربانية ؟

● تحدث عن تشكيلات جيش المسلمين ودور كل منها .

● لم ينتبه المسلمون أن مالك بن عوف قائد هوازن وثقيف ، قد سبقهم إلى وادي حنين ، وأدخل جيشه بالليل ، وفرق كمناءه في الطرق والمداخل ، والشعاب والأخباء والمضايق ، وأصدر إليهم أمره أن يرشقوا المسلمين أول ما طلعوا ، ثم يشدوا شدة رجل

واحد ، ماذا ترتب على ذلك حينما دخل المسلمون وادي حنين في عماية الصبح ، وشرعوا يتحدرون فيه ، وهم لا يدركون بوجود كمناء العدو في مضايق هذا الوادي ؟ .

● كم كانت خسائر المسلمين ؟ وكيف خرج الرسول محمد ﷺ من ذلك المأزق ؟ .

● ظهرت شجاعة الرسول محمد ﷺ وصبره وثباته ، وحسن إدارته للمعركة في حنين ، التي حول بها الهزيمة إلى نصر مؤزر ، غنم المسلمون نتيجة هزيمة العدو غنائم كثيرة كم كانت ؟ وعلى من وزعها النبي ﷺ ؟ هل أعطى رسول اللَّه ﷺ الأنصار منها شيئًا ؟ .

● هل وجد الأنصار في أنفسهم شيئًا حينما أعطى رسول اللَّه ﷺ المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعطهم ؟ ماذا فعل الرسول ﷺ لتطييب خاطرهم ؟ .

● كان رسول اللَّه ﷺ حريصًا على التريث قبل توزيع الغنائم لمدة أحد عشر يومًا ، ما الهدف ؟ وهل تم توزيعها بعد ذلك؟ ما فعل النبي ﷺ في السبي ؟ .

● أثناء معركة حنين حاول أحد الأشخاص اغتيال النبي محمد ﷺ ، من هو ذلك الشخص ؟ وماذا فعل النبي محمد ﷺ معه ؟ وهل أدرك الشخص غايته ؟ ما الدروس المستفادة من هذه الواقعة ؟ .

● اذكر قصة إسلام شيبة بن عثمان الحجبي .

● كان من جملة السبي الشيماء أخت رسول اللَّه ﷺ من الرضاعة ، كيف عرفها ؟ وما فعل معها ؟ .

● أجمعت فلول جيش المشركين الذين هربوا بعد معركة حنين إلى الطائف – على قتال رسول اللَّه ﷺ ، مخلفين وراءهم نساءهم وأطفالهم وأموالهم ، ومن أجل هذا تحرك جيش المسلمين بقيادة النبي ﷺ إلى الطائف . هل حاصروها ؟ ما هي النتائج التي أسفر عنها حصار الطائف ؟ لماذا فك النبي ﷺ الحصار عن الطائف ؟ .

● دعا رسول اللَّه ﷺ لأهل الطائف ، فقال : « **اللَّهم اهد ثقيفًا وأت بهم** » ، هل اسْتجِيبت الدعوة ؟ .

● ماذا فعل النبي ﷺ مع ثَقيف وهوازن الذين أسلموا ، فيما يتصل بالغنائم والسبي الذي تم توزيعه ؟ .

● أهلَّ رسول اللَّه ﷺ بالعمرة من الجعرانة ، فهل هذا هو ميقات أهل مكة ؟ وما هو

ميقات أهل مكة ؟ .

● متى رجع رسول اللّه ﷺ إلى المدينة المنورة هو وأصحابه ؟ كيف رتب أمر مكة المكرمة والقبائل المجاورة ؟ .

● ما هي الدروس المستفادة في ضوء ما كتبه ابن قيم الجوزية ؟ .

اللقاء الثامن والثلاثون

رسول الله محمد ﷺ يواصل توجيه دعاة الإسلام إلى القبائل العربية ، ويعقد الألوية للسرايا والبعوث لتأديب كل من يحاول تكدير أمن الأمة الإسلامية (المحرم ٩هـ / ٦٣٠ م)

الوالد : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

هذا هو لقاؤنا الثامن والثلاثون نعرض فيه لجهود النبي ﷺ لإقامة دين الإسلام في حياة الإنسان ، وتحقيق الأمن للإنسان على وجه العموم ، وأمة الإسلام على وجه الخصوص .

بعد رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة في أواخر السنة الثامنة للهجرة / ٦٢٩م ، واصل مهمته في إبلاغ دعوة الإسلام إلى القاصي والداني ، كما واصل قيادة الغزوات بإرسال البعوث والسرايا [١] إلى من لم تبلغه دعوة الإسلام ، ولكسر شوكة كل من تسول له نفسه محاولة النيل من الدولة الإسلامية الوليدة أو الاعتداء عليها .

على سبيل المثال :

● بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى بني فزارة ، والمهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء (وخرج عليه المرتد ومدعي النبوة الأسود العنسي) كما بعث قيس بن عاصم إلى بني سعد ، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين ، وعلي بن أبي طالب إلى نجران ، وكان البعث اعتبارًا من شهر المحرم سنة ٩ هـ / ٦٣٠م .

● لقد قام ﷺ بعقد لواء لسرية تتكون من خمسين فارسًا ، بقيادة عُيينة بن حصن الفزاري في شهر المحرم سنة ٩ هـ - إلى قبيلة بني تميم الذين حرضوا القبائل على رسول الله ﷺ ، وأغروهم ومنعوهم من أداء الجزية (وكان ذلك بمثابة خروج على قيادة الدولة الإسلامية) .

وانطلقت السرية إلى بغيتها بحذر شديد ، تكمن بالنهار وتسير بالليل ، وباغتت القبيلة المارقة ، فولى القوم مدبرين مخلفين وراءهم أحد عشر رجلًا ، وإحدى وعشرين امرأة ، وثلاثين صبيًّا وقعوا أسرى في أيدي المسلمين .

سلمان : صدق رسول الله ﷺ القائل : « **وجعل رزقي تحت ظل رمحي** » ؛

(١) الرحيق المختوم (٥٠٣ - ٥٠٤) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص٢٠٣ - ٢٠٤) ، والمغازي (ص٦٢٣ - ٦٢٤) .

معذرة يا جدي ماذا فعل المسلمون بالأسري ؟ .

الوالد : أنزلهم رسول اللَّه ﷺ في دار رملة بنت الحارث بالمدينة ، ورفق بهم وأجرى لهم الأرزاق ، حتى جاء عشرة من رؤساء القبيلة فاعتذروا عما بدر منهم وأعلنوا توبتهم أمام رسول اللَّه محمد ﷺ ، وطلبوا منه أن يمن عليهم بإطلاق أسراهم ، واستجاب صاحب القلب الرحيم ، وغفر لهم ومنَّ عليهم بفك أسراهم .

سارة : معذرة يا جدي ، الملاحظ أن سرايا المسلمين دائمًا تحظى بتوفيق اللَّه ﷻ .

الوالد : هذا من فضل اللَّه رغم قلة عدد المسلمين وقلة عدتهم ، ورغم أنهم يقدمون شهداء وتضحيات ، مثلما حدث في سرية قطبة بن عامر إلى حي من خثعم بناحية تبالة بالقرب من تربة ، في صفر سنة ٩ هجرية ، حيث قتل قطبة مع من قتل .

ومن السرايا [١] التي عقد لها رسول اللَّه ﷺ الرايات :

١ - سرية الضحاك بن سفيان الكلابي ، إلى بني كلاب ، في ربيع الأول سنة ٩هـ / ٦٣٠ م .

٢ - سرية علقمة بن مجزز المُدْلِجِي إلى سواحل جدة في شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ ، لإجهاض تجمع للأحباش بالقرب من سواحل جدة ؛ للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة .

٣ - سرية علي بن أبي طالب لتحطيم صنم لطيئ يقال له الفلس ، في شهر ربيع الأول سنة ٩هـ . وقد نجحت السرية في أداء مهمتها ، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء .

محمود : معذرة يا أبي ، أليست هذه السرية التي سبيت فيها أخت عدي بن حاتم ، في الوقت الذي هرب فيه أخوها عدي إلى الشام ؟ .

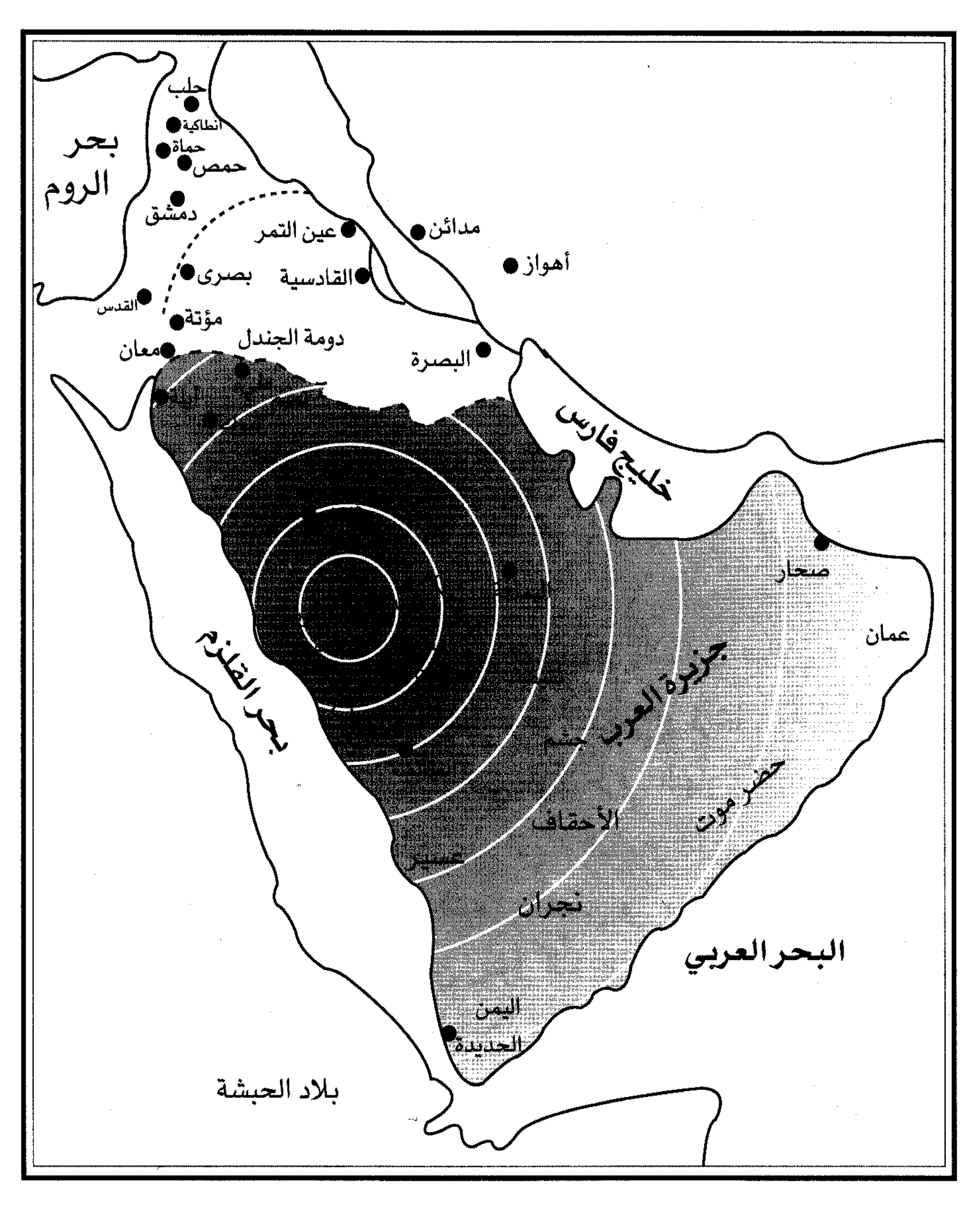
الوالد : نعم ، ولما وصلت أخته إلى المدينة المنورة (عاصمة الدولة الإسلامية) ، استعطفت النبي محمدًا ﷺ قائلة : « يا رسول اللَّه ، غاب الوافد وانقطع الوالد ، وأنا عجوز كبيرة ، ما بي من خدمة ، فمُنَّ عليَّ منَّ اللَّه عليك » .

قال ﷺ : « **من وافدك ؟** » . قالت : عدي بن حاتم .

قال ﷺ : « **الذي فر من اللَّه ورسوله** » ، ثم مضى .

---

(١) المغازي (ص٦٢٣ - ٦٢٤) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص٢٠٣ - ٢٠٤) .



انتشار الإسلام في عهد النبي ﷺ

فلما كان الغد قالت أخت عدي مثل ذلك ، قال لها رسول الله ﷺ مثل ما قاله أمس . فلما كان بعد الغد قالت مثل ذلك . فمن عليها رسول الله ﷺ ، وكان إلى جنبه رجل - ترى أنه علي رضي الله عنه - فقال لها : « **سليه الحملان** » . فسألته ، فأمر لها به [١] .

محمود : الله أكبر ، جزى الله خيرًا رسول الله محمدًا ﷺ الرحمة المهداة الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، والسؤال الذي يطرح نفسه : ماذا فعلت أخت عدي بعد ذلك يا أبت ؟ .

الوالد : رجعت إلى أخيها عدي بالشام ، فلما لقيته قالت عن رسول الله ﷺ : « لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها ، ائته راغبًا أو راهبًا » .

فجاء عدي رسول الله ﷺ بغير أمان ولا كتاب فأتي به إلى داره ﷺ ، فلما جلس بين يديه ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ﷺ : « **ما يفرك ؟ أيفرك أن تقول لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ؟** » .

قال : لا ، ثم تكلم ساعة ، ثم قال : « **إنما تفر أن يقال : الله أكبر ، فهل تعلم شيئًا أكبر من الله ؟** » .

قال : لا . قال : « **فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون** » .

قال عدي : فإني حنيف مسلم ، فانبسط وجه النبي ﷺ فرحًا ، وأمر به فنزل عند رجل من الأنصار ، وجعل يأتي ، بيت النبي ﷺ طرفي النهار [٢] .

أسامة : معذرة يا أبي ، وفي هذا دليل على المنهج الدعوي الحق ، إنه منهج النبوة في الدعوة إلى الله الذي يجب أن يراعيه الدعاة ، فنحن في مسيس الحاجة إليه . بقيت إشارة يا والدي وهي أن هناك بشارة من رسول الله ﷺ بانتصار دين الإسلام ، قالها عند لقائه بعدي بن حاتم ، وقد أوردها البخاري .

الوالد : انتظر يا أسامة ، ودع أهل الاختصاص يتكلمون .

أسامة : سمعًا وطاعة ، تفضل يا محمود .

محمود : روى البخاري عن عدي ، قال : « بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : « **يا عدي ، هل رأيت الحيرة ؟ فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة** [٣] **حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف**

---

(١) زاد المعاد (ج٢ ، ص٢٠٤ - ٢٠٥) ، والسيرة النبوية (ج٤ ، ص١٢٣ - ١٣٢) .

(٢) زاد المعاد (ج٢ ، ص٢٠٥) المغازي (٦٨٧) .

(٣) السيرة النبوية (ج٤ ، ص١٢٣ - ١٣٢) ، والمغازي (٦٨٧) ، وزاد المعاد (ج٢ ، ص٢٠٥) .

أحدًا إلا اللَّه ، ولئن طالت بك حياة ، لتفتحن كنوز كسرى ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضه ، ويطلب من يقبله ، فلا يجد أحدًا يقبله منه ...» الحديث - وفي أخرى قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللَّه ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ [1] .

الوالد : صدق اللَّه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف : ٩] ، وصدق رسول اللَّه ﷺ القائل : « **لقد زويت لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها ، وإن أمر أمتي لبالغ ما رأيت منها** » . وهذه كلها من علامات النبوة ، وأنه ما ينطق عن الهوى ﷺ .

ولقد بشرنا بفتح رومية التي كانت عاصمة للإمبراطورية الرومية (بشبه الجزيرة الإيطالية) ، كما بشرنا بفتح القسطنطينية التي افتتحها محمد الفاتح سنة ٨٥٣هـ - وسماها إسلامبول أي مدينة الإسلام .

اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ؛ إنك حميد مجيد .

وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك نتوب إليك .

* * *

(١) المغازي (ص٦٨٨) .

اختبر معلوماتك

- لم يتوقف رسول اللَّه ﷺ بعد فتح مكة عن توجيه الدعاة لدعوة الناس إلى الإسلام ، اذكر بعض أسماء هؤلاء الدعاة ؟ .
- وجه رسول اللَّه ﷺ بعوثًا ، اكتب مذكرات مختصرة عنها ، وعن الغنائم التي حازها المسلمون .
- من الواضح أنه من صفات النبي محمد ﷺ العفو عند المقدرة ، اذكر حدثًا يتصل بسرية بني تميم يؤكد هذا .
- وجه رسول اللَّه ﷺ سرية إلى بني كلاب ، وسرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب ، غنمت وسلمت وأسرت أخت عدي بن حاتم . اكتب مذكرات مختصرة ، واذكر الاستعطاف الذي قدمته أخت عدي بن حاتم ، بين يدي رسول اللَّه محمد ﷺ ، ومدى استجابته ﷺ لها ، مع ذكر الدروس المستفادة .
- ما هو الأثر الذي تركه عفو رسول اللَّه ﷺ عن أخت عدي بن حاتم ، وإكرام وفادتها ؟ .
- قدم لنا رسول اللَّه ﷺ - قدوتنا وأسوتنا - نموذجًا للدعوة إلى اللَّه ، وهو يدعو عديّ بن حاتم إلى الإسلام ، استعرض هذا النموذج ، وهل أسلم عدي بن حاتم ؟ .
- ذكر رسول اللَّه ﷺ في مجلس عديّ بن حاتم حديثًا يروي أحداثًا ستقع بعده ، تؤكد انتصار الإسلام ، وتطبيق شرائعه ، وتحقيق الأمن والأمان لبني الإنسان ، هل وقع فعلًا ما ذكره رسول اللَّه ﷺ ؟ وهل شاهد عديّ بن حاتم جانبًا منه ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

اللقاء التاسع والثلاثون

الرسول القائد يخرج إلى تبوك لمنازلة دولة الاحتلال الرومي البيزنطية (سنة ٩هـ / ٦٣٠م)

الوالد : السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

الحمد للَّه والصلاة والسلام على خاتم رسل اللَّه محمد ﷺ وبعد ..

هذا هو لقاؤنا التاسع والثلاثون ، نعرض فيه لخروج الرسول القائد ﷺ في ثلاثين ألف مقاتل من المدينة المنورة ، في رجب سنة ٩هـ / ٦٣٠م ؛ لمنازلة قوات الاحتلال الرومي البيزنطي على أرض الشام ، وأطراف الجزيرة العربية ؛ تمهيدًا لتحريرها ممن غلب عليها .

سارة : أليسوا من أهل الكتاب الذين لم ينهنا اللَّه عنهم ، وقد سبق لزعيمهم هرقل أن ردَّ ردًّا طيبًا على رسالة رسول اللَّه ﷺ ؟

الوالد : نعم يا سارة ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨ ، ٩] .

والروم البيزنطيون ، صحيح هم أهل كتاب ، ولكنهم احتلوا بلاد الشام وبيت المقدس في القلب منها ، منذ عام ٦٤ق . م ، واحتلوا شبه جزيرة الأناضول ، ومصر والشمال الأفريقي ، وأيضًا هيمنوا على الحدود الشمالية الغربية لجزيرة العرب ، وسلبوا الثروات ، واعتدوا على الحرمات ، ونشروا المظالم ، وظاهروا على الدولة الإسلامية الوليدة ، ووقفوا موقف المتفرج ، ورُسُل رسول اللَّه ﷺ تقتل على يد الأمراء الغساسنة النصارى مثال ذلك : الحارث بن عمير الأزدي ، الذي قتله شرحبيل بن عمرو الغساني [١] ، رغم أنه كان يحمل رسالة من رسول اللَّه ﷺ إلى عظيم بصرى . ورغم أن الغساسنة كانوا معينين من قبل الروم ، إلا أن الحاكم الروماني لم يحاسبه على ما اقترفت يداه .

كما أن قوات الاحتلال البيزنطية خرجت إلى مؤتة [٢] ؛ وقوفًا إلى جانب أمراء الغساسنة في مواجهة المسلمين الذين خرجوا للأخذ بثأر أخيهم الذي قتله شرحبيل .

---

(١) المغازي (ص٤٧٩) .

(٢) المرجع السابق (٤٧٩ - ٤٩٩) .

بالإضافة إلى أن قوات الاحتلال وأعوانها من الغساسنة النصارى ، لم يسمحوا للدعاة المسلمين أن يقوموا بواجب الدعوة إلى اللَّه في هذه الأرض المباركة ، بل ويقال : إنهم قتلوا خمسة عشر من أولئك الدعاة .

بلال : لكن ما هو السبب الرئيسي يا جدي لغزوة تبوك ؟ .

الوالد : السبب المباشر المعلومات التي وصلت رسول اللَّه ﷺ بأن قيصر دولة الروم البيزنطية يعد جيشًا من الروم والعرب الغساسنة التابعين له وغيرهم ؛ لمهاجمة الدولة الإسلامية الوليدة على أرض المدينة المنورة (أي : في عقر دار المسلمين) .

رحمة : لكن ما هو موقف العرب الغساسنة ؟ ألم يكن في مصلحتهم أن يقفوا إلى جانب إخوانهم العرب ضد البيزنطيين ؟ .

الوالد : نعم يا رحمة ، ولكنهم لم يفعلوا ، وآثروا أن يقفوا إلى جانب الروم البيزنطيين ضد إخوانهم العرب المسلمين .

جنة : لكن كيف كانت الحالة المعنوية للمسلمين ، حينما علموا أن الروم البيزنطيين ، وهم أقوى دولة في ذلك الحين وعرب غسان ، قد حشدوا قواتهم لغزو المدينة المنورة ؟ وما هو موقف المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ؟ وكيف واجه رسول اللَّه ﷺ هذه التحديات ؟ .

الوالد : كانت هناك حالة ترقب وحذر وقلق من قبل المسلمين تجاه ما يجري على أطراف الجزيرة العربية ، وأرض الشام من قبل الغساسنة النصارى ومن قبل الروم ، يبدو ذلك القلق واضحًا مما ذكرته كتب السيرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يسكن في عوالي المدينة ، ويتناوب هو وصاحب له من الأنصار إلى النبي ﷺ ، يقول عمر رضي الله عنه : « ونحن نتخوف ملكًا من ملوك غسان ، ذكر أنه يريد أن يسير إلينا ، فقد امتلأت صدورنا منه فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب (بيت عمر رضي الله عنه) فقال : افتح افتح ، فقلت ، والكلام لا زال لعمر رضي الله عنه : جاء الغساني .

فقال : « بل أشد من ذلك اعتزل النبي ﷺ زوجاته » .

أي أنه كان هناك قلق في صفوف المسلمين ؛ خشية أن يباغتهم العدو في دارهم .

أما المنافقون من مسلمي المدينة ، فقد انتهزوا الفرصة وانطلقوا يبثون إشاعات التوهين والتخذيل والتشكيك في قدرة المسلمين على مواجهة الروم ، رغم أن النبي محمدًا ﷺ ، قد استطاع كسر شوكة الأعداء طيلة تسع سنوات .

كما أن هؤلاء المنافقين قد بنوا مسجدًا ضرارًا ، واتخذوه وكرًا لحرب الله ورسوله ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٧، ١٠٨] .

وزيادة في التمويه والدس طلب المنافقون من رسول الله ﷺ أن يصلي في ذلك المسجد ؛ لكي يخدعوا المؤمنين ، ولكن رسول الله ﷺ رفض أن يصلي فيه لحين عودته من غزوة تبوك ، وحينما رجع قام بهدم مسجد الضرار [1] هذا .

سارة : مما لا شك فيه يا جدي أن ملك الروم كان حريصًا على جمع المعلومات عن مسلمي المدينة ، قبل أن يقوم بمهاجمتها ، وكان يوعز لبعض أعوانه أن يخوفوا المسلمين من حرب الروم .

الوالد : تمامًا يا سارة ، وفي نفس الوقت كان رسول الله ﷺ حريصًا على رفع الروح المعنوية لإخوانه ، وجمع المعلومات عن الأعداء . مثال ذلك أن الأنباط - وهم من العرب الذين كانوا يقدمون بالزيت من الشام لبيعه في المدينة - نقلوا إلى المسلمين أن هرقل (ملك الروم) قد هيأ جيشًا ضخمًا من أربعين ألف مقاتل ؛ لمهاجمة المدينة ، وأنه قد جند فيه بالإضافة إلى الروم ، عربًا من قبائل لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب ، وأن مقدمة الجيش وصلت إلى البلقاء باتجاه المدينة .

الأولاد : حسبنا الله ونعم الوكيل .

الوالد : نعم صدق الله القائل : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وبناء على ما تقدم ، قرر رسول الله ﷺ - رغم ما كانوا فيه من ضيق ذات اليد وقلة الركائب والطعام والشراب والسلاح - استنفار إخوانه ، والتجهز والخروج لملاقاة الروم في غزوة فاصلة قبل وصولهم إلى المدينة ؛ لأن التواني والتكاسل وعدم مقاومة الغزوة الرومية وإجهاضها ، كان سيؤدي إلى تجرؤ الأعداء على المسلمين ، ويمكن أن

---

(١) زاد المعاد (ج٣ ص٩ ، ١٠) ، ومختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٧٧) ، التاريخ الإسلامي دروس وعبر ، المجلد الرابع (ج٨ ص١٢٧) ، والمغازي (ص٦٤٧ - ٦٤٨) ، وسيرة ابن هشام (ج٤ ص٣٩٠) .

يحدث نكسة على المستوى العسكري والدعوي للدولة الإسلامية ، خاصة في الوقت الذي استطاع فيه رسول اللَّه ﷺ أن يكسر شوكة اليهود وكفار العرب والمنافقين ، ويرعب الروم في مؤتة وكذلك الفرس .

منى : معذرة يا أبي ، ولكن الظروف الاقتصادية والمناخية لم تكن لتسمح بخروج جيش للقتال في ذلك الوقت ؛ لأن الوقت كان صيفًا وقيظًا شديدًا ، والناس يعانون من ضيق ذات اليد ، ولا يوجد عندهم ما يكفي من الركائب لتنقلهم وعدتهم من المدينة إلى حدود الشام وتبوك .

عمار : معذرة يا جدي ، كم كيلو متر بين المدينة المنورة وتبوك وبلاد الشام ؟ وكيف استطاع المسلمون قطعها ؟ وما هي المدة التي استغرقها انتقال جيش المسلمين إلى هناك ؟ .

الوالد : حوالي ٤٥٠ ميلًا تقريبًا .

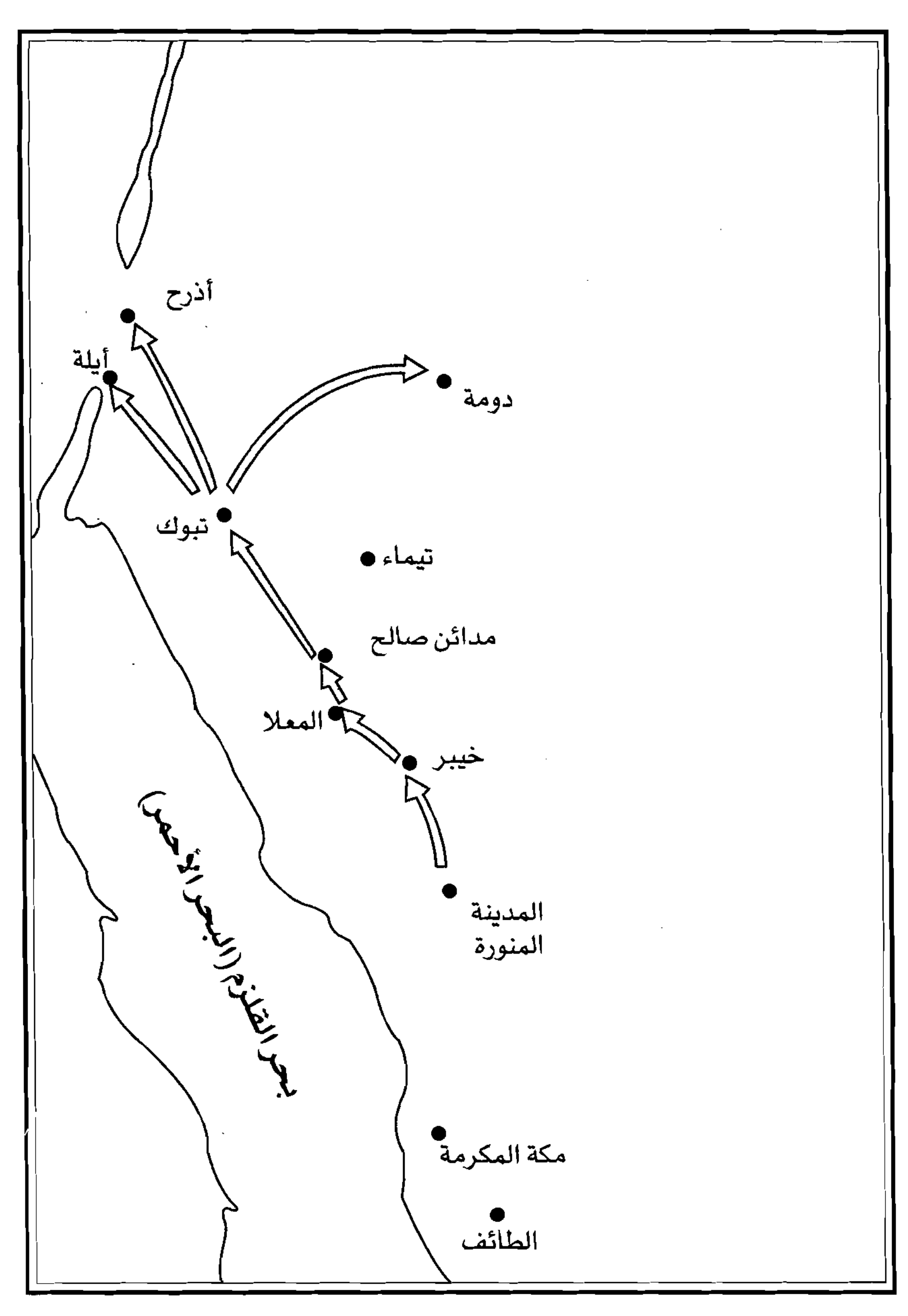
لهذه الأسباب طلب رسول اللَّه القائد ﷺ من أصحابه ، أن يتجهزوا لقتال بني الأصفر (الروم البيزنطيين) . وبعث أيضًا إلى القبائل العربية المسلمة ، وإلى أهل مكة ، يستنفرهم للقيام بفرض اللَّه عليهم ؛ لقوله ﷻ : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٢، ١٣] . ويقول سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٣٩] . هناك سبب آخر ، وهو عزم الرسول القائد على قتال الروم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه ، ولأنهم يحتلون الأرض العربية والقدس في القلب منها ، منذ سبعمائة سنة ، وهم أولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم من الإسلام وأهله ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

نهال : ألم يكن من المصلحة يا أبي ، أن يأمر رسول اللَّه ﷺ أصحابه بالتجهز للغزو ، دون أن يحدد الجهة التي يريد أن يغزوها ، حتى يستفيد من عنصر مباغتة العدو ؟ وكم بلغ عدد المقاتلين ؟ وكم من الركائب أعدها رسول اللَّه ﷺ لنقل المجاهدين إلى أرض المعركة ؟ وكيف تغلب على مشكلة الإعاشة ؟ .

الوالد : نعم ، إن إعلان رسول اللَّه ﷺ أنه يريد بني الأصفر (١) كان مقصودًا ؛

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٣ – ٥) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٢) .


أذرح
أيلة
دومة
تبوك
تيماء
مدائن صالح
المعلا
خيبر
المدينة
المنورة
بحر القلزم (البحر الأحمر)
مكة المكرمة
الطائف

معركة تبوك

لكي يأخذ المجاهدون أهبتهم واستعداداتهم كاملة ، وقد نزلت آيات من سورة « براءة » تحض المسلمين على جهاد الكافرين والمجرمين بالمال والنفس ، وبذل كرائم أموالهم في سبيل اللّه ، يقول ﷻ : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] .

كما أن رسول اللّه ﷺ حض على التجهز للغزو بقوله : « **من جهز غازيًا في سبيل اللّه ، فقد غزا ، من خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا** » .

وبمجرد أن استمع المسلمون إلى دعوة رسول اللّه ﷺ لقتال بني الأصفر - تسابقوا لامتثال أمره ، وأخذت القبائل والبطون تفد إلى المدينة من كل ناحية ؛ خشية أن يفوتها شرف الغزو مع رسول اللّه ﷺ ، كما أنهم تسابقوا في تجهيز الجيش لقتال بني الأصفر بإنفاق الأموال وبذل الصدقات .

بلال : أي أن الصحابة كانوا يجاهدون بأنفسهم وأموالهم ؛ لأن دفع العدو الصائل الذي يعربد في أرض المسلمين ، والقدس في القلب منها ، ويروع النساء والأطفال - فرض عين في رقاب المسلمين .

الوالد : نعم يا بلال ؛ لأن اللّه ﷻ أمرهم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وقد تجاوب المسلمون مع دعوة اللّه ، ودعوة رسول اللّه ﷺ . فعلى سبيل المثال قدم عثمان بن عفان ﷺ إلى جيش الجهاد تسعمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وخمسين فرسًا وألف دينار ومائتي أوقية . وقدم عبد الرحمن بن عوف ﷺ مائتي أوقية فضة ، وساهم عمر ﷺ بنصف ماله (مائة أوقية) ، وجاء العباس بمال كثير ، وساهم أبو بكر ﷺ بماله كله (أربعة آلاف درهم) ولم يترك لأهله إلا اللّه ورسوله [1] .

هبة : سبحان اللّه على كرم الصحابة الذي لا يبارى ! ، ما الذي دفعهم إلى هذه التضحيات يا أبي ؟ .

الوالد : الذي دفعهم إلى هذه التضحيات عقيدة الإيمان باللّه واليوم الآخر ، والرغبة في نشر الإسلام ، والغيرة على الأعراض والأوطان والدين والتربية ، التي عودتهم

---

(١) المغازي (ص٦٢٨ - ٦٢٩) ، والسيرة النبوية (ج٣ ص٦ - ٧) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٢) .

البذل والعطاء ؛ فهم باعوا والله اشترى ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

بلال : حقيقة يا جدي ، أن التربية الإيمانية ركن أساسي في بناء إنسان العقيدة الذي يضحي بكل شيء من أجل نصرة هذا الدين ، والدليل على ذلك أبو الدحداح الذي استمع إلى قول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، فيخرج من ماله لله ورسوله .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا بلال .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، من الواضح أن غالب الصحابة - رضوان الله عليهم - شاركوا بالمال في تجهيز جيش العسرة . ومن هؤلاء طلحة وسعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة ، وقدم عاصم بن عدي تسعين وسقًا من التمر ، ومن الناس من أنفق مدًّا أو مدين لم يكن يستطيع غيرها ، وساهمت النساء بما قدرن عليه من مسك ومعاضد وخلاخيل وقرط وخواتيم ، ولم يمتنع من المساهمة في تجهيز جيش العسرة سوى المنافقين .

محمود : معذرة أيضًا يا والدي ، الشيء الذي يلفت النظر ليس هذا الذي ذكرتموه فحسب ، ولكن كان هناك الصحابة الذين لم يكونوا يملكون شيئًا يتجهزون به للجهاد (البكاؤون) ، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ ؛ ليجهزهم ويحملهم إلى أرض الجهاد ، وقتال الروم ، قال لهم رسول الله ﷺ كما ورد في سورة التوبة : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢] .

الوالدة : لو أذنت لي يا أبا محمد ، لا يفوتنا أن نذكر علبة بن زيد أخا بني حارثة (أحد البكائين) . لقد خرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : « اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به ، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني لأتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مالٍ أو جسد أو عرض » .

ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « **أين المتصدق هذه الليلة ؟** » فلم يقم

أحد ثم قال : « **أين المتصدق فليقم ؟** » . فقام إليه فأخبره . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كُتِبَتْ في الزكاة المتقبلة** » [١] .

الوالد : أحسنت يا محمود ، ومن أجل هذا كتب اللَّه الأجر والمثوبة لهم ، رغم أنهم لم يخرجوا مع إخوانهم إلى أرض الجهاد ؛ لأن رسول اللَّه ﷺ علمهم : « **إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله ، فهجرته إلى اللَّه ورسوله** » . وهم نووا وعزموا ولكنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون ؛ بسبب قلة الركائب وحزنوا وبكوا ؛ لأنهم لم يكن لديهم إمكانات الخروج للجهاد .

بلال : لكن يا جدي كان هناك أناس عندهم إمكانات الخروج للجهاد ، ولم يخرجوا ، وتخلفوا عن رسول اللَّه ﷺ ، فمن هم ؟ .

الجد : جزاك اللَّه خيرًا يا بلال . لقد تخلف المعذرون من الأعراب الذين ذهبوا إلى رسول اللَّه ﷺ يطلبون الإذن بالتخلف ، فلم يأذن لهم ، وهم اثنان وثمانون رجلًا . كان عبد اللَّه بن أُبَيّ بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين ، وقد تخلف مع طائفة من المنافقين ، وأهل الريب ، كما تخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة السلمي وأبو ذر الغفاري ، وكانوا رهط صدق ، وشاءت إرادة اللَّه أن يلحق أبو ذر وأبو خيثمة برسول اللَّه ﷺ [٢] .

نهال : قرأت يا والدي أن أبا خيثمة أحد بني سالم ، رجع بعد سير رسول اللَّه ﷺ أيامًا ، ثم لحق برسول اللَّه ﷺ بعد ذلك .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : جزاك اللَّه خيرًا يا أم سلمى .

نعم ، رجع أبو خيثمة إلى المدينة في يوم حار ، فوجد امرأتين له في حائط (بستان) قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعامًا ؛ فلما دخل أبو خيثمة قام على باب العريشين ، فقال : « رسول اللَّه ﷺ في الضح (الشمس) والريح والحر ، وأنا في ظل بارد وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٦٣٠) ؛ السيرة النبوية (ج٤ ص٩) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٢) ، ومختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٧٣) .

(٢) زاد المعاد الجزء الثالث (ص٢ ، ٣) ، والمغازي (ص٦٣١) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص ١٣ - ١٥) .

في مال مقيم ، ما هذا بالنَّصَف . ثم قال : لا والله ، لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيئا لي زادًا . ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله . ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ ، حتى أدركه بتبوك حين نزلها .

هبة : معذرة يا والدتي ، لقد قرأت أن أبا خيثمة أدركه عمير بن وهب في الطريق فترافقا .

الوالدة : نعم يا هبة ، حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير : إن لي ذنبًا ، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ، ففعل . فسار حتى دنا من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « **كن أبا خيثمة** » . فقالوا : هو والله أبو خيثمة ، فأقبل وسلم ، فقال له : « **أولى لك يا أبا خيثمة** » . ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر . فقال له خيرًا [(١)] .

شيرين : معذرة يا والدتي ، ماذا عن أبي ذر الغفاري ؟ .

الوالدة : قيل : يا رسول الله تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره ، فقال : « **دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه** » .

فتلوَّم أبو ذر بعيره ؛ فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فجعله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله ﷺ ماشيًا ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، ونظر ناظر من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : « **يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده** » [(٢)] .

أسامة : معذرة يا والدي ، هناك شيء أود أن أذكر به أن خروج الرسول القائد ﷺ لغزوة تبوك ، كان يستلزم منه أن يستخلف من يقوم على تسيير أمور الدولة الإسلامية أثناء غيابه ، فمن يا ترى أسندت إليه هذه المهمة ؟ .

الوالد : لقد استخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري ، وخلف على أهله علي بن أبي طالب ، أمره بالإقامة فيهم (ولا غرابة في ذلك ؛ فهو زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ وابن عم رسول الله ﷺ) [(٣)] . بقي علينا أن نعرض الآن لحركة جيش الرسول ﷺ باتجاه بني الأصفر ، تفضل يا أسامة .

أسامة : كما قلنا تحرك رسول الله ﷺ في ثلاثين ألف مقاتل نحو الشمال ، يريد تبوك في رجب سنة ٩هـ - والمسلمون في قلة من الزاد والمراكب ، فكان كل ثمانية عشر

---

(١) المغازي (ص٦٣٣) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص١٣ - ١٤) .
(٢) المغازي (ص٦٣٢) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص١٥) .
(٣) السيرة النبوية (ج٤ ص١٢ - ١٣) .

رجلًا يعتقبون بعيرًا واحدًا ، ربما أكلوا أوراق الشجر ، حتى تورمت شفاههم ، واضطروا لذبح الإبل مع قلتها ؛ ليشربوا ما في معدتها من الماء ، ومن أجل هذا سمي هذا الجيش جيش العسرة ، وقد بدا ذلك واضحًا حينما زادت حاجة الجيش إلى الماء في الطريق ، فشكا الصحابة إلى الرسول ﷺ فدعا اللَّه ؛ فأرسل اللَّه سحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء [(١)] ، ثم ذهب الصحابة ينظرون فلم يجدوا السحابة الممطرة قد جاوزت العسكر .

محمد : ولكن هناك سؤال ملح يا والدي ، كيف واجه الصحابة قلة الزاد من الطعام والشراب في هذه الرحلة الطويلة من المدينة إلى تبوك ؟ .

الوالد : استأذن بعض الصحابة رسول اللَّه ﷺ ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادَّهنَّا . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **افعلوا** » . فجاء عمر ، فقال : يا رسول اللَّه إن فعلنا قلَّ الظهْرُ ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع اللَّه لهم فيها بالبركة ؛ لعل اللَّه أن يجعل فيها البركة . فقال رسول اللَّه ﷺ « **نعم** » . فدعا بنطِع ، فبسطه ثم دعا بفضل أزواده . فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من التمر ، ويجيء الآخر بكسرة . حتى اجتمع على النطع من ذلك شيءٌ يسير . فدعا رسول اللَّه ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم : « **خذوا في أوعيتكم** » فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ، لا يلق اللَّهَ بها عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة** » [(٢)] .

نهال : لو أذنت لي يا والدي ، لماذا المعاناة في الحصول على الماء ، وقد كان هناك عين تبوك ؟ .

الوالد : لقد كانت عين مياه تبوك في نهاية رحلة الذهاب ، ولهذه قصة : فهذه البئر كان بها ماء قليل جدًّا ، فجمع رسول اللَّه ﷺ بعضًا منه ، وغسل به وجهه ويده ، ثم أعاد ماء الغسل إلى البئر ، فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ، وكانت هذه من بركة اللَّه ومنته على رسول اللَّه ﷺ والصحابة . وفي هذا الموضع بشر رسول اللَّه ﷺ أمته : « **يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جنانًا** » [(٣)] .

أكمل يا أسامة ، ويا حبذا لو نواصل سرد أحداث الغزوة الرئيسية ، ثم نرجع إلى

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص١٦) ، والمغازي (ص٦٣٥) .

(٢) المغازي (ص٦٣٤) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص١٧ ، ١٨) .

(٣) رواه مسلم .

المسائل الفرعية .

أسامة : سمعًا وطاعة يا أبي ، لقد نزل الجيش الإسلامي بتبوك فعسكر هناك ، وهو مستعد للقاء الروم وأعوانهم ، وقام في المجاهدين خطيبًا (التعبئة المعنوية) :

« **ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس رجلًا عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلًا فاجرًا جريئًا يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه** » (١) .

الوالد : معذرة ، واصل سرد أحداث المعركة .

أسامة : معذرة يا والدي ، لما سمع الروم وحلفاؤهم من العرب بزحف جيش رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء ، وتفرقوا في داخل البلاد (أرض الشام) ، وجبنوا عن مواجهة جيش رسول الله القائل : « **نصرت بالرعب مسيرة شهر** » .

الأولاد : الله أكبر ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ! مما لا شك فيه أن العرب تحدثت بهذا الأمر ، وكون أن جيش الروم أقوى دولة في نصف الكرة الأرضية الغربي ، تهرب من مواجهة جيش رسول الله ﷺ – قد أدى إلى أن القوى الدولية والمحلية أضحت تعمل ألف حساب لقوة الدولة الإسلامية الوليدة المتنامية ، وهذه هي بركة الجهاد .

الوالد : تمامًا يا أبنائي ، والدليل على ذلك أن يُحنّة بن رؤبة النصراني صاحب أيلة ، قد أتى إلى رسول الله ، وصالحه على الجزية ؛ فأمنهم رسول الله ﷺ على عقائدهم وأموالهم ودمائهم .

هل لك أن تذكرنا بنص العهد يا أسامة ؟ .

أسامة : نعم يا والدي : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ، ليحنة بن رؤبة ، وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ﷺ ، ومن كان معه من أهل الشام وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثًا ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنه طيّب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يُمنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقًا يريدونه من بر أو بحر** » (٢) .

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٢٣) .

(٢) السيرة النبوية (ج٤ ص٢٩) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٥) .

الوالدة : لو أذنتم لي ، لا بد من وقفة مع هذا العهد ، الذي يعتبر قمة الامتثال لأمر اللَّه القائل : ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

قمة الرحمة والشفقة ، وهنا نلمح الفارق الكبير بين معاملة مجرمي الأمريكان والإنجليز وبقية قوات التحالف ، لشعب العراق بحجة حيازته أسلحة دمار شامل وهم لا يملكون - ومعاملة رسول اللَّه ﷺ لنصارى أيلة ، الفارق الكبير بين معاملة اليهود لشعب فلسطين تحت مسمع وبصر الشياطين الخرس : اغتصاب الوطن ، وتدمير المنازل على رؤوس أصحابها ، وتجريف الأراضي الزراعية ، وتشريد وإبادة الشعب الفلسطيني أطفالًا ونساءً وشيوخًا ، وبين معاملة رسول اللَّه ليحنة بن رؤبة .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا . معنى جميل ، ما أحوجنا أن نلقنه للأجيال المعاصرة ، حتى تفقه حقيقة دينها ، وعظمة التشريع الإسلامي ، وتفوق من سباتها ؛ لتدافع عن إسلامها وتدفع عنه كيد الكائدين !

أين أنت يا أسامة ؟ أكمل الجانب الخاص بسرية خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل .

أسامة : نعم يا والدي ، عقد رسول اللَّه ﷺ لواءً لخالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسًا ، إلى أكيدر بن عبد الملك رجل من بني كندة ملك دومة الجندل ، وكان نصرانيًّا من أعوان قوات الاحتلال البيزنطي ؛ لإبلاغه دعوة الإسلام ، وعدم قتله إذا رفض ، على أن يعتقله ويحضره إلى رسول اللَّه ﷺ ، وقام خالد بن الوليد بالمهمة ، وقد قام بالقبض عليه ، وهو خارج لاصطياد بقرة في ليلة مقمرة ، وجاء به إلى رسول اللَّه ﷺ وحُقن دمه ، وصالحه على ألف بعير ، وثمانمائة من السَّبي وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، وأقر بإعطاء الجزية ، فقاضاه رسول اللَّه ﷺ مع يُحنَّة بن رؤبة عظيم أيلة ، على قضية دومة الجندل وتبوك وأيلة وتيماء ، وكتب لهما كتابًا [١] كما صالح أهل جرباء وأذرح على الجزية .

محمود : صدق رسول اللَّه ﷺ : « **وجعل رزقي تحت ظل رمحي** » ، هذه نعمة وبركة الجهاد ، ألف بعير هيأت للمسلمين ركائب ونجائب تنقلهم في رحلة العودة إلى قاعدة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومزيدًا من طعام الإعاشة ومزيدًا من السلاح ، وأيضًا حرص رسول اللَّه ﷺ على عدم إذلال العرب أملًا في إسلامهم ، وتخليصهم من هيمنة

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٣٠ - ٣١) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٥ - ٦) .

الروم البيزنطيين .

﴿الوالد﴾ : تمامًا يا محمود ، وقد أدى ذلك إلى أن القبائل العربية ، التي كانت تعمل لحساب الروم ، قد أدركت أن اعتمادها على سادتها الأقدمين (الروم) قد فات أوانه ، وأن هناك قوة عربية مسلمة عادلة ، قد ظهرت على الساحة لا بد من خطب ودها .

﴿الوالدة﴾ : معذرة ، هناك نقطة مهمة ، وهي أن حدود الدولة الإسلامية ، ونفوذها السياسي ، قد وصل حتى حدود الشام ، حيث ترابط قوات الاحتلال الرومي منذ سبعمائة سنة . وكانت هذه أيضًا بمثابة رسالة إلى قوات الاحتلال وقادته أن العربي المسلم قد ولد ، وأنه ما عاد يقبل بقوات احتلال على الأرض العربية الإسلامية ، وخاصة القدس ، وأنه يرفض الهيمنة والتواجد على أرض العرب الإسلامية ، وأنه قد آن الأوان لقوات الروم البيزنطية أن ترحل ، وكانت أيضًا بمثابة توجيه لأمة الإسلام أن أرض الشام هي أرض إسلامية محتلة ، وتحريرها فريضة والقدس في القلب منها ، وأن السبيل إلى ذلك هو إحياء فريضة الجهاد على أكتاف إنسان العقيدة .

﴿الوالد﴾ : جزاك اللَّه خيرًا لهذه اللفتة الطيبة التي تؤكد أن رسول اللَّه ﷺ حينما عقد لواء سرية مؤتة ، كان لا بد وأن يقدم بنفسه أيضًا نموذجًا عمليًّا يدعم الرسالة ، والهدف الذي من أجله خرجت سرية مؤتة ، وهي كسر شوكة الروم ومتنصِّرة العرب على أرض الشام ، وتحرير بيت المقدس ؛ تمهيدًا لتحرير ديار العرب وأرض اللَّه كلها ، ولما كان الهدف لم يتحقق كاملًا ، عقد قبل وفاته راية لبعث أسامة ﷺ .

والسؤال الذي يطرح نفسه : **ما هي أهم النتائج التي تحققت من وراء غزوة تبوك ؟** تفضل يا أسامة .

أسامة : انتصار المسلمين بفضل اللَّه ، وكفى اللَّه المؤمنين القتال . وعند رجوع جيش المسلمين إلى المدينة ، خرج أهلها نساءً وصبية وأولادًا وهم ينشدون :

طلـــع البـــــدر عليـــــنا مـــن ثـــنـيـــات الــــوداع

وجـــــب الشـــــكر علـيـنا مـــا دعـــــا للَّـــــه داع

عماد : كم استغرقت رحلة جيش تبوك يا عمي أسامة ؟ .

أسامة : كان خروج الجيش إلى تبوك في رجب سنة ٩هـ / ٦٣٠م ، وعودته في رمضان ، واستغرقت هذه الرحلة خمسين يومًا أقام منها عشرين يومًا في تبوك ، والبواقي قضاها في الطريق جيئة وذهابًا ، وكانت هذه آخر غزواته ﷺ .

الوالد : وماذا عن محاولة اغتيال الرسول ﷺ أثناء عودته من الغزوة ؟

أسامة : في الطريق عند عقبة حاول اثنا عشر رجلًا من المنافقين قتل رسول الله ﷺ - والمنافقون أناس اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله - وهم بين ظهراني ثلاثين ألف مقاتل من الصحابة ، وذلك بينما كان الرسول ﷺ راكبًا ، وعمار يقود بزمام ناقته وحذيفة بن اليمان يسوقها - سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوا رسول الله ﷺ ، وقد تلثموا ، فبعث رسول الله ﷺ حذيفة فضرب وجوه رواحل المنافقين بمحجن كان معه ، فأرعب الله المنافقين ، فأسرعوا في الفرار حتى لحقوا بالقوم .

رحمة : هل عرف المسلمون المجرمين ؟ .

الوالد : نعم ، عرفهم رسول الله ﷺ وأخبر حذيفة بن اليمان بأسمائهم ، وبما همُّوا به ، يقول الله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

رحمة : هل لهذا السبب كان حذيفة يسمى بصاحب رسول الله ﷺ [1] ؟ ولماذا لم يعلن رسول الله ﷺ أسماء المنافقين ، وتجاهلهم ؟

في عصرنا الحديث لو فكر أحد من أفراد الرعية في الاعتداء على ولي الأمر ، فإنه يعتقل هو وأهله وأهل محلته ، وقد يحاكمون أو لا يحاكمون أمام محاكم استثنائية لا تحقق ضمانات للمتهمين ، ويمكن أن يقتل هو وذووه أو يغيبوا وراء الأسوار لمجرد أنهم همُّوا - وهذه جريمة كما علمتنا يا جدي ؛ لأن الله يقول : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢] . ويقول سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢] .

ويقول ﷺ : « **من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جيء به مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله** » .

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٣٤ - ٣٨) .

أسامة : ما شاء اللَّه عليك يا أستاذة رحمة ! فعلًا الكلام الذي قلتيه يحدث لكن الرسول محمدًا ﷺ القائد وخاتم المرسلين لو أمر بالقبض على الذين حاولوا اغتياله ، وقدمهم لمحاكمة عادلة – ما جاوز الحد ، ولكنه آثر العفو حتى لا تحدث فتنة ، خاصة وأن المنافقين يعلنون الإسلام ظاهرًا ، وقد يؤدي ذلك إلى انحياز أهلهم إليهم ، ويقال إن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه لذلك ، فقد وكلهم رسول اللَّه ﷺ إلى نياتهم ، وفوض الأمر إلى اللَّه فيهم ، ولكنه عرف أصحابه ضرورة الحذر منهم .

رحمة : جزاك اللَّه خيرًا يا عمي أسامة الحبيب .

جنة : وأنا لي سؤال يا جدي ، ما هو موقف الرسول محمد ﷺ من الذين تخلفوا عن الخروج معه في غزوة تبوك ؟ .

الوالد : جميل هذا الفهم يا جنة اللَّه في الأرض .

جزى اللَّه الشدائد كل خير ؛ فهي فرصة لتمييز الصفوف . يقول رب العالمين : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، ويقول سبحانه : ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

لقد كانت غزوة تبوك اختبارًا شديدًا من اللَّه تعالى ، تميز به المؤمنون عن غيرهم ؛ لقد خرج لهذه الغزوة كل من كان مؤمنًا صادقًا ، وتخلف عنها المنافقون . فكان الرجل إذا تخلف وذكروه لرسول اللَّه ﷺ ، قال لهم : « **دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه اللَّه بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم اللَّه منه** » فلم يتخلف إلا من حبسهم العذر أو الذين كذبوا اللَّه ورسوله من المنافقين ، والذين استأذنوا للقعود كذلك أو قعدوا ، ولم يستأذنوا رأسًا ، كما بينًا من قبل .

لكن كان هناك ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين تخلفوا من غير مبرر ، وهم الذين امتحنهم اللَّه ثم تاب عليهم .

هل يمكن يا أسامة أن تكمل الإجابة على سؤال جنة ؟ .

أسامة : نعم ، لما دخل رسول اللَّه ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فأما المنافقون وهم بضعة وثمانون رجلًا ، فجاءوا يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار ، وطفقوا يحلفون لرسول اللَّه ﷺ ، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر

لهم ووكل سرائرهم إلى اللَّه .

وقد فضح اللَّه هذه الفئة المكرورة في كل زمان ومكان ، بقول اللَّه تعالى : ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة : ٤١ ، ٤٢] [1] .

ثم يعاتب اللَّه ﷺ الرسول القائد : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة : ٤٣- ٤٥] . أكمل يا أسامة .

أسامة : بين رب العالمين أن هؤلاء المنافقين لو كانوا جادين في القيام بفرض الجهاد ، لأعدوا له ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ [التوبة : ٤٦] .

وبين أيضًا ﷺ لماذا حُرم المنافقون من هذا الفضل ، وبين سبحانه أيضًا أنه كفى جيش المؤمنين خروج هؤلاء المنافقين معهم : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٧- ٤٩] ، والدليل على ذلك الجد بن قيس أحد بني سلمة ، حينما قال له رسول اللَّه ﷺ : « **يا جد ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟** » جاء الرد من المنافق : يا رسول اللَّه ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فواللَّه لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبًا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر . فأعرض عنه رسول اللَّه ﷺ وقال : « **قد أذنت** » . ففي الجد أنزل اللَّه هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] .

ثم كشف اللَّه تعالى خبيئة نفوس المنافقين وحقدهم على المؤمنين :

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٤٤) .

﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة : ٥٠ ، ٥٢] .

ثم نبه الله المنافقين :

﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [التوبة : ٥٣- ٥٦] . أكملي يا إيمان .

إيمان : وتتابع الآيات لتكشف للصف المسلم على عهد رسول الله ﷺ ، وعلى امتداد التاريخ ، طبيعة المنافقين .

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۝ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٦٤- ٦٧] .

ثم بين الله ﷻ المصير النهائي الحتمي للمنافقين :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٨] .

وبعد هذه الآيات تغيرت معاملة المسلمين للمنافقين ، وانتهى الرفق واللين بعد أمر الله بالتشديد عليهم ، حتى نهى عن قبول صدقاتهم ، ونهى الرسول ﷺ عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم ، والقيام على قبورهم ، وأن يهدم وكرهم (مسجد الضرار) .

الوالد : جزاكم الله خيرًا يا أبنائي . الواقع أن استعراض تاريخ النفاق والمنافقين ، ودورهم في محاولة تقويض بنيان المجتمع المسلم ، يحتاج إلى مساحة أوسع ،

ووقت أرحب ، ويكفي هذا الاستعراض السريع من خلال سورة التوبة ، وإن كان الله قد فصل أخبارهم في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وسورة يس ، والهدف أن تستبين سبيل المجرمين وتحذرهم الأمة ، ولا تواليهم وتسعى لكسر شوكتهم .

والآن جاء الدور يا محمود ؛ لتحدثنا عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك من خلال سورة البقرة وحديث رسول الله ﷺ .

محمود : لا بأس بذلك ولكن بعد الانتهاء من استعراض بقية غزوة تبوك .

الوالدة المعلمة : هل لنا أن نعرض لمسألتين تتصلان بهذه الغزوة قبل أن يبدأ محمود حديثه : الأولى تتصل بالعبادات ، والثانية تتصل بالمرور بديار ثمود ؟ .

الوالد : تفضلي يا أستاذة أم محمد .

الوالدة : لقد كان رسول الله ﷺ وصحبه حريصين في السفر على العبادات والدعاء ، وكان يجمع في السفر بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء جمع تقديم أو جمع تأخير ؛ لأن الصلاة عمود الدين وهي الصلة بين العبد وربه الذي بيده مفاتيح النصر والإعزاز والتمكين .

ثانيًا : المرور على ديار ثمود قوم صالح بالحجر بوادي القرى بين المدينة وتبوك : لقد قعَّد رسول الله ﷺ قاعدة مهمة فيما يتصل بدخول ديار الذين ظلموا أنفسهم ونزل عليهم العذاب . لقد مرَّ الجيش الإسلامي في طريقه إلى تبوك بديار ثمود قوم صالح ، الذين قال الله عنهم : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾ [القمر : ٣١] .

فاستقى بعض الصحابة من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « **لا تشربوا من مائها ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه ، فأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئًا** » وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها ناقة صالح عليه السلام .

وقد ورد في الصحيحين عن ابن عمر ، قال : لما مرَّ النبي ﷺ بالحجر قال : « **لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم** » ، وتقنَّع بردائه وهو على الرحل ، وأسرع بالسير حتى جاز الوادي [١] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أستاذة ، وعلى فكرة يمكن الرجوع إلى كتابنا : سلسلة أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، جزيرة العرب ، الجزء الأول ، لنتعرف على

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص١٨) ، ومختصر سيرة الرسول ﷺ (ص١٧٤) .

سيرة صالح ﷺ في قومه ، والدروس المستفادة ؛ لأن فيها حكمًا شرعيًا ينسحب على كل من يمر بمنطقة نزل فيها العذاب على أهلها ، ولعل ذلك يبدو واضحًا في المرور بوادي محسر الذي نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل ، فمن هدي رسول اللَّه ﷺ إسراع الخطى ، وهو في الطريق إلى عرفة والعودة منه .

الأولاد : الدرس صعب جدًّا يا جدي ، رفقًا بالصغار ، ونحن نحتاج إلى جهد لنفهم ما جاء فيه .

الوالد : إن شاء اللَّه لما تكبروا وترجعوا إلى هذه اللقاءات وكتب السيرة ؛ ستستفيدون كثيرًا .

الأولاد : جزاك اللَّه خيرًا يا جدنا ، ومعذرة ، لقد وعدتنا أن يعرض عمي محمود **لقصة الثلاثة الذين خلفوا وتوبة اللَّه عليهم** ، من خلال حديث رسول اللَّه ﷺ الذي ورد في صحيح مسلم .

الجد : لا بأس ، تفضل يا شيخ محمود .

محمود : ورد في صحيح مسلم : روي عن كعب : فلما بلغني أن رسول اللَّه ﷺ قد توجه قافلًا من تبوك ، حضرني همي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدًا ؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول اللَّه ﷺ قد أظل قادمًا ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لا أخرج منه بشيء أبدًا فيه كذب ؛ فأجمعت صدقة [1] وأصبح رسول اللَّه ﷺ قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك جاءه المخلفون [2] يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلًا [3] ؛ فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى اللَّه تعالى ؛ حتى جئت فلما سلمت تبسَّم تبسُّم المغضب [4] ثم قال : « **تعال** » فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « **ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟** » [5] قال : قلت : يا رسول اللَّه ، إني واللَّه لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ،

---

(١) أي : عزمت عليه .

(٢) أي : عن الخروج معه إلى تبوك .

(٣) البضع ما بين الثلاث إلى التسع .

(٤) أي : الغضبان .

(٥) أي : اشتريت راحلتك .

لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ؛ لقد أُعطيت جدلًا [١] ؛ ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك عليَّ ، وإن حدثتك حديث صدق تجد [٢] عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله ﷻ [٣] . والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « **أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك** » ، وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبًا استغفار رسول الله ﷺ لك . قال : فوالله ما زالوا يؤنبونني [٤] حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي ، قال : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة ، قال : فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا من بين من تخلف عنه ، قال : فاجتنبنا الناس - أو قال : تغيروا لنا - حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي بالأرض التي أعرف ؛ فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان . وأما أنا فكنت أشب القوم (أصغرهم سنًّا) وأجلدهم ؛ فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه ، وأسارقه النظر ؛ فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ؛ حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليَّ السلام ، فقلت له : « يا أبا قتادة أنشدك الله [٥] ، هل تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ ؟ » فسكت ، فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته . فقال : « الله ورسوله أعلم » . ففاضت عيناي [٦] ، وتوليت حتى تسورت الجدار . فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا

---

(١) أي : فصاحة وبلاغة . (٢) تجد : بكسر الجيم وتخفيف الدال - تغضب .
(٣) أي : العاقبة الحسنة بتوبة الله عليَّ ، ورضا رسول الله ﷺ عني . ولصدقه ﷺ تاب الله عليه .
(٤) أي : يلومونني أشد اللوم . (٥) أي : أسألك بالله تعالى .
(٦) أي : بالدموع .

نبطي من أنباط أهل الشام [١] ممن قدم بالطعام يبيعه ، يقول : « من يدل على كعب بن مالك ؟ » فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان ، وكنت كاتبًا . فقرأته فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك اللَّه بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك » [٢] ، فقلت حين قرأتها : « وهذه أيضًا من البلاء » ، فتيممت بها التنور [٣] ، فسجرتها ؛ حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي [٤] إذا رسول رسول اللَّه ﷺ يأتيني ، فقال : « إن رسول اللَّه ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك » فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال : « لا ، بل اعتزلها فلا تقربنها » وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . فقلت لامرأتي : « الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي اللَّه في هذا الأمر » . فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول اللَّه ﷺ فقالت له : يا رسول اللَّه ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « **لا ، ولكن لا يقربنك** » [٥] ، فقالت : إنه واللَّه ما به من حركة إلى شيء ، وواللَّه ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول اللَّه ﷺ في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : لا أستأذن فيها رسول اللَّه وما يدريني ماذا يقول رسول اللَّه ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ فلبثت بذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا ، ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر اللَّه تعالى منا قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت - سمعت صوت صارخ أوفى (أي : صعد) على سلع (وهو جبل بالمدينة) ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فخررت ساجدًا ، وعرفت أنه قد جاء الفرج . فآذن رسول اللَّه ﷺ الناس بتوبة اللَّه علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشرونا . وذهب قبل صاحبيّ مبشرون ، وركض رجل إلي فرسًا ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى على الجبل ؛ فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ ، فكسوتهما إياه ببشراه ، واللَّه ما أملك غيرهما يومئذٍ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ،

---

(١) أي : الفلاح سمي به ؛ لأنه يستنبط الماء أي يستخرجه .

(٢) من المواساة .

(٣) هو ما يخبز فيه ، وسجرتها : وقدتها .

(٤) أي : أبطأ .

(٥) هذا كناية عن الجماع .

وانطلقت أتأمم رسول اللَّه ﷺ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ، ويقولون لي : ليهنك توبة اللَّه عليك ؛ حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول اللَّه ﷺ جالس حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد اللَّه ﷺ يهرول حتى صافحني وهنأني ، واللَّه ما قام رجل من المهاجرين غيره ، فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول اللَّه ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور : « **أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك** » ، فقلت : أمن عندك يا رسول اللَّه أم من عند اللَّه ؟ قال : « **لا ، بل من عند اللَّه** ﷻ » .

وكان رسول اللَّه ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول اللَّه إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى اللَّه وإلى رسوله . فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك** » . فقلت : إني أمسك سهمي الذي بخيبر . قلت : يا رسول اللَّه إن اللَّه تعالى إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت ، فواللَّه ما علمت أحدًا من المسلمين ابتلاه اللَّه تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ - أحسن مما ابتلاني اللَّه تعالى ، واللَّه ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول اللَّه ﷺ إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني اللَّه تعالى فيما بقي ، قال : فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧- ١١٩] (١) ، قال كعب : واللَّه ما أنعم اللَّه علي من نعمة قط بعد إذ هداني إلى الإسلام - أعظم في نفسي من صدقي رسول اللَّه ﷺ أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا . إن اللَّه تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال اللَّه تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا شيخ محمود ، وجعلك ممن ينافحون عن سنة نبيك

---

(١) المغازي (٦٥٤ - ٦٥٨) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص٤٢ - ٤٨) .

محمد ﷺ ، والآن نفتح الباب للحوار واستخلاص الدروس والعبر .

أسامة : لو أذنت لي يا أبي ، هذه قصة صحابي مسلم كان يؤمن بأن الجهاد فريضة شرعية ، وتخلف مرة واحدة عن القيام بهذه الفريضة ، والخروج مع رسول الله لجهاد الكافرين والمنافقين ، وعن نصرة إخوانه في الإسلام ورسوله ﷺ . وبعدها أحس بالندم ولم يكن يدري ما يفعل ، هل يكذب على رسول الله ﷺ بعذر أم يقول الصدق ؟ لقد كان الصحابي يدرك أن الله يعلم السر ، وما يخفى ، ويمكن يتنزل الوحي على رسول الله ﷺ ، فيكشف كذبه ؛ لهذا قرر الصحابي أن يقول الصدق ، ويطلب من الله أن يغفر له هذه السقطة ، ويتوب عليه ؛ فلا يرجع إلى ذلك أبدًا .

عمار : ما فعل رسول الله ﷺ مع كعب بن مالك رضي الله عنه وأخويه ؟ .

أسامة : حينما اعترف كعب بن مالك بين يدي الرسول ﷺ : « والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط أقوى ، ولا أيسر مني ، حين تخلفت عنك » . قال رسول الله ﷺ : « **أما هذا** (يقصد كعبًا) **فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك** » .

سمية : يعني رسول الله ﷺ لم يسامحه .

أسامة : لا يا سمية ، المسألة كانت تحتاج إلى تشريع من الله عز وجل ، لأن العبد المذنب قصر في فريضة من فرائض الله عز وجل ؛ إذن فالله عز وجل هو صاحب الحق في العفو والعقاب .

الوالد : جميل يا أسامة ، فهم جيد ، أسأل الله أن يجعلك ونسلك وزوجك من أعلام الهدى والحاضرين والغائبين من أمة محمد ﷺ أجمعين ، قولوا آمين .

الأولاد : آمين .

الوالد : الشيء الذي يلفت النظر في هذه الحادثة الفتنة التي تعرض لها كعب ابن مالك ، من قبيلة بني سلمة .

قالوا له : « **والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا ، لقد عجزت في ألا تكون قد اعتذرت إلى رسول الله بما اعتذر به المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ** » ، يقول كعب بن مالك رضي الله عنه : « فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي » ولكن الله ثبته ولم يفعل .

ياسر : هل ظلت علاقة الثلاثة الذين تخلفوا : كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة ابن الربيع بإخوانهم طيبة ؟ .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : لا ، لقد نهى رسول اللَّه الصحابة عن الجلوس ، أو التحدث ، مع الثلاثة الذين تخلفوا فتجنبهم الصحابة .

يقول كعب بن مالك ﷺ : « تغيروا لنا ، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض ، فما هي الأرض التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين و وأطوف في الأسواق ، ولا يكلمني أحد » .

إلى آخر ما ورد في الحديث الذي ذكره أمامكم عمكم محمود .

والذي يلفت النظر هنا يا أبنائي الحزن الشديد الذي كان يكتنف قلب كعب بن مالك ، وخاصة حينما يسلم على النبي ﷺ ولا يرد عليه السلام ؛ لأنه كان مأمورًا من ربه بمقاطعته .

بلال : معذرة يا جدي ، هل استطاع كعب بن مالك أن يتحمل آلام هذه المقاطعة طيلة الخمسين يومًا ؟ .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : نعم ، فقد استمعنا يا بلال إلى الحديث الذي قرأه عمك محمود الآن : « حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت ؛ حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ ، فسلمت عليه فواللَّه ما رد عليّ السلام فقلت له : « يا أبا قتادة أنشدك باللَّه ، هل تعلمني أحب اللَّه ورسوله ﷺ ؟ » ، فسكت فعدتُ فناشدته فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : « اللَّه ورسوله أعلم » . ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار » .

محمود : يلاحظ أيضًا لو أذنت لي يا أسامة في الحديث ، الفتنة العظيمة التي تعرض لها كعب بن مالك والتي يقول فيها : « فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه ، يقول : « من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان ، وكنت كاتبًا ، فقرأته ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك اللَّه بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك » ، فقلت حين قرأتها : « وهذه أيضًا من البلاء » فتيممت بها التنور (هو ما يخبز فيه) فسجرتها (أحرقتها) .

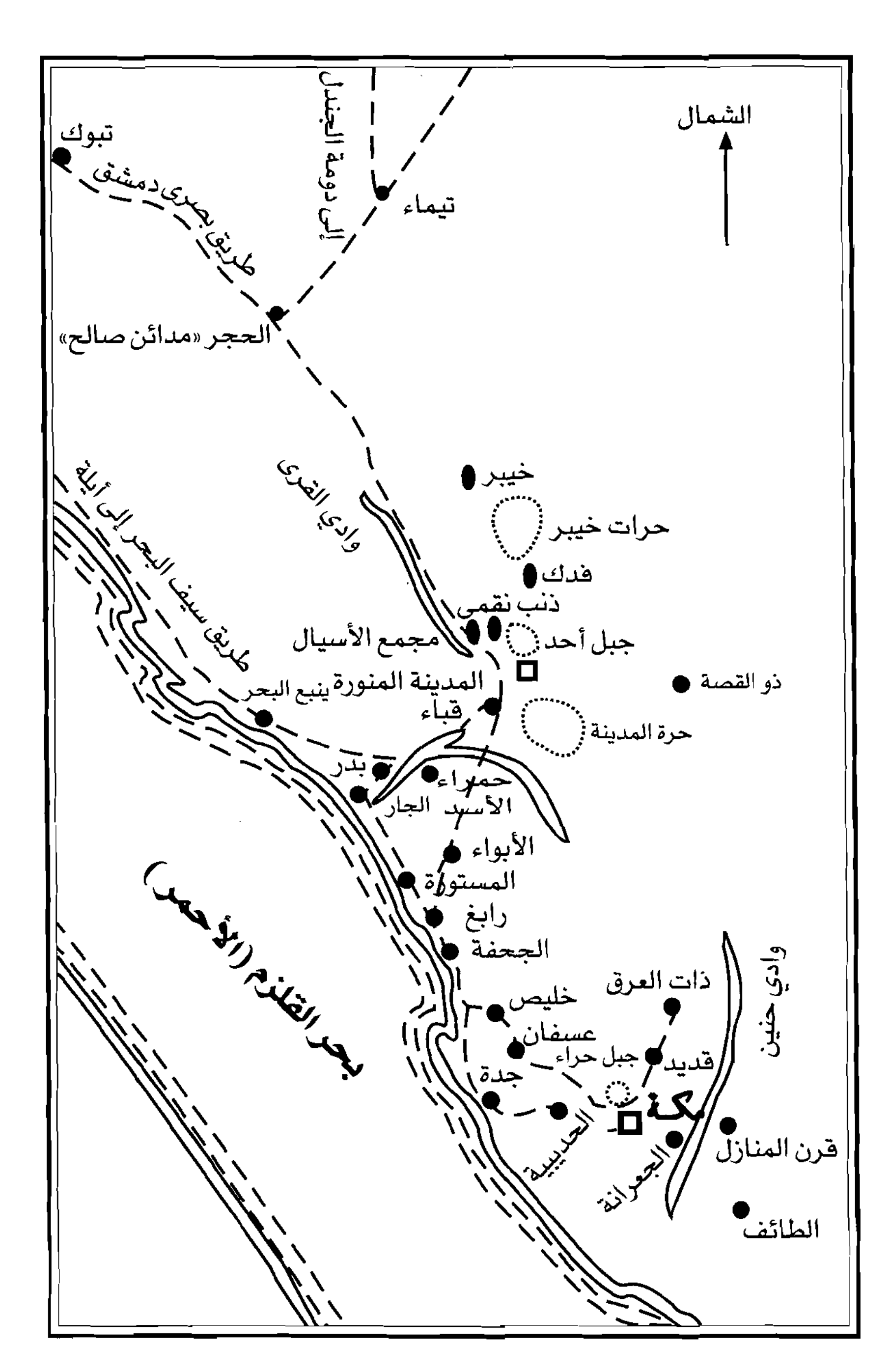
الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ، يتضح يا أبنائي أن الإنسان مبتلى دوامًا ؛ لحكمة ربانية بيّنها قول اللَّه تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ١- ٣] ، وهذا يستلزم الصبر والثبات والدعاء والاستمرار في حمل أمانة التكليف ، والتوكل على اللَّه ، والثقة في نصرة دين اللَّه ، وهذا هو ما تعرض له كعب ابن مالك ﷺ ؛ فصبر حتى أتاه الفرج من عند اللَّه .

الوالد : أيها الأبناء ، لقد طال وقت الحوار وكثرة العلم مضلة الفهم . لهذا نكتفي بهذا القدر من الحوار حول غزوة تبوك على أمل لقاء آخر إن شاء اللَّه .

أسامة : معذرة يا والدي ، قد فاتنا أن نذكر موقف النبي محمد ﷺ من مسجد الضرار الذي نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٧، ١٠٨] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة . لقد طلب المنافقون من رسول اللَّه ﷺ الصلاة في المسجد الذي أسسوه ، بحجة استخدامه لذي العلة (المريض) والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا لنحب أن تأتي فتصلي لنا فيه . فقال ﷺ : « **إني على جناح سفر ، فلو رجعنا إن شاء اللَّه أتيناكم** » . فلما نزل رسول اللَّه ﷺ بذي أوان (حال عودته من تبوك) ، أتاه خبر السماء (الوحي) . فدعا رسول اللَّه ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي ، فقال : « **انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه** » ، فخرجا مسرعين حتى دخلاه ، وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل فيه من القرآن ما نزل . وفي هذا يا أبنائي دروس على جانب كبير من الأهمية وهي :

أولًا : إن أعداء الإسلام بنوا مسجدًا الظاهر أن تؤدى فيه الطاعات ؛ لكنه في الحقيقة كان يراد له أن يكون وكرًا لحياكة المؤامرات على المسلمين وإرصادًا لمن حارب اللَّه ورسوله ، يقول اللَّه ﷻ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : ١، ٢] .



مواضع بعض الغزوات

ثانيًا : إن الرسول القائد ﷺ كان يؤمن بضرورة اتخاذ موقف حاسم ؛ حتى لا ينخدع المسلمون ، ويستدرجون إلى مسجد الضرار ، على اعتبار أن رسول اللَّه ﷺ لم يتخذ موقفًا منه ، ولتنبيه الأمة إلى خطورة المنافقين الذين يتسمون بأسماء المسلمين ، ويرفعون شعار الإسلام ، وهم أعدى أعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] .

ثالثًا : من هنا كان قرار الرسول محمد ﷺ بناء على توجيه اللَّه ﷻ - إزالة هذا المعلم من معالم الجاهلية المتآمرة على الإسلام تمامًا ، كما فعل بالأصنام الظاهرة ، كاللات والعزى ، التي كان يتوجه الناس إليها بالعبادة .

أسامة : جزاك اللَّه خيرًا يا والدي ، بقيت كلمة أخيرة يمكن التقاطها من كتاب التاريخ الإسلامي مواقف وعبر : « ولقد بين النبي ﷺ بهذا العمل السنة في القضاء على أي مشروع يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم . فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه ، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره ، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى » .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

- متى وقعت غزوة تبوك ؟ ما هي أسباب هذه الغزوة ؟ .
- من هم البيزنطيون ؟ ومتى قاموا باحتلال بيت المقدس وأرض الشام ، وأطراف الجزيرة العربية الشمالية الغربية ؟ .
- كيف نظم الإسلام العلاقة بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب ؟ وما هي الضوابط الشرعية ؟ .
- ما هو دور العرب الغساسنة (متنصِّرة العرب) ؟ لماذا آثروا الوقوف إلى جانب الروم البيزنطيين ؟ .
- هل توقع المسلمون العرب غزوًا بيزنطيًا للمدينة المنورة ؟ هل أخذوا بالأسباب لمواجهة هذا العدوان ؟ .
- ما هو دور المنافقين في تثبيط الهمم ؟ .
- ما هي قصة مسجد الضرار ؟ وما هو موقف الرسول ﷺ والمسلمين منه ؟ .
- كيف استطاع رسول الله ﷺ تجهيز جيش من ثلاثين ألف مقاتل ، للخروج إلى تبوك ؛ لمقاومة العدوان البيزنطي ، وتحرير أرض الشام ؟ .
- يبدو واضحًا من تسابق الصحابة في التجهز وتجهيز جيش العسرة - غيرتهم على الوطن والدين والعرض ، هل كان للنساء مساهمة ؟ اكتب في هذا الموضوع .
- هل كان هناك رديف لتسيير أمور المدينة في غياب الرسول ﷺ ؟ .
- اذكر نص الكلمة التي ألقاها رسول الله ﷺ على المجاهدين في معسكر تبوك .
- ما فعل أبناء الروم البيزنطيون ، حينما سمعوا بخروج جيش المسلمين إليهم؟ .
- من هو يحنة بن رؤبة ؟ اذكر نص العهد الذي أعطاه له رسول الله ﷺ . وما هو مدلول هذه المعاملة ؟ .
- عقد رسول الله ﷺ لواءً لخالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل ، ما النتائج ؟ .
- يقول رسولنا محمد ﷺ : « **وجعل رزقي تحت ظل رمحي** » فسر معنى هذا الحديث في ضوء نتيجة أسر أكيدر دومة الجندل على يد خالد بن الوليد .

● كم كان عدد جند المسلمين الذين خرجوا إلى تبوك ؟ وكم يومًا استغرقته هذه الغزوة ؟ وما هي النتائج التي أسفرت عنها هذه الغزوة ؟ وما هي المعالم والدروس التي ترسيها هذه الغزوة في حياة الأمة المسلمة ؟ .

● جرت محاولة لاغتيال النبي أثناء عودته من تبوك ، وهو في وسط جيشه ، من هم الأشخاص الذين قاموا بذلك ؟ وما هو الموقف الذي اتخذه الرسول ﷺ منهم ؟ ولماذا لم يحاكمهم ويفشي سرهم أمام المسلمين ، واكتفى بذكرهم لحذيفة بن اليمان ﷺ ؟ .

● تخلف بعض أبناء المدينة عن الجهاد . ما الموقف الذي اتخذه رسول اللّه ﷺ منهم ؟ .

● ما هي قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد ؟ وهل تابوا وأنابوا ؟ وهل قبل اللّه توبتهم ؟ ما الدروس المستفادة ؟ .

● ما هي أبرز صفات المنافقين من خلال أحداث غزوة تبوك ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● ما هو هدي النبي ﷺ في المرور بآثار الذين ظلموا أنفسهم ؟ ومن هم ثمود ؟ وما هي قصتهم ؟ ومن هو النبي الذي بعث فيهم ؟ اذكر مرجعًا تم فيه معالجة تاريخ ثمود ، والدروس المستفادة .

● كانت غزوة تبوك خطوة نحو إنهاء الاحتلال الرومي البيزنطي للأرض العربية ، وتحرير القدس . هذه الخطوة سبقها وعاقبها خطوات ، اذكر هذه الخطوات ..

اللقاء الأربعون

رسول الله محمد ﷺ يكلف أبا بكر الصديق ﵁ بأن يرأس موسم الحج (سنة ٩هـ / ٦٣٠م) ، ويكلف عليًا بإبلاغ صدر سورة التوبة ، وأن لا يحج بعد موسم حج (عام ٩ هـ / ٦٣٠م) مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان رسول الله ﷺ يستقبل الوفود الراغبة في التعرف على الإسلام

الوالد : الحمد للّه والصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ وبعد ،

هذا هو لقاؤنا الأربعون حول سيرة النبي محمد ﷺ بعد عودته من مكة نهاية سنة ٨هـ / ٦٢٩م ، وبعد نزول سورة براءة .

وقد اختار رسول اللّه أبا بكر الصديق ﵁ ليكون أميرًا على الحج في موسم السنة التاسعة من الهجرة ، وأردفه بعلي بن أبي طالب ﵁ ؛ ليبلغ الناس بسورة التوبة التي تبدأ بقول اللّه ﷻ : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ١] .

وفي يوم النحر قام علي بن أبي طالب عند الجمرة ، فأذن في الناس بما أمره رسول اللّه ﷺ . ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وأجل لهم أربعة أشهر ، وكذلك أجل أربعة أشهر لمن لم يكن له عهد إلى آخر ما ورد في سورة التوبة ، ويمكن الرجوع إلى المصحف وتفسير القرآن العظيم لابن كثير وفي ظلال القرآن .

كما أن أبا بكر ﵁ بعث نيابة عن رسول اللّه ﷺ رجالًا ينادون في الناس : « ألا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » ، ومن كان له عند رسول اللّه عهد فهو إلى مدته [1] .

وكان ذلك بمثابة إعلان عن نهاية عهد الوثنية بجزيرة العرب ، وبروز عهد التوحيد (الإسلام) .

وقد كان لنا وقفات مع بعض آيات سورة براءة ، عند الحديث عن غزوة تبوك (اللقاء التاسع والثلاثون) وكذلك عند حديثنا عن الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وسيكون لنا لقاء آخر حولها تفصيلًا إن شاء اللّه .

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص٦٨ – ٧٣) .

بقي أن نعرض في هذا اللقاء أخبار وفود عامة القبائل العربية التي وفدت بعد فتح مكة ؛ لتتعرف إلى رسول اللَّه ﷺ وتسمع منه عن الإسلام ، ولتتخذ موقفًا سواء بالدخول فيه ، أو البقاء على دينها على أن تدفع الجزية ؛ لكي تصبح جزءًا من الكيان السياسي للدولة الإسلامية ، تعيش في كنفها أمة مطمئنة على عقائدها وأموالها وأعراضها . والهدف أن نتعلم كيفية الدعوة إلى اللَّه ، ومدى تجاوب المدعوين مع دعوة الإسلام .

أحمد : معذرة يا والدي ، لماذا تدفقت الوفود العربية على المدينة المنورة في ذلك الوقت بالذات ؟ .

الوالد : تفضلي يا أم محمد .

الوالدة : كانت العرب تَرَبَّصُ بإسلامها أمرَ هذا الحي من قريش ، أن قريشًا كانوا أهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول اللَّه ﷺ ؛ فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول اللَّه ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين اللَّه ﷻ أفواجًا ، يضربون إليه من كل وجه ، وصدق اللَّه القائل لنبيه ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر : ١ - ٣] ، (أي : فاحمد اللَّه على ما ظهر من دينك واستغفره) .

وبعدها تدفقت الوفود على عاصمة الدولة الإسلامية .

أسامة : سردت مراجع السيرة أسماء كثير من الوفود العربية التي توجهت ، فغالبها من الجزيرة العربية إلى المدينة المنورة ؛ لمقابلة رسول اللَّه ﷺ . والغالبية العظمى منها جاءت بعد الفتح الأعظم .

وقد ذكر الإمام الحافظ ابن كثير أسماء هذه الوفود في الجزء الرابع من السيرة النبوية [(١)] ، وكذلك ابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هدي خير العباد محمد [(٢)] (الجزء الثالث) ، وكذلك المغازي للإمام الذهبي [(٣)] ؛ وكان ذلك في السنة التاسعة من هجرة النبي محمد ﷺ ، وقد سمي هذا العام عام الوفود التي بلغ عددها السبعين . ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن تشكيل الوفود لمقابلة النبي ﷺ لم تقف عند حدود الإنس فقط ؛ فالجن

---

(١) صفحات (٧٦ - ١٨٢) . (٢) صفحات (٢٦ - ٥٩) .
(٣) صفحات (٦٧٥ - ٦٨٩) .

قد شكلوا وفودًا ؛ ليستمعوا من رسول الله ﷺ القرآن الكريم ، ومنهم من أسلم فعلًا .

ولم تكن هذه هي المرة الأولى ؛ فقد سبق ذلك مناسبات أخرى استمعت فيها الجن إلى رسول الله ﷺ . والدليل ما ورد في سورة الأحقاف ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩- ٣٢] .

والآن نعرض لبعض الوفود :

● وفد عبد القيس الذي كان له وفادة السنة الخامسة من الهجرة /٦٢٦م ، والوفادة الثانية كانت في سنة الوفود ، وكان عددهم أربعين رجلًا ، وكان فيهم الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس ، وكان نصرانيًا فأسلم وحسن إسلامه .

محمود : معذرة يا والدي ، هناك أشياء على جانب كبير من الأهمية في لقاء الرسول محمد ﷺ بالوفود . من الكلمات التي قالها رسول الله ﷺ لوفد عبد القيس : « **مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى** » . قالوا : حدثنا بأمرٍ فصلٍ إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو به من وراءنا . قال ﷺ : « **آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله ، هل تدرون ما الإيمان بالله ، شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس . وأنهاكم عن أربع : ما ينتبذُ به في الدُّبَّاء والنقير والحنتم والمُزَفَّتْ** (١) » .

كما أن رسول الله ﷺ قال لأشجّ عبد القيس : « **إن فيك لخلتين يحبهم الله** ﷻ : **الحلم والأناة** » . وفي رواية « **يحبهما الله ورسوله** » ، فقال : يا رسول الله : تخلّقتهما أم جبلني الله عليهما ؟ فقال : « **جبلك الله عليهما** » ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خُلُقَين يحبهما الله ورسوله .

أسامة : معذرة يا محمود ، أليسوا هؤلاء الذين أرسل إليهم رسول الله ﷺ العلاء ابن الحضرمي قبل فتح مكة ، إلى المنذر بن ساوى العبدي ، فأسلم وحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله ﷺ ، وقبل ردة أهل البحرين ، والعلاء

---

(١) الدُّبَّاء هو القرع اليابس ، والمراد الوعاء منه ، والحنتم : جرارٌ خُضْر ، والنقير : جذع ينقر وسطه ، والمُزَفَّت : المطلي بالقار .

عنده أمير رسول اللَّه ﷺ على البحرين [١] ؟ .

بلال : هل يعني ذلك أن وفد عبد القيس من البحرين ؟ .

محمود : تمامًا يا بلال .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا يا محمود . أكمل .

محمود : وفد دوس كانت وفادتها سنة سبع من الهجرة / ٦٢٨م ، ورسول اللَّه ﷺ بخيبر ، وكان في الوفد الطفيل بن عمرو الدوسي الذي أسلم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ورجع إلى قومه ، فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام ويبطئون عليه ، حتى يئس منهم ورجع إلى رسول اللَّه ﷺ فطلب منه أن يدعو على قومه (دوس) : فقال : يا رسول اللَّه إن دوسًا قد هلكت وعصت وأبت ، فادع اللَّه عليهم ، فقال الرسول ﷺ الرحمة المهداة : « **اللَّهم اهد دوسًا وأت بهم** » فاستجاب اللَّه دعوته وأسلمت دوس .

● وافد فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان .

الأولاد : لو أذنت لنا يا أسامة ، من المسائل التي تلفت النظر أن قائدًا عربيًّا من قبل الروم كان منزله معان وما حوله من أرض الشام ، أسلم بعد ما عاين من صفات المسلمين وشجاعتهم وصدقهم اللقاء في معركتهم مع الروم في مؤتة سنة ٨هـ / ٦٢٩م ، ولما أسلم فروة بعث رسولًا إلى رسول اللَّه محمد ﷺ يعلمه إسلامه ، وأهدى إليه بغلة بيضاء .

وحينما علم الروم بإسلامه حبسوه ثم خيروه بين الردة عن الإسلام والموت ، فاختار الموت على الردة ، فصلبته قوات الاحتلال الرومي على ماء يقال له عفرى بفلسطين وضربوا عنقه ، وقال حينذاك :

ألا هل أتى سلمى بأن خليلها ... على ماء عفرى فوق إحدى الرواحِلِ

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبةٌ أطرافها بالمناجِلِ

أسأل اللَّه أن يتقبله مع الشهداء [٢] .

الوالد : اللَّهم آمين .

---

(١) السيرة النبوية (ج ٤ ، ص٨٧ - ٩٢) ، ومختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٨٢) ، وزاد المعاد (ج ٣ ، ص٢٩ ، ٣٠) .

(٢) السيرة النبوية (ج٤ ص١٦٧ - ١٦٨) ، وزاد المعاد (ج٣ ص٤٥) .

أسامة : جزيت خيرًا يا محمود . وصدق اللّه القائل : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، والقائل سبحانه : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨] ، والقائل سبحانه : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ٢] .

إن القائد العربي المسلم الذي ذكره محمود ، هو : فروة بن عمرو الجذامي نموذج للصبر والثبات ، وطلب الشهادة في سبيل اللّه ، وهو يذكرنا بخبيب بن عدي الذي قتله مشركو مكة ، وهو يقول :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي شق كان في اللّه مضجعي

● وفد اليمن : من خمسة عشر رجلًا جاءوا إلى رسول اللّه ﷺ ، وبايعوه على الإسلام ، ثم رجعوا إلى قومهم ، فدعوهم ففشا فيهم الإسلام فوافى رسول اللّه منهم مائة رجل في حجة الوداع .

محمود : لو أذنت لي يا أسامة ، قدم أيضًا على رسول اللّه ﷺ الشاعر كعب بن زهير ابن أبي سلمى ، وذلك بعد أن كتب إليه أخوه بجير بن زهير يدعوه إلى المثول بين يدي رسول اللّه ﷺ : « فطِرْ إلى رسول اللّه ﷺ فإنه لا يقتل أحدًا جاء تائبًا » [١] .

دخل كعب بن زهير على رسول اللّه ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول اللّه ﷺ لا يعرفه فقال : « يا رسول اللّه إن كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ » .

قال رسول اللّه ﷺ : « **نعم** » ، قال : « أنا كعب بن زهير » . فوثب عليه رجل من الأنصار يستأذن في ضرب عنقه ؛ لأنه كان يهجو النبي ﷺ ، فقال ﷺ : « **دعه عنك فإنه قد جاء تائبًا نازعًا عما كان عليه** » .

وحينذاك أنشد كعب قصيدته المشهورة التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

قال فيها ، وهو يعتذر إلى رسول اللّه ﷺ ويمدحه :

أنبئت أن رسول اللّه أوعدني والعفو عند رسول اللّه مأمول

(١) مختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٦٩ - ١٧٢) ، المغازي (ص٦١٥ - ٦٢٢) .

مهلًا رسول الذي أعطاك نافلة القرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت عني الأقاويل

وفيها قال زهير أيضًا :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول [١]

الوالد : ما شاء اللّه للاختيارات الجميلة يا محمود .

محمود : هذا من فضل اللّه ، ثم توجيهات أساتذتي بارك اللّه عليهم .

ومن الوفود التي زارت المدينة المنورة والتقت برسول اللّه ﷺ :

● وفد عذرة : وكان يضم اثني عشر رجلًا ، فيهم حمزة بن النعمان ، في صفر سنة ٩هـ / ٦٣٠ م وقد سألهم رسول اللّه ﷺ : « **من القوم ؟** » ، فقال متكلمهم : من لا تنكره ، نحن بنو عذرة ، إخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا قصيًّا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر ، ولنا قرابات وأرحام . قال رسول اللّه ﷺ : « **مرحبًا بكم وأهلًا ما أعرفني بكم** » .

● وقد أسلموا وبشرهم رسول اللّه ﷺ بفتح الشام ، وهرب هرقل إلى ممتنع من بلاده [٢] .

محمد : ماذا عن ثقيف يا والدي ؟ .

الوالد : ثقيف قصتهم عجيبة ، جاء رئيسهم عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول اللّه ﷺ ، بعد مرجعه من غزوة الطائف في ذي القعدة سنة ٨هـ / ٦٢٩ م قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ورجع إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا وقتلوه .

وحينما لاحظوا دخول العرب في دين اللّه أفواجًا ، عزموا على مراسلة رسول اللّه ﷺ في أمر الإسلام ، فاختاروا وفدًا (بضعة عشرة رجلًا) فيهم : كنانة بن عبد ياليل ، وهو على رأسهم ، وثلاثة من بني مالك ، ورجلان من الأحلاف ، وكان فيهم عثمان بن أبي العاص الثقفي ؛ لمقابلة رسول اللّه ﷺ .

وحينما وصلوا إلى المدينة أمر رسول اللّه ﷺ بقبة فضربت عليهم في ناحية المسجد النبوي ؛ لكي يسمعوا القرآن ، ويروا الناس إذا صلوا ومكثوا يختلفون إلى رسول اللّه ﷺ ، وهو يدعوهم إلى الإسلام . ورغم هذا أصروا على عدم الدخول في الإسلام إلا أن

---

(١) مختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٧٢) ، والمغازي (ص٦١٥ - ٦٢٢) ، وزاد المعاد (ج٢ ص٢٠٥) .
(٢) زاد المعاد (ج٣ ص٤٩) .

يكتب رسول اللَّه ﷺ صلحًا لثقيف ، يأذن لهم فيه بالزنا وشرب الخمر وأكل الربا ، وأن يترك لهم طاغيتهم اللات ، وأن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أصنامهم .

فأبى رسول اللَّه ﷺ أن يقبل شيئًا من ذلك .

الأولاد : عجيب ! إذن ما قيمة الإسلام طالما هم مصرون على الشرك وعدم الانتهاء عما حرم اللَّه ، وعدم القيام بالفرائض .

الوالد : تمامًا ، ولهذا رفض رسول اللَّه ﷺ كل مطالب وفد ثقيف [1] .

فلما أحسوا بأن الأمر جد وليس بهزل ، قرروا الدخول في الإسلام ، واشترطوا فقط على رسول اللَّه ﷺ أن يتولى رسول اللَّه ﷺ أو أحد من قبله بهدم صنم اللات .

وأمر عليهم رسول اللَّه ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي ؛ لأنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام ، وتعلم القرآن على يدي رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ ، وكان من أعظم الناس بركة على قومه .

وعاد وفد ثقيف ، فأسلم على أيديهم أهل ثقيف بعد تردد .

ثم أرسل رسول اللَّه ﷺ رجالًا أمر عليهم خالد بن الوليد لهدم اللات ، منهم المغيرة ابن شعبة ، فقاموا بالمهمة وهدموا اللات وبيتها وسووه بالأرض ، ورجع خالد [2] مع مفرزته بحليها وكسوتها ، فقسمه رسول اللَّه ﷺ من يومه .

هل لك أن تكمل يا أسامة مع ذكر نماذج فقط ؛ لا نريد الاستقصاء ؛ حتى لا يصاب الشباب بالملل ؟ .

محمود : معذرة يا أبي ، قبل أن يعرض أسامة لأخبار بقية الوفود أود أن أشير إلى مسألة مهمة ، وهي مقتل عروة بن مسعود الثقفي .

لقد أسلم عروة ﷺ على يدي رسول اللَّه ﷺ ورجع إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام ، ونصح لهم فاتهموه وعصوه وأسمعوه من الأذى ما لم يكن يخشاهم عليه ، فخرجوا من عنده حتى إذا أسحر وطلعه الفجر ، قام على غرفة له في داره ، فأذن بالصلاة وتشهّد ، فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله . أسأل اللَّه أن يتقبله في الشهداء .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا محمود ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) المغازي ، الذهبي (ص٦٦٧ - ٦٧٣) ، زاد المعاد (ج٣ ص٢٦ - ٢٩) .

(٢) المغازي (ص٦٦٧ - ٦٧٣) .

وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] .

الأولاد : لا حول ولا قوة إلا باللَّه ! يقتلونه ، وهو يؤذن للصلاة ، حسبنا اللَّه ونعم الوكيل .

الوالد : لعل اللَّه غنَّمه الشهادة .

أسامة : أرسل ملوك اليمن مالك بن مرة الرهاوي إلى رسول اللَّه ﷺ بعد مرجعه من تبوك سنة (٩هـ / ٦٣٠ م) يعلمونه بإسلامهم .

● وقد وفد على رسول اللَّه ﷺ وفد همدان في نفس التوقيت ، وقد أسلم قطاع منهم فأمر عليهم مالك بن النمط ، وبعث رسول اللَّه ﷺ إلى سائرهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام ، فأبوا فاستبدل به علي بن أبي طالب الذي أسلموا على يديه . وقد فرح رسول اللَّه ﷺ بإسلامهم ، وحينما وصلته البشارة بذلك خر ساجدًا ، ثم رفع رأسه ، ثم قال : « **السلام على همدان ، السلام على همدان** » (١) .

● هناك وفد مبارك : بضعة عشر رجلًا من فزارة قدموا على رسول اللَّه ﷺ بعد مرجعه من تبوك ، جاءوا مقرين بالإسلام ، وشكوا جدب بلادهم ؛ فصعد رسول اللَّه ﷺ منبر المسجد ، ورفع يده واستسقى ، وقال : « **اللَّهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت ، اللَّهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريًّا مريعًا (خصيبًا) طبقًا (الذي يعم الأرض) واسعًا عاجلًا غير آجل ، نافعًا غير ضار ، اللَّهم اسقنا سقيا رحمة لا سقيا عذاب ، ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللَّهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء** » (٢) .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة .

صدق اللَّه القائل : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ [نوح : ١٠- ١٢] .

من يا أبنائي يعرض لوفد نجران ؟ .

إيمان : لو أذنت لي يا أبي .

الوالد : تفضلي .

إيمان : وفد نجران : ونجران بلد كبير باليمن ، كان يشتمل على ثلاث وسبعين قرية .

---

(١) زاد المعاد (ص٣٥ - ٣٦) .

(٢) السيرة النبوية (ج٣ ص١٧١) .

وكان يقطنها مائة ألف مقاتل كانوا على دين النصرانية .

وقد تشكل وفد نجران إلى المدينة سنة ٩هـ - من ستين رجلًا ، منهم أربعة وعشرون من الأشراف فيهم ثلاثة كانت إليهم زعامة أهل نجران .

العاقب : وكانت إليه الإمارة والحكومة واسمه عبد المسيح .

والثاني : السيد ، وكانت مهمته الإشراف على الأمور الثقافية والسياسية ، واسمه الأيهم أو شرحبيل .

والثالث : الأسقف وكانت إليه الزعامة الدينية والقيادة الروحانية ، واسمه أبو حارثة ابن علقمة .

وقد التقوا برسول الله ﷺ ، وسألهم وسألوه ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن فامتنعوا ، وسألوه عما يقول في عيسى عليه السلام ، فمكث رسول الله ﷺ يومه ذلك ، حتى نزل عليه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩- ٦١] .

ولما أصبح رسول الله ﷺ أخبرهم بقول الله ﷻ في عيسى ابن مريم ، وقرأ عليهم هذه الآيات ، وتركهم في ذلك اليوم ؛ ليفكروا ويتخذوا قرارهم ، فأبوا التسليم بما أخبر به عن عيسى عليه السلام وأبوا الدخول في الإسلام ، فدعاهم إلى المباهلة ، وقد اصطحب معه ابنته فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . فلما رأوا الجد في تصرف النبي محمد ﷺ اعتذروا عن المباهلة ، وحكموا رسول الله ﷺ في أمرهم ، فقبل منهم رسول الله ﷺ الجزية (لأنهم أهل كتاب) . وأعطاهم ذمة الله ، وذمة رسوله ، وترك لهم الحرية كاملة في دينهم ، وكتب لهم بذلك كتابًا .

وقد طلب وفد نجران من رسول الله ﷺ أن يبعث عليهم رجلًا أمينًا ، فبعث عليهم أمين هذه الأمة أبا عبيدة بن الجراح . وبعدها بدأ الإسلام يفشو في أهل نجران [1] .

أسامة : وهذا هو الفارق يا والدي بين موقف أهل نجران النصارى ، وموقف النجاشي رحمه الله حينما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب آيات من سورة مريم ، فأقر وقال :

---

(١) السيرة النبوية (ج٤ ص١٠٠ - ١٠٨) ، زاد المعاد (ج٣ ص٣٨ - ٤٥) .

ما يعدو عيسى ﷺ ما ورد عنه في القرآن الكريم ، وأسلم لله رب العالمين .

● ومن الوفود التي التقت برسول الله ﷺ : وفد بني حنيفة المكون من سبعة عشر رجلًا فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب (سنة ٩هـ / ٦٣٠م) وكان منزلهم في دار بنت الحارث الأنصارية ، وقد عرض رسول الله ﷺ الإسلام عليهم ، فأسلموا إلا مسيلمة الذي اختلفت الروايات بشأنه ، فمنها ما يقول إن مسيلمة لم يحضر مع سائر الوفد إلى رسول الله ﷺ ، وكان في كبر وطموح إلى الإمارة ، وإن الرسول محمدًا ﷺ قد حاول أن يتألفه ، ولكن الكذاب أبى وقال : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، فقال له ﷺ مشيرًا إلى قطعة جريد بيده : « **لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه ، ولن تعدو أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله** » ثم انصرف [1] .

الوالدة : وقد صدقت فراسة النبي ﷺ ، وحينما عاد مسيلمة الكذاب إلى اليمامة ، فادعى النبوة ، وأنه أشرك في الأمر مع النبي ﷺ ، وجعل يسجع كلامًا مضاهاةً للقرآن ، وأحل لقومه الخمر والزنا ، وافتتن به قومه فتبعوه وأصفقوا معه ، حتى تفاقم أمره وافتتن به قطاع كبير من الناس ، وقد أرسل الكذاب رسالة إلى النبي محمد ﷺ ، يقول فيها : إني أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشًا قوم يعتدون . فرد عليه رسول الله ﷺ بكتاب قال فيه : « **من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب ، سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد** : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] » .

بلال : ما هو المصير الذي انتهى إليه أمر هذا الكذاب ؟ .

الوالد : كان ادعاء مسيلمة النبوة سنة ١٠ هجرية / ٦٣١م . وقد قتل في حرب اليمامة في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، في ربيع الأول سنة ١٢هـ .

سلمان : من قتله يا جدي ؟ .

الوالد : قتله وحشي الذي قتل حمزة ﷺ في أحد .

احمد : قرأت في فتح الباري أن وفدًا تآمر على قتل النبي ﷺ ، فيهم عامر بن الطفيل الذي غرر بأصحاب بئر معونة ، فهل يمكن أن نعرض لهذه الواقعة ؟

الوالد : تفضل يا أبا عبد الله ، بحسب ما سيكون إن شاء الله .

---

(١) مختصر سيرة الرسول محمد ﷺ (ص١٨٢) ، والمغازي (ص٦٨٢ - ٦٨٤) .

أحمد : وفد على المدينة مجموعة من بني عامر بن صعصعة (بطن من هوازن ناحية الطائف) كان فيهم عدو اللَّه عامر بن الطفيل ، الذي غدر بأصحاب بئر معونة ، وأربد ابن قيس ، وجماعة من رؤساء القوم وشياطينهم .

وقد تآمر عامر وأربد على اغتيال النبي ﷺ عند مقابلته . وعندما دخل الوفد على النبي ﷺ جعل عامر يكلم النبي ﷺ ودار أربد خلف النبي ﷺ ، واخترط سيفه شبرًا ، ثم حبس اللَّه يده ؛ فلم يقدر على سله ، وعصم اللَّه نبيه ، ودعا عليهما رسول اللَّه ﷺ ؛ فلما رجعا أرسل اللَّه على أربد و جمله صاعقة فأحرقته . وأما عامر فنزل على امرأة سلولية ، فأصيب بغدة في عنقه ، فمات وهو يقول : « أغدة كغدة البعير وموتًا في بيت السلولية ؟ » . وكان ما حدث استجابة لدعوة الرسول محمد ﷺ : « **اللَّهم اكفني عامرًا واهد قومه** » [(١)] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أحمد . بقي أن نختم لقاءنا عن الوفود :

● وفد تجيب اليمني من ثلاثة عشر رجلًا الذي قدم على رسول اللَّه ﷺ بصدقات قومه مما فضل عن فقرائهم ، وكانوا حريصين على تعلم القرآن والسنة وعلومها ، ولم يلبثوا كثيرًا بالمدينة ، وانطلقوا إلى أهلهم وبعثوا غلامًا كانوا خلفوه في رحالهم إلى رسول اللَّه ﷺ ، فجاءه الغلام وقال : « واللَّه ما جئت من بلادي ، إلا أن تسأل اللَّه ﷻ أن يغفر لي ويرحمني ، وأن يجعل غناي في قلبي » ، فدعا له بذلك ، فكان أقنع الناس ، وثبت على الإسلام حين ارتد الناس . وذكّر قومه ووعظهم فثبتوا على الإسلام [(٢)] .

معذرة يا أبنائي ، ما هي **أهم الدروس المستفادة** من هذا اللقاء ؟ .

أحمد : النقلة الكبيرة التي حدثت في حياة الدعوة إلى اللَّه ﷻ ؛ فبعد أن كان النبي ﷺ يطوف في شوارع مكة قائلًا : « **من يحميني حتى أبلغ دعوة ربي وله الجنة ؟** » ، فلا يجد أحدًا يأتي اليوم الذي تتوجه فيه الوفود على كافة مستوياتها إلى قبلة المسلمين الأولى ، ثم إلى حرم رسول اللَّه ﷺ للقاء الرسول القائد ، والاستماع منه إلى شرح مفهوم الإسلام والإيمان ، وصدق اللَّه القائل : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح ٥ ، ٦] ، وقول النبي ﷺ : « **واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب** » .

– أيضًا الرحمة التي كان يغمر بها رسول اللَّه ﷺ الوفود ، فهذا الطفيل بن عمرو

---

(١) المغازي (ص٦٧٨ – ٦٨٠) ، والسيرة النبوية (ج٤ ص١٠٩ – ١١٠) .

(٢) السيرة النبوية (ج٤ ص١٧٩) .

الدوسي يطلب من رسول اللَّه ﷺ أن يدعو على دوس ، فيرفض رسول اللَّه ﷺ الدعاء عليها ، ولكن يدعو لها : « **اللَّهم اهدِ دوسًا** » ، فاستجاب اللَّه دعوته وأسلمت دوس .

- أيضًا الابتلاءات التي يتعرض لها أصحاب الدعوات ، سنة ربانية جارية لحكمة ربانية ؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب . والدليل الابتلاء الذي تعرض له عروة بن مسعود الثقفي ، وفروة بن عمرو الجذامي ، لقد قتلوهما لأنهما أسلما للَّه رب العالمين ، فصبرا واحتسبا . ويبدو في قصة استشهادهما الحرص على طلب الشهادة في مظانها .

وهنا يظهر الحقد الأوربي الصليبي البيزنطي على المسلمين ، رغم أنه واحد من عمالهم ، والسبب هو أنه أسلم للَّه رب العالمين . وصدق اللَّه القائل : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة : ٢] .

- العفو عند المقدرة من رسول اللَّه ﷺ عن كعب بن زهير امتثال لأمر اللَّه : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

محمد : أخيرًا ، إن الدخول في الإسلام والنطق بالشهادتين يترتب عليه تكاليف يجب أن يقوم بها من أسلم للَّه رب العالمين ، وهذا ما لم يفهمه وفد ثقيف من البداية .

الوالد : هذا يكفي ، وإلى لقاء قادم إن شاء اللَّه .

سبحانك اللَّهم ، وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

* * *

اختبر معلوماتك

● لماذا خلف رسول اللّه ﷺ أبا بكر ؛ لينوب عنه في إمارة موسم الحج سنة ٩هـ ؟ .

● ما المهمة التي كلف بها النبي ﷺ عليًّا ؟ ولماذا اختار عليًّا ؟ .

● هل قام علي بالمهمة ؟ متى ؟ وما هي عناصر الرسالة التي بلغها علي ؟ .

● بعد فتح مكة وفد على عاصمة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) وفودٌ كثيرة للتعرف على النبي ﷺ والتعرف على الإسلام .

اذكر عدد الوفود ، وكلمة مختصرة عن كل وفد ، وهل اقتنعت الوفود كلها بالإسلام أم أن قطاعًا لم يقتنع ؟ من هم ؟ .

● اذكر عربيًّا كان يعمل للاحتلال الرومي أسلم ، وحسن إسلامه ؟ ماذا فعلت به قوات الاحتلال الرومي البيزنطي الصليبي ؟ لماذا ؟ ما هو اسم العربي المسلم ؟ وما هي الدروس المستفادة ؟ .

● من هو الطفيل بن عمرو الدوسي ؟ هل أسلم ؟

● من هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ؟ هل أسلم ؟

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

من القائل ؟ اذكر ثلاثة أبيات أخرى .

● هل تعرف عروة بن مسعود الثقفي ؟ متى أسلم ؟ من الذي قتله ؟ ولماذا ؟ وما هو دوره في صلح الحديبية ؟ .

● بنو فزارة جاء وفد مبارك منهم إلى رسول اللّه ﷺ فأسلموا ، اذكر حادثة تتصل بعظمة الإسلام ، واذكر الدعاء .

● ما هي معلوماتك عن وفد نجران ؟ وبأي دين كانوا يدينون ؟ هل كان لهم موقف شبيه بموقف النجاشي ؟ وهل أسلموا ؟ لماذا ؟ .

● ما هي معلوماتك عن وفد بني حنيفة ؟ هل قابل مسيلمة الكذاب رسول اللّه ﷺ ؟ وعن أي شيء أسفرت ، ما هو المصير النهائي لمسيلمة ؟ .

● ما هو دور مسيلمة في حروب الردة ؟ من الذي قتله ؟ .

● ما هي معلوماتك عن عامر بن الطفيل ؟ هل حاول قتل النبي ﷺ ؟ .

● هل كان عام استقبال الوفود عامًا مباركًا على الدعوة الإسلامية ؟ لماذا ؟ .



اللقاء الحادي والأربعون

حجة الوداع : رسول الله محمد يهل بالحج [١] في السنة العاشرة من الهجرة / ٦٣١م

الوالد : الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

فهذا هو لقاؤنا الحادي والأربعون ، نعرض فيه لحجة النبي محمد ﷺ وأصحابه ، ونمهد لذلك بقول رب العالمين ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

والحج ركن من أركان الإسلام فُرض في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة ، كما يقول ابن قيم الجوزية ، في كتابه زاد المعاد ، وقد بين ذلك رسول الله محمد ﷺ في قوله : « **تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة** » [٢] .

وفي حديث آخر يقول ﷺ : « **يا أيها الناس ، إن الله كتب عليكم الحج فحجوا** » وأجمع العلماء أنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة إلا أن ينذره ، فيجب الوفاء بالنذر ، وما زاد فهو تطوع .

بلال : إذن يجب علينا الحج أنا وسلمان وسارة ورحمة وجنة وعمار وسمية .

الوالد : ليس بعدُ يا بلال ؛ حينما تبلغون سنًّا معينة يجب عليكم الحج ، فأنتم الآن لستم تحت التكليف ، وسنعرض إن شاء الله لهذا الموضوع مرة أخرى ، ولكن لو أتيحت لكم العمرة أو الحج صح حجكم ؛ لكن لا يجزىء هذا الحج (التطوع) عن حجة الإسلام (الفريضة) وقد فصل أهل العلم في كتب الفقه عن فضل الحج ، وأنه جهاد ، وأنه من أفضل الأعمال ، وأنه يمحق الذنوب ، وأن ثوابه الجنة ؛ وشروط وجوب الحج ومواقيته الزمانية والمكانية وأركانه ، وسننه تجدونها مبسوطة في كتب الفقه ، وقد أورد الإمام مسلم حديثًا يصف فيه حجة رسول الله ﷺ . وهنا نترك الفرصة للشيخ محمود ، ليعرض لنا هذا الحدث .

محمود : جزاك الله خيرًا يا أبي ، الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله .

---

(١) زاد المعاد (ج ١ ، ص ١٧١ - ٢١٤) ، السيرة النبوية ، ابن كثير (ج٤ ص ٢١١ - ٤١٤) .

(٢) رواه النسائي والترمذي وصححه .

أقترح أن نعرض لهذا الحديث عند حديثنا عن مناسك حجة الرسول ﷺ ، ونكتفي هنا باستعراض الوقائع الرئيسية التي تتصل بالنسك ، وهي مستقاه من نفس الحديث .

الوالد : تفضل يا محمود .

محمود : إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن في الناس بالحج في السنة العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله .

فخرج الصحابة مع رسول الله حتى أتوا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمد ابن أبي بكر ﷺ ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ : كيف أصنع . قال ﷺ : « **اغتسلي واستثفري** [1] **بثوب وأحرمي** » فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ، ثم ركب ناقته القصواء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء ، نظر راوي الحديث إلى مد بصره بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ؛ رسول الله ﷺ بين أظهر الصحابة وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عمل به الصحابة .

فأهلَّ بالتوحيد ، أي رفع صوته بالتلبية : « **لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك** » وأهل الناس بهذا الذي يهل به (أي قالوا مثلما قال رسول الله ﷺ) ، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منهم ولزم رسول اللَّه التلبية .

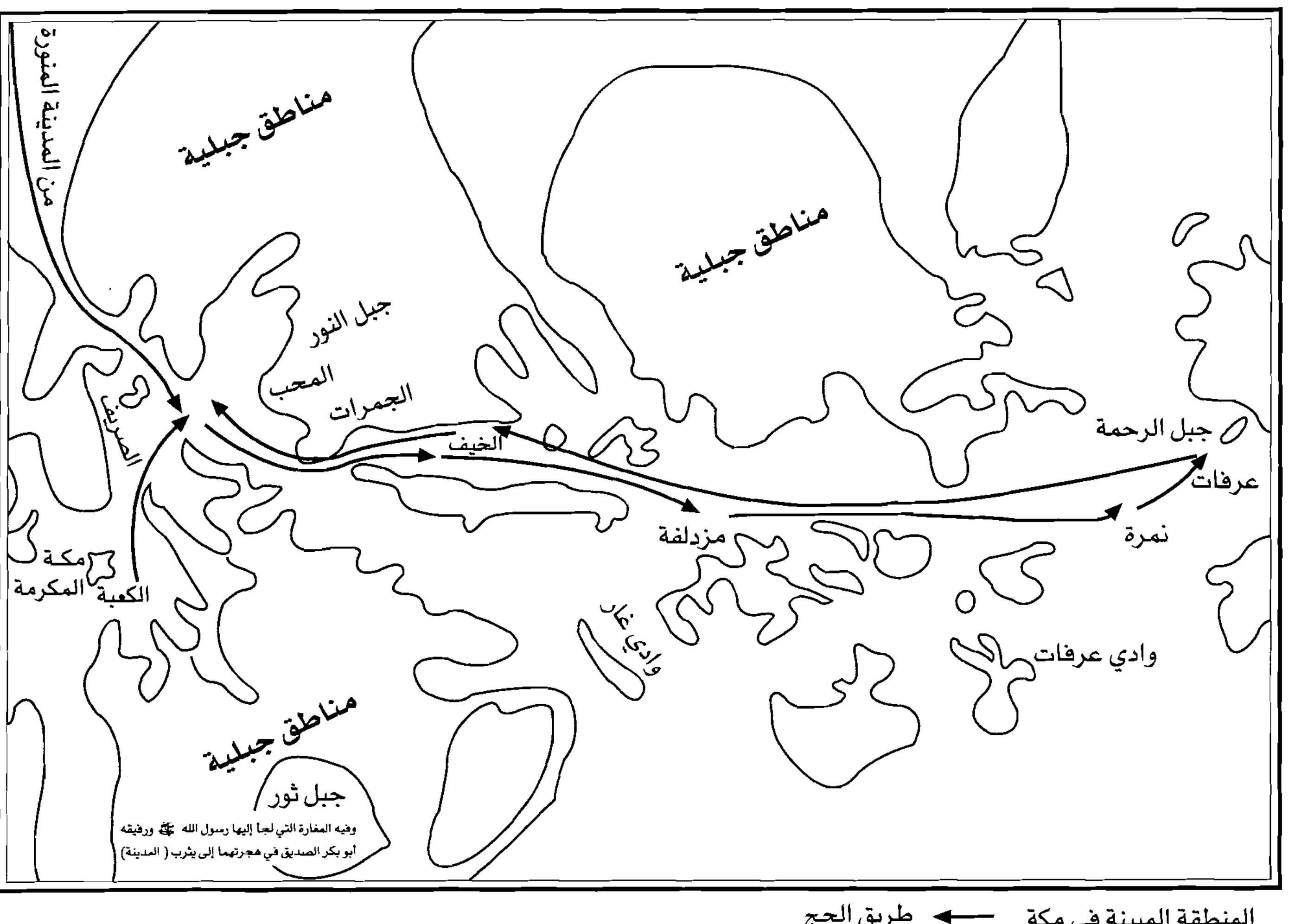
يقول جابر بن عبد اللَّه راوي الحديث :

لسنا ننوي إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة ؛ حتى إذا أتينا البيت (العتيق) معه (أي مع رسول اللَّه ﷺ) ، استلم الركن (أي : الحجر الأسود) فرمل ثلاثًا ومشى أربعًا (أي : طاف بالبيت العتيق سبعًا) ثم نقد إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] فجعل المقام بينهم وبين البيت (وصلى ركعتين) وكان يقرأ (فيهما) ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] و ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] ثم رجع إلى الركن واستلمهم ، ثم خرج من الباب إلى الصفا (لمباشرة السعي بين الصفا والمروة) .

فلما دنا من الصفا والمروة ، قرأ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، « **أبدأ بما بدأ اللَّه به** » .

---

(١) أي تشد في وسطها شيئًا ، وتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم ، وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك الشدود في وسطها ؛ لمنع سيلان الدم .


المنطقة المبينة في مكة
طريق الحج
من المدينة المنورة
مناطق جبلية
مناطق جبلية
مناطق جبلية
جبل النور
المحب
الجمرات
الخيف
الصريف
مكة المكرمة
الكعبة
جبل الرحمة
عرفات
نمرة
مزدلفة
وادي غار
وادي عرفات
جبل ثور
وفيه المغارة التي لجأ إليها رسول الله ﷺ ورفيقه
أبو بكر الصديق في هجرتهما إلى يثرب (المدينة)

فبدأ بالصفا ، فرقى عليه حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد اللَّه وكبره ، وقال : « **لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا اللَّه وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده** » ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل المروة ؛ حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى ، حتى إذا صعدنا مشى، **حتى أتى المروة فعل على المروة كما فعل على الصفا (سبع مرات)** .

حتى إذا كان طوافه على المروة ، فقال : « **لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل** (أي : يتحلل من الإحرام) **وليجعلها عمرة** » وقام سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال : يا رسول اللَّه ألعامنا هذا أم للأبد ؟ .

فشبك رسول اللَّه ﷺ أصابعه واحدة في الآخرة ، وقال : « **دخلت العمرة في الحج دخلت العمرة في الحج لا ، بل لأبد أبد** » .

وقدم علي ببدن للنبي ﷺ (هدي) فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ، ومن كان معه هدي .

فلما كان يوم التروية (اليوم الثامن من شهر ذي الحجة) ، توجهوا (النبي ﷺ وأصحابه) إلى منى ، فأهلوا بالحج وركب رسول اللَّه ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة (خيمة) من شعر تضرب له بنمرة .

فسار رسول اللَّه ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .

فأجاز النبي ﷺ (أي : جاوز المزدلفة ولم يقف بها ، بل توجه إلى عرفات) حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بها ؛ حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له (أي : جعل عليها الرحل) فأتى بطن الوادي (أي : وادي عرفة) ، فخطب الناس (وعددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ، أو أربعة وأربعون ألفًا من الناس حوله) ، وقال :

« **أيها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإني لا أدري ، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من**

دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث – وكان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل – .

وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا اللَّه في النساء ؛ فإنكم أخذتموهن بأمان اللَّه ، فاستحللتم فروجهن بكلمة اللَّه ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاوضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدي إن اعتصمتم به ، كتاب اللَّه .

وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ » قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها على الناس : « **اللَّهم اشهد** » ثلاث مرات .

أحمد : سامحني يا محمود ، ويا جدي ، المناسك والتوجيهات تحتاج إلى وقفات وحوار يرسخ المعاني المقصودة ، ونتعلم من خلالها كيف نؤدي عبادة الحج .

الوالد : إن شاء اللَّه يا أحمد ، ولكن الأفضل أن نعرض موضوع حجة النبي دفعة واحدة ، ثم نفتح باب الأسئلة والحوار ، على أن يكون نص الحديث والروايات التاريخية تحت أنظاركم . تفضل وأكمل يا محمود .

محمود : ما زال الحجيج في وادي عرفة لم يدخلوا عرفة بعد .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يُصَلِّ بينهما شيئًا ، ثم ركب رسول اللَّه ﷺ حتى أتى الموقف (عرفة) ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة (أي : مجمعهم) بين يديه واستقبل القبلة (البيت العتيق) بمكة .

فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة ، حتى غاب القرص ؛ فأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول اللَّه ﷺ وقد شنق من قصواء الزمام (أي : ضم وضيق) ؛ حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ، ويقول بيده اليمنى : « **أيها الناس السكينة السكينة** » . كلما أتى جبلًا من الجبال أرخى لها قليلًا ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد ، وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا .

ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة .

ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا اللَّه وكبره وهلَّله ، ووحَّده ، فلم يزل واقفًا ، حتى أسفر جدًّا .

فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، حتى أتى بطن وادي محسر

فحرك قليلًا (لأنه الوادي الذي نزل به العذاب على أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة ، قبل بعثة النبي محمد ﷺ) ، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف ، رمى بها من بطن الوادي (أي : بحيث تكون منى وعرفات والمزدلفة عن يمينه ومكة عن يساره) .

ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثة وستين بدنة ، ثم أعطى عليًا فنحر ما غبر وأشركه في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة (قطعة لحم) ، فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها .

ثم ركب رسول اللَّه ﷺ القصواء ، فأفاض بالبيت (طاف طواف الإفاضة) ، فصلى بمكة فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم ، فناولوه دلوًا فشرب منه .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أبا حنفي ، بقي أن أشير أن رسول اللَّه ﷺ وأصحابه أقاموا بمنى أيام التشريق يؤدون المناسك ، ورسول اللَّه ﷺ يعلم الناس الشرائع ويذكر اللَّه ، ويقيم سنن الهدي على ملة إبراهيم ، ويمحو آثار الشرك ومعالمها ، وقد خطب في بعض أيام التشريق أيضًا ، فكانت خطبته مثل خطبة يوم النحر .

بلال : ولكن عمي محمود لم يذكر خطبة يوم النحر .

الوالد : لأنه عرض لجانب من حديث رسول اللَّه ﷺ الذي رواه الإمام مسلم .

على كلٍّ ، يوم النحر عاشر ذي الحجة حين ارتفع الضحى ، ورسول اللَّه ﷺ على بغلة شهباء ، وعلي يعبر عنه ، والناس بين قائم وقاعد ، خطب رسول اللَّه ﷺ خطبته أعاد فيها بعض ما كان ألقاه في خطبة يوم عرفة ، وذكر أيضًا :

« **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان** » .

وقال : « **أي شهر هذا ؟** » قلنا : إن اللَّه ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس ذا الحجة ؟** » قلنا : بلى . قال : « **أي بلد هذا ؟** » قلنا : اللَّه ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : ، « أليست البلدة ؟ » ، قلنا : بلى . قال : « **فأي يوم هذا ؟** » قلنا : اللَّه ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس يوم النحر ؟** » قلنا : بلى ، قال : « **فإن**

دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ؛ كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم ، قال : « **اللَّهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع** » .

وفي رواية : « **ألا لا يجني جان إلا على نفسه ، ألا لا يجني جان إلا على ولده ، ولا مولود على والده ، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا أيضًا ، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضى به** » .

بلال : جزاك اللَّه خيرًا يا جدي .

الوالد : وجزاك يا بلال .

سمية : ولكن يا جدي ، متى نزلت آية : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة : ٣] ؟ .

الوالد : جميل يا سمية ، لقد أنزلت هذه الآية الثالثة من سورة المائدة على رسول اللَّه محمد ﷺ ، بعد أن انتهى من إلقاء خطبته بعرفة . وعندما سمعها عمر بن الخطاب ﷺ بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : « إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان » .

احمد : إنا للَّه وإنا إليه راجعون ، أي أن هذه الآية قد فهم منها عمر ﷺ أن ذلك إيذان بوفاة الرسول محمد ﷺ .

الوالد : نعم ، فجزى اللَّه عنا رسول اللَّه ﷺ خير ما جازى نبيًّا عن أمته .

نواصل حديثنا عن مناسك الحج التي أداها رسول اللَّه ﷺ : نفر النبي ﷺ من منى يوم النفر الثاني (ثاني أيام التشريق) الثالث عشر من ذي الحجة ، فنزل بخيف بني كنانة من الأبطح ، وأقام هناك بقية يومه ذلك وليلته ، وصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ثم رقد رقدة ، ثم ركب إلى البيت (العتيق) فطاف به طواف الوداع ، وكان قد أمر به أصحابه أيضًا .

وبعدها حث الركاب إلى المدينة المطهرة ؛ ليواصل مهمته في إقامة هذا الدين الإسلامي نظامًا حياتيًّا شاملًا ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله له .

بقي لنا هنا كلمتان : **الأولى** : وهي أنه سنفرد لقاءً حول تفاصيل ركن الحج ؛ لكي نكون على استعداد متى أتيحت لنا فرصة الحج أن نحج كما حج النبي ﷺ وصحابته ،

وخاصة أنه قد أتيح لكم الحج والعمرة مرات عديدة ؛ فمثلًا أسامة وإيمان ومحمود قد كتب لهم حجة بعد الميلاد مباشرة لم يتخلف أحد عن ذلك أو الطواف بالبيت العتيق ، والسعي بين الصفا والمروة ، والتضلع من ماء زمزم .

الأبناء : آمين آمين آمين ، وجزاكم اللَّه عنا خيرًا لهذا . لكن هناك سؤال يا أبي ، هل طاف النبي ﷺ طواف الوداع قبل مغادرته مكة إلى المدينة ؟ .

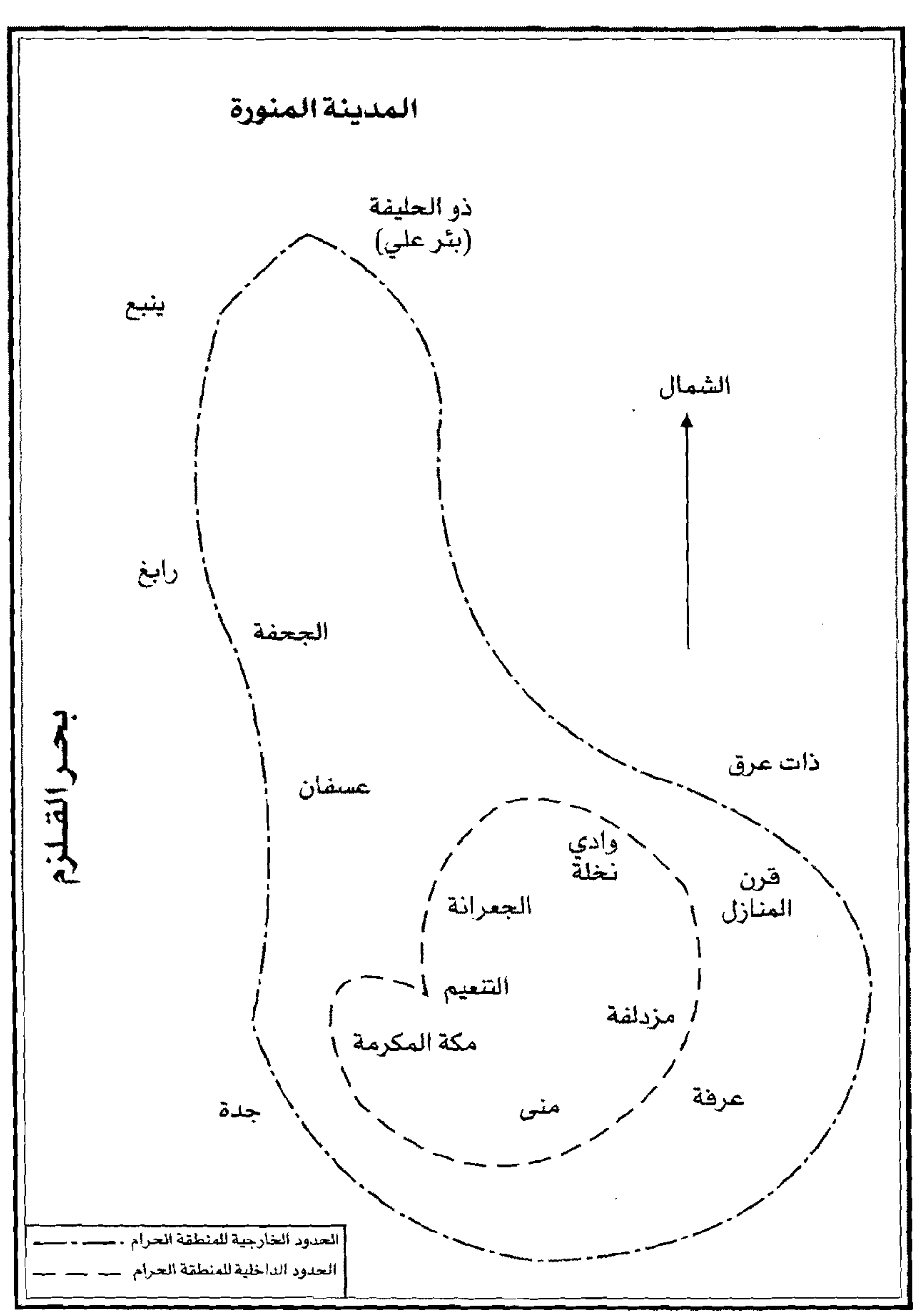
الوالد : نعم يا أبنائي .

إيمان : معذرة يا والدي ، من الواضح أن المعلومات التي استمعنا إليها في هذا اللقاء غير كافية عن حجة الوداع التي حَجَّها رسول اللَّه محمد ﷺ ، فنحن استمعنا إلى معلومات عن :

- فرضية الحج لمن استطاع إليه سبيلًا في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .
- متابعة الحج والعمرة وأثره في حياة الفرد المسلم .
- بعض شروط وجوب الحج .
- حكم الحائض أو النفساء التي تُهلُّ بالحج والعمرة .
- والإهلال بالحج من ذي الحُلَيْفَة ميقات أهل المدينة المنورة ، وهنا كان يجب علينا أن نعرف :
- الآداب التي أخذ بها الرسول محمد ﷺ من الاغتسال والتطيب ولبس ملابس الإحرام ، والشروط التي يجب أن تتوفر فيها ، ومحظورات الإحرام ومكروهاته ، وكيف تحرم المرأة ، وقبل ذلك النية التي يمكن أن تكون مشروطة : لبيك بحج إلا أن يحبسني حابس فمحلي حيث حبستني .
- الوصول إلى مكة والدخول إلى البيت العتيق ، واستلام الحجر الأسود ، والطواف دون أن تعرف شيئًا عن أهمية الحجر الأسود ، والأدعية التي كان يدعو بها رسول اللَّه محمد ﷺ في الطواف ، وأهمية الصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام ، والوقوف بالملتزم والصلاة في حجر إسماعيل عليه السلام ، وأي معلومات عن البيت العتيق : من بناه ؟ متى ؟

نحن حيال درس في التاريخ والحضارة ، وأيضًا نريد رفع المنسوب الإيماني للدارس والمستمع .

- لم نسمع شيئًا عن الواجبات والسنن التي قام بها رسول اللَّه محمد ﷺ : من طوافه



مدينة مكة برمتها

بالبيت العتيق ، بعد رمي الجمرة الأولى ، لم نسمع عن عودته إلى مِنَى والإقامة فيها ، وهل هي واجب أم ركن ، ورمي الجمرات ، وعددها ، ووقت الرمي ، وكيف أمضى رسول الله ﷺ أوقاته في مِنَى ، وكم يومًا أمضى ، اثنين أم ثلاثة .

- لم نسمع شيئًا عن طواف الوداع .

من الملاحظ يا والدي أن النص الذي عُرِض علينا لم يشر إلى عودة رسول الله محمد ﷺ بعد أداء طواف الإفاضة إلى مِنَى ، والإقامة بها ، ورمي الجمرات ، وأداء الواجبات الأخرى .

محمد : ليس هذا فحسب يا والدي ، فالحج ركن من أركان الإسلام . . عبادة ويستلزم ذلك معرفة ما يأتي :

- شروط وجوب الحج .
- المواقيت الزمانية والمواقيت المكانية .
- الإحرام وأنواعه (قران - تمتع - إفراد) وأي نوع من النسك أفضل ، وأي الأنواع اختارها رسول الله محمد ﷺ .

لكن من الإيجابيات : أن استمعنا إلى كلمات الرسول محمد ﷺ يوم عرفة ، ويوم النحر ، التي نبه فيها إلى أهمية احترام حقوق الإنسان ، والذي يعتبر أول ميثاق لحقوق الإنسان تعرفه الإنسانية . كان من الواجب علينا أن نقف عنده ونتناول بالتفصيل ؛ لنعِيَهُ ونجعله درسًا نعلمه للناس ؛ حتى يعرفوا عظمة الإسلام وعظمة صاحب الدعوة ﷺ .

لم نتلقَّ معلومات عن السعي بين الصفا والمروة ، وكيف يذكرنا ذلك - وهذه مسائل يجب أن يستشعرها كل من يحج أو يعتمر - وقصة إبراهيم عليه السلام وتركه طفله وهاجر عن بيت الله المحرم ، بوادٍ غير ذي زرع ، والحوار الذي جرى بين إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر أم إسماعيل ، ماذا فعلت أم إسماعيل حينما نفذ الماء واللبن من صدرها ، وبكاء إسماعيل عليه السلام من الجوع ، وقد هرولت بين الصفا والمروة سبع مرات ، وهدَّها التعب ، وفي تلك اللحظة نزل جبريل عليه السلام ، فحفر بجناحه تحت قدمي إسماعيل ؛ حتى نبعت زمزم وشربت أم إسماعيل ، وأرضعت طفلها . أين ما قاله جبريل عليه السلام لأم إسماعيل : لا تخافوا الضيعة هنا بيت الله العتيق يبني هذا الغلام وأبوه .

أحمد : جزاكم الله خيرًا ، وفعلًا هذه الأشياء التي استدركتموها على لقاء الحج ، على جانب كبير من الأهمية ، لذلك نفتح باب الحوار والمشاركة ؛ حتى نتمكن من إعطاء

سيرة النبي محمد ﷺ وحجته حقَّها الذي تستحقه ، لذلك نفتح باب الحوار والمشاركة حول هذه الموضوعات ، من يبدأ ؟ .

الوالدة المعلمة : يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] .

وأول الناس هو آدم عليه السلام ، وهو الذي بنى بيت اللَّه الحرام والمسجد الأقصى بعده بأربعين سنة ، والحجر الأسود من السماء ، يقول رسول اللَّه ﷺ : « **لولا ما مسَّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسَّه ذو عاهة إلا شُفِي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره** »[1] .

وفي حديث آخر : « **ليأتينَّ هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد على من استلمه** »[2] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أم أسامة . ما أجمل أن يتذكر الإنسان هذه المعاني ، وهو يطوف بالبيت العتيق ويستقبل الحجر الأسود ! .

سلمان : كما أن الطواف بالبيت العتيق يذكرنا بمن بناه ، وبمن أقام القواعد له بعد تهدمه وهو إبراهيم عليه السلام ، والهدف والغاية من إقامة قواعد البيت العتيق ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩] .

إن الطواف يذكرنا بطواف جميع الأنبياء والمرسلين الذين طافوا بالبيت العتيق ، ومنهم خاتم المرسلين محمد ﷺ الذي حمل رسالة الإسلام الخاتمة ، ويذكرنا أيضًا بالمعاناة التي كان يعانيها هو والمسلمون من بداية الدعوة وهو يدعوهم إلى اللَّه ﷻ .

الشيء الذي يجب أن ننبه إليه في هذه المناسبة أن للحج أركانًا وواجبات وسننًا ، **والأركان أربعة وهي** : الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة ، وهو الركن الأعظم ؛ بمعنى أن لو سقط ركن منها بطل الحج ، وصيام يوم عرفة مسنونٌ لمن لم يكن حاجًا ، وفي هذا اليوم قال رسول اللَّه ﷺ : « **أفضل ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي لا إله إلا اللَّه ،**

---

(١) حديث صحيح رقم (٥٢١٠) ، صحيح الجامع الصغير للألباني .

(٢) حديث رقم (٥٢٢٢) ، صحيح الجامع الصغير للألباني .

وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير » .

ولكل ركنٍ واجبات وسنن **ومن الواجبات** :

الإحرام من الميقات ، والتجرد من المخيط للرجال ، والتلبية .

ومن السنن : وهي الأعمال التي لو تركها المُحرِم لا يجب عليه فيها دم ، ولكن يفوته بتركها أجر كبير ، وهي : الاغتسال للإحرام ، والإحرام في رداء وإزار أبيضين نظيفين ، وكذلك وقوع الإحرام عقب نافلة أو فريضة وتقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب ، وحلق العانة ، وتكرار التلبية وتجديدها ، والدعاء والصلاة على نبي اللَّه محمد ﷺ .

سارة : معذرة يا والدتي ، ما هي **حظورات الإحرام** التي يجب على المحرم أن يتحاشاها ؟ .

الوالدة : الأعمال المحظورة هي التي لو فعلها المحرم لوجب عليه فيها دم ؛ بمعنى أن تُنحَر شاة في حرم اللَّه وتُوزع على مستحقيها ، وتلك المحظورات منها : تغطية الرأس بأي غطاء كان للرجال وحلق الشعر أو قصه ، وإن قل ، وقَلْم الأظافر ومسُّ الطيب وقتل صيد البر ، ولبس المخيط للرجال . وإليكم الآيات القرآنية التي توضح معالم ركن الحج ، وتوضح بعض المحظورات :

يقول اللَّه تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٩٦- ٢٠٠] .

سلمى : ماذا عن ركن الطواف ، هل له شروط وسنن أيضًا ؟ .

الوالدة : هو الدوران حول البيت العتيق سبعة أشواط بداية بموضع الحجر

الأسود ونهاية به . وشروطه : النية والطهارة ، وستر العورة ، والموالاة بين الأشواط ، فلا يُفْصَل بينها لغير ضرورة . ومن السنن تقبيل الحجر الأسود إن أمكن ، والاكتفاء بلمسه باليد أو الإشارة إليه ، وكذلك استلام الركن اليماني كلما مرَّ بهما أثناء الطواف . ويسن أن يقول عند استلام الحجر الأسود في الشوط الأول : « بسم اللّه ، واللّه أكبر ، اللّهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ، ووفاءً بعهدك ، واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ » .

وللإنسان أن يدعو بما شاء ، ويستغفر أثناء الطواف ، مع الحرص على عدم إيذاء المسلمين. ويُسن ركعتان في مقام إبراهيم بعد الفراغ من الطواف ، والدعاء بالملتزم والشرب من ماء زمزم ، والتضلع منه والدعاء بعده . لقول النبي ﷺ : « **ماء زمزم لما شُرب له** » .

بقي أن تُحدثنا يا محمود عن ركن **الوقوف بعرفة** :

محمود : رسولنا محمد ﷺ أمرنا : « **خذوا عنّي مناسككم** » ، وعلمنا أن الركن الأعظم في الحج هو الوقوف بعرفة ؛ لقوله ﷺ : « **الحج عرفة** » ولو للحظة فأكثر ، يوم التاسع من ذي الحجة . وفي هذا اليوم يباهي اللّه الملائكة بالحجيج ، فيقول سبحانه ما معناه : « انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثًا غُبْرًا ضاحِين ، جاءوا من كل فج عميق ؛ يرجون رحمتي ولم يروا عذابي » كما أن رسول اللّه ﷺ قال : « **يا معشر الناس أتاني جبريل** عليه السلام **آنفًا فأقرأني من ربي السلام ، وقال : إن اللّه** عز وجل **غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر الحرام ، وضمِنَ عنهم التبعات** » ، وقال في موضع آخر . « **ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة** » .

كما أن الوقوف بعرفة يذكرنا وهم يصطحبون إبراهيم عليه السلام ؛ لتعريفه بمواضع المناسك . وحينما وصلوا عرفة ، قالوا له : عرفت ؟ فقال : نعم . وكان ذلك بناءً على تكليف اللّه عز وجل لإبراهيم : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧] .

وأيضًا دعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨] .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا محمود ، ماذا بعد النزول من عرفة ؟ .

الوالدة : أود أن أُذكر أولًا بموقف الرسول محمد ﷺ يوم عرفة ، وهو على رأس مائة ألف حاج مسلم ، يتقدم الصفوف إلى المزدلفة وهو يقول : « **السكينة**

السكينة ، الطمأنينة الطمأنينة » . حيث جمع بين صلاتي المغرب والعشاء جمع تأخير ، وحيث بات ليلته وصلى صلاة فجر اليوم العاشر ، ثم وقف بالمشعر الحرام ؛ حيث دعا الله ﷻ وذكره ووحّده ، يقول اللّه تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة : ١٩٨] . ومن أرض المزدلفة التقط رسول اللّه ﷺ سبع حصيات ؛ لرمي جمرة العقبة الكبرى ، وبعد ذلك انتقل من مزدلفة بعد الإسفار وقبل طلوع الشمس ، باتجاه منى مع تحاشي المكوث بوادي محسر أو السير ببطء . وبعدها توجه الرسول محمد ﷺ إلى الجمرة الكبرى ؛ حيث رماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل واحدة منها . وموعد الرمي بين طلوع الشمس وزوالها .

ولعل رمي الجمرات يذكرنا بإبراهيم ﷺ ، حينما أُمر من ربه بذبح ولده إسماعيل ﷺ فأطاع ، فتعرض له الشيطان ؛ ليصرفه عن طاعة ربه ، فضربه بالحصى . فرميُ الجمارِ كناية عن جهاد الشيطان ، وجهاد الكافرين والمنافقين وقبل ذلك جهاد النفس .

الوالد : جزاك اللّه خيرًا يا أم محمد . ما هي الواجبات والسنن التي قام بتنفيذها رسول اللّه محمد ﷺ بعد ذلك .

الوالدة : لقد ذكرنا قبل ذلك أنه ﷺ قد قام بالتوجه إلى المنحر فذبح هديه ، قائلًا : « **اللّهم هذا منك وإليك** » .

نور الدين : رسول اللّه محمد ﷺ يذبح هديه بيديه ثلاثة وستين بُدنة ؟ .

الوالدة : نعم يا نور الدين ، وهذا ما يجب أن تتعلموه وتفعلوه .

بقي علينا أن نلخص أعمال يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة : رمي الجمرة الكبرى والذبح والحلق أو التقصير ، ثم الطواف بالبيت العتيق ، وهذا الترتيب سنة فلو قدم منها نُسُك على نُسُك فلا شيء عليه .

احمد : ماذا عن التحلل الأول والثاني ؟ .

الوالدة : برمي الجمرة يوم النحر وحلق الشعر أو تقصيره ، يحل للمحرم كل ما كان محرمًا عليه بالإحرام ؛ فله أن يلبس الثياب ، ويمس الطيب ما عدا النساء ، وهذا ما يسمى بالتحلل الأول ، فإذا طاف طواف الإفاضة ، وهو طواف الركن حلَّ له كل شيء حتى النساء ، وذلك هو التحلل الثاني .

إيمان : ماذا فعل رسول اللّه ﷺ بعد طواف الإفاضة والرجوع إلى منى ؟ .

الوالدة : أقام ثلاثة أيام بمنى ، وفي كل يوم يقوم بعد الزوال برمي الجمرات الثلاث ، يرمي كل واحدة بسبع حصيات . وأيام منى أيام طاعة وأكل وشراب ؛ لقول اللَّه تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

منى : معذرة يا أبت ، هل طاف رسول اللَّه ﷺ طوافًا يودع به البيت العتيق قبل سفره إلى المدينة المنورة ، أم أنه اكتفى بطواف الإفاضة .

الوالد : لقد طاف رسول اللَّه ﷺ طواف الوداع ؛ لأن طواف الإفاضة لا يجزي عن ذلك .

منى : معذرة ، ماذا لو حاضت المرأة أو أصبحت نُفساء ، وتخشى أن يفوتها الركب وعليها طواف إفاضة ؟ .

الوالدة : سؤال جيد يا منى ، فالطهارة شرط للطواف بالبيت العتيق . ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : إنه إذا خشيت المرأة فوات الصحبة ، وعليها طواف إفاضة وهي حائض أو نفساء ، فعليها أن تغتسل وتستثفر وتتطوف .

منى : جزاك اللَّه خيرًا يا والدتي .

أسامة : بقي شيء مهم ، وهو أن نختم لقاءنا هذا عن حجة وداع النبي ﷺ ، وهو على أبواب الآخرة ، **بالتوجيهات والأدعية المأثورة** عنه ﷺ والتي تتصل بنسك الحج والعمرة .

الوالدة : جزاك اللَّه خيرًا . يقول رسول اللَّه ﷺ : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** » (١) ويقول رسول اللَّه محمد ﷺ : « **الحجاج والعمار وفد اللَّه إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم** (٢) » .

الوالد : وقال ﷺ : « **هذا البيت دعامة الإسلام ؛ فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونًا على اللَّه إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن ردَّه ردَّه بأجر وغنيمة** » .

محمد : وروي عن رسول اللَّه ﷺ : « **إذا خرج الحاج حاجًّا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز (الركاب) فنادى : لبيك اللَّهم لبيك ، ناداه منادٍ من السماء : لبيك وسعديك ؛**

---

(١) رواه البخاري ومسلم . (٢) رواه النسائي وابن ماجه .

زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور » [(١)] . كما روي عنه أيضًا ﷺ : **« يُنزِلُ اللَّه كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة ، ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين »** [(٢)] .

هبة : وثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ شرب من ماء زمزم ، وقال : **« ماء زمزم لما شُرب له ؛ إن شربته تستشفي شفاك اللَّه ، وإن شربته لشبعك أشبعك اللَّه وإن شربته لقطع ظمئك ، قطعه اللَّه ، وهي هزمة (حفرة) جبريل وسقيا اللَّه إسماعيل »** [(٣)] .

الوالد : جزاكم اللَّه خيرًا ، وتقبل اللَّه منا ومنك ، وجعلنا اللَّه وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

نهال : معذرة يا والدي ، لقد وقعت على كنز من حديث رسول اللَّه ﷺ ، أود قبل أن نختم أن أعرض جانبًا منه .

الوالد : تفضلي يا أم سلمى .

نهال : يقول ﷺ : **« فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خُفًّا ولا ترفعه ، إلا كتب اللَّه لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة ، فإن اللَّه تعالى يهبط إلى سماء الدنيا ، فيباهي بكم الملائكة ، يقول : عبادي جاءوني شُعثًا وغُبرًا من كل فج عميق يرجون جنتي ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر وزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ، وعمن شفعتم له ، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات ، وأما نحرك فمزخورٌ لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة وتمحى عنك خطيئة ، وأما طوافك بالبيت العتيق بعد ذلك فإنك ، تطوف ولا ذنب لك ويأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك ، فيقول : اعمل فيما يُستقبل فقد غفر لك ما مضى »** [(٤)] .

الوالد : شكر اللَّه لك يا أم سلمى ، ونسأل الله ألا يحرمنا وإياكم من الحج والعمرة وزيارة المسجد الأقصى ، ومسجد الرسول محمد ﷺ والسلام عليه .

قولوا جميعًا : سبحانك اللهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) سنن البيهقي .
(٣) الدارقطني .
(٤) الطبراني في الكبير والبزار .

اختبر معلوماتك

● لماذا سميت حجة النبي محمد ﷺ حجة الوداع ؟ ومتى تمت ؟ وكم كان عدد الصحابة الذين حجوا مع رسول اللَّه محمد ﷺ الذي كان يطوف في بداية دعوته بمكة قائلًا : « **من يحميني حتى أبلغ دعوة ربي ؟** » ، فلا يجد أحدًا . رسول اللَّه محمد ﷺ ، الذي أخرج من مكة مطلوبة رأسه ليلة الهجرة ، يحج في مثل هذا العدد الضخم من المسلمين هذه الذكريات ما هي مدلولها لديك ؟ .

● قدم الأدلة على أن الحج ركن من أركان الإسلام .

● هل يجب الحج على الصبي أو الصبية ؟ وما الدليل ؟ .

● ما هو ميقات أهل المدينة المنورة ، والذي منه أهلَّ رسول اللَّه ﷺ والصحابة بالحج ؟ .

● هل تحفظ التلبية التي أهل بها الرسول ﷺ ؟ .

● اذكر بإيجاز رحلة رسول اللَّه ﷺ من المدينة المنورة إلى البيت العتيق بمكة المكرمة ، حتى إتمامه لمناسك الحج .

● ماذا فعل النبي حينما دخل المسجد الحرام ، هل استقبل الحجر الأسود (الركن) ؟ وما هي معلوماتك عن الحجر الأسود ؟ هل طاف بالبيت سبعًا ؟ هل صلى بمقام إبراهيم؟ كم ركعة ؟ ما صفتهما ؟ .

● هل سعى بين الصفا والمروة ؟ ألا يذكرك السعي بقصة هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليهم السلام ؟ ما هي معلوماتك عنها ؟ .

● هل تحلل الرسول ﷺ من إحرامه بعد أن أتم السعي ؟ لماذا ؟ ومن الذي تحلل ؟ .

● متى أهل رسول اللَّه ﷺ بالحج ؟ في أي يوم من أيام ذي الحجة يوم التروية ؟ أين نزل رسول اللَّه ﷺ هذا اليوم ؟ ومتى شد الرحال إلى عرفة ؟ هل دخل إليها مباشرة أم أنه خيم بوادي عرفة ؟ ما هي العبادات التي قام بها مع أصحابه بوادي عرفة ؟ .

● هل دخل رسول اللَّه ﷺ وأصحابه إلى عرفة قبل الزوال أم بعده ؟ أين وقف رسول اللَّه ﷺ بعرفة ؟ ما هي أبرز الطاعات ، وما هي أفضل الكلمات التي قالها ؟ .

● ذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « **أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة : لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . اللَّهم اجعل في قلبي نورًا ، وفي صدري نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وفي بصري نورًا ،**

اللَّهم اشرح لـي صدري ، ويسر لي أمري ، وأعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر وفتنة القبر ، اللَّهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ، وشر ما يلج في النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق الدهر » ماذا يعني قول النبي ﷺ : « **أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي** » ؟ هل هذا يعني أن الأنبياء قبل رسول اللَّه ﷺ حجوا إلى البيت العتيق؟ ما الدلالة ؟ .

● من هو أول من بنى البيت العتيق ؟ ومن أعاد البناء ؟ ومن الذي أذن في الناس بالحج ؟ .

● من دعاء رسول اللَّه ﷺ في عرفة : « **اللَّهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيرًا مما نقول ، اللَّهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ، ولك ربي تراثي ، اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللَّهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح** » هل يمكن أن تحفظ هذا الدعاء وتعلمه غيرك ؟ .

● من دعاء النبي ﷺ في عرفة : « **اللَّهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من أمري ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفه لك ، اللَّهم لا تجعلني بدعائك ربي شقيًا ، وكن بي رؤوفًا رحيمًا ، يا خير المسئولين وخير المعطين** » من هو راوي هذا الحديث ؟ وفي أي كتب الحديث ؟ هل لك أن تحفظه وتعلمه غيرك ؟ .

اللقاء الثاني والأربعون

اكتمال الدين ووفاة خاتم المرسلين محمد ﷺ
يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ / ٦٣١م

الوالد : أبنائي وبناتي ، الحمد للَّه والصلاة والسلام على محمد رسول اللَّه وبعد ،

هذا هو لقاؤنا الثاني والأربعون تحت عنوان : اكتمال الدين ووفاة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ونمهد لذلك بقول اللَّه تعالى :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك : ١- ٢] .

ويقول سبحانه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

ويقول ﷺ : « **واللَّه لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا** » ويقول ﷺ أيضًا : « **البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت . عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت ، فإنك مفارق ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به** » .

إذن يا أبنائي ، قد كتب اللَّه الموت على كل المخلوقات ، لا يستثنى من ذلك أحد ، حتى ملك الموت يؤمر بالموت فيموت ، ويؤتى بالموت على هيئة كبش فينحر بين يدي اللَّه ﷻ ، ثم ينادي الملك ﷻ : « **أين ملوك الأرض ؟ أين الجبابرة ؟** » ، فلا يرد أحد « **لمن الملك اليوم** » فلا يرد أحد ، فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

فالموت حق لا يستثنى منه مخلوق من مخلوقات اللَّه ﷻ ، حتى نبينا محمد ﷺ .

الأولاد : إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون ، اللَّهم غنِّم رسول اللَّه ﷺ الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثه اللَّهم المقام المحمود الذي وعدته .

الوالد : نعم يا أولادي ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [العلق : ٨] ، ويقول سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] .

وقد وردت آيات وأحاديث تنذر بوفاة رسول الله ﷺ قبل موته .

وحينما نزلت سورة : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [سورة النصر] ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن عباس : « هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه » [1] ، وقال ابن عمر : « نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع ؛ فخطب في الناس خطبته أمرهم فيها ونهاهم » .

وقال صحابي هو جابر رضي الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمار ، فوقف وقال : « **لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا** » [2] وقال ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها : « **إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وإنه عارضني به العام مرتين ، وما أرى ذلك إلّا اقتراب أجلي** » .

محمود : ورد بصحيح البخاري أيضًا بسند صحيح أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعتكف في شهر رمضان عشرة أيام ، فلما كان من العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يومًا ، وكان يعرض عليه القرآن في كل رمضان ؛ فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه القرآن مرتين » [3] .

بل إن الله ﷻ قد نعى رسول الله ﷺ ، ونعى الناس إلى أنفسهم فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا محمود .

سمية : لو أذنت لي يا جدي ، متى رجع الرسول محمد ﷺ من حجة الوداع ؟ وكم عاش بعدها ؟ وهل مرض قبل وفاته ؟ .

الوالد : رجع رسول الله ﷺ من مكة بعد أداء مناسك الحج في ذي الحجة سنة ١٠هـ / ٦٣٠م ، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفرًا سنة ١١هـ / ٦٣١م .

فبينا الناس على ذلك ابتُدِئ رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه إلى ما أراده الله

---

(١) السيرة النبوية (ج ٤ ص٤٤٢) . (٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق (ص٤٤٣) .

من رحمته وكرامته ، في ليال بقين من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول .

فكان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد (مقابر أهل المدينة) من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك [1] .

سمية : لكني قرأت يا جدي أن السيدة عائشة مرضت قبل أن يمرض رسول الله ﷺ .

الوالد : نعم يا سمية ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رجع من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي ، وأنا أقول : « وا رأساه » فقال ﷺ : « **بل أنا واللَّه يا عائشة وا رأساه** » . قالت : ثم قال : « **وما ضرَّكِ لو مِتِّ قبلي ، فقمتُ عَلَيك وكفنتُك وصليتُ عليك ودفنتُك ؟** » . قالت : قلت : « واللَّه لكأنِّي بِكَ لو فعلتَ ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك » .

قالت : « فتبسم رسول اللَّه ﷺ ونام وبه وَجَعُه . وهو يدور على نسائه ، حتى استعزَّ (اشتد) به وجعه في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذنَّ له » .

رحمة : معذرة يا جدي ، أود أن أذكر برقة مشاعر رسول اللَّه ﷺ ورحمته بزوجته ، رغم أنه مريض ويعاني من آلام في الرأس ، وارتفاع في درجة الحرارة ، ومع هذا يداعب زوجته ، وذلك كان بيانًا عمليًا لوصيته ﷺ في حجة الوداع : « **استوصوا بالنساء خيرًا ، خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ما وجد الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه ، وإن اللَّه ليعطي على الرفق ما لا يعطي على غيره** » .

وهنا يأتي سؤال يا جدي ، كم يومًا ظل رسول اللَّه ﷺ يعاني من المرض ؟ .

أسامة : معذرة يا والدي ، قبل الإجابة على السؤال الذي طرحته رحمة ، أود أن أُذكر : لقد فاتنا ذكر آخر لواء عقده رسول اللَّه ﷺ لسرية يقودها أسامة بن زيد بن حارثة قبل موته .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أسامة ، تفضل .

أسامة : ذكرت كتب السيرة ؟ أمر النبي ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم ، ودعا أسامة بن زيد ، فقال : « **سر إلى موضع قتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ؛ فقد وليتك هذا الجيش ، فأغِر صباحًا على أهل أُبْنَى** (موضع بفلسطين بين عسقلان والرملة) وقيل : قرية مؤتة – **وأسرع السير تسبق الأخبار . فإن ظفرت فأقلل اللبث فيهم . وقدم العيون والطلائع أمامك** » .

---

(١) المرجع السابق (ص٣٤٣) .

وقد حمي رسول الله ﷺ وصُدع يوم الأربعاء ، ورغم هذا فقد قام صباح الخميس بعقد اللواء لأسامة بيده ، فخرج بلوائه معقودًا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف ، فلم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا انتدب في هذه الغزوة ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة .

فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على هؤلاء ؟ فقال ابن عيينة وغيره عن عبد الله ابن دينار ، سمع ابن عمر يقول : أمر رسول الله ﷺ أسامة فطعن الناس في إمارته ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن يطعنوا في إمارته فقد طعنوا في إمارة أبيه ، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة ، وإن كان من أحب الناس إليَّ ، وإن ابنه هذا فمن أحب الناس إليَّ بعده** » .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أسامة . فهذه القضية مهمة ، فعقدُ رسول الله ﷺ وهو في مرضه لواءً لسرية أسامة بن زيد باتجاه فلسطين البيت المقدس ؛ بتحريرها ممن غلب عليها - دليلٌ على مدى اهتمام الرسول ﷺ بتحرير ديار الإسلام وبيت المقدس في القلب منها ، من الاحتلال الأجنبي . وكان ذلك بيانًا عمليًا من رسول الله ﷺ أن الأمة لا بد وأن تواصل مسيرتها على طريق مؤتة وتبوك ، لتحرير الأرض المحتلة ، وكسر شوكة المحتل .

والآن نستأنف حديثنا عن مرض النبي محمد ﷺ . تفضل يا أحمد .

رحمة : ابتداءً أجيب على سؤال رحمة الذي طرحته آنفًا ، وهي أن مدة مرض النبي ﷺ ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا ، ومعنى هذا أنه ظل يصلي بالمسلمين مدة ١١ يومًا . ولكن هنا لي سؤال يا والدي :

هل ذكرت كتب السيرة شيئًا عن العلاج الذي كان يتلقاه ﷺ طيلة هذه الفترة ، مثل الشعير والتلبينة وعسل النحل وحبة البركة ؟ وما دور الرقى المأثورة ؟

الوالد : من المؤكد يا أحمد أنها لم تغب عن فطنته ﷺ وعن أهل بيته ، وكذلك خفض درجة الحرارة ؛ كان يستخدم ﷺ الحمام البارد ، كما أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تقرأ بالمعوذات والأدعية التي حفظتها من رسول الله ﷺ ، فكانت تنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث ، وتمسحه بيده رجاء البركة » [(١)] .

على سبيل المثال : قبل وفاته ﷺ ارتفعت درجة حرارة النبي ﷺ واشتد به الوجع ، حتى أغمي عليه ، فقال : « **هريقوا عليَّ من سبع قرب من آبار شتى ؛ حتى أخرج إلى الناس ، فأعهد إليهم** » ، فأقعدوه في مخضب ، وصبوا عليه الماء ، حتى

(١) المرجع السابق (ص٤٤٥ ، ٤٤٨) .

طفق يقول « **حسبكم حسبكم** » [١] .

وعند ذلك أحس بخفة (بعد نزول درجة الحرارة) ، فدخل المسجد وهو معصوب الرأس ، وجلس على المنبر والمسلمون حوله .

إيمان : يا سيدي يا رسول الله ، جعل الله هذا في ميزان حسناتك يوم القيامة ، وأعطاك الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة . لو أذنت لي يا أبي ، ماذا قال رسول الله ﷺ للمسلمين في المسجد ؟ .

الوالد : **نبه أولاً** إلى أمر على جانب كبير من الأهمية ، وهو عدم اتخاذ قبور الأنبياء أو الصالحين مساجد ؛ حتى لا تقع الناس في الشرك ، كما وقع لأصحاب العقائد الفاسدة ، وأيضًا مخالفة أهل الكتاب . قال ﷺ : « **لعنة الله على اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » وفي رواية « **قاتل الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** » « **لا يبقين دينان بأرض العرب** » [٢] .

ثانيًا : نبه ﷺ على خطورة المظالم مظالم العباد ؛ لأنه تعلم وعلم الناس أن الله ﷻ قد يغفر للعبد ما بينه وبينه ، ولكن المظالم تحتاج إلى إبراء الذمة حيال المظلوم ؛ قال ﷺ : « **من كنت جلدت له ظهرًا ، فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ، ومن كنت شتمت له عرضًا ، فهذا عرضي فليستقد منه** » .

وحينما أذن لصلاة الظهر نزل رسول الله ﷺ ، فصلى الظهر ثم رجع وجلس على المنبر ، وعاد إلى حديثه ؛ لإبراء ذمته من الحقوق التي عليه ، فقال رجل : إن لي عندك ثلاثة دراهم ، فقال ﷺ : « **أعطه يا فضل** » [٣] .

ثالثًا : وصية رسول الله ﷺ بالأنصار :

« **أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم** » [٤] .

رابعًا : ثم قال ﷺ : « إن عبدًا خيره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده قال أبو سعيد الخدري : فبكى أبو بكر . قال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا له . فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فكأن رسول الله ﷺ هو

---

(١) المرجع السابق (ص٤٤٧) .
(٢) المرجع السابق (ص٤٥٦ - ٤٧١ - ٤٧٢) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٥٧) .
(٤) المرجع السابق (ص٤٥٣) .

المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا [١] .

الوالدة : لو أذنتم لي ، إن الصحابة لم يدركوا أن هذه الكلمات كانت تنعي رسول الله ﷺ إلا أبو بكر الصديق الذي أدرك الحقيقة ، فبكى وكما سنرى في سيرة الصديق ؓ أنه كان أفضل الأمة على الإطلاق ، بعد محمد رسول الله ﷺ ، ورجل المواقف بلا منازع بعد وفاة الرسول ﷺ . يتضح هذا من الكلمات التي ختم بها رسول الله ﷺ حديثه وهو على المنبر .

« **إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا ؛ ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر** » [٢] .

الوالد : جزاك الله خيرًا يا أم محمد ، هذه إضافة جيدة ، لأننا سنرى أن أبا بكر الصديق ؓ كان رجل المواقف بلا منازع بعد وفاة النبي ﷺ ، وقد طاشت عقول الصحابة لدرجة أنهم (وفيهم عمر بن الخطاب) رفضوا أن يصدقوا خبر الوفاة .

أحمد : ذكرت كتب السيرة أن رسول الله ﷺ قد طلب من أصحابه ، وقد اشتد به الوجع قبل أربعة أيام من الوفاة : « **هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده** » .

فقال عمر (من باب الرفق برسول الله ﷺ) : قد بلغ عليه الوجع وعندكم القرآن . حسبكم كتاب الله ، فاختلف الحضور واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط والاختلاف ، قال رسول الله ﷺ : « **قوموا عني** » [٣] .

الوالدة : تمامًا يا أحمد ، ورغم هذا ، فقد أوصى رسول الله ﷺ بثلاث منها : أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب [٤] . ورغم ظروف النبي الصحية وشدة المرض ، فإنه كان يصلي جميع صلواته بالناس حتى ذلك اليوم - يوم الخميس ؛ قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب ، فقرأ فيها : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ... ﴾ [المرسلات : ١] .

سلمان : معنى ذلك أن رسول الله ﷺ كان آخر عهده بالصلاة بالمسلمين ، مغرب الخميس ؛ قبل الوفاة بأربعة أيام .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٥٤) .
(٢) المرجع السابق (ص٤٥٤ - ٤٥٦) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٥١) .
(٤) المرجع السابق (ص٤٥٠) .

الوالدة : نعم يا سلمان ، وحين حان وقت صلاة العشاء كان قد زاد ثقل المرض على رسول الله ﷺ ؛ بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد .

قالت عائشة رضي الله عنها : فقال رسول الله ﷺ : « **أصلى الناس ؟** » قلنا : « لا يا رسول الله وهم ينتظرونك » .

قال : « **صبوا لي الماء في المخضب** » (لأن حرارته كانت مرتفعة) ففعلنا ، فاغتسل ، فذهب لينهض فأغمي عليه ثم أفاق . فقال : « **أصلى الناس** » فوقع ثانيًا وثالثًا كما وقع في المرة الأولى (أي : الاغتسال لينهض ، ثم يغمى عليه حينما أراد أن ينهض ليصلي بالمسلمين) .

حينما أدرك حبيبنا وإمامنا رسول الله ﷺ أنه لن يستطيع أن يصلي بالمسلمين ، أرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فصلى أبو بكر تلك الأيام (سبع عشرة صلاة) في حياته ﷺ .

وسنعرض لهذا تفصيلًا عند الحديث عن استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

رحمة : قرأت يا جدي أن السيدة عائشة لم تكن ترغب أن يصلي أبو بكر بالناس تنفيذًا لرغبة رسول الله ﷺ ؛ حتى لا يتشاءم به الناس ، فراجعت النبي ثلاث أو أربع مرات ؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر فأبى ﷺ وقال : « **إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس** » [1] .

الوالد : هذا صحيح ، ولهذا غضب رسول الله ﷺ ، وقال كلمة : « **مروا أبا بكر فليصل بالناس** » .

جنة : لكن أنا قرأت أيضًا يا جدي ، وأنا أتابع آخر عهد رسول الله ﷺ بالدنيا قبل يوم أو يومين من رحيله (السبت أو الأحد) : وجد النبي ﷺ في نفسه خفة ، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه بأن لا يتأخر ، قال : « **أجلساني إلى جنبه** » فأجلساه إلى يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ ويسمع الناس التكبير .

عمار : لو أذنت لي يا جدي ، لقد قرأت في كتاب السيرة النبوية ، أن النبي ﷺ كان حريصًا قبل يوم من وفاته (يوم الأحد) أن يعتق غلمانه ، وتصدق بسبعة دنانير كانت

---

(١) المرجع السابق (ص٤٥٩ ، ٤٦٢) .

عنده ، ووهب للمسلمين أسلحته .

تصدق في الوقت الذي كانت أبياته ﷺ في مسيس الحاجة إلى هذه الدنانير ؛ والدليل أن أم المؤمنين عائشة استعارت زيتًا للمصباح من جارتها ، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من الشعير .

الوالد : نعم يا عمار ، ما أجمل أن يخرج الإنسان من هذه الدنيا لا له ولا عليه ! ففي حلالها حساب وحرامها عقاب .

سمية : ماذا عن آخر يوم من أيام رسول اللَّه ﷺ في هذه الدنيا ؟ .

الوالد بينما كان المسلمون في صلاة الفجر يوم الاثنين ، وأبو بكر يصلي بهم - لم يفجأهم إلا رسول اللَّه ﷺ ؛ كشف ستر حجرة عائشة ، فنظر إليهم ، وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف . وظن أن رسول اللَّه ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، فقال أنس بن مالك : وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم ؛ فرحًا برسول اللَّه ﷺ ، فأشار إليهم بيده رسول اللَّه ﷺ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر .

الأولاد : يا حبيبنا يا رسول اللَّه ، رحمك اللَّه حيًّا و ميتًا .

الوالد : ولما ارتفع الضحى دعا النبي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فسارّها بشيء ، فبكت ، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت .

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فسألنا عن ذلك ؛ أي فيما بعد ، فقالت سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت [1] .

كما أنه ﷺ دعا ابني ابنته فاطمة الحسن والحسين ، فقبلهما وأوصى بهما خيرًا ، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن .

وطفق الوجع يشتد ويزيد ، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر ؛ حتى كان يقول : « **يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم** » [2] .

عمار : لو أذنت لي يا جدي ، كيف أكل رسول اللَّه ﷺ السم بخيبر ؟ .

---

(١) المرجع السابق (ص٤٤٨) . (٢) المرجع السابق (ص٤٤٩) .

الوالد : ألا تذكر يا عمار ، أن امرأة يهودية قد دعت النبي ﷺ وأصحابه إلى شاة ، ووضعت سمًّا فيها ، وركزت على الذراع الذي كان يحبه رسول اللَّه ﷺ ، وأن الصحابة أكلوا منه ، فمات بعضهم ، ورسول اللَّه ﷺ أكل أيضًا ، ولكنه لفظَ الأكلَ حينما أدرك أنه مسموم ؟ ويقال إنه لم يتأثر به ؛ لأنه كان قد تصبح بسبع تمرات ، ومن تصبح بسبع تمرات عجوة لم يصبه سم ولا عين ولا سحر .

وقيل : إنه احتجم بعدها ؛ لكن رغم هذا ظل أثرها في بطن النبي ﷺ .

عمار : ألا لعنة اللَّه على المجرمين ، وغدروا به . هذا هو شأن اليهود دوامًا . معنى هذا يا جدي أن اللَّه جمع لرسول اللَّه ﷺ الشهادة التي كان يتمناها ويتمناها كل مسلم صادق الإيمان ، أي أن اللَّه اتخذه نبيًّا ، واتخذه شهيدًا ، كما قال عبد اللَّه بن مسعود [1] .

الوالد : نعم يا عمار ، المهم يا أبنائي ، كان أيضًا رسول اللَّه ﷺ لآخر لحظة من عمره حريصًا على أن يوصي المسلمين بالصلاة : « **الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم** » [2] ، حتى جعل يغرغر بها ، ولا يفصح بها لسانه ؛ لأن الصلاة عمود الدين وهي الفارق بين أهل الإيمان وأهل الكفر .

﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [ق : ٢٨] ، وبدأت لحظات الاحتضار ، فأسندت عائشة رسول اللَّه ﷺ إليها ، وكانت تقول : « إن من نعم اللَّه عليها (أي السيدة عائشة) أن رسول اللَّه ﷺ توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن اللَّه جمع بين ريقي وريقه عند موته » . دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ (أخًا لعائشة) ، وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول اللَّه ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار رسول اللَّه برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد (المرض) فقلت : ألينه لك ؟ فأشار رسول اللَّه ﷺ ، فقال : « **نعم** » فلينته . فأمره على فيه ، وفي رواية : أنه استن به كأحسن ما كان مستنًّا [3] وبين يديه ركوة فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء ، فيمسح بها وجهه ، يقول : « **لا إله إلا اللَّه – إن للموت سكرات** ... » الحديث ، وفي رواية لأحمد : « **اللَّهم أعني على سكرات الموت** » [4] .

الأولاد : يا سيدنا رسول اللَّه ، رحمك اللَّه حيًّا وميتًا ، يا ويح قلوبنا فداك آباؤنا وأمهاتنا ! .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق (ص٤٧٢ ، ٤٧٣) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٧٥) .
(٤) المرجع السابق (ص٤٧٤) .

الوالد : ما أن فرغ رسول الله ﷺ من السواك ، حتى رفع يده أو إصبعه ، وشخص بصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهو يقول : « **مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللَّهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى ، اللَّهم الرفيق الأعلى** » [١] وكرر الكلمة الأخيرة ثلاثًا ، ومالت يده ، ولحق بالرفيق الأعلى . إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون . وكان ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ / ٦٣١م ، قد تم له ثلاثة وستون سنة وزادت أربعة أيام .

وتقول أم سلمة رضي الله عنها زوجة النبي : وضعت يدي [٢] على صدر رسول اللَّه ﷺ يوم مات ، فمرت بي جُمَع آكل وأتوضأ ، وما يذهب ريح المسك من يدي .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها .

الأولاد : للَّه ما أعطى ، وللَّه ما أخذ ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون ، وإنا لفراقك يا رسول اللَّه والمسلمين لمحزونون ، اللَّهم صل على محمد في الأولين ، وصل على محمد في الآخرين ، وصل على محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين ، ونسألك له الوسيلة والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة .

الوالد : آمين ، وألحقنا به على خير واجمعنا به ، وأوردنا حوضه ، واسقنا من يده الشريفة شربة ماء مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا وارزقنا شفاعته . آمين .

الأولاد : آمين آمين ، واجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته .

رحمة : ماذا فعل الصحابة يا والدي ؟ ماذا فعلت أمهات المؤمنين وفاطمة بنت محمد ﷺ ؟

الوالد : كانت المصيبة عظيمة لفقد رسول اللَّه ﷺ ، والخطب جلل ؛ فرسول اللَّه ﷺ قائدهم ونبيهم قد توفي ، مدبر أمرهم قد رحل ؛ لقد تعودوا أن يروه كل يوم وعهدوه إمامًا يصلي بهم خمس مرات في اليوم والليلة ؛ ويعود مرضاهم ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم ؛ لقد عهدوه أبًا لمن لا أب له وأخًا لمن لا أخ له ، وعونًا للأرملة والمساكين ، وقد عهدته الأمة سائسًا لأمرها ، يستقبل الوفود ويوجه السرايا والبعوث ، ويقود الغزوات ويخطط للمعارك ، ويرسل الرسل ، ويدبر أمر الدولة الإسلامية الوليدة . حركة دائبة وتوجيه متصل ، وفجأة يتوقف كل ذلك . وقبل ذلك ينقطع الوحي بعد أن

---

(١) المرجع السابق (ص٤٧٥ ، ٤٧٦) .

(٢) المرجع السابق (ص٤٧٨) .

كان نزوله يملأ الأرض نورًا ورحمة والناس في المسجد يبكون ، وينوحون لا يسمعون المسلمون بعضهم ألجمتهم المفاجأة فسكت لا يحير جوابًا ، والبعض الآخر جعلته المفاجأة غير قادر على التصديق أو التخيل أن هذا ممكن أن يحدث ؛ بل هدد من يقول إن محمدًا قد مات ، وفريق ثالث جلس يبكي ، ولا شيء غير البكاء .

سلمان : ماذا عن عمر بن الخطاب يا جدي ؟ .

الوالد : تفضل يا أسامة .

أسامة : استأذن المغيرة بن شعبة وعمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ ، فأذنت لهما السيدة عائشة (جذبت إليها الحجاب) فنظر عمر إلى رسول الله فقال : واغشياه ! ما أشد غشي رسول الله ﷺ - يتصور عمر أن رسول الله ﷺ قد أغمي عليه ، لم يكن يتصور أنه قد مات - ثم قام ، فلما دنوا من الباب قال المغيرة : يا عمر مات رسول الله ﷺ ، فقال عمر ﷺ : كذبت ، بل أنت رجل تحوسك (تتخلك) فتنة ، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين .

وذكرت كتب السيرة أيضًا أن عمر بن الخطاب ﷺ قام يخطب الناس ، ويتوعد من قال : رسول الله ﷺ مات ، بالقتل والقطع ، ويقول : إن رسول الله ﷺ في غشية (مغمى عليه) لو قد قام لقتل وقطع .

بلال : أليس هذا الجيل القرآني الذي يعي جيدًا قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ؟ أين أبو بكر ﷺ ؟ .

الوالد : نعم يا بلال ؛ لكن المصيبة كانت أعظم من قدرة الصحابة على التصديق . أكمل يا أسامة .

أسامة : وصل الخبر إلى أبي بكر ﷺ ، فأقبل على فرسه من مسكنه بالسنح (حوالي المدينة) ، حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة (ابنته) ، فيمم تجاه رسول الله ﷺ وهو مسجى ببردة حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله ثم بكى [1] . ثم قال :

« بأبي أنت وأمي يا رسول الله . والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدًا ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها » وفي رواية :

---

(١) المرجع السابق (ص٤٨٠) .

ثم خرج سريعًا إلى المسجد يتخطى رقاب الناس ، حتى أتى المنبر ، وجلس عمر حين رأى أبا بكر مقبلًا إليه ، وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ، ونادى الناس فجلسوا وأنصتوا . فتشهد أبو بكر بما تعلمه من التشهد ، وقال : « إن اللَّه ﷻ نعى النبي إلى نفسه ، وهو حي بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم ، وهو الموت ، حتى لا يبقى منكم أحد إلا اللَّه ﷻ[1] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

فقال عمر : « هذه الآية في القرآن ، واللَّه ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم[2] ، واللَّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فتعثرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات ، ثم واصل أبو بكر حديثه : إن اللَّه عمر محمدًا ﷺ وأبقاه حتى أقام دين اللَّه ، وأظهر أمر اللَّه ، وبلغ رسالة الإسلام وجاهد في سبيل اللَّه ، ثم توفاه اللَّه على ذلك ، وقد ترككم على الطريقة ؛ فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء ؛ فمن كان اللَّه ربه ، فإن اللَّه حي لا يموت ومن كان يعبد محمدًا ﷺ وينزله إلهًا فقد هلك إلهه . فاتقوا اللَّه أيها الناس ، واعتصموا بدينكم ، وتوكلوا على ربكم ؛ فإن دين اللَّه قائم ، وإن كلمة اللَّه تامة ، وإن اللَّه ناصر من نصره ، ومعز دينه ، وإن كتاب اللَّه بين أظهرنا ، وهو النور والشفاء وبه هدى اللَّه محمدًا وفيه حلال اللَّه وحرامه ، واللَّهِ لا نبالي من أجلب علينا من خلق اللَّه ؛ إن سيوف اللَّه لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول اللَّه ﷺ فلا يبغين أحد إلا على نفسه[3] .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا أبا عبد اللَّه .

والآن نريد أن نتعرف على الموقف داخل الدولة الإسلامية ، وعلى حدودها مع الفرس والروم الذين يحتلون أرض الشام ، وما هي الأخطار والتحديات التي واجهها قادة وزعماء الدول الإسلامية بعد موت الرسول القائد محمد ﷺ ؟ .

تفضل يا أبا عبد اللَّه .

أسامة : لما قبض رسول اللَّه في السنة الحادية عشرة من الهجرة (ربيع الأول) ٦٣٢م ، ارتدت العرب قاطبةً (عن الإسلام) وامتنع قطاع من المسلمين عن دفع الزكاة واشرأب

(١) المرجع السابق (ص٤٧٩) . (٢) المرجع السابق (ص٤٨٢) .
(٣) المرجع السابق (ص٤٨٢ ، ٤٨٣) .

النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونزل بأبي بكر ﷺ ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بأرض مسبعة ليس لها راع .

وكان على المسلمين أولًا أن يختاروا شخصية قيادية تحاول أن تملأ الفراغ الذي حدث نتيجة وفاة رسول اللَّه ﷺ وتواجه هذه التحديات .

لهذا آثر الصحابة أن يؤجلوا تجهيز رسول اللَّه ﷺ ودفنه ، وأن ينطلقوا مهاجرين وأنصارًا ، لاختيار خليفة لرسول اللَّه ﷺ . وقد وفقهم اللَّه إلى اختيار أبي بكر الصديق لخلافة رسول اللَّه ﷺ ؛ ليرعى مصالح الأمة ، ويواصل حمل الأمانة التي كان يحملها رسول اللَّه ﷺ .

محمد : لو أذنت لي يا أبي ، ألم يكن من الأولى أن يجهزوا رسول اللَّه ﷺ ويدفنوه أولًا ، وبعد ذلك يختارون خليفة للرسول ﷺ ؟ .

الوالد : ترتيب الأولويات والفرائض استلزم أن يكون اختيار إمامٍ للمسلمين أولًا ؛ ليرعى مصالح هذه الأمة ، خاصة وأن الأخطار كانت تحدق بالمسلمين بعد وفاة النبي محمد ﷺ وإقامة الإمامة واجب وخشي المسلمون أن يبيتوا ليلة واحدة دون إمامة .

وبعد اختيار الصديق خليفة للمسلمين تم تجهيز رسول اللَّه ﷺ ودفنه .

بلال : من قام بتغسيل رسول اللَّه ﷺ ؟ ومن الذي قام بدفنه ؟ .

الوالد : اجتمع القوم لغسل رسول اللَّه ﷺ [١] ، وليس في البيت إلا أهله : عمه العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس وقُثم بن العباس وأسامة ابن زيد بن حارثة وصالح مولاه ، ثم انضم إليهم بعد إلحاح أوس بن خولي الأنصاري - أحد بني عوف بن الخزرج - وكان بدريًا ولم يل من غسل النبي ﷺ شيئًا . ولما أرادوا غسل النبي ﷺ ، قالوا : « ما ندري أنجرد رسول اللَّه ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه » ، فلما اختلفوا ألقى اللَّه عليهم النوم [٢] حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره . ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن غسلوا رسول اللَّه ﷺ وعليه ثيابه » .

فقاموا إلى رسول اللَّه ﷺ ، فغسلوه ، وعليه قميص ، يصبون الماء فوق القميص ، فيدلكونه بالقميص دون أيديهم . فكانت عائشة رضي الله عنها تقول : « لو استقبلت من أمري

(١) المرجع السابق (ص٥١٨) .

(٢) المرجع السابق (ص٥١٧) .

ما استدبرت ، ما غسل رسول اللَّه ﷺ إلا نساؤه » [(١)] .

فأسنده علي إلى صدره وعليه قميص ، وكان العباس وفضل وقثم يقلبونه مع علي ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء ، وجعل علي يغسله ولم ير من رسول اللَّه ﷺ شيئًا مما يرى من الميت ، وهو يقول : « بأبي وأمي ما أطيبك حيًا وميتًا ! » .

حتى إذا فرغوا من غسل رسول اللَّه ﷺ ، وكان يغسل بالماء والسِّدر - جففوه ، ثم صنع به ما يصنع بالميت وطيبوه ﷺ بالكافور في موضع سجوده ومفاصله ، ثم أدرج في ثلاث أثواب بيض يمانية من قطن ، ليس فيها قميص ولا عمامة ، ثم دعا العباس رجلين فقال : ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح - وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة - وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري - وكان أبو طلحة يلحد لأهل المدينة [(٢)] .

ثم قال العباس حين سرحهما : اللَّهم خِرْ لرسولك ﷺ .

فذهبا فلم يجد صاحب أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة ، فلحد رسول اللَّه ﷺ .

عمار : لماذا فعل ذلك العباس رضي الله عنه يا جدي ؟ .

الجد : كي يختار أفضل طريقة للدفن ، وشاءت إرادة اللَّه أن يتعلم الصحابة أن اللحد أفضل من الضرح ، وذلك بعد ما يسر اللَّه لرسوله ﷺ أن يلحد .

وقد ولي دفن رسول اللَّه ﷺ أربعة : علي والعباس والفضل وصالح مولى رسول اللَّه ﷺ لحدوا له لحدًا ، ونصبوا عليه اللبن نصبًا .

سارة : لم تذكر يا جدي كيف صلى الصحابة على رسول اللَّه ﷺ صلاة الجنازة .

الجد : جزاك اللَّه خيرًا يا سارة .

لما كفن رسول اللَّه ﷺ ووضع على سريره ، دخل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع بيت رسول اللَّه ﷺ ، فقالا :

« السلام عليك أيها النبي ورحمة اللَّه وبركاته » وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر ، ثم صفوا صفوفًا لا يؤمهم أحد [(٣)] .

---

(١) المرجع السابق (ص٥١٨) . (٢) المرجع السابق (ص٥١٩ - ٥٢٥) .

(٣) المرجع السابق (ص٥٢٧ ، ٥٢٨) .

فقال أبو بكر وعمر ، وهما في الصف الأول حيال رسول اللَّه ﷺ : « اللَّهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما أنزل إليه ، ونصح أمته ، وجاهد في سبيل اللَّه حتى أعز اللَّه دينه وتمت كلمته ، وأومنَ به وحده لا شريك له ، فاجعلنا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به ، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا ، لا نبتغي بالإيمان به بدلًا ولا نشتري به ثمنًا قليلًا » (١) .

فيقول الناس : آمين آمين ، ويخرجون ويدخل آخرون ، حتى صلى الرجال ثم النساء ثم الصبيان .

وقد قيل : إنهم صلوا عليه من بعد الزوال يوم الاثنين إلى مثله يوم الثلاثاء ، وقيل : إنهم مكثوا ثلاثة أيام يصلون .

بلال : أي أنهم لم يصلوا داخل مسجد النبي ﷺ الجنازة ، ولم يكن هناك إمام للمصلين .

الجد : نعم يا بلال ، وهذا الصنيع - وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه - أمر مجمع عليه لا خلاف فيه .

بلال : لكن من الملاحظ يا جدي أن صلاة الجنازة تقام في المساجد ، وهناك إمام يؤم المصلين ، والصحابة لم يفعلوا ذلك رغم حضور أبي بكر الصديق ، وقد بويع له بالإمامة .

سلمان : أين دفن النبي ﷺ وصفة دفنه ؟ .

الوالد : روى ابن كثير روايات يُعَضدُ بعضها بعضًا :

« ما قبض اللَّه نبيًا إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه » (٢) ، « ادفنوه في موضع فراشه » (فرفع الفراش وحفر تحته) وقد لحد أحد حفاري المدينة للنبي ﷺ .

ونزل في حفرته علي بن أبي طالب ، والفضل وقُثم ابنا العباس وشُقران مولى رسول اللَّه ﷺ ، وأبو ليلى (أوس بن خولى) . وقد تم دفنه في السحر ليلة الأربعاء (٣) .

وقد روى عن أم سلمة رضي الله عنها : بينما نحن مجتمعون نبكي لِم ننم ، ورسول اللَّه في بيوتنا ، ونحن نتسلى برؤيته على السرير - إذ سمعنا صوت الكرازين في السحر (جمع كرزن وهو الفأس الكبير) ، قالت أم سلمة : فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة بصيحة واحدة ، وأذن بلال بالفجر ، فلما ذكر النبي ﷺ بكى وانتحب (٤) .

---

(١) المرجع السابق (ص٥٢٨) .
(٢) المرجع السابق (ص٥٣٠) .
(٣) المرجع السابق (ص٥٣٠) .
(٤) المرجع السابق (ص٥٣٨ ، ٥٣٩) .

بقيت كلمة أخيرة يا أبنائي ، وهي أن الرسول محمدًا ﷺ دفن في غرفة السيدة عائشة رضي الله عنها والتي كانت تختص بها شرقي مسجده ، في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة .

سلمان : قرأت يا جدي أن رش الماء على القبر بعد الدفن سنة .

الوالد : نعم فقد روي : رُشَّ على قبر النبي ﷺ الماء رشًّا ، وكان الذي رشه بلال بن رباح بقربة ، بدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن ، حتى انتهى إلى رجليه ثم ضرب بالماء إلى الجدار ، لم يقدر أن يدور من الجدار (١) .

الأولاد : رحم اللَّه رسول اللَّه ﷺ رحمة واسعة ، اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، ونسألك له الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ، وأن تبعثه المقام المحمود الذي وعدته ، وأن تشفعه فينا ، وأن توردنا حوضه وتسقينا مِن يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا .

جزاك اللَّه عنا خيرًا يا رسول اللَّه ، خير ما جزى نبيًّا عن أمته .

إيمان : لا يفوتنا هنا يا والدي أن أذكر شيئًا مما أصاب المسلمين من المصيبة العظيمة بوفاة رسول اللَّه ﷺ .

الوالد : تفضلي يا إيمان .

إيمان : لما ثقُل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرب أبتاه ! فقال لها : « **ليس على أبيك كرب بعد اليوم** » .

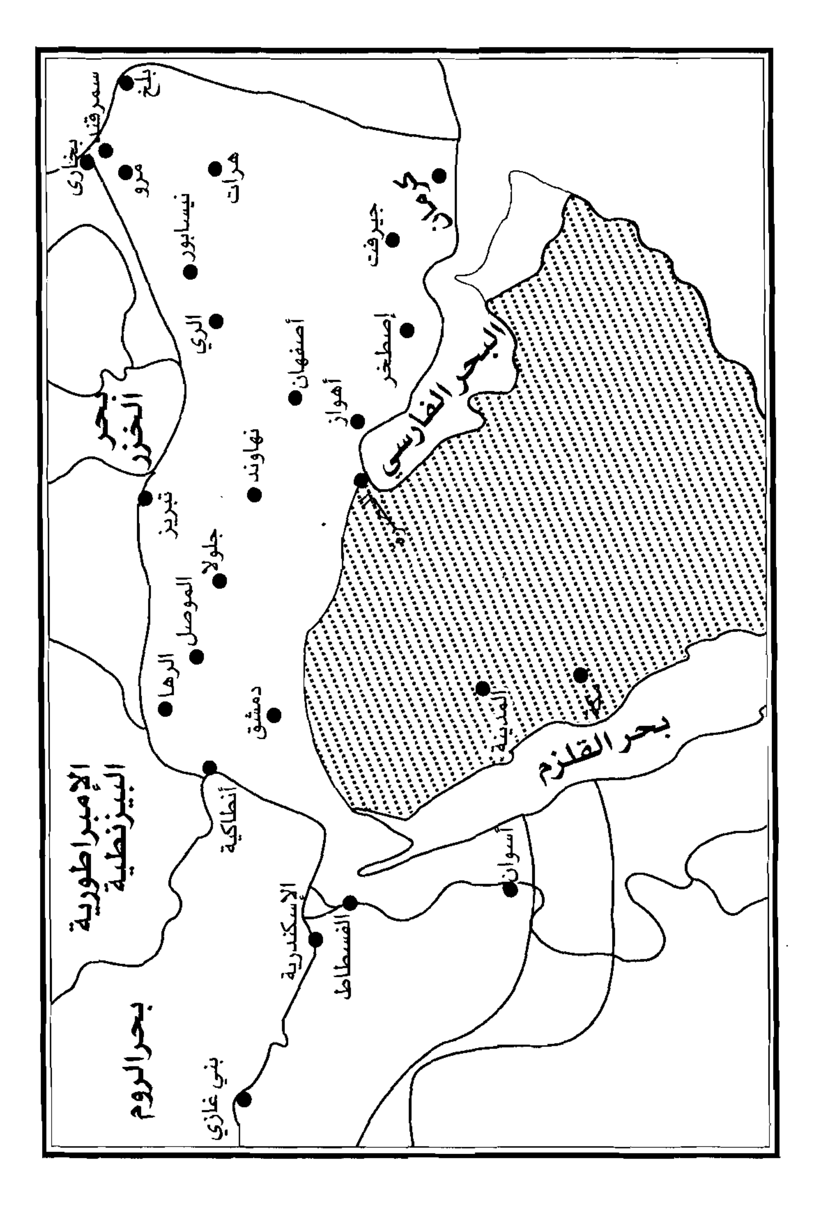
فلما مات قالت : « وا أبتاه أجاب ربًّا دعاه ... يا أبتاه مَنْ جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه » . فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول اللَّه ﷺ (٢) ؟ .

الوالد : جزاك اللَّه خيرًا يا إيمان . للَّه ما أعطى وللَّه ما أخذ ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ؛ إنَّا للَّه وإنَّا إليه راجعون ، وإنَّا لفراقك يا رسول اللَّه لمحزونون .

قولوا جميعًا : سبحانك اللَّهم وبحمدك ،
نشهد أن لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك .

* * *

(١) المرجع السابق (ص٥٤٠) . (٢) المرجع السابق (ص٥٤٣) .



الدولة الإسلامية عند وفاة النبي ﷺ (١٠هـ = ٦٣٢م)

اختبر معلوماتك

● ذَكِّرْ الناس بأن لكل أجل كتاب ، وكما أن اللَّه قد خلق الحياة ، فإنه قد خلق الموت ما الحكمة وراء ذلك ؟ .

● هناك بعض الآيات تنزلت على رسول اللَّه ﷺ فدلت على قرب التحاقه بالرفيق الأعلى ، ما هي ؟ ومتى وهل أدرك ذلك كل المسلمين ؟ من الذي أدرك ذلك فبكى ؟ .

● « **لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا** » من القائل ؟ اذكر عبارة أخرى ذكرت اقتراب أجل النبي ﷺ صراحة .

● اذكر الآية التي نعى فيها رب العالمين رسول اللَّه محمدًا ﷺ لنفسه ؟ .

● ما هي الطاعات التي حرص رسول اللَّه ﷺ عليها في آخر شهر رمضان قبل موته ؟

● متى رجع رسول اللَّه ﷺ من حجة الوداع ؟ وكم عاش بعدها ؟ هل مرض قبل وفاته ؟ اذكر الواقعة .

● اذكر الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وزوجه السيدة عائشة رضي الله عنها . ما مدلول ذلك الحوار ؟ .

● أين كان يمرض رسول اللَّه ﷺ ؟ وكم استمرت فترة مرضه ؟ .

● يقول ﷺ : « **ما أنزل من داء إلا وأنزل اللَّه له الدواء فإذا صادف الدواء الداء شفي بإذن اللَّه** » وقال أيضًا : « **داووا مرضاكم بالصدقة والدعاء والدواء** » ، فهل كان رسول اللَّه ﷺ يتطبب بدواء معين في فترة مرضه ؟ .

● حرص رسول اللَّه ﷺ على توجيه النصائح إلى أمته حتى آخر لحظة من عمره . اذكر أهم الوصايا فيما يتصف بأهل الكتاب والمظالم والأنصار ؟ وما هي الأحكام الشرعية التي تنبني على هذه الوصايا ؟ .

● « **إن عبدًا خيره اللَّه أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عنده فاختار ما عنده** » من القائل ؟ وماذا فعل أبو بكر حين سمع هذه الكلمات رضي الله عنه ؟ .

● قال رسول اللَّه ﷺ كلمات أثنى بها على أبي بكر الصديق . اذكرها . هل ثناء رسول اللَّه ﷺ على الصديق كان نتيجة جهاده في نصرة إخوانه في نشر الدعوة وجهاده للكافرين والمنافقين ؟ .

● هَمَّ رسول اللَّه ﷺ أن يكتب للأمة كتابًا لن يضلوا بعده . هل تم ذلك ؟ ما التبرير

في تصورك ؟ .

● قبل وفاة الرسول ﷺ كم يومًا صلى أبو بكر ﷺ بالمسلمين ؟ .

● أرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر يأمره بالصلاة بالمسلمين ، هل وصلت الرسالة في حينه ؟ هل بلغت السيدة عائشة الرسالة إلى أبيها ؟ لماذا ؟ من الذي صلى ؟ وماذا فعل النبي ﷺ حينما سمع عمر بن الخطاب يصلي بالناس ؟ .

● كم كانت ثروة النبي ﷺ التي خلفها لأهله ؟ ماذا فعل بغلمانه والدنانير التي كانت عنده وأسلحته ؟ .

● فرح رسول الله ﷺ حينما شاهد المسلمين يجتمعون لصلاة الفجر وإمامهم أبو بكر الصديق . متى حدث ذلك ؟ .

● دعا رسول الله ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته ، وأسر لها بكلمات دون أزواجه ، فبكت ثم ضحكت ، وقد سألتها السيدة عائشة رضي الله عنها فأجابتها . ما هي الإجابة ؟ كيف كان آخر عهد النبي ﷺ مع أسرته ؟ .

● شاءت إرادة الله عز وجل أن يجمع لرسول الله ﷺ بين الموت والشهادة ، اتضح ذلك من الكلمات التي قالها : « **ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم** » . ما هي معلوماتك عن هذا الموضوع من الذي دس السم للنبي ﷺ ومن كان معه من الصحابة ؟ ماذا حدث لمن أكل ؟ ماذا فعل النبي ﷺ باليهودية التي دست له السم ؟ ماذا كانت النتيجة ألا يلقي ذلك ضوءًا على صفة الغدر في شخصية اليهود ؟ .

● صف لحظات احتضار النبي ﷺ على لسان السيدة عائشة رضي الله عنها ؟ .

● ماذا يسن للمتوفى عند الاحتضار ؟ متى توفي رسول الله ﷺ ؟ .

● صف مشاعر أمهات المؤمنين والصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعين بعد وفاة الرسول ﷺ . وما هي المشاعر التي تضطرم في صدرك ، وأنت تقرأ هذا الخبر الآن ؟ .

● قارن بين موقف عمر ﷺ وأبو بكر ﷺ عند وفاة الرسول ﷺ ؟ .

● كان أبو بكر الصديق ﷺ رجل المواقف بلا منازع كيف كان ذلك ؟ .

● لماذا قام الصحابة بتأخير تجهيز النبي ﷺ وانطلقوا لإقامة الإمامة العظمى ؟ اذكر خبر السقيفة ؟ .

● من الذي قام بتغسيل النبي ﷺ ، وتكفينه ؟ ومن قام بدفنه ؟ صف مشهد الغسل والتكفين ؛ لتتعلم وتتعلم الأمة .

● من صلى على النبي ﷺ الجنازة ؟ كيف وأين ؟ .

* * *

فهرس الكتاب

الموضوع — الصفحة

تمهيد : منهج الحوار في عرض سيرة النبي محمد ﷺ ٥

اللقاء الأول : المسائل التي ينبغي على الإنسان معرفتها ، أحوال المجتمع العربي والدولي قبيل بعثة النبي محمد ﷺ ١٥

اللقاء الثاني : التعريف برسول اللّٰه محمد ﷺ ٢٧

اللقاء الثالث : المرحلة الأولى من حياة النبي محمد ﷺ منذ مولده (٥٣ قبل الهجرة / أبريل ٥٧١ م) وحتى البعثة (١٣ قبل الهجرة / ٦١١ م) ٣١

اللقاء الرابع : جبريل عليه السلام ينزل برسالة الإسلام الخاتمة على رسول السلام محمد ﷺ (العام الثالث عشر قبل الهجرة النبوية / ٦١٠ ميلادية) ٤٩

اللقاء الخامس : صحابة استجابوا لدعوة النبي ﷺ وأسلموا للّٰه ربِّ العالمين ٦١

اللقاء السادس : مرحلة الدعوة الجهرية ٧٧

اللقاء السابع : نماذج من الابتلاءات التي تعرض لها رسول اللّٰه محمد ﷺ والصحابة رضوان اللّٰه عليهم أجمعين وهم يدعون إلى اللّٰه ٨٩

اللقاء الثامن : نماذج من الابتلاءات التي تعرض لها المسلمون • بعض صحابة رسول اللّٰه ﷺ يهاجرون إلى الحبشة فرارًا بدينهم من الفتنة قبل الهجرة ٩٩

اللقاء التاسع : نماذج أخرى من الابتلاءات التي تعرض لها المسلمون مشركو العرب (قريش) يهددون باغتيال رسول اللّٰه ﷺ ويفرضون الحصار الاقتصادي على المسلمين (المقاطعة العامة) ١٠٩

اللقاء العاشر : رسول اللّٰه محمد ﷺ يدعو أهل الطائف والقبائل خارج مكة إلى الإسلام • الإسراء برسول اللّٰه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ١٢٥

اللقاء الحادي عشر : فتح عظيم للدعوة الإسلامية خارج مكة المكرمة • الإسلام يغزو قلوب أهل يثرب (المدينة المنورة) ١٤٧

اللقاء الثاني عشر : مصعب بن عمير (أول سفير لرسول اللّٰه ﷺ) يدعو إلى الإسلام

في يثرب (المدينة) فتح عظيم للدعوة الإسلامية : أهل المدينة يبايعون الرسول محمدًا ﷺ على نصرة الإسلام ١٥٥

اللقاء الثالث عشر : هجرة النبي محمد ﷺ والصحابة - رضوان الله عليهم - من مكة إلى المدينة المنورة (نهاية السنة الثالثة عشرة من البعثة/ ٦٣٤ م) ١٦٧

اللقاء الرابع عشر : نجاح الهجرة وفشل المؤامرة لقتل رسول الله محمد ﷺ أهل المدينة (يثرب) يخرجون لاستقبال النبي محمد ﷺ غالب اليهود يرفضون دعوة الإسلام ١٧١

اللقاء الخامس عشر : قيام الدولة الإسلامية على أرض يثرب (المدينة المنورة) التحديات التي واجهت النبي محمدًا ﷺ وكيف تعامل معها ؟ ١٨٧

اللقاء السادس عشر : مشركو العرب كفار قريش يَسْتَفِزُّون رسول الله محمدًا ﷺ ويَعُدُّون العُدَّة لِغَزْو المدينة المنورة واستئصال شأفة الدولة الإسلامية الوليدة ٢٠٣

اللقاء السابع عشر : « حركة جهادية عارمة انطلاقًا من عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة » غزوة بدر العظمى [1] : (رمضان ٢هـ - / ٦٢٣م) ٢١٧

اللقاء الثامن عشر : غزوة بدر العظمى دروس وعبر ٢٣٣

اللقاء التاسع عشر : يهود بني قينقاع ينتهكون حرمات المسلمين بالمدينة المنورة (النصف الثاني من شوال سنة ٢هـ /٦٢٣م) ٢٦١

اللقاء العشرون : غزوة بني سُلَيْم ومحاولة اغتيال الرسول ﷺ سنة ثنتين من الهجرة ٢٦٧

اللقاء الحادي والعشرون : غزوة السَّوِيق ، غزوة ذي أَمَر ، مصرع كعب بن الأشرف ، غزوة بحران ، سرية زيد بن حارثة إلى ماء قَرْقَرَة ....

اللقاء الثاني والعشرون : مشركو قريش يقومون بعدوان شامل على الدولة الإسلامية الوليدة بالمدينة المنورة ، غزوة أحد (شوال سنة ٣هـ /٦٢٤م) ٢٨١

اللقاء الثالث والعشرون : السرايا والبعوث بين أحد والأحزاب (٣ - ٥ هـ / ٦٢٤ - ٦٢٦م) ٣١٧

اللقاء الرابع والعشرون : يهود بني النضير يحاولون قتل النبي محمد ﷺ (ربيع الأول سنة ٤هـ / ٦٢٥ م) ٣٢٧

اللقاء الخامس والعشرون : غزوة « بدر الموعد » و « دومة الجندل » سنة ٤ هـ / يناير ٦٢٦ م ٣٤٣

اللقاء السادس والعشرون : الأحزاب (مشركو العرب ويهود بني قريظة) يهاجمون المدينة المنورة شوال سنة ٥ هـ / ٦٢٦م ٣٤٩

اللقاء السابع والعشرون : رسول الله ﷺ يواصل تصفية أوكار مجرمي اليهود ومشركي العرب (سنة ٦هـ / ٦٢٧م) ٣٧٧

اللقاء الثامن والعشرون : غزوة بني المُصْطَلِق أو غزوة المُرَيْسِيع شعبان سنة ٥ هـ / ٦٢٦ م . دور المنافقين في حادثة الإفك ٣٨٥

اللقاء التاسع والعشرون : رسول اللّه محمد ﷺ يواصل توجيه ضربات اسْتِبَاقِيَّة لإجهاض قوة الأعداء ، بعد غزوة الأحزاب وبني قريظة . سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كلب بدومة الجندل . سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك ....

اللقاء الثلاثون : خروج رسول اللّه ﷺ في ألف وأربعمائة من أصحابه باتجاه مكة لأداء العمرة . صلح الحديبية ذو القعدة سنة ٦ هـ / ٦٢٧م ٤٠٣

اللقاء الحادي والثلاثون : رسول اللّه محمد ﷺ يوجه الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى اللّه ﷻ والدخول في الإسلام أواخر سنة ست من الهجرة / ٦٢٧م ٤٢٣

اللقاء الثاني والثلاثون : غزوة خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء المحرم سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ٤٣٧

اللقاء الثالث والثلاثون : رسول اللّه محمد ﷺ يواصل ضرباته الاستباقية ضد الأعداء ويعقد لواء لغزوة ذات الرقاع ولواءات لسرايا أخرى (٧ هـ / ٦٢٨ م) ٤٥٩

اللقاء الرابع والثلاثون : رسول اللّه محمد ﷺ يؤدي عمرة القضاء (٧هـ - / ٦٢٨ م) ٤٦٩

اللقاء الخامس والثلاثون : غزوة مؤتة أول صدام بين قوات المسلمين وقوات الاحتلال الرومي (جمادى الأولى ٨هـ / ٦٢٩م) سرية ذات السلاسل ٤٧٥

اللقاء السادس والثلاثون : الفتح الأعظم : الصحابة بقيادة رسول اللّه ﷺ يُحررون مكة والبيت العتيق من قبضة المشركين (رمضان سنة ٨هـ / ٦٢٩م) ٤٩٣

اللقاء السابع والثلاثون : الرسول ﷺ يواصل مهمته الدعوية ، ويرسل السرايا لتحطيم

الأصنام ، ويقود الغزوات تجاه هوازن وثقيف في وادي حنين والطائف (٨ هـ / ٦٢٩م) ٥٢٧

اللقاء الثامن والثلاثون : رسول اللّٰه محمد ﷺ يواصل توجيه دعاة الإسلام إلى القبائل العربية ، ويعقد الألوية للسرايا والبعوث لتأديب كل من يحاول تكدير أمن الأمة الإسلامية (المحرم ٩هـ / ٦٣٠ م) ٥٤٧

اللقاء التاسع والثلاثون : الرسول القائد يخرج إلى تبوك لمنازلة دولة الاحتلال الرومي البيزنطية (سنة ٩هـ / ٦٣٠م) ٥٥٣

اللقاء الأربعون : رسول اللّٰه محمد ﷺ يكلف أبا بكر الصديق ﷺ بأن يرأس موسم الحج (سنة ٩هـ / ٦٣٠م) ، ويكلف عليًا بإبلاغ صدر سورة التوبة ، وأن لا يحج بعد موسم حج (عام ٩ هـ / ٦٣٠م) مشرك وأن لا يطوف بالبيت عريان . رسول اللّٰه ﷺ يستقبل الوفود الراغبة في التعرف على الإسلام ٥٨٣

اللقاء الحادي والأربعون : حجة الوداع : رسول اللّٰه محمد يهل بالحج في السنة العاشرة من الهجرة / ٦٣١م ٥٩٧

اللقاء الثاني والأربعون : اكتمال الدين ووفاة خاتم المرسلين محمد ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ / ٦٣١م ٦١٥

رقم الإيداع

2005/11814

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-342-311-5

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « تاريخ الأمة الواحد سيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ »

ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

*** فهيَّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيـفـة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... الدولة : ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب :..................

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

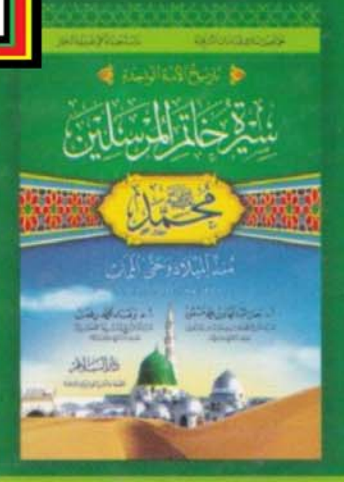
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ مطبعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الجديد في هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح آية ٢٨) ، و قال رسول الله ﷺ : (إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها) رواه مسلم.

سيرة خاتم المرسلين محمد ﷺ نبراس أضاء حياة البشرية ، وأخرج قطاعاً منها من ظلمات الجهالة والشرك إلى نور التوحيد ، ومكنها من مواجهة تحديات العصر بمنهج الإسلام وشريعته . ما أحوجنا إلى التعرف على هذه السيرة العطرة والاقتداء بصاحبها . وسيرة خاتم النبيين محمد ﷺ تحتاج إلى تيسير على القارئ يلتمس فيه المنهج الرباني الحق ، والقدوة والأسوة الحسنة منذ اللحظة التي يبدأ فيها لسانه النطق بالشهادتين ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ . والحوار وسيلة من وسائل المنهج الإسلامي المتميز في عرض سير الأنبياء والعقائد وأخبار الصحابة والتابعين وأخبار الفتوحات الإسلامية وتاريخ الأمم والشعوب ؛ لأن الحوار يعاون معاونة فعالة في تقريب المعنى والفحوى والمضمون في ذهن القارئ والسامع ، وترسيخ القيم والعقائد الصحيحة والدروس المستفادة في نفسية القارئ والمستمع . كما أنه من خلال الحوار يعوّد النشء على كيفية إدارة الحوار مع الغير ، وأداء واجب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والله من وراء القصد.

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٥٩٣٢٨٢٠ - ٤٠٥٤٦٤٢
فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٠٢٠٢)
الإسكندرية - هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٠٢٠٣)
email:info@dar-alsalam.com
www.dar-alsalam.com